يا صاحبَ القُبَّةِ البَيضاءِ

يا صاحبَ القُبَّةِ البَيضاءِ في النَّجَـفِ
مَن زارَ قَبرُكَ واسْتَشفى لَدَيكَ شُفِي

زوروا أَبا الحَسَنِ الهادي لَعَلَّكُـــمُ
تُحظَون بالأجرِ والإقبالِ والزُّلَف

زوروا لِمَن تُسْمَعُ النَّجوى لَديهِ فَمَنْ
يَزرهُ بالقَبرِ مَلهوفاً لَديهِ كُفِـــي

إذا وَصَلْ فَاحْرِمْ قَبْلَ تَدْخُلَهُ
مُلَبِّيـاً وإسْعَ سَعْياً حَولَهُ وطُـفِ

حَتَّى إذا طِفْـــتَ سَبْعاً حَولَ قُبَّتِهِ
تأَمَّـلْ البابَ تَلْقى وَجْهَهُ فَقِـــفِ

وقُل سَلامٌ من اللهِ الســـلامِ على
أَهـلِ السلامِ وَأهلِ العلمِ والشـرَفِ

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

No.: الرقم: ب ت/ ٨١٦٥
Date التاريخ: ٢٠/ ٧/ ٢٠٢٥

ديوان الوقف الشيعي/ دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة القبة البيضاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

اشارة الى كتابكم المرقم ١٣٧٥ بتاريخ ٢٠٢٥/٧/٩، والحاقاً بكتابنا المرقم ب ت ٤/ ٣٠٠٨ في ٢٠٢٤/٣/١٩، والمتضمن استحداث مجلتكم التي تصدر عن دائرتكم المذكوره اعلاه ، وبعد الحصول على الرقم المعياري الدولي المطبوع وانشاء موقع الكتروني للمجلة تعتبر الموافقة الواردة في كتابنا اعلاه موافقة نهائية على استحداث المجلة.

...مع وافر التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ٧ /١٧

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة و النشر.... مع الاوليات
- الصادرة

مهند ابراهيم
١٥/ تموز

إشارة إلى كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير
المرقم ٥٠٤٩ في ٢٠٢٢/٨/١٤ المعطوف على إعمامهم المرقم ١٨٨٧ في ٢٠١٧/٣/٦
تُعدّ مجلة القبة البيضاء مجلة علمية رصينة ومعتمدة للترقيات العلمية.

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

المشرف العام
عمار موسى طاهر الموسوي
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير
أ . د . سامي حمود الحاج جاسم
التخصص/تاريخ إسلامي
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية
مدير التحرير
حسين علي محمّد حسن
التخصص/لغة عربية وآدابها
دائرة البحوث والدراسات/ديوان الوقف الشيعي
هيأة التحرير
أ . د . علي عبد كنو
التخصص / علوم قرءان /تفسير
جامعة ديالى / كلية العلوم الإسلامية
أ . د . علي عطية شرقي
التخصص/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد
أ . م . د . عقيل عباس الريكان
التخصص/ علوم قرءان تفسير
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية
أ . م . د.أحمد عبد خضير
التخصص/ فلسفة
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب
م.د. نوزاد صفر بخش
التخصص/ أصول الدين
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية
أ.م . د . طارق عودة مري
التخصص/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية
هيأة التحرير من خارج العراق
أ . د . مها خير بك ناصر
الجامعة اللبنانية / لبنان/لغة عربية..لغة
أ . د . محمّد خاقاني
جامعة اصفهان / إيران / لغة عربية..لغة
أ . د . خولة خمري
جامعة محمّد الشريف / الجزائر /حضارة وأديان..أديان
أ . د . نور الدين أبو لحية
جامعة باتنة / كلية العلوم الإسلامية / الجزائر
علوم قرءان/ تفسير

التدقيق اللغوي
أ . م . د . علي عبدالوهاب عباس
التخصص / اللغة والنحو
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية
الترجمة
أ . م . د . رافد سامي مجيد
التخصص/ لغة إنكليزية
جامعة الإمام الصادق (عليه السلام) كلية الآداب

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العنوان الموقعي
مجلة القبة البيضاء
جمهورية العراق
بغداد /باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات
الاتصالات
مدير التحرير
٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١
صندوق البريد / ٣٣٠٠١

الرقم المعياري الدولي
ISSN3005_5830
رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق(١١٢٧)
لسنة ٢٠٢٣

البريد الالكتروني
إيميل
off_research@sed.gov.iq

IRAQI
Academic Scientific Journals

الرقم المعياري الدولي
(3005-5830)

دليل المؤلف.....

١-إن يتسم البحث بالأصالة والجدة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢- إن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربية . ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣-أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word ٢٠٠٧ او ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزَّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.

٤-أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصغية APA

٦-أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين الف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧-أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

٨-أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢). أما فقرات البحث الأخرى: فبحجم (١٤) .

٩-أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام التلقائي (تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.

١٠-تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم والمسافة بين الأسطر (١) .

١١-في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢-يبلَّغ الباحث بقرار صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.

١٣-يلتزمُ الباحث بإجراء تعديلات المحكّمين على بحثه وفق التقارير المرسلة إليه وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤-لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥-لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قبلت أم لم تقبل.

١٦-دمج مصادر البحث وهوامشه في عنوان واحد يكون في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧-يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨-يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الاستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩-يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) الف دينار.

٢٠-تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١-ترسل البحوث على العنوان الآتي: (بغداد – شارع فلسطين المركز الوطني لعلوم القرآن)

أو البريد الألكترونيّ: (off_research@sed.gov.iq) بعد دفع الأجور في الحساب المصرفي العائد إلى الدائرة.

٢٢-لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

مجلة انسانية اجتماعية فصلية تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي
محتوى العدد (٨) صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م المجلد الأول

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	ابتكار (إبداع) صدر الدين الشيرازي في «الحركة الجوهرية»	أ.د.زينه علي جاسم	٨
٢	لغة النحويين في مؤلفاتهم في القرنين التاسع والعاشر الهجريين دراسة نحوية	أ. م. د. وليد شعبان علي	٢٨
٣	التحالف السياسي والعسكري بين السلطان الايوبي الصالح إسماعيل والقوى الصليبية	أ.م. د. طارق عودة مري	٤٦
٤	رسالة في الاحتمالات الواقعة في أفعال العباد لموسى بن عبد الله التوقادي (ت١١٣٣هـ)– دراسة وتحقيق–	أ.م. د. عامر ضاحي سلمان	٦٠
٥	تفسير الطبطبائي بين المأثور والرأي	أ.م. د. ياسر جادر محمد	٧٦
٦	موقف مجلس النواب اللبناني من القضية الفل سطينية١٩٤٨	أ. م. د. ميثم علي نافع	٨٨
٧	السكوت في النص الشرعي:بين مفهوم الإقرار ومجال الدلالة «دراسة تأصيلية تطبيقية»	أ.م. د. أمين علي حسين	١٠٢
٨	أثر توظيف استراتيجيات النظرية المعرفية في تحصيل مادة اللغة العربية لدى طلاب الصف الأول المتوسط واتجاههم نحوها	أ.م.د. حمدي إسماعيل احمد	١١٢
٩	السلوك الاندفاعي لدى اطفال الامهات العاملات وغير العاملات	أ.م. د. ليلى نجم ثجيل	١٣٤
١٠	منهج ابراهيم بن حسن البقاعي(٨٠٩– ٨٨٥م)في كتابه «عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والاقران»	أ.م.د رشا عيسى فارس	١٥٠
١١	تأثير القواعد الفقهية على التشريعات العدلية دراسة تأصيلية تطبيقية	أ. م.د. كريمة عبود جبر	١٦٦
١٢	الترخُّص في القرائن اللفظية وعلاقته بقصد المتكلم في شرح الكتاب للرماني	م. د. زينب معين	١٧٨
١٣	رسالة معلّقة بالتفسير للفاضل محمّد الوانيّ (ت١٠٩٦هـ) تفسير ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ سورة آل عمران/١٨٢ دراسة وتحقيق	أ.م.د.عقيل عباس ريكان	١٨٦
١٤	المثقف المهزوم وتمثيلات الخيانة في رواية "رجال في الشمس" لغسان كنفاني: مقاربة نقدية	م. د. سرى ظافر سلمان	٢٠٤
١٥	صفات العرب ومناقبهم قبل الاسلام الحلم والوفاء أنموذجاً	أ.م.د. صلاح حسن خلف	٢٢٢
١٦	تعاطي المنكرات واضرارها على صحة الانسان«الخمر أنموذجاً»	أ.م.د.سميه عبد الوهاب شعبان	٢٣٦
١٧	التخصيص بتعريف طَرَفَيّ الإسناد في الصَّحيفةِ الرّضَويّةِ الجامعة	م.د.أثار محمد مسلم السويدي	٢٥٠
١٨	فاعلية استراتيجية كينسو في تحصيل مادة الفيزياء لدى طلاب الصف الرابع العلمي	م. م. سعيد لفته كريم	٢٦٤
١٩	أثر النساء الطبيبات في حضارة بلاد المغرب والاندلس	م. م. زمزم محمد صبار	٢٧٨
٢٠	التسامح قيمة أخلاقية لبناء مجتمع متماسك	م. د. أياد خلف مرشد	٢٨٨
٢١	الأثر النفسي والاجتماعي لتطورات الذكاء الاصطناعي على الإنسان في العصر الرقمي	م. م. مهدي عبد الحسن	٣٠٢
٢٢	أثر استراتيجية Q.A.R في تنمية مهاراتالتفكير التحليلي والتحصيل في مادة الرياضيات لدى طالبات الصف الثاني المتوسط	م.م.ضمياء عباس منشد قاسم	٣٢٠
٢٣	الوحدة الموضوعية في سورة الحجر	م.م.أفراح علي حسين حافظ	٣٤٠
٢٤	Development and validation of a computer Assisted languagelearning curriculum and llsyabus forIraqi ELT teachers and students atBA and MA level	Atta Qasim Tahimesh Saja Qasim Tahimesh	٣٥٠

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

ابتكار (إبداع) صدر الدين الشيرازي في «الحركة الجوهرية»

أ.د.زينه علي جاسم
جامعة الكوفة /كلية الفقه قسم الأديان المقارنة

المستخلص:
ويمكن القول ان الشيرازي اختار وقوع الحركة في الجوهر فيعتبر الجوهر هو الموضوع الاساسي لجميع اصناف الحركة الجوهرية و اكدّ بقاء الموضوع فيها و تبعه في ذلك من تأخر عنه .
تمثل الحركة الجوهرية القوس الصعودي و الذي من خلاله يسمح التكثيف المضطرد لنور الوجود للموجودات ان ترجع الى حقائقها في المثل النورانية في العالم العلوي خلافا لذلك لا ترى الداروينية ان هناك أي شيء يدعى الاعيان الثابتة و ان الاجناس هي فقط اشكال ولدها سريان المادة في الزمن بعيدا عن كونها انعكاساً للأعيان الثابتة السماوية اضافة الى ذلك فإن دور الوجود ووحدته و تشكيكه و أصالته بالنسبة الى الداروينية هي أمور لا معنى لها في حين أنها تشكل أسس حكمة الملا صدرا كما يراها هو اضافة الى ذلك فان الحركة الجوهرية تؤدي دوراً روحياً والكون يتحرك باتجاه الكمال الذي يشكل هدفه و غايته و التطور الروحي للبشرية يتحقق ايضا من خلال منهج للحركة الجوهرية .
وان حركة في الجوهر سير الجوهر في الجوهر و هو سير من النقص الى الكمال ليكون الجوهر مسيراً لنفسه و يكون الجوهر مسيراً للجوهر فان المتحرك في جميع اصناف الحركات هو الجوهر دون غيره.
الكلمات المفتاحية: الحركة الجوهرية،النظريات العلمية ، النظريات الفلسفية، مادة الوجود.

Abstract:
It can be said that Al-Shirazi chose to place movement in the essence considering the essence to be the primary subject of all types of essential movement. He emphasized the permanence of the subject within them, and those who came after him followed him in this
The essential movement represents the ascending arc, through which condensation is permitted.
The constant light of existence for the existents to return to their truths in the luminous examples in the upper world. In contrast to that, Darwinism does not see that there is anything called fixed entities and that the species are only forms born of the flow of matter in time, far from being a reflection of the fixed heavenly entities. In addition to that, the role of existence, its unity, its skepticism and its originality
For Darwinism, these are meaningless matters, while they form the foundations of Mulla Sadra›s wisdom as he sees it. In addition, the essential movement plays a spiritual role, and the universe moves towards perfection, which constitutes its goal and purpose, and the spiritual development of humanity is also achieved through the method of essential movement
And the movement in the substance is the movement of the substance in the substance, and it is a movement from imperfection to perfection, so that the substance is driven by itself and the substance is driven by the substance, for the one moving in all types

of movements is the substance and nothing else.

Keywords: substantial motion, scientific theories, philosophical theories, substance of existence.

المقدمة:

تمثل الحركة (١)* الجوهرية (٢)* احد ابتكارات (٣)* و ابداع (٤)* صدر الدين الشيرازي

يعد مبحث الحركة من أهم المباحث الفلسفية المهمة و يعتبر احد المحاور الرئيسية في الأبحاث الفلسفية منذ زمن الفلسفة اليونانية تحديدا بأرسطو و بعد حين ورثها الفلاسفة المسلمون و توسعوا في ايضاحها و بيان معالمها ، فأصبحت من اهم النظريات التي اسهمت في توضيح و ترسيخ العديد من الآراء والنظريات العلمية و الفلسفية عندهم

ان المراد من تعريف الحركة او حدّ الحركة ليس هو الحد المنطقي الذي يكون مركّباً من الجنس و الفصل وذلك لان الحركة هي نحوٌ من الوجود واذا كانت كذلك فلا ماهية لها و اذا لم تكن لها ماهيّة فلا جنس و لا فصل لها لذلك يكون تعريف الحركة بالمعنى الأعم أي : مطلق المعرّف و تطلق الحركة في العرف غالباً على الانتقال من مكان الى آخر اما معناها في المصطلح في عرف الفلاسفة فيشمل الحركة في الكيف والكم وغيرها(٥) .

واجه الانسان حين بدأ يحاول تفسير العالم بطريقة علمية مسألتين أساسيتين :

اولا : مادة الوجود.

ثانيا : كيفية النشأة ، حيث ان البحث في الثانية متفرع على البحث في الاولى اذ لا يمكن تصور صدور الشيء عن مادته بغير تصور الطريقة التي صدر بها و هكذا كانت اولى النظريات التي صاغها الفلاسفة عن اصل العالم هي في الوقت نفسه نظريات في مفهوم الحركة (٦) .

فالحركة هي هيئة غير قارّة بالضرورة او ترسم بأنها خروج الشيء من القوة الى الفعل لا دفعة (٧) .

والحركة إما عرضية أو جوهرية فالحركة العرضية لها وجوه متعددة :أ: فقد تكون في حركة الوضع كحركة الشيء حول نفسه مثل دوران المروحة حول نفسها ،ب : وقد تكون حركة في مقولة الكم كالنمو الحاصل في النبات و الحيوان مع مرور الزمن ،ت : و قد تكون حركة في مقولة الكيف كالتغيير الحاصل في لون البرتقالة من اللون الأخضر الى اللون الأصفر لقاني و كالتغير العارض على النفس من الحب و البغض ،ث : و قد تكون في مقولة الاين و تسمى حركة انتقالية كحركة الشيء من نقطة الى اخرى ، حيث هذا التغير و التبدل قبل صدر المتألهين هو عارض على المادة في الشكل و الحجم و اللون و المكان وهو تغير و تبدّل في ظاهر المادة الخارجي حيث تخلع المادة صورة و تلبس أخرى مكانها و العالم في ظاهره في حركة دائمة على وتيرة واحدة ثابت الجوهر ، و اما مع صدر المتألهين و ما بعده فالمادة تلبس صورة بعد الاخرى أي هناك لبس بعد اللبس وحركة في الظاهر و الجوهر على أساس مبدأ التناسب و السنخية بين العلة و المعلول(٨) .

المقولة موضوع حقيقي لوجود الحركة و الحركة تصبح أمراً عارضاً عليها و لا يخلو كون المقولة أما هي الجوهر الاساسي لوجود الحركة أو انها واسطة لعروض الحركة لمعروضها كوجود السفينة واسطة لعروض الحركة على جالسها(بأن كانت الحركة موجودة للمقولة أولاً ومن جهة وجودها للمقولة تعرض للجوهر المتحرك ثانياً، وبالعرض). أما اذا فرضنا ان الحركة لن تعرض على المقولة رأساً فلا تكون موضوعاً للحركة كما إذا لم تتحرك السفينة فلا وجود لحركة الجالس عليها ومقتضى الواسطة في العروض ان تكون معروضة للعرض حقيقة (٩) .

المبحث الأول قاعدة الحركة الجوهرية

توجد قاعدة مهمة وهي ان لكل حركة لابد لها من محرك ، هذه القاعدة تثبت حاجة كل موجود متحرك الى محرك وهذا القاعدة ترجع الى ارسطو حيث ان يعقوب بن اسحاق الكندي اول فيلسوف مسلم ومترجم لآثار

أرسطو أورد هذه القاعدة في آثاره و نسبها الى ارسطو كما ان العديد من الكتب الاخرى نسبت إثبات المحرك الاول الى ارسطو و ينبغي ان نعزو اهتمام ارسطو الخاص بمباحث الحركة و إثبات المحرك الاول الى المحيط الفكري و الفلسفي الذي سبقه (١٠)، و يقال ان الحركة التي هي ايضا نفس المتحرك(١١) .

و يمكن القول انه قد سبق ارسطو مذهبان فلسفيان كان لهما تأثير على فلسفته وهما :

اولا : مذهب هيراقليطس ، ثانيا : مذهب بارمينيدس (١٢)* .

لقد انكر مؤسس المدرسة الايلية بارمينيدس عملية النشأة برمتها ، و أبطل فكرة الزمن مؤكداً ان الوجود حقيقة صماء وانه في حاضر لا يزول و على ذلك فليس له ماض و لا مستقبل و ليس هناك كون و لا فساد والعالم عند هذا الفيلسوف ليس محدثاً و لا فانياً وهو في وحدة مع ذاته متصل ليست له أجزاء كما انكر بارمينيدس وجود الخلاء في العالم وخلص من هذه الاقوال الى القول بان العالم غير متحرك ودفاعاً عن فكرة بارمينيدس حول سكون العالم اقام تلميذه زينون الايلي حججه المشهورة في نفي الحركة (١٣) ، ان لزينون موقف اتجاه الحركة حيث ان حجج زينون لإبطال الحركة يُراد بها سلبها او نفيها عن الوجود البرمنيدي الواحد وكلها تعتمد على امكانية تكرار قسمة المكان الى غير نهاية في زمن متناه تقتضيه الحركة

. الحجة الاولى : تتلخص في أنك اذا اردت ان تقطع مسافة فلا بد ان تقطع نصفها الاول قبل نصفها الثاني وهذا النصف لا يمكن ان تقطعه قبل ان تقطع نصفه اولا (١٤) ، أي ان الحركة لا وجود لها لان ما يتحرك لابد ان يقطع نصف المسافة التي يتحرك فيها ثم نصف الباقي منها و هكذا دواليك فاستحال قطع اقسام المسافة اللامتناهية تلك (١٥) .

. الحجة الثانية : تستند الى نفس الفكرة وتعرف باسم فأخيل (١٦)، وهو أسرع العدائين في الاساطير اليونانية تسابق و سلحفاة تقدمت عليه عشرة أمتار (١٧)، فاستحال اذن ان يدرك المتباري الاول الثاني و بصورة عامة كما مر في المناقصة السابقة استحال قطع أي مسافة (١٨) .

. الحجة الثالثة : التي تؤكد افتراض الحركة هي حجة السهم اذا انطلق سهم في الهواء فلابد ان يكون في أي لحظة في الزمان في نقطة معينة من المكان(١٩)، وهذه الحجة تعرف بالسهم الطائر تقرّر ان السهم الطائر لا يتحرك قط (٢٠) .

أدخلت نظرية الحركة الجوهرية و لأول مرة عنصرين أساسيين في الفكر الاسلامي الأول تاريخية الوجود والثاني التبدّل و التغّير الداخلي في عين السكون الخارجي لهذه الشجرة المباركة التي تطغى على فكر وذهن الموحّد واحدة بعد أخرى فتساند في مسيرته العملية ليتمكن من التقدم في مسيرة القرب الى الله و رضاه حيث ان جميع موجودات العالم لا تتحرك الا اليه و هكذا يحصل التقدم يوماً بعد يوم لتقدم للبشرية إنجازات جديدة (٢١) .

للحركة معان كثيرة و مختلفة تزخر بها معاجم اللغة و المفاهيم الفلسفية و تنتمي بعض هذه التعاريف الى حقبة سبقت أفلاطون و أرسطو فهي عند افلاطون تعني الخروج عن المساواة أي كون الشيء بحيث لا يكون مساويا لحالة قبل ذلك الان و بعده ، وهناك مفاهيم و تعاريف عديدة للحركة فطاليس (٦٢٥ ق . م) له تعريف خاص و كذلك هناك مفاهيم لكل من (هيراقليطس) و(ابيقوروس) و (سقراط)و (افلاطون) و (ارسطو)، و فلاسفة الاسلام امثال الكندي و ابن رشد و علماء فلاسفة المعتزلة ايضا لهم مساهمات و ابحاث حول موضوع الحركة

(٢٢)، و يعُد مفهوم الحركة من الفلسفة الطبيعية (حتى ما بعد الطبيعة) بمثابة حجر الزاوية اذ ان إدراك طائفة من المفاهيم الطبيعية الاخرى كالمكان و الزمان و الخلاء و اللانهاية متّصل به اتصالاً أساسياً و الحركة باليونانية تشمل سلسلة من المفاهيم التي نعبرّ عنها بالعربية بالزيادة و النقصان (أو النموّ و التقلص)، و التغّير و الحدوث (٢٣) .

كان الفلاسفة قبل صدر الدين متأثرين بأرسطو يقولون بحصول الحركة في مقولات اربع فقط كلها من قبيل الاعراض هي : الكم و الكيف و الأين و الوضع حيث ان الاولى بالنمو و الذبول و الثانية باستحالة الصفات و الثالثة بالانتقال

في المكان و الأخيرة باختلاف نسبة أجزاء الجسم بعضها الى بعض مع بقاء الكم و الكيف و الأين ثابتة على حالها(٢٤) .

فيما سبق يتضح وجود مذهبين متناقضين تماماً في الحركة قبل ارسطو، أحدهما يعتبر الحركة اصل العالم و أساسه و الآخر يعتبرها موهومة و أمراً باطلاً (٢٥)، حيث ان الكثير من الفلاسفة اعطوا تعريفاً واضحاً للحركة ومن اهم هذه التعاريف تعريف فيثاغورث ، أفلاطون وارسطو حيث يعتقد فيثاغورث بأن الحركة هي الغيرية و رسمها افلاطون بأنها الخروج عن المساواة أي ان لا يكون حال الشيء مساويا للحال التي كان عليها قبل هذا الحال و طبعا فإن تعريف افلاطون لا يختلف من حيث المعنى عن تعريف فيثاغورث و قد رسمها ارسطو بأنها كمال اول لما بالقوة من حيث انه بالقوة المقصود من الكمال هنا هو الفعلية الوجودية وهنا عندنا حيثيتان احداهما القوة والاخرى هي الفعلية و الكمال للأمر الذي هو بالفعل هو صورته النوعية و كماله الثاني هو عروض الاثار و الاعراض على الصورة النوعية اما الامور التي هي بالقوة فكمالها الاول هو ان تتحرك نحو الغاية والهدف أي خروج الشيء من السكون و اتجاهه الى الهدف و كمالها الثاني هو الاستقرار في الهدف(٢٦).

المبحث الثاني مفهوم الحركة الجوهرية

حيث ان مفهوم الحركة المجرّد الذي يورده أفلاطون بين أجناس الوجود الكبرى (في محاورة السوفيسطس) لا معنى له لأنه لا موضوع له يحلّ فيه و لمّا كان الجوهر أولى المواضيع بأن تُسند اليه الحركة استحال الحدوث المطلق أي حدوث الجوهر عن عدم الجوهر لانتفاء موضوع يقوم فيه ذلك الحدوث او الحركة (٢٧)، وايضا عرفها ارسطو بأنها فعل الممكن بما هو ممكن او خروج الشيء من القوة الى الفعل (٢٨) .

و يستعمل أرسطو لفظة التغيّر في بعض المواضع للدلالة على الحركة الكيفية (٢٩)،إن افلاطون جاءنا بحقيقة مهمة و أساسية في تحديده لمفهوم الحركة بإعلانه ان التغير يكون من ضد الى ضد وقد أدخل ارسطو هذا المفهوم في مباحثه عن الحركة و لكنه لم يجعله حداً لها فهي عنده يجب ان تكون من ضد الى ضد وهذا شرط أولي اما تعريفها فيورده على أحد وجهين : الحركة هي كمال ما بالقوة بما هو كذلك او كمال التحرك بما هو متحرك و الكمال على درجتين اول و ثان الثاني هو الوصول الى الفعل وهو التمام و الحصول اما الاول فهو توجه الشيء المتحرك الى المكان الثاني الذي سيكون فيه بالفعل و المقصود بالكمال في تعريف أرسطو هو الكمال الاول (٣٠) .

لقد سار فلاسفة الاسلام مسار الفلسفة الطبيعية الارسطوية في حصر الحركة في مقولات الكيف و الكم و الاين و الوضع و كلها عوارض و بناء على ذلك انكروا بشكل واضح إمكان الحركة في الجوهر وعليه كانت الحجة الاساسية الرئيسة عند ابن سينا هي ان الحركة بحاجة الى موضوع و هذا الموضوع لابد يتحرك و بأن جوهر الشيء يتغير من خلال الحركة لا يعد هناك موضوع للحركة وبناء على ذلك فأن أبن سينا تبعا لهذه الطبيعيات رأى ان الحركة تقع في مقولات الكيف و الكم و الاين و الوضع .

تمثل الحركة مكان المفتاح لمعرفة الطبيعة و الموجودات الطبيعية في فلسفة اليونان وارسطو على الخصوص وهو كذلك عند ابن سينا و معظم فلاسفتنا قبله و بعده فالحركة عنصر اساس في تقسيم الموجودات (٣١)، لقد تبنى الفلاسفة الفهم الارسطي العام للحركة بكونها خروج الشيء من القوة الى الفعل وهو اقرار يستلزم بداية و نهاية للحركة كما انه اقرار بالسكون الى جانب الحرك(٣٢) .

وقال المشاؤون ان الحركة كمال اول لما هو بالقوة من جهة ما هو بالقوة و توضيحه ان الجسم اذا كان له إمكان الحصول في مكان قيل ان له امكانين : إمكان الحصول فيه و امكان التوجه اليه و إمكان التوجه يجب ان يكون متقدماً على إمكان الحصول فهو بهذا الاعتبار كمال أول للجسم المتحرك(٣٣).

يعرف الكندي الحركة في الحدود بأنها « تبدّل حال الذات و الحركة هي تبدّل ما و كذلك هي تبدّل الاحوال»

(٣٤) ، حيث ان الكندي يوضح ان انتقال الشيء من القوة الى الفعل حركة و لابد لها من محرك و العلة الغائية هي هذا المحرك ليست الحركة الشيء بالقوة و لا الشيء بالفعل بل هي حالة الشيء بين القوة و الفعل لان الشيء بالقوة لم يتحرك و الشيء بالفعل انتهت حركته (٣٥)، و أشار الفارابي بعد الكندي الى هذه القاعدة و استدل بها فهو يرى المحرك في هذا الموضع علة غائية و يقول«و أنه و ان كان لكل واحد (يقصد لكل فلك). منها معشوق خاص مخالف لمعشوق الآخر فانها تشترك في معشوق واحد هو المعشوق الاول و انه يجب ان تكون القوة المحركة لكل واحد منها قوة غير متناهية» (٣٦).

ولعل أشهر تعريف للحركة هو الذي ذكره الشيخ الرئيس ابو علي ابن سينا فانه عرف الحركة بأنها« تبدل حال قارة في الجسم يسيرا يسيرا على سبيل اتجاه نحو شيء و الوصول به اليه و هو بالقوة او بالفعل (٣٧)،و يقصد ابن سينا هنا من تبدل الحال القارة الاحتراز عن الانتقال من حال غير قارة الى حال غير قارة اخرى من مت الى متى واما يسيرا يعنى به ينهى ابن سينا عن الخروج الدفعي و انما اراد به الخروج التدريجي و بعدها لابد من الوصول الى الهدف و الغاية للحركة.

قال الشيخ في الشفاء : الحركة اسم لمعنيين الاول الأمر المتصل المعقول للمتحرك من المبدأ الى المنتهى و ذلك مما لا حصول له في الأعيان لان المتحرك مادام لم يصل الى المنتهى فالحركة لم توجد بتمامها (٣٨)،الثاني : وهو الأمر الوجودي في الخارج وهو كون الجسم متوسطاً بين المبدأ و المنتهى بحيث كل حد فرض في الوسط لا يكون قبله و لا بعده فيه وهو حالة موجودة مستمرة ما دام كون الشيء متحركاً (٣٩) ، و أما حركة الكل فهي حركة الجرم الأقصى على الوسط مشتملة على جميع الحركات التي على الوسط و أسرع منها(٤٠)، لقد فسر ابن سينا الحركة (٤١)*، وان أبن سينا أثبت قاعدة الكندي و الفارابي يقول « ان المحرك كيف يحرك و انه محرك على سبيل التشويق الى الاقتداء بأمره الاولى لا كتشاف تشبّه بالعقل و الذي يحرك المحرك من غير ان يتغير بقصد و استئناف فهو الغاية و الغرض الذي اليه ينحو المتحرك وهو المعشوق و المعشوق بما هو معشوق هو الخير عندالعاشق»(٤٢)

في الجوهر بالكون والفساد فهو قول غير مرضي اذ الحركة الجوهرية لا تعطي مؤدى الكون والفساد كما تصوره حيث ان الحركة الجوهرية هي تجدد الحركة في كل آن غير الحركة المتلبسة في الآن الآخر مع كون ذات المقولة و التجدد في الحركة أمراً واحداً من حيث الصورة (٤٣) .

مما سبق يمكننا القول ان المحرك الاول عند الكندي و الفارابي و ابن سينا هو العلة الغائية للحركة وعن طريق العلة الغائية تتحقق الحركة للوصول اليه او التشبّه به وبناء على ما تقدم فان الحركة الجوهرية لدى الملاّ صدرا لم تخلق من العدم و بدون سابق انذار فقد ظهر القول بشمول التغير و الحركة لكل شيء ظاهري وجوهري على يد هيراقليطس الذي كان يقول بأن التغير شامل للجوهر و الأعراض في كل لحظة (٤٤) .

المبحث الثالث الجوهر عند صدر الدين الشيرازي

وقد استدل الملا صدرا على وقوع الحركة في الجوهر و برهن من خلالها على اثبات ان العالم حادث و له خالق كما يلي :هناك حركة و تغير في جوهر الأشياء و الدليل عليه : ان الحركة في المقولات العرضية (كالوضع) و (الكم)و(الكيف) و(الاين)(٤٥)، وبما ان الحركة عند صدر الدين الشيرازي تقوم و تبنى على الجوهر فلابد من معرفة الجوهر، يعرّف الجوهر في اوساط المشائين بتعريفين رئيسين : الموجود لا في موضوع ، القائم بذاته (٤٦) ، والجوهر هو اهم مقولة من مقولات منطق ارسطو وهو ايضا الموضوع الرئيس لبحوث ما بعد الطبيعة او نظرية الوجود و قد ناقش ارسطو هذا المفهوم في المقولات و في ما بعد الطبيعة (٤٧) .

ان مسألة الجوهر مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بظاهرة الصيرورة و التغير بالنسبة الى الموجود و اذا كانت الموجودات في تغير مستمر فان التغير يتناولها بأعماق مختلفة و على مستويات متغايرة ، فالجوهر هو الكينونة القابعة في اساس الصفات

باستقلال تام وهو الحامل الثابت للمتعينات المتغيرة وهو في عرف التصور الميتافيزيقي مطلق غير مشروط الا انه شرط ضروري لوجود الصفات و تغير المتعينات (٤٨) .

فالجوهر هو ما يدوم من الموجود القابل للتغير مثل ذلك ان جوهر الانسان هو النفس وهو الموجود القائم بنفسه أي الذي يحل به سواه و لا يحل بسواه و يقابله العرض (٤٩)، والجوهر ماهية اذا وجدت في الاعيان كانت لا في موضع وهو منحصر في خمسة : هيولى ، وصورة ، وجسم ، ونفس ، وعقل (٥٠)، والجوهر انه واحد بالذات قابل للمتضادات قائم بنفسه لا يتحرك ولا له مكان و لا له طول و لا عرض و لا عمق و لا يتجزأ وانه واحد بذاته لا طول له و لا عرض ولا يتجزأ و قالوا انه لا يتحرك و له مكان و انه قائم بنفسه يحمل من كل عرض عرضاً واحداً فقط كاللون و الطعم و الرائحة (٥١)، وعند المتكلمين : الجوهر حادث متميز بالذات و مشار اليه بالذات اشارة حسية و التحيز عندهم شرط الجوهر فلا جوهر الا المتحيز و الجوهر بهذا التحديد قسمان : قابل للقسمة وهو الجسم او لا يقبلها وهو الجوهر الفرد وهذا الحد الكلامي للجوهر يجمع بين حدّه المشائي وحده الذري (٥٢) .

اما الجوهر عند الشيرازي فهو معنى واحد و ماهية واحدة يوجد تارة مستقلا بنفسه مفارقا عن المادة متبرّءا عن الكون و الفساد و التغير فعالاً ثابتاً كالعقول المفارقة على مراتبها ويوجد تارة اخرى مفتقراً الى المادة مقترناً بها منفعلاً عن غيره متحركاً و ساكناً و كائناً وفاسداً (٥٣) ، و في دراسته أي الشيرازي للجوهر الجسماني(كل جوهر جسماني له نحو وجود مستلزم لعوارض ممتنعة الانفكاك عنه نسبتها الى الشخص نسبة لوازم الفصول الاشتقاقية الى الانواع و تلك العوارض اللازمة هي المسمّاة بالمشخصات عند الجمهور و الحق انها علامات للتشخص ومعنى العلامة هاهنا العنوان للشيء المعبّر بمفهومه عن ذلك كما يعبّر عن الفصل الحقيقي الاشتقاقي بالفصل المنطقي كالنامي للنبات و كالحسّاس للحيوان و الناطق للإنسان)(٥٤)، ويقول صدر الدين ان لكل موجود جسماني وجوداً واحداً وهو متشخص و متعين بذاته (٥٥)، تحدث عن ثلاثة مذاهب يقول الاول : انه مركب من ذوات اوضاع جوهرية غير منقسمة أصلاً وهو قول الذريين والثاني يقول انه ينقسم الى ما لانهاية وهو قول النظام و الثالث يركبه من جوهر مادي وجوهر صوري وقال عن الاخير انه مذهب الحكماء يقصد جمهور الفلاسفة وهو مذهب الشيرازي نفسه و قد اقام عليه مباحثه في الحركة الجوهرية (٥٦) .

ان اهم الاعتراضات التي تواجه ملا صدرا هي تلك التي يمثلها التيار المشائي ذاته منذ ارسطو وهو من اكبر المنكرين للحركة الجوهرية وهذا انما لان ملا صدرا سوف يبني نظريته هذه على المعطيات الفلسفية المشائية ذاتها تقريبا لا اقل فيما يتعلق بالمفهوم الانتليشي للحركة وايضا فكرة عدم وجود ضد للجوهر ان الحركة كما تصورها ارسطو وسار عليها المشاؤون هي انتقال من مبدأ معين الى منتهي يمثل ضدا له (٥٧)، وايضا عارض ملا صدرا الشيخ الرئيس عندما ذهب الشيخ الى امتناع الحركة الجوهرية فسّر الحركة في الجوهر بالكون والفساد و الفرق بينهما ان الاولى تدريجية التحقّق و ان الوحدة الوجودية محفوظة بين الصورة السابقة و الصورة اللاحقة و أنّ دفعي التحقق و أن الوحدة الوجودية ليست بمحفوظة بين الصورة الكائنة والصورة الفاسدة (٥٨) .

ان الفلاسفة الذين سبقوا صدر الدين كانوا يحددون الحركة ضمن أطار اربع مقولات عرضية هي : الكم، والكيف، والأين والوضع ويتصورون ان مقولة الجوهر بدون حركة فتظل بالنتيجة الكثير من المسائل المبتناة على الحركة بدون حل وقد توصل صدر الدين الى وضع حل جديد من خلال الدراسة العميقة لمباحث الحركة وأثبت لأول في تاريخ الفلسفة الحركة في مقولة الجوهر دون ان يخشى خلال ذلك من أية مشكلة و دون ان يتردد عن بذل أية مساع حيث من خلال إثبات الحركة في الجوهر و هيولى العالم التي تستلزم الحركة في سائر الأعراض بل في كافة أجزاء العالم المادي توصل صدر المتألهين الى حل الكثير من المسائل التي استعصى حلها حتى تلك اللحظة .

من بين المسائل التي تقوم على الحركة في الجوهر ما يأتي : النفس الناطقة جسمانية الحدوث و روحانية البقاء ، إثبات المعاد الجسماني و الحشر الأجسادي بحيث تظل الهوهوية محفوظة بالبدن العنصري ، وحدة تركيب المادة و الصورة (٥٩) ،وان الملا صدرا قد ثبّت ركائز الحركة الجوهرية في فلسفته و حلّ بواسطتها العديد من المسائل الفلسفية كعلاقة النفس بالبدن وصلة القديم بالحادث حيث تسري الحركة في جميع أوصال الوجود و أعراض هذا العالم فحركة الاعراض نابعة من حركة الجوهر نفسه و الوجود و العالم نفسه (٦٠)، ويقول صدر الدين بحدوث الحركة في الجوهر بالاشتداد و الضعف بل اعتبر ذلك اهم انواع الحركة و بنى مذهبه الفلسفي على هذا الاساس فجاءت حلوله للمشاكل و المعضلات الفلسفية متأثرة بهذه النظرية التي تفرد بها و التي حدس بها بعض القدماء من الاغريق و المسلمين و لكن أحداً لم يصرح بها ولم يفصلها تفصيلاً و لم يستولد منها حلولاً لكثير من المشكلات الوجودية كما فعل الملا صدرا رحمة الله وهي خطوة رشحته لها روحه النقدية و نزعته الابداعية و تحرره العقلي و إلهام الله تعالى كما يخبرنا هو نحو جدل كوني او صيرورة وجودية تدخل الحركة في صميم الوجود و بنيته الداخلية لا صفاته و اعراضه فحسب كما التزم أسلافه و قد مالت الجدلية الحديثة الى مثل مقالة الملا صدرا غير انها انتهت الى نزعة مادية بعد أن بدأت مثالية كونية (٦١) .

وايضا الحركة من التحريك من مقولة ان يفصل الحركة من حيث التحرك من مقولة ان ينفصل و التحريك او التحريك لم تؤخذ الحركة منهما (٦٢)، ولابد من الالتفات الى أمر مهم وهو كل حركة لابد لها من محرك حيث ان هذا الامر يختص بالحركة العرضية اما على صعيد الحركة الجوهرية فالوجود هنا أي الوجود التجددي ليس بحاجة الى مبدأ الحركة وجعل وجوده اساس ومبدأ جعل الحركة حيث ان الحركة أي الحركة الجوهرية بحاجة الى ابرز مبدأ الوجود و ليس مبدأ الحركة يعني ان الحركات العرضية نلاحظ تتحرك الطبيعة في أحد المقولات العرضية مثل الحركة في الكم او الحركة في الكيف او الحركة في الوضع هنا هي بحاجة الى محرك هذا المحرك يفيد الحركة اما على صعيد الحركة الجوهرية الطبيعة المتجددة بحاجة الى فيض الوجود .

مما تقدم نلحظ قول صدر الدين الشيرازي في هذا الخصوص « ان الحركة المباشر لم يكن بالفعل في نفس الحركة كان مرافقة مع القوم المنكرين للحركة الجوهرية و امّا عندنا فالطبايع سيالة فالمراد بالحركة في قوله أمر غير الحركة : العرضية في المقولات الأربع و بالأمر الطبع و باللزوم الاستتباع و الاقتفاء و لا بدّ ان يكون في الوجود من أمر غير الحركة و غير قابل الحركة وهو متحرك بذاته متجدد بنفسه وهو مبدأ الحركة على سبيل اللزوم و له فاعل محرك بمعنى موجد نفس ذاته المتجددة لا بمعنى جاعل حركته لعدم تخلّل الجعل بين الشيء و ذاتياته و ذلك لانّ فاعل الحركة المباشر لها لابدّ و ان يكون متحركاً والّا لزم تخلف العلة عن معلولها فلو لم ينته الى أمر وجودي متجدد الذات لأدى ذلك الى التسلسل او الدور(٦٣) .

ان الحركة هي نفس التجدّد و الخروج من حالة الى غيرها و هذا يطابق تأكيد ديمومة الحركة بالنسبة للمادية الجدلية بانها شكل او اسلوب وجود المادة مع الربط الجدلي بين الحركة والمادة وعدم انفصالها الا ذهنيا (٦٤) .

و يقول ابن سينا « وقد ظهر ان كل حركة ففي أمر يقبل التنقص و التزيد و ليس شيء من الجواهر كذلك فإذا لا شيء من الحركات في الجوهر فإذا كون الجواهر و فادها ليس بحركة بل هو أمر يكون دفعة واحدة»(٦٥)، وأما الذي ذكره الشيخ في نفي الحركة في الجوهر حيث قال « لان المتحرك تكون له صورة هو بها بالفعل يكون جوهراً موجوداً فإن كان هو هذا الجوهر الذي كان قبلُ فهو حاصل موجود الى وقت حصول الجوهر الثاني وان كان جوهراً غير الذي منه و إليه فيكون قد فسد الجوهر الأول الى الجوهر الوسط و تميّز الجوهران و الكلام فيه كالكلام في الجوهر الذي فرض الحركة فيه و لا يلزم مثل هذا على حركة الاستحالة لان الهيولى محتاجة في قوامها الى وجود صورة بالفعل و الصورة إذا وجدت حصلت نوعاً بالفعل فوجب ان يكون الجوهر الذي بين الجوهرين أمراً بالفعل ليس بالعرض و لا كذلك الأعراض التي يتوهم بين كيفيتين فإنها مستغن عنها في قوام

الموضوع بالفعل»(٦٦)، إن هذا القول السينوي مخالف الى ابعد حد لما تبناه الشيرازي ، يعني الجوهر لا يقبل التزيد و لا التنقص و نفي وقوع الحركة في الجوهر و ايضا التغير الذي يحدث للجوهر يكون بأمر دفعي ، وايضا عارض ملا صدرا ان أي تغيير في أعراض الشيء يحتاج في الواقع الى تغير و هذا التغير لابد ان يكون في جوهره و ذلك لان الاعراض ليس لها وجود و يؤكد ملا صدرا انه يوجد موضوعا للحركة ، وايضا من اهم الخلاف في وقوع الحركة فيه فهو مقولة الجوهر فالمشهور بين القدماء ان الجوهر لا تقع فيه الحركة ، و ذلك لأنه مستلزم لانتفاء الموضوع للحركة و يكون هنا المتحرك فالمتحرك هو الجوهر في جميع المقولات التي تقع فيها الحركة وعليه لو كان هذا الجوهر المسير للحركة فانه ستبقى الحركة بلا متحرك وهذا مستحيل لان من المؤكد ان الجوهر هو المسير الوحيد دون سواه في الحركة الجوهرية و تبنّي صدر المتألهين ان الحركة تقع في مقولة الجوهر فهذا يعني ان لهذه المقولة مصداقاً و فردا سيالاً و باختصار الحركة في الجوهر تعني تحقق مصداقٍ و فرد سيال من الجوهر سواء كان الجوهر السيّال هو الجوهر الصوري او الطبيعة الموجودة في الجسم او كان هو الجسم كلّه بصورته و مادته (٦٧).

المبحث الرابع الحركة الجوهرية عند الشيرازي

تقوم الحركة الجوهرية عند الشيرازي على مبدأ اصالة الوجود وانه المتحقق في الخارج و ليست الماهية الا انتزاعاً عقلياً منه او انعكاساً ذهنيا له و المتحرك في الحركة الجوهرية هو الوجود الشخصي للشيء و للشخص أثناء تحركه حدود و مراتب نوزل بحصولها و قد كان هذا اهم اعتراض وجهه المشاؤون و الاشراقيون الى وقوع الحركة في الجوهر و افضائه الى انقلاب الماهيات (٦٨).

واختار الفيلسوف صدر الدين الشيرازي وقوع الحركة في الجوهر و أبان بقاء الموضوع فيها و تبعه من تأخر عنه و يبدأ ملا صدرا معالجته لهذه الاشكالية انطلاقا من تعريفها فالحركة والسكون اللذان لا يمثلان تقابلا تناقضيا هما من قبيل الملكة و عدمها فليس السكون شيئا اخر في مقابل الحركة بل انه انعدام هذه الحركة ذاتها فالحركة والسكون و بناءً على التعريف الارسطي ذاته هما في مقام القوة والفعل فهما من عوارض الموجود و انطلاقا من هذا المنظور الذي يقوم على اصالة الوجود و الموجود يبدأ تحليل ملا صدرا لحقيقة الحركة فالموجود اما ان يكون وجودا بالفعل بصورة تامة فالموجود هو بالقوة من جهة و بالفعل من جهة اخرى و الحركة تتحقق بالخروج مما هو بالقوة الى الفعل(٦٩)، و يلفت ملا صدرا الانظار الى ان الموجود بالفعل على وجه التمام يستحيل خروجه عن حالته تلك فلابدَّ من ان يكون بسيطا حقيقيا و هنا عرف صدر الدين الشيرازي الحركة و هي عبارة عن خروج الشيء من القوة الى الفعل تدريجيا او هي تغير الشيء تدريجيا و بهذا الصد قال«المصطلح عليه في استعمال لفظ الحركة هو ما كان خروجا لا دفعة فهو المسمى بالحركة وعدم ذلك الخروج عن الموضوع القابل هو المسمى بالسكون فحقيقة الحركة هو الحدوث التدريجي او الحصول او الخروج من القوة الى الفعل يسيراً يسيراً او بالتدريج لا دفعة و كل هذه العبارات صالحة لتحديد الحركة»(٧٠).

نلاحظ ان هذا التعريف يحتوي على ثلاثة عناصر رئيسية الخروج من القوة ، الى الفعل ، وهذا الخروج يكون على سبيل التدرج يقصد بالقوة هنا قابلية الشيء و امكانيته و الفعل هو عبارة وجود الشيء حقيقة و اما سبيل التدرج وهنا الانتقال من حال القابلية الى حال الفعلية وهنا لا يكون دفعة واحدة و الجوهر فهو الماهية المستقلة مفهوماً ووجوداً ، والحركة عبارة عن الخروج عن المساواة قال صدر المتألهين « أي كون الشيء بحيث لا تكون حالة في آنٍ مساويا لحاله قبل ذلك الآن و بعده»، و قال الشيخ « كان الثبات على صفة واحدة مساواة بالقياس الى كل وقت يمّر عليه وان الحركة لا تتساوي نسبة أجزائها و أحوالها الى الشيء في أزمنة مختلفة فإن المتحرك في الأين في كل آن له أين و المستحيل في كل آن له كيف»،ونقل عن فيثاغورث«انها عبارة عن الغيرية»(٧١) .

الا ان العرفاء كابن عربي الشيخ الاكبر قال بالحركة الجوهرية في المادة بل نظريته اكثر شمولاً من نظرية الحركة

الجوهرية لأنه من القائلين بتجدد الامثال و هذا التجدد كما يجري في المادة يجري في المجردات يقول « الموجود كله متحرك على الدوام دنيا و آخرة (٧٢)، و يذكر حسن زاده « في كلمات الأوائل تنبيهات و إشارات بل تصريحات و تنصيصات على القول بالحركة الجوهرية»(٧٣) .

من المهم التركيز على أن رؤيا الملا صدرا الديناميكية للعالم ذي الصيرورة المستمرة و التي تتضمن التكثف المستمر لفعل الوجود في موجود معين يجب ان لا يخلط بينها و بين نظرية داروين للنشوء و الارتقاء بأي شكل من الاشكال بالنسبة للملا صدرا فإن الموجودات في هذا العالم هي مظاهر لنور الوجود المتجلي على حقائقها من عالم المثل النورانية و الذي يخرج المخلوقات المتخلفة الى حيز الوجود العيني من خلال القوس النزولي(٧٤) ، وتمثل الحركة الجوهرية عند الشيرازي إحدى النتائج المهمة لميتافيزيقا الوجود في منظومته الفلسفية الوجودية القائمة على ثلاثية أصالة الوجود ووحدته و تشكُّكه في المراتب بعد أن كانت أصالة الماهية هي المبدأ الحاكم عند جمهور الفلاسفة و الحكماء و ترتبط الحركة الجوهرية بمصطلحين أساسيين هما الحركة و الجوهر حيث أعطى الشيرازي لكل مصطلح منهما معنى مغايرًا لما كان عليه الفلاسفة قبله(٧٥) .

فالحركة الجوهرية عند صدر الدين هي بمثابة القوس الصعودي و نستطيع من خلاله بسمح التكثيف المضطرد لنور الوجود للموجودات أن ترجع الى حقائقها في المثل النورانية في العالم العلوي خلافا لذلك لا ترى الداروينية ان هناك أي شيء يدعى الأعيان الثابتة وان الاجناس هي فقط أشكال و لدها سريان المادة في الزمن بعيداً عن كونها انعكاسا للأعيان الثابتة السماوية إضافة الى ذلك فان دور الوجود ووحدته و تشكيكه و أصالته بالنسبة الى الداروينية هي أمور لا معنى لها في حين أنها تشكل أسس حكمة الملا صدرا كما يراها هو اضافة الى ذلك فإن الحركة الجوهرية تؤدي دوراً روحيا ايضاً(٧٦) .

تشكل الحركة الجوهرية معلما بارزا و ملمحا أساسيا من ملامح الفلسفة الصدرائية فقبل ملا صدرا كانت الفلسفة تصوّر لنا العالم ساكنا في كيانه ثابتا في مقوماته و ذاتياته و ان كان ثمّة تغير و تبدّل ففي بعض خواصه و لواحقه الخارجية فحسب و يمكن تقسيم الحركة بحسب متعلقها الى أربع اقسام وهي :

الحركة الكمية ، الحركة الكيفية ، الحركة المكنية ، الحركة الوضعية فمادة هذا العالم لا تتغير و لا تتحرك غاية الامر ان الحركة و التغير يعرضان على المادة فيتغير بذلك مكانها او شكلها او لونها او حجمها وهو تغّير عارض لا يطال صميم المادة في شيء و لا يتعدى مظهرها الخارجي بهذه الصورة (٧٧).

تبدأ الحركة التكاملية الجوهرية للنفس من أدنى مراتبها المادية الجسمانية حتى تبلغ أعلى مراتبها العقلية التامة حيث يكون لها تعلق بالعقل المفارق فالحركة الجوهرية ترى العالم صيرورة متواصلة و ترى النفس جوهرًا متّسعًا باستمرار و بأن المعرفة هي شأن وجودي محض (٧٨)، وعليه يمكن القول ان التراكم المعرفي الوجودي للنفس هو حصيلة التغير الجوهري فيها لأن هذه الاضافات المعرفية ليست اضافات عارضة بل هي ذاتية بناءً لأصالة الوجود فالمعرفة صيرورة الأنا و تطور الوجود فهي كالوجود بل هي عين الوجود ان الهدف من الصيرورة الوجودية هذه هو بلوغ النفس لنشأتها العقلية التامة بعد تقلّبها في الاطوار قرباً و بعداً « فالنفس ما دامت لم تخرج من قوة الوجود الجسماني الى فعلية العقل المفارق صورة مادية على تفاوت درجاتها قرباً و بعداً عن نشأتها العقلية بحسب تفاوت وجوداتها شدّة و ضعفاً وكمالاً و نقصاً(٧٩).

فالحركة الجوهرية موجود تدريجي الوجود له معنيان : الاول : الامر المتصل المعقول للمتحرك من المبدأ الى المنتهى و ذلك مما لا حصول له في الاعيان بل في الذهن ، الثاني : الامر الوجودي الخارجي وهو كون الجسم متوسطاً بين المبدأ و المنتهى وهو حالة موجودة مستمرة مادام كون الشيء متحركاً و ليس في هذه الحالة تغير أصلاً بل قد يتغير في حدود المسافة بالعرض لكن ليس المتحرك متحركاً لأنه في حد معين من الوسط و الا لم يكن متحركاً عند خروجه منه بل لأنه متوسط (٨٠) .

حيث ان موضوع هذه الحركة هو المادة المتحصلة بصورة ما من الصور المتعاقبة المتحدة بالاتصال و السيلان فوحدة المادة و شخصيتها محفوظة بصورة ما من الصور المتبدّلة و صورة ما وان كانت مبهمة لكن وحدتها محفوظة بجوهر مفارق هو الفاعل للمادة الحافظ لها و لوحدتها و شخصيتها بصورة ما فصورة ما شريكة العلة للمادة و المادة المتحصّلة بها هي موضوع الحركة (٨١)، كما ان القائلين بالكون والفساد النافين للحركة الجوهرية قالو : ان فاعل المادة هو صورة ما محفوظة وحدتها بجوهر مفارق بفعلها و يفعل المادة بواسطتها فصورة ما شريكة العلة بالنسبة الى المادة حافظة لتحصّلها ووحدتها و التحقيق ان حاجة الحركة الى موضوع ثابت باقٍ ما دامت الحركة ان كانت لأجل ان تنحفظ به وحدة الحركة و لا تنثلم بطرق الانقسام عليها و عدم اجتماع اجزائها في الوجود (٨٢)، فالكون يتحرك باتجاه الكمال الذي يشكل هدفه و غايته و التطور الروحي للبشرية يتحقق ايضا من خلال منهج للحركة الجوهرية الولي ليس هو فقط اكثر كمالا من الاخرين يمكن القول ايضا انه اكمل من الاخرين بمعنى أن فعل الوجود فيه او هو بدرجة أكثر كثافة عما هو الحال في البشر الاقل كمالا لذلك فمن الخطأ المميت أن نساوي بين الحركة الجوهرية ونظرية النشوء و الارتقاء الداروينية كما يفعل عدد من المفكرين المسلمين المحدثين(٨٣) .

فظهر العالم في حالة ثبات و سكون الا من الحركة التي تطرأ على سطحه الخارجي و تترك بريقا خادعا ما يلبث ان يزول بزوالها دون أن يمس العمق و الجوهر و بقي العالم على هذا المنوال يحافظ على ثبات جوهره و سكون كيانه الى ان جاء ملا صدرا و تفتقت عبقريته عن نظرية حركة الجوهر التي غيرت صورة العالم القديم و أطلقت العنان للحركة لكي تسري في جميع اوصال هذا الوجود فطالت جميع أعراض هذا العالم بل ان حركة الاعراض صارت تنبع من حركة الجوهر نفسه في صميم هذا الوجود (٨٤).

و تعد الحركة الجوهرية من المسائل التي لم يتطرق اليها احد من الفلاسفة قبله و تعتبر الحركة الجوهرية من اهم الابتكارات الشيرازية و ان موضوع الحركة الجوهرية ظل هو الثمرة الرئيسية لمفهوم اصالة الوجود وتعد الحركة الجوهرية اهم ابتكاره التي اكسبت الفلسفة الاسلامية مزيدا من الاهمية و النضج ووضعت خطواتها عن طريق التفكير الايجابي التي جعلت الفلاسفة الامامية حقا جدير بلقب اباء المشائية و الميتافيزيقا الاسلامية خلال القرن الحادي عشر الهجري وعليه تعد نظرية الحركة الجوهرية الاساس الثاني من الأسس الثلاثة التي تقوم عليها نظرية الوجود عند الشيرازي اما الاساسان الاخران فهما اصالة الوجود و وحدة الوجود فهي تشكل ما يشبه حلقة وصل بينهما حيث ان غاية اصالة الوجود تعود دائرة الوجود في الموجودات عبر هذه الحركة الى مبتدأها و ايضا بوصف وحدة الوجود منتهى هذه النظرية من حيث الصيرورة وعلى هذا الاساس يوجد قول على الرغم لم يكن الشيرازي اول من قال بها فقد سبقه الى هذي المفاهيم كبار المتصوفة و العرفاء ان الحركة الجوهرية مثلها مثل اصالة الوجود و وحدة الوجود لم يكن الشيرازي اول قائل بها .

و يعرف صدر المتالهين الحركة على اساس انها نفس التجدد والخروج من حالة الى غيرها و أعلن ان الحركة ليست ممكنة في اطار الكيف و الكم فقط بل يجوز ايضا في الصورة الجسمانية و المقصود هنا بالصورة الجسمانية الجوهر(٨٥)، و يقول صدر الدين الشيرازي « هوية الحركة متعقلة بأن يبقى منها شيء بالقوة و بان لا يكون الذي هو المقصود من الحركة حاصلا بالفعل»(٨٦)، و ذلك لان المتحرك يجب ان يكون متحركاً بالفعل ما لم يصل الى المقصود أو الغاية التي له و المتحرك بما أنه متحركا فلابد ان يكون منه شيء بالقوة .

فالجوهر الجمادى الغذائي يسير الى ان يصل الى المرحلة النباتية ثم يسير في الانواع المتفاضلة النباتية المتصلة الى أن يصل الى المرحلة الحيوانية ثمّ يسير في الأنواع المتفاصلة الحيوانية الى ان يصل الى مقام الانسان فيصير الجوهر الأخس جوهراً أشرف و الحركة الجوهرية ليست لبساً بعد خلع كما في الحركة في الأين بل هي لبس بعد لبس كما في الحركة و ان الصورة السابقة في الحركة الجوهرية و المية ليست بزائلة عند حصول الصورة اللاحقة بل

هي باقية غاية الأمر زوال نقصها وحدّها العدمي عند عروض الثانية (٨٧).

وقد قال الشيخ في الشفاء ان جميع الرسوم يتضمن بيانا دوريا فاضطر مفيدنا هذه الصناعة الى ان سلك مسلكا اخر فالقدماء عدلوا عن ذلك فقالوا : الحركة ممكن الحصول و كل ما يمكن حصوله للشيء فان حصوله كمال لذلك الشيء فإذن الحركة كمال لما يتحرك و لكنها تفارق سائر الكمالات من حيث انه لا حقيقة لها الا التعدي الى الغير والسلوك اليه فما كان كذلك فله لا محالة خاصيتان احداهما انه لابد هناك من المطلوب ممكن الحصول ليكون التوجه توجيها اليه و اما الثانية فهي ان ذلك التوجه مادام كذلك فانه بقي منه شيء بالقوة (٨٨)، فان المتحرك انما يكون متحركا بالفعل اذا لم يصل الى المقصود فما دام كذلك فقد بقي منه شيء بالقوة فإذن هوية الحركة متعلقة بأن يبقى منها شيء بالقوة و بأن لا يكون الذي هو المقصود من الحركة حاصلا بالفعل و اما سائر الكمالات فلا توجد منها واحدة من هاتين الخاصيتين فان الشيء اذا كان مربعا بالقوة صار مربعا بالفعل فحصول المربعية هي من حيث هي لا يوجب ان يقتضي و يستعقب شيئا و ايضا فعند حصوله لا يبقى منه شيء بالقوة (٨٩)، فالحركة كمال لموجود خروج له من القوة الى الفعل بمختلف الاشكال و الصور العارضة له نتيجة الحركة و هو محلها و قابلها و منفعلها و كونها محركة له لابد ان يكون لها محرك اخر كامل وراءها لان المتحرك لا يتحرك عن نفسه و المسخن لا يسخن نفسه فما هو بالقوة لابد ان يكون سببه ما بالفعل لان القوة و الفعل لا يجتمعان في شيء واحد وفي مقولة واحدة هذا ما ذهب اليه صاحب الاسفار وهو الصحيح حكما للعقل و استقراء للوجود(٩٠).

قال صدر المتألهين في شرح الهداية «إن الحركة في كل مقولة عبارة ان يكون للموضوع في كل آن من آنات زمان تلك الحركة فرد من تلك المقولة و هذا لا يتصور في غير القارة من المقولات كمقولة متى و أن يفعل و أن ينفعل و كذا الحال في كل هيأة غير مستقرة من حيث أنها غير مستقرة كالحركة والزمان إذ لو تحرك شيء في مقولة متى لزم ان يكون له في كل آن يفرض من زمان حركته سنة أو شهر او غير ذلك فيكون انتقاله من سنة الى سنة أو شهر الى شهر دفعياً(٩١)، و على هذا القياس حكم المقولتين الباقيتين إذ يؤخذ في مفهومها التدرج و عدم الاستقرار فإنهما التأثير و التأثر على نهج التجدد الاتصالي و حكم المسافة من حيث أنها مسافة كذلك فلو تحرك جسم في المسافة من تلك الحيثية يلزم ان يكون انتقاله من فرسخ الى فرسخ او من ميل الى ميل دفعيا بالبيان المذكور (٩٢) .

أن صدر المتألهين بنى على الحركة الجوهرية مسائل مهمة كحدوث العالم الطبيعي بشره و كالوصول الى الغايات و الاستكمالات الذاتية و كالوحدة الجمعيّة للنفس الناطقة (٩٣) . و ملا صدرا يدافع عن نظرية الحركة الجوهرية و يقيم الأدلة عليها و يؤكد على وقوعها و يقول بنقد من يقول بغير ذلك و على هذا الاساس قال صدر المتألهين « ان من اكتحل عين بصيرته بنور الايمان و تنور قلبه بطلوع شمس العيان يجد أعيان الافلاك و الاركان متبدلة و طبايع الصور و الاكوان متحولة متزايلة فهي أبدا في السيلان و الزوال و الحركة و الانتقال حركة جوهرية و تجدد ذاتي لا بمجرد الصفات و الاعراض فقط و في المعقولات الاربع لا غير لما زعمه المحجوبون من أهل النظر بل كما اقيم عليه البرهان مطابقا لما وجده أصحاب المكاشفة و العيان من أن الطبيعة السارية في أجسام هذا العالم هي حقيقة سيالة متجددة الذات غير قارة بحسب الجوهر»(٩٤) .

و يقول ابو علي ابن سينا « اما الجوهر فان قولنا فيه هو قول مجازي فان هذه المقولة لا تعرض فيها الحركة اما حول تغيير المواد الى مواد اخرى يعنى ذهاب الحالة الاولى ومجيء حالة ثانية فهذا ما يسمى بالكون والفساد لا الحركة كذلك يقول ابن سينا : انه لابد في كل حركة موضوع ثابت « بلا فرق بين الكم او الكيف او الاين او الوضع « ولابد في تحقق حركة هذا الموضوع الثابت من شروط : المبدأ وهو ما منه الحركة والميسر وهو ما فيه الحركة والمنتهى وهو ما اليه الحركة يقول ابن سينا انه لا يوجد في الحركة الجوهرية موضوع ثابت فان المفروض :

ان الحركة في جوهر الشيء يعني ان حقيقة الشيء في حركة اذن فليس هنالك موضوع ثابت واذا لم يكن هنالك موضوع ثابت فلا معنى لا طلاق الحركة على هذا الامر(٩٥) .

و يمكن متابعة و استيعاب جوانب معينة من نظرية الحركة الجوهرية عند صدر المتالهين من خلال تبيان القضايا و الامور الآتية :

الاول : ان ما هو موجود اما جوهر و هو ما يوجد مستقلا و لا يتوقف وجوده على غيره و اما عرض و هو ما لا يوجد مستقلا بذاته بل وجوده قائم بغيره سواء في ذلك العرض المحسوس كالرائحة وما الى ذلك او العرض غير المحسوس كالكرم و الشجاعة و غيرهما .

الثاني : ان الحركة هي خروج الشيء من القوة الى الفعل بالتدريج أي ان ما نسميه بالحركة هو انتقال موضوع من حالة فقدان صفة ما الى حالة وجودها انتقالا تدريجيا بحيث يتبع كل جزء من الموضوع في الوجود بالتوالي عبر مراحل عديدة تتم خلالها عملية التطور و التغير في ذلك الموضوع بدءا بأول جزء منه حتى نهايته و كماله .

الثالث : ان الجسم او الجوهر الذي به يوجد العرض هو بمثابة العلة لوجوده وهو بالنسبة اليه بمثابة المعلول و عليه فيكون العرض الذي هو معلول تابع لعلته وهو الجوهر في خصائصه و صفاته من الحركة والسكون أي انه لابد ان يكون العرض متوافقا مع الموضوع الذي هو الجوهر الذي وجد فيه من حيث الحركة و السكون و غيرهما لكن تبعية العرض للجوهر او الجسم التي تنشأ من ذات الجسم و الطبيعة اما اذ كان العرض منبثقا من عامل خارج عن الجسم كسخونة الماء بسبب مجاورته للنار فإنه يتبع ذلك العامل الخارج من حيث قوته و ضعفه و مراتبه .

الرابع ان الحركة كما سبق الذكر هي خروج الشيء من القوة الى الفعل بالتدريج أي ان كل جزء من ذلك الشيء الذي يتدرج في الوجود من القوة الى الفعل بالتدريج أي ان كل جزء من ذلك الشيء الذي يتدرج في الوجود من القوة الى الفعل و كل مرحلة من مراحله حتى نهاية كماله هي معلولة لعلة ما و ليس العلة هنا ذات الجسم والجوهر و ترتبط كل مرحلة و كل تطور بالتغير و الحركة في ذات الجوهر(٩٦) .

و من الاصول الاساسية في مدرسة الحكمة المتعالية التي اقترن اسمها بمؤسّس هذه المدرسة و هو صدر الدين الشيرازي القول بالحركة الجوهرية فالمدارس الفلسفية و جميع الحكماء قبل زمن صدر المتألهين كانت ترى بأن الحركة تختص ببعض المقولات العرضية و لا ترتبط بمقولة الجوهر و لم يكتفوا بعدم اثبات الحركة في الجوهر و انما كانوا يعتبرونها أمراً مستحيلاً (٩٧).

مكوّنا الحركة الجوهرية : الحركة الجوهرية مفهوم مركب من حدين يحسن الالمام بهما المامة سريعة قبل الافاضة في هذه الحركة هما : الجوهر و الحركة :

عن الجوهر يورد الجرجاني في التعريفات ما يلي :«الجوهر : ماهية اذا وجدت في الاعيان كانت لا في موضع و يقول عنه الشيرازي «و هو المعنى المعقول الذي يدركه العقل من ذاته انه موجود لا في موضوع من غير ان يحتاج الى صورة قائمة بالعقل و تقسم الجواهر الى قسمين : الأول من حيث ترتيبها : وهي الجواهر الاولى كالأشخاص و الجواهر الثانية : كالأنواع والثوالث : كالأجناس وهي أولى بالجوهرية بعضها من بعض على حسب الترتيب السابق ، و القسم الثاني من حيث التأثير و التأثر مؤثر لا يتأثر وهو العقول المفارقة ،متأثر لا يؤثر : وهي الاجسام المتحيزة المنقسمة مؤثر و يتأثر : يتأثر من العقول و يؤثر في الاجسام و يسمى بالنفوس .

عن الحركة يقول الشيرازي « الحركة هي الحدوث التدريجي او الحصول او الخروج من القوة الى الفعل يسيرا يسيرا او بالتدريج او لا دفعة و كل هذه العبارات صالحة لتحديد الحركة (٩٨).

وان الحركة تحتاج الى موضوع بأنه اذا لم يكن موضوعاً للزم ان يكون ما بالقوة غير ما يخرج الى ما بالفعل فالحاجة الى موضوع ثابت انما هو لأجل الحفاظ على وحدة الحركة و اتصالها و ذلك باعتبار ان الحركة وجود غير قادر

لا تجتمع أجزاؤها في الوجود و لهذا تحتاج الى ما يحفظ الوحدة و الاتصال(٩٩).

و يمكن اقامة الدليل على الحركة الجوهرية بشكل اخر وهو ان العرض مرتبط في وجوده بالجوهر و تابع له و ليس له أي نوع من الاستقلال في الوجود و الحركة و التغير في الكيفية و الكمية و غيرهما من الاعراض اما ان يحدث ذلك بمعزل عن موضوعهما أي عن الجسم اثناء حركته و تغيره و ان يكون التدرج في الوجود

و الخروج من القوة الى الفعل بصورة تدريجية متتالية ثابت في الاعراض وهي منفصلة عن موضوعها الذي هو الجوهر دون ان تكون مرتبطة به و اما ان يحدث ذلك مع ارتباط العرض بالموضوع و يتحرك تبعا لحركة موضوعه و جوهره و الاول يؤدي الى خروج الاعراض عن طبيعتها العرضية و انقلابها الى ماهية اخرى هو الجوهر المستقل في الوجود اذن يتحتم اعتبار حركة العرض و تغيره تبعا لحركة الموضوع الذي هو الجوهر و تغيره و ليست حركة مستقلة عن حركته (١٠٠)، وعليه يقول ملا صدرا : موضوع الحركة ثابت وهو الطبيعة النوعية وبتعبير اخر المادة الاولى للشيء او الهيولي التي تتقبل كل صورة وذلك هو الموضوع الثابت للحركة الجوهرية ، اما جواب ملا صدرا فيحتاج الى : اولا : اثبات ان الطبيعة الكلية يمكن ان تكون موضوعا للحركة و ثانيا اثبات المادة الاولى للأشياء او ما يسمى بالهيولي وكلاهما لا يساعده الدليل والبرهان فالكلي لا وجود له في الخارج فكيف يكون موضوعا للحركة واما فكرة الهيولي او المادة الاولى فالقول بها يستلزم تعدد القدماء وهو خلاف التوحيد الالهي وقد قامت البراهين العقلية على وحدة القديم وانه لا تعدد فيه مضافا الى بطلان ذلك في نفسه و ثبت بالبرهان العقلي القاطع ان الذات الالهية المقدسة جعل الوجودات المادية بلا ان تكون عينا للحركة والتجدد بعد عدم كونه مستحيلا عقلا (١٠١)، و ان صدر الدين برهن على قوله « بالحركة الجوهرية « بشكل نظري متماسك فادخلها بفعلها هذا الى حقل الفلاسفة من جهة و اعطاها قوتها النظرية لمن قال بها من سبقه من العرفاء و لم يبرهن احد منهم عليها بطريق عقلية (١٠٢) ، اما الابداع الذي أتى به صدر المتالهين فهو وضعه الحركة في الجوهر و من هنا جاء تعبير « الحركة الجوهرية». متلازما مع اسم الشيرازي فقد كان الشيرازي بخلاف منهج ارسطو و ابن سينا و بقية الفلاسفة يعد بحث الحركة من الابحاث الميتافيزيقية و قد ذكرها بصراحة في بحث مراتب الوجود حين قسم الوجود الى ثابت و سيال اما ارسطو فقد ذكر بحث الحركة في عداد مباحث الطبيعيات و قد شاع ذلك في مناهج الفلاسفة الاخرين بمن فيهم فلاسفة الاسلام وقد أثبت الشيرازي وجود الحركة في الخارج من خلال البرهان العقلي و ليس من خلال الادراكات الحسية (١٠٣)، تقع الحركة الجوهرية في اتجاهين : ا: اتجاه صاعد نحو الكمال : تقتضيه الطبيعة بما هي متوجهة بالطبع و العناية الالهية نحو الكمال و مثاله : تحولات الجوهر البشري من مرحلته الجنينية الى غاية كونه عقلا بالفعل و ما فوقه ، ب: اتجاه نازل الى مرتبة النقص وهذا يقتضيه القسر او قصور المادة القابلة و مثاله تحول الماء الى هواء عند ورود الحرارة الشديدة عليه ومنه يستنتج الدليل على حركة الجوهر(١٠٤).

فالحركة الجوهرية مفادها ان التغيرات الحاصلة في الاعراض الظاهرية مسبوقة بتغيرات في جوهرها فكما ان اعراض الاشياء متبدلة و متغيرة كذلك جواهرها التي تمثل صميمها و عمقها متبدلة و متغيرة ايضا و استدل صدر المتالهين الشيرازي على وجود هذا النمط من الحركة بأدلة نقتصر على ذكر واحد منها ان كل ما تقدم من حالات التغيير والحركة كانت في مقولة الكم والكيف و الاين و هي مقولات عرضية فلا بد لها من سبب البتة عنه وحيث انها تابعة للجوهر الذي عرضت عليه فلابد وان يكون الجوهر علة لها و علة المتغير المتحرك متغيرة و متحركة و عليه فلابد ان يكون جوهر الشيء متغيرا و متحركا ايضا (١٠٥).

وعليه يمكن القول استطاع الشيرازي عبر الحركة الجوهرية حل كثير من الاشكاليات الفلسفية نذكر منها : الاولى : الثنائية في الجوهر الانساني وهي مسالة اثرت في التفكير العقلي المشائي الاسلامي كما اثرت في التفكير العقلي الاوروبي كما هو حال ديكارت و اما الثانية : ارتباط الحادث بالقديم او ارتباط المتغير بالثابت ، اما

الاشكالية الاولى فمن المعروف ان ابن سينا قد حصر الحركة في المقولات العرضية دون الحركة في مقولة الجوهر وبذلك يكون قد حذا حذو الفلسفة الطبيعية الارسطية في حصر الحركة في مقولات الكم والكيف و الوضع و الاين و كلها اعراض و انكر بشكل واضح امكان الحركة في الجوهر وبذلك يكون ابن سينا قد حكم بالثبات المطلق على النفس و جعل من العقول جواهر ثابتة لا يحصل لها تغير ان النتيجة الحاصلة من ذلك هي ان في الانسان ما هو متحرك و ما هو ثابت و بالتالي استبطان الثنائية الجوهرية للنوع الانساني كذلك فعل ديكارت عندما قال ان الحركة الذاتية او قوة الاحساس و التعقل لا تنتمي باي شكل الى الطبيعة الجسمية على الرغم من قوله في الوقت عينه « الاحساس بالطبع لا معنى له دون الجسم وهو بذلك يقر بعلاقة ثنائية بين النفس كقوة للتعقل و الاحساس و الجسم كالة طبيعية تحمل هذه النفس و قواها الادراكية الانسانية (١٠٦)، اما الشيرازي فقد ألغى هذه الثنائية الجوهرية بفعل قوله بالحركة في المقولات جميعا بما في ذلك الحركة في مقولة الجوهر لقد ارجع الشيرازي الحركة في المقولات العرضية الى الحركة في مقولة الجوهر فكل حركة في الاعراض لا استقلال لها في الوجود بل وجودها بعرض وجود الجوهر و أن النتيجة العلمية لهذه الحركة هي وحدة الجوهر الانساني الذي جمع بين النفس و قواها الإدراكية و الجسم الطبيعي الحاصل لهذه النفس فكانت مقولته المشهورة في النفس الانسانية « النفس جسمانية الحدوث روحانية البقاء « وانها في أول الامر كالطبائع السيالة و ان الاضافة وجودية اشراقية حادثة ذاتاً في أول الامر و ان انسلخت في آخر الأمر عن الزمان و لا يصدق على وجودها المضي و الحال و الاستقبال بل جميع الأزمنة و الزمانيات بالنسبة اليها تصير كالآن و الأمكنة و المكانيات (١٠٧) ، وهنا يؤكد الوحدة النوعية للجوهر الانساني (١٠٨)، أما الإشكالية الثانية وهي ارتباط الحادث بالقديم حيث أوجد الشيرازي بالحركة الجوهرية اتصالاً بين العوالم كافة : عالَم الطبيعة و عالَم المِثال وعالَم العقل يرتبط الجوهر الانساني الواحد بمنظومة الوجود بعلاقة طولية ابتداءً من الهيولى الاولى الخالية من الفعلية من كل الجهات صعودًا الى العوالِم الأخرى التي يتدرج فيها الانسان صعودًا وصولاً الى التجرد الاتمّ وهو عالَم العقول التامة المجردة تجردًا كاملاً لا نقص فيه بعد أن كان الانسان خالياً بالتمام من التجرد لا فالحادث او المتغير الإنساني يبقى في حالةٍ من الصعود التكاملي الوجودي الطولي في عوالِم الدنيا والآخرة الى ان يتحقّق بالتجرد الاتم الذي هو عين الثبات والقِدم لذلك « ان ارتباط الحادث بالقديم يتحقّق عن طريق الحركة الجوهرية التي تستند بثباتها وحيثية بقائها الى الثابت القديم كما تُصحُح بسيلانها و تجدّدها ، حدوثاتِها الجوهرية جميع تجرّدات و تغيرات العالم الجسماني (١٠٩) .

للحركة الجوهرية مكانة مرموقة و مركزية في فلسفة صدر الدين الشيرازي الى جانب نظرية الوجود و عليه تهدف الحركة الجوهرية الى غاية متعالية انها تربط العالم السفلى بالعالم العلوي و انها تؤدي المادة الى العقل و تؤدي بالكثرة الى الوحدة و تربط بين الطبيعة الداخلية (الانسان) و بين الطبيعة الخارجية (العالم) و لقد عرض ملا صدرا تفسيرا جديدا و مفصّلا ناقش من خلاله اسلافه كابن سينا و الرازي و السهر وردي ليثبت بما فيه الكفاية وقوع الحركة في مقولتي الكيف و الكم و ذلك كمدخل أساسي لإثبات الحركة في الجوهر لهذا نراه اكثر في حديثه عن الحركة الكيفية و الكمية باعتبارهما خلافا للحركة المكانية و الوضعية الظاهرتين وقع حولهما النزاع اما مذهب ملا صدرا فهو القول بالحركة في المقولات الخمس أي الآين و الكم و الكيف و الوضع و الجوهر(١١٠) .

فالحركة الجوهرية تعتمد أساساً على الجوهر أحد المقولات العشر باعتباره الأساس في هذه المقولات وهو الذي قد تنطبق عليه الحركة بأفعالها سواء أكانت حركة تدريجية ام حركة دفعية و في هذه السياق فإن الموجود بما هو موجود يمكن تقسيمه الى ثابت و متغير حيث يقال ان الموجود إما ثابت و إما متغير :

اولا : الموجود الثابت عبارة عن الموجود الذي لا يختلف حاله و لا يتغير و لا يحصل فيه أي نوع من أنواع التحوّل فهو ملازم لحالة واحدة على مر الزمن.

ثانيا : الموجود المتغير هو الذي ينتقل من حالة الى حالةٍ اخرى فالموجودات في عالم الطبيعة و يحكم ان هذا العالم هو عالم القوة و الاستعداد مضافا الى انه علامة تزاحم العلل و الاسباب فإن هذه الموجودات تقبل التغيير أما الموجودات الماورائية بحكم كونها مبرأة من القوة والاستعداد من أي نوع من أنواع التغيير(١١١) .

و يضفي ملا صدرا الاستدلال الديني في الحركة الجوهرية من خلال الاستشهاد بآيات القرآن الكريم « أن يشأ يذهبكم و يأت بخلق جديد»(١١٢) ، ادّعى الفلاسفة بأنه اذا كان العالم حادثا فان ذلك يتطلب تغييرا في الطبيعة الالهية و هذا مستحيل لان الله لا يعتريه التغيير هذا في حين اعتبر المتكلمون انه إذا كان العالم قديماً فهذا يعني ان هناك شيئاً أزليا موجود الى جانب الله و لا يتوقف في وجوده على الله لقد رام فلاسفة مسلمون حل هذه المشكلة بطرق شتى بما في ذلك أستاذ الملا صدرا ذاته الميرداماد الذي ابتكر فكرة الحدوث الدهري التي تعني حدوث العالم ليس في الزمان و لا في السرمد ولكن في الدهر وقد اشتهر في تطويره لهذا المبدأ (١١٣) ،وان الموضوع للحركة الجوهرية هو الموضوع لسائر اصناف الحركة ، و هو الجوهر و الفارق بينهما ان الموضوع في غيرها من الحركات جوهر نوعي متشخص و لكن الموضوع في الحركة الجوهرية جوهر جنسي بنوع ما و فرد ما و يتحرك ذلك الجوهر الجنسي في الانواع التي تقع تحت ذلك الجنس فالمتحرك جوهر وهو الموضوع للحركة و المسير الذي يتحرك ذلك الموضوع فيه جوهر ايضا وان التعبير بنوع ما للإشارة الى كونه مفهوماً انتزاعياً من تلك الانواع المتعاقبة المتكاملة التي ترد على ذلك الجوهر السائر في لبس بعد لبس حيث ان تلك الانواع المتكاملة حقيقة جنسية واحدة سيالة متصرفة وبقاء مثل هذه الحقيقة انما يكون ببقاء تصرفها و سيلانها و يصح ان ينتزع من كل حدٍ من حدود هذه الحركة مفهوم يسمى بـ « الماهية « او بـ « النوع»(١١٤) .

اما أهم الابتكارات المبنية على الحركة الجوهرية فهي : معرفة الله و إثبات واجب الوجود على اساس الحركة الجوهرية يمكن الاطلاع بشكل طبيعي ومن خلال الحركة الجوهرية على حاجة عالم الممكنات لموجود يقوم بمرافقة هذه الموجودات من أول وجودها الى منتهى كمالها ثم ان شخصية العالم الآنية تبيّن لنا الفقر الوجودي بالإضافة الى أن الرأي الواقعي للإنسان حول العالم يختلف بعد فهمه للحركة الجوهرية عما كان عليه قبل ذلك فلو كان يدرك قبلها ان أعمق حركات العالم المادي الى ما وصل اليه العلم هي الحركات التي تحصل داخل الأجزاء الداخلية للذرة اما الان فإنه سيطلع على ان اعمق أسرار الوجود هو ان الوجود المادي ليس سوى حركة ولو كان يشاهد العالم قبل هذا الامر على انه عالم جامد وواقف و يعتبر ان الزمان المتصرّم وانقضاء العالم تابعان لتصرّم الزمان(١١٥) .

وعليه ان الابتكار الذي جاء به صدر الدين الشيرازي من خلال هذه النظرية انه صرّح بأن الاجسام (او ما سماها بالطبائع الجرمية) ذات أربعة أبعاد : الطول ، العرض ، العمق ، الزمان قبل ان يقف عليه أقطاب علماء الطبيعة في هذا العصر و على ذلك تصير النتيجة بناءً على هذا البرهان ان وجود الاجسام كالزمان الذي له وجود سيّال غير قادر الذات حتى لحظة واحدة بل و يكون قراره فناءَه و سكونه : انعدامه و على هذا تكون الكائنات المادّية سيّالة غير قارة يجري وجودها و يتدرج على غرار جريان الزمان و سيلانه وما ذلك الا لأجل كون الطبيعة عجينة بالزمان ولكون الزمان داخلاً في هويّتها فلا يمكن ان يختلفا في الحكم و عليه خرج حكيمنا بنتائج باهرة الا وهي :

اولا : الزمان وليد حركة المادّة و سيلانها ، ثانيا : الزمان مقدار حركة المادة ، ثالثا : حدوث العالم المادّي ، رابعا : الحركة بحاجة الى محرّك ، خامسا : الحركة تلازم الغاية (١١٦) .

الخاتمة:

كان الفلاسفة قبل صدر الدين الشيرازي يسيرون على نهج ارسطو و ذلك بالقول ان الحركة تقع في اربع مقولات وهي (الكم و الاين و الكيف والوضع) و ينفون حصول الحركة في مقولة الجوهر و هم يعتبرون ان

التغير في الجوهر (يعني الصورة و الهيولى) انما هو من الكون و الفساد فعن طريقهم يوجد الجسم ويكون و بافتراقهم يفسد و ينعدم ، فالحركة الجوهرية هي الخروج من حالة الى حالة اخرى و هي ايضا تدعو الى التجدد و يكون هذا التجدد مطلق التغير في الكون و تعد نظرية الحركة الجوهرية من الركائز الاساسية التي اعتمدها صدر الدين الشيرازي و قد استطع من خلال الحركة الجوهرية الحل الكثير من الاشكالات التي تكون مرتبطة بتكامل المادة و تجردها و ايضا علاقة البدن بالنفس و مسائل الزمان والمكان وما سبق ذكرنا ان التحول و الحركة يكونان في مقولات و هذه المقولات عرضية مثل الكيف و الاين و الكم و بما ان هذه المقولات تابعة للجوهر و عارضة عليه فلا بد من خلال هذه التبعية ان يكون الجوهر علة تغيّرها و بالنتيجة سوف تكون العلة الطبيعية للمتحرك و لابد ان تكون هذه العلة متحركة فيكون جوهر الشيء متغيراً و يكون الجوهر متحركاً بجميع اعراضه و أوصاله دائم لان العالم متكون من اشياء جواهر .

وتوجد علاقة بين اتحاد العاقل و المعقول بالحركة الجوهرية و تعد الحركة الجوهرية من اهم المسائل الاساسية عند صدر الدين الشيرازي و على سبيل المثال لو حذفنا القول بالحركة الجوهرية لانهارت مباحث الوجود الذهني و اصالة الوجود ووحدة الوجود .

أي ان تحصيل حاصل ان الحركة عند صدر الدين تقع في الجوهر حيث ان المتعارف عليه عند الفلاسفة ان الحركة تقع في اربعة مقولات من المقولات العشر و التي هي الكم ، الكيف ، الاين ، والوضع فالشيرازي يقول ان الحركة تقع في خمس مقولات يعني بالإضافة الى الجوهر فالنفوس المتعلقة بالأبدان والطبائع المادية تكون في حالة تجدد و تغير .

الهوامش:

(١) * الحركة عبارة عن خروج الشيء من القوة الى الفعل تدريجاً وهو معنى نسبي و الامور النسبية و الاضافية تجدّدها و ثباتها سيّما اذا كان مفهومها عين الانقضاء و التجدّد فههنا « تجدد شيء « و « شيء متجدد في ذاته « فالأول هو معنى الحركة و الثاني هو المتحرك في ذاته وكذا ههنا حدوث شيء و شيء حادث في نفسه و كذا خروج الشيء من القوة الى الفعل معناه غير معنى الشيء الخارج من القوة الى الفعل : ينظر : دغيم : سميح ، موسوعة مصطلحات صدر الدين الشيرازي ، ج١ ، ص ٣٤٧ .

(٢) * اسم مجرد دال على كيفية وجود الجوهر من حيث هو جوهر ينظر : وهبة : مراد ، المعجم الفلسفي ، ص ٢٨٩ ، و الجوهرية مفهوم واحد و معنى فارد يوجد تارة مستقلا بنفسه مفارقاً عن الموضوع و المادة ثابتاً دائما مبرّءا عن الكون و الفساد و التغير فعلا ثابتاً كالعقول الفعّالة و الملائكة المقربين على مراتبها و يوجد تارة اخرى مفتقراً الى المادة مقترناً بها منفعلا عن العلل الخارجية متحركاً و ساكناً و كائناً فاسداً كالصور النوعية و النفوس الارضية على تفاوت درجاتها ف الضعف و الفقر: ينظر : دغيم : سميح ، موسوعة مصطلحات صدر الدين الشيرازي ، ج١ ، ص ٣٢١ .

(٣) * الابتكار : هو إيجاد شيء جديد لم يسبق استحداثه من قبل، أو تطوير شيء موجود أصلاً من خلال إعادة تصنيعه وهيكلته بطريقة جديدة ومختلفة تماماً عن القديمة، كما يجب أن تتماشى مواصفات الابتكار مع متطلّبات المستهلك للمنتج الجديد، ويكون ذلك من خلال استغلال المنتجات الإنوفاتية المتوفّرة في الأسواق والمجتمع أو الحكومات ذات فعالية أعلى و يُمكن تعريف الابتكار أيضاً بأنّه توجيه القدرات العقليّة وتسخيرها في إيجاد فكرة جديدة، ويمكن تطبيقها. تنطابق شروط الابتكار على المُبتكِر إذا أجاب على تساؤلات ليست مألوفة أو لم يتم طرحها من قبل : ينظر mawdoo٣.com.http://تعريف الابتكار .

(٤)* الإبداع وهو ايجاده لأفعال نولأها بذاته و هي الابداعات و معنى الابداع هو ايجاد الشيء عن العدم أي ايجاده لا من شيء لست أقول من لا شيء و اليه أشار بقوله « بديع السموات و الارض « فالإبداع يوجب نقصان المُبْدَع و الا لم يكن احدهما بكونه مبدعا و الآخر مبدعا أولى من العكس فإذن من الضرورة ان لا يكون ممكن ما خالياً عن نقص و قصور ومن الضرورة ان يكون النقص في عالم النفوس أكثر منه في عالم العقول و في عالم الطبائع أكثر و أوفر مما في عالم النفوس و في عالم العناصر اكثر و أشد مما في عالم الأفلاك و هكذا الى ان ينتهي الى مادة مشتركة لا خيرية فيها الا القوة و الاستعداد لقبول الأشياء : ينظر : دغيم : سميح ، موسوعة مصطلحات صدر الدين الشيرازي ، الجزء الاول ، ص٢ .

(٥)الحيدري : كمال ، شرح نهاية الحكمة للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، بقلم الشيخ علي حمود العبادي ، مؤسسة الهدى للطباعة و النشر ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م ، ص ٩٤ .

(٦) العلوي : هادي ، نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي ، ، ط١ ، لبنان ـ بيروت ، ١٩٨٣م ، ص٧.

(٧) سهروردي : شهاب الدين يحيى ، التلويحات اللوحية و العرشية ، تصحيح و مقدمة لجفقلي حبيبي ، ايران ، ١٣٨٨هـ ،

ص١٢٠ .
(٨) الجبيلي : علي بو سلمان ، أنوار الحكمة المتعالية ، ص ٦٩ . ٧٠ .
(٩) الخاقاني : محمد محمد طاهر ال شبير، عناصر العلوم ، ص ٣٩٧ .
(١٠) الديناني : غلام حسين الابراهيمي ، القواعد الفلسفية العامة في الفلسفة الاسلامية ، الجزء الاول ، ص ١٨٣ .
(١١) الاعسم : عبد الامير ، المصطلح الفلسفي عند العرب ، القاهرة ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٩٨٩م ، ص ١٩١.
(١٢) ينظر : الديناني : غلام حسين الابراهيمي ، القواعد الفلسفية العامة في الفلسفة الاسلامية ، الجزء الاول ، ص ١٨٣ . ١٨٤ .
(١٣)العلوي : هادي ، نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي ، ص ٩ .
(١٤) مرحبا : محمد عبد الرحمن ، تاريخ الفلسفة اليونانية من بداياتها حتى المرحلة الهلنسية ، ط١، عزالدين للطباعة والنشر ، بيروت . لبنان ، ١٤١٤هـ. ١٩٩٣م ، ص٩٦ .
(١٥) فخري : ماجد ، تاريخ الفلسفة اليونانية (من طاليس الى افلوطين وبرُقلس) ، دار العلم للملايين ، ط١، بيروت . لبنان ، ١٩٩١م ، ص ٤٠ .
(١٦) ينظر : وهبة : مراد ، المعجم الفلسفي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١٦م ، ص ٣٠٠ .
(١٧) مرحبا : محمد عبد الرحمن ، تاريخ الفلسفة اليونانية من بداياتها حتى المرحلة الهلنسية ، ص٩٦ .
(١٨) فخري : ماجد ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص٤٠ . ٤١ .
(١٩) مرحبا : محمد عبد الرحمن ، تاريخ الفلسفة اليونانية من بداياتها حتى المرحلة الهلنسية ، ص٩٧ .
(٢٠) فخري : ماجد ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٤١ .
(٢١) رامين : فرح ، مباني صدر المتألهين الفلسفية ، ص ١٤٥ .
(٢٢) حاجي : جعفر عباس ، نظرية المعرفة في الاسلام ، ص ٣٤٢.
(٢٣) فخري : ماجد ، قادة الفكر أرسطو طاليس ، دار المشرق ، ط٤ ، بيروت . . لبنان ، ١٩٩٩م ، ص ٣٧ .
(٢٤) الشافعي : حسن محمود عبد اللطيف ، نظرية الحركة الجوهرية عند ملا صدرا في سياق الفكر الاسلامي ، بحث مقدم في مؤتمر الملا صدرا و الفلسفة العالمية المعاصرة ، بحوث مؤتمر الملا صدرا (الايراني . العربي جزيرة كيش) ، ط١، مؤسسة فلسفة صدر الاسلامية ، طهران . ايران ، ١٤٢٥هـ.ق ، ص ٢٩٤ . ٢٩٤ .
(٢٥) الديناني : غلام حسين الابراهيمي ، القواعد الفلسفية العامة في الفلسفة الاسلامية ، الجزء الاول ، ص ١٨٥ .
(٢٦) حسن : علي الحاج ، الحكمة المتعالية عند صدر المتألهين الشيرازي ، ص ٢٠٩. ٢١٠.
(٢٧) فخري : ماجد ، قادة الفكر أرسطو طاليس ، دار المشرق ، ص ٣٧ .
(٢٨) برهييه : أميل ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ترجمة جورج طرابيشي ، ط١ ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص ٢٦٥.
(٢٩) فخري : ماجد ، قادة الفكر أرسطو طاليس ، دار المشرق ، ص ٣٧ .
(٣٠) العلوي : هادي ، نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي ، ص١٤ .
(٣١) ينظر: الالوسي : حسام محيي الدين ، فلسفة الكندي ، وآراء القدامى و المحدثين فيه ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط١ ، بيروت . لبنان ، ١٩٨٥م ، ص ١٩٥ . ١٩٦ .
(٣٢) لزيق : كمال اسماعيل ، مراتب المعرفة وهرم الوجود عند ملا صدرا دراسة مقارنة ، ص ٣٧٩.
(٣٣) العلوي : هادي ، نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي ، ص ١٤ .
(٣٤) الالوسي : حسام محيي الدين ، فلسفة الكندي ، وآراء القدامى و المحدثين فيه ، ص ١٩٦ .
(٣٥) الكندي : يعقوب بن اسحاق ، من الكندي الى المعتصم بالله في الفلسفة الاولى ، القاهرة ، ص ٦٥ .
(٣٦) الفارابي ، مجموعة الرسائل ، رسالة الدعاوى القلبية ، حيدر آباد ، ص ٨ .
(٣٧) ابو علي : ابن سينا ، النجاة ، مطبعة المر تضوي ، ط٢ ،طهران ، ١٣٦٤هـ . ش ، ص ١٠٥ .
(٣٨) الشيرازي : صدر الدين محمد ، الحكمة العقلية في الاسفار الاربعة ، المجلد ١، ص ٢٨ .
(٣٩) المصدر نفسه ، ص ٢٨ . ٢٩ .
(٤٠) ابوعلي : ابن سينا ، كتاب الحدود ، القاهرة ، مصر ، ١٩٦٣ ، ص ٢٩ .
(٤١) وعليه فان الحركة عند ابن سينا تقال على تبدل حال قارة في الجسم يسيراً يسيراً على سبيل اتجاه نحو شيء و الوصول بها اليها هو بالقوة لا بالفعل و قد ذكر هذا التعريف الشيرازي في الاسفار من الجزء الثالث اما السبزواري يقول عن الحركة فان الحركة امر بين صرافة القوة و محوضة الفعل و هي عند الغزالي هرب من مكان و طلب لمكان اخر : ينظر : الحسن : تزيه عبدالله ، فلسفة صدر الدين الشيرازي ، ص ١٨٣ . ١٨٤ ، و عرفها البعض كالمشائين بأنها « خروج الشيء تدريجيا من القوة الى الفعل : ينظر : المسلم : صادق ، النفس عند صدر الدين الشيرازي ، ص ٦٨ ، والحركة كتغير و استحالة ترتبط بعالم الكون

والفساد و انما هي خروج الشيء من القوة الى الفعل بشكل تدريجي وليس دفعة واحدة و ان الحركة لا تقتصر على الاعراض و انما تشمل الجوهر و بذلك فعلم الموجودات المادية هو عالم يتسم بالتغير والتجدد والسيلان: ينظر بنعثو: عبد المالك، نظرية الفعل عند صدر الدين الشيرازي، ص٢٧.

(٤٢) ابو علي : ابن سينا ، النجاة ، ص ٤٢٩ .
(٤٣) الخاقاني : محمد محمد طاهر ال شبير، عناصر العلوم ، ص ٣٩٨ .
(٤٤) الجيلي : علي بو سلمان ، أنوار الحكمة المتعالية ، ص ٧٠ .
(٤٥) الجيلي : علي بو سلمان ، أنوار الحكمة المتعالية ، ص ٧١.
(٤٦) العلوي : هادي ، نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي ، ١٩ .
(٤٧) السراي : حسون ، مفهوم الجوهر في الفلسفة الحديثة ، ط١ ، دار الهادي ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م ، ص ٢٧ .
(٤٨) زيادة : معن ، الموسوعة الفلسفية العربية ، المجلد الاول ، ص ٣٤٦ .
(٤٩) يعقوبي : محمود ، معجم الفلسفة ، اهم المصطلحات و اشهر الاعلام ، ص٣١ .
(٥٠) الجرجاني : علي بن محمد بن علي ، التعريفات ، حققه و قدم له ووضع فهارسهُ ابراهيم الابياري ، ص٧٠ .
(٥١) معجم المصطلحات الكلامية ، اعداد قسم الكلام و الحكمة الاسلاميين ، زيادات و استدراكات : ابراهيم رفاعة ، المجلد الاول ، ص٢٦٢ .
(٥٢) العلوي : هادي ، نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي ، ص ١٩ ـ ٢٠ .
(٥٣) دغيم : سميح ، موسوعة مصطلحات صدر الدين الشيرازي ، ج١ ، ص ٣٠٨ .
(٥٤) ينظر : الشيرازي : صدر الدين محمد ، الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الاربعة ، ج١ ، ص ٣١٤ .
(٥٥) الشيرازي : صدر الدين محمد ، الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الاربعة ، ج٣ ، ص ٦٤ .
(٥٦) العلوي : هادي ، نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي ، ص ٢٤. ٢٥ .
(٥٧) هاني : ادريس ، ما بعد الرشدية ملا صدرا رائد الحكمة المتعالية ، ص ٣٥٩. ٣٦٠.
(٥٨) الصدر : رضا ، صحائف من الفلسفة ، ص ٦٨٠ ـ ٦٨١ .
(٥٩) الدنياني : غلام حسين الابراهيمي ، القواعد الفلسفية العامة في الفلسفة الاسلامية ، الجزء الاول ، ص ١٨٧ .
(٦٠) الجيلي : علي بو سلمان ، أنوار الحكمة المتعالية ، ص ٧١ ـ ٧٢ .
(٦١) الشافعي : حسن محمود عبد اللطيف ، نظرية الحركة الجوهرية عند ملا صدرا في سياق الفكر الاسلامي ، ص٢٩٥ .
(٦٢) الخاقاني : محمد محمد طاهر ال شبير، عناصر العلوم ، ص ٣٩٨ .
(٦٣) الشيرازي : صدر الدين محمد ، الحكمة العقلية في الاسفار الاربعة ، المجلد الاول ، ص ٣٤ ـ ٣٥ .
(٦٤)ابو رغيف : عمار ، قراءات نقدية جادة ، ط٢ ، دار الفقه للطباعة و النشر برهان ـ ايران ، ١٤٢٧هـ .ق ـ ١٣٨٥هـ .ش ، ص ٤٥ .
(٦٥) ابو علي : ابن سينا ، النجاة ، ص ١٤٣ .
(٦٦) ابو علي : ابن سينا، الهيات الشفاء، شرح وتعليق صدر الدين محمد الشيرازي، بأشراف استاد سيد محمد خامنه تصحيح لجفقلي حبيبي، المجلد الاول، ص٥٦٥.
(٦٧) عبوديت : عبد الرسول ، النظام الفلسفي لمدرسة الحكمة المتعالية ، ترجمة علي الموسوي ، مراجعة ، خنجر حمية ، ج١ ، ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤ .
(٦٨) الشافعي : حسن محمود عبد اللطيف ، نظرية الحركة الجوهرية عند ملا صدرا في سياق الفكر الاسلامي ، ص ٢٩٥ .
(٦٩) هاني : ادريس ، ما بعد الرشدية ملا صدرا رائد الحكمة المتعالية ، ص ٣٥٠ ـ ٣٥١ .
(٧٠) الشيرازي : صدر الدين محمد ، الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الاربعة ، ج٣ ، ٢١.
(٧١) الهيدجي : محمد ، تعليقات الحكيم الهيدجي على شرح المنظومة في المنطق و الحكمة ، ص ٤٧٢ ـ ٤٧٣ .
(٧٢) الشيرازي : صدر الدين ، الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الاربعة ، الجزء ٣ ، ص ١١٣ .
(٧٣) الآملي : حسن زاده ، سرح العيون في شرح العيون ، ط٢ ، ايران ، ١٤٢١هـ . ق ، ص ٣٨٩ .
(٧٤) نصر : حسين ، تعاليم صدرا ، ص ٧٤.
(٧٥) لزيق :كمال اسماعيل ، مراتب المعرفة وهرم الوجود عند ملا صدرا دراسة مقارنة ، ط١ ، بيروت ، ٢٠١٤م ، ص ٣٧٩ .
(٧٦) نصر : حسين ، تعاليم صدرا ، ص ٧٤.
(٧٧) يدران : حسن يحيى ، البنية الفلسفية للمعرفة عند ملا صدرا ، تقديم طراد حمادة ، ص ٩٩ ـ ١٠٠

(٧٨) هاني : ادريس ، ما بعد الرشدية ملا صدرا رائد الحكمة المتعالية ، ص ٢٦٨ .
(٧٩) لزيق : كمال اسماعيل ، مراتب المعرفة وهرم الوجود عند ملا صدرا دراسة مقارنة ، ص ٣٨٩ .
(٨٠)ينظر: الشيرازي : صدر الدين محمد ، الحكمة العقلية في الاسفار الاربعة ، الجزء الثالث ، ص ٢١ ـ ١٧٧ .
(٨١) الحيدري : كمال ، شرح بداية الحكمة للعلامة محمد حسين الطباطبائي ، بقلم خليل رزق ، ج٢ ، ٢٢١.
(٨٢) الطباطبائي : محمد حسين ، بداية الحكمة ، ص ١٦٢ ـ ١٦٣ .
(٨٣) نصر : حسين ، تعاليم صدرا ، ص ٧٤ ـ ٧٥ .
(٨٤) بدران : حسن يحيى ، البنية الفلسفية للمعرفة عند ملا صدرا ، تقديم طراد حمادة ، ص ١٠٠ .
(٨٥) حاجي : جعفر عباس ، نظرية المعرفة في الاسلام ، ص ٣٤٣.
(٨٦) الشيرازي : صدر الدين محمد ، الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الاربعة ، ج٣ ، ص ٢٢.
(٨٧) الصدر : رضا ، صحائف من الفلسفة ، ص ٦٨٥ .
(٨٨) الشيرازي : صدر الدين محمد ، الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الاربعة ، ج٣ ، ص٢٢ .
(٨٩) الشيرازي : صدر الدين محمد ، الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الاربعة ، ج٣ ، ٢٢ .
(٩٠) مرتضى : بسام ، نظرة في الالهيات ، ص ٢٨.
(٩١) الهيدجي : محمد ، تعليقات الحكيم الهيدجي على شرح المنظومة في المنطق و الحكمة ، ص ٤٨٢ .
(٩٢) المصدر نفسه ، ص ٤٨٢ .
(٩٣) الصدر : السيد رضا ، صحائف من الفلسفة ، ص٦٨٤ .
(٩٤) الشيرازي : صدر الدين ، تفسير سورة الواقعة ، صححه و أشرف على طبعه محمد خو اجوي ، ط١ ، انتشارات مولى ، ١٤٠٤هـ . ق ، ص ١٣٩ .
(٩٥) الكاظمي : ماجد ، الرؤية الفلسفية نقد وتحليل دراسة استدلالية معمقة في نقد الفكر الفلسفي ، ص٩٠.
(٩٦) حاجي : جعفر عباس ، نظرية المعرفة في الاسلام ، ص ٣٤٣. ٣٤٤.
(٩٧) الحيدري : كمال ، فلسفة صدر المتألهين قراءة في مرتكزات الحكمة المتعالية بقلم خليل رزق ، ، ص١٧٤.
(٩٨) الحسن : نزيه عبدالله ، فلسفة صدر الدين الشيرازي ، ص ١٨١. ١٨٣.
(٩٩) الحيدري : كمال ، شرح بداية الحكمة للعلامة محمد حسين الطباطبائي ، بقلم خليل رزق ، ج٢ ، ص ٢٢٣ .
(١٠٠) حاجي : جعفر عباس ، نظرية المعرفة في الاسلام ، ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥.
(١٠١) الكاظمي : ماجد ، الرؤية الفلسفية نقد وتحليل دراسة استدلالية معمقة في نقد الفكر الفلسفي ، ص٩٠. ٩١.
(١٠٢) الحسن : نزيه عبدالله ، فلسفة صدر الدين الشيرازي ، ص ١٨٤.
(١٠٣) حلباوي : علي أسعد ، اصالة الوجود عند صدر الدين الشيرازي ، ص ١٥٦.
(١٠٤) الحسن : نزيه عبدالله ، فلسفة صدر الدين الشيرازي ، ص ١٨٥
(١٠٥) الساعدي : صادق ، نافذة على الفلسفة ، ص ٩٣.
(١٠٦) لزيق : كمال اسماعيل ، مراتب المعرفة وهرم الوجود عند ملا صدرا دراسة مقارنة ، ص ٣٨١ ـ ٣٨٢.
(١٠٧) الشيرازي : صدر الدين ، الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية ، الجزء الثامن ، ص٣٣٥ .
(١٠٨) لزيق : كمال اسماعيل ، مراتب المعرفة وهرم الوجود عند ملا صدرا دراسة مقارنة ، ص ٣٨٢ .
(١٠٩) الشيرازي : صدر الدين ، شرح أصول الكافي ، تعليق علي النوري ، تصحيح محمد خواجوى ، مؤسسة مطالعات و تحقيقات فرهنكى ، ج١ ، طهران ، ١٣٧٠هـ. ١٩٥٠م ، ص ١٢٦ .
(١١٠) هاني : ادريس ، ما بعد الرشدية ملا صدرا رائد الحكمة المتعالية ، ص ٣٥٨ .
(١١١) رضا : عبد المجيد ، حوار الفلاسفة أصالة الوجود والماهية بين الملا صدرا و الفلسفة الإشراقية ، ص ١٣٩ .
(١١٢) القرآن الكريم : سورة فاطر ، الآية ١٦ .
(١١٣) نصر : حسين ، تعاليم صدرا ، ص ٧٥.
(١١٤) الصدر : رضا ، الفلسفة العليا ، ص ٢٠٦ .
(١١٥) رامين : فرح ، مباني صدر المتألهين الفلسفية ، ص١٤٧ .
(١١٦) السبحاني : جعفر ، صدر المتألهين ، مؤسس الحكمة المتعالية ، مؤسسة الامام الصادق عليه السلام ، ط١ ، قم ، ١٣٨٢ / ١٤٢٤ هـ ، ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

لغة النحويين في مؤلفاتهم في القرنين التاسع والعاشر الهجريين دراسة نحوية

أ. م. د. وليد شعبان علي
الجامعة العراقية/ كلية التربية

المستخلص:
تناولت في هذه البحث دراسة اسلوب مجموعة مباركة من النحويين في القرنين التاسع والعاشر الهجريين , بغية معرفة مدى موافقته لقواعد اللغة وسننها , فناقشت مجموعة من الاساليب والتراكيب النحوية , وعرضتها على أقوال النحويين السابقين , وناقشت المسائل المذكورة في البحث وفقا للشواهد اللغوية , وعرضت بعض الاسباب التي اسهمت في حدوث تلك المخالفات , وتبين لي أن ثمة مخالفات لبعض القواعد النحوية المذكورة في كتب النحويين في المدة انفة الذكر .
الكلمات المفتاحية:القواعد اللغة، الاساليب،التراكيب النحوية،الشواهد اللغوية.

Abstract:
This research examines the stylistic approach of a distinguished group of grammarians from the Ninth and Tenth Hijri centuries, with the aim of assessing the extent to which their language aligns with the established rules and norms of Arabic grammar. I analyzed a selection of syntactic structures and expressions, comparing them with the views of earlier grammarians. The study discusses the grammatical issues based on linguistic evidence and highlights some of the reasons that contributed to these deviations. It became clear that there were indeed violations of certain grammatical rules as recorded in the works of grammarians from the aforementioned period.
.Keywords: grammar, styles, grammatical structures, linguistic evidence

المقدمة:
الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيّد الأولين والآخرين، ورحمة الله للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.
أمّا بعد:
فلا شك أنّ في القرنين التاسع والعاشر ظهرت كتب نحوية مهمة منها شروحٌ, وحواشٍ, وكتبٌ للشواهد كان لها الأثر الكبير في توجيه الدرس النحوي, وإثراء الدارسين, كما ظهرت أعلام بارزة في ذلك العصر تركت بصمتها الواضحة في علوم العربية لا سيَّما النحو؛ مع ظهور الكلام عن الأخطاء اللغوية والنحوية, والانتقاص لبعض المختصين الذين ظهرت في مؤلفاتهم بعض الأخطاء اللغوية والنحوية؛ لذا عمت لدراسة في كتب علماء كالجبال في النحو ومع ذلك تسرب اليهم الخطأ .
وكان منهجي مع استحالة استقصاء كل كتب النحويين في ذلك العصر ؛لذا اقتصرت على مجموعة مهمة ومنتخبة من كتب النحو كشرح الأشموني , و شرح التصريح ,وهمع الهوامع ,و حاشية الصبان , وغيرها في عرض مادة هذا البحث تتبع الأساليب الي ورد فيها الخطأ, ثم عرضها جميعا, ثم الشروع في مقابلة أقوال النحويين بين معارض ومؤيد, مع عرض الشواهد ومناقشتها ثم بيان الراجح منها.
أمّا عن ترتيب المسائل في البحث فاعتمدت تقديم الأخطاء الواردة في الأسماء, ثم الحروف مرتّبًا إيّاها على الترتيب الألفبائي.
أسباب وجود الأخطاء في كتب النحويين:
لست هنا في معرض استعراض اسباب وقوع اللحن في كلام العرب عموما كاختلاط العرب بغيرهم من الامم ,

والبعد عن تلقي اللغة من موطنها الاصل وغيرها . الا أنني سأحاول أن التمس بعض الاسباب التي حدت بعلماء لهم باع طويل في النحو , ومؤلفين كبار جرت المناظرات بأقوالهم , وانتفعت الطلاب بعلمه , وحرص المختصون بدراسة كتبها وشرحها بل واقتنائها .

على أن هذه ليست ظاهرة وليدة هذا العصر إنما هي في قرون سبقت؛ حتى جعلت بعض العلماء يؤلفون في اخطاء الخاصة زيادة على العامة . يقول في ذلك الحريري (٥١٦هـ) : (رَأَيْت كثيرا مِمَّن تسنموا أسنمة الرتب، وتوسموا بسمة الْأَدَب، قد ضاهوا الْعَامَّة فِي بعض مَا يفرط من كَلَامهم، وترعف بِهِ مراعف أقلامهم، مِمَّا إِذا عثر عَلَيْهِ، وَأثر عَن المعزو إِلَيْهِ، خفض قدر الْعلية، ووصم ذَا الْحلية) (١).

وفيما يأتي بعض الاسباب التي أرى أنها سبب في تلك الاخطاء :

١- تلقي اللغة :

معلوم أن اغلب علماء النحو في القرنين التاسع والعاشر الهجريين هم بعيدون عن عصور الفصاحة , ومن ثم لم يتربوا في بيئة فصحية حتى يخرجوا بلغة سليمة , ولم يتلقوا اللغة مشافهة عن الاعراب حتى يستقيم لسانهم بها ولا يتبادر اللحن إلى لسانهم أو يسيل احبارهم بكلام بعيد عن اللحن .

قيل لبشار: «ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلا وقد قال فيه شيئا استنكرته العرب من ألفاظهم وشك فيه، وانه ليس في شعرك ما يشك فيه! « قال: «ومن أين يأتيني الخطأ؟ ولدت ههنا ونشأت في حجور ثمانين شيخا من فصحاء بني عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ، وإن دخلت إلى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم، وأيفعت فأبديت إلى أن أدركت؛ فمن أين يأتيني الخطأ؟»(٢).

٢- توارث الأخطاء جيلا عن جيل :

كثير من الأخطاء الواردة في كتبهم لم تكن منهم , أو لم يكونوا أول من قع فيها بل على العكس هي منتشرة في ازمان قبلهم ثم انتقلت لهم عن طريق كتبهم التي درسوها ,أو شرحوها فلابد أن يألفوا هذا الخطأ من ذلك ما جاء في عن النحاس : (وكأن مثله في الإسلام المحقب دينه الرجال الذي يبيح دينه غيره في ما ينتفع به ذلك الغير في دنياه ويبقى عليه إثمه.) (٣)، أو ينتقل إلى كتبهم أقولا لعلماء سابقين لهم فيها الخطأ ذاته من ذلك ما نقله الشيخ الازهري (وقال الحوفي: إنما يبنيان على الضم إذا كان المضاف إليه معرفة، وأما إذا كان نكرة فإنهما معربان سواء نويت معناه أو لا، ا. هـ. (٤).

فالحوفي من كبار علماء عصره, كما يقول عنه القفطي (٦٤٦هـ) : (فاضل عالم بالنحو والتفسير، قيّم بعلل العربية أتم قيام) (٥) ؛ لذا عندما ينقل عنه لابد أن يكون الناقل عنه مطمئنا مقلدا وكذا غيره من العلماء .

٣- اختلاف النحويين :

فما يكون خطأ عندي يكون صوابا عند غيري, بغض النظر عن ايما ارجح من القولين , وهذا يسبب ان تتسرب بعض الاخطاء النحوي إلى الكتب بحجة أنها صواب عند عالم من العلماء .

كما اختلافهم في جواز العطف على الضمير المتصل المجرور, كقولنا: مررت به وزيدٍ , فلا يجوز جر زيد إلا بتكرار حرف الجر الباء عند بعض النحويين، وأجازه آخرون (٦)، فعندما يكتب بعض المؤلفين بالجر في مثل مررت به وزيدٍ فهو ليس مخطئا ابدا ؛ كونه قام بذلك بناءً رأي معتبر عند بعض النحويين .

٤- شيوع الخطأ :

يمكن لكثرة الكلام بالخطأ على السنة الناس ولا سيما في فن من الفنون تكون النفس متلقية ذلك بالقبول , حتى يظن أنه مساغ مقبول , وهذا بعيد عن منطق اللغة وقواعدها التي ليس للأهواء محل فيها , كما شاع عند النحويين جواز تعريف الاسماء الملازمة للإضافة بـ«ال»(٧)، واجازة بعضهم أنها صحيح لأنها شاعت في كتب النحو بل وسميت ابواب نحوية بها كما سأبين .

٥- الاعتماد على الشذوذ وعده مقيسا :

من أهم الاسباب التي لها دور بارز في ضعف الآراء النحوية , بل خطأ هو الاعتماد على شواهد شاذة أو نادرة , أو في غير عصور الاستشهاد ولم لك حذف الفاء في جواب «أمّا» الشرطية التفصيلية , ما سيأتي (٨) .

تعريف الأسماء الموغلة في الإبهام بحرف التعريف (ال):

١- غير:

هو اسم مبهم ملازم للإضافة إلا أن يقطع عنها لفظًا، وينوى معناها، فحينئذ يبنى على الضم، نحو: عندي رجل لا غير؛ لذا امتنع دخول (ال) التعريف عليها، فهي من الأسماء الموغلة في الإبهام (٩)؛ لأن المغايرة بين الشيئين لا تخص وجهًا بعينه(١٠).

غير في نصوص النحويين:

جرى في مؤلفات كثير من النحويين استعمال كلمة (غير) مع حرف التعريف، ومن ذلك:

وقال العيني (٨٥٥ هـ): (وكلمة «كيف» للاستفهام الغير حقيقي، وقد أخرج مخرج التعجب) (١١).

قال الجوجري (٨٨٩هـ): ((ويترجح على الإبدال في التام الغير الموجب؛ إذا كان منقطعا وصح التفريغ عند تميم))(١٢).

وقال أيضا : ((لما فرغ المصنف من الكلام على العلّتين المستقل كل منهما بمنع الصرف أخذ يتكلم على العلل الغير المستقلة))(١٣).

وقال خالد الأزهري (٩٠٥ هـ) : ((«أو» يكون مستحقا للتصدير «بغيره»، وذلك الغير الذي له الصدر))(١٤).

وقال ابن المبرد الحنبلي (٩٠٩هـ) : (ونوم غيره، وصيام غيره، إذا كان الغير هو الفاعل دونه)(١٥).

قال السيوطي (٩١١هـ) : ((فَإِن كانَت الفتحة في ياء نَحْو من الْغَيْر أَو السَّاكِن الْفَاصِل))(١٦).

قال الصبان (١٢٠٦هـ) : ((وهي النسب الجزئية الغير المستقلة بالمفهومية على ما اختاره العضد والسيد الجرجاني))(١٧).

وقال الرانفي الصعيدي (نحو ١٢٥٠هـ): ((وَقد يُرَاد بِهِ مجرّد النَّقْل عَن الْغَيْر نَحْو: زعم سِيبَوَيْهِ كَذَا))(١٨).

نلاحظ من النصوص التي نقلتها , أو أشرت إليها أن غير جاءت معرفة بـ«ال»

مذاهب النحاة في دخول (ال) التعريف على (غير):

ذهب سيبويه(١٩) وابن السراج(٢٠)، والحريري(٢١)، ونسب ذلك إلى المحققين من النّحْوِيين إلى أنها لا تتعرف بـ«ال» مطلقا، وإنما هي من الاسماء الملازمة للإضافة حالها حال الاسماء المبهمة : (مثلك ، وشبهك) (٢٢).

وعلل الحريري ذلك بقوله : ((والمحققون من النَّحْوِيين يَمْنَعُونَ من إِدْخَال الْألف وَاللَّام عَلَيْهِ، لِأَن الْمَقْصُود في إِدْخَال آلَة التَّعْرِيف على الِاسْم النكرَة أَن تخصصه بشخص بِعَيْنِه، فَإِذا قيل: الْغَيْر، اشْتَمَلت هَذِه اللَّفْظَة على مَا لَا يُحْصى كَثْرَة، وَلم يتعرف بِآلَة التَّعْرِيف، كَمَا أَنه لا يتعرف بِالْإِضَافَة، فَلم يكن لإدخال الْألف وَاللَّام عَلَيْهِ فَائِدَة، وَلِهَذَا السَّبَب لم تدخل الْألف وَاللَّام على الْمَشَاهِير من المعارف مثل دجلة وعرفة وذكاء ومحوة لوضوح اشتهارها والاكتفاء عَن تعْرِيفهَا بعرفان ذواتها.)) (٢٣).

ومما احتجوا به دخول «ربّ» عليها , فهي توصف بها النكرات , نحو :» مررت برجلٍ غيرك ومثلك وشبهك . وتدخل عليها (رب) وهي مختصة بالدخول على النكرات , كقول ابي محجن (٢٤):

يَا رب مثلك فِي النِّسَاء غريرة ... بيْضَاء قد متعتها بطَلَاق (٢٥).

وقد اجاز بعضهم دخول «ال» التعريف عليها بحجة قوله تعَالَى { صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} [الفاتحة: ٧] فهي قد وصفت المعرفة فـ «الذين» معرفة ووصفتها « غَيْرِ» لذا يجوز دخول «ال» عليها. (٢٦)، واحتجوا بأنها كما تتعرف بالإضافة جاز أن تتعرف بـ «ال» أيضاً(٢٧).

الترجيح:

مما سبق يتبن لي أن الصواب مع رفض دخول «ال» التعريف على غير , فقد عُد من كلام المولدين(٢٨)؛ ذلك لأن القائلين بالجواز لم يذكروا لنا شاهدا واحدا يؤيد ما ذهبوا اليه , كما لا يمكن عد ما اضيف يجوز له التعريف بـ «ال» فليس كل إضافة للتعريف بل هناك اضافة للتخصيص كـ» سِوَى» وَ»حَسْبِ» (٢٩)، وكذا الحال مع مشاهير المعارف كـ « دجلة «و» عرفة « لشهرتها وعمقها في المعارف استغنت عن التعريف بـ «ال»(٣٠). فإذا قيل الغير، اشتملت هذه الكلمة على ما لا يحصى من الناس ولا يحاط بهم ، فلم يكن لإدخال «ال» عليها من الفائدة»(٣١).

٢- بعض

«بعض» و»كل» من الاسماء الملازمة للإضافة لفظا أو تقديرا ولا تأتي في كلام العرب إلا معرفة بـ»ال» وخالف في هذا ابْنِ دَرَسْتَوَيْه (٣٤٧هـ) (٣٢)والزَّجَاجِيّ(٣٤٠هـ)(٣٣). إذ قالا بجواز الكل والبعض ,وقد كثرت في كلام النحويين المتأخرين؛ بسبب تقسيم البدل على بدل البعض من الكل وكما يأتي:

«بعض» في نصوص النحويين:

قال الأشموني : («وَبَعْضُ الأَعْلاَمِ» أي: المنقولة «عَلَيْهِ دَخَلاَ لِلْمَحِ مَا قَدْ كَانَ» ذلك البعض «عَنْهُ نُقِلاَ» مما يقبل «أل»: من مصدر «كَالْفَضْلِ،) (٤٣)

وقال العيني (٨٥٥ هـ):(والمراد بها: إما عشية ما، أو عشية معينة، ولو أريد بها معينة تمنع من الصرف عند البعض، وهو القياس)(٤٥).

قال الجوجري (٨٨٩هـ):(وإن اختلف وجه الشبه بأن كان في بعض الأفراد غير ما في البعض) (٣٦).

وقال الازهري (٩٠٥ هـ) : («وليس ولا يكون ضمير مستتر وجوبا مرفوع عائد على البعض المفهوم من كله السابق(٣٧).

السيوطي(٩١١هـ) : (وَأجِيب بِأَن الْمُخَالفَة وَاقعَة فِي بدل الْبَعْض لِأَن الثَّانِي فِيهِ مُخَالف للْأول) (٣٨).

قال البغدادي (١٠٩٣هـ): (ويحذف التَّنْوِين مِنْهُ ويروي ذَلِك الْبَعْض من «أَذْرُعَات» بِفَتْح التَّاء قِيَاسا على سَائِر مَالا ينْصَرف) (٣٩).

أما الصبان فقد استعملها كثيرا حتى زاد على الخمسمائة ضعف , فقال الصبان (١٢٠٦هـ): (أو قلت البعض فمرادي به الفهامة الفاضل سيدي يوسف الحنفي رحمهم الله وجزاهم عنا خيراً) (٤٠)

مذاهب النحاة في دخول (ال) التعريف على (بعض):

ورفض دخولها اغلب النحويين دخول «ال» عليهما ؛ لأنها يقدران تقدير المعارف فهي كما قدمت مضافة في المعنى أو اللفظ(٤١)، وهُما مَعْرِفَتَانِ لكثرت, ورهما في فَصِيحِ الْكَلَامِ (٤٢)، وهي لا تُوصَف , ولا تكون وصفاً كقولهم: «مررت بكلّ قائماً» , و «مررتُ ببعضٍ قائماً» و»ببعضٍ جالساً»(٤٣).

أما الأزهري فقد أُختلف النقل عنه إذ روى عنه الفيومي (٧٧٠هـ) أن النحويين يجيزون «البعض» و»الكل» الا الاصمعي فقال : (قَالَ الْأَزْهَرِيُّ وَأَجَازَ النَّحْوِيُّونَ إدْخَالَ الْأَلِفِ وَاللَّامِ عَلَى بَعْضٍ وَكُلٍّ إلَّا الْأَصْمَعِيَّ فَإِنَّهُ امْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ)(٤٤). الذي يفهم من كلامه أن لا مانع من دخولها عليهما . ولو رجعنا إلى التهذيب لوجدناه يقول : (وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: قلت للأصمعيّ: رَأَيْت فِي (كتاب ابْن المقفّع): (الْعلم كثيرٌ ولكنَّ أَخْذَ الْبَعْض خيرٌ من تَرك الكُلّ) . فَأنكرهُ أشدّ الإنْكَار وَقَالَ: الْألف وَاللَّام لا تدخلان فِي بعض وكلّ؛ لِأَنَّهُمَا معرفَة بِغَيْر ألف وَلَام، وَفِي الْقُرْآن: {شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ} (النَّمل: ٨٧) قَالَ أَبُو حَاتِم: وَلَا تَقول العربُ الكلّ وَلَا البعضَ، وَقد اسْتَعْملهُ النَّاسُ حَتَّى سِيبَوَيْهِ والأخفش فِي كتبهما، لقلّة علمهما بِهَذَا النَّحْو، فاجتنبْ ذَلِك فَإِنَّهُ لَيْسَ من كَلَام الْعَرَب)(٤٥)، فلم نجد ذكرا للنحويين الذين يجيزون ذلك إلا ما كان من استعمال سِيبَوَيْهِ والأخفش «البعض» و»الكل» وهذا لا يدل على أنهما يجيزانه .

من هذا يتبين لي أن الأزهري منع دخول «أل» التعريف على غير عكس ما نقل عنه .

إما المجيزون فقد اعتمدوا شيوع ذلك في كتب النحويين(٤٦)، ومنهم من أجاز ذلك على سبيل المجاز , وليس على سبيل الحقيقة(٤٧)، وأجاز المجمع المصري ذلك في الدورة الحادية والخمسين، وقد كثر استعمالها بـ(أل) عند اللغويين والفقهاء، وقد تنوب (أل) عن الضمير كما في قوله تعالى: {فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} أي مأواه؛ ولذلك يجوز القول: يساعد بعضنا البعض(٤٨).

ونقل الشهاب الخفاجي بيتين من الشعر حجة للمجيزين(٤٩).

رأيت الغني والفقير كليهما ... إلى الموت يأتي للكل معمدا (٥٠).

وقيس بن الملوح :

لا تنكر البعض من ديني فتجحده ... ولا تحدثني أن سوف تقضيني(٥١).

الترجيح:

لو ناقشنا ادلة المجيزين لتبينا لنا ما يأتي :

١– شيوعها في كتب النحويين لا يعد حجة إذ إن النحويين ليسوا في عصور الاحتجاج .

٢– اجازة الزجاجي له لم يكن النقل عنه دقيقا إذ قال : (إنما قلنا البعض والكل مجازا واستعمال الجماعة له مسامحة ,وهو في الحقيقة غير جائز واجود من هذه العبارة بدل الشيء من الشيء وهو بعضه) (٥٢) الذي يفهم من قوله إنه اجاز ذلك في العنوان المخصوص للبدل وهو بدل بعض من كل ثم كان قوله : (وهو في الحقيقة) يفهم منه عدم جواز القياس عليه وهذا ضد من قال: إن الزجاجي يجيز ذلك .

٣– ثم متى كان المجاز حجة في النحو العربي , ومن قال به على سبيل التبرير لا الاحتجاج .

٤– إما نيابتها الضمير فالملاحظ أنها نابت في كلمة « الْمَأْوَى» ولا مانع أن تنوب عنها هنا إذ هي من الكلمات التي يجوز تعريفها بـ «ال» والاضافة على عكس «بعض» .

ورفض الحريري ذلك فالمحققون من النحويين منعوا إدخال الألف واللام عليه ؛ بحجة أن المقصود في إدخالها على الاسم النكرة تخصيصه بشخص معين فإذا قلت «الغير» اشتملت اللفظة على ما لا يحصى كثرة ولم تتعرف بـ «ال» كما لم تتعرف بالإضافة فلا فائدة في إدخالهما عليه(٥٣).

حذف الفاء في جواب «أمّا» الشرطية التفصيلية

هي من حروف الشرط ويسميها النحويون التفصيلية, وتقوم مقام أداة الشرط وفعله؛ ولهذا فسرها سيبويه بـ «مهما يك من شيء»(٥٤).

وهَي حرف بسيط وَقيل: إنها مركب من «أم» وَ»مَا»(٥٥).

لزوم الفاء في جوابها:

يأتي بعد (أما) جملة تلزمها الفاء؛ لأن المذكور بعدها جواب الشرط (٥٦) . يقول ابن عقيل في ذلك : (وهي قائمة مقام أداة الشرط وفعل الشرط ولهذا فسرها سيبويه بمهما يك من شيء والمذكور بعدها جواب الشرط فلذلك لزمته الفاء نحو أما زيد فمنطلق والأصل مهما يك من شيء فزيد منطلق فأنيبت أما مناب مهما يك من شيء فصار أما فزيد منطلق ثم أخرت الفاء إلى الخبر فصار أما زيد فمنطلق ولهذا قال وفا لتلو تلوها وجوبا ألفا.) (٥٧)

حذف «الفاء» في نصوص النحويين:

ورد في كتب عدد من النحويين المتأخرين حذف الفاء من جواب (أما)، ومن ذلك:

وقال الجوجري (٨٨٩هـ): (أمّا إذا لم يكن في حيزّها فعل دخلت على الأسماء١، نحو {فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ}(٥٨).

وقال الشيخ خالد الازهري (٩٠٥هـ) : (فأمّا قراءة بعضهم: «فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ» [البقرة: ٢٤٩] بالرفع محمولة على أن «شربوا» في معنى: لم يكونوا منه (٥٩).

وقال ابن المبرد الحنبلي (٩٠٩هـ) : (الوصية فأمّا الأخرس الذي لا تفهم إشارته، والصحيح الذي يقدر على الكلام، لا تصح الوصية منهما بالإشارة) (٦٠).

وقال السيوطي (٩١١هـ) : (ويُقال أمّا زيد آمن من وَرائه وزعم الجَرْمي أنه لا يجوز اسْتِعْمَالهَا إلّا ظرفا)(٦١)

وقال الأشموني (٩٢٩هـ) : (أمّا إذا كان الباقي غير صالح للوصل: بأن كان مفردا، أو خاليا عن العائد –نحو: {أَيُّهُمْ أَشَدُّ} (مَرْيَم ٦٩) ، {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ} (الزخرف ٨٤) جاز كما عرفت؛ للعلم بالمحذوف)(٦٢).

خلاف النحويين في حذف الفاء:

رفض أغلب النحويين مجيئها بدون الفاء(٦٣) ؛ وعلة ذلك أنها تقوم مقام حرف شرط و فعله , فلا يليها فعل؛ لأنها قائمة , فإذا جاء فعل في جوابها لتوهم أنه فعل الشرط، .فلما جاء الاسم بدل الفعل وجب ادخال الفاء للربط بين الشرط وجوابه (٦٤)، و تنبيها على أنه جواب لـ»أما»، ولم يرد حذفها في الشعر الا ضرورة (٦٥) كقول الشاعر :

فأمّا القِتالُ لا قِتالَ لَدَيكُمُ ... ولكِن سَيرًا في عِراض المَواكِبِ (٦٦).

ولم يرد في النثر إلا ندورا(٦٧)، نحو ما خرج البخاري من قوله – صلى الله عليه وآله وسلم –: (أما بعد: ما بال رجال يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله) (٦٨).

وقد اجاز ابن عقيل أن تحذف الفاء كثيرا إذا كانت مسبوقة بقول محذوف , كقوله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ}(٦٩) [آل عمران: ١٠٦] . ويكون تقديرها : فيقال لهم: أكفرتم بعد إيمانكم؟(٧٠).

الترجيح:

أرى أن الكثر الشائع هو استعمال الفاء في جواب إما، وهو الذي أطبق عليه النحويون ، وجروا عليه في كتاباتهم في مؤلفاتهم.

أما مَا ورد من حذف الفاء في جوابها فقليل بالنسبة إلى ذكرها(٧١)، ويمكن أن يتخرج هذا القليل على الندور الوارد في بعض النصوص الفصيحة، أو هو من باب السهو الذي قد يعتري الكاتب فيتوهم أنه ذكر الفاء في جوابها. والله أعلم.

دخول (الفاء) في جواب (لمّا):

اداة من اداة الشرط أختلف في اسميتها أو حرفيتها (٧٢)، قال أبو حيان الأندلسي: (تدل على ربط جملة بأخرى ربط السببية، وعبر عنه بعضهم بحرف وجود لوجود، والذي تلقيناه من أفواه الشيوخ حرف وجوب لوجوب) (٧٣)

وعرفت عند النحاة بأسماء عدة منها «لما الحينية» ويسميها بعضهم : «لما الوجودية»؛ لأنها الرابطة لوجود شيء بوجود غيره، وسميت ايضا : «لما التوقيتية»؛ لأنها بمعنى وقت(٧٤).

وردت في الكتب النحوية اسناد» فاء» الجزاء في مواطن لا يجوز فيها دخول الفاء كما يقول المرادي :(ثم إن هذه الفاء تكون جواباً لأمرين: أحدهما الشرط ب إن وأخواتها. والثاني ما فيه معنى الشرط نحو أما)(٧٥).

يقول ابن يعيش (إذا كان الجزاء بشيء يصلح الابتداءُ به، كالأمر والنهي والابتداء والخبرِ، فكأنّه لا يرتبط بما قبله. وربمّا آذن بأنّه كلام مستأنف غير جزاء لما قبله، فإنّه حينئذ يفتقر إلى ما يربطه بما قبله، فأتوا بالفاء؛ لأنها تفيد الاتّباعَ)(٧٦).

فهذه المواضع يجوز دخول فاء الجزاء عليها وفيما يأتي نصوص تدخل عليها الفاء وهي أفعال مضارعة .

«لمّا» في نصوص النحويين:

قال المكودي (٨٠٧ هـ) :(لما علمت من أن الخماسي الأصول يحذف آخره فتقول في جمع قبعثرى قباعث)(٧٧)

قال الجوجري(٨٨٩هـ) : (وعلة البناء عندهم أن الفعل والنون لما رُكِّبا أشبها تركيب «خمسة عشر» فبنى بناءهما) (٧٨).

قال السيوطي (٩١١هـ):(لما وَقع موقع الْمَبْنِيّ كالْعلم الْمُؤَنّث المعدول ك حذام فَإِنَّهُ ضارع نزال الْوَاقع موقع انْزِلْ

في العدْل والتعريف) (٧٩).

قال الصبان(١٢٠٦هـ) : (قال لما قلت: أرأيت زيدًا عن أي شيء من حالة تستخبر فقلت: ما صنع فهو بمعنى قولك أخبرني عنه ما صنع) (٨٠).

مذاهب النحاة في دخول (الفاء) في جواب (لمّا):

«لمّا» كأخواتها من ادوات الشرط لابد لها من فعل للشرط وآخر لجوابه الذي يكون فعل ماض مثبت، أو منفي بـ «ما»»، أو مضارع منفي بـ «لم» , أو جملة اسمية مقرونة بإذا الفجائية، وقد يكون جملة اسمية مقرونة بالفاء(٨١).

فقد كانت الفاء في غالبها كما قدمت تدخل على الجملة الشرطية التي ليس فيها فعل متصرف , ولو رجعنا إلى نصوص النحويين لوجدنا أن الفاء قد دخلت على أفعال متصرفة , وهذه مخالفة للقاعدة المذكورة .

الّا إن ابن مالك رحمه الله اجاز دخولها على الفعل الماضي بقوله : (وربما كان ماضيا مقرونا بالفاء كقول الشاعر:

فلَمَا رَأى الرَّحْمَن أن لَيْسَ فيهم ... رشيد وَلَا ناهٍ أَخَاهُ عَن الغدرِ

وصب عَلَيْهِ تغْلِبَ ابنةَ وائلٍ ... فَكَانَ عَلَيْهِمْ مثلُ راغيةِ البكرِ (٨٢)، (٨٣).

وقد رفض ابن عصفور (٦٦٩هـ) قوله :(يريد: صب عليهم، فزاد الواو في جواب «لما»)(٨٤).

وكذا رفض ابو حيان(٧٤٥ هـ) قول ابن مالك , فقال : (وزعم ابن مالك: أن جوابها الماضي قد يقرن بالفاء، وبجملة اسمية مقرونة بالفاء، وبمضارع، ولم يقم دليل واضح على ما ادعاه)(٨٥).

اما ابن عقيل (٧٦٩هـ) إلى جواز أن يكون الجواب محذوفا فقال : ويجوز كون الجواب محذوفاً، أي انتقم منكم، فصبَّ عليكم(٨٦).

الترجيح

ومما سبق يتبين لي ضعف رأي ابن مالك بسبب:

١- أن الشاهد الذي ذكره يعد من الضرائر كما صنفه ابن عصفور .

٢- لا دليل آخر على جواز دخول الفاء على الماضي إذ كان دليله متأول .

٣- يحتمل ان الفعل «كان ليس الجواب بل هو «صب» والواو زائدة .

٤- ويحتمل أيضا أن الجواب محذف .

العطف بـ «أو» بعد همزة التسوية

همزة الاستفهام حرف مشترك؛ يدخل على الأسماء والأفعال، وهي أعم وأصل أدوات الاستفهام. ولأصالتها استأثرت بأمور كالصدارة على الفاء والواو وثم، في نحو { أَفَلَا تَعْقِلُونَ..} [البقرة: ٤٤] ، {أَفَلَمْ يَسِيرُوا..} [يوسف: ١٠٩] ، {أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ..} [يونس: ٥١].

وتأتي للتصديق، نحو: أزيد قائم؟ أو للتصور، نحو: «أزيد عندك أم عمرو؟» , وتقترن حينئذ بـ»أم» المعادلة(٨٧).

وقد أجاز النحويون العطف «أو» في جوابها بشروط لا يتسع المقام لذكرها , ورفضوا بشروط منها إذا كانت الهمزة للتسوية(٨٨).

وقوع «أو» في جواب الهمزة في نصوص النحويين:

جاء عند بعض النحويين اقتران جوب الهمزة بـ»أو» بدل «أم» ومن ذلك:

قال المكودي (٨٠٧هـ): ((وقوله مطلقا يعني سواء خيف اللبس أو لم يخف وشمل صورتين)) (٨٩).

قال الجوجري (٨٨٩هـ) :((كالجنس، وهو اللفظ الدال على معنى، سواء كان مفردا، كـ (زيد) ، أو مركبا مفيدا، كـ «قام زيد» أو غير مفيد، كـ «إن قام زيد»))(٩٠).

قال خالد الازهري(٩٠٥هـ) : (وإذا تقدم المستثنى على المستثنى منه وجب نصبه» عند البصريين «مطلقًا»، سواء أكان متصلًا أو منقطعا، وامتنع اتباعه)(٩١).

وقال البغدادي : (سَوَاء أَكَانَ الْفِعْل مَعهَا فِي جملَة الشَّرْط أَو فِي جملَة) (٩٢).
وقال الصبان:(إذا قدم زيدًا تخير السامع فيما بعده أضربت أو أكرمت مثلًا) (٩٣).
من الملاحظ ثبوت أن الهمزة للتسوية مع ذلك عطف بـ «أو» على الاسم الذي بعدها , وهذا لا يكون هنا إلاَّ بـ«أم» ؛ لأنه لا يجوز هنا السكوت على أوّل الاسمين، فلا يجيء هذا إلاَّ على معنى «أيهُّما»(٩٤).
مذهب النحويين في العطف بـ «أو» بعد همزة التسوية
قد رفض سيبويه ذلك بقوله : (وإنما فارق هذا سواء وما أبالي، لأنَّك إذا قلت: سواءٌ عليَّ أذهبت أم مكثت فهذا الكلام في موضع سواءٌ عليَّ هذان. وإذا قلت: ما أبالي أذهبت أم مكثت هو في موضع: ما أبالي واحداً من هذين. وأنت لا تريد أن تقول في الأول: لأضربنَّ هذين، ولا تريد أن تقول: تناهيت هذين، ولكنك إنَّما تريد أن تقول: إن الأمر يقع على إحدى الحالين. ولو قلت: لأضربنَّه أذهب أو مكث لم يجز، لأنَّك لو أردت معنى أيهما قلت: أم مكث، ولا يجوز لأضربنَّه مكث فلهذا لا يجوز: لأضربنَّه أذهب أو مكث، كما يجوز: ما أدري أقام زيدٌ أو قعد. ألا ترى أنَّك تقول: ما أدري أقام كما تقول: أذهب، وكما تقول: أعلم أقام زيدٌ، ولا يجوز أن تقول: لأضربنَّه أذهب) (٩٥)
الذي يفهم من قوله هذا أن المراد جعل الامرين سواءً وليس المقصود منه أن تختار أحد الأمرين لذا امتنع عنده ما أدري أقام زيدٌ أو قعد. والى ذلك ذهب أيضا المبرد(٩٦)، والرماني(٩٧).
يقول الرضي(٦٨٦هـ) : (واعلم أن الفرق بين «أو» و«أم» المتصلة , في الاستفهام : أن معنى قولك :أزيداً رأيت أو عمرا أأحدهما رأيت وجوابه: لا ,أو نعم , ومعنى قولك: أزيداً رأيت أو عمرا :أيهما رأيت وجوابه بالتعيين , كأن تقول : زيدا أو عمرا) (٩٨).
يقول ابن هشام : (إذا عطفت بعد الْهمزَة بِأَو فَإِن كَانَت همزَة التَّسْوِيَة لم يجز قِيَاسا وَقد أولع الْفُقَهَاء وَغَيرهم بِأَن يَقُولُوا سَوَاء كَانَ كَذَا أَو كَذَا وَهُوَ نَظِير قَوْلهم يجب أقل الْأَمريْن من كَذَا أَو كَذَا وَالصَّوَاب الْعَطف فِي الأول بِأم وَفِي الثَّانِي بِالْوَاو وَفِي الصِّحَاح تَقول سَوَاء عَلَيّ قُمْت أَو قعدت انْتهى وَلم يذكر غير ذَلِك وَهُوَ سَهْو وَفِي كَامِل الْهُذَلِيّ أَن ابْن مُحَيْصِن قرأ من طَرِيق الزَّعْفَرَانِي (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) وَهَذَا من الشذوذ بِمَكَان) (٩٩).
والى ذلك ذهب الألوسي بقوله (فقراءة ابن محيصن من طريق الزعفراني– سواء عليهم أنذرتهم أو لم تنذرهم– شاذة رواية فقط لا استعمالا كما يفهمه كلام ابن هشام فافهم هذا المقام فقد غلط فيه أقوام بعد أقوام) (١٠٠).
ويرى د. فاضل السامرائي أنه لا يصح أن تقع بعد همزة التسوية إلا (أم). فلا تقول (سواء علي أحضرت أو غبت) بل وجب أن تقول (سواء علي أحضرت أم غبت). قال تعالى: {سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص} [إبراهيم: ٢١] ؛ لأن المعنى يقتضي (أم) لا (أو)، وذلك أن جواب قولك: (أكتب أو قرأ؟) هو: (نعم) أو (لا)، والمعنى أفعل أحدهما؟ ولهذا وجب أن في قولهم (أكتب أم قرأ) أمرين متعادلين يسأل عنهما. ووفي قولهم (أكتب أو قرأ).؟ هو أمر واحد يسأل عنه أي أفعل أحدهما؟ والتسوية لا تكون إلا بين أمرين لا في أمر واحد، ولذا امتنع أن يساوي بـ (أو) بعد الهمزة(١٠١).
الترجيح:
مما سبق يتبين لي أنه لا يجوز أن تقترن «أو» بهمزة الاستفهام المراد بها التسوية ؛ لأن التسوية يجاب عليها بالتعيين خلافا لـ«أو» التي يجوز الإجابة عليها بالإثبات أو النفي ؛لذا جيء بـ «أم» لأن المراد بها التعيين .
هل يمكن أن تستبدل (وإما) بـ (أو)؟
من حروف العطف التي بمعنى : «أو» , ولها خمسة معان: الشك , والتخيير, والإبهام, الإباحة , والتفصيل(١٠٢).
واختلف النحويون: هل هي مركبة أو لا ؟(١٠٣)، وهل هي العاطفة أو الواو؟(١٠٤).
اشترط أغلب النحويين في العطف [–(إما) التفصيلية أن تُكرَّرَ, وأنْ تقترن الأخرى بالواو, نحو: قوله تعالى: {قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ } [الأعراف: ١١٥] , وقد جاء في كثير من المؤلفات النحوية

عبارات صريحة في إبدال مؤلفيها عبارة (واما) الثانية بـ (أو).

الاستبدال في نصوص النحويين

قول: المكودي (٨٠٧هـ): ((لأن غير ياء المتكلم إما ظاهر أو مضمر والظاهر إما معرفة أو نكرة ومن مواضع النيابة))(١٠٥).

وقول الجوجري (٨٨٩هـ): (والأول إما أن يقترن بأحد الأزمنة الثلاثة، أو لا) (١٠٦).

وقول الأشموني (٩٠٠هـ) : (ودليل انحصار الكلمة في الثلاثة: أن الكلمة إما أن تصلح ركنا للإسناد أو لا)(١٠٧).

وقول خالد الأزهري(٩٠٥هـ) : (وحاصل ضبطها أنها إما مجردة عن اللواحق، أو ملحقة بزائد، والمجردة إما أن يكون آخرها ساكنا أو متحركا) (١٠٨)؟

وقول السيوطي (٩١١هـ): (والأول إِمَّا أَن يقْتَرن بِأحد الْأَزْمنَة الثَّلَاثَة أَو لَا)(١٠٩).

وواضح في النصوص السابقة أن أصحابها وضعوا مع» إما « « أو « بدل» واما «، وغير ما تقدم هناك نصوص اخرى لم اذكرها خشية الاطالة.

فهل ما صرح بن هؤلاء العلماء جائز في العربية أو لا؟

مذاهب النحاة في استبدال « واما « بـ» أو ذهب جمع من النحويين إلى عدم جواز استبدال « واما « بـ» أو، وأن الغالب تكرارها مع الواو(١١٠).

واستدلوا على ذلك بأسول القرآن الكريم فقد وردت (إما) التفصيلية في عشر آيات كلها مقترنة بـ «واما» (١١١).

قال المرادي في ذلك : (ونص النحاس على أن البصريين لا يجيزون فيها إلا التكرار)(١١٢).

ورفض الفراء دخولها على «إما» وعلل ورد غير ذلك العرب لتآخيهما فِي المعنى عَلَى التوهّم(١١٣)، وتبعه في ذلك البغدادي(١١٤).

وذكر الفراء أن الأصل عدم دخول (إما) على (أو)، ولا (أو) على (إما)، ولكن ربما فعلت العرب ذلك لتآخيهما في المعنى قال: (ولا تدخلن (أو) على (إما) ولا (إما) على (أو) . وربما فعلت العرب ذلك لتآخيهما في المعنى على التوهم فيقولون: عبد الله إما جالس أو ناهض).

وذهب آخرون إلى جواز هذا الأسلوب فأجازوا دخول (أو) على «إما»، كقراءة من قرأ «وانا أو إياكم لإما على هدى، أو في ضلال مبين»(١١٥).

وهو في الشعر كثير، كقول الشاعر:

وَقَدْ شَفَّنِي أَنْ لاَ يَزَالَ يَرُوعُنِي... خَيالُكِ إِمَّا طَارِقًا أَوْ مُغَادِيَا(١١٦).

وقد اجاز ذلك ابن مالك(١١٧)، وابن عقيل(١١٨)، وابو حيان(١١٩). الذي عد ذلك نيابة عن «إما» «أو» الذي نقل عن ابن مالك خلاف ذلك إذ أوجب دخول «إما» الثانية فقال ناقلا عنه : (قال المصنف: «ويجب للحال إذا وقعت بعد إما أن تردف بالأخرى معادا معها إما، كقوله تعالى «انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا»، انتهى(١٢٠).

الترجيح:

عند الرجوع إلى كتابه المذكور نجد أنه أجاز الوجهين ولكن على سبيل التقليل إذ قال: (وقد يستغنى عن الثانية بأو) (١٢١).

ويترجح لي أن اقترانها بأختها هو الأسلوب الأرقى والأعلى ؛لاقتصار القران الكريم عليه.

ويجوز إبدالها بأو، لكثرة الشواهد الشعرية في هذا الباب، وعليه درج المؤلفون في استعمالات وتعبيراتهم كما مرّ ذكره.

نتائج البحث:

بعد تمام البحث والاطلاع على ما نقل عن النحويين المحددين في المدة المحددة , لا بدّ من عرض أهم النتائج التي

أسفر عنها البحث:

١) وجود بعض الأخطاء أمر طبيعي في أي كتاب مؤلف, طالما أن مؤلفه بشر بغض النظر عن قيمة المؤلف العلمية.

٢) إن أغلب ما وقع فيه النحويون في المدة المحددة لم يكن منهم إنما هو إرث انتقل لهم من عصور سابقة لهم.

٣) وجود هذه الأخطاء لا يمكن له أن يقلل من قدرهم أو قيمتهم, أو أثرهم في الدراسات اللغوية والنحوية لا سيما أنها تعد من أمات الكتب التي يرجع إليها الباحثون والدارسون.

٤) دخول «ال» التعريف على «غير». عُد من كلام المولدين مع إجازة بعض النحويين لذلك؛ لأنهم لم يعضدوا أقوالهم إلّا بالكثرة والشيوع على ألسنة الناس.

٥) نُقِل عن الأزهري أن النحويين يجيزون «الغير « , بالرجوع إلى كتابه تبين لي أنه منع دخول «أل» التعريف على غير عكس ما نقل عنه .

٦) دخول «ال» التعريف على «بعض» على سبيل المجاز لا حجة له في النحو العربي البتة, وكذا شيوعها في كتب النحويين لا يعد حجة إذ أن النحويين ليسوا في عصور الاحتجاج.

٧) عدم صحة نسبة إجازة الزجاجي دخول «أل» التعريف على «بعض» وما موجود في كتابه عكس ما نقل عنه .

٨) دخول (الفاء) في جواب (لمّا) الشرطية في مواضع لا يجب دخول الفاء عليها كالجملة الفعلية .

٩) حذف الفاء من جواب « إما» التفصيلية , خلافا لما جاء به القرآن الكريم , وما ورد في كلام العرب الا ما شذ عنهم مما لا يعتد به لقلته.

١٠) ضعف رأي ابن مالك جواز دخول الفاء على جملة جواب الشرط التي صدرها فعل ماض ؛لأن لم يقم دليل واضح, فالشاهد الذي ذكره يعد من الضرائر, زيادة على ذلك إن دليله هذا متأول أو أن يكون هذا ليس جوابه إنما جوابه محذوف.

١١) أن تقترن «أو» بهمزة الاستفهام المراد بها التسوية ؛ لأن التسوية يجاب عليها بالتعيين خلافا لـ»أو» التي يجوز الإجابة عليها بالإثبات أو النفي ؛لذا جيء بـ «أم» لأن المراد بها التعيين.

١٢) استبدال «إما» الثانية بـ»أو» مع إجازة ابن مالك على سبيل التقليل اعتمادا على قراءة شاذة, وبيت من الشعر خلافا لما ورد في القرآن الكريم , وما جاء على لسان العرب نثرا وشعرا .

الهوامش:

(١) درة الغواص ص: ٩.

(٢) الأغاني: ٣/ ٢٦.

(٣) عمدة الكتاب ص: ٤٢٣ , إذ ادخل «ال» التعريف على «غير».

(٤) شرح التصريح :١/ ٧٢٠. إذ جعل «أو» في جواب همزة الاستفهام .

(٥) إنباه الرواة : ٢/ ٢١٩.

(٦) شرح ابن يعيش :٢/ ٢٧٨.

(٧) ينظر: الجمل للزجاجي: ٢٤ – ٢٥.

(٨) ينظر شرح ابن الناظم ص: ٥٠٩.

(٩) ينظر: الكتاب ٤٧٩/٣, الأصول :١/ ١٥٣ , اللباب في علل البناء والإعراب :١/ ٣٠٣.

(١٠) شرح التصريح :١/ ٦٧٨.

(١١) المقاصد النحوية :٢/ ٦٠٥ .

(١٢) شرح شذور الذهب للجوجري :٢/ ٤٨٦

(١٣) نفسه : ٢/ ٨٣٠

(١٤) شرح التصريح :١/ ٢١٦. وينظر: في مواطن أخرى : ١/ ٢١٧ , ١/ ٤٠٥, ١/ ٦٢٠, ١/ ٦٢٦, ٤٨٦/٢, ٢/

٦٥١, ٢/ ٦٦٣

(١٥) زينة العرائس ص: ٨٧.

(١٦) همع الهوامع :٣/ ٤٢٢.

(١٧) حاشية الصبان : ١/٧٩، وينظر في مواطن اخرى : ١/ ٢٣٧, ١/ ٣٣٦ ,٢/ ١٧٤, ٢/ ٢١٨ ,٢/ ٢٥٣ , ٢/ ٣١٣.

(١٨) فتح المتعال ص: ٢٢٥,

(١٩) الكتاب ٤٧٩/٣ .

(٢٠) الأصول :١/ ١٥٣.

(٢١) درة الغواص في أوهام الخواص ص: ٥١

(٢٢) الأصول :١/ ١٥٣.

(٢٣) درة الغواص في أوهام الخواص ص: ٥١.

(٢٤) لأبي محجن الثقفي في والكتاب ١/ ٤٢٧، ٢/ ٢٨٦ , وشرح أبيات سيبويه ١/ ٤٠.

(٢٥) ينظر: المفصل ص: ١١٧.

(٢٦) ينظر: المصباح المنير:٢/ ٤٥٨.

(٢٧) ينظر: شرح درة الغواص :ص: ٢٠١.

(٢٨) ينظر: شرح درة الغواص :ص: ٢٠١.

(٢٩) ينظر: المصباح المنير:٢/ ٤٥٨.

(٣٠) ينظر: درة الغواص ص: ٥١.

(٣١) ينظر: الأصول :١/ ١٥٣.

(٣٢) ينظر: تاج العروس :١٨/ ٢٤٣.

(٣٣) ينظر: الجمل: ٢٤ – ٢٥.

(٣٤) شرح الأشموني : ١/ ١٧١ , وينظر في مواطن أخرى: ١/ ٣٨٦, ١/ ٥٢٢, ٢/ ٣٢٦ , ٢/ ٣٢٧ , ٣/ ٤ , ٣/ ٦ , ٤/ ١٣٧ .

(٣٥) المقاصد النحوية:١/ ٢٢٤, وينظر في مواطن أخرى: ١/٤٢٠, ٢/٧٧٤, ٣/١١١٢, ٣/١٣٣١, ٣/ ١٣٨٥, ٣/١٤٢٥, ٤/١٥١١, ٤/ ١٦٦٩, ٤/ ١٦٨٣, ٤/١٧٢٦.

(٣٦) شرح شذور الذهب للجوجري :١/٧٧٢، وينظر في مواطن أخرى: ٢/ ٤٧٤ , ٢/ ٤٩٠ , ٢/ ٧٧٧ , ٢/ ٧٨٧, ٢/ ٧٩٠, ٢/ ٧٩٦ , ٢/ ٧٩٨ .

(٣٧) شرح التصريح : ١/ ١٠١, وينظر في مواطن أخرى: ١/ ١١٦ , ١/ ٥٤٢ , ١/ ٥٥١ , ١/ ٥٦١ , ١/ ٥٤٦ , ١/ ٥٩٣, ٢/ ٤٦ , ٢/ ١٢٥, ٢/ ١٢٥ , ٢/ ١٣٥ , ٢/ ١٣٦ , ٢/ ١٩٢, ٢/ ١٩٤, ٢/ ١٩٥, ٢/ ٢٠٠, ٢/ ٢٠٦, ٢/ ٤٦٦.

(٣٨) همع الهوامع : ٢/ ٢٥٣, وينظر في مواطن أخرى: ١/ ٢٤٥, ٢/ ٢٦٣ , ٢/ ٢٧٧ , ٢/ ٢٨١ , ٢/ ٤٢٥ , ٣/ ١٦٥ , ٣/ ١٧٦ , ٣/ ١٧٩ , ٣/ ١٨٢ , ٣/ ١٨٤ , وينظر في الاقتراح :ص: ٢١١, ٣٩٩.

(٣٩) الخزانة :١/ ٥٧, وينظر في مواطن أخرى: ١/ ٤٥٢, ٤/ ٤٦ , ٤/ ٢٨٢ , ٤/ ٣١١, ٥/ ٣٩ , ٥/ ١٩٢ , ٥/ ١٩٨ , ٥/ ٢٠٠ , ٥/ ٢٠٤ , ٥/ ٢٠٧ , ٥/ ٤٠٩ , ٥/ ٤٩٣ , ٦/ ١٥١, ٦/ ٤٣٥, ٦/ ٤٤١, ٧/ ٣٤٩, ٧/ ٣٥٠ , ٨/ ١٥٢ , ٨/ ٣٦٥.

(٤٠) حاشية الصبان :١/ ٣, وينظر في مواطن منها أخرى: ١/ ٣, ١/ ٥, ١/ ٨, ١/ ١٣, ١/ ١٤, ١/ ١٥, ١/ ٤١٢, ١/ ٤٢٢, ٢/ ٣ , ٢/ ٦ , ٢/ ٦ , ٢/ ٥٧ , ٢/ ٦٣ , ٢/ ١٥٩, ٢/ ١٦٤, ٢/ ٣٦٧ , ٢/ ٣٩٩, ٢/ ٤٥٦, ٣/ ١٤ , ٣/ ١٨ , ٣/ ٢٥ , ٣/ ٥٠ , ٣/ ٦٢ , ٣/ ٦٦ , ٣/ ١١٤ , ٣/ ١١٩ , ٣/ ١٢٣ , ٣/ ٤٣٦.

(٤١) ينظر: الخلل في اصلاح الخلل ص:١٢٧ .

(٤٢) ينظر : البحر المحيط : ١/ ٢٥٨.
(٤٣) نفسه .
(٤٤) ينظر: المصباح المنير :١/ ٥٤.
(٤٥) تهذيب اللغة :١/ ٣١١.
(٤٦) ينظر: تهذيب اللغة :١/ ٣١١.
(٤٧) ينظر: شرح درة الغواص للشهاب الخفاجي ص: ٢٠١.
(٤٨) ينظر: كلمة (بعض) في الدرس النحوي دلالتها وأحكامها ١٣٤٣.
(٤٩) ينظر : شرح درة الغواص ص: ٢٠٢.
(٥٠) لسحيم في رسالة الغفران ص: ١٥١ ,سفر السعادة وسفير الإفادة:١/ ٣٧
(٥١) نسبه للشهاب الخفاجي الى مجنون ليلى وليس في ديوانه ينظر :شرح درة الغواص ص: ٢٠٢.
(٥٢) الجمل للزجاجي ص: ٢٥ .
(٥٣) ينظر : شرح درة الغواص ص: ٢٠٢.
(٥٤) الكتاب ٤/ ٢٣٥.
(٥٥) ينظر : همع الهوامع:٢/ ٥٧٨.
(٥٦) ينظر : شرح ابن الناظم ص: ٥٠٩, شرح ابن عقيل :٤/ ٥٢.
(٥٧) شرح ابن عقيل :٤/ ٥٢.
(٥٨) شرح شذور الذهب للجوجري :١/ ١٦١, وينظر في موطن آخر: ٨٥٢/٢ .
(٥٩) شرح التصريح :١/ ٥٤٣ , وينظر: في موطن آخر: ٢/ ٣٢٤
(٦٠) زينة العرائس ص٦٨, وينظر في موطن آخر: ص/ ٧٤
(٦١) همع الهوامع :٢/ ٢٠٢.
(٦٢) شرح الأشموني :١/ ١٥٦, وينظر في مواطن أخرى: ٣١٣/١, ١٩٧/٢, ١٥٢/٣, ١٠٤/٤.
(٦٣) ينظر : توضيح المقاصد :٣/ ١٣٠٦.
(٦٤) ينظر : شرح الكافية الشافية :٣/ ١٦٤٨.
(٦٥) ينظر شرح ابن الناظم ص: ٥٠٩.
(٦٦) البيت لرجل من ضباب في خزانة الأدب ١١/ ٣٦٤، ٣٦٥, وشرح شواهد الإيضاح ص ١٠٢, وبلا نسبة في أسرار العربية ص ١٠٦، وسرّ صناعة الإعراب ١/ ٢٦٥؛ ولسان العرب ٤/ ٤٨٥ .
(٦٧) ينظر شرح ابن الناظم ص: ٥٠٩.
(٦٨) صحيح البخاري ٢/ ٨٥ ,و ٢/ ٨٦.
(٦٩) ينظر إعراب القرآن للباقولي :١/ ٢٨ , شرح الكافية الشافية :٣/ ١٦٤٨ , توضيح المقاصد :٣/ ١٣٠٦, شرح ابن عقيل :٤/ ٥٢.
(٧٠) ينظر إعراب القرآن للباقولي :١/ ٢٨.
(٧١) ينظر : شرح شذور الذهب للجوجري :١/ ١٦١, وينظر في موطن آخر: ٨٥٢/٢, شرح التصريح :١/ ٥٤٣ , وينظر: في موطن آخر: ٢/ ٣٢٤ , زينة العرائس ص٦٨, وينظر في موطن آخر: ص/ ٧٤ ,همع الهوامع :٢/ ٢٠٢. ,شرح الأشموني :١/ ١٥٦, وينظر في مواطن أخرى: ٣١٣/١, ٣/٢, ١٥٢/١,٩٧, ١٠٤/٤.
(٧٢) ينظر: مغني اللبيب: ٣٦٩, والتصريح: ٢/ ٣٩-٤٠.
(٧٣) ارتشاف الضرب ٤/ ١٨٩٦.
(٧٤) ينظر: النحو الوافي :٢/ ٢٩٦.
(٧٥) الجنى الداني ص: ٦٦.

(٧٦) شرح ابن يعيش (٥/ ١١١.

(٧٧) شرح المكودي ص: ٣٣٥ , وينظر في مواطن أخرى: ص: ٣٤١, ٣٧٠

(٧٨) شرح شذور الذهب للجوجري :١/ ٢٣٣ .

(٧٩) همع الهوامع :١/ ٦٦ , وينظر في موطن آخر : ٢/ ٢٤٠.

(٨٠) حاشية الصبان :١/ ٢٠٥, وينظر في موطنين آخرين: ٣/ ١٠٣, ٣/ ١٩١ .

(٨١) ينظر : الجنى الداني ص: ٥٩٦ .

(٨٢) البيت من الطويل للأخطل – ديوانه ص:٢٢١.

(٨٣) شرح التسهيل لابن مالك :٤/ ١٠٣.

(٨٤) ضرائر الشعر ص: ٧٢ .

(٨٥) ارتشاف الضرب :٤/ ١٨٩٧.

(٨٦) ارتشاف الضرب :٤/ ١٨٩٧.

(٨٧) ينظر :الجنى الداني ص: ٣٠

(٨٨) ينظر : الكتاب : ٢٠٧, اللباب :١/ ٤٣٠, معاني النحو :٤/ ٢٣٣.

(٨٩) شرح المكودي ص: ٤٩ وينظر في مواطن أخرى: ص: ١٣٢ , ١٤٦, ١٧٨, ٢١٩, ٢٧٢, ٢٧٦, ٢٩٤, ٣٤٨, ٣٧٥, ٣٨٨ .

(٩٠) شرح شذور الذهب للجوجري :١/ ١٣٨ وينظر في مواطن أخرى: ١/ ١٥٩, ١/ ٢٠٦ , ١ / ٢١٥, ١/ ٢١٨, ١/ ٢٣٢-٢٣٣ , ١ / ٢٤٠ , ١/ ٢٥٥, ٢٦٣/١ , ١ /٢٦٥ , ١ /٢٦٨ , ١/ ٣٠٠, ١/ ٣٢٢ , ١ /٣٤٦, ١ / ٣٨٣ , ١ / ٣٨٥ , ١/ ٣٨٦, ٢/ ٤٧٩ , ٢ /٥٢٤ , ٢ / ٥٢٩ , ٢ /٥٦٤ , ٥٨١/٢, ٦١٣/٢, ٢ /٦٢٠, ٢ / ٦٣٠ , ٢ / ٦٥٤ , ٦٥٨/٢, ٦٧٥/٢, ٢ / ٦٨٣, ٢ / ٧٦٤ , ٢ / ٧٧٤ , ٧٧٥/٢, ٧٨٧/٢, ٢ /٨٢٠, ٢/ ٨٢٩ , ٨٣١/٢, ٢ / ٨٤٤, ٢/ ٨٥١, ٢/ ٨٥٨ .

(٩١) شرح التصريح: ١/ ٥٤٩ ,وينظر في مواطن أخرى, ١/ ٦٠ , ٦٦/١, ١/ ١٧٢, ١ /١٧٦ , ١/ ١٨٣ , ٢٣١/١, ٢٣٤/١ , ١ / ٢٩٢ , ٤٢٩/١ , ٤٧٨/١, ٥٤٩/١, ١ /٥٩٣ , ٦١٨/١ , ٦٧٥/١, ٧٢٠/١, ٢ /٤٢ , ٤٩/٢, ٧٠/٢, ١٢١/٢, ٢ /١٦٨ , ١٨٤/٢, ٢١٤/٢, ٢/ ٢٢١, ٢ /٢٥٧ , ٣٣٠/٢, ٣٦٧/٢ ٥٠٣/٢, ٢ /٥٤٨, ٥٥٥/٢, ٥٩٩/٢, ٦٤٢/٢, ٢ /٦٨٢, ٧٠٦/٢, ٧٠٨/٢, ٧٠٩/٢, ٢ / ٧٤٢, ٢/ ٧٤٨ .

(٩٢) خزانة الأدب: ١١/ ٣٩٠, وينظر في مواطن أخرى: ١/ ٧٠, ٩٦/١, ١٩٨/١, ١ /٢٠٥, ١/ ٢٧٣, ٣١٥/١, ٣٧٨/١, ٧٩/٢, ١٧٥/٣, ٣/, ٣ /٤٠٨, ٤٨/٥ , ٥٩/٢, ٢/, ٥ /٨٨, ١٣٤/٥, ٣٤٨/٥, ٥/, ٢ / ٤٥٩, ١٠١/٦ , ١٠٢/٦, ٦/ ١٤١, ٦/ ١٨٤, ٦ /٥١٣, ٩٣/٧, ١٥٣/٧, ١٩٤/٧, ٧ /٢٣٨, ٣٣٩/٧, ٣٤٠/٧, ٧, ٤١٠/٧, ٤٣٩/ ٨ /١٤, ٤٥٩/٨, ٩/ ١٥, ٩/ ٤١, ٩ /٤٢, ٩/ ١٧٦,٩/ ١٦٨,٩/ ١٨٩/٩, ٢٨٦/٩, ٩/ ٢٩٣, ٢٩٩/٩, ٣٨٧/٩, ٩/ ٥٥٩, ٢٧/ ١٠/ ٤١, ١٠ /٥٥, ٢٧١/١٠, ١١ /٧١, ٥١/١١, ٩٨/١١, ٢٤٧/١١, ٣١٨/١١, ١١ /٣٣٨, ١١ /٤٠٧, ٤٢٦/١١.

(٩٣) حاشية الصبان: ١/ ٣١٠ , وينظر في مواطن أخرى:١/ ٢٣, ١ /٣٨, ٨٣/١, ١١٦/١, ١/ ١٦٨, ١٧٨/١, ١٩٨/١, ٢٦٢/١, ٢٧٤/١, ٢٧٧/١, ٢٨١/١, ٣١٦/١, ٣٦٩/١, ٤٠٧/١, ٤٠٩/١ , ٤٢٢/١ , ٤٢٩/١ , ٣٩/٢, ٤١/٢, ٦٧/٢, ٢ /٧٣, ٩٨/٢ , ١٤٦/٢, ٢ / ١٤٧, ٢/ ٣٧٠, ٤٠٣/٢, ٢.

(٩٤) ينظر الكتاب :٣/ ١٨٠.

(٩٥) نفسه :٣/ ١٨٦.

(٩٦) ينظر: المقتضب:٣/ ٢٨٧.

(٩٧) ينظر: منازل الحروف ص: ٦٠.

(٩٨) روح المعاني :١/ ١٣١ شرح الرضي ١٣٤٨/٢

(٩٩) مغني اللبيب ص: ٦٣-٦٤

(١٠٠) روح المعاني :١/ ١٣١ .

(١٠١) ينظر: معاني النحو :٤/ ٢٣٣-٢٣٤.

(١٠٢) الجنى الداني ص: ٥٣٠، شرح ابن الناظم ص: ٣٨٠.

(١٠٣)ذهب النحويون إلى أن مركبة , ينظر: الكتاب:٣/ ٣٣٢،و شرح ابن الناظم ص: ٣٨٠ , وشرح ابن يعيش :٥/ ٢١، وهمع الهوامع :٣/ ٢١٠ , الا أبا حيان إلى أنها بسيطة .على أصلها ارتشاف الضرب :٤/ ١٩٩٣.

(١٠٤)حرف من حروف العطف، عند أكثر النحويين هكذا نقل ابن الجنى نقل عن يونس، وأبي علي، وابن كيسان وابْن مَالك و المرادي . الجنى الداني ص: ٥٢٨-٥٢٩.

(١٠٥)شرح المكودي ص: ١٤ , وينظر في مواطن أخرى: ص:٢٩, ص: ٣١, ص:٣٣ , ص: ١٣٢, ص: ١٧٧ , ص:٢٢٢ , ص:٢٢٦ , ص: ٣٠٩ , ص: ٣٥١ , ص: ٣٨٠.

(١٠٦)شرح شذور الذهب للجوجري :١/ ١٤٢, وينظر في مواطن أخرى:١/ ١٦٦, ١/ ٢١٥, ١/ ٢٣٣, ١/ ٢٨٤, ١/ ٢٨٧, ١/ ٢٨٨, ١/ ٢٩٦, ١/ ٣٠١, ١/ ٣٤٥, ٢/ ٤٢٤, ٢/ ٤٥٨, ٢/ ٤٦٧, ٢/ ٤٦٩, ٢/ ٤٧٠, ٢/ ٤٩٠, ٢/ ٥١٣, ٢/ ٥٢٩, ٢/ ٥٣٠, ٢/ ٦٠٣, ٢/ ٦٢٧, ٢/ ٦٢٨, ٢/ ٦٥١, ٢/ ٦٥٦, ٢/ ٦٨٣, ٢/ ٦٩١, ٢/ ٦٩٩, ٢/ ٧٠٠, ٢/ ٧٠٣, ٢/ ٧٠٤, ٢/ ٧١٢, ٢/ ٧١٧, ٢/ ٧٥٠, ٢/ ٧٨٤, ٢/ ٧٨٦, ٢/ ٧٩٠, ٢/ ٨٠٣, ٢/ ٨٠٧, ٢/ ٨٠٨, ٢/ ٨٢٥, ٢/ ٨٢٦, ٢/ ٨٤٤ .

(١٠٧)شرح الأشموني:١/ ٢٤, وينظر في مواطن أخرى:١/ ٥٣ , ١/ ٧٧, ١/ ٨٠, ١/ ١٠٩, ١/ ١١٩, ١/ ١٤٧, ١/ ١٦٨, ١/ ١٨٦, ١/ ١٨٩, ١/ ١٩٢, ١/ ١٩٣, ١/ ٢١٦, ١/ ٢٤٦, ١/ ٣٠٤, ١/ ٣١٣, ١/ ٣٣٧, ١/ ٣٩٣, ١/ ٤١٤, ١/ ٤٢٤, ١/ ٤٤٧, ١/ ٥١١, ١/ ٥١٤, ٢/ ٢٧, ٢/ ٤٨, ٢/ ٥٧, ٢/ ١٥٤, ٢/ ١٧٩, ٢/ ٢١٦, ٢/ ٢٥١, ٢/ ٣١١, ٢/ ٣٢٠, ٢/ ٣٢٨, ٢/ ٣٧٦, ٣/ ٤١, ٣/ ٧٨, ٣/ ١٠٠, ٣/ ١٣٩, ٣/ ١٤٥, ٤/ ٩, ٤/ ١٠, ٤/ ٥٥, ٤/ ٧٤, ٤/ ١٠٠, ٤/ ١٠١, ٤/ ١٥٩ .

(١٠٨) شرح التصريح :١/ ٣٨-٣٩ وينظر في مواطن أخرى:١/ ٣٨ , ١/ ٣٩, ١/ ٦٦, ١/ ٩٧ , ١/ ١٠٢ , ١/ ١٠٣, ١/ ١٠٥, ١/ ١٠٧, ١/ ١٢٣, ١/ ١٢٧, ١/ ١٣٥, ١/ ١٤٢, ١/ ١٤٦, ١/ ١٥٠, ١/ ١٦٨, ١/ ١٧٢, ١/ ١٨٠, ١/ ١٨١, ١/ ٢٠٣, ١/ ٢٨٠, ١/ ٢٨٢, ١/ ٢٩٤, ١/ ٣١٤, ١/ ٣٣١, ١/ ٣٤٥, ١/ ٣٥٥, ١/ ٣٩٧, ١/ ٤١٩, ١/ ٤٧٠, ١/ ٤٧٥, ١/ ٥٦٥, ١/ ٥٩٩, ١/ ٦٠٦, ١/ ٦١٩, ١/ ٦٢٣, ١/ ٦٤٩, ١/ ٧٠٠, ١/ ٧١٠, ١/ ٧٢٧, ١/ ٧٣٤, ١/ ٧٣٧, ٢/ ٤, ٢/ ٥٣, ٢/ ٥٦, ٢/ ٧٧, ٢/ ١٠٥, ٢/ ١٠٧, ٢/ ١١٥, ٢/ ١٦٦, ٢/ ١٧٠, ٢/ ٢١٤, ٢/ ٢٣٢, ٢/ ٢٣٧, ٢/ ٢٦٠, ٢/ ٣٢٢, ٢/ ٣٢٣, ٢/ ٣٤١, ٢/ ٣٥٠, ٢/ ٣٦٧, ٢/ ٤٠٦, ٢/ ٤٢٤, ٢/ ٤٣٢, ٢/ ٤٨٧, ٢/ ٤٩٤, ٢/ ٤٩٥, ٢/ ٥٩٨, ٢/ ٦١٠, ٢/ ٦٤٥, ٢/ ٦٤٦, ٢/ ٦٤٧, ٢/ ٦٦١, ٢/ ٦٧٠, ٢/ ٦٩٣, ٢/ ٦٩٨, ٢/ ٧٠٦, ٢/ ٧٣٤.

(١٠٩)همع الهوامع :١/ ٢٥ وينظر في مواطن أخرى:١/ ٥٢, ١/ ٥٣, ١/ ٩٨, ١/ ١١٢, ١/ ١٣٣, ١/ ١٥١, ١/ ١٨٧, ١/ ٢٨٥, ١/ ٣٠٣, ١/ ٣٧٢, ١/ ٣٨١, ١/ ٣٨٢, ١/ ٥٠٣, ١/ ٥١٣, ١/ ٥١٤, ١/ ٥٣٤, ١/ ٥٤٥, ٢/ ١٥, ٢/ ٥٠, ٢/ ١٠٠, ٢/ ١٣٧, ٢/ ١٤٥, ٢/ ١٧٤, ٢/ ٢١٥, ٢/ ٢١٨, ٢/ ٢٩٤, ٢/ ٣١٧, ٢/ ٣٢٤, ٢/ ٣٢٨, ٢/ ٣٤١, ٢/ ٤١٣, ٢/ ٤٣٣, ٢/ ٤٥٢, ٢/ ٤٨٧, ٢/ ٥٠٣, ٢/ ٥٥٢, ٢/ ٥٦٥, ٢/ ٥٨٠, ٢/ ٥٩٢, ٣/ ٩, ٣/ ١٣, ٣/ ١٠٥, ٣/ ١٤١, ٣/ ١٩١, ٣/ ٢٠٠, ٣/ ٢٥٦, ٣/ ٢٧١, ٣/ ٢٩٥, ٣/ ٢٩٧, ٣/ ٢٩٩, ٣/ ٣٥٥, ٣/ ٣٧٧, ٣/ ٣٧٧, ٣/ ٤٦٥, ٣/ ٤٦٦, ٣/ ٤٧٨, ٣/ ٥٠٤.

(١١٠)ينظر: المقتضب :٣/ ٢٨ , منازل الحروف ص: ٥٧ اللمع ص: ٩٥،والجنى الداني ص: ٥٣٢ .

(١١١) انظر الى الآيات (البقرة: ٢٦) , (آل عمران: ٥٨،١٠٦) , (النساء: ١٧٣) ،(الأعراف: ١١٦, ٢٠٠) ،(الأنفال: ٥٨) ،(التوبة: ١٠٦,) , (الكهف: ٨٦) , (مريم: ٧٥) , (طه: ٦٥) ،(محمد: ٤) , (الإنسان: ٣) .

(١١٢)الجنى الداني ص: ٥٣٢ .

(١١٣)ينظر: معاني القرآن للفراء :١/ ٣٨٩- ٣٩٠.

(١١٤) ينظر: الخزانة :١١/ ٧٨.

(١١٥) من الآية ٢٤ من سورة سبأ. منسوبة إلى أبي رضي الله عنه , مختصر ابن خالويه ص:١٢٣-١٢٣, معاني القرآن للفراء :١/ ٣٩٠, معجم القراءات الخطيب ٣٧٠/٧ .

(١١٦)البيت من الطويل, وهو للأخطل في الدرر ٦/ ١٣٢؛ وليس في ديوانه؛ وبلا نسبة في الجنى الداني ص ٥٣١؛ والدرر ٤/ ١٠؛ وهمع الهوامع ١/ ٢٤٥ ٢/ ١٣٥.

(١١٧)التسهيل ص: ١٧٦, وينظر :شرح التسهيل:٣/ ٣٦٦ .

(١١٨)المساعد :٢/ ٣٦.

(١١٩) ينظر : التذييل والتكميل :٩/ ١٣٩.

(١٢٠) التذييل والتكميل :٩/ ١٣٩.

(١٢١)ينظر :شرح التسهيل:٣/ ٣٦٦ , المساعد :٢/ ٣٦.

المصادر:

القران الكريم.

١) ارتشاف الضرب من لسان العرب : أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (٧٤٥ هـ) تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد مكتبة الخانجي بالقاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

٢) أسرار العربية أبو البركات، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، كمال الدين الأنباري (٥٧٧هـ) دار الأرقم بن أبي الأرقم الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م .

٣) الأصول في النحو أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (٣١٦هـ) المحقق: عبد الحسين الفتلي مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت

٤) إعراب القرآن للباقولي عراب القرآن المنسوب للزجاج , أبو الحسن علي بن الحسين بن علي نور الدين جامع العلوم الأصْفهاني الباقولي (نحو ٥٤٣هـ) تحقيق ودراسة: إبراهيم الإبياري دار الكتاب المصري – القاهرة ودار الكتب اللبنانية – بيروت .الطبعة: الرابعة – ١٤٢٠ هـ.

٥) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، شرحه وكتب هوامشه عبد مهنّا وسمير جابر، دار الكتب العلميّة، بيروت الطبعة الاولى ١٤٠٧هـ.

٦) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي،(ت: ٧٤٥ هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت، ط ١٤٢٠ هـ.

٧) تاج العروس من جواهر القاموس أبو الفيض، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزّبيدي (١٢٠٥هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين دار الهداية .

٨) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل أبو حيان الأندلسي المحقق: د. حسن هنداوي دار القلم – دمشق (من ١ إلى ٥)، وباقي الأجزاء: دار كنوز إشبيليا الطبعة: الأولى

٩) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. للعلامة ابن مالك. تحقيق د/ محمد كامل بركات. دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ.

١٠) تهذيب اللغة حمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م .

١١) توضيح المقاصد والمسالك والمسالك بشرح ألفية ابن مالك أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (٧٤٩هـ) تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان , دار الفكر العربي الطبعة : الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م,

١٢) الجمل في النحو. لأبي القاسم الزجاجي. تحقيق د/ على توفيق الحمد. مؤسسة الرسالة بيروت. الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ.

١٣) الجنى الداني في حروف المعاني، لابن أم قاسم المرادي. تحقيق د/ فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل. دار الآفاق الجديدة بيروت. الطبعة ١٤٠٣ هـ.

١٤) حاشية الصَّبّان على شرح الأشموني لألفيّة ابن مالك أبو العرفان محمد بن علي الصَّبّان الشافعي: دار الكتب العلميّة، بيروت،

الطبعة الاولى ، (١٩٩٧ م).
١٥) الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل لأبي محمد عبدالله البطليموسي (ت٥٢١ هـ (تحقيق سعيد عبد الكريم سعودي دار الطليعة بيروت.
١٦) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، للشيخ عبد القادر البغدادي، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، مطبعة المدني القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
١٧) درة الغواص في أوهام الخواص، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري،(ت: ٥١٦ هـ)، المحقق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ.
١٨) ديوان الأخطل التغلبي. دار إحياء التراث العربي بيروت.
١٩) الدرر اللوامع على همع الهوامع، للشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي، تحقيق د/ علي سالم مكرم، دار البحوث العلمية الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ.
٢٠) رسالة الغفران. أبو العلاء المعري: تحقيق د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) ، الطبعة السادسة ، دار المعارف، القاهرة.
٢١) زينة العرائس زينة العرائس من الطرف والنفائس في تخريج الفروع الفقهية على القواعد النحوية لابن المبرد يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي الصالحي الحنبلي جمال الدين تحقيق رضوان بن مختار بن غربية دار ابن حزم الطبعة الاولى ١٤٢٢– ٢٠٠١.
٢٢) عمدة الكتاب أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد (٣٣٨هـ) تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي دار ابن حزم – الجفان والجابي للطباعة والنشر الطبعة: الأولى ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.
٢٣) سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرين شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م .
٢٤) سفر السعادة وسفير الإفادة علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (٦٤٣ هـ) تحقيق: د. محمد الدالي دار صادر الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م
٢٥) شرح ابن الناظم شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك (ت ٦٨٦ هـ) تحقيق : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
٢٦) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه الطبعة : العشرون ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م .
٢٧) شرح أبيات سيبويه، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو محمد السيرافي، ت: ٣٨٥ هـ، تحقيق: د. محمد علي الريح هاشم، ، مكتبة الكليات الأزهرية– دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – مصر، ١٣٩٤ هـ.
٢٨) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د. ت) .
٢٩) شرح التسهيل، لابن مالك، تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيّد والدّكتور محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الاولى ١٤١٠هـ.
٣٠) شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري، زين الدين المصري، يعرف بالوقاد، (ت: ٩٠٥ هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٢١ هـ.
٣١) شرح الكافية الشافية، لابن مالك تحقيق د/ عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، نشر مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ.
٣٢) شرح المكودي على الألفية في علمي النحو والصرف أبو زيد عبد الرحمن بن علي المكودي (٨٠٧ هـ) تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي المكتبة العصرية، بيروت – لبنان.
٣٣) شرح درة الغواص في أوهام الخواص أحمد بن محمد الخفاجي المصري تحقيق: عبد الحفيظ فرغلي علي قرني دار الجيل، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م
٣٤) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجوجري القاهري الشافعي (٨٨٩هـ) تحقيق: نواف بن جزاء الحارثي عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى،

١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م.
٣٥) شرح شواهد الإيضاح، لأبي عليّ الفارسي، لابن برّيّ، تحقيق الدكتور عيد مصطفى درويش، الهيئة العامّة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٥هـ.
٣٦) شرح المُفَصَّل للزمخشري، أبو البقاء، يعيش بن علي بن يعيش ، موفق الدين الأسدي الموصلي، (٦٤٣هـ) تحقيق: إميل يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى ، (٢٠٠١ م) .
٣٧) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢ هـ
٣٨) ضرائر الشعر لابن عصفور، تحقيق السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.
٣٩) فتح المتعال على القصيدة المسماة بلامية الأفعال، حمد بن محمّد الراقي الصعيدي المَالِكي، ت: نحو ١٢٥٠ هـ، تحقيق: إبراهيم بن سليمان البعيمي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٧ هـ – ١٤١٨ هـ
٤٠) الكتاب، لسيبويه، تحقيق عبد السّلام هارون مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.
٤١) كلمة (بعض) في الدرس النحوي دلالتها وأحكامها . أ.د / محمد محمد أحمد عبدالباري مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية العدد الخامس والثلاثون –إصدار ديسمبر ٢٠٢٠م .
٤٢) لسان العرب، لابن منظور محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، الأنصاري الرويفعى الإفريقي (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.
٤٣) اللمع في العربيّة، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافيّة، الكويت، (د ت).
٤٤) مختصر في شواذّ القراءات، لابن خالويه، نشره برجستراسر، دار الهجرة، (د. ت) .
٤٥) المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل، تحقيق د. محمّد كامل بركات، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٠هـ. (من مطبوعات مركز البحث العلميّ وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أمّ القرى) .
٤٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (نحو ٧٧٠هـ) المكتبة العلمية – بيروت .
٤٧) معاني القرآن، للفراء، تحقيق محمّد عليّ النّجار وأحمد نجاتي، الدّار المصرية للتّأليف والترجمة، القاهرة، (د. ت) .
٤٨) معاني النحو، فاضل صالح السامرائي دار الفكر، عمان، الطبعة الأولى، (٢٠٠٠ م).
٤٩) معجم القراءات عبد اللطيف الخطيب دار سعد الدين لطباعة والنشر ٢٠٠٢ م ١٤٢٢هـ.
٥٠) مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق الدّكتور مازن المبارك ومحمّد عليّ حمد الله، دار الفكر، بيروت الطبعة: السادسة، ١٩٨٥.
٥١) المفصل في علم العربية، لجار الله الزمخشري، دار الجيل بيروت، الطبعة الثانية.
٥٢) مقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ «شرح الشواهد الكبرى» بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني (٨٥٥ هـ) تحقيق: أ. د. علي محمد فاخر، وصاحبيه دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – مصر الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م
٥٣) المقتضب، للمبرّد، تحقيق محمّد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب بيروت، (د. ت) .
٥٤) منازل الحروف علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني (٣٨٤هـ) تحقيق: إبراهيم السامرائي الناشر: دار الفكر – عمان.
٥٥) النحو الوافي. عباس حسن ، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة.
٥٦) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت: ٩١١ هـ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة التوفيقية – مصر.

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

التحالف السياسي والعسكري بين السلطان الايوبي الصالح إسماعيل والقوى الصليبية

أ.م. د. طارق عودة مري التميمي
جامعة الإمام الصادق (عليه السلام) كلية الآداب

المستخلص:
يهدف هذا البحث إلى دراسة العلاقة المتشنجة بين أبناء البيت الايوبي في زمن السلطان الناصر إسماعيل ، واثر الصراع السياسي والعسكري على علاقاتهم مع القوى الصليبية ، مع بيان ما نتج عن هذا الصراع من تحالفات سياسية واقتصادية اثمرت نتائجها لصالح الصليبيين ، ومن اهما تنازل الناصر إسماعيل عن اغلب مدن بلاد الشام بما فيها القدس ، فضلا عن اغرائهم بالتنازل عن جزء من مدن مصر في حالة سيطرته عليها ، إضافة إلى استعراض مواقف القوى الإسلامية الأخرى من هذه التحالفات والنتائج المترتبة عليها وبيان حالة التذمر والاحتجاج بين صفوف العلماء ورجال الدين وباقي أبناء المسلمين . مما اضعف موقف الصالح إسماعيل وانهى مستقبله السياسي، في حين قوة موقف خصمه نجم الدين أيوب، الذي نجح في إعادة توحيد الصف الإسلامي. وتحرير بيت المقدس وتوحيد البيت الايوبي في مصر والشام تحت سيطرته، وقد قسم البحث الى مقدمة ثلاث مباحث وخاتمة.

الكلمات المفتاحية:الايوبيين، الصالح إسماعيل ، الملك العادل، ، الصليبيين ، فردريك الثاني ،دمشق ، مصر

Abstract:

This research aims to examine the tense relationship among the Ayyubid princes during the reign of Sultan al-Nasir Isma›il and the impact of political and military conflicts on their interactions with the Crusader forces. It highlights the political and economic alliances that emerged as a result of these struggles, which ultimately benefited the Crusaders. One of the most significant outcomes was al-Nasir Isma›il's concession of most cities in the Levant, including Jerusalem, as well as his willingness to cede part of Egypt if he managed to seize control of it. Additionally, the study reviews the stance of other Islamic powers regarding these alliances and the subsequent repercussions, particularly the widespread resentment and protests among scholars, religious figures, and the Muslim populace. This discontent weakened the political standing of al-Salih Isma›il, leading to the end of his political career. Meanwhile, his rival, Najm al-Din Ayyub, gained strength, successfully reunified the Islamic front, liberated Jerusalem, and consolidated Ayyubid rule over Egypt and the Levant under his authority.

The research is structured into an introduction, three main sections, . and a conclusion.

Keywords: Ayyubids, As-Salih Ismail, Al-Malik Al-Adil, Crusaders, Frederick II, Damascus, Egypt

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين النبي محمد صلى الله عليه وآله وصحبه الاخيار النجباء ..

من المعروف ان العلاقات الصليبية الايوبية هي استمرار لحالة الصراع الدائم بين القوى الإسلامية التي يمثلها الأيوبيين والقوى الصليبية التي كان يقودها الامراء تحت غطاء وشرعية البابوية بحجة الدفاع عن بيت المقدس ،

لكن اغلب الامراء الصليبيين انحرفوا عن اهداف الكنيسة وطمعوا بخيرات بلاد الشام ،فحاول قادة المسلمين ومنهم الأيوبيين الوقوف بوجههم وطردهم من المنطقة ، ولم تتوقف محاولات الصليبيين لإعادة امجادهم مستغلين حالة التناحر والاختلاف بين أبناء البيت الايوبي وجهزوا حملات صليبية باتجاه مصر وبلاد الشام وتونس نتج عنها تحالفات سياسية اثرت على طبيعة العلاقات الإسلامية الصليبية.

لذا تعتبر فترة حكم الصالح إسماعيل واحدة من أكثر الحقب تعقيدا في تاريخ العلاقات الصليبية الأيوبية. ففي هذه الفترة، تداخلت التحديات السياسية والعسكرية مع الانقسامات الداخلية في البيت الأيوبي وهي استمرار لفترة الصراع الداخلي الايوبي، ومن أبرز الأحداث التي ميزت تلك المرحلة قيام السلطان إسماعيل بتحالف مثير للجدل مع القوى الصليبية بهدف تقوية موقفه ضد حاكم مصر نجم الدين أيوب ،مما اضطره الى التحالف مع القوى الصليبية لتقديم الدعم العسكري له مقابل تنازله عن اغلب مدن الشام بما فيها القدس ولم يكتفي بذلك بل وعدهم بالتنازل عن مناطق في مصر في حالة انتصاره على سلطانها الايوبي. وقد أثارت هذه التحالفات ردود فعل قوية من مختلف القوى الإسلامية، بما في ذلك العلماء ورجال الدين والعامة، الذين رأوا فيها تفريطًا بمقدسات المسلمين وتعارضًا مع مبادئ الجهاد الإسلامي ضد الغزو الصليبي.

بناء على ذلك، يهدف هذا البحث إلى دراسة أبعاد هذا التحالف السياسي والعسكري ، وتحليل أسبابه ودوافعه، وبيان مدى تأثيره على موازين القوى المنطقة ، فضلا عن استعراض مواقف القوى الإسلامية من هذه التحالفات، وبيان تأثيرها على مستقبل الدولة الأيوبية والصراع الإسلامي الصليبي في المنطقة. وقد اقتضت ضرورة البحث ان يقسم الى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة تحدثت في المبحث الأول عن ظهور الدولة الأيوبية على المسرح السياسي والصراعات السياسة بين أبناء صلاح الدين الايوبي مؤسس الدولة التي دفعت الملك العادل للتنازل عن بيت المقدس الى الصليبيين .

اما المبحث الثاني فقد تناولت فيه فترة حكم الصالح إسماعيل لمدينة دمشق وتحالفاته مع القوى الايوبية في الشام من اجل السيطرة على مصر .

وخصصت المبحث الثالث لتحالف القوى الشامية مع الصليبيين لغزو مصر وطرد نجم الدين أيوب منها ، وما نتج عن هذا التحالف من خسائر لمعسكر الشام والصليبيين في معركة غزة .

واطلعت على مجموعة من المصادر والمراجع التي ساهمت في اثراء البحث بالمعلومات منها كتاب ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، وكتاب سبط بن الجوزي، مرآة الزمان ، وكتاب أحمد بن إبراهيم الحنبلي ، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب وكتاب شمس الدين الذهبي سير اعلام النبلاء، وغيرها من المصادر فضلا عن الاستعانة بمجموعة من المراجع منها ما كتبه سعيد عبد الفتاح عاشور في كتابه الايوبيين والمماليك في مصر والشام ، وكتاب حامد زيان علي ، الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية وغيرها من المراجع التي اغنت البحث بالمعلومات ، وبناء على ما تقدم فان هذا البحث يسعى الى تقديم رؤية علمية تسهم في اثراء المكتبة الاكاديمية ،وان يكون مرجعا مفيدا للباحثين والمهتمين .

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في دراسة دوافع هذا التحالف وأسبابه، ومدى تأثيره على موازين القوى السياسية والعسكرية في بلاد الشام، فضلًا عن تحليل ردود الفعل الإسلامية اتجاهه، وانعكاساته على مستقبل الدولة الأيوبية والصراع الإسلامي الصليبي .

المبحث الأول : ظهور الدولة الأيوبيه على المسرح السياسي

اسقط الايوبيين الدولة الفاطمية ، التي كانت تضم كلا من الحجاز ، ومصر، وبلاد الشام ، وشمال افريقيا ، وصقليا .ومن الاسباب التي عجلت بسقوطها وصول مجموعة من الحكام الضعفاء الذين تركوا امور البلاد تدار من قبل

وزرائهم الذين كان اغلبهم يبحثون عن مصالحهم الشخصية على حساب مصلحة الدولة(١).

فضلا عن حالة التنافس والتناحر بين الامراء لدرجة الاقتتال العسكري ، كما فعل الوزير ضرغام الذي استنجد بالصليبيين واغراهم بدفع الاموال وطلاق ايديهم في بعض المناطق الاستراتيجية مقابل نصرته على منافسه الوزير شاور، الذي استنجد بدوره بنور الدين محمود الزنكي مقابل اعطائه ثلث خراج مصر(٢).

ونتيجة لهذه الاحداث ساءت احوال العباد والبلاد ، مما دفع نور الدين محمود حاكم الشام الى ارسال قوة عسكرية ، بقيادة اسد الدين شيركوه ويساعده ابن اخيه صلاح الدين الايوبي ، فتمكنوا من دخول القاهرة في سنة ٥٦٤هـ ، واصبح اسد الدين حاكم مصر لمدة شهرين وبعدها وافاه الاجل ، وخلفه ابن اخية صلاح الدين الايوبي(٣).

الذي تمكن من اسقاط الدولة الفاطمية واعلان الدولة الايوبية التي حكمت مصر ، وبلاد الشام ، والحجاز ، واليمن وبعض اجزاء من بلاد المغرب العربي ، والتي تغلبت على اعدائها في الداخل والخارج ، والمتمثلين بالقوى الاسلامية في بلاد الشام فضلا عن بقايا الفاطميين في مصر، ومن الامور التي كانت تحسب للأيوبيين هو الانتصارات الكثيرة على اشرس عدو هدد البلاد الإسلامية وهم الصليبيين(٤).

اولا : الصراعات الداخلية واثرها على الخارطة السياسية للدولة الايوبية

قبيل وفاة السلطان صلاح الدين الايوبي قسم اراضي سلطنته بين أبنائه واخوته وجعل المناطق الحيوية تحت سلطة اولاده، في حين ترك لأخوته المناطق الاقل اهمية ، مما تسببت هذه القسمة بإحداث مشاكل كبيرة بين ابناء البيت الايوبي ، جاعلاً ادارة الدولة من نصيب ابنه الملك الأفضل حاكم دمشق ، الذي اصبح صاحب الكلمة العليا على الجميع، رغم ماكان يوصف به من ضعف وقلة تدبير فضلا عن انغماسه في الملذات الشخصية والهو(٥).

مما دفعه الى الاعتماد على الوزير ضياء الدين ابن الاثير اخ المؤرخ ابن الاثير الجزري ، الذي عمل على ازاحة جميع المستشارين والمقربين الذين كانوا يعملون في البلاط الايوبي ايام صلاح الدين، مما اثار حفيظتهم فهروب اغلبهم الى مصر والاستنجاد بحاكمها الملك العزيز عثمان ، الذي كان يعد العدة للهجوم على دمشق وطرد اخيه الملك الافضل منها(٦).

لكن الاخير استنجد بعمه الملك العادل اخ الناصر صلاح الدين الايوبي ، والذي كان يتحين الفرص للخلاص من ابناء اخيه ،لكن الوقت لم يكن في صالحه في تلك المرحلة ، مما دفعه الى لعب دور المصلح بين الاطراف المتناحرة ، وبتأثير من الوزير ضياء الدين اندفع الملك الافضل باتجاه الحرب . طلباً العون والمساعدة من اخوته ملوك حلب ، وحماه ،وحمص ،وبعلبك ، فاستجاب الجميع لنداء الملك الافضل ، وحينما ادرك العزيز عثمان صاحب مصر عدم قدرته على هزيمة الخلف الايوبي ، وبتأثير من عمه الملك العادل انسحب الى مرج الصفرة ، مقابل تخلي الملك الافضل عن بيت المقدس لصالح اخيه الملك العزيز(٧).

وبعد الانتهاء من هذه الاحداث رجع الملك الافضل الى سابق عهده بانشغاله بأمور الهو ، فاحتجب عن العامة وسمي (بالملك النوام)، فضلا عن تفويضه جميع الصلاحيات الادارية الى وزيره ضياء الدين(٨).

ونتيجة لهذه السياسة ساءت احوال البلاد كثيرا، مما دعا بعض الامراء وقادة الجيش الى مراسلة صاحب مصر وطلبوا منه القدوم اليهم لاستلام دمشق وطرد الافضل منها ، فراسل الاخير عمه الملك العادل ودعاه الى السير نحو دمشق وادارها بالنيابة عن الملك الافضل(٩).

ومن هنا بدأت الابواب تفتح امام الملك العادل لتنفيذ مخططه في السيطرة على الدولة الايوبية ومحاولة ارجاعها الى سابق عهدها ، ولما استقر الوضع العام في دمشق لصالح الملك العادل باعتباره النائب عن الأفضل بدأ بتنفيذ افكاره من اجل توحيد الدولة تحت سيطرته ، فبدأ اولا بأثارة المشاكل لحاكم مصر من خلال دعمه للجميع المعارضين له ، بحيث راسل سراً امراء الاسدية والاكراد ، الذين كانوا على خلاف مع ملك مصر، طالبا منهم التمرد واعلان العصيان ، في حين راسل الملك العزيز يحذره من نواياهم ويطلب منه القضاء عليهم(١٠).

وقد نتج عن هذه الحركة مشاكل داخلية اضعفت موقف العزيز كثرا ، وفتحت الباب امام الملك العادل لتجهيز قوة عسكرية وتنحية العزيز عن عرش مصر ، وتعين الافضل محلة مقابل تنازل الاخير له عن دمشق ، لكن هذا الاتفاق لم يرى النور، بسبب خوف العادل من تقوية مركز الافضل وبالتالي عدم تنازله عن دمشق(١١).

مما دفع العادل الى التفكير بطريقة اخرى وهي ترك دمشق للأفضل والتوجه بنفسه الى مصر لمساعدة حاكمها في تسير امور البلاد وتقوية مركزه فيها ، وعندما شعر العزيز بخطر ونوايا العادل حاول إقناعه بتجهيز جيش والتوجه نحو دمشق لا سقاط الافضل وتسليم المدينة الى العادل ،وفعلا تمكن الجميع من دخول دمشق وطرد الافضل الى صرخد واجلاس العادل محله(١٢).

وفي هذه الاثناء استغل الصليبين حالة التناحر بين ابناء البيت الايوبي وجهزوا حملة عسكرية لاحتلال بلاد الشام في سنة (٥٩٣هـ – ١١٩٧م)، سميت بالحملة الصليبية الثالثة والتي كانت بقيادة هنري السادس، مما دفع العادل الى طلب العون من حاكم مصر وباقي مدن الشام وجهز الجميع قوة عسكرية استطاعوا بها من رد التعرض الصليبي ، وطردهم من يافا وتينين ، وباقي مدن الساحل.

ثانياً:الظروف السياسية للدولة الأيوبية بعد تولي الملك العادل عرش السلطنة

في سنة (٥٩٤هـ – ١١٩٨م)، توفى العزيز حاكم مصر وخلفه ولده الصغير الملك المنصور ، مما دفع العادل الى القدوم الى مصر ونصب نفسه وصيا على عرشها ، لكن هذا الوضع لم يدم طويلا ، فعزل المنصور ، واعلن نفسه حاكما لمصر ودمشق، وبايعه رجال الدين واغلب العلماء ، وعامة الناس ، وبقى هناك حتى رتب امور مصر ورحل الى الشام، تاركا ولده الكامل ناصر الدين محمد نائبا عنه في ادارة المدينة(١٣).

وهنا شعر اغلب ابناء البيت الايوبي منهم الملك المنصور صاحب حماه ، والملك الظاهر صاحب حلب وغيرهم ، بقوة العادل مما دفعهم الى تقديم الولاء والطاعة له فضلا عن ذكر اسمه في خطبة الجمعة وضرب السكة باسمه ، وتقديمهم العون والنصرة له في حالة تعرضه لأي خطر داخلي او خارجي ، مقابل تعهده لهم بالبقاء في حكم مناطقهم ، وبذلك اصبحت السلطة العليا للدولة الايوبية بيد العادل حتى وفاته في سنة ٦١٥هـ – ١٢١٨م (١٤).

ثالثاً: تجدد الصراع بين الايوبيين بعد وفاة الملك العادل

عندما توفى الملك العادل وخلفه اولاده الكامل محمد الذي تولى امر مصر والمعظم عيسى حاكماً على دمشق، والاشرف موسى على حران . عمل الجميع في بداية الامر على توحيد جهودهم لصالح الدولة الايوبية ، لكن هذا التوافق بين الاخوة لم يدم طويلا ، وسرعان ما دب الخلاف بينهم وبالخصوص عندما استغل السلطان المعظم عيسى الظروف السياسية التي تمر فيها الدولة الأيوبيه فشن هجوم عسكري على املاك ابناء عمومته وضمها الى املاكه ، ودبر مكيدة الى اخيه السلطان الاشرف موسى حاكم حران اثناء زيارته لدمشق ،فسجنه ولم يطلق سراحه الابعد تعهد الاخير بالتنازل عن املاكه في حمص وحماة، وتعهدته بتقديم العون والمساعدة للسلطان المعظم في حالة شن هجوم عسكري على املاك اخيهم السلطان الكامل حاكم مصر(١٥).

وبمجرد خروج الاشرف موسى من دمشق نقض العهد بينه وبين اخيه واتصل بحاكم مصر وكونوا حلفا عسكريا وطلبوا مساعدة الامبراطور الصليبي فرد ريك الثاني(١٦).

وفعلاً تم الاتفاق مع الصليبين ضد اخيهم السلطان المعظم عيسى مقابل تنازل السلطان الكامل محمد عن بيت المقدس وبعض مناطق الساحلية لبلاد الشام ، ولما شعر السلطان المعظم بالخطر اتصل بالخوارزميين وطلب مساعدتهم في حربه ضد اخويه ، وفعلا حشد الفريقين قواتهم العسكرية واستعدوا للحرب ، لكن وفاة السلطان المعظم غيرت موازين القوى ، لصالح اخوته مما اتاح لهم تقاسمون املاكه في ما بينهم(١٧).

ومع تغير الظروف السياسية وزوال خطر التقاتل بين الاخوة ، لم يستطيع السلطان الكامل محمد من الافلات من بنود الاتفاق مع الامبراطور الصليبي فريد ريك الثاني ، والذي كان بدوره يعاني من مشاكل داخلية منها اصدار

الكنيسة امر الحرمان ضده باعتباره رافضا تجهيز حملة عسكرية ضد المسلمين واسترجاع بيت المقدس منهم(١٨).
وفي خضم هذه الظروف المعقدة توصل الفريقين الى عقد اتفاقية يافا ، التي اقر بموجبها عقد هدنه ما بين الطرفين لمدة عشر سنوات ويتهد السلطان الكامل محمد الايوبي بتسليم بيت المقدس الى الصليبيين مقابل تعهدهم بحمايته ضد اي خطر وان كان من قبل قوة صليبية أخرى(١٩).

رابعاً: تنازل السلطان الكامل محمد عن القدس الشريف

تنازل الملك الايوبي الكامل عن مدينة القدس الشريف الى الصليبين وفق المعاهدة التي تمت بينه وبين فردريك الصليبي وأصبحت الإدارة العامة للمدينة بأيدي الصليبين ، وبذلك منع الكامل رفع الاذان في المدينة مجاملتا للصليبيين ، فضلا عن قيامه بسجن اغلب علماء المسلمين المعارضين لعملية التنازل، ولم يكتفي بهذه الإجراءات بل سجن اهم قادة الجيش ومنهم سيف الدين بن ابي زكريا الذي نصحه بعدم تسليم المدينة ، وقمع المظاهرات التي قامها سكان المدينة المعارضين لسياسة الكامل(٢٠).

بالرغم من كثرة احتجاجات رجال الدين والعلماء وعامة الناس على موقف السلطان الكامل ، الا ان هناك مجموعة من الذين يسمون انفسهم بعلماء الدين كانوا يروجون الخطب والاقاويل التي تبرر موقف السلطان الايوبي بزعمهم ان هناك مصلحة عامة للمسلمين الا وهي دفع الضرر عن المسلمين ، ومن ابرز الذين ذهبوا الى القول القاضي ابن ابي الدم الحموي مبررا بقوله (كان طاغية الفرنجة وعظيمهم قد خرج بجمع كثير إلى الجزائر والسواحل، وخيف على بلاد الإسلام منهم، فاجتهد السلطان الملك الكامل في رأيه وصالحهم صلحا تاما رآه مصلحة للمسلمين وغنيمة لهم، فكان راعي هذه الأمة المحمدية، وسلطان الملة الإسلامية،...)(٢١).

ونتيجة لهذه الضغوطات التي مارسها السلطان الايوبي ضد السكان المحلين ، عم الهدوء النسبي بين ألمسلمين في القدس وبين الصليبيين وخاصة بعد استلام الملك الايوبي الناصر داود حكم الكرك ونابلس وجزء من أراضي القدس وتصالحه مع عمه الملك الكامل(٢٢)، وفي المقابل شهدت العلاقات الايوبية الصليبية نوع من التسامح الديني والعسكري حيث لم تسجل خلال هذه الفترة أي خروقات عسكرية بين الطرفين ويعود السبب الى الظروف الداخلية للصليبين والايوبيين على حد سوى وخاصة بعد تعرض الصليبين في القدس الى الفراغ السياسي بعد رحيل الملك فردريك الثاني عن المدينة وتركها من دون حاكم(٢٣).

اما الجانب الايوبي فقد انهكتهم الحروب الداخلية بين الاخوة وشعورهم بالخطر الخوارزمي القادم اليهم من المشرق مما دفعهم الى توحيد الصفوف والتفرغ لعدوهم الشاه جلال الدين الخوارزمي(٢٤).

بنود اتفاقية حيفا:

تم عقد الاتفاقية التي سميت باتفاق حيفا بين سلطان المسلمين المالك الكامل الايوبي وبين الصليبيين بقيادة الامبراطور الألماني فردريك الثاني والتي تنص على تسليم القدس للصليبيين مقابل تقديم الدعم والاسناد الى الملك الكامل في حربة مع اخوته ، ويمكن اعتبار هذه المعاهدة من اذل الاتفاقيات التي وقعها حاكم مسلم مع الصليبيين لما فيها من شروط مذلة للمسلمين(٢٥).

ويمكن ادراج اهم بنود هذه الاتفاقية بالنقاط التالية:

١- تسلم القدس الى الصليبيين شرط بقاء المدينة بدون تحصينات واسوار.
٢- يبقى الصليبيين في داخل القدس ولا يحق لهم الخروج من المدينة والاستيطان خارج اسوارها.
٣- تبقى القرى المجاورة للقدس كالبيرة والضاحية بيد المسلمين .
٤- يسمح للمسلمين بالدخول والخروج الى الحرم الشريف وقبة الصخرة تبقى الشعارات الإسلامية واضحة.
٥- يسمح للصليبيين بدخول الحرم الشريف لغرض الزيارة فقط.
٦- تدار القرى والمدن الممتدة على طريق القدس كيافا وعكا من قبل الصليبيين.

٧- يحافظ المسلمين على أرواح وممتلكات الحجاج الصليبيين الوافدين للحجرة بيت المقدس.

خامساً:التطورات السياسية بين تسليم القدس وتحريرها الثاني سنة ١٢٣٩م

يعتبر بيت المقدس من الأماكن المقدسة لدى أصحاب الديانات السماوية ، وتزداد أهميته لدى المسلمين بصورة عامة باعتباره اول القبلتين وثالث الحرمين ومسرى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم

ونتيجة لأهميته الدينية تنافس على ادارته والسيطرة عليه أصحاب تلك الأديان ، فقد فتحه المسلمون في زمن الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب ، للمرة الأولى عام ٦٣٧ م ، وبعدها بدا الحملات الصليبية بالتعرض الى المسلمين ومحاولة طردهم من بيت المقدس فضحى المسلمين بكل غال ونفيس من اجل المحافظة على البيت المقدس من ان تدنسه ايدي الكفر والالحاد، وتمكن الصليبيين من السيطرة على القدس عام ١٠٩٩م وبقيت تحت سيطرتهم حتى حررها صلاح الدين الايوبي عام ١١٨٧م ، وبقيت تحت ايدي المسلمين الى ان تنازل عنها الملك الايوبي الكامل محمد في عام ١٢٢٩م ، وبعد عشر سنوات من الاحتلال تمكن الملك الايوبي الناصر داود من تحرير المدينة من ايدي الصليبيين عام ١٢٣٩م – ٦٣٥هـ، وأصبحت المدينة تحت سيطرت المسلمين فتره قصيره حتى تنازل عنها السلطان الايوبي الناصر إسماعيل في عام ١٢٤٠م – ٦٣٦هـ ، فنعم الصليبيين بخيرات المدينة الا ان حررها الخوارزميين بالتحالف مع السلطان نجم الدين أيوب في عام ١٢٤٤م – ٦٤١هـ(٢٦).

بعد انقضاء الهدنة الموقعة بين السلطان الايوبي الكامل محمد والامبراطور الصليبي فردريك الثاني ، حاول الصليبيين مخالفة بنود الاتفاقية من خلال تكثيف جهودهم في بناء بعض الحصون والقلاع فضلا عن مد نفوذهم الى مناطق ، لذا قام السلطان الناصر داود بتجهيز بحملة عسكرية استطاع بها تدمير الحصون التي كان يحتمي فيها الصليبيون مما دفعهم الى اخلاء المدينة فحرر القدس من أيديهم سنة ٦٣٥ هـ

المبحث الثاني :الصالح إسماعيل سيرته ودوره السياسي والعسكري.

هو السلطان الملك الصالح عماد الدين أبو الخيش إسماعيل ابن الملك العادل محمد بن نجم الدين أيوب بن شاذي ، سادس ملوك الأيوبيين في دمشق وبصرى، وخامسهم في بعلبك ، وصفه شمس الدين الذهبي بانه شجاع، عنيد كثير البطش بأعدائه، مهيب جميل الوجه، شهما محسنا لحاشيته(٢٧).

حكم مدن بلعبك وبصرى وبعدها عمل مع أخيه الاشرف فلما توفى اخيه استولى على دمشق وحكمها لمرتين الأولى عام ١٢٣٧م –٦٤٣هـ ، مما اثار حفيظة اخوته وبالخصوص الملك العادل فجيش عليه الجيوش وانتزع دمشق من سيطرته وارجعه الى بعلبك ، لكنه رجع وسيطر عليها مرة أخرى مستغلا الظروف السياسية آنذاك وحكمها من عام ١٢٣٩م –٦٤٥هـ الى عام ١٢٤٢م –٦٤٨هـ(٢٨).

وقد اسره مماليك السلطان نجم الدين أيوب، اثناء قيادته لحملة عسكرية للسيطرة على مصر، وسجن في سجون القاهرة واخرجه ليلا وقتلوه سنة ٦٤٨هـ،١٢٥٠م ، واخفوا قبره ، وله مجموعة من الأولاد منهم المنصور محمود ، وعبد الملك الملقب بالسعيد ، وناصر الدين المعروف بالملك المسعود.

أولاً:الخلاف بين الصالح إسماعيل والايوبيين حول حكم دمشق

تعتبر مدينتي دمشق والقاهرة هما محور الخلاف بين أبناء البيت الايوبي لان من حكم دمشق سيطر على الشام كلها ، ومن حكم القاهرة سيطر على بلاد مصر بأجمعها، ومن حكم الاثنين اصبح سلطان البيت الايوبي وكبيرهم وصاحب اليد العليا على جميع امراء بلاد الشام والجزيرة ومصر ، لذا كانت دمشق تحت حكم السلطان الاشرف موسى فلما توفى في سنة ١٢٣٧م خلفه أخيه السلطان الصالح إسماعيل، مما اثار حفيظة السلطان الكامل حاكم مصر لكونه كان من الطامعين بتوحيد البيت الايوبي في مصر والشام تحت سطوته، فجهز حملة عسكرية بالتحالف مع ملك الناصر داود ملك الكرك واعدا إياه بتسليمه دمشق بعد اخذها من الصالح إسماعيل من فقام الأخير بحرق ضواحي المدينة لكي يمنع الجيش المصري من الاحتماء فيها ، ورغم هذه الإجراءات لم يتمكن الصالح إسماعيل من

حكم المدينة اكثر من شهرين ، فاضطر الى التنازل عنها والرجوع الى بعلبك . وتسليمها الى الكامل وبذلك اصبح الأخير سلطان مصر والشام(٢٩).

بعد ان تحقيق النصر للملك الكامل لم يوفي باتفاقه السابق مع الناصر داود ملك الكرك ، بتسليمه دمشق مما اثار غضبه ورجع الى امارته ، وفي هذه الاثناء توفى الملك الكامل فخلفه ابنه الملك العادل الثاني فاصبح حاكم مصر والشام لكنه لم يستقر في دمشق الا فترة قصيره ورجع الى القاهرة بعد ان عهد ادارة دمشق الى نائبا عنه هو الجواد ابن مودود ابن الملك العادل، مما اثار سخط أخيه نجم الدين أيوب حاكم الجزيرة باعتباره الاحق بملك ابية. والذي كان يطمح ان يكون كبير البيت الايوبي ويحكم باسمهم مصر وبلاد الشام ، فضلا عن انزعاج الملك الناصر داود الحليف الموعود في حكم دمشق(٣٠).

وبعد مفاوضات سرية بين الجواد ونجم الدين ايوب تنازل الأول عن حكم دمشق واصبح أيوب حاكما عليها مقابل إعطاء ولاية سنجار الى الجواد . ولم يلبث نجم الدين أيوب طويلا في دمشق فطمع بعرش مصر بعد تحالفه مع الناصر داود ، فرحل الى مصر لاستلام عرشها تاركا ابنه المغيث في حكم دمشق فاستغل الصالح إسماعيل الفرصة ودخل دمشق وسجن المغيث(٣١).

ثانياً: الصراع بين الصالح إسماعيل ونجم الدين أيوب

لم يكتفي نجم الدين أيوب بالسيطرة على دمشق ، بل كان يطمح ان يكون كبير البيت الايوبي ويحكم باسمهم مصر وبلاد الشام ،وتنفيذا لمخططه ترك دمشق تحت إدارة ولده المغيث وتوجه الى مصر، طالبا الدعم من الصالح إسماعيل حاكم بعلبك لكن الأخير بدا بالمماطلة وارسل ولده المنصور محمود مع قوه عسكرية صغيره لإيهام نجم الدين بدعمه في السيطرة على مصر، لكن الصالح إسماعيل كان يعد العدة للسيطرة على دمشق ، فشك أيوب بنواياه ، فارسل طبيبه سعد الدين بسفره الى بعلبك للتجسس على حاكمها وارسال الإجابات مع الحمام الزاجل الذي جلبه معه ، فعلم الصالح إسماعيل بما خطط له أيوب فستبدل الحمام بحمام اخر من داخل المدينة فكانت الرسائل المرسلة الى ايوب تصل الى حاكم بعلبك فيطلع عليها ويرسل غيرها على لسان الطبيب يبين فيها تمسك حاكم بعلبك بالاتفاق مع نجم الدين ايوب ،وفعل تمكن الصالح إسماعيل من تجهيز قوه عسكرية كبيرة فدخل دمشق وسجن حاكمها المغيث وكان هذا العمل إيذانا ببداية المشاكل بين الصالح إسماعيل ونجم الدين(٣٢).

وردا على هذه الاحداث تحالف نجم الدين أيوب مع الناصر داود حاكم الكرك واعدا إياه بحكم دمشق في حالة السيطرة على مصر وفعلا جهزا قوة عسكرية كبيره تمكنا بها من دخول مصر وطرد العادل الثاني منها(٣٣).

فلما استقر الامر لنجم الدين أيوب في مصر تنكر لوعوده السابقة مع الناصر داود مما اثار غضب الأخير ورجع الى الكرك، بعدها بدا بمراسلة الصالح إسماعيل واغرائه بالتحالف معه للإغارة على مصر وجعله كبير البيت الايوبي وحاكم مصر وبلاد الشام ، ومن اجل تحقيق هدفهم المشترك بالقضاء على سلطان مصر تحالفوا مع الصليبيين وقدموا لهم التنازلات واطلاق أيديهم في مدن بلاد الشام واهمها القدس ، مما دفع أيوب الى التحالف مع الخوارزميين لمواجه جيش الشام وحلفائهم .

ثالثاً: تحرير القدس على يد الخوارزميين

راسل السلطان نجم الدين أيوب الخوارزميين، وهم مجموعة من المحاربين الاشداء اسسوا الدولة الخوارزمية التي تحكم ايران واسيا الوسطى فأسقطها المغول بقيادة جنكيز خان ، هرب اغلب قادتهم مكونين قوه عسكرية ساهمت بالدفاع عن مقدسات المسلمين(٣٤).

طلب أيوب نجدتهم لمواجهة تحالف امراء الشام والصليبيين، فجهزوا قوه عسكرية قوامها عشرة الاف مقاتل وتوجوا بهم لنصرة الصالح أيوب، سلك الخوارزميين طريق الساحل الشامي حتى وصلوا الى القدس فدخلوها بعد هروب القوى الصليبية الموجودة لحماية المدينة ، وبذلك حرر الخوارزميين بيت المقدس من دنس الصليبيين ، فرح المسلمين

في كل مكان بهذا النصر وارسل السلطان نجم الدين أيوب الهدايا والأموال الى قادة الخوارزميين(٣٥).
وبعد الاطمئنان على وضع المدينة توجهت قوه من الخوارزميين للإتحاف بجيش مصر الذي كان معسكرا شمال غزة في مكان يقال له سهل الحربية .
ويمكن بيان اهم نتائج هذا الانتصار، إعادة بيت المقدس الى حضن المسلمين بعد ان استمر اسرها أكثر من ١٥ عام ، وبقيت تحت إدارة المسلمين حتى سقوط الدولة العثمانية فضلا عن اضعاف التواجد الصليبي في بلاد الشام مما اثر سلبا على الامارات الصليبية في المشرق الإسلامي

المبحث الثالث:العلاقات والتحالفات الصليبية مع اهل الشام الايوبيين

نتيجة للصراع الدائر بين نجم الدين أيوب حاكم مصر وبين حكام الشام الصالح إسماعيل حاكم دمشق و الناصر داود ملك الكرك و المنصور إبراهيم صاحب حمص، وبعض حكام الشام المحلين ، مكونين حلفا ضد السلطان أيوب للدفاع عن مناطق نفوذهم ، ونتيجة لشدة الصراع والتنافس ما بين الأطراف توجه السلطان إسماعيل وحلفائه للاستعانة بالصليبيين من اجل تقديم العون والمساعدة لهم في حربهم الدائرة مع سلطان مصر نجم الدين أيوب ، وفعلا عقد الاتفاق بين الأطراف في سنة ١٢٤٠ م(٣٦).

أولاً:تحالف الصالح إسماعيل مع الصليبين

حاول معسكر الأيوبيين بقيادة الصالح إسماعيل تشكيل حلف جديد مع الصليبيين عن طريق اغرائهم بالتنازل عن جزء من أراضي بلاد الشام والقدس الشريف ، لكنهم لم يقنعوا بالوعود الا ان يتنازل السلطان الايوبي عن صفد وشقيف وصيدا وطبرية ، وافق السلطان الايوبي على جميع ما طلبه الصليبيين منه ، وقدم اغلب مدن بلاد الشام وعلى راسها القدس هدية الى الصليبيين مقابل دعمه في حربه مع حاكم مصر نجم الدين أيوب(٣٧).
وفعلا جهز الصليبيين حملة عسكرية مكونه من قادة مملكة بيت المقدس وفرسان الاسبتارية وفرسان التوتونيين، ويذكر المؤرخون انها اقوى حملة عسكرية من حيث العدة والعدد شكلها الصليبيين منذ أيام معركة حطين ، وسلكت الحملة الطريق الساحلي باتجاه عكا والجليل والقدس وبعدها توجهوا الى غزة لمواجهة الجيش المصري وحلفائهم(٣٨).
ويروي المؤرخ ابن واصل أثناء مروره بمدينة القدس سنة ٦٤١هـ فيقول: (فرأيتُ الرهبان والقسوس على الصخرة المقدسة، وعليها قناني الخمر برسم القربان، ودخلتُ الجامع الأقصى وفيه جرس معلّق، وأُبطل بالحرم الشريف الآذان والإقامة، وأُعلن فيه بالكفر)(٣٩).

وبعدها سمح لهم بدخول دمشق وشراء الأسلحة والمعدات الحربية وباقي المستلزمات العسكرية منها، ولم يكتفي بهذا التنازل بل وعدوهم بالتنازل عن جزء من ارض مصرفي حالة تحقيق النصر على المعسكر المصري وحلفائهم الخوارزميين(٤٠).

ثانياً: نتائج تحالف السلطان إسماعيل مع الصليبيين

السمه الأساسية في علاقات البيت الايوبي بالقوى الصليبية المتواجدة في بلاد الشام كانت تمتاز بالطابع العسكري بالدرجة الأولى وكان الصليبيين يجهزون الحملات الصليبية باتجاه البلاد الإسلامية، فكان للأيوبيين الأوائل شرف المساهمة في صد هذه الحملات ، لكن وضع السياسي لأبناء البيت الايوبي اجبرهم على اتباع أسلوب المهادنة وعقد التحالفات مع القوى الصليبية ، ومن ابرز الملامح العامة للعلاقات الأيوبية الصليبية زمن السلطان الناصر إسماعيل .

١- الجانب العسكري :

شيوع أسلوب المفاوضات والتنازل عن الأراضي الإسلامية لكسب ود الصليبيين ومشاركتهم في الصراع الداخلي بين أبناء البيت الايوبي مما اثر سلبا على الموقف العسكري للصليبيين وحلفائهم الأيوبيين ، باعتباره كارثة عسكرية وخصوصا بعد هزيمتهم في معركة غزه وما نتج عنها من خسائر على الصعيد السياسي والعسكري .

٢- الجانب الاقتصادي :

نتيجة لموافقة الصالح إسماعيل على إعطاء امتيازات تجارية كبيرة للصليبيين وخاصة في دمشق حيث سمح لهم بشراء قطع السلاح، والتوابل والحرير والسجاد والزجاج وغيرها، فضلا عن جعل مدن الشام مخازن وأسواق لتصريف البضائع الاوربية .ولم يكتفي بهذه الامتيازات بل جعل اغلب الموانئ تحت تصرفهم ورفع عنهم الضرائب والرسوم الكمركيه ، مما اثر على انتقال البضائع بين المدن الإسلامية وتسبب في خسائر كبيرة للتجار المسلمين ، مما زعزع الثقة بين السلطة الحاكمة والتجار ،فنتج عن هذه الخطوة تأخر عملية البناء الاقتصادي فضلا عن تنازله عن المدن والمناطق التجارية مما تسبب في خسارة الكثير من الواردات التي كانت تدخل الى خزينة الدولة من هذه المدن .

٣- الجانب الثقافي:

كانت العلاقات الثقافية بين المسلمين والصليبيين في تلك الفترة غير مستقرة بسبب حالة التوتر العسكري الذي ساد تلك المرحلة ومع ذلك يمكن ان نشخص بعض التحركات العلمية التي قادها بعض رجال العلم الصليبيين اثناء زيارتهم للمدن الإسلامية في بلاد الشام والاطلاع على الحضارة الإسلامية ونقل بعض الكتب ومؤلفات المسلمين الى دولهم فضلا عن اطلاعهم على الهندسية المعمارية الإسلامية وبعض الصناعات اليدوية .في حين اطلع سكان بلاد الشام على بعض العادات والتقاليد التي كانت يتعامل بها التجار الأوربيين

٤- الجانب الديني :

كانت العلاقات الدينية بين الصليبيين والايوبيين تتأثر بالجانب السياسي والعسكري لكنها اخذت طابعا اكثر توسعا خاصة بعد التحالف الذي عقدة بعض أبناء البيت الايوبي مع الصليبيين والمتمثل بالسماح للصليبيين من الاستيلاء على الأماكن المقدسة الإسلامية ، فضلا عن توفير الحماية للحجاج المسيحيين من دخول بيت المقدس ،وازدادت تلك التنازلات في عهد السلطان إسماعيل مما جعل للصليبيين تهديد المقدسات الإسلامية ومنع المسلمين من دخول المدن والمزارات الإسلامية وعلى راسها القدس الشريف ، مما اثار غضب شديد بين الأوساط الإسلامية في بلاد الشام وخارجها ، مما خسر الصالح إسماعيل الدعم الجماهيري ورجال العلم والدين ، مما اوقد حماسة الجماهير واحيائهم لفكرة الجهاد ضد الصليبيين .

نتج عن هذا الاتفاق عدة مخرجات منها :

١- تنازل السلطان الصالح إسماعيل عن القدس ومدن الساحل واغلب القلاع المهمة التي كانت تعتبر مناطق صد ضد الهجمات الصليبية امثل قلعة شقيف وارنون وغيرها .

٢- استخدم السلطان أسلوب القسوة والنفي لرجال الدين المعارضين للاتفاقية مع الصليبيين فضلا عن اعدام بعض قادة الجيش الذين رفضوا الأوامر العسكرية .

٣- لم يكتفي السلطان الايوبي بما قدمه من تنازلات الى الصليبيين في ارض الشام فوعدهم بالتنازل عن بعض المناطق في مصر في حالة مساعدته في السيطرة عليها .

٤- سمح للصليبيين دخول دمشق وشراء الأسلحة والتجهيزات العسكرية الأخرى .

٥- اغتنم الصليبيين الفرصة واستغلوا حالة التنافس بين الحكام الايوبيين وخاصة بعد العرض الذي قدمه لهم نجم الدين أيوب سلطان مصر فكان مستعدا للتنازل عن اغلب مدن الشام أمثال عسقلان وغزة ومناطق الجليل والقدس وصفد وطبرية، والسماح لهم بتحصين المدن الشامية، فضلا عن اطلاق سراح جميع الاسرى الصليبيين، واقراره بشرعية التنازلات التي قدمها الصالح إسماعيل لهم .

٦- وبناء على سياسة الاستغلال التي اتبعها الصليبيين استفادوا من حالة التنافس وتقديم التنازلات من قبل السلاطين الايوبيين المتناحرين فيما بينهم ، فراسلوا الطرفين ووقعوا معهم الاتفاقيات بعد استلامهم المناطق التي تنازل عنها كل سلطان فحصنوها .

٧- نتيجة لكثرة التنازلات التي قدمها سلاطين الشام ومصر اعتبرت اقرارا منهم بشرعية سيطرة الصليبيين على

بيت المقدس .

٨- استخدم الصليبيين أسلوب توسيع الخلافات بين سلاطين الايوبيين لاستغلال تنازلاتهم ، لكن هذه السياسة لم تستمر الى ملا نهاية فكان الزاما على الصليبيين التخلي عن احد الأطراف فاختاروا الوقوف مع تحالف اهل الشام ، وفعلا جهزوا عدت الحرب.

ثالثاً: موقف الامراء والعلماء ورجال الدين من التحالف الصليبي

يعتبر الناصر إسماعيل من أكثر امراء البيت الايوبي سخاء وتنازلا للصليبيين مما اثار سخط المسلمين عليه ، فكان لرجال الدين وعلى راسهم الشيخ العز بن عبد السلام الذي افتى بحرمة بيع السلاح الى الصليبيين لأنهم سوف يقتلون فيه إخوانهم المسلمين في مصر ، ومن المواقف الشجاعة للشيخ الجليل اصدار فتوى قال فيها بكل وضوح وقوة إن الحاكم الصالح إسماعيل لا يمتلك الحق في التنازل عن المدن الإسلامية للصليبيين فضلا عن قطع الدعاء اثناء الخطبة للصالح إسماعيل ، مما اثار غضب السلطان الايوبي فعزله عن امامة دمشق ونفاه خارج المدينة مما دفعه الى اللجوء الى مصر والاحتماء بسلطانها نجم الدين أيوب(٤١).

ولم يكن هو الفقيه الوحيد الذي حرض الناس ضد السلطان بل كان الفقيه شيخ المالكية جمال الدين عثمان بن عمر بن الحاجب الكردي كذلك قطع الخطبة له واعاب عليه كثرة تنازلاته للصليبيين ، مما دفع السلطان الى حبسه وفرض الإقامة الجبرية عليه في داره ، حتى تمكن من الهرب الى الكرك ولاحتماء بسلطانها الناصر داود(٤٢).

لقد ساندة بعض قادة الجيش الايوبي الأهالي الغاضبين على معاهدة الذل والهوان بعصيانهم الأوامر وامتناعهم عن تسليم المدن التي كانت تحت حمايتهم الى الصليبيين مما دعا الصالح إسماعيل الى تجهيز قوه عسكرية لتأديب القادة وتسليم القلاع والمدن بنفسه للصليبيين(٤٣).

ويذكر ابن شداد رفض قائد حامية قلعة شقيف وارنون من تسليمها الى الصليبيين فاستدعاه إسماعيل الى دمشق وامر بإعدامه(٤٤).

ولم تقف الأمور الى هذا الحد بل راسل قادة الجيش الناصر داود لاستلام المدن بدل تسليمها للصليبيين لكن الأخير لم يكن لديه القوه الكافية لتنفيذ طلبهم مما دفع الناصر إسماعيل من تجهيز جيش ومحاصرة القلاع المتمردة ففضل قادتها تسليمها الى إسماعيل وهو يسلمها بدوره للصليبيين لئلا يقال إنهم سلموها لعسكر الأعداء(٤٥).

رابعاً:هزيمة الصليبيين وحلفائهم في معركة غزة

جهز المعسكر الشامي قوه عسكرية بقيادة الصالح إسماعيل وبمساعدة المنصور إبراهيم صاحب حمص والناصر داود صاحب الكرك وغيرهم من قادة بلاد الشام الايوبيين وانظموا الى المعسكر الصليبي الذي كان بقيادة والتر الرابع حاكم يافا وعسقلان، وتوجه الجميع الى غزة لمحاربة جيش المصري الذي كان مؤلف من ثلاث فصائل احدهم بقيادة بيبرس والأخر بقيادة حسام الدين أبو علي الهذباني ، اما الثالث فكان بقيادة معين الدين ابن شيخ الشيوخ وحلفائهم الخوارزميين(٤٦).

وقبل بداية المعركة حدثت خلافات بين المعسكر الشامي وانسحب اغلب قادة الجيش لعدم قناعتهم بمحاربة إخوانهم المسلمين تحت راية الصليب ، وانظموا الى معسكر المصرين مما صعب الموقف على اهل الشام وحلفائهم الصليبيين ، ففي يوم ١٢ من شهر جماد الأول سنة ٦٤٣هـ التقى الجمعان بجوار قرية هربيا في شمال شرق غزة ، فحدثت معركة طاحنة بين الفريقين نصر الله فيها الجيش المصري ومن حالفه من الخوارزميين(٤٧).

نتج عنها مقتل اعداد كثيرة من الصليبيين واهل الشام قدرها بعض المؤرخين بثلاثين الف قتيل ، واسر من بقى على قيد الحياة وسيقوا الى القاهرة فأصابت الصليبيين الدهشة لما تكبدوه من خسائر بشرية ومعدات عسكرية فضلا عن خسارتهم لاهم مناطق نفوذهم في بلاد الشام ، واعتبرت نتيجة هذه المعركة بمثابة الضربة القاصمة للوجود الصليبي في بلاد الشام ، مما اضطرهم الى توقيع الصلح مع نجم الدين أيوب في سنة ٦٤٣هـ (٤٨).

فقد ذكر سبط ابن الجوزي المعركة بقوله (كان يومًا عظيمًا لم يجرِ في الإسلام مثله، ولا في زمان نور الدين وصلاح الدين)(٤٩).

بعد انتهاء معركة غزة سارع معين الدين في مطاردة جيش الشام الذين هربوا الى دمشق ، فحاصر المدينة حصارا شديدا لمدت ست اشهر، مع قطع الإمدادات والمؤن عن أهلها مما دعا اميرها الصالح إسماعيل الى عقد اتفاق معه ينص على تنازل الأخير عن حكم دمشق الى نجم الدين أيوب مقابل أن يخرج منها سالماً هو والمنصور بأموالهم، وأن يرجع إسماعيل الى حكم ببعلبك وبصرى ، وأن يعوض المنصور بحمص وتدمر والرحبة ، وبذلك أصبحت مصر وبلاد الشام تحت حكم نجم الدين أيوب .

نتائج المعركة:

١-بيان مدى الطمع والتنافس على مناطق النفوذ ما بين الاخوة الايوبين فاستعان امراء الشام بالصليبيين ضد اخوهم حاكم مصر مما اضطره للاستعانة بالخوارزميين .

٢- هزيمة المعسكر الصليبي وطردهم من القدس والمناطق التي تنازل عنها الصالح إسماعيل لهم .

٣- اخرت فكرة تسيير حملة صليبية أخرى الى تحرير القدس .

٤- دفعت الصليبيين الى تجهيز حملة عسكرية لغزو مصر بقيادة لويس التاسع .

٥- تنامي قوة الخوارزميين مما دفعهم الى مطالبة نجم الدين أيوب بحصولهم على حكم بعض مناطق بلاد الشام ومن أهمها دمشق مما دفع نجم الدين الى التخلص منهم في معركة دارت بينهم قرب حمص .

٦- خضوع بلاد الشام لحكم سلطان مصر بعد انتصاره على اشد منافسيه، من الايوبيين والخوارزميين والصليبين

٧- طرد الصالح إسماعيل من دمشق وخسارته مناطق نفوذه في بلاد الشام مما دعاه الى التحالف مع الخوارزميين الذين اختلفوا مع نجم الدين أيوب ، وتوجه الحلفاء نحو دمشق ، التي كانت تحت إدارة حسام الدين الهذباني فتمكن من هزيمتهم ودخول بعلبك واسر الصالح إسماعيل واولاه وحاشيته وسيق بيهم الى القاهرة فقتله مماليك نجم الدين أيوب ، اما الخوارزميين تفرق من بقى منهم على قيد الحياة وانتهت اسطورتهم العسكرية .

الخاتمة:

اتضح أن التحالف السياسي والعسكري بين السلطان الأيوبي الصالح إسماعيل والقوى الصليبية كان انعكاسًا لتعقيدات المرحلة التي مرت بها الدولة الأيوبية في أواخر عهدها. فقد فرضت الصراعات الداخلية بين الأمراء الأيوبيين واقعًا سياسيًا أجبر بعضهم على السعي وراء تحالفات غير تقليدية لضمان مصالحهم وتثبيت حكمهم. وعلى الرغم من أن هذا التحالف قد وفر مكاسب مؤقتة للصالح إسماعيل، إلا أنه أثار موجة من المعارضة، سواء داخل البيت الأيوبي أو بين العلماء والعامة، الذين رأوا في ذلك تهديدًا للمشروع الإسلامي في مواجهة القوى الصليبية.

لقد شكلت هذه السياسة نقطة تحول في مسار الدولة الأيوبية، إذ أسهمت في إضعافها ومهدت الطريق لصعود المماليك، الذين تمكنوا لاحقًا من قيادة المواجهة ضد الصليبيين بفعالية أكبر. وهكذا، يظهر أن المصالح السياسية الآنية قد تؤدي أحيانًا إلى نتائج استراتيجية عكسية، وهو ما يجعل دراسة هذا التحالف ضرورية لفهم ديناميكيات الصراع في تلك الفترة الحساسة من التاريخ الإسلامي.

الهوامش :

١- ايمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، القاهرة ، ٢٠٠٧،ص٦٨٦

٢- عاشور، سعيد عبد الفتاح ، الايوبيين والمماليك في مصر والشام ، دار النهضة ، القاهرة ، ١٩٩٦، ص٧٥

٣-المرجع نفسة ، ص٧٧

٤- عمران حميد سعيد تاريخ الحروب الصليبية ، القاهرة ، ص٢٢٥
٥-ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم /الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ،ج٢ ، ٢٥٦
٦-ابن واصل ، جمال الدين محمد ، مفرج الكروب في اخبار بني أيوب ،ج٣ ، ص٣٩٠
٧- المصدر نفسه ، ص٣٩١
٨- الحنبلي، أحمد بن إبراهيم، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق ناظم رشيد ، ص.٣١٢
٩-ابن واصل ، المصدر السابق ،ص٣٩١
١٠- الحنبلي ، المصدر السابق ، ص٣٢٧
١١-المصدر نفسه ،ص٣٢٨
١٢-المصدر نفسه ، ص٣٢٨
١٣-ابن دقماق ، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ،ج٢ ، ٢٥٩
١٤- دمير الحايك الدولة الايوبية قرن من الصراعات الداخلية، ص.٢٦٩
١٥- حسن فرحان عبد الساتر عطية ، بيت المقدس في ظل الحرب الاهلية الايوبية بين التفريط والاسترداد (٥٨٩ – ٦٤٢ هـ/ ١١٩٣ – ١٢٤٤م) مجلة كلية الآداب ، جامعة جنوب الوادي ، العدد ٥٣ ، الجزء الأول ،٢٠٢١
١٦- أ بو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن محمد ، المختصر في أخبار البشر، تحقيق. محمود بوب، ج٢ص.٣٤٠
١٧- المصدر نفسة ، ص٣٤٦
١٨- الذهبي – شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢٢، ص٢٢٦
١٩- المصدر نفسه ، ص٢٢٨
٢٠- المصدر نفسة ، ص ٢٢٨
٢١- ابن أبي الدم الحموي ، التاريخ المظفري، تحقيق، حامد زيان ، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٨٩
٢٢- ا لمقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، ج١ ، ص٢٢٨
٢٣- الذهبي ، المصدر السابق ، ٢٢ ، ص٢٣٣
٢٤- الاتروشي ، شوكت عارف ، الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الايوبي ، ص.٧٩
٢٥- حامد زيان علي زيان، الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية ، القاهرة: ص٥٥
٢٦- ا بن واصل ، مفرج الكروب ،ج٣ ، ص٤١٠
٢٧- المصدر نفسه ، ٤١٣
٢٨- عبد المنعم ماجد، الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية ، القاهرة ، ص ١٤٠
٢٩- المرجع نفسه ،ص١٤٠
٣٠- ابن الاثير ، عز الدين علي بن محمد الجزري ، الكامل في التاريخ ، دار الكتب ، ج ١٢ ص ٢٢٩
٣١-المصدر نفسه ،ص٢٢٩
٣٢- المصدر نفسه ،ص٢٢٩
٣٣- عبد المنعم ماجد ، المرجع السابق ،ص١٤١
٣٤- ابن الاثير ، المصدر السابق،ص٢٣١
٣٥- عفاف سيد صبرة، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ص٢٧٣ .
٣٦- عفاف سيد صبرة، المرجع نفسة ، ص
٣٧- عصام إسماعيل كنعان ، صراع السلطة بين أبناء البيت الايوبي بداية النهاية لحكمهم ، مجلة ديالى ، العدد٦٦، لسنة ٢٠١٥ ص٣١٨

٣٨- المرجع نفسة ،ص٣١٨

٣٩- ابن واصل ، المصدر السابق ،ص٣٩٨

٤٠-المصدر نفسه ،ص٣٩٨

٤١- ابن تغري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٦ ،ص٣٠٧

٤٢- المصدر نفسة ، ص٣٠٧

٤٣- المصدر نفسه ، ص٣٠٨

٤٤- ابن شداد ،بهاء الدين أبو المحاسن يوسف ،النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، القاهرة ،ص ١١٠ .

٤٥-الحنبلي ، المصدر السابق ، ص٣١٢

٤٦- مملوك الصالح أيوب الذي كان معتقلاً معه في قلعة الكرك، وهو غير السلطان الظاهر بيبرس البندقداري الذي تولى السلطنة زمن دولة المماليك البحرية

٤٧- شمس الدين أبي المظفر بن قزاوغلي ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ج٨ ، ص٥١٥؛

٤٨-المصدر نفسه ، ص٥١٥

٤٩- المصدر نفسه ، ص٥١٦

المصادر والمراجع:

١- أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن محمد ، المختصر في أخبار البشر، تحقيق. محمود ديوب

٢- المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة

٣- ابن الاثير ، عز الدين علي بن محمد الجزري ، الكامل في التاريخ ، دار الكتب .

٤- ابن تغري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،تحقيق محمد حسين شمس الدين ،١٩٩٢.

٥- ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم ، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال ، بيروت ٢٠٠٧

٦-ابن واصل ، جمال الدين محمد ، مفرج الكروب في اخبار بني أيوب ،تحقيق جمال الدين الشيال ،القاهرة ،١٩٥٧.

٧-الانروشي ، شوكت عارف ، الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الايوبي .

٨- الحنبلي، أحمد بن إبراهيم، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق. ناظم رشيد ،١٩٨٧.

٩- الذهبي – شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، سير أعلام النبلاء، تحقيق، بشار عواد ومحي هلال السرحان ،بيروت ١٩٨٤،

١٠- القاضي شهاب الدين ابراهيم بن ابي الدم الحموي ، التاريخ المظفري، تحقيق، حامد زيان ،

١١- ايمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، القاهرة ، ٢٠٠٧.

١٢- حامد زيان علي زيان، الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب

١٣حسن فرحان عبد الساتر عطية ، بيت المقدس في ظل الحرب الاهلية الايوبية بين التفريط والاسترداد (٥٨٩ – ٦٤٢ هـ/ ١١٩٣ – ١٢٤٤م) مجلة كلية الآداب ، – جامعة جنوب الوادي – العدد ٥٣ ، الجزء الأول ،٢٠٢١.

١٤- دمنير الحايك ، الدولة الايوبية قرن من الصراعات الداخلية ، بيروت ،١٩٩٦

سبط ابن الجوزي ، شمس الدين أبي المظفر بن قزاوغلي ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، دار المعارف العثمانية ، ١٩٥١.

١٥- عاشور، سعيد عبد الفتاح ، الايوبيين والمماليك في مصر والشام ، دار النهضة ، القاهرة ، ١٩٩٦.

١٦- عبد المنعم ماجد، الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية ، القاهرة،١٩٩٧.

١٧- عصام إسماعيل كنعان ، صراع السلطة بين أبناء البيت الايوبي بداية النهاية لحكمهم، القاهرة

١٨- عفاف سيد صبرة، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، القاهرة ،١٩٨٧

١٩- عمران حميد سعيد تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥-١٢٩١ ، القاهرة .

رسالة في الاحتمالات الواقعة في أفعال العباد
لموسى بن عبد الله التوقادي «ت١١٣٣هـ» دراسة وتحقيق

أ.م. د. عامر ضاحي سلمان
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية

المستخلص:

إن هذا البحث هو دراسة وتحقيق لمخطوطة هامة في مجال العقيدة، إذ يدور موضوعها حول الاحتمالات الواقعة في أفعال العباد، وهي من القضايا الجوهرية في علم الكلام الإسلامي، لما لها من ارتباط وثيق بمفاهيم القدرة، والإرادة، والتكليف، والخلق.

فقد حدد التوقادي (رحمه الله) ستة احتمالات عقلية في تصور صدور الفعل عن الإنسان، وناقشها بالتحليل والنقد، وركز على آراء أبرز الفرق الكلامية في هذه المسألة، وهي: المعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية، مبيناً الأسس التي استند إليها كل مذهب.

وتوقف عند مفهوم «الكسب» كما ورد في مذهب الأشاعرة، ومفهوم «خلق الفعل عند القدرة» في مذهب الماتريدية، مع بيان أوجه التمايز بين الرؤيتين.

وقد خلص التوقادي (رحمه الله) إلى ترجيح المذهب الماتريدي؛ إذ يرى أن مذهبه يجمع بين حفظ المسؤولية الإنسانية وإثبات الخلق الإلهي، بما يحقق توازناً دقيقاً بين العقل والنقل.

الكلمات مفتاحية: أفعال العباد، خلق الأفعال، الكسب، القدرة، الإرادة، الماتريدية، الأشاعرة، المعتزلة.

Abstract:

This research presents a critical study and verification of an important manuscript in the field of Islamic creed. The manuscript addresses the various possibilities concerning human actions, which is a central issue in Islamic theology due to its close relation to the concepts of divine power, will, moral responsibility, and creation.

Al-Tuqadi (may Allah have mercy on him) identified six rational possibilities regarding the origin of human actions and analyzed them thoroughly. He focused on the views of the major theological schools—namely, the Mu'tazila, the Ash'ariyya, and the Maturidiyya—clarifying the foundational principles each school adopted.

The study gives particular attention to the Ash'ari concept of kasb (acquisition) and the Maturidi notion of divine creation concurrent with human ability, highlighting the distinctions between the two. Al-Tuqadi ultimately favored the Maturidiyya position, as it harmonizes human responsibility with divine creation, achieving a careful balance between reason and revelation.

Keywords: Human actions, creation of acts, kasb, power, will, Maturidiyya, Ash'ariyya, Mu'tazila.

مقدمة التحقيق:

باسم الله، الذي تُستفتح باسمه البدايات، وتُرجى بركته في النهايات، وبتوفيقه يُنال السداد والرشاد. والصلاة والسلام الأكملان على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله، النبي الأمي، المبعوث رحمةً للعالمين،

وعلى آله الطاهرين، وصحابته الكرام من المهاجرين والأنصار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونسأله تعالى أن يفتح لنا أبواب العلم والمعرفة، وأن يرزقنا التوفيق لما يحب ويرضى، وأن يمنّ علينا بالفهم والحكمة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أما بعد...

تزخر المكتبة الإسلامية بثراء علمي ومعرفي واسع يغطي مختلف جوانب الحياة، وهو ثمرة جهود علمية كبيرة بذلها العلماء المتقدمون عبر العصور. ورغم القيمة العلمية العالية لهذا التراث، إلا أن جزءاً كبيراً منه لا يزال حبيس رفوف المخطوطات، لم يُحقَّق بعد، ولم تُتح له فرصة النشر أو التداول، من هنا تبرز مسؤولية الباحثين وذوي الاهتمام بالتراث في بذل الجهد العلمي اللازم لإخراج هذه الأعمال إلى النور، من خلال تحقيقها وتوثيقها، وتقديم مادتها بأسلوب ميسر يتيح الاستفادة منها، ويأتي ذلك في إطار إحياء التراث واستثمار ما فيه من خبرات ومعارف تسهم في بناء مستقبل معرفي مشرق.

وانطلاقاً من القيمة الإسلامة، والأهمية المتزايدة للدراسات العقدية، وقع اختياري على هذا المخطوط تحديداً، نظراً لأصالته وفرادته، إذ يُعد – بحسب ما أسفرت عنه مراجعة المصادر المطبوعة والمتاحة إلكترونياً – أول تحقيق يُجرى له. لذا فإن هذا العمل يسعى إلى الإسهام في إثراء المكتبة الإسلامية، من خلال تحقيق مخطوط لم يُسبق نشره أو خدمته علمياً، بما يضيف جديداً إلى حقل الدراسات العقدية.

وشملت خطة البحث تقسيم العمل إلى قسمين:

القسم الأول: القسم الدراسي ، إذ استعرض الباحث سيرة المؤلف، والمنهجية المتبعة في التحقيق، بالإضافة إلى وصف للنسخ الخطية التي تم الاعتماد عليها.

القسم الثاني: النص المحقق في صورته النهائية، حسب القواعد العلمية المتبعة في التحقيق.

وختمت التحقيق بذكر: هوامش البحث، وفهرس المصادر والمراجع.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يوفقني في هذا العمل، وأن يجعله خالصاً له، وأن ينفعني به في حياتي الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

القسم الأول: القسم الدراسي.

حياة المؤلف

موسى بن عبد الله التوقادي (... – ١١٣٣هـ ... / – ١٧٢١م)(١).

«موسى بن عبد الله التوقادي (٢). الرومي العثماني الحنفي المنطقي المعروف بملوان التوقادي المتوفي ١١٣٣هـ/ ١٧٢١م، تصانيفه: (رسالة في القياس الغير المتعارف– في المنطق، ورسالة في الاحتمالات الواقعة في أفعال العباد)»(٣)،(٤). قال صاحب كتاب البدور المضية: «الشيخ الفاضل موسى بن عبد الله التوقادي، الرومي، المعروف ببهلوان، فاضل. من آثاره: «رسالة في القياس الغير المتعارف»، توفي سنة ١١٣٣هـ»(٥).

قال محمد بن مصطفى الأرضرومي (ت بعد سنة ١٢٤٠هـ) في أول مخطوطه (شرح قياسية موسى البهلواني في المنطق): «لما كانت الرسالة القياسية لمولانا الفاضل المحقق الحبر المدقق موسى الكليم البهلواني الكامل العالم الرباني المستغنى عن البيان جعل الله ثراه من رياض الجنان...»(٦).

أما الجهود العلمية لموسى التوقادي، فقد أشار إليها صاحب كتاب العلم عند العثمانيين، مبيناً أن المنطقيين

العثمانيين في القرنين السابع عشر والثامن عشر، ومن بينهم موسى بن عبد الله التوقادي البهلواني، شاركوا في نقاشات نشطة لتطوير علم المنطق، رغم وجود بعض المعارضة له، وقد أولوا اهتماماً كبيراً بشرح وتلخيص التراث المنطقي، مما ساعد في جعله قابلاً للتجديد والنقاش الحي، كما تجاوزوا المفاهيم الأرسطية التقليدية، وسعوا إلى ابتكار أدوات منطقية أكثر تعقيداً لمعالجة قضايا لا يشملها المنطق الأرسطي(٧).

المنهج المتبع في التحقيق:

١. نسختُ النص المحقق، وحرصت على كتابته وفق قواعد الإملاء الحديثة.

٢. أثبتُ الفروق بين النسخ المختلفة في الهامش.

٣. قمتُ بعزو أقوال العلماء إلى مصادرها الأصلية، حرصاً على التوثيق والتثبت من صحة النقل.

٤. استخدمتُ علامتي تنصيص صغيرتين « » لنقل الأقوال، ووضعت الإضافات المستمدة من نسخ أخرى داخل معقوفين [ ] لتمييزها عن النص الأصلي.

٥. أشرتُ في الهوامش إلى المواضع التي سقطت من نسخة (أ) تسهيلاً للمقارنة.

٦. راعيتُ استخدام علامات الترقيم المناسبة كالفواصل والنقاط والنقطتين الرأسيتين وغيرها، بما يُسهم في وضوح النص وسهولة فهمه.

٧. أدرجتُ أرقام الصفحات كما وردت في المخطوطة الأصلية، موضوعة بين معقوفين [ ] في مواضعها داخل النص.

٨. قدمت تعريفاً موجزاً بالأعلام عند أول ذكرٍ لهم في النص.

وصف النسخ الخطية:

١. النسخة الأصلية: وهي النسخة المحفوظة في مكتبة جلبي عبد الله أفندي بتركيا، تحت الرقم (٢٠١)، تتكون من صفحتين، تضم الصفحة الأولى منها ثلاثين سطراً، ويحتوي كل سطر على عدد يتراوح بين خمس عشرة إلى إحدى وعشرين كلمة، أما الصفحة الثانية فتضم خمسة أسطر، يحتوي كل سطر منها على عدد يتراوح بين إحدى عشرة إلى ثلاث عشرة كلمة، وقد كُتبت هذه النسخة بخط التعليق.

٢. النسخة الثانية: وهي المشار إليها بالرمز (ب)، محفوظة في مكتبة ديار بكر للمخطوطات بتركيا، تحت الرقم (٧٧١)، تتكون من صفحة واحدة، تحتوي على ستة وعشرين سطراً، يشتمل كل سطر منها على عدد يتراوح بين ست عشرة إلى إحدى وعشرين كلمة، وقد كُتبت هذه النسخة بالخط النسخي.

٣. النسخة الثالثة: وهي المشار إليها بالرمز (ت)، محفوظة في مكتبة السليمانية للمخطوطات بتركيا، تحت الرقم (٤٢٣١)، تتكون من صفحتين، تضم الصفحة الأولى عشرة أسطر، يشتمل كل سطر منها على عدد يتراوح بين خمس عشرة إلى إحدى وعشرين كلمة، أما الصفحة الثانية فتضم خمسة وعشرين سطراً، يحتوي كل سطر منها على عدد يتراوح بين ثلاث عشرة إلى اثنتين وعشرين كلمة، وقد كُتبت هذه النسخة بالخط النسخي.

٤. النسخة الرابعة: وهي المشار إليها بالرمز (ث)، محفوظة في مكتبة يوسف آغا للمخطوطات بتركيا، تحت الرقم (٧١٧٣)، تتكون من ثلاث صفحات، تضم الصفحة الأولى عشرين سطراً، يشتمل كل سطر منها على عدد يتراوح بين اثنتي عشرة إلى ثماني عشرة كلمة، أما الصفحة الثانية، فتضم إحدى وعشرين سطراً، يحتوي كل سطر منها على عدد يتراوح بين إحدى عشرة إلى خمس عشرة كلمة، وأما الصفحة الثالثة، فتضم سطراً واحداً، يحتوي على ست عشرة كلمة، وقد كُتبت هذه النسخة بالخط النسخي.

صور من النسخ المعتمدة في التحقيق

أولى صفحات المخطوطة الأصلية النسخة (أ)

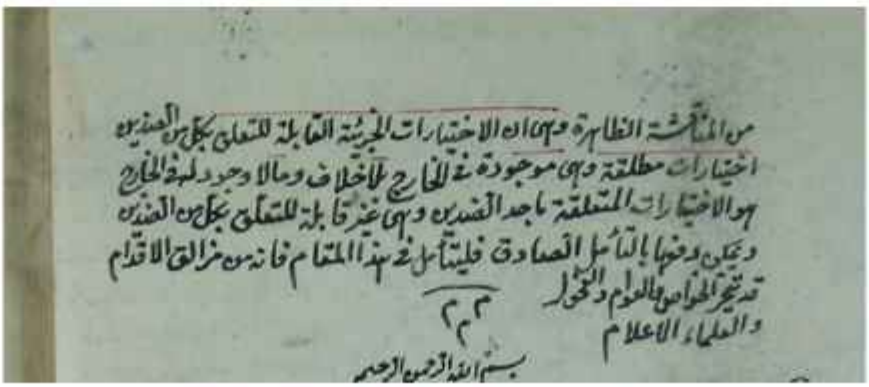

آخر صفحات المخطوطة الأصلية النسخة (أ)

صفحة من النسخة (ب) وهي تتكون من صفحة واحدة فقط

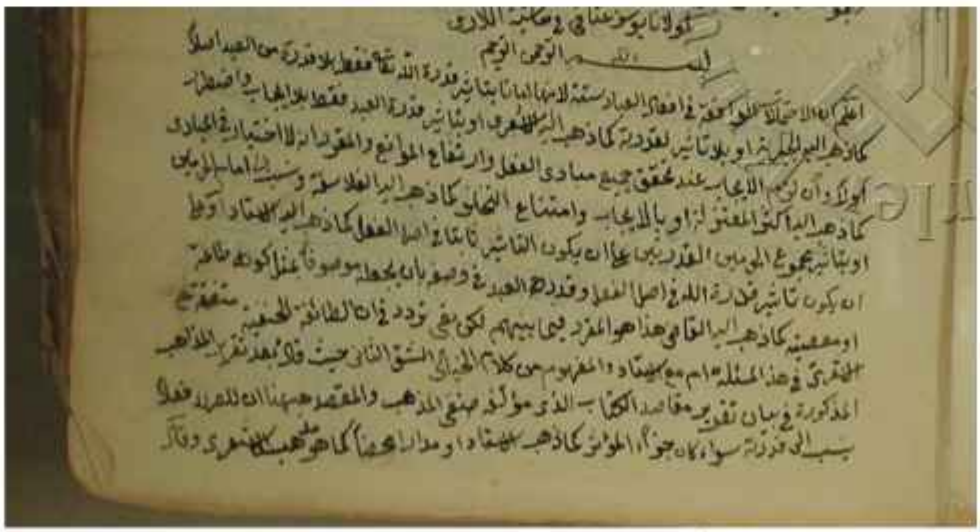

أولى صفحات المخطوطة النسخة (ت)

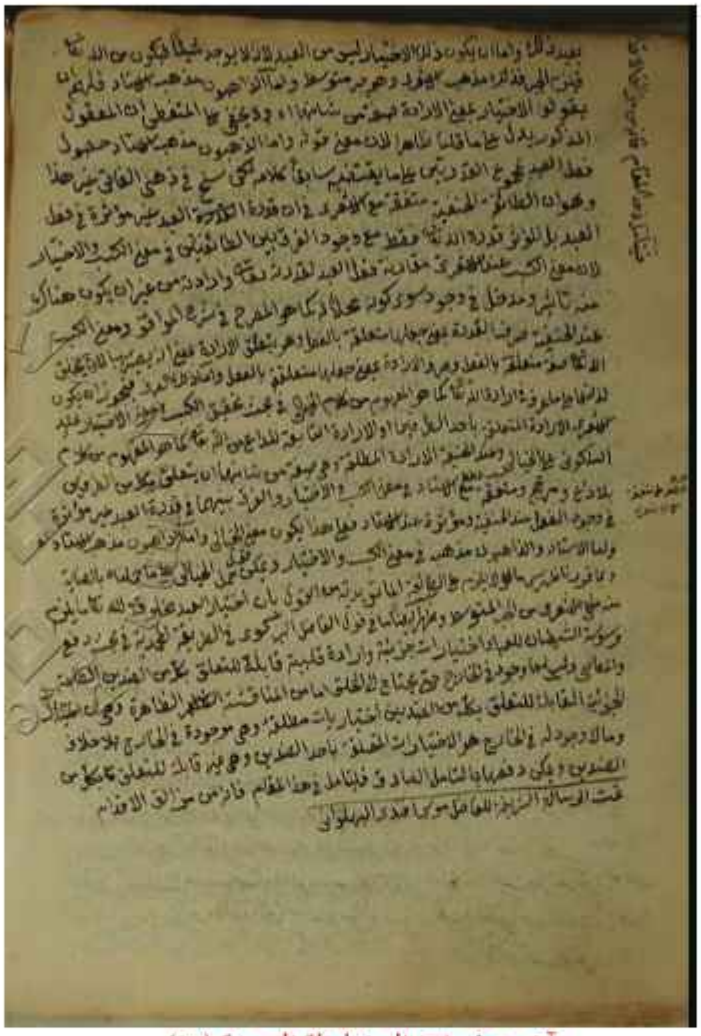

آخر صفحات المخطوطة النسخة (ت)

أولى صفحات المخطوطة النسخة (ت)

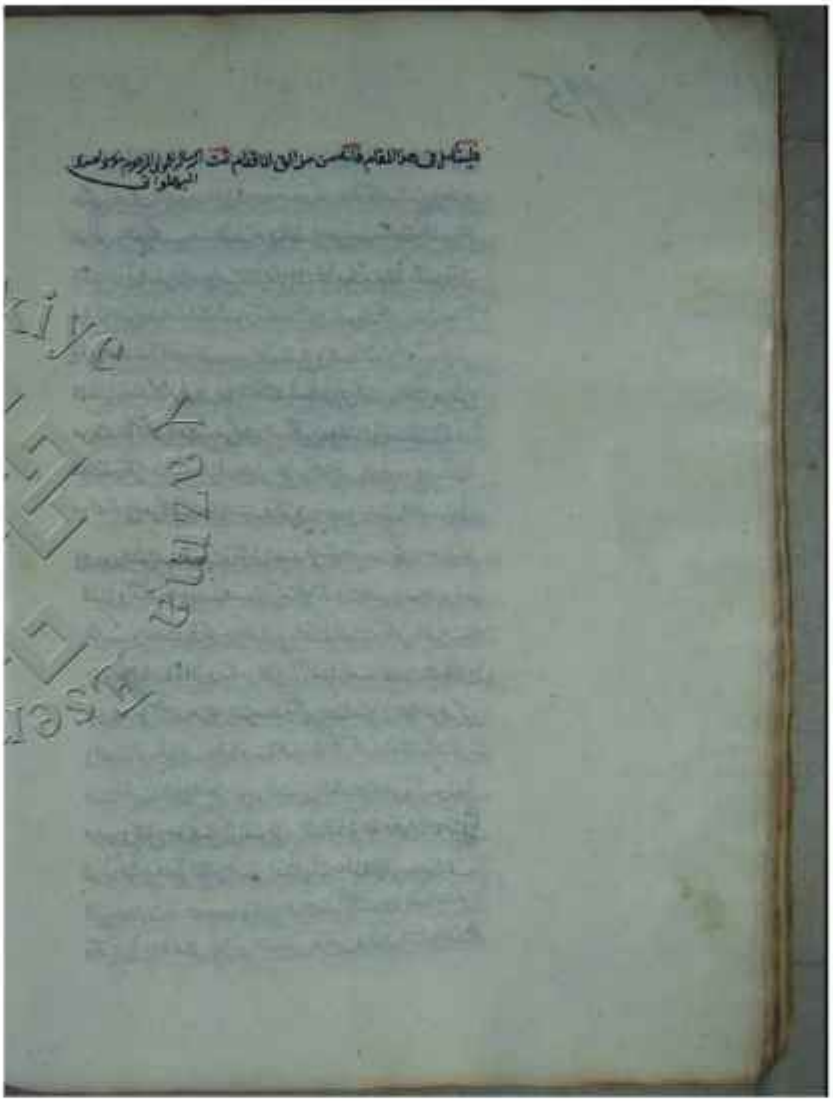

آخر صفحات المخطوطة النسخة (ث)

القسم الثاني: النص المحقّق:

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أن الاحتمالات الواقعة في أفعال العباد ستة؛ لأنها إما(٨).«بتأثير قدرة الله تعالى فقط بلا قدرة من العبد أصلاً(٩)، كما ذهب إليه الجبرية(١٠)، أو بلا تأثير لقدرته(١١)، كما ذهب إليه الأشعري(١٢)، أو بتأثير قدرة العبد فقط بلا إيجاب واضطرار أو لا، وإن لزم الإيجاب عند تحقق جميع مبادئ الفعل وارتفاع الموانع، والمقرر أنه لا اختيار في المبادئ(١٣)،كما ذهب إليه أكثر المعتزلة(١٤)، أو بالإيجاب وامتناع التخلف، كما ذهب إليه الفلاسفة ونسب إلى إمام الحرمين(١٥)، أو بتأثير مجموع(١٦).القدرتين على أن يكون التأثير ثابتاً في أصل الفعل(١٧)، كما ذهب إليه الأستاذ(١٨)، أو على أن يكون تأثير قدرة الله [تعالى](١٩). في أصل الفعل وقدرة العبد في وصفه، بأن يجعله موصوفاً بمثل كونه(٢٠). طاعة أو معصية(٢١) ،كما ذهب إليه القاضي(٢٢) ، هذا هو المقرر فيما بينهم»(٢٣) ، لكن يبقى(٢٤). تردد في أن الطائفة الحنفية متفقة مع الأشعري في هذه المسألة، أم مع الأستاذ؟ والمفهوم من كلام الخيالي(٢٥).الشق الثاني، حيث قال بعد تقرير(٢٦). المذاهب المذكورة في بيان تقرير «مقاصد

الكتاب»(٢٧). الذي مؤلفه حنفي المذهب والمقصد ههنا: «أن للعبد فعلاً ينسب إلى قدرته، سواء كان جزء المؤثر كما هو(٢٨). مذهب(٢٩).الأستاذ، أو مدار محضاً(٣٠). كما هو مذهب الأشعري»(٣١)، وقال بعيد ذلك: «وإما أن [يكون](٣٢).ذلك الاختيار ليس من العبد؛ لأنه لا يوجد شيئاً فيكون من الله تعالى فيلزم الجبر، فذلك مذهب الأشعري وهو جبر متوسط، وأما الذاهبون مذهب الأستاذ، فلهم أن يقولوا: الاختيار بمعنى الإرادة صفة من شأنها»(٣٣). إلخ. ولا يخفى على المتفطن أن المنقول (٣٤). المذكور يدل على ما قلنا ظاهراً؛ لأن معنى قوله: وأما الذاهبون مذهب الأستاذ في(٣٥).حصول فعل العبد بمجموع القدرتين على ما يقتضيه سابق(٣٦). كلامه، لكن سنح في ذهني الفاتر(٣٧). غير هذا، وهو أن الطائفة الحنفية متفقة مع الأشعري في أن قدرة العبد غير مؤثرة في فعل العبد، بل المؤثر قدرة الله تعالى فقط، وإنما(٣٨). الفرق بين الطائفتين في معنى الكسب(٣٩)، والاختيار؛ لأن معنى الكسب عند الأشعري(٤٠) : مقارنة فعل العبد لقدرته(٤١). وإرادته، من غير أن يكون هناك منه(٤٢). تأثير ومدخل في وجوده، سوى كونه محلاً له، كما هو المصرح في شرح المواقف(٤٣) ، ومعنى الكسب عند الحنفية :صرف القدرة(٤٤) ، بمعنى جعلها متعلقة بالفعل، وهو متعلق(٤٥). الإرادة، بمعنى أنه يصير سبباً لأن يخلق الله [تعالى](٤٦).صفة متعلقة بالفعل، وصرف الإرادة بمعنى جعلها متعلقة بالفعل، وإنما(٤٧). ذلك الصرف فيجوز أن يكون لذاتها على ما عرف في إرادة الله تعالى، كما هو المفهوم من كلام المولى(٤٨). الخيالي في بحث تحقيق الكسب(٤٩) ، ومعنى الاختيار عند الأشعري: «الإرادة المتعلقة بأحد الطرفين، أو الإرادة التابعة للداعي(٥٠). من الله تعالى»(٥١) ،كما هو المفهوم من كلام السلكوتي على الخيالي، وعند الحنفية: الإرادة المطلقة وهي صفة من شأنها أن يتعلق(٥٢). بكل من الطرفين بلا داع ومرجح، ومتفقة مع الأستاذ في معنى الكسب والاختيار، والفرق بينهما في أن(٥٣). قدرة العبد غير مؤثرة في وجود الفعل عند الحنفية، ومؤثرة عند الأستاذ، فعلى هذا يكون معنى قول الخيالي: وأما الذاهبون مذهب الأستاذ وأما الأستاذ [والذاهبون](٥٤).مذهبه في معنى الكسب والاختيار، ويمكن حمل قول(٥٥). الخيالي على ما حملنا بالعناية، وبما قررنا ظهر سر ما لا يلزم على الطائفة الماتريدية(٥٦). من القول بأن اختيار العبد مخلوق الله(٥٧). تعالى، ما يلزم منه على الأشعري من الجبر المتوسط، وظهر أيضاً ما في قول الفاضل المحقق(٥٨). [محمد](٥٩).البركوي(٦٠). في «الطريقة المحمدية» في بحث دفع وسوسة الشيطان: «لكن(٦١). للعبد(٦٢). اختيارات جزئية(٦٣). وإرادات(٦٤). قلبية(٦٥). قابلة للتعلق بكل من الضدين: الطاعة(٦٦)، والمعاصي، وليس لها وجود في الخارج حتى يحتاج(٦٧). إلى الخلق»(٦٨). الخ(٦٩). [١/ب] من المناقشة الظاهرة وهي أن الاختيارات(٧٠). الجزئية القابلة للتعلق بكل من الضدين اختيارات(٧١). مطلقة، وهي موجودة في الخارج بلا خلاف، وما لا وجود له في الخارج هو الاختيارات(٧٢).المتعلقة بأحد الضدين، وهي غير قابلة للتعلق بكل من الضدين، ويمكن دفعها(٧٣).بالتأمل الصادق، فليتأمل في هذا المقام، فإنه من مزالق الأقدام، قد تحير الخواص والعوام، والفحول والعلماء الأعلام(٧٤).

الهوامش:

(١)لم تُشر المصادر التي ترجمت سيرته الذاتية إلى سنة ولادته، واكتفت بذكر سنة وفاته فقط.

(٢)التوقادي نسبة إلى مدينة توقاد ببلاد الترك، وتلفظ (توقات) بين قونيا وسيواس. ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي (ت١٤١٠هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م: ٣٤/٥ ، ٢٢٣/٨.

(٣)هذان المصنَّفان لا يزالان في عداد المخطوطات، فالأول (رسالة في القياس الغير المتعارف) متواجد في مكتبات عدة منها: مكتبة راشد أفندي في قيصري التركية، برقم ٢٦٩٠٧/١٤، ومكتبة إزمير الوطنية في تركيا بنسخ عدة برقم: ٣١٩/٥، و٣١٩/٣، و١٨٨٧/٣، و٢٩٩/٣؛ أما المصنَّف الثاني (رسالة في الاحتمالات الواقعة في أفعال العباد) فهو محل الدراسة والتحقيق، إذ لم يُعثر – حتى الآن – على أي مؤلف مطبوع لموسى بن عبد الله التوقادي، مما يجعل هذه الدراسة أول محاولة تكشف عن جهوده العلمية

وتُسلّط الضوء على نتاجه الفكري.

(٤)معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)»، إعداد: علي الرضا قره بلوط – أحمد طوران قره بلوط، دار العقبة، قيصري – تركيا، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م: ٣٧٩٨/٥. وينظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني (ت١٣٣٩هـ)، طبع بعناية: وكالة المعارف بإسطنبول، ١٩٥٥هـ: ٤٨٢/٢.

(٥)البدور المضية في تراجم الحنفية، محمد حفظ الرحمن بن محب الرحمن الكُمِلّائي، دار الصالح (القاهرة – مصر)، مكتبة شيخ الإسلام (دكا – بنجلاديش)، ط٢، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م: ٢٠/١٩. وينظر: معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (ت١٤٠٨هـ)، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ب.ط.ت): ٤٢/١٣.

(٦)فهرس مخطوطات مكتبة الأزهر الشريف، الأزهر الشريف، سقيفة الصفا العلمية، لبوان، ماليزيا، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م: ٨٦/٢٣.

(٧)ينظر: العلم عند العثمانيين الإبداع الثقافي والتبادل المعرفي، ميري شيفير موسنسون، ترجمة: محمد شعبان صوان، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية – ناشرون، وهران، الجزائر، ط١، ٢٠١٩م: ص٨٢.

(٨)في (ت): إماتا.

(٩)ذهب الجبرية: إلى إن أفعال العباد مخلوقة من قبل الله تعالى، وهم مجبورون عليها، ولا فعل لهم فيها، فالعبد عندهم، كالريشة في مهب الريح. ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، عليّ بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي (ت٧٩٢هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١١هـ-١٩٩٠ م: ٦٣٩/٢ ؛ دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت ق١٢هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م: ٢٦٥/٣-٢٦٦ ؛ حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (ت١٢٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (ب.ط.ت): ٢/ ٥٢٣ ؛ بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمي الحنفي (ت١١٥٦هـ)، مطبعة الحلبي، (ب.ط)، ١٣٤٨هـ: ١٦٩/١.

(١٠)الجبرية: هم أتباع الجعد بن درهم والجهم بن صفوان، هؤلاء نفوا القدرة والاختيار والإرادة عن الإنسان، وقالوا: أن الإنسان مجبر على جميع أفعاله، وخلق الله تعالى الأفعال في الإنسان بحسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتنسب إليه الأفعال مجازاً كما تنسب إلى الجمادات، كما يقال: أثمرت الشجرة، وجرى الماء، وتحرك الحجر، وأن حركاتهم الاختيارية كمنزلة حركة العروق النوابض في اضطرارهم إليها. ينظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ٢٠٠٥م: ٢٢١/١؛ أصول الدين، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠٠٢م: ص١٣٤ ؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ب.ت.ط): ١٤/٣ ؛ الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، (ب.ط)، ١٤٠٤هـ: ٨٧/١ ؛ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، (ب.ط.ت): ص٦٩.

(١١)نسب إلى أبي الحسن الاشعري أنه قال: «لا تأثير لقدرة العبد في أفعاله، بل هي مخلوقة لله تعالى ابتداء». شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت٧٩٢هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م: ٣٦٨/١ ؛ دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون): ٢٣٤/١. وينظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: هلموت ريتر وجنبا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، (ب.ت): ص٥٣٩-٥٤٢ ؛ رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر، مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (ت١٠٣٣هـ)، تحقيق: أسعد محمد المغربي، دار حراء، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٠هـ: ص٣٩ ؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين الألوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م: ٢٤٩/٤.

(١٢)هو أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري كان من الأئمّة المتكلمين المجتهدين، ولد في البصرة سنة (٢٦٠هـ)، وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم، وتوفي ببغداد سنة (٣٢٤هـ)، وقيل: بلغت مصنفاته ثلاثمئة كتاب، منها: إمامة الصديق، والرد على المجسمة، ومقالات الإسلاميين، والإبانة عن أصول الديانة، وتنسب إليه فرقت الأشاعرة، وقد اتخذت الأشاعرة منهج توفيقي بين البراهين والدلائل العقلية والكلامية والأدلة النقلية وسيلة في محاججة خصومها، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية. ينظر: الملل والنحل: ١/ ٩٤ ؛ الأعلام للزركلي: ٣٦٣/٤ ؛ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، أشراف وتخطيط ومراجعة: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، ط٤، ١٤٢٠هـ: ٨٣/١.

(١٣)ذهب جمهور المعتزلة: إلى أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم , وأنهم هم المحدثون لها. قال القاضي عبد الجبار: «اتفق كل أهل

العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم حادثة من جهتهم، وأن الله عز وجل أقدرهم على ذلك، ولا فاعل لها ولا محدث سواهم، وأن من قال بأن الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه». المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني (ت٤١٥هـ)، تحقيق: الأب ج. ش. قنواتي، مراجعة: إبراهيم مدكور، بإشراف الدكتور طه حسين، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (د.ط.ت): ٣/٨. وينظر: شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني (ت ٤١٥ هـ)، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٣، ١٤١٦ هـ-١٩٩٦م: ص٧٧١.

(١٤)المعتزلة: مدرسة كلامية واسعة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني في البصرة جنوب العراق -أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي- سلكت منهجاً عقلياً في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري، وبنوا منهجهم على أصول خمسة: العدل، التوحيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الوعد والوعيد، وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة، والقدرية، والعدلية، وأهل العدل والتوحيد، والمقتصدة، والوعيدية. ينظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت٤٢٩هـ)، دار الآفاق، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م: ص١٥ ومابعدها ؛ الملل والنحل: ص٤٩ ؛ دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية الدكتور عرفان عبد الحميد، مطبعة بغداد، ١٩٦٧م: ص٨٣ ؛ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ٦٤/١.

(١٥)هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، فقيه شافعي ومتكلم أشعري، الإمام الكبير، شيخ الشافعية، صاحب التصانيف، كان إمام الأئمة إطلاقاً، مجمعاً على إمامته شرقاً وغرباً، لم تر العيون مثله، له مؤلفات في العقيدة، منها: الشامل في أصول الدين، والإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، والشامل في أصول الدين على مذهب الأشاعرة وغيرها، توفي سنة (٤٧٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ: ٤٦٨/١٨ ؛ طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، مصر، ط٢، ١٤١٣هـ: ١٦٥/٥؛ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين يوسف ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، ط١، (ب.ت): ١٢١/٥.

(١٦)الحرمين. زيادة في (ت).

(١٧)ذهب الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني إلى أنها: واقعة بتأثير مجموع القدرتين على أن يتعلقا جميعاً بالفعل، أي أن «قدرة الله تعالى مستقلة بالتأثير، وقدرة العبد غير مستقلة بالتأثير، وإذا انضمت قدرة الله تعالى إلى قدرة العبد، صارت قدرة العبد مستقلة بالتأثير بتوسط هذه الإعانة». المطالب العالية من العلم الإلهي، فخر الدّين الرازى (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م: ١١/٩. وينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، دار المعرفة، بيروت، (ب.ط)، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م: ٤٥٥/٢ ؛ بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية،: ١٦٩/١.

(١٨)هو أبو إسحاق الإسفراييني، ويقال له غالباً: الأستاذ أبو إسحاق، وهو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، الأستاذ، الإسفراييني، شافعي، عالم بالفقه والأصول، كان يلقب بركن الدين، نشأ في اسفرايين (بين نيسابور وجرجان)، ثم خرج إلى نيسابور وبُنيت له فيها مدرسة فدرّس فيها، ثم رحل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق، فاشتهر، وله مناظرات مع المعتزلة، مات في نيسابور سنة (٤١٨هـ)، ودفن في اسفرايين. ينظر: الغاية في اختصار النهاية، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت٦٦٠هـ)، تحقيق: اياد خالد الطباع، دار النوادر، بيروت، ط١، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م: ١٦٧/١-١٦٨؛ طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد الدمشقي تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت٨٥١هـ)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ: ١٧١/١؛ الأعلام للزركلي: ٦١/١.

(١٩)ما بين معقوفين من (ب)، و (ث).

(٢٠)في (ث): كون.

(٢١)قال الباقلاني: «فإن قيل: من فعل الطاعة كان طائعاً، ومن فعل المعصية كان عاصياً، فالجواب: أن هذا غير صحيح، لأن كون الباري تعالى خالقاً وفاعلاً لا يوجب أن يتصف بالطاعة والمعصية، لأن الطاعة صفة الطائع، والمعصية صفة العاصي، ولا يوجب ذلك وصف خالق الطاعة والمعصية بكونه طائعاً عاصياً... فكذلك المعصية صفة من حلت به المعصية، والطاعة صفة لمن حلت به الطاعة، ولا يوجب ذلك وصف خالقها بأنه طائع ولا عاص». الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م: ص٢١٥-٢١٦.

(٢٢)هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني، قاضٍ، من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، ولقب بسيف السنة، ولسان الأمة، ولد في البصرة سنة (٣٣٨هـ)، وسكن بغداد وتوفي في ذي القعدة سنة (٤٠٣هـ)، من تصانيفه: إعجاز القرآن، وكشف أسرار الباطنية، ومناقب الأئمة، ونهاية الإيجاز في رواية الإعجاز. ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد بن محمد البرمكي الإربلي (ت٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (ب.ط)، ١٩٧١م:

٢٦٩/٤-٢٧٠ ؛ سير أعلام النبلاء: ١٩٠/١٧ ؛ الأعلام للزركلي: ١٧٦/٦.

(٢٣)ينظر: الخيالي على شرح العقائد النسفية، عمر بن محمد بن أحمد النسفي (ت٥٣٧هـ)، الخشي: أحمد بن موسى الخيالي، شمس الدين (ت٨٦١ هـ)، مكتبة علوم إسلامية، پيشاور – پاكستان، ط١، ١٢٩٧هـ-١٨٧٩م: ص٢٧.

(٢٤)في (ب)، و (ت)، و (ث): بقي.

(٢٥)هو أحمد بن موسى الخيالي شمس الدين فاضل، ولد سنة (٨٢٩هـ)، كان مدرساً بالمدرسة السلطانية في بروسة (بتركيا) ثم في أزنيق. وتوفي فيها سنة (٨٦١هـ)، وقيل: سنة (٨٧٠هـ)، له مصنفات منها: حاشية على شرح السعد على العقائد النسفية، وحواش على أوائل شرح التجريد للطوسي، وحاشية على الجاربردي لتفسير الكشاف للزمخشري. ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت١٠٦٧هـ) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ب.ط)، ١٩٤١م: ٣٤٧/١ ؛ معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف بن إليان بن موسى سركيس (ت١٣٥١هـ)، مطبعة سركيس، مصر، ط١، ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م: ص٨٥٢ ؛ الأعلام للزركلي: ٢٦٢/١.

(٢٦)في (ث): تقرر.

(٢٧)المقصود هنا حاشية الخيالي على كتاب (شرح العقائد النسفية) لعمر بن محمد بن أحمد النسفي (ت٥٣٧هـ).

(٢٨)هو. سقط في (ت).

(٢٩)في (ت): ذهب.

(٣٠)في(ث): محض.

(٣١)الخيالي على شرح العقائد النسفية: ص٢٧.

(٣٢)ما بين معقوفين من (ت).

(٣٣)الخيالي على شرح العقائد النسفية: ص٢٧.

(٣٤)في (ت): المعقول.

(٣٥)في. سقط في (ت).

(٣٦)في (ت): سابقاً.

(٣٧)في (ث): ذهن الفتر.

(٣٨)في (ت)، و (ث): مع وجود.

(٣٩)الكسب لغة: كَسَبَ يكسبُ كسباً، أي طلب الرزق، واصلهُ الجمع. ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وغيره، دار ومكتبة الهلال، (ب.ط.ت): مادة (كسب)، ٣١٥/٥ ؛ لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري المعروف بابن منظور الأفريقي، (ت٧١١هـ)، دار صادر للنشر، بيروت، (ب.ط)، ١٩٨٩م: مادة (كسب)، ٧١٦/١.

(٤٠)قال الأشعري (رحمه الله): «معنى الكسب أن يكون الفعل بقدرة محدثة، فكل من وقع منه الفعل بقدرة قديمة فهو فاعل خالق، ومن وقع منه بقدرة محدثة فهو مكتسب، وهذا قول أهل الحق». مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: ٣٩٣/٢.

(٤١)تعالى. زيادة في (ت).

(٤٢)منه. سقط في (ث).

(٤٣)ينظر: شرح المواقف للقاضي عضد الدين عبد الرحمن الإيجي (ت٧٥٦هـ)، الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت٨١٦هـ)، ومعه حاشيتا السيالكوتي والجلبي على شرح المواقف، ضبطه وصححهُ: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م: ١٤٦/٨.

(٤٤)الكسب عند الحنفية: «صرف القدرة المخلوقة إلى القصد المصمم إلى الفعل، فلها تأثير في القصد المذكور، فيخلق الله تعالى الفعل عقيب ذلك بالعادة، والقصد من الأحوال غير موجود ولا معدوم، فليس خلقاً بل إحداث ليس كالخلق بل أهون». شرح مختصر المنتهى الأصولي للإمام أبي عمرو عثمان ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ)، عضد الدين عبد الرحمن الإيجي (ت٧٥٦هـ)، وعلى المختصر والشرح/ حاشية سعد الدين التفتازاني (ت٧٩١هـ) وحاشية السيد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)...، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م: ٧٠/٢.

قال أحمد نكري: «صرف القدرة: هو الذي يفسر به الكسب، وصرف العبد قدرته عبارة عن جعل العبد قدرته متعلقة بصدور الفعل، وهذا الصرف يحصل بسبب تعلق إرادة العبد بالفعل لا بمعنى أنه سبب مؤثر في حصول ذلك الصرف، إذ لا مؤثر إلا الله تعالى، بل بمعنى أن تعلق الإرادة يصير سببا عاديا لأن يخلق الله تعالى في العبد قدرة متعلقة بالفعل بحيث لو كانت مستقلة في التأثير لا وجد الفعل.». دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون): ١٧٤/٢.

(٤٥)في (ب)، و (ت)، و (ث): يتعلق.

(٤٦)ما بين معقوفين من (ت)، و (ث).

(٤٧)في (ب)، و (ت): وما. في (ث): وأما.

(٤٨)المولى. سقط في (ت)، و (ث).
(٤٩)ينظر: الخيالي على شرح العقائد النسفية: ص٢٦.
(٥٠)في (ت)، و (ث): للداع.
(٥١)حاشية سيالكوتي على الخيالي، عبد الحكيم بن شمس الدين المعروف بالسيالكوتي (ت١٠٦٧هـ)، دار سعادات، (طبعة حجرية)، ١٣١٤هـ: ص٢٥٥.
(٥٢)في (ب): تتعلق.
(٥٣)أن. سقط في (ت).
(٥٤)في الأصل: الذاهبون. والمثبت من (ب)، و (ت)، و (ث).
(٥٥)قول. سقط في (ث).
(٥٦)الماتريدية: فرقة كلامية أسسها محمد بن محمد بن محمود، المعروف بأبي منصور الماتريدي، يُعد هذا المذهب من الاتجاهات الكلامية التي تسعى إلى فهم أصول الشريعة وقواعد الإسلام استناداً إلى أسس عقلية منضبطة؛ إذ يوازن بين العقل والنقل، مع اعتبار أن وظيفة العقل هي فهم أصول التوحيد المنقولة عن طريق الوحي، وقد حظي الماتريدي بألقاب عدة، من أهمها: إمام الهدى، وإمام المتكلمين، وغيرهما من الألقاب التي تعكس مكانته العلمية، توفي سنة ٣٣٣هـ. ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي (ت٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م: ١٥٦/١ ؛ مسائل الاختلاف بين الأشعرية والماتريدية، شمس الدين أحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا (ت٩٤٠هـ)، تحقيق: سعيد عبد اللطيف فوده، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، ط ١، ١٤٣٠ هـ-٢٠٠٩ م: ص١٥-١٩.
(٥٧)في (ت)، و (ث): لله.
(٥٨)الخفق. سقط في (ت)، و (ث).
(٥٩)ما بين معقوفين من (ب).
(٦٠)هو محمد بن بير علي البركوي الرومي الحنفي تقي الدين صوفي، واعظ، نحوي، فقيه، مفسر، محدث، فرضي مشارك في غير ذلك. ولد ببالیکسر سنة (٩٢٩هـ)، وتوفي سنة (٩٨١هـ)، من تصانيفه: الطريقة المحمدية في الوعظ، شرح لب الألباب في علم الإعراب للبيضاوي، دافعة المبتدعين وكاشفة بطلان الملحدين، إنقاذ الهالكين في الفقه، والأربعون في الحديث. ينظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: ٢٥٢/٢ ؛ معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: ١٢٣/٩-١٢٤.
(٦١)لكن. سقط في (ت).
(٦٢)في (ت)، و (ث): للعباد.
(٦٣)في (ث): اختياريات الجزئية.
(٦٤)في (ت)، و (ث): وإرادة.
(٦٥)معنى (وإرادات قلبية): «إما عطف تفسير أو إرادة كلية، إذ الظاهر أن مقرها هو القلب والإرادة مع الاختيار، إما متساويان أو لا فرق معتداً به. نقل عن المصنف في الهامش. ويدل على هذا أي وجود الإرادة الجزئية قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، أي إرادات مُلابسة بأنفسهم، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣] وقوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٩] الآية، إذ لو كان العبد مجبوراً لما صح هذه البغية والتوبيخ، ولما صح لوم النفس وتعييرها، وهو سنة قديمة للأنبياء والأولياء، حتى أقسم بها الله تعالى فقال: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢]، ولما كان للختم والطبع معنى زائد على خلق المشيئة، ولما كانت النفس بالطبع أمارة بالسوء وشياطين الإنس والجن معينة لها، ولما كان الغالب اختيار الشر لولا التوفيق والعناية، فلذا قال الله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا﴾ [النساء ٨٣]». بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية: ١٤٧/٢-١٤٨.
(٦٦)في (ب): الطاعات.
(٦٧)في (ب): تحتاج.
(٦٨)الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية، زين الدين محمد بن بير علي محي الدين البركوي (ت٩٨١هـ)، وبذيل صحائفه تقريرات لبعض أفاضل العلماء، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م: ص٦٠-٦١.
(٦٩)في (ت): أما.
(٧٠)في (ت): اختيارات. في (ث): الاختياريات.
(٧١)في (ت)، و (ث): اختياريات.
(٧٢)في (ث): الاختياريات.
(٧٣)في (ث): دخوله.
(٧٤)قد تحير الخواص والعوام والفحول والعلماء الأعلام. سقط في (ب)، و (ت)، و (ث).

في (ب): تمت الرسالة الشريفة المتعلقة ببيان أفعال العباد للأستاذ المدقق موسى أفندي البهلواني مد الله ظله.
في (ت): تمت الرسالة الشريفة للفاضل موسى أفندي البهلواني.
في (ث): تمت الرسالة للمولى المرحوم موسى أفندي البهلواني.

المصادر والمراجع:

بعد القرآن الكريم:
١. أصول الدين، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠٠٢م.
٢. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، (ب.ط.ت).
٣. الأعلام، خير الدين الزركلي (ت١٤١٠هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
٤. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
٥. البدور المضية في تراجم الحنفية، محمد حفظ الرحمن بن محب الرحمن الكَمِلّاتي، دار الصالح (القاهرة – مصر)، مكتبة شيخ الإسلام (دكا – بنجلاديش)، ط٢، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.
٦. بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، أبو سعيد محمد بن محمد بن مصطفى الخادمي الحنفي (ت١١٥٦هـ)، مطبعة الحلبي، القاهرة، (ب.ط)، ١٣٤٨هـ.
٧. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي (ت٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٨. حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (ت١٢٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (ب.ط.ت).
٩. حاشية سيلكوتي على الخيالي، عبد الحكيم بن شمس الدين المعروف بالسيالكوتي (ت١٠٦٧هـ)، دار سعادات، (طبعة حجرية)، ١٣١٤هـ.
١٠. الخيالي على شرح العقائد النسفية، عمر بن محمد بن أحمد النسفي (ت٥٣٧هـ)، الحشي: أحمد بن موسى الخيالي، شمس الدين (ت٨٦١ هـ)، مكتبة علوم إسلامية، پيشاور – پاكستان، ط١، ١٢٩٧هـ -١٨٧٩م.
١١. دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية الدكتور عرفان عبد الحميد، مطبعة بغداد، ١٩٦٧م.
١٢. دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت ق١٢هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
١٣. رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر، مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (ت١٠٣٣هـ)، تحقيق: أسعد محمد المغربي، دار حراء، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٠هـ.
١٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين الألوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
١٥. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ.
١٦. شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني (ت ٤١٥ هـ)، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٣، ١٤١٦ هـ-١٩٩٦م.
١٧. شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت٧٩٢هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
١٨. شرح العقيدة الطحاوية، عليّ بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي (ت٧٩٢هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
١٩. شرح المواقف للقاضي عضد الدين عبد الرحمن الإيجي (ت٧٥٦هـ)، الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت٨١٦هـ)، ومعه حاشيتا السيالكوتي والجلبي على شرح المواقف، ضبطه وصحّحهُ: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
٢٠. شرح مختصر المنتهى الأصولي للإمام أبي عمرو عثمان ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ)، عضد الدين عبد الرحمن الإيجي (ت٧٥٦هـ)، وعلى المختصر والشرح/ حاشية سعد الدين التفتازاني (ت٧٩١هـ) وحاشية السيد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)...، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
٢١. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، دار المعرفة، بيروت، (ب.ط)، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٢٢. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، مصر، ط٢، ١٤١٣هـ.
٢٣. طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد الدمشقي تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت٨٥١هـ)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
٢٤. الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية، زين الدين محمد بن بير علي محي الدين البركوي (ت٩٨١هـ)، وبذيل صحائفه تقريرات لبعض أفاضل العلماء، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م.
٢٥. العلم عند العثمانيين الإبداع الثقافي والتبادل المعرفي، ميري شيفير موسنسون، ترجمة: محمد شعبان صوان، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية – ناشرون، وهران، الجزائر، ط١، ٢٠١٩م.
٢٦. الغاية في اختصار النهاية، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت٦٦٠هـ)، تحقيق: اياد خالد الطباع، دار النوادر، بيروت، ط١، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.
٢٧. الفَرق بين الفِرق وبيان الفرقة الناجية، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت٤٢٩هـ)، دار الآفاق، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.
٢٨. الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ب.ت.ط).
٢٩. فهرس مخطوطات مكتبة الأزهر الشريف، الأزهر الشريف، سقيفة الصفا العلمية، لبوان، ماليزيا، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.
٣٠. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وغيره، دار ومكتبة الهلال، (ب.ط.ت).
٣١. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت١٠٦٧هـ) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ب.ط)، ١٩٤١م.
٣٢. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري المعروف بابن منظور الأفريقي، (ت٧١١هـ)، دار صادر للنشر، بيروت، (ب.ط)، ١٩٨٩م.
٣٣. مسائل الاختلاف بين الأشعرية والماتريدية، شمس الدين أحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا (ت٩٤٠هـ)، تحقيق: سعيد عبد اللطيف فوده، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، ط ١٤٣٠،١ هـ-٢٠٠٩م.
٣٤. المطالب العالية من العلم الإلهي، فخر الدّين الرازى (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٣٥. معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)»، إعداد: علي الرضا قره بلوط – أحمد طوران قره بلوط، دار العقبة، قيصري – تركيا، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٣٦. معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف بن إليان بن موسى سركيس (ت١٣٥١هـ)، مطبعة سركيس، مصر، ط١، ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م.
٣٧. معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (ت١٤٠٨هـ)، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ب.ط.ت).
٣٨. المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني (ت٤١٥هـ)، تحقيق: الأب ج. ش. قنواتي، مراجعة: إبراهيم مدكور، بإشراف الدكتور طه حسين، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (ب.ط.ت).
٣٩. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ٢٠٠٥م.
٤٠. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، (ب.ط)، ١٤٠٤هـ.
٤١. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، أشراف وتخطيط ومراجعة: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، ط٤، ١٤٢٠هـ.
٤٢. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين يوسف ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، ط١، (ب.ت).
٤٣. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني (ت١٣٣٩هـ)، طبع بعناية: وكالة المعارف بإسطنبول، ١٩٥٥هـ.
٤٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد بن محمد البرمكي الإربلي (ت٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (ب.ط)، ١٩٧١م.

بسم الله الرحمن الرحيم
ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره
قد جعل الله لكل شيء قدرا

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

تفسير الطبطبائي بين المأثور والرأي

أ.م. د. ياسر جادر محمد الزبيدي
جامعة تكريت/ كلية العلوم الإسلامية

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

المستخلص:
يعتبر القرآن الكريم المصدر الأوّل للشريعة الإسلاميّة، وهو الكتاب الأوحد الذي يعدّ قطعيّ السند، وقد أبدى العلماء شديدَ الاهتمامِ ودأبوا على تفسير كلام الله سبحانه وتعالى، فتعدّدت التفاسيرُ واختلفت الاتّجاهات، ويقوم هذا البحث على دراسة منهج التفسير عند العلامة الطباطبائي، فيبدأ بملخص يتضمّن أهم نقاط البحث، ومقدّمة نتناول فيها معنى التفسير في اللغة والاصطلاح وأهم المناهج التفسيريّة، وأمّا المبحث الأوّل فيقوم الباحث فيه بدراسة ملامح التفسير بالمأثور بالاعتماد على السنّة النبويّة وأقوال الأئمة المعصومين عليهم السلام أجمعين وأمّا المبحث الثاني فيقوم على دراسة رأي الطبطبائي في منهج المعتمد على الرأي وأهم مآخذه على هذا المنهج، وتنتهي الدراسة بخاتمة تتضمّن أهم النتائج، وقائمة المصادر والمراجع.
الكلمات المفتاحيّة: التفسير، المأثور، الرأي، السنة، الأئمة، الطباطبائي.

Abstract:
The Holy Qur'an is considered the primary source of Islamic law, and it is the only book whose chain of transmission is definitive. Scholars have shown great interest and diligently endeavored to interpret the words of God Almighty, resulting in numerous interpretations and differing approaches. This study examines the interpretation method of Allamah Tabataba'i. It begins with a summary that includes the most important points of the study, an introduction that addresses the meaning of interpretation in language and terminology, and the most important interpretive methods. The first section examines the features of interpretation by transmitted sources, relying on the Prophetic Sunnah and the sayings of the infallible Imams(peace be upon them all). The second section examines Tabataba'i's view of the method of relying on opinion and his most important objections to this approach. The study concludes with a conclusion that includes the most important results and a list of sources and references.
Keywords: interpretation, transmitted sources, opinion, Sunnah, Imams, Tabataba'i.

أهمية الموضوع:
تأتي أهميّة البحث الذي بين أيدينا من منطلق دراسة المقصود بعلم التفسير والإضاءة على مناهج التفسير، فضلاً عن بيان ملامح التفسير بالمأثور عند السيد الطباطبائي، والتعرف على أهم الحجج التي قدمها في التفسير بالرأي وبيان أسباب رفضه لهذا المنهج .

أسئلة البحث:
١. ما تعريف علم التفسير وأهم مناهجه؟
٢. ما موقف الإمام الطبطبائي من التفسير بالمأثور وملامح هذا التفسير عنده؟

٣. ما الحجج التي قدّمها الطباطبائي لرفض التفسير بالرأي ؟

أسباب اختيار البحث:

من الأسباب التي جعلت الباحث يتّجه إلى هذه الدراسة، رغبته في إيضاح معنى التفسير والحديث عن مناهجه، وبيان موقف الطبطبائي من تفسير القرآن بالمأثور، وتفسير القرآن بالرأي .

منهج البحث:

اعتمد الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على جمع المادة العلميّة وتحليلها ودراسة أهم الجوانب التي سار عليها الطباطبائي في تفسير القرآن الكريم.

المقدمة

إنّ علم التفسير يأخذ حيّزاً واسعاً ومهمّاً من اهتمام العلماء والمفكرين والباحثين في علوم القرآن الكريم، هذا وقد تعدّدت مناهج تفسير القرآن الكريم وفهمه، وظهرت الكثير من المدارس التي اختلفت فيما بينها في تفسير الآيات القرآنيّة واستبطان معانيها واسرارها، ولأجل الإضاءة على هذا الجانب المهمّ في دراسة القرآن الكريم لا بدّ في البداية من التطرّق إلى مفهوم التفسير ودلالته اللغويّة والاصطلاحيّة.

التفسير لغةً:

التفسير في اللغة يعني الإبانة، ذكر ابن منظور " التفسير في اللغة الإبانة عن الشيء والإيضاح وكشف المغطّى، مأخوذٌ من الفسر، وهو الكشف والبيان، والفعل فسر، يُقالُ: فَسرَ المر بمعنى بان، وفسرَ الشيء يفسّره تفسيراً بالضّم والكسرِ، وفسّرهُ تفسيراً أي أبانه "(ابن منظور، ١٩٩٩، ج ٦، ص ٣١٦).

و ذُكر في كتاب مقاييس اللغة " فسر: الفاء والعين والراء كلمة واحدو تدلُّ على بيان شيءٍ وإيضاحه ومن ذلك الفسر أي فسّرتُ الشيء وفسرّته والتفسرة نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه "(ابن فارس، ١٩٧٩، ج ٤، ص ٥٠٤).

فالتفسير يرجع إلى معنى الإبانة والإظهار والكشف، والإيضاح ومنه قوله تعالى:﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾{الفرقان/٣٣}. أي بمعنى أكثر بياناً، فالمعنى اللغوي للتفسير يشيرُ إلى الإيضاح والإبانة عن الشيء المقصود أو المراد إيصال الفكرة عنه.

التفسير في الاصطلاح:

التفسيرُ علمٌ كسائر العلوم له تعريفه وموضوعاته وغايته، وجاء في تعريفه " هو العلم الباحث عن تبين دلالات الآيات على مراد الله سبحانه وبعبارة أخرى إزالة الخفاء عن دلالة الآية للمعنى المقصود "(السبحاني، ١٤٣٢هـ، ج ١، ص ١٣).

و عرّفه الزركشيّ بقوله " علم يعرف به فهم كتاب الله المنزّل على نبيّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه "(الزركشي، ١٩٥٧، ج ١، ص ٣٣).

و ذكر أيضاً " علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيثُ دلالته على مراد الله بقدر الطاقة البشريّة " (السيوطي، ١٩٩٦، ج ٤، ص ١٦٧).

و ذكر العلّامة الطباطبائي رحمه الله " التفسير هو بيانُ معاني الآيات القرآنيّة والكشف عن مقاصدها ومداليلها "(الطباطبائي، د.ت، ج ١، ص ٤).

و زاد السيوطي على ذلك " التفسير هو علم نزولِ الآيات وشؤونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثمّ تركيب مكيّها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفصّلها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعِبرها وأمثالها "(السيوطي، ١٩٩٦، ج ٢،

ص ١١٠).

و بناءً عليه فإنّ علم التفسير علمٌ واسعٌ يبحث في أسرار الآيات القرآنيّة وإبانة ما استترَ بعيداً عن المعنى الظاهر للآية. إنّ عملية التفسير تحمل أهميّةً كبيرةً في تلقّي القرآن الكريم وفهمه، فهو ركنٌ أساسٌ في بلورة القراءة القرآنيّة، والمنهج في اللغة " مشتقٌ من الأصل اللغوي نَهج، ونَهج نَهجاً ونُهوجاً وضح واستبان، والنهج هو الوجه الواضح الذي جرى عليه الاستعمال "(ابن منظور، ١٩٩٩، ج٢، ص ٣٨٢).

و لعلّ أهم مناهج التفسير التي نعرفها عند علماء الشيعة تتلخّص في الآتي:

١. تفسير القرآن بالقرآن.

٢. منهج التفسير الروائي للقرآن الكريم.

٣. المنهج العقلي أو الاجتهادي في تفسير القرآن الكريم.

٤. منهج التفسير بالرأي.

لمحة عن حياة العلامة الطباطبائي:

السيد الطباطبائي من كبار علماء الشيعة واسمه " محمد حسين بن السيد محمد حسين بن الميرزا علي أصغر شيخ الإسلام الطباطبائي التبريزي القاضي، ونسبه الطبطبائي يرجع إلى أحد أجداده وهو إبراهيم طباطبائي بن إسماعيل الديباج، وإنّما لُقب طباطبا لأنّ أباه أراد أن يقطع له ثوباً وهو طفلٌ، فخيّره بين قميص وقبا، فقال قبا قبا، وقيل أنّ اهل السواد لقبوه كذلك ويعني بلسان النبطية سيد السادات " (الطهراني، ١٣٧٥: ١/ ٦٤٥) وكان مولد الشيخ الطباطبائي في " يوم ٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٢١هـ، في مدينة تبريز، وقد نشأ في أسرة اشتهرت قديماً بالفضل والمعرفة، وكانت سلسلة أجداده الأربعة عشر من العلماء المعروفين في تبريز " (المرجع نفسه: ١/ ٦٤٦)

وقد عُرف السيد الطباطبائي باجتهاده وسعيه الحثيث في سبيل العلم والمعرفة " إذ تلقى مبادئ العلوم الأوليّة في المقدمات في مسقط رأسه تبريز على يد أفاضل أسرته وسراة قومه وبعد اتّمامه المرحلة العلمية الأولى هاجر إلى النجف سنة ١٤٤٣هـ، وأمضى فيها عشر سنوات في تحصيل مختلف العلوم اللازمة لطالب العلم، وعاد إلى مسقط رأسه ١٤٥٣هـ بعدها هاجر إلى قم على أثر الحرب العالميّة الثانية وهناك بدأ نجمه بالظهور على مستوى التدريس وإدارة أبحاثه العلمية في التفسير والفلسفة " (الأمين، ١٩٨٣، ٤٢/ ١٥٩)

وقد تلقى علومه الأولى على يد كوكبة من كبار العلماء منهم " الشيخ علي القمي، والشيخ النوري صاحب المستدرك على وسائل الشيعة، والشيخ عباس القمّي صاحب المفاتيح عن شيخه النوري، وسماحة السيد الآية البروجردي وغيرهم من كبار علماء وأئمة الشيعة " (المرجع نفسه، ٤٢/ ١٦١)

و على صعيد الآثار العلميّة فقد ترك لنا السيد الطباطبائي نتاجاً علمياً غنيّاً بالعلم والمعرفة ولعل من بعض هذه الآثار (تعليقات على كتاب أصول الكافي للكليني، وكتاب تعليقات على كتاب بحار الأنوار الجامعة لمحمد باقر المجلسي، والعديد من الرسائل: كرسالة الولاية، ورسالة علي والفلسفة الإلهية، وفي علوم القرآن والتفسير قدّم لنا كتابه الميزان في تفسير القرآن في عشرين مجلداً) وغير ذلك من المؤلفات والدراسات التي أغنى بها المكتبة الإسلامية، وهذا النتاج العلمي يدلّ على سعة مدارك الشيخ الطباطبائي وإيمانه العميق .

المبحث الأوّل: ملامح التفسير بالمأثور عند الطباطبائي

إنّ القرآن الكريم هو المصدر الأوّل للثقافة الإسلاميّة فهو الأساس الراسخ الذي بنى النبي محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم رسالته التي حملها للبشريّة، ومن حكمة الله عزّ وجلّ أن جعل ألفاظ القرآن الكريم تحتمل معاني كثيرة فأمر عباده بالتدبّر والتفكير فيها، فاجتهد المفسرون للقرآن الكريم في كلّ عصرٍ، وكان لكلّ واحدٍ منه أسلوبه ومنهجه الخاص في التفسير، ولعلّ من أهمّ المناهج التفسيريّة التي سار عليها كثيرٌ من المفسرين هو تفسير القرآن

بالمأثور، وكان هذا المنهج التفسيري من أهمّ المناهج التي اعتمدها العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان، وقد نهج السيد الطباطبائي في تفسيره منهجاً محكماً يقوم على تقديم الدليل والبرهان مستعيناً بما نقل عن الأئمة المعصومين(عليهم السلام). في كثيرٍ من تحليلاته. كما استند على تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنّة النبويّة الشريفة، فهو يعتقد أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً، وأنّ السنّة النبويّة من أهم المصادر المساعدة في تفسير كتاب الله وآياته، فقدّم نتاجه العلمي بأسلوبٍ لغويّ واضح وبيّنٍ ساعياً إلى الإيضاح والبيان عن أسرار وإعجاز القرآن الكريم، وما يحمل من قيمٍ ومواعظ إنسانيّ وإيمانيّة.

و التفسير بالمأثور " ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقل عن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم والأئمة عليهم السلام والصحابة ممّا هو بيانٌ وتوضيحٌ لمراد الله تعالى من كلامه " (السبحاني، ١٤٣٢هـ، ج ١، ص ٢٠٠)

١. تفسير القرآن بالسنة:

إنّ تفسير القرآن الكريم بالاعتماد على السنّة النبويّة الشريفة هو جزءٌ أساسٌ من التفسير بالمأثور وقد ظهر هذا النوع من المنهج بعد رحلة النبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ومن المعروفين في سلوك هذا المنهج بعد عهد الرسالة عبد الله بن عباس، وقد ذاع هذا المنهج من القرن الأوّل إلى عصرنا هذا " فظهر من يكتفون في التفسير بالأثر المروي، ولا يتجاوزن عنه حتّى أنّ بعض المفسرين لا يذكر الآية التي لا يجد حولها أثراً من النبي أو الأئمة المعصومين عليهم السلام "(السبحاني، ١٤٣٢هـ، ص ١٥٩).

و الله عزّ وجلّ أمر نبيّه أنّ يبلّغ الناس ما أنزل إليه من القرآن الكريم، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ {المائدة/٦٧}﴾ وحدّد وظيفة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ببيان ما أنزل إليه للناس، قال تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ {النحل/٤٤}، والرسول الكريم (صلّى الله عليه وآله وسلّم). قام بأداء الأمانة فبلّغ ما أنزل إليه وبيّنه للناس، ووضّح أحكامه، وحلاله وحرامه، وفسّر ما أشكل على الناس من آيات الذكر الحكيم، فكان الرسول أوّل المفسرين لكتاب الله، وفي عهده نشأ علم التفسير سواء كان يبادر إلى بيانه، أو بما يجيب به على ما يوجّه إليه من سؤال.

وهذا ما دفع علماء التفسير إلى الاهتمام بأقوال الرسول والاستعانة بها لتفسير ما أشكل عليهم من كتاب الله، فنجد اهتماماً واسعاً من العلماء والمفسرين بإيراد أقوال الرسول في تفاسيرهم، وقد استعان العلامّة الطباطبائي بأحاديث الرسول وما ورد في سنته الشريفة لإيضاح وتبيان الكثير من الأسرار ووجوه الإعجاز في القرآن الكريم من خلال تفسير الميزان.

وقد ذهب الطباطبائي بشكلٍ واضحٍ وصريح إلى ضرورة وإلزاميّة تتبّع أقوال الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لأجل الاستعانة بها فيما أشكل فهمه من آيات القرآن الكريم، وهذا النهج الذي ورد ذكره في كتاب الله في قوله تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ {الحشر/٧}، وجاء في تفسير الآية الكريمة " أي ما أعطاكم الرسول من الفيء فخذوه كما أعطى المهاجرين ونفراً من الأنصار، وما نهاكم عنه ومنعكم فانتهوا عنه ولا تطلبوا غيره، وفيه إشعارٌ بأنّهم سألوا النبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم). أن يقسّم الفيء بينهم جميعاً فأرجع إلى نبيه وجعل موارد مصروفه ما ذكره في الآية، وجعل للنبيّ(صلّى الله عليه وآله وسلّم). أن ينفقه فيما يرى، والآية مع الغضّ عن السياق عامةٌ تشمل كلّ ما أتاه النبيّ من حكمٍ فأمر به أو نهى عنه "(الطباطبائي، د.ت، ج ١٩، ص ٢٠٤).

وعليه فإنّ السنّة النبويّة شارحة ومبيّنة للقرآن الكريم، وهذه الآية تدلّ دلالةً واضحة لا مجال للشكّ بها على أنّ كثيراً من أحكام القرآن يتمّ إيضاحه وبيانه بالعودة إلى وصلنا من سنّة النبي من أقوالٍ مأثورة ومثبتة بالدليل

الواضح. وكان الطباطبائي يلجأ إلى التفسير بالمأثور بالاعتماد على السنة النبويّة في تفسير الآيات وإيضاح دلالاتها.

ومن الشروط الأساسيّة في الاستعانة بالأحاديث المرويّة عن النبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم). أن تكون صادرة بشكل قطعي عن النبي. فعند ذلك يجب الاحتكام إليها والاستناد إلى ما جاء فيها لأجل أخذها كدليلٍ مساعدٍ في تفسير القرآن الكريم وآياته " ولا يرتاب العلماء في حجيّة الخبار المقطوع بصدورها سواء أكانت متواترة أو غير متواترة لكنّها محفوفة بقرائن قطعيّة الصدور عن الرسول "(الامدي، ١٤٠٢هـ، ٢/ ٣٥١).

والسيد الطبطبائي اعتمد هكذا روايات عن النبي في تفسير القرآن الكريم، وقد عبّر عن ذلك بقوله " إذا كان الخبر متواتراً أو محفوفاً بقرينة قطعيّة فلا ريب في حجيّته"(الطباطبائي، د.ت، ج ١٠، ص ٣٥١).

ومن الأمثلة التي نشاهدها في تفسير الميزان ما جاء في تفسير أمر الصلاة في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا {النساء/١٠١} ﴾ فيقول الطباطبائي في تفسير الآية "وتفيد الآية أنّ بدء تشريع القصر في الصلاة إنّما كان عند خوف الفتنة، ولا ينافي أنّ يعمّ التشريع جميع صور السفر الشرعي، وإن لم يكن لم يكن هناك خوفٌ، فإنّما الكتاب بيّن قسماً منه والسنّة بيّنت شموله لجميع صوره، وذكر لذلك روايات عديدة في إفادة الآية قصر الصلاة في السفر منها ما روي أنّ يعلى بن أميّة قال: سألت عمر بن الخطاب، قلت: ليس عليكم جناحٌ أنّ تقصروا من الصلاة إن خفتم أنّ يفتنكم الذين كفروا، وقد أمن الناس، فقال لي عجبتُ ممّا عجبت منه فسألت رسول الله(صلّى الله عليه وآله وسلّم).عن ذلك، فقال صدقةٌ تصدّق الله بها، فاقبلوا صدقته والجملة قيدٌ(فلا جناح عليكم) وتفيد في بدء تشريع القصر في الصلاة إنّما كان خوف الفتنة، ولا ينافي في ذلك أن يعمّ التشريع جميع صور السفر وإن لم يجامع الخوف، فإنّما الكتاب بيّن قسماً منه والسنّة بيّنت شموله لجميع الصور "(الطباطبائي، د.ت، ج ٥، ص ٦١).

فنجد إشارة من السيد الطباطبائي إلى أنّ القرآن بيّن جانباً من هذا التشريع، والسنّة النبويّة أوضحت جوانب أخرى من هذا الجواز في الآية الكريمة.

ويؤكد الطباطبائي وجوب الابتعاد عن الروايات التي فيها غموض أو توهّم بين الآية والرواية "فما نُقل عن النبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم). ممّا يمكن الاستفادة منه في الكتاب العزيز لا يمكن أن يقع بين أحكام القرآن والسنّة تخالف أو تعارض "(الخضري، ١٣٨٥هـ،ص ٢٦٨).

ومثال ذلك ما جاء في تفسير الآية الكريمة، قال تعالى ﴿ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَآؤُكُمْ وَأَبنَاؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيمًا {النساء/١١} ﴾ فيقول الطباطبائي " ولا ينافي في تقديم الوصيّة على الدين ما ورد في السنّة من انّ الدين مقدّمٌ على الوصيّة، لأنّ الكلام ربّما يقدّم فيه غير الأهمّ، وربما لا يحتاج الأهم لمكانته وقوّة ثبوته إلى ما يحتاجه إليه غيره من التأكيد والتشديد، فقوله(أو دين) في مقام الإضراب والترقيّ، وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: إنّكم تقرؤون في هذه الآية الوصيّة قبل الدين، وإنّ رسول الله(صلّى الله عليه وآله وسلّم). قضى بالدين قبل الوصيّة "(الطباطبائي، د.ت، ج ٤، ص ٢٢١).

فالأخذ بالسنة النبويّة في هذه الآية لا يعني تعارضاً بين السنّة ة القرآن، وغنّما هو نوعٌ من إظهار الأهميّة مع التأكيد على الوصيّة والدين مع إظهار التقديم كنوعٍ من التأكيد والتشديد على وفاء الدين ومن ثمّ تطبيق الوصيّة.

وامّا بالنسبة لآحاد الروايات فيعطي الطباطبائي رأياً صريحاً في ذلك قائلاً " لا تكون الحجّة إلّا إذا كانت محفوفة بالقرائن المفيدة للعلم، أعني الوثوق التام الشخصي سواء كانت في أصول الدين أو التاريخ أو الفضائل أو غيرها إلّا في الفقه فإنّ الوثوق النوعي كافٍ في حجيّة الرواية، كلّ ذلك بعد عدم مخالفة الكتاب "(الطباطبائي، د.ت، ج ٨، ص ١٤١).

وبناء عليه فغنّ منهج الطباطبائي في تعامله مع الروايات المنقولة عن النبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم)، واضحاً، فهو يعتمد الروايات المثبتة المتواترة، وإذا كانت الروايات من الروايات الآحاد خصّها بمجال محدد من التفسير بشرط عدم مخالفة الكتاب، فهو " يعتمد السنة حين تفيد القطع، وأمّا أخبار الآحاد الموثوقة الصدور وغير المحفوفة بالقرائن المفيدة للعلم فإنها حجّة في الحكام العلميّة، وأمّا في غيرها فيراها مؤيدة للمعاني المستنبطة من الآيات إن وافقتها وإلّا ردّها وهذا ما تؤيده الأحاديث النبويّة القائلة بعرض الأخبار على القرآن الكريم " (المجلسي، ١٩٨٣، ج ٥، ص ٢١٠).

لقد كان الطباطبائي دقيقاً في التعامل مع الروايات المنقولة عن النب(صلّى الله عليه وآله وسلّم). في تفسير الآيات القرآنيّة ومن الأمثلة التي نجدها في تفسير الميزان التي استعان بها بالمأثور عن الرسول الكريم في تفسيره قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾{البقرة/٢٦٤}. فالآية الكريمة تشير إلى أنّ الإحسان الذي يتبعه أذى لا قيمة له، وقد أيّد الطباطبائي تفسير الآية بنا بما أثر عن النبي الكريم(صلّى الله عليه وآله وسلّم)." قال الصادق(عليه السلام): قال رسول الله: من أسدى إلى مؤمنٍ معروفاً ثمّ آذاه بالكلام أو منّ عليه فقد أبطل صدقته "(الطباطبائي، د،ت، ج ٢، ص ٣٨٩). فاستعان بقول الرسول لإثبات فحوى الآية والموعظة التي ساقها الله للمؤمنين في تقديم الحسنة أو الصدقة للآخرين لأجل المحافظة على الثواب الحسن.

٢.تفسير القرآن بأقوال الأئمة(عليهم السلام):

إنّ تفسير القرآن الكريم بالاعتماد على المأثور الذي وصل إلينا عن طريق الأئمة المعصومين عليهم السلام من أهمّ السبل للوصول إلى المعنى الصحيح " وإنّما حظي الاثنا عشريّة بهذه المنزلة لأنّهم معصومون وأنّهم أحد الثقلين اللذين تركهما الرسول . في الأمّة بعد أن التحق بالرفيق الأعلى بقوله: يا أيّها الناس إنّي تاركٌ فيكم الثقلين ما إنّ أخذتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي"(المجلسي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ٢٢٦).

والاستعانة بالمأثور المأخوذ عن الأئمة المعصومين عليهم السلام عند الطباطبائي لا يختلف عن الاستعانة بالمأثور من السنّة النبويّة، فنجد الطباطبائي يعطيهما الأهميّة نفسها، ويسلك الأسس والقواعد نفسها من صحة السند وصحّة التواتر وصدق الراوية وعدم تعارضها مع ما جاء في القرآن الكريم. وما يثبت ذلك أنّ السيد الطباطبائي جمع بين روايات السنة النبويّة وروايات الأئمة المعصومين في توصيفه للمنهج الذي يتّبعه ويعتمده في تفسير آيات القرآن الكريم، فيقول " الاستعانة بالروايات عن النب(صلّى الله عليه وآله وسلّم)، والأئمة(عليهم السلام). في تأييد المعنى المستفاد من الآية أو بمعنى أصح عرض الروايات على الآيات وإثبات مضامين الروايات وذلك عن طريق تأييد الآيات لما جاء في مضمون تلك الروايات من دون التعرّض لأسانيد تلك الروايات بعدما تبيّن لنا مطابقة مضمونها لنص القرآن، فالأصل إذن هو المعنى المعنى المستفاد من الآية ثمّ الاستعانة بالآية في إثبات صحة ما ثبت في الرواية، والاستعانة بالرواية لتأكيد ما ثبت في الآية "(الطباطبائي، د،ت، ج ١، ص ١١٠). فالاعتماد على المأثور الذي وصل إلينا عن طريق الأئمة(عليهم السلام). كان أساساً واضحاً في تفسير آيات القرآن الكريم عند الطباطبائي، ونجد أنّ الاعتماد على ما وصلنا عن طريق الأئمة له سبيلان، فكان يستعين بروايات الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم) التي يكون أحد الأئمة المعصومين(عليهم السلام). راوياً لها، ومثال ذلك الأسلوب ما ذكره في تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ {الزمر/١٠}، وجاء في تفسير الآية " توفية الأجر إعطاؤه تاماً كاملاً. والسياق يفيد أنّ القصر في الكلام متوجّهٌ إلى قوله(بغير حساب) فالجار والمجرور متعلّقٌ بقوله(يوفّى) صفة للمصدر، والمعنى لا يعطى الصابرون أجرهم إلّا إعطاءً بغير حساب فالصابرون لا يحاسبون على أعمالهم، ولا ينشر لهم ديوان ولا يقدّر أجرهم بزنة عملهم "(الطباطبائي، د،ت، ج ١٧، ص ٢٤٤) وذكر في تأييد هذا التفسير وتأكيده ما روي في مجمع البيان عن الإمام جعفر الصادق عليه

السلام قال قال: قال رسول الله(صلّى الله عليه وآله وسلّم): إذا نشرت الدواوين، ونصبت الموازين لم ينصب لأهل البلاء ميزانٌ، ولم ينشر لهم ديوان، ثمّ تلا هذه الآية ""(الطباطبائي، د.ت، ج ١٧، ص ٢٤٤).

فالطباطبائي استعان بالمأثور المروي على لسان الإمام جعفر الصادق نقلاً عن النبي الكريم فجمع في هذا التفسير بين مأثور السنة النبويّة ومأثور الأئمة المعصومين (عليهم السلام).

والسبيل الثاني الذي كان يعتمد الطباطبائي وهو المأثور الذي وصل عن لسان الأئمة المعصومين عليهم السلام أي أقوالهم التي سردت على الناس، ومثال ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى:﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾{العنكبوت/٥٦}، وجاء في تفسير الآية "إنّه تعالى بعد أن وبّخ من ارتدّ عن دينه من المؤمنين خوف الفتنة عطف الكلام على بقيّة المؤمنين ممن استضعفهم المشركون وكانوا يهددونهم بالفتنة والعذاب، فأمرهم أن يهاجروا منها أن أشكل عليهم أمر الدين وإقامة فرائضه، وسعة الأرض كناية عن أنّه إن امتنع في ناحيّةٍ من نواحيها أخذ الدين الحقّ والعمل به فهناك نراحٍ غيرها لا يمتنع فيها ذلك ""(الطباطبائي، د.ت، ج ١٦، ص ١٤٤).

وذكر الطباطبائي تأييداً لهذا المعنى رواية في تفسير القمّي عن الإمام الصادق عليه السلام " أنّه لا تطيعوا أهل الفسق من الملوك فإن خفتم أن يفتنوكم عن دينكم فإنّ أرضي واسعة، وهو يقول: فيم كنتم؟ قالوا: كنّا مستضعفين في الأرض، فقال: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها "(القمّي، ١٩٦٧، ج ١، ص ٢١٠).

والشيء الذي نلاحظه في اعتماد الطباطبائي في اعتماده على المأثور المأثور من أقوال الأئمة المعصومين عليهم السلام هو إثبات المصدر الذي أخذ الرواية منه، فنجد أنّه اعتمد على تفسير القمّي في الرواية التي أثبتها في تفسير الآية.

لقد كان التفسير بالمأثور من أهمّ مناهج التفسير التي اعتمدها الطباطبائي في تفسير آيات القرآن الكريم، ويأتي في المقام الثاني بعد تفسير القرآن بالقرآن، فنجد اهتماماً كبيراً بالمأثور مع الحرص على التأكيد على الرواية الصحيحة وموثوقيتها إن كانت في السنة النبويّة الشريفة أو عن الأئمة المعصومين عليه السلام أجمعين.

المبحث الثاني: مفهوم الرأي عند الطبطبائي

الرأي في اللغة " ماخوذٌ من رأى يرى رأياً وهو الاعتقاد " (ابن منظور، ١٩٩٩: ٥/ ١٢٠)

و الرأي في الاصطلاح " الاجتهاد، وهو التفكير في مبادئ الأمور والنظر في عواقبها، وما تؤول إليه من الخطأ والصواب " (الألوسي، د.ت :١/ ٣٢٠)

و التفسير بالرأي " عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول ومعرفة الناسخ والمنسوخ من آيات القرآن وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج المفسر إليها " الألوسي، د.ت: ٢/ ٣٢١)

و منهج التفسير بالرأي هو من المناهج المذمومة وغير المرغوبة، وورد عن النب(صلّى الله عليه وآله وسلّم). " من فسّر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب "(العاملي، ١٩٨٣، ج ٢٧، ص ١٩٠) ولا يوجد تشخيص دقيقٌ لبداية هذا المنهج إلّا رواية بعض الأحاديث عن الرسول في ذمّ هذه الطريقة في التفسير، يدلّل على أنّ هذا المذهب بدأ في زمن النبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم)، قال الرسول " من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده في النار "(القرطبي، ٢٠٠٤، ج ١، ص ٨٥).

و من الانتقادات التي وجّهت إلى هذا المنهج " إنّ التفسير بالرأي كلامٌ غير علمي ينسب إلى الله تعالى، فالمفسّر في هذه الحال لا يملك اليقين بالوصول إلى الواقع وغاية ما يتوصّل إليه هو الظّن، فضلاً عن أنّ نسبة الكلام غير العلمي إلى الله حرامٌ "(السيوطي، ١٩٩٦، ج ٤، ص ١١٠).

ولعلّ هذا الكلام وما نُقل عن النبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم). تجعل بعض المفسرين يبتعدون عن اعتماد هذا المنهج في تفسير القرآن الكريم.

مفهوم الرأي عند الطباطبائي:

لقد سعى الطباطبائي في تفسيره للقرآن الكريم إلى الابتعاد عن هذا المنهج في التفسير معتبراً إيّاه من المناهج الفاسدة في فهم القرآن الكريم وآياته فرأى الطباطبائي " أنّ الرأي هو الاعتقاد عن اجتهاد، وربّما أطلق على القول عن الهوى والاستحسان، وكيف لما ورد قوله برأيه مع الإضافة بالضمير، عُلم منه أن ليس المراد به النهي عن الاجتهاد المطلق في تفسير القرآن حتّى يكون بالملازمة أمراً بالإبداع والاقتصار على ما ورد من الروايات في تفسير الآيات عن النبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وأهل بيته على ما يراه أهل الحديث بل الإضافة في قوله برأيه تفيد معنى الاختصاص والانفراد والاستقلال بأن يستقلّ المفسّر في تفسير القرآن بما عنده من الأسباب في فهم الكلام العربيّ، فيقيس كلامه تعالى بكلام الناس فإن قطعه من أي متكلّم إذا ورد علينا لم نلبث دون أن نعمل فيه القواعد المعمولة في كشف المراد الكلامي، ونحكم بذلك: إنّه أراد كذا كما ما نعلمه من اللغة ونعهده من مصاديق الكلمات حقيقةً ومجازاً "(مركز نون، ٢٠١٢، ج ١، ص ١٥٦).

فالعلامة الطباطبائي يرى أنّه لا يجوز التعامل مع القرآن الكريم وفق الرأي والاجتهاد، وقواعد اللغة للوصول إلى الرأي المستخلص من الآية، فهناك أحاديث النبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم)، والأئمة(عليهم السلام)، فنستطيع من خلال هذه الأحاديث الوصول إلى التفسير الصحيح السليم بعيداً عن الاعتقاد الخاطئ المبني عن الرأي وقواعد اللغة التي نعملها في النصوص العاديّة " فالبيان القرآني غير جارٍ هذا المجرى، بل هو كلامٌ موصول بعضه ببعض في عين أنّه مفصول يُنطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض كما قال الإمام علي عليه السلام: فلا يكفي ما يتحصّل من آية واحدة بإعمال القواعد المقرّرة في العلوم المربوطة في انكشاف المعنى المراد منها دون أن يتعاهد جميع الآيات المناسبة لها ويجتهد في التدبّر فيها "(مركز نون، ٢٠١٢، ج ١، ص ١٥٦).

فالقرآن الكريم يحتاج إلى التدبّر في آياته، وربط معانيها مع بعضها، واكتشاف أسراره ومعانيه العميقة، فالقرآن يدلّ بعضه على بعض، ويفسّر بعضه بعض، وكلّ آية لها مكانها ومناسبتها وموعظتها، ولعلّ هذا الفكر الذي دعا الطباطبائي في تفسير آيات القرآن الكريم في تفسير آيات القرآن الكريم قد نبّه الله إليه عباده في قوله: ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾{النساء/٨٢}.

والطبطبائي يرى أنّ التفسير بالرأي يحتمل وجوهاً متعدّدة " تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلّا الله، والتفسير المقرر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تبعاً، والتفسير بأنّ مراد الله تعالى كذا على القطع من غير دليلٍ، والتفسير بالاستحسان ومقاصد الشريعة والهوى، ومن دون الاستناد إلى نظرٍ في أدلّة العربيّة ومقاصد الشريعة، وما لا بدّ من معرفة الناسخ والمنسوخ وسبب النزول، والقول بالقرآن بما يعلم أنّ الحقّ غيره، والقول في القرآن بغير علمٍ وتثبّت سواء علم أنّ الحقّ خلافه أم لا "(مركز نون، ٢٠١٢، ج ١، ص ١٦٠).

فالتفسير لا يعتمد على الاعتقاد، فتفسير آيات الكريم يستند إلى دليل ويتقاطع مع مقاصد الشريعة ويبنى على معرفة القرآن ناسخه ومنسوخه، والربط بأسباب النزول، فالاعتماد على الرأي والهوى واتّباع المذهب في التعامل مع القرآن الكريم أمرٌ مرفوض، والرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم). عبّر عن هذا الرفض بقوله " من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده في النار "(القرطبي، ٢٠٠٤، ج ١، ص ٨٥).

ولعلّ هذا القول المروي عن النبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم). كان كافياً لجعل الطباطبائي يرفض الاعتماد على منهج الرأي في تفسير القرآن الكريم لما وجد فيه من إهمالٍ لروايات السنّة النبويّة والأئمة المعصومين عليهم السلام، ودلالة آيات القرآن بعضها على بعض مع حرصه على الاجتهاد لكن ليس الاجتهاد الذي يجعل المفسّر يستقلّ برأيه في تفسير وفهم كلمات وآيات القرآن الكريم.

أمثلة الرأي المحمود والرأي المذموم:

أمثلة الرأي المحمود أو الجائز: وهو الذي تراعى فيه الضوابط الموضوعة للمفسّر ولا تكون نتائجه مخالفة لحقائق الشريعة، وذهب العلماء والدارسون إلى أنّ الراي المحمود يقوم على بعض ما نُقل عن الصحابة والتابعين، ويتميّز هذا النوع بأنّه مبني على العلم ومراعاة شروط التفسير وتحقيق الأدوات المطلوبة من العلوم اللغويّة والشرعيّة بالإضافة إلى عدم التعارض مع الكتاب والسنّة وصحيح المأثور أو العلم اليقيني، فالتفسير بالرأي المحمود يقوم على مجموعة علوم "وهي علم اللغة والاشتقاق، والتصريف، والنحو، والمعاني والبيان، والقراءات، وأسباب النزول والآثار، والسنن وأصول الفقه، والنظر، وعلم الكلام والموهبة "(الأصفهاني، ١٩٩٩، ج ١،ص٩٥) فمن الشروط الأساسيّة للأخذ بالرأي المحمود في تفسير القرآن الكريم هو المقدرة اللغويّة، وامتلاك مفاتيح علوم اللغة والفقه، والمعرفة الشاملة بآيات القرآن مع التأكيد على شرط أساسي ألا وهو عدم التعارض مع الكتاب ومصادر المأثور من السنّة وأقوال الأئمة المعصومين(عليهم السلام). أجمعين.

والذهاب إلى التفسير بالرأي له أدلته التي حاول أصحاب هذا المنهج الاستشهاد بها ومنها قوله تعالى:﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾{ص/٢٩}، وقوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾{محمد/٢٤}، والتدبر هو عمليّة عقليّة يجريها المتدبر من أجل فهم معاني الخطاب القرآني ومراده، وهذا ما أكد عليه الطباطبائي في أنّه لا يرفض الاجتهاد لكن له حدود معيّنة وهي عدم التعارض مع الكتاب ومأثور سنّة النبي والأئمة المعصومين(عليهم السلام).

ومن الأمثلة التي نشهدها على الرأس المحمود عند الطباطبائي ما جاء في تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾{لقمان/١٣}.

يقول الطباطبائي في تفسير الآية " عظمة كلّ عمل بعظمة أثره، وعظمة المعصية بعظمة المعصي فإنّ مؤاخذة العظيم عظيمة، فأعظم المعاصي معصية الله لعظمته، وكبرياؤه فوق فوق كلّ عظمة وكبرياء بأنّه الله لا شريك له، وأعظم معصية معاصيه معصيته في أنّه الله لا شريك له وقوله(إنّ الشرك لظلمٌ عظيمٌ) حيث أطلق عظمته من غير تقيد بقياسه إلى سائر المعاصي يدلّ على أنّ له من العظمة ما لا يقدّر بقدر "(الطباطبائي، د،ت، ج ١٦، ص ٢١٥) فنجد أنّ الطباطبائي لم يستعن في تفسير الآية بالمأثور من السنة أو أحاديث الأئمة(عليهم السلام)، ولم يعتمد تفسير القرآن بالقرآن وإنّما لجأ إلى الاجتهاد الذي لا يتعارض مع الكتاب، فمعصية الله معصيّة عظيمة، وبنى رأيه على أسس ثابتة في الدين، فعظمة المعصيّة من عظمة المعصي، فالله هو خالق كلّ شيء والقادر على كلّ شيء.

الرأي المذموم أو المنهي عنه: التفسير بالرأي المنهي عنه أمرٌ راجعٌ إلى طريقة الكشف دون المكشوف، وبعبارة أخرى " إنّما نهى(صلّى الله عليه وآله وسلّم). عن تفهّم كلام الله تعالى على نحوٍ ما يتفهم به كلام غيره وإنّ كان هذا النحو من التفهّم ربما صادف الواقع، والدليل على ذلك قول الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم): من تكلّم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ، فإنّ الحكم بالخطأ مع فرض الإصابة ليس لكون الخطأ في الطريقة، وكذلك قوله(عليه السلام): إنّ أصاب لم يؤجر"(الطباطبائي، د،ت، ج ١٦، ص ٢١٥) وليس اختلاف كلامه تعالى مع كلام غيره في نحو استعمال الألفاظ وسرد الجمل وإعمال الصناعات اللفظية، فإنّما هو كلامٌ عربيّ روي فيه جميع ما يراعى في كلام عربيّ، قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾{إبراهيم/٤}، وقال تعالى ﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ {النحل/١٠٣} ، وإنّما الاختلاف من جهة المراد الذي ينطبق عليه مفهوم الكلام.

ومثال هذا التفسير، قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ {الحجر/٢١} ، وقوله تعالى:﴿وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ {الجاثية/٥}، " فالله حسب فهمنا لا يخزن المال، وبناءً عليه حكمنا بأنّ المراد بالشيء الرزق من

الخبز والماء، وانّ المراد بنزوله نزول المطر لأنّا لا نشعر بشيء ينزل من السماء غير المطر، فاختزان كلّ شيء هند الله ثمّ نزوله بالقدر كناية عن اختزان المطر ونزوله لتهيئة المواد الغذائيّة، وهذا تفسيرٌ بما نراه من غير علمٍ إذ لا مسند له إلّا أنّا لا نعلم شيئاً من السماء غير المطر والذي بأيدينا هاهنا عدم العلم دون العلم بالعدم "(مركز نون، ٢٠١٢، ج ١، ص ١٥٩).

ومن يظهر لنا أنّ التفسير بالرأي كما بيّناه لا يخلو عن القول بغير علمٍ كما يشير قول الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله " من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده في النار "(القرطبي، ٢٠٠٤، ج ١، ص ٨٥) وهذا أمرٌ مذموم في فهم القرآن الكريم وتفسير آياته واستنباط أحكامه.

الخاتمة:

لقد نال التفسير القرآني اهتماماً عند علماء الشيعة، ولعل السيد الطباطبائي من العلماء الذين أعطوا التفسير قيمته ومكانته الحقيقة، فقدّم نموذجاً متقدّماً في التفسير أغنى من خلاله المكتبة الإسلاميّة بإنتاجٍ علمي يحمل الخير لأبناء الأمّة، ولعلّ أهّم النتائج التي وصلنا إليها في نهاية في البحث تتلخّص في الآتي:

١. تنوّع المناهج التي اعتمدها الطباطبائي في تفسير القرآن الكريم وآياته.

٢. اعتناء الطباطبائي بالتفسير المأثور لا سيما الروايات التي تعتمد السنة النبويّة وروايات الأئمة المعصومين (عليهم السلام).

٣. اعتماد الروايات المأثور عند الطباطبائي لها شروط وأهمّها صحة النقل والسند والتواتر فضلاً عن أن يكون الحديث موافقاً للكتاب.

٤. ابتعاد الطبطبائي عن التفسير بالرأي كونه منهجاً مذموماً مع الحرص على الاجتهاد بما لا يتعارض مع الكتاب والمأثور من السنة وأقوال الأئمة المعصومين عليهم السلام.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

الكتب:

٢. . ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني،(ت ٣٩٥ هـ) معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩

٣. . الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، تفسير الراغب الأصفهاني، تح: محمد عبد العزيز بسيوني، كليّة الآداب، طنطا، ١٩٩٩

٤. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: تصحيح: محمد الصادق، ط ٣، دار إحياء التراث، بيروت ١٩٩٩

٥. إعداد مركز نون للتأليف والترجمة، دراسات في مناهج التفسير، ط١، جمعيّة المعارف الإسلاميّة، ٢٠١٢. بيروت. ص ١٥٦

٦. الامدي، سيف الدين أبو الحسن، الإحكام في أصول الأحكام، تح: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٤٠٢هـ

٧. الخضري، محمد بك، أصول الفقه، ط٥، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٨٥هـ

٨. الزركشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله(ت ٧٩٤ هـ)،البرهان في علوم القرآن تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٥٧

٩. السبحاني، العلامة جعفر، المناهج التفسيريّة في علوم القرآن الكريم، مؤسسة الإمام الصادق، مكتبة التوحيد، قم ١٤٣٢هـ

١٠. السيوطي، جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، ط٢، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٩٦.

١١. السيوطي، جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، ط٢، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٩٦
١٢. الطباطبائي، محمد الحسين، الميزان في تفسير القرآن، ط ١، مؤسسة الأعلمي للطباعة والنشر، بيروت. د ت
١٣. الطباطبائي، محمد الحسين، الميزان في تفسير القرآن، ط ١، مؤسسة الأعلمي للطباعة والنشر، بيروت. د.ت
١٤. العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣.
١٥. القرطبي، أبو عبد الله محمد، الجامع لأحكام القرآن، ط ٢، دار الكتب العلميّ، بيروت، ٢٠٠٤
١٦. القمّي، الحسن علي بن إبراهيم، تفسير القمّي، تح: طيب الموسوي، مكتبة الهدى، النجف، ١٩٦٧
١٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣.
١٨. الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تح: حسن الأمين، دار التعارف، بيروت، ١٩٨٣.
١٩. طهراني، آغا بزرك، طبقات أعلام الشيعة، المطبعة العلمية، النجف، ١٣٢١هـ .

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

موقف مجلس النواب اللبناني من القضية الفلسطينية١٩٤٨

أ. م. د. ميثم علي نافع
جامعة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) كلية الآداب

المستخلص:
اصبحت قضية فلسطين جزءا حيويا من تاريخ الوطن العربي الذي امتد لاكثرمن سبعين عاما. مليا بالظلم والاضطهاد والقتل و التهجير امام صمت اغلب دول العالم ، التي تنادي و تطالب بحقوق الانسان ، وهم يمدون يد العون بالمال و السلاح والاعلام للظالم و المغتصب لحقوق شعب فلسطين ، ونلاحظ بين فترة و اخرى تتجدد عملية الابادة منذ عام ١٩٤٧ عام التقسيم و اخرها غزة اليوم .
الكلمات المفتاحيّة : لبنان ، مجلس النواب ، القضية الفلسطينية.

Abstract:
The issue of Palestine has become a vital part of the history of the Arab world, which extended for more than seventy years, full of injustice, persecution, killing and displacement in front of the silence of most countries of the world, which call and demand human rights, and they extend a helping hand with money, weapons and media to the oppressor and usurper of the rights of the people of Palestine, and we notice between one period and another renewed genocide since 1947, the year of partition, and the last of which is Gaza today.
Keywords:Lebanon, Parliament, Palestinian issue.

المقدمة:
تعد لبنان من البلدان العربية المجاورة لفلسطين ، لذا نراه يتأثر و يؤثر بكل ما جرى و يجري في فلسطين ، و عليه لابد ان يكون للبنان موقفا و تمثل هذا الموقف بمجلس النواب اللبناني و لاهمية قضية فلسطين جاء اختيار موضوع البحث الموسوم
(موقف مجلس النواب اللبناني من القضية الفلسطينية عام ١٩٤٨) .
تضمن البحث مقدمة و ثلاثة مباحث وخاتمة ، تناول المبحث الاول الجامعة العربية و تأسيسها باعتبار لبنان احدى الدول المؤسسة لهذه الجامعة ، بينما تطرق المبحث الثاني الى القضية الفلسطينية قبل عام ١٩٤٨ و مرحلة التقسيم اما المبحث الثالث فقد تناول ما ورد في جلسات مجلس النواب عام ١٩٤٨ من القضية الفلسطينية .
مثلت جلسات مجلس النواب اللبناني العامود الفقري للمصادر التي تناولت البحث ، وتم استخدام العديد من المصادر العربية و المجلات و الصحف التي بحثت بالقضية الفلسطينية .
اما المشاكل التي واجهت الباحث منها انشغالي العلمي في القسم و اجراء الاختبارات للطلبة و قلة المصادر وصعوبة الحصول عليها المتعلقة بموضوع البحث .
موقف مجلس النواب اللبناني من القضية الفلسطينية ١٩٤٨
المبحث الأول:
موقف مجلس النواب اللبناني من جامعة الدول العربية
تأسست جامعة الدول العربية في ربيع عام ١٩٤٥، وضعت يدها على قضية فلسطين، وباشرت معالجتها وبذلك دخلت الأقطار العربية المستقلة يوم ذاك التي أسست الجامعة،وعددها سبعة دول(مصر،العراق،سوريا،لبنان،ال سعودية،الاردن واليمن) تمثل ساحة الصراع ضد اسرائيل،ليبدأ الصراع العربي-- الاسرائيلي،سلسلة طويلة من

الحروب والمعارك والنزاعات المسلحة(اكرم زعيتر،١٩٥٥،ص١١٧).

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وانقسام العالم إلى معسكرين شرقي اشتراكي وغربي رأسمالي ونشوب الحرب الباردة بينهما،برزت الحاجة في الساحة العربية لإنشاء تنظيم عربي يحمي الكيان القومي العربي ويوحد الصف العربي

ويقود العمل العربي المشترك في كل المحافل الدولية في ظل تسارع الأحداث الدولية وتحالفت الدول الغربية لإنشاء الكيان الاسرائيلي على أرض فلسطين، وفي منتصف الأربعينات قررت سبع دول عربية مستقلة تأسيس جامعة الدول العربية التي سبق ذكرها،اما باقي الدول العربية التي لاتزال تحت الانتداب الفرنسي و البريطاني والايطالي،واعلنت الدول السبعة أن يكون مقر الجامعة في القاهرة،ووقعت الدول على ميثاق الجامعة،وانضمت بعد ذلك بقية الدول العربية بعد استقلالها. التي بلغ عددها اثنان وعشرون دولة،عملت الجامعة على توثيق الصلات بين دول الاعضاء وتنسيق خططها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأمنية من أجل تحقيق الأمن الجماعي وحماية الأمن القومي العربي ،وصون استقلال دول الأعضاء وسيادتها، وتعزيز العمل العربي المشترك في مختلف المجالات(احمد طربين،١٩٥٩، ص٣٤٤).

أدلى وزير الخارجية البريطاني انطون أيده بتصريح في التاسع والعشرين من أيار عام١٩٤١ ،اكد أن بريطانيا ترى أن كثير من المفكرين العرب يتمنون درجة اكبر من الوحدة في البلاد العربية،ويتطلع العرب إلى تأييد مسعاهم في تحقيق الروابط الثقافة والاقتصادية والسياسية بين البلاد العربية ، وان بريطانيا تؤيد هذا الاتجاه، وأكد انطوني أيده في وقت لاحق من عام١٩٤٣ ، أن مبادرة الوحدة العربية يجب أن تصدر من العرب أنفسهم(احمد طربين،١٩٧٠ ،ص٣٨١).

أكد الدبلوماسي البريطاني لونكريك،ان بريطانيا لم تكن المؤسس الحقيقي لجامعة الدول العربية ، وهي لم تفعل أكثر من أن تنظر بعين العطف إلى الجهود العفوية لتحقيق المزيد من الوحدة بين العرب،وراى بأن نوري سعيد رئيس وزراء العراق ومصطفى النحاس رئيس وزراء مصر هما اللذان لعبا الدور الرئيسي في قيام جامعة الدول العربية ، وان الرأي العام العربي كان مؤيدا لفكرة قيام جامعة الدول العربية (حسان حلاق،١٩٩٤،ص٢٤١).

أكد سامي الصلح أن ميثاق جامعة الدول العربية وضع موضوع التنفيذ لكن اثير الجدل حوله، عند انضمام لبنان الى جامعة الدول العربية ،واضاف أن جامعة الدول العربية هي من صنيعة بريطانيا التي كانت تخطط للسيطرة على العرب ، من خلال جامعة الدول العربية علما بأن نفوذ بريطانيا كان يهيمن على الشرق الاوسط(سامي الصلح،١٩٧٠، ص٥٩).

وأشار كلوب أن الحكومة البريطانية مارست تأثيرها على الحكومات العربية لتشكيل جامعة الدول العربية (محمد سكير ،٢٠٠٨، ص١٨٦).

في ايار١٩٤٢ ،زار قنصل مصر في لبنان احمد رمزي الرئيس اللبناني بشارة الخوري،وسلمه دعوة من رئيس وزراء مصر مصطفى النحاس للحضور إلى مصر للبحث في التعاون العربي،في الثاني من حزيران عام١٩٤٢ ،عقد اجتماع تمهيدي في القاهرة،ضم كل من نحاس باشا،بشارة الخوري،جميل مردم وزير خارجية سوريا،محمد شرارة وكيل وزارة الخارجية المصرية ومحمد صلاح الدين الأمين العام للخارجية المصرية ،وقد أبدى الرئيس اللبناني بشارة الخوري استعدادا للتعاون مع الدول العربية بشرط أن يحفظوا استقلال لبنان ضمن حدوده المعترف بها،ويكون التعاون مع الدول العربية على هذا الأساس(بشارة الخوري ،١٩٦٠--١٩٦١،ج١،ص٢٤٥).

إن البريطانيين وبعض المسؤولين العرب كانوا يريدون مساعدة شخصية لبنانية موالية لهم في الوصول إلى رئاسة الجمهورية ،لذا دعي بشارة الخوري إلى مصر، وحرصت مصر وسوريا وبريطانيا على التأكيد على سياسة بشارة الخوري المستقلة في حال مساعدته للوصول للرئاسة، لابد من القول بأن الفئات الشعبية العربية أيدت مشروع الوحدة لا لكون المشروع بريطاني، لكن لانه موحد لجهود الدول العربية (محمد جميل،١٩٧٧،ص٢٣).

كانت هناك ملامح أساسية للبيئة العربية التي تأسست في ظلها جامعة الدول العربية تتمثل اولا وجود نفوذ استعماري قوي في المنطقة من جانب بريطانيا وفرنسا سواء في شكل وجود عسكري أو معاهدات غير متكافئة باستثناء السعودية التي كانت علاقتها قائمة مع الولايات المتحدة واليمن،فان الدول العربية الأخرى وهي مصر وسوريا والعراق ولبنان وشرق الاردن،كانت تتمتع بقدر محدود من الاستقلال،ثانيا ستأتي كثير من الحكومات العربية إلى تدعيم نفوذها ومكانتها في الداخل. العمل من أجل استكمال الاستقلال من جهة مع الحفاظ على نموذج معين لتوازن القوى في المنطقة العربية من جهة اخرى،وذلك على المستوى العربي، ثالثا كانت المنطقة العربية تشهد نشاطا جماهيريا ملحوظا يدعو للوحدة العربية ،رابعا مع قيام الحرب العالمية الثانية زادت حاجة بريطانيا إلى تأمين المنطقة العربية لأهميتها الاستراتيجية والاقتصادية ،مما دفعها القيام بدور هام في إنشاء جامعة الدول العربية (ساطع الحصري،١٩٦٣،ص١٢١).

باندلا ع الحرب العالمية الثانية، انقسم القادة السياسيون العرب إلى فريقين،فريق أعلن تأييده للدول الحليفة في صراعها مع دولتي المحور، على أمل أن تحقق امال العرب في الاستقلال والوحدة بعد انتهاء الحرب ، وفريق ثاني أخذ على الحلفاء أعمالهم للعرب وقضاياهم ورأى أنه لابد من الاستفادة من الوضع الدولي باتخاذ موقف الحياد بين الدولتين المتحاربين أول الأمر حتى ينجلي الموقف ويعرف العرب. ايا من الدولتين تساعده على نيل الاستقلال وتحقيق الوحدة(علي محافظة،١٩٨٢،العدد٤١).

كان رأي ممثلي بريطانيا في القاهرة وبغداد وبيروت والقدس وجدة تعذر تنفيذ أي اتحاد عربي انذاك،وان الضرورة تقتضي بأن لا تقدم الحكومة البريطانية على أي خطوة في هذا الاتجاه، وبحث الموضوع ثانية في اجتماع اللجنة الرسمية للشرق الأوسط في الثامن من تشرين الاول عام١٩٤١ ، واتضح المجتمعين أن كل مشروع اتحادي عربي مقبول إذا ضمن الحاجة البريطانية من النفط وسلامة المواصلات البريطانية واستبعد من المنطقة اي دولة معادية لها وتم الاتفاق على ضرورة اصدار تصريح رسمي بريطاني يحبذ فكرة الاتحاد العربي (محمد سكير،٢٠٠٨ ،ص١٨٧).

زار نوري السعيد القاهرة للتباحث مع وزير الدولة البريطاني للشرق الأوسط ريكارد كيسي، وطلب كيسي منه أن يقدم آراءه ومقترحاتهم مكتوبة، ففعل نوري السعيد ذلك،وكانت مذكرته المعروفة بالكتاب الازرق التي قدمها إلى الوزير البريطاني بتاريخ الرابع عشر من كانون الثاني عام ١٩٤٣ ، والذي جاء فيها،توحيد سوريا ولبنان وشرق الأردن وفلسطين في دولة واحدة، ثانيا إنشاء جامعة عربية تضم العراق وسوريا واي دولة عربية أخرى اذا شاءت ذلك، ثالثا إنشاء مجلس دائم للجامعة يتولى شؤون الدفاع والخارجية والعملة والمواصلات والجمارك وحماية حقوق الاقليات، رابعا إقامة إدارة ذاتية لليهود في المناطق التي يشكلون فيها أكثرية سكانية في فلسطين، خامسا منح الموازنة في لبنان وضعا مماثلا للوضع الذي كانوا عليه أواخر العهد العثماني(نوري السعيد ،١٩٤٣،ص٢٤).

التقى نوري السعيد المستشار الشرقي للسفارة البريطانية في القاهرة وعرض عليه مشروع توحيد أقطار الهلال الخصيب، مبينا له أنه سيكون منطلق مباحثاته مع مصطفى النحاس، غير أن الدبلوماسي البريطاني المقيم في القاهرة وعرض عليه الموضوع نفسه،فنصح نوري السعيد بعدم التهور وضرورة أخذ موافقة جميع الدول العربية على الخطوات الوحدوية، وهذا يعني أن المسؤولين البريطانيين لم يحبذوا مشروع وحدة الهلال الخصيب. الذي اقترحه نوري السعيد في كتابه الازرق(سامي حكيم،١٩٦٦ ،ص١٩).

اجتمعت اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام التي ستتولى صياغة المشروعات لتحقيق الوحدة العربية في الخامس والعشرين من ايلول عام١٩٤٤ في الإسكندرية بحضور مندوبين عن مصر وسوريا ولبنان والعراق و شرق الأردن والسعودية واليمن وعرب فلسطين،وعقدت ثمان جلسات متتالية،لم يعترض على ما جاء في ذلك الوقت سوى لبنان، اعترض رئيس الجمهورية اللبنانية على الفقرة الذي جاء فيها((بأنه لايجوز في أي حال اتباع سياسة خارجية تضر بسياسة جامعة الدول العربية أو اي دولة منه)) ، وتأخر توقيع السعودية واليمن على بروتوكول الإسكندرية

بسبب التحفظ الذي أبداه مندوبا الدولتين عند توقيع البروتوكول ،. تمت موافقة السعودية عليه في السابع من كانون الثاني عام١٩٤٥ ،و بعدها اليمن في الخامس من شباط عام١٩٤٥(احمد الشقيري،١٩٧٩،ص٥٨).

بدأت اللجنة الفرعية السياسية اجتماعاتها في الخارجية المصرية في الرابع عشر من شباط واستمرت حتى الثالث من آذار عام ١٩٤٥ ،الوفد اللبناني أبدى تحفظه على النصوص التي قد تمس سيادة لبنان واستقلاله،وكان الوفد السوري حريصا على عدم التفريط باستقلال سوريا والاحتفاظ بنظامها الجمهوري. إيجاد صيغة فضفاضة للجامعة ،اما الوفدان العراقي والأردني ،فبعدما استبعدت فكرة سوريا الكبرى،ووحدة أقطار الهلال الخصيب،اصبح كل منهما يريد أن يتضمن الميثاق نصوصا تشجع على الوحدة بين الأقطار العربية واستبعاد الالتزام بقرارات الاكثرية،وفي السابع عشر من آذار عام ١٩٤٥ ،اجتمعت اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام في قصر الزعفران بالقاهرة لإقرار ميثاق جامعة الدول العربية في صيغته النهائية،فاقرته في الثاني والعشرين من آذار عام ١٩٤٥ ،واصبح نافذ في الخامس من أيار من العام نفسه(احمد الشقيري ،١٩٧٩ ،ص٧٢).

عقد مجلس النواب اللبناني جلسته الرابعة بتاريخ العاشر. من آذار عام ١٩٤٥ ،برئاسة صبري حماده،وبحضور الحكومة برئاسة عبد الحميد كرامي، وتناول المجلس بيان وزير الخارجية هنري فرعون نتيجة رحلته إلى مصر ، وأكد البيان أن دستور جامعة الدول العربية سيعرض على السلطات التشريعية في مختلف البلدان المتعاقدة لابرامه، ولابد قبل إعلان مشروع دستور الجامعة،من إقراره في المؤتمر العام الذي سيعقد في القاهرة في السابع عشر من آذار عام ١٩٤٥ ،وأكد النائب سامي الصلح بأن لبنان تتنازل عن عقيدتان،الاولى هي سياسة الانعزال وعدم التشاور والانفصال عن بقية البلدان العربية على أساس الاستقلال التام،والتمتع بالكيان اللبناني،بالاتحاد أو بدونه، والثانية هي سياسة الاتصال والتفاهم والتفاؤل. والتعاون،تحت لواء جامعة الدول العربية ،مع الاحتفاظ بالاستقلال التام،السيادة الكاملة،بروتوكول الإسكندرية وجامعة الدول العربية المستقلة،سيجني لبنان منها اطيب الثمرات،نظرا لموقعه الجغرافي المطل على البحر المتوسط،الذي هو صلة الوصل بين مختلف بلدان العالم ،ولبنان لا يستطيع أن يعيش وحده،نظرا لقلة موارده وصغر حجمه،وقلة سكانه،فمن الضروري أن يؤلف وحدة اقتصادية واسعة مع البلاد العربية المحيطة به، وان بروتوكول الإسكندرية سيضمن له الازدهار والانتعاش الاقتصادي من دون أن يمس لسيادته أو ينقص من استقلاله(د.ت٥ ،١٠،١٩٤٥ آذار).

عقد مجلس النواب الجلسة الثانية بتاريخ السابع من نيسان عام١٩٤٥ ،برئاسة صبري حماده، وبحضور حكومة عبد الحميد كرامي،احالت الحكومة إلى مجلس النواب بموجب المرسوم المرقم (٣٠٠٠) بتاريخ الثالث من نيسان عام١٩٤٥ ،مشروع يقضي بتصديق ميثاق جامعة الدول العربية الموقع عليه بتاريخ الثاني والعشرين من آذار عام١٩٤٥ ،وعقدت لجنة الشؤون الخارجية عدة اجتماعات لدراسته واستمعت إلى وزير الخارجية ،بعدما قدمت تقريرها والذي جاء فيه أن ميثاق جامعة الدول العربية حدث عظيم في تاريخ البلاد العربية ،فهذا الحدث جاء نتيجة مباحثات ومشاورات بدأت في السنة الماضية بناءا على دعوة من الحكومة المصرية ، فتح عهدا من الاخاء والتسامح والتعاون بين البلاد العربية،ان الميثاق الذي حدد شكل هذا التعاون نتيجة محتومة للروابط التي تربط بينها ولشعورها بالحاجة الملحة لتثبيت وتوثيق العلاقات القائمة بينها جهود رجالاتها المخلصين في سبيل تحقيق هذه الأهداف التي تتطلع إليها الشعوب العربية منذ أمد طويل والتي تقبلوا الان رابطة وفخر،واكد التقرير أن لبنان لسعيد باشتراكه مع إخوانه في تحقيق هذه الرغبات وفخور لمساندته في الجهود المشتركة، فالشعب اللبناني لم يكن في تاريخه الماضي والقريب بعيدا عن البلاد العربية ،وان المشاورات التي بدأت في القاهرة قد استهدفت تحقيق غايتين، الأولى تأمين التعاون بين البلاد العربية ،والثانية المحافظة على استقلال وسيادة كل دولة من هذه الدول، وان ممثلي هذه الدول قد اتفقوا على عقد الميثاق،تثبيتا للعلاقات الوثيقة والروابط العديدة التي تربط بين الدول العربية وحرصا على دعم هذه الروابط وتوحيدها على أساس احترام استقلال تلك الدول وسياتها، وتأييد هذا المبدأ في

جميع مواده بصورة لا تقبل الجدل والشك،فقد نصت المادة الاول منه على أن جامعة الدول العربية تتألف من الدول العربية المستقلة وعلى أن كل دولة عربية مستقلة الحق أن تنضم إلى الجامعة . ونصت المادة الثانية على أن الغرض من جامعة الدول العربية ((توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها وصيانة استقلالها)) .لقد أثارت المشاورات الأولى وبرتوكول الإسكندرية والميثاق جدلا في الأوساط اللبنانية، فالبعض وجد فيها مساسا باستقلال لبنان وسيادته، والبعض الآخر لم يجد فيها تحقيقا لاماني القوميين الكاملة في توثيق التعاون وتوحيدها بصورة أوضح واقوى،فما علينا إذن أن نجعل من هذا الميثاق أداة تعاون صحيح متى كان الاخلاص رائد الجميع، كما ثبت حتى الآن. فسيحقق هذا الميثاق امال العرب جميعا، وسيكون هذا العهد الجديد عهد عزة وكرامة وعمران لجميع البلاد العربية المستقلة على حد سواء(د.ت٥ ،١٩٤٥، ٧نيسان).

في بيان لرئيس مجلس الوزراء عبد الحميد كرامي في الجلسة انفة الذكر، تناول فيه ميثاق جامعة الدول العربية وعنده صفحة من صفحات الأمة التي خطتها عبر تاريخها الطويل العريق وهو دون شك اروع صفحات تاريخنا الحديث، ولبنان الذي يسعده أن يكون عضوا في جامعة الدول العربية لا يفوته إدراك. الخير الذي سيجنيه، وان هذا الميثاق سيكون العامل الأول في تدعيم استقلالنا وتوطيد أركانه وأركان كل الدول العربية المشتركة فيه،وفي أثناء مناقشة الميثاق تليت كلمة حزب الشعب في الجلسة بعد تدقيق الحزب في نصوص ميثاق جامعة الدول العربية ويرى الحزب أن هذا المشروع قد وفق بإيجاد أداة تعاون وثيق بين الدول الموقعة مع احترام وتأييد استقلال كل دولة من الدول العربية ، أقر حزب الشعب الميثاق وأكد أننا مطمئنين إلى مستقبل لبنان المقدس مؤمنين بتدعيم استقلاله المطلق،وسيادته التامة، وكانت كلمة حزب الشعب موقعة تسعة نواب، وأكد النائب سامي الصلح أن الوعي القومي الإقليمي في كل من هذه الدول العربية الشقيقة قد تطور تدريجيا حتى اتخذ شكلا موحدا وظهر بمظهر وعي قومي عربي دولي، وان الميثاق لا يعتبر في نظر القانون الدولي مظهرا من مظاهر الاتحاد ولا الوحدة ولا الاتفاق بل هو جامعة دول عربية مستقلة الغرض منها توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها وصيانة استقلالها وسيادتها(محمد سكير،٢٠٠٨ ،ص١٩٢).

أكد النائب جورج عقل أن ميثاق جامعة الدول العربية باكورة جهود طيبة تعمل في سبيل نهضة الشعوب العربية الراغبة رغبة صادقة حازمة في تحرير نفسها لاخذ المكان اللائق بتاريخها ومجادها بين الأمم الراقية الديمقراطية ذات النزعة المحبة للسلام، وأكد النائب محمد العبود،ان الميثاق حدث وعمل مبارك نأمل منه أن يؤدي لبلادنا والبلدان العربية احسن النتائج، حيث أكد بأنه انتقد البرتوكول لانه كان يعتقد بأنه يناقض استقلال لبنان، واقر الميثاق أنه يضمن استقلال لبنان بحدوده، وصدق ميثاق جامعة الدول العربية بالإجماع بعد المناداة على النواب بالاسماء،وبين الملحق الخاص بتعيين الأمين العام لجامعة الدول العربية ،حيث اتفقت الدول العربية الموقعة على الميثاق على تعيين عبد الرحمن عزام أمينا عاما لجامعة الدول ويكون تعينه لمدة سنتين.

ظهرت بعض المخاوف في لبنان من أن يؤدي الانضمام إلى جامعة الدول العربية إلى وحدة عربية شاملة وزوال الكيان اللبناني،لكن وردت بنود في الميثاق أزالت هذه المخاوف وأبرزها في المادتين السابعة الثامنة منه، قام لبنان بدور ناشط في جامعة الدول العربية ، حيث شارك فيها بشكل فعال في مجمل القضايا العربية(محمد سكير،٢٠٠٨ ،ص١٩٢).

المبحث الثاني:

موقف مجلس النواب اللبناني من القضية الفلسطينية قبل عام١٩٤٨

كانت قضية فلسطين إحدى الأسباب الرئيسية في إشكالية العلاقة بين العرب وكل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ، فقد أظهرت هاتان الدولتان من خلال هذه القضية عدائهما الصريح للعرب وحقوقهم التاريخية في فلسطين وانحيازهم التام إلى الصهاينة ودعمهم بكل الوسائل السياسية والعسكرية والمادية لتمكينهم من تنفيذ وعد

بلفور وتحويل فلسطين إلى وطن لهم خلافا لكل القوانين والأعراف الدولية ،بل حتى لمبادئ الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان التي تتبجح كل من الدولتين بالدعوة لهم(نوري عبد الحميد ،٢٠٠٢ ،ص٣).

وضعت الولايات المتحدة الأمريكية كل ثقلها إلى جانب الصهاينة ودعم مشاريعها في فلسطين ماديا ودبلوماسية في المحافل الدولية وكذلك الضغط على بعض الزعماء العرب من خلال نفوذها،بل وحتى عسكريا بامدادهم بالسلاح، فكان لها الدور الأساسي في قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ (محمد عزة،١٩٥٩،ص٩٦) ،واعلان قيام الكيان الصهيوني في عام١٩٤٨ ،بالتعاون مع بريطانيا وماها من هيمنة ونفوذ على هيئة الأمم المتحدة (نوري عبد الحميد ،٢٠٠٢ ،ص٥).

إن اهتمام بريطانيا بفلسطين والمنطقة العربية لم يقتصر على تأمين الطريق التجاري للهند وبالتالي المواصلات البحرية العسكرية لحماية هذا الطريق، كانت بريطانيا تريد أن تحتفظ بالمنطقة لحساب نفوذها(عبد الوهاب الكيالي ،١٩٧٣،ص٢٦).

إن حق العرب في فلسطين هو واحد بالنسبة للشعوب كلها، تتساوى فيه بصورة مطلقة، فإذا كان لبني اسرائيل حق بوطن ودولة، فهو باطل إذا قام على حساب حق شعب اخر، ان الشعور بالظلم والهيمنة يهز العرب في كل أفكارهم سيظل سيف مسلط فوق رأس اسرائيل يمنع عنها الطمأنينة والاستقرار (بيار الجميل، ١٩٧٠،ص٤١).

اخذت القضية الفلسطينية نشاطا مميزا من خلال وزير لبنان المفوض في الفاتيكان شارل حلو، فقام باجراء المشاورات والاتصالات المكثفة مع المعنيين ورؤساء وفود الدول وتم شرح خطورة المسألة وضرورة العمل على حلها حلا عادلا(عماد يونس،١٩٨٥،ص١٢١).

عقد مجلس النواب اللبناني جلسته الثامنة بتاريخ السابع من أيار عام١٩٤٧،برئاسة صبري حماده،بحضور حكومة رياض الصلح ، وتم في الجلسة مناقشة بيان الحكومة حول القضية الفلسطينية ، وأكد رئيس الوزراء أن فلسطين بلاد عربية منذ فجر التاريخ، ويسكن العرب فلسطين ويملكون أراضيها منذ ثلاثة عشر قرنا على الأقل بدون انقطاع، ولم يشاركهم في ذلك قبل عهد الانتداب البريطاني اي عنصر آخر ما عدا أقلية يهودية لم يتجاوز عددها ثلاثة وخمسون الف قبل الحرب العالمية الأولى ،وكان عدد العرب في ذلك الحين هو ثمانمائة الف،وفي الحرب تقدم الحلفاء بوعود قاطعة للعرب تعهدوا فيها بإعلان استقلال البلدان العربية ،وقد حصلت هذه التعهدات بموجب التحارير العشرة التي تم التبادل بها بين السر هنري مكمان معتمد بريطانيا في مصر وبين شريف مكة الحسين بن علي وذلك خلال عامي١٩١٥-١٩١٦ ، ولكن لأسباب لا تمت إلى العرب بصلة أصدر وزير خارجية بريطانيا في عام١٩١٧ التصريح المعروف بوعد بلفور وهذا التصريح باطل من اساسه من الناحية القانونية لانه صادر عن جانب لا حق له بالتصرف بحقوق فلسطين ، وتناول النائب حبيب ابو شهلا القضية الفلسطينية ، نحن نعني بقضية فلسطين. وبالخطر الجاثم عليها لأن هناك مضرة كبرى للبلاد العربية اولا، ثم للبنان خاصة مباشرة في محاربة الصهيونية وفي المحافظة على حقوق عرب فلسطين المقدسة، أن فلسطين أصبحت اليوم في خطر مداهمة يهدد فيه كيان العرب، كما يهدد كيانها في لبنان، ودعا النائب محمد العبود يجب أن تكون مؤازرة فلسطين فعليا لا جدلا ما فائدة الجلاء في الشرق بدون الجلاء من فلسطين ، ولا راحة ولا اطمئنان للبلاد العربية بوجود الكيان الصهيوني، وتقدم النائب صائب سلام باقتراح يستنكر فيه تقرير لجنة التحقيق المشتركة في فلسطين ، فقبل الاقتراح بالمديرية(د.ت ٥ ،١٩٤٧، ١٧ايار).

عقد مجلس النواب اللبناني جلسته العاشرة بتاريخ الخامس من كانون الاول عام١٩٤٧ ، برئاسة صبري حماده، وبحضور حكومة رياض الصلح ، والجلسة مخصصة لمناقشة القضية الفلسطينية ، وتوجه النائب حبيب ابو شهلا إلى دعوة مجلس النواب بتوجيه الأنظار إلى فلسطين العربية التي أنكروا علينا حقها الصريح والتي نناضل للدفاع عن القدس حق بها وهو حقها في الحياة، علينا اليوم أكثر من كل يوم أن تعاهدنا حكومة وشعبا على أننا سنقوم

بالعهد الذي قطعنا على أنفسنا لأن قضية فلسطين هي قضيتنا بل هي قضية لبنان قبل أن تكون عربية لقد دافعنا عن استقلالنا في لبنان وفي الاجتماعات الدولية في مصر وبيروت وسان فرانسيسكو ليبقى كما اردنا،فعلينا اليوم أن نجابه أشد الأخطار إذا لا سمح الله،ووقع التقسيم في فلسطين ودخلت القوات الصهيونية بعددها وامكانياتها، هددت أراضينا و منازلنا ،لذلك يجب ان نقف جنبا الى جنب مع الدول العربية الشقيقة سنقوم بواجبنا حتى النهاية وسنشترك بهذه المهمة الحيوية اشتراكات فعليا، في نهاية كلمة النائب حبيب ابو شهلا صفق له النواب،وتناول النائب عبد الله القضية الفلسطينية وأكد أننا اليوم أمام محنة لا تهدد اخواننا عرب فلسطين بوطنهم، ولا تحيط لبنان بخطر مداهمة وحسب،بل هي محنة تهدد كيان العرب من اساسه،ها هو لبنان باحزابه ومنظماته وبطلابه وشبابه وابنائه ورجاله،بصحافته و نقاباته، لبنان بأسره يتناسى ما بينه من اختلافات و مناكفات و منازعات وعلى الجميع ان ينتظموا في معركة الجهاد وحرب الخلاص،واكد النائب عبد الله الثالث لا يكون الصهيونيه دولة في فلسطين مادام هناك عرب على قيد الحياة(د.ت.٦ ،١٩٤٧، ٥ كانون الاول).

أكد النائب ميشال مفرج بأن القرار الذي اتخذته منظمة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين مؤلم لذلك نستطيع أن نزود رئيس الوزراء رياض الصلح بالثقة التامة للاعراب عن عاطفة لبنان الصادقة في الاجتماع الذي يعقده رؤساء الحكومات العربية في القاهرة ،لبحث الموقف الذي تتخذه الدول العربية إزاء هذا القرار الظالم،لقد استقبل اللبنانيون نبأ التقسيم بالألم الشديد لأنه يقضي على حق العرب بفلسطين ويحول من دون تحقيق الاماني التي كانوا يتلقونها على الضمير الإنساني العالمي،وتناول النائب حبيب ابو شهلا مناقشة القضية الفلسطينية موضحا بأن هذا ما كان متوقع،واكد خلافا لما يعتقد البعض لم نكن لمؤمن بالخير العالمي وليس هنالك. شيئا يدعى الضمير العالمي،وقوبل كلام النائب حبيب ابو شهلا بالتصفيق من قبل أعضاء مجلس النواب،وتابع النائب مناقشة القضية الفلسطينية ، أن هذه حقيقة يجب أن نعلمها حق العلم ويجب أن تنشر. وذات وتصبح مقياسنا الوحيد في أعمالنا وسياستنا،فان ليس هنالك شيء يدعى الضمير العالمي ولا الحق ولا العدل ولا الإنصاف وفي كل يوم لديكم ولدينا البراهين تلو البراهين على أن هناك أمرا واحد يسود العالم إلا وهو المصلحة والمطامع والاستعمار والاستبداد يتخذ أشكالا والوان هذا ما كنا نتوقعه عندما عرضت قضية فلسطين على جمعية الامم،فبالرغم من الجهود الجبارة التي لا مثيل لها والتي بذلتها وفودنا بأجمعها لدى هذه المؤسسة،فكانت الخطة المدبرة تسير خطوة خطوة حتى فرض قرار التقسيم بالرشوة والضغط، فلسطين كانت تحت الانتداب بلادا موحدة غير مجزأة فكيف أجازوا لأنفسهم أن يقسموها إلى دولتين أو مقاطعتين وهي موحدة بموجب الميثاق الذي يستندون عليه والمعترف به، وأكد النائب يوسف الزين على مجلس النواب الإسراع بالعمل،لا يقوم ذلك إلا بالمال والرجال واقترح يوسف الزين على المجلس تشكيل لجنة برلمانية تتولى جمع التبرعات،واقترح بالتبرع براتب شهر على النواب من أراد منهم، وعد النائب موسى فريج أن قضية فلسطين هي قضية كل بلد عربي وبالدرجة الاولى لبنان لأن قيام دولة صهيونية على الحدود اللبنانية يهدد البلاد ويعود بالويل من جراء الأساليب الصهيونية على اقتصاديات هذه البلاد، وأكد النائب محمد صفي الدين عزم لبنان والجماعه على نصرة فلسطين العربية بالدم والمال،فذلك أمر غراما منه، ووهبنا له أنفسنا وما نملك ولن نرجع عنه لو تبدلت الأرض غير الارض والسماء غير السماء،واكد النائب شبلي اغا العريان أن العرب أقوياء في حقهم فلن يتركوا فلسطين العربية ضحية الطمع والاستبداد والاستعمار، وايد النائب فليب نقلا ما قاله النواب، اعلن النائب نصح اغا الفاضل أن في البلاد حركة تطوع للدفاع عن فلسطين الشقيقة، وان التطوع يجب أن يكون منبثق عن النظام لا عن الفوضى، أن تقدم الحكومة بإضافة ضريبة جديدة خاصة تسمى ضريبة فلسطين وشكر الدول التي عاضدت الدول العربية ، ودعا النائب جورج زوين إلى وجوب التفرقة بين الصهيونيين واليهود، لأن اليهود هم عرب وكرامتهم يهودية لهم ما لنا وعليهم ما علينا والصهيونيين يسعون للاستيلاء على بلاد عربية لا حق لهم فيها مطلقا، وأكد النائب سامي الصلح أننا أمام مجزرة كبيرة وحرب طويلة قد تدوم مائة عام من الواجب اتخاذ

التدابير اللازمة لها، وأكد النائب رفعت بدتن بأن دور الكلام انتهى وجاء دور السيف والسلام، وأوضح رئيس الوزراء رياض الصلح ، ليس فقط عدم الاعتراف بهذا القرار الجائر بل رفضه رفضا تاما وخطة للحكومة للجهاد في سبيل عدم تنفيذه(د.ت.٦، ١٩٤٧، ٥ كانون الأول).

المبحث الثالث:

موقف مجلس النواب اللبناني من القضية الفسطينية عام ١٩٤٨

كانت قضية فلسطين احدى الاسباب الرئيسية في اشكالية العلاقة

ذكر النائب اديب الفرزلي أن قضية فلسطين هي قضية لم تبدأ اليوم إنما هي عبارة عن جسم بالشرق الأوسط تمد له الأيدي ليكون كمبدأ لنخر السوس الذي ينتهي إلى بقية الاعضاء،ويجب أن لا تنتهي لتكون ثغرة يولج منها في كل حين ودقيقة إلى البلاد العربية وأن الرجوع عن قرار التقسيم والاستعاضة عنه بالوسائل هو البداية ولم تنته القضية بهذا الشكل،ودعا إلى التحالف بين الدول العربية ،وقال ماذا كان مصير قضية فلسطين لو كانت الدول العربية مفككه وغير متحدة ، وماذا يكون مصير كل دولة من هذه الدول فيما لو كانت غير مرتبطة مع بعضها البعض،وماهي القوة التي يستطيع أن يقف المفاوض اللبناني بما يرفع رأسه ويفاخر،واذا لم يكن كل جزء من الدول الأجنبية تلعب دورا سياسيا في الشرق العربي، ولايمكن النصر الا باللعب والفن والدهاء وهذا أمر مفروض لهذه الدول،ولكن ماذا بإمكاننا أن نعمل فيما لم نكن حجرا الزاوية العربية العامة. وذكر النائب اديب الفرزلي أن الرجوع عن التقسيم في القضية الفلسطينية ،انما المطلوب هو الجهاد في سبيل فلسطين ولا نقبل قطعيا بالتدريج بذرة واحدة في حقوقها وسنزود مندوبنا إلى منظمة الأمم المتحدة بالمعلومات،وان فلسطين دولة عربية موحدة مستقلة(د.ت.٩،١٩٤٨،٦ نيسان).

تطرق النائب عبد الباقي إلى بعض الملاحظات على قرار مجلس الأمن بخصوص العصابات الصهيونية،حيث ذكر أن قرار مجلس الأمن في حد ذاته مدفوع بالتحيز،وهذا شائع ومعروف. لانه عندما كان اطفال العرب ونسائهم وشيوخهم يذبحون في طبريا ودير ياسين ويشردون ويطردون من حيفا لم يحرك مجلس الأمن ساكنا ولم يسعى إلى وقف القتال أو التوسط لوضع حدا لهذه المجازر،ولكن لدي بعض الملاحظات حول القرار الأخير لمجلس الأمن:

الملاحظة الأولى: أن مجلس الأمن اعتبر بموجب قراره الاخير أن العصابات الصهيونيه في فلسطين تشكل فريقا مع الحكومة العربية المعترف بها دوليا والتي هي في نظره فريق اخر،ويعتبر مجلس الأمن أيضا وضمنيا أن هذه العصابات تشكل سلطة فعلية في فلسطين ولهذا الاعتراف قيمة قانونية واظن انها غابت عن نظر معالي وزير الخارجية، ولهذا عندما نقبل بقرار مجلس الأمن نكون قد اعترفنا معه أن هذه العصابات الصهيونية تباشر سلطة فعلية واقعية في حين اننا نزعم أنه لايوجد في فلسطين سوى عصابات اجرام متكونة من شذاذ الدول ومشرديها دأبت. على الإخلال بالأمن والاعتداء على الاهليه الامنين وعلى أرضهم.

الملاحظة الثانية: أنا اتسأل عن معنى التعليمات التى أرسلت إلى وسيط هيئة الأمم المتحدة الكونت برنادوت،والتي أتى على ذكرها قرار مجلس الأمن وانا اسأل نفسي عن ذالك فلا جوابا لأنني اعلم كما تعلمون يامعالي الوزير أن القضية الفلسطينية مبسوطة من الوجهة القانونية على الشكل الآتي:هناك توصية بالتقسيم من منظمة الامم المتحدة سارت عليها جميع الدول الغربية بأجمعها موجهة إلى أصحاب العلاقة ومنهم مجلس الأمن بطبيعة الحال ومجلس الأمن هذا لم يتخذ قرارا باستحالة تنفيذ التوصية بالتقسيم،ومعنى ذالك أن هذه التوصية باترول قائمة قانونا ومعنى ذالك أيضا أن توصيات مجلس الأمن إلى الكونت برناردت المتعلقة بتقريب وجهات النظر بين الغرب واليهود إنما تستند إلى قرار التقسيم،فاذا قبلنا بقرار مجلس الأمن دون إيضاح هذه النقطة نكون قد ايدنا ضمنا بالتقسيم،وهذا يفقدها كل مميزات النظريات المعاكسة والقانونية التي دافعنا وندافع عنها وتضعف خطتنا فيما

بعد أمام مجلس الامن، ثم انتقل النائب إلى ما جاء في القرار من حيث وقف القتال مدة أربع اسابيع، انا أعتقد أن هذا القرار مستحيل التنفيذ لأن الحكومات العربية وقفت وصرحت دائما أنها لا تقبل التقسيم ولا تقر بقيام دولة يهودية في فلسطين ،كما أن اليهود من جهتهم قد أعلنوا قرارا بأن التقسيم هو أقل مايقبلون به،فامام هذه الحقيقة نستطيع أن نتساءل ما هي النتائج العملية من وقف القتال أربع اسابيع؟ وما جدوى الوساطة طالما الهوة سحيقة بين الطرفين؟ انا أعتقد أن الأربعة أسابيع اذا قبلت الدول العربية بها اتمنى شخصيا أن ترفض،معناها يتحدد أربع أسابيع اخرى،وهكذا إلى ما شاء الله. الى ان يتهيأ للصهاينيه جوا اصلح لاعمالهم المقبلة،وهم أقدر منا على المخلوقات الدولية و السياسية واحده على تأليب الدول علينا،وهذا ما يقصدونه،فضلا وما يبدون إليه من أضعاف تتحرك لضغط الجيوش العربية عليهم،اذن قرار مجلس الامن صادق المساحة اليهوديه وضد مصلحة العرب(د.ت. ٦، ١٩٤٨، ٣١ايار).

ثم اني اتساءل أيها السعادة كيف يمكن أن نقبل جدلا بالمهادنة،كيف يمكن للوسيط أن يراقب ما يطلق منه من عدم ارسال الجنود. والسباحة إلى فلسطين من قبل الصهيونيين؟ وكيف يستطيع أن يراقب شغلك مراقبة فعلية ؟ يوجد في القرار بنك يشير على للوسيط بأن ينتقي صباحا يعاونونه للمقابلة في معسكرات المناطق للطرفين،وهذا في. نظرية ذر الرمادي في العيون لا اكثر ولا اقل،واني اذكركم أيها. السعادة أن بريطانيا العظمى على مغني عليه من بأس وقتا وما لديها من اساطيل بحرية وقوة جويةلم تتمكن من مراقبة فلسطين لتمنع وصول الاعتدة والهجرة غير الشرعية اليها وأكبر دليل على شغلك ما يجابهنا به الصهيونيون من أسلحة وعتاد وابطال قوتنا لم نكن نحلم بها ولم تحلم بها بريطانيا نفسها.واذاكانت بريطانيا العظمى التي لها اساطيلها وقوتها الجوية والبحرية وجيوشها البرية الرابطة في فلسطين،لم تتمكن من مراقبة الصهيونيين مراقبة فعالة، فهل تتسنى هذه المهمة للكونت برنادوت ولمن يعاونونه من الضباط (د.ت. ٦، ١٩٤٨، ٣١ اثار).

عقد مجلس النواب اللبناني جاستن الأولى بتاريخ الثالث من آب عام ١٩٤٨،برئاسة صبري حماده،وبحضور حكومة رياضة الصلح،وفي أثناء مناقشة بيان الحكومة في المجلس تناول رئيس الوزراء سياسة الحكومة الخارجية وأكد أن هدف الحكومة الأول مواصلة العمل في سبيل القضية الفلسطينية ،تلك القضية التي أصبحت جزأ لا يتجزأ من سياستنا القومية فهي قضية العرب عامة، وهي قضية لبنان سيماوان الحكو مات اللبنانية شاركت حكومات البلاد الشقيقة في كل تدبير يعمل على صد الخطر عن فلسطين، فأدت واجبها من المساعدات التي قررتها جامعة الدول العربية وقدمت السلاح والعتاد وساهمت في تجنيد المتطوعين من خيرة الرجال، ولم يكن لبنان اقل اندفاعا في الحقل الانساني منه في الحقل المادي، فقد احتضنت الحكومة والشعب اللبناني اللاجئين الفلسطينيين،وأكد رئيس الوزراء بأن لبنان لم يتردد في مشاركة اشقائه العرب في التدخل المسلح لانقاذ فلسطين ورحب بجيش الانقاذ الباسل الذي امتزج دم رجاله بدم رجال الجيش اللبناني ، تناول النائب كميل شمعون مناقشة البيان الوزاري و التطرق الى القضية الفلسطينية وأكد لما بدأت الصهيونية بعد الحرب العالمية الأولى ،تشن هجومها الرسمي على فلسطين مستندة إلى وعد بلفور تحت حماية الانتداب البريطاني ،ولم تكن البلاد العربية مطالبة بأية مسؤولية ايجابية في القضية،لانها كانت في ظل الاحتلال أو الحماية او الانتداب،مكبلة الايدي رسميا و فعليا غير أن الحالة تبدلت في السنوات الأخيرة لما استكملت بعض الدول العربية استقلالها، وأكد كميل شمعون بأن كل تقصير وقع في الماضي اتجاه القضية الفلسطينية لا يمكن أن يكون موضوعا للبحث الآن والحقيقة الثانية، أن كل حكومة من حكومات الدول العربية هي الآن مسؤلة كل المسؤولية عن أعمالها وتصرفاتها في قضية فلسطين،في العاشر من ايار اعلن الملك عبد الله عن امله بان الحركات العسكرية لن تستغرق أكثر من عشرة ايام اذا احسن توجيهها،وبالفعل لم يمض على بدء القتال اربعة ايام حتى كانت القوات المصرية والاردنية والعراقية قد شقت طريقها الى جوار تل ابيب،لاتبعد عنها سوى ما يزيد على عشرين كيلو متر،وكانت الانباء كلها مشجعة واعلن رئيس الوزراء في الحادي عشر من حزيران ان العرب مالكون

ناصية الموقف الحربي في فلسطين،وان مراكزهم من امتن المراكز،وكان هذا التصريح في يوم الهدنة الاولى،فلماذا والحال هكذا كانت الهدنة ولماذا اقدمت الحكومات ومنها الحكومة اللبنانية على قبولها،وجامعة الدول العربية قالت ان قبول الهدنة كان لاثبات حب العرب للسلام،وان فيها ضررا اكيد بمصالح العرب،وفي اثناءكلمة كميل شمعون اكد ان العراق الذي ربما يملك البريطانيين بعض وسائل الضغط عليه،وهو البعيد عن فلسطين قد شرف نفسه،كما شرفت سوريا نفسها بمخالفة اغلبية اللجنة السياسية في وقف القتال،اما احرى بلبنان الذي لايربطه بالبريطانيين اي رباط خاص،وهو المهدد بخطر من الدولة اليهودية،ان يحذو حذو العراق.(ذ.ت،١٩٤٨، ٣اب).

واكد النائب رينيه معوض في هذه الظروف الخطيرة الرهنة التي تمر بها المنطقة العربية، ومن خلال هذه الجلسة التاريخية،برهن هذا المجلس النيابي الكريم بتأييد من الشعب اللبناني اجمع انه يرتفع الى مستوى الاحداث ويعي المسؤولية الملقاة على عاتقه في هذه المعركة المصيرية ضد اسرائيل والصهيونية العالمية ايمانا بمسؤوليته وبتاريخه الوطني،النائب رشيد الصلح يرى ضرورة تهيئة جميع السبل لكسب هذه المعركة واهم هذه السبل توحيد العمل العسكري،الوقوف موقف حازم ضد الدول الاجنبية التي تساند اسرائيل،واكد النائب موريس الجميل ان تاريخ البلد حافل بمشاعر الوحدة الوطنية بل يمكن ان نقول دائما ان الواقع اللبناني هو لبنان الواحد،وعندما كان الامير فخر الدين المعيني الكبير(وهيب ابو الفضل،٢٠٠٤، ص٩٤_٩٥).

ينادي بتعبئة القوات اللبنانية لصد مغتصب، كما هو الآن كان أمر التعبئة على الرجال أن يوقفوا الأمير بأسلحتهم، لم يقال على الطائفة الفلانية أو الطائفة الفلانية،

وبعد أن استمع المجلس إلى بيانات الحكومة بشأن الموقف الناشئ على حدود سوريا وجمهورية مصر العربية عن التهديد بالعدوان الذي أعلنته أصوات العدو الغاصب في فلسطين المحتلة، وبعد الموافقة على التدابير الأولية التي اتخذتها الحكومة اللبنانية حسْباً لتقدير الظروف القائمة وإيماناً بعدالة القضية الفلسطينية وتنفيذاً للواجب الوطني المقدس وانطلاقاً من أن المعركة مع العدو المشترك اليوم هي معركة مصيرية بالنسبة للبلاد العربية وفي طليعتها لبنان، اتخذ مجلس النواب اللبناني قراراً في هذه الجلسة يتضمن:

أولاً: الطلب من الحكومة أن تقوم بتعبئة أقصى الطاقات الحكومية والشعبية لتوفير جميع الحاجات والأسباب التي من شأنها تمكين جيش لبنان من القيام بدوره الفعال بما يمليه عليه الواجب الوطني وإيماناً بعدالة قضية فلسطين.

ثانياً: تأييد المجتمعين جمهورية مصر العربية والجمهورية العربية السورية في موقفها ضد العدو المشترك تأييداً مطلقاً معلناً تصميمه على القيام بواجبه في محاربة العدو المشترك بكل ما يملك من قوى وطاقات، كما يؤيد كل دولة عربية تتعرض للعدوان.

ثالثاً: ويكرر أن وجود هذا العدو على أرض فلسطين العزيزة هو بالإضافة إلى كونه عدواناً صارخاً على كرامة الشعب الفلسطيني الشقيق واغتصاباً لابد من إزالته، تهديد دائم للأمن في المنطقة وتهديد للسلام العالمي.

رابعاً: يفرض على الحكومة اتخاذ كافة التدابير العسكرية التي من شأنها جعل الجبهة العربية متماسكة اتجاه كل عدوان وحسبما ما تقتضيه ظروف الحرب .

أن مجلس النواب في هذا كله يعبر عن رأي الشعب اللبناني الذي يؤيد جيشه المتأهب ويقف وراءه صفاً واحداً متراصاً معه بكل بذل وتضحية دفاعاً عن الوطن وفي سبيل نصره الحق على أرض فلسطين الشقيقة ، وأعلن رئيس المجلس من يوافق على هذا القرار يرفع يده ، بعدها أعلن الرئيس عن موافقة المجلس بالأجماع ، فوقف مجلس النواب اللبناني، وأنشد النشيد الوطني (محمد سكير ،٢٠٠٨ ،ص ٢١٠-٢١١) .

الخاتمة:

تميز الدور الذي اضطلع به مجلس النواب اللبناني كمؤسسة دستورية تمثل الشعب اللبناني في رسم سياسة الدولة وتحصينها بالموقف الدستوري وإلى جعل الدولة اللبنانية قوة ضابطة للمجتمع وحماية الحريات العامة وليس قوة ضاغطة على الحريات، وواجه جميع التحديات وكان هدفه الأساس بقاء لبنان موحد الأرض والشعب والمؤسسات، واحترم البرلمان اللبناني الدستور نصاً وروحاً وذلك بعدم قياس أية مرحلة حسب مصالح هذا الفريق أو ذاك، وكان لمشاركة المواطن اللبناني في أثناء الانتخابات الدور المميز في العمليات السياسية عبر ممارسة حقوقهمالمدنيةوالسياسية .

لقد أولى مجلس النواب اللبناني قضية فلسطين اهتماماً خاصاً بسبب فقدان الأمل الذي كان يتوخاه العرب من بريطانيا، ويأسهم من وعود الحلفاء، ونلاحظ ظهور الشعور القومي الإنساني نحو فلسطين وبروز دور النواب في هذه المرحلة مطالبين بحسم القضية الفلسطينية، وشارك لبنان في حرب فلسطين الأولى عام ١٩٤٨، واستقبل آلاف اللاجئين الفلسطينيين، ودافع لبنان عن القضية الفلسطينية في المحافل الدولية، ووافق على الهدنة كغيره من الدول العربية، وظل لبنان ملتزماً بالسياسة العربية تجاه فلسطين، فطبق سياسة المقاطعة وأيد حركة المقاومة.

الهوامش:

١_ اكرم زعتير ،١٩٥٥ ،ص١١٧.
٢_احمد طربين ،١٩٥٩ ،ص٣٤٤ .
٣_احمد طربين ،١٩٧٠، ص٣٨١ .
٤_حسان حلاق ،١٩٩٤ ،ص٢٤١ .
٥_سامي الصلح ،١٩٧٠ ،ص٥٩ .
٦_محمد سكير ،٢٠٠٨ ،ص١٨٦ .
٧_بشارة الخوري ،١٩٦٠_١٩٦١ ،ج١ ،ص٢٤٥ .
٨_محمد جميل بيهم ،١٩٧٧ ،ص٢٣ .
٩_ساطع الحصري ،١٩٦٣ ،ص١٢١ .
١٠_علي محافظة ،١٩٨٢ ،العدد ٤١ .
١١_محمد سكير،٢٠٠٨ ،ص١٨٧ .
١٢_نوري السعيد ،١٩٤٣ ،ص٢٤ .
١٣_سامي حكيم ،١٩٦٦ ،ص١٩ .
١٤_احمد الشقيري ،١٩٧٩ ،ص٥٨ .
١٥_احمد الشقيري ،١٩٧٩ ،ص٧٢ .
١٦_د.ت٥ ،١٩٤٥ ،١٠اذار .
١٧_د.ت٥ ،١٩٤٥ ،٧نيسان .
١٨_محمد سكير ،٢٠٠٨ ،ص١٩٢ .
١٩_محمد سكير ،٢٠٠٨ ،ص١٩٢ .
٢٠_نوري عبد الحميد ،٢٠٠٢ ،ص٣ .
٢١_نوري عبد الحميد ،٢٠٠٢ ،ص٥ .
٢٢_عبد الوهاب الكيالي ،١٩٧٣ ،ص٢٦ .
٢٣_بيار الجميل ،١٩٧٠ ،ص٤١ .
٢٤_عماد يونس ،١٩٨٥ ،ص١٢١ .
٢٥_د.ت٥ ،١٩٤٧ ،٧ايار .

٢٦_د.ت٦ ،١٩٤٧، ٥كانون الاول .
٢٧_د.ت٦ ،١٩٤٧، ٥كانون الاول .
٢٨_د.ت.٦ ،١٩٤٨، ٩نيسان .
٢٩_د.ت.٦ ،١٩٤٨، ٣١ايار .
٣٠_د.ت.٦ ،١٩٤٨، ٣١ايار .
٣١_د.ت٦ ،١٩٤٨، ٣اب .
٣٢_وهيب ابو فاضل ،٢٠٠٤ ،ص٩٤_٩٥ .
٣٣_محمد سكير ،٢٠٠٨ ،ص٢١٠_٢١١ .

المصادر:

١_احمد الشقيري،الجامعة العربية ،كيف تكون جامعة ،وكيف تصبح عربية ،دار بو سلامة ،تونس ،١٩٧٩ .
٢_احمد طربين ،الوحدة العربية ١٩١٦_١٩٤٥ ،القاهرة ،١٩٥٩ .
٣_احمد طربين ، الوحدة العربية في تاريخ المشرق المعاصر ١٨٠٠_١٩٥٨ ،دمشق ،١٩٧٠.
٤_أكرم زعتير ،القضية الفلسطينية ،دار المعارف بمصر ،١٩٥٥ .
٥_بشارة الخوري ،حقائق لبنانية، ثلاثة اجزاء ،منشورات اوراق لبنانية ،بيروت ،١٩٦٠_١٩٦١ .
٦_بيار الجميل ،لبنان واقع ومرتجى ،منشورات الكتائب ،بيروت ،١٩٧٠ .
٧_حسان حلاق ،التيارات السياسية في لبنان ١٩٤٣_١٩٥٢ ،الدار الجامعية ،بيروت ،١٩٨٨ .
٨_ساطع الحصري ،ابحاث مختارة في القومية العربية ،دار المعارف ،القاهرة ،١٩٦٣ .
٩_سامي الصلح ،مذكرات سامي الصلح ،اربعة اجزاء ،منشورات مكتبة الفكر العربي ،ط١ ،بيروت ،١خ٩٦٠ .
١٠_سامي حكيم ،ميثاق جامعة الدول العربية والوحدة العربية ،مكتبة الانجلو مصرية ،القاهرة ،١٩٦٦ .
١١_عبد الوهاب الكيالي ،تاريخ فلسطين الحديث ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،١٩٧٣ ،
١٢_علي محافظة ،النشأة التاريخيةللجامعة العربية ،المستقبل العربي ،مجلة ،مركز دراسات الوحدة العربية ،العدد(٤١) تموز ،بيروت ،١٩٨٢.
١٣_عماد يونس ،الرئيس شارل الحلو ،حياته واعماله ،رسالة ماجستير ،الجامعة اللبنانية ،كلية الاداب والعلوم الانسانية ،الفرع الثاني ،الفنار ،١٩٨٥ .
١٤_محمد جميل بيهم ،النزاعات السياسية في لبنان١٩١٨_١٩٤٥ ،بيروت ،١٩٧٧ .
١٥_محمد سكير ،الحياة النيابية في لبنان١٩٤٤_١٩٦٨ ،اطروحة دكتوراه ،معهد التاريخ العربي. التراث العلمي للدراسات العليا ،بغداد ،٢٠٠٨ .
١٦_نوري السعيد ،استقلال العرب ووحدتهم ،بغداد ،١٩٤٣ .
١٧_نوري عبد الحميد العاني ،مشاريع تقسيم فلسطين ،من وثائق الممثليات العراقية في حيفا والقدس١٩٣٦_١٩٤٨ ،بيت الحكمة ،بغداد ،٢٠٠٢ .
١٨_وهيب ابو فاضل ،لبنان في مراحل تاريخه الموجزة ،مكتبة انطوان ،بيروت ،٢٠٠٤ .
١٩_الدور التشريعي الخامس ،العقد الاستثنائي الثاني ،الجلسة الرابعة ،١٠اذار ،١٩٤٥ .
٢٠_الدور التشريعي الخامس ،العقد العادي الاول ،الجلسة الثانية ،٧نيسان ،١٩٤٥ .
٢١_الدور التشريعي الخامس ،العقد العادي الاول ،الجلسة الثامنة ،١٧ايار ،١٩٤٧ .
٢٢_الدور التشريعي السادس ،العقد العادي الثاني ،الجلسة العاشرة ،٥كانون الاول ،١٩٤٧ .
٢٣_الدور التشريعي السادس ،العقد العادي الاول ،الجلسة الخامسة ،٩نيسان ،١٩٤٨ .
٢٤_الدور التشريعي السادس ،العقد العادي الاول ،الجلسة العاشرة ،٣١ايار ،١٩٤٨ .
٢٥_الدور التشريعي السادس ،العقد الاستثنائي الاول ،الجلسة الاولى ،٣اب ،١٩٤٨ .

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

السكوت في النص الشرعي: بين مفهوم الإقرار ومجال الدلالة «دراسة تأصيلية تطبيقية»

أ.م. د. أمين علي حسين عبد
جامعة تكريت / كلية العلوم الإسلامية

المستخلص :

في عالم التشريع، لا يُنطق كل مقصود، ولا يُسكت عن كل مُهمَل؛ فقد يكون السكوت أبلغ من الكلام، وقد يُفهم منه الإقرار كما يُفهم منه الإعراض أو التوجيه الخفي وفي النص الشرعي، تتجاذب دلالة السكوت بين حُجّية تُبنى عليها الأحكام، وغموضٍ يستدعي التوقف والتأمل».

«ومن هنا تأتي هذه الدراسة لتؤصل وتطبق، باحثةً في مفهوم السكوت وعلاقته بالإقرار، ومستكشفةً مجاله الدلالي بين الأصول والنصوص، لتكشف متى يكون السكوت تشريعًا، ومتى يكون صمتًا لا يُحتج به .

الكلمات مفتاحية : السكوت، النص، الشرعي، الإقرار، المجال الدلالي.

Abstract:

fi ealam qanuni, la yuntq kula maqsud, wala yuskt ean kuli muhmal; laqad ‹ablagh alsukut ean alkalami, waqad fahim minh ab›iiqrar kama yufham minh ab›iierad ‹aw dalil alkhafii alnasu alshareii, tatajadhab dalalat wafi alsukut bayn hujjyt tubna ealayha alqada›i, wghmwd yastadei altanaqul walta›amlu

wamin huna tati hadhih aldirasat lituasil watutabiqa, bahthtan fi mafhum alsukut waealaqatih bial›iiqrari, wmstkshftan majalih alda-lalii bayn ab›usul walnususi, litakshif mataa yakun alsukut mwth-wqan, wamataa yakun smtan la yuhtj bihi.

Keywords : alsukut , alnasu , al›asliu, aliastinsakh , almajal aldalalia

المقدمة :

«هذا الموضوع يعتبر دلالة السكوت من أعمق وأدق المسائل التي اختلف فيها الأصوليون؛ إذ تتقاطع فيها أصول الدلالة، ومباحث البيان، ومجال السكوت، والإقرار. ويتجلى الإشكال حين يُبنى على السكوت حكمٌ شرعي، سواء على وجه الإباحة، أو التحريم، أو الوجوب. ومع تعقُّد الواقع وتنوُّع النوازل المعاصرة، صار من اللازم إعادة النظر في حجية السكوت من خلال تأصيله، وتحرير مجاله، وربطه بتغير السياقات والمقاصد».

ثانيًا: مشكلة البحث : «هل السكوت في النص الشرعي حجة؟ وفي أيّ المجالات تُعتبر له دلالة معتبرة؟ وما العلاقة بين السكوت والإقرار، وبين السكوت ودلالة الإهمال أو الإباحة؟ وهل يختلف الحكم باختلاف نوع السكوت وسياقه التشريعي»؟

ثالثًا: أهداف البحث :

١. «بيان أنواع السكوت في النصوص الشرعية (سكوت الشارع – سكوت الصحابة – سكوت المجتهد) «.
٢. تحرير القول في حجية السكوت ومجال دلالته عند الأصوليين.
٣. التفريق بين السكوت والإقرار، والسكوت والإهمال، والسكوت والترك.
٤. تطبيقات معاصرة على دلالة السكوت في قضايا مثل المعاملات الحديثة والطب الحديث».

رابعًا: أهمية البحث :

١– جديد في بابه ولم يُفرد برسالة أصولية مستقلة.
٢ –يمس مسائل خلافية واقعية تُبنى على السكوت.
٣ –يجمع بين الدرس الأصولي النظري، والاستقراء التطبيقي.

٤ –يساعد في فهم كثير من المسكوت عنه في الشريعة وتقدير حكمه.

خامسًا: منهج البحث :

١ –منهج استقرائي: لجمع النصوص الشرعية والآراء الأصولية المتعلقة بالسكوت.

٢ –منهج تحليلي: لتحليل أنواع السكوت ودلالاتها.

سادسًا: خطة البحث

المبحث الأول : السكوت في اللغة والاصطلاح الأصولي

المبحث الثاني: موقف الأصوليين من حجية السكوت

المبحث الثالث: السكوت والإقرار: علاقة الالتقاء والافتراق

المبحث الرابع: تطبيقات معاصرة على دلالة السكوت

المبحث الاول : السكوت في اللغة والاصطلاح الأصولي

المطلب الاول : تعريف السكوت لغة وشرعًا

١ - التعريف اللغوي : «السُكوتُ: تَرْكُ الكَلامِ مع القُدْرَةِ عليه، وهو خِلافُ النُّطْقِ، يُقالُ: سَكَتَ، يَسْكُتُ، سُكُوتًا: إذا صَمَتَ وانْقَطَعَ عنِ الكلامِ، ورجل سِكِّيتٌ أي كَثِيرُ السُّكُوتِ» (١).

٢ – السكوت في الاصطلاح الأصولي: «يطلق على ترك الكلام مع القدرة عليه, وقد يعتبر السكوت في بعض الحالات دليلاً على الرضا أو القبول، خاصة إذا كان السكوت في وضع يلزم فيه التكلم، وكان هناك ما يدل على أن السكوت يدل على الرضا» (٢) .

المطلب الثاني : الفرق بين السكوت والإعراض

أولًا: السكوت:

١ – هو: ترك الكلام مع القدرة عليه.

٢ – يقع في مقام البيان أو غيره.

٣ – لا يُفهم منه حكم شرعي إلا بقرينة.

٤ – قد يُحمل على الإقرار أو التوقف.

٥ – لا يدل على الرفض أو القبول صراحة. مثال: سكوت النبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم). عن بعض الأسئلة أو الوقائع.

ثانيًا: الإعراض

١ – هو: ترك البيان والانصراف عنه مع القدرة.

٢ – يدل على أن المتروك غير مقصود أو غير معتبر.

٣ – أقوى من السكوت؛ لأنه ينطوي على صرف نظر.

٤ – يُفهم منه غالبًا الرد أو عدم الاعتداد بالشيء.

٥ – يصدر غالبًا في مقام البيان أو الرد. مثال: إعراض النبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم). عن سؤال الأعرابي أو المتهاون(٣) .

المطلب الثالث : أنواع السكوت في سياق التشريع

١. السكوت في مقام البيان : «هو سكوت الشارع عن الحكم في موضع يُنتظر فيه البيان، والحكم: يُعدّ تشريعًا ضمنيًا أو دالًا على الإباحة عند بعض الأصوليين، وسكوت النبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم). في مقام البيان يدل على الجواز عند من قال بالبيان بالفعل أو الترك»(٤) .

٢. السكوت في غير مقام البيان : « وهو سكوت الشارع عن الحكم في موضع لا يقتضي بيانًا , والحكم: لا يُعد تشريعًا، ولا يُستدل به على حكم شرعي,»أما إذا لم يكن في مقام البيان فلا يدل على شيء، لأنه لا يجب البيان إلا عند الحاجة»(٥).

٣. سكوت الشارع مع وجود قرينة : «هو سكوت يصاحبه قرائن تفيد الإقرار أو الجواز, الحكم: يُستدل منه على الإباحة أو الجواز أو الإقرار،فإن قُرِن السكوت بقرينة دالة، عمل بها»(٦).

٤. سكوت الشارع مع إقرار: « هو سكوت النبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم). عن فعل الصحابة أو قولهم، مع العلم به وعدم الإنكار, والحكم: يُعدّ سنة تقريرية «وسكوته(صلّى الله عليه وآله وسلّم). عن أفعالهم مع علمه بها، يدل على الإقرار»(٧).

٥. السكوت مع الإعراض :«هو سكوت متبوع بإعراض أو انصراف, والحكم: يدل على عدم الاعتداد أو الرد، وليس تشريعًا , «والإعراض ترك البيان مع التمكن، فيدل على الرد غالبًا بخلاف السكوت»(٨).

المبحث الثاني: موقف الأصوليين من حجية السكوت

المطلب الأول : مذهب الجمهور: رأي جمهور الأصوليين في حجية السكوت:

١ – سكوت في غير مقام البيان ليس بحجة .

٢ – سكوت في مقام البيان دون قرينة لا يُعتد به .

٣ – سكوت في مقام البيان مع قرينة يُفهم منه الإباحة غالبًا .

٤ – سكوت مع إقرار سنة تقريرية معتبرة(٩).

المطلب الثاني : مذهب المالكية»

١. السكوت لا يُعتبر دليلًا شرعيًّا مستقلًّا , لأنه ليس من قبيل القول، ولا الفعل، ولا التقرير(١٠) .

٢. الأصل في السكوت الإهمال لا البيان، فلا يُحتج به إلا إذا اقترن بقرينة, كأن يكون في مقام البيان، مع وجود الحاجة والقدرة على البيان(١١) .

٣. السكوت في مقام الحاجة قد يُعتبر حجة عند بعض المالكية , إذا سكت المجتهد في موضع يُنتظر منه البيان، فقد يُفهم منه الموافقة أو التقرير».

٤. سكوت النبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم). في مقام البيان يُعتبر عند المالكية من قبيل التقرير، وقد يُحتج به , إذا لم يُنكر على من فعل، وكان الأمر في مجلسه، دلّ على الإقرار(١٢).

٥. القرافي يرجح أن السكوت في معرض الحاجة يُعدّ بيانًا، لكنه ليس قطعيًا, أي هو دليل ظني، يُفهم بالقرائن والسياق.

٦. السكوت إذا كان عن سهو أو غفلة، فلا حُجية له باتفاق , لأن الحُجية مبنية على القصد، والساهي لا يُنسب إليه حكم (١٣) .

المطلب الثالث : مذهب الظاهرية

١ – تنفي الظاهرية تماما حجية السكوت وركزوا فقط على النص الحرفي ولا يساق اجتهاد ولا قياس والسكوت ليس مصدرا للحكم .

٢ – لا يفرقون بين سكوت المجتهدين او العلماء ما لم يفصح عن نية تقرير واضحة فالسكوت لا يعد حجة (١٤).

المبحث الثالث: السكوت والإقرار: علاقة الالتقاء والافتراق

المطلب الاول : مفهوم الإقرار وأركانه

١ – التعريف اللغوي :هو الإثبات والبيان(١٥).

٢- التعريف في الاصطلاح : هو«إخبار الإنسان عن ثبوت الحق للغير على نفسه بمعنى آخر، هو اعتراف الشخص بحق لشخص آخر عليه، سواء كان هذا الحق متعلقًا بمال أو أي أمر آخر يستوجب إقرارًا»(١٦).

٣ – أركان الإقرار(١٧) :

١ – المقر: الشخص الذي يصدر منه الإقرار، أي يعترف بالحق.

٢ – المقر له: الشخص الذي يعترف له بالحق، أي الذي له الحق على المقر.

٣ – المقر به: الحق الذي يتم الإقرار به، سواء كان مالاً أو غيره.

٤ – الصيغة: الكلام أو الفعل الذي يصدر به الإقرار (مثل قول «لي عليك كذا»).

٤ – واجبات المقر(١٨):

١ –الصدق: يجب أن يكون الإقرار صادرًا عن صدق، أي أن يعترف المقر بالحق وهو يعلم بوجوده وثبوته.

٢ – الإرادة الحرة: يجب أن يصدر الإقرار عن إرادة حرة مختارة، وليس عن إكراه أو إجبار.

٣ – موضوعية الإقرار: يجب أن يكون الإقرار متعلقًا بحق ثابت، أي لا يكون إقرارًا بباطل أو بما ليس له أساس من الصحة.

المطلب الثاني : « الفرق بين الإقرار والسكوت في النص

١ – الإقرار: هو تصريح الإنسان بحق ثابت لغيره على لسانه , حكمه: حجة قاطعة في إثبات الحقوق، ويأخذ حكم البيّنة بل أقوى أحيانًا(١٩).

٢ – السكوت: هو عدم الجواب أو عدم التصريح عند إمكان الرد, حكمه: لا يكون حجة في الأصل، إلا إذا اقترن بما يدل على الرضا (كالعرف، أو المواضعة). مثاله: سكوت البكر عند استئذانها نكاحًا(٢٠).

٣ – وجه المقارنة بين الإقرار والسكوت في النص.

١ – الصيغة في الإقرار قول صريح وأما السكوت عدم قول صريح

٢ – الحكم في الإقرار حجة قاطعة واما السكوت ليس حجة إلا بقرينة المثال قول «له عليّ ألف» فالسكوت هو عدم الإنكار عند الاتهام بالدين الأصل فيه الإيجاب أو النفي(٢١).

المطلب الثالث : هل السكوت يساوي موافقة؟

١ – السكوت لا يعني الموافقة مبدئيًا، وإنما هو عدم قول.

٢ – «يُعتد به كإقرار فقط إذا رافقه ظرف واضح يوجب الكلام، مثل: أن تكون هناك مقتضيات شرعية أو عرفية، مثل سكوت البنت عند طلب الولي أو سكوت المالك عند قبض المال.

٣ – دون هذه الشروط، السكوت لا يُعتبر دلالة على الموافقة أو الإقرار» (٢٢).

المطلب الرابع : أثر السكوت على بناء الحكم

النظر في مدى اعتبار السكوت (عدم الكلام أو الرد) دليلاً شرعيًا يؤثر في استنباط الأحكام الشرعية، وهل يمكن أن يُبنى عليه حكم شرعي بالإثبات أو النفي، في ضوء القواعد الأصولية، ومقاصد التشريع، وسياق الواقعة(٢٣).

١. السكوت في النصوص الشرعية: إذا سكت النبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم). عن قول أو فعل صدر أمامه ولم يُنكره، فهذا يُعد إقرارًا، ويُبنى عليه حكم شرعي.

مثاله: أكل الضب أمامه وسكوته(صلّى الله عليه وآله وسلّم). يدل على الجواز.

٢. السكوت في القضاء والمعاملات: سكوت الإنسان عن الرد على من يدّعي عليه شيئًا، قد يُعدّ إقرارًا ضمنيًا، فيُبنى عليه حكم بإثبات الحق.

مثاله: لو قال شخص «لك عليّ دين»، وسكت الآخر وهو قادر على الرد، فهذا قد يُفسر إقرارًا.

٣. السكوت في أصول الفقه: القاعدة: «لا يُنسب إلى ساكت قول، لكن السكوت في معرض الحاجة بيان». أي: السكوت ليس دليلاً شرعيًا قاطعًا إلا إذا كان في موضع يُفترض فيه الرد أو «البيان. بناءً عليه: السكوت المجرد لا يُبنى عليه حكم و السكوت المقرون بقرينة (كالسياق، أو الموضع) يُبنى عليه حكم(٢٤).

٤ –» تطبيقات أثر السكوت في بناء الأحكام:

١ – السكوت هل يُبنى عليه حكم؟ مثال سكوت المعصوم(عليه السلام). عن فعل, نعم تقريره أكل الضب من خالد بن الوليد (جواز الأكل) .

٢ – سكوت المدعى عليه في القضاء أحيانًا (بحسب السياق) سكوته عن اتهام صريح دون إنكار (إقرار ضمني)

٣ – سكوت البكر عند استئذان النكاح نعم قال(صلّى الله عليه وآله وسلّم): «إذنها صمتها»

٤ – سكوت الفقهاء عن مسألة لا يُعد دليلاً على الإباحة أو التحريم» (٢٥).

وجه الدلاله :

«السكوت في ذاته لا يُعد حجة أو دليلاً شرعيًا لبناء الأحكام، إلا إذا اقترن بقرائن وسياق يُظهر أنه رضا أو إقرار. ولهذا، يكون أثره في بناء الأحكام محدودًا ومقيّدًا بالعرف والمقاصد».

«المبحث الرابع: تطبيقات معاصرة على دلالة السكوت

المطلب الاول : المسكوت عنه في المعاملات المالية الحديثة

(قصة سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وسهم المؤلفة قلوبهم).

«في زمن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، جاءه بعض الصحابة يسألونه: يا أمير المؤمنين، لمَ أسقطت سهم المؤلفة قلوبهم من الزكاة، وقد ذكرهم الله في القرآن؟ فقال سيدنا عمر: «كان الإسلام يومئذٍ ضعيفًا، فكان النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم). يعطيهم ليتألفهم على الإسلام, أما اليوم فقد أعز الله الإسلام، فلا حاجة إلى تأليفهم.

وجه المسألة الأصولية: المسكوت عنه: هل يجوز إسقاط سهم من أسهم الزكاة رغم وروده في النص؟ المنطوق به: قوله تعالى: «إنما الصدقات للفقراء والمساكين... والمؤلفة قلوبهم... [التوبة: ٦٠]

القياس في اجتهاد سيدنا عمر رضي الله عنه : العلة في العطاء لهم كانت تأليف قلوبهم للإسلام عند ضعفه ولما انتفى ضعف الإسلام، انتفت العلة, فالمسكوت عنه هنا هو: هل الحكم يدور مع علته وجودًا وعدماً؟ فسيدنا عمر بن الخطاب قاس بقاء الحكم على بقاء العلة، ولما زالت، زال الحكم.

وجه الدلالة : سيدنا عمر لم يُلغِ النص، لكنه اجتهد في المسكوت عنه، فأعمل القياس على العلة، فغيّر التطبيق الزمني للحكم، وهذا أصل قاعدة تغير الأحكام بتغير الزمان والمصلحة(٢٦).

المطلب الثاني : السكوت عن بعض أدوات التجميل والجراحة

(قصة التفلج لأجل الجمال من زمن الصحابة)

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله»– (رواه الامام البخاري ٥٩٣١ ومسلم ٢١٢٥) .

«فبلغ ذلك امرأة من بني أسد، يُقال لها: أم يعقوب، وكانت تقرأ القرآن، فأتته وقالت: «ما هذا الذي بلغني عنك؟ أنك تلعن الواشمات والمتنمصات والمتفلجات؟ فقال ابن مسعود: «وما لي لا ألعن من لعن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).، وهو في كتاب الله. قالت: «لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدت فيه ما تقول» قال: «لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، قال الله عز وجل: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧].» ثم قال ابن مسعود: «وكانت هناك امرأة تفعل ذلك (أي الوشم والتفلج والتجميل المحرم)، فذكرت ذلك للنبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فلعنها.

«التحليل الأصولي للقصة : هذه قضية تجميلية معروفة في عصر الصحابة، وتُعد من أوائل صور المسكوت عنه نسبيًا ولم يرد نص في القرآن يحرم الوشم أو التفلج، فظنت المرأة أن ذلك جائز. لكن عبد الله بن مسعود بيّن أن ما سكت عنه القرآن لكنه نُهي عنه في السنة، فهو داخل في عموم الطاعة للنبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم). هذا الموقف يُعد قاعدة أصولية في التعامل مع المسكوت عنه:»ما سُكِت عنه القرآن ولم يُذكر إلا في السنة النبوية، فهو ملزم إذا ثبت بسند صحيح».

«ربط القصة مع مسألة معاصرة: يمكن القياس على هذه المسألة في عصرنا: فـ الفيلر، البوتوكس، نحت الوجه، وإن لم يُذكر في القرآن، فإنه: إذا كان للتجميل المفرط وتغيير خلق الله، يُلحق بهذه المسائل ويحرم. أما إذا كان لإزالة عيب أو إصلاح تشوّه خلقي، فقد يجوز استثناءً» (٢٧).

المطلب الثالث :السكوت في قضايا الذكاء الاصطناعي عقو

سكوت النبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم). عن أكل الضب بين يديه: تخريج أصولي وتطبيق معاصر على تقنيات الذكاء الاصطناعي .

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «دخلت أنا وخالد بن الوليد مع رسول الله(صلّى الله عليه وآله وسلّم)على ميمونة، فجاءت بضب مشوي، فرفعت إليه، وكان رسول الله(صلّى الله عليه وآله وسلّم)لا يأكل شيئًا حتى يعلم ما هو، فأدخل يده، فجاءته امرأة من النساء كانت معه، فقالت: أخبرت أنه ضب، فرفع يده، فقلت: أحرام هو يا رسول الله؟ قال: لا، ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه. قال خالد: فاجتررته فأكلته، ورسول الله(صلّى الله عليه وآله وسلّم)ينظر (٢٨).

«التخريج الأصولي : هذه الرواية أصل من أصول حجية سكوت النبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم)، إذا حصل في موضع البيان ولم يصحبه إنكار. يقول الأصوليون: «السكوت في مقام البيان يُعد إقرارًا شرعيًا إذا اقترن بقرائن تؤكده، كالعلم بالفعل ورؤيته وانتشاره

وجه الاستدلال: خالد أكل الضب أمام النبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم)، والنبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم). لم يمنعه، ولا قال له: لا تأكل بل وضّح فقط أنه يعافه لطبيعة قومه، وليس لأنه حرام فسُئل سؤالًا صريحًا: «أحرام هو؟»، فأجاب بالنفي فهذا سكوت مقرون برؤية وعلم وتبيين إقرار صريح بالفعل»(٢٩).

التنزيل المعاصر (الذكاء الاصطناعي)

المسألة: ظهر تطبيق ذكاء اصطناعي يصدر فتاوى آلية بناءً على مدخلات المستخدم، ويستعمله عدد كبير من الناس علنًا وعرض على بعض العلماء، فسكتوا عنه ولم يمنعوه، بل بعضهم جُرّب أمامه وسُكت عنه.

السؤال الأصولي: هل سكوت العلماء عن هذا التطبيق، مع علمهم وانتشاره، يُعد إقرارًا ضمنيًا بجواز استعماله»؟

«تطبيق القاعدة على المسألة : القاعدة الأصولية المستفادة من قصة الضب: «سكوت النبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم). مع علمه بالفعل وانتشاره وعدم وجود مانع شرعي، يُعد إقرارًا يُحتج به شرعًا»(٣٠).

«بالقياس عليها: سكوت العلماء أو الجهات المختصة عن أدوات الذكاء الاصطناعي في مقام الحاجة إلى البيان، مع علمهم بما تفعل، وانتشاره بين الناس إقرار ضمني ما لم يخرج منهم ما ينقضه» (٣١).

«المطلب الرابع : اثر السكوت في قرارات المجامع الفقهية

عنوان المسألة: «أثر السكوت في قرارات المجامع الفقهية: هل يُعدّ سكوت العضو إقرارًا ضمنيًا؟»

«تمهيد المسألة: تشهد المجامع الفقهية في العصر الحديث نقاشات موسّعة بين العلماء والخبراء عند إصدار الفتاوى والقرارات الشرعية. وقد لا يُبدِي بعض الأعضاء رأيًا صريحًا في موضوع ما، إما لسببٍ علمي أو تنظيمي أو سياسي، فيُطرح السؤال: هل يُعدّ سكوت العضو عن الاعتراض أو التأييد في المجمع الفقهي إقرارًا ضمنيًا ومشاركة في القرار، أم هو مجرد امتناع لا يُبنى عليه حكم(٣٢)؟

«تصوير المسألة: عُقدت جلسة في أحد المجامع الفقهية لبحث حكم التعامل بالعملات الرقمية. حضر الجلسة عشرون عضوًا، أبدى خمسة عشر منهم آراءهم صراحة، بينما» «سكت خمسة أعضاء ولم يعترضوا أو يوافقوا، رغم مطالبتهم بإبداء الرأي. فصدر القرار بإجماع الحاضرين، دون الإشارة للممتنعين(٣٣).

«السؤال الأصولي: هل يُعتبر سكوت الأعضاء الخمسة موافقة ضمنية تدخل في حكم الإجماع أو في حجية القرار، بناءً على قاعدة «السكوت في معرض البيان يُعدّ بيانًا»؟ وما تأثير هذا على شرعية القرار الفقهي الصادر(٣٤)؟

«وجه الدلاله : تسلّط المسألة الضوء على كيفية ضبط حجية قرارات المجامع الفقهية، وتفتح الباب أمام تطوير آليات التصويت والاعتراض لتكون قراراتها اقرب الى الصيغة الملزمة فقهيا واصوليا» .

الخاتمة:

اهم النتائج التي توصلت اليها خلال البحث وهي ما يلي:

١. أن السكوت يُعد إقرارًا ضمنيًا إذا توافرت قرائن تدل على عدم وجود مانع.

٢. لا يعتبر سكوتا اذا لم تتوفر القران اي اذا كان السكوت خالي من القرائن الشرعية.

٣. القول بأن السكوت لا يُحتج به، لأن الإجماع السكوتي غير معتبر في المجامع المؤسسية الحديثة.

٣. أو التفصيل: إن كان السكوت مع وجود دعوة وإلزام بإبداء الرأي، عُدّ إقرارًا، وإلا فلا.

الهوامش:

(١) كتاب العين :٣٠٥/٥ , تهذيب اللغة : ٢٩/١٠, الصحاح : ٢٧٥/٢ , تاج العروس : ٥٥٨/٤ , المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : ٢٨١/١ .

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف : ص٤١٠ , معجم لغة الفقهاء : ص٢٤٧ , الموسوعة الفقهية الكويتية : ١٣٢/٢٥ , معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية : ٢٨١/٢ .

(٣) شرح الكوكب المنير: ٤/ ٤٣٨-٤٣٩

(٤) شرح الكوكب المنير: ٤/ ٤٣٨-٤٣٩

(٥) شرح الكوكب المنير: ٤/ ٤٣٨-٤٣٩

(٦) شرح الكوكب المنير: ٤/ ٤٣٨-٤٣٩

(٧) شرح الكوكب المنير: ٤/ ٤٣٨-٤٣٩

(٨) شرح الكوكب المنير: ٤/ ٤٣٨-٤٣٩

(٩) شرح الكوكب المنير لابن النجار الحنبلي : ٤٣٧/٤-٤٣٨, الإحكام في أصول الأحكام – الآمدي :٣ /٩٠, البحر المحيط – الزركشي : ١٨/٦ .

(١٠) القرافي، شرح تنقيح الفصول: ص ٢٥٩.

(١١) القرافي، شرح تنقيح الفصول: ص ٢٥٩.

(١٢) القرافي، شرح تنقيح الفصول: ص ٢٥٩.

(١٣) القرافي، نفائس الأصول: ص ٣٤٢

(١٤) المحلى بالاثر : ١٩٦/٨ , اقوال ابن حزم الظاهري : ٥٨/٩

(١٥) لسان العرب : ٩٩/١١ , ومعجم مقاييس اللغة : ٨/٥

(١٦) الحلي في الشرائع : ٣/ ١٤٣

(١٧) روضة الطالبين وعمده المفتين , للنووي : ص ٣٤٩ , الفقه الميسر : ١٨٦١/١ , نهاية المحتاج , لابن حجر الهيتمي :٦٥/٥

(١٨) النظام القضائي في الفقه الاسلامي : ص٢٧٩ , الفقه الشافعي , المجلد ٢, الصفحة ٢٨٣

(١٩) البحر المحيط، للزركشي : ٣١٤/٦ , الروضة، لابن قدامة : ص٤٧٢.

(٢٠)المستصفى، للغزالي : ١٧٩/١ , المحصول , للرازي : ٢/ ٢٥.

(٢١)البحر المحيط , للزركشي : ٤٥٧/٦ , القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الاربع , للزحيلي :١٦٢/١ , اصول الفقه , للشيخ محمد رضا المظفر : ٢٠٠/٣.

(٢٢)منهج المدخل الى أصول الفقه : ١٦٠/١ , توصيف الاقضية في الشريعة الاسلامية :٧٣٢/٢
(٢٣)البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي : ٤٥٧/٦-٤٥٨ .
(٢٤)المستصفى، الغزالي: ١/ ١٧٩
(٢٥)الإحكام، الآمدي : ٣/ ٤٥ .
(٢٦)إعلام الموقعين، لابن القيم: ١/ ٩١, الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، عند تفسير آية التوبة: ٦٠.
(٢٧)صحيح البخاري , كتاب اللباس , باب المتفلجات للحسن : ٢٢١٦/٥ , والامام مسلم , باب تغير الخلقة برقم ٢١٢٥ .
(٢٨)صحيح البخاري , كتاب الأطعمة، باب الضب، حديث رقم: ٢٥٧٥, الجزء: ٥، الصفحة: ٢٠٧٦ , صحيح مسلم , كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوانات، باب إباحة الضب، حديث رقم: ١٩٤٦, الجزء: ١٣، الصفحة: ١٤٦, طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
(٢٩)الاحكام في اصول الاحكام , للآمدي : ٥٥/٣
(٣٠)المحصول , للرازي : ٥٤/١
(٣١)المنهاج , للبيضاوي : ٩٤/٢
(٣٢)البحر المحيط , للزركشي : ٤٥٦/٦
(٣٣)اصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله : ٤٥٦/١
(٣٤)الاجماع السكوتي , لمولود السريري : ص٢٨٥

المصادر والمراجع:

١. كتاب العين , لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي , دار ومكتبة الهلال تحقيق : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي :٣٠٥/٥, وتهذيب اللغة , لابي منصور محمد بن أحمد الأزهري , دار إحياء التراث العربي , بيروت – ٢٠٠١م ط١ , تحقيق : محمد عوض مرعب: ٢٩/١٠, الإفصاح عن معاني الصحاح , ليحيى بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني، أبو المظفر، عون الدين (ت: ٥٦٠هـ) تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد , الناشر: دار الوطن,: ١٤١٧هـ: ٢٧٥/٢ , تاج العروس من جواهر القاموس , محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين , دار الهداية: ٥٥٨/٤ , المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي , لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي , المكتبة العلمية – بيروت : ٢٨١/١ .
٢. التوقيف على مهمات التعاريف , لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ) تحقيق: عبد الخالق ثروت-القاهرة , ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م: ص٤١٠ معجم لغة الفقهاء , محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي , دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع , ط٢، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م : ص٢٤٧ , الموسوعة الفقهية الكويتية , صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت , الطبعة: (من ١٤٠٤ – ١٤٢٧ هـ) ط٣، دارالسلاسل – الكويت: ١٣٢/٢٥ , معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية : ٢٨١/٢ .
٣. شرح الكوكب المنير , لتقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (ت: ٩٧٢هـ) تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد , الناشر: مكتبة العبيكان , ط٢ , ١٤١٨هـ – ١٩٩٧ م : ٤/ ٤٣٨-٤٣٩
٤. شرح الكوكب المنير: ٤/ ٤٣٨
٥. شرح الكوكب المنير: ٤/ ٤٣٨-٤٣٩
٦. شرح الكوكب المنير: ٤/ ٤٣٨
٧. شرح الكوكب المنير: ٤/ ٤٣٨-٤٣٩
٨. شرح الكوكب المنير: ٤/ ٤٣٨
٩. شرح الكوكب المنير لابن النجار الحنبلي : ٤٣٧/٤-٤٣٨, الإحكام في أصول الأحكام ,لابي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ) تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر, قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس , دار الآفاق الجديدة، بيروت :٣ /٩٠, البحر المحيط في أصول الفقه , لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت : ٧٩٤هـ) تحقيق: محمد محمد تامر, دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان , ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م: ١٨/٦
١٠. شرح تنقيح الفصول , لابي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت: ٦٨٤هـ) تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد , الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة , ط١، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م: ص ٢٥٩.
١١. القرافي، شرح تنقيح الفصول: ص ٢٥٩.
١٢. القرافي، شرح تنقيح الفصول: ص ٢٥٩.

١٣. نفائس الأصول في شرح المحصول , لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (ت ٦٨٤هـ) تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض , مكتبة نزار مصطفى الباز , ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م: ص ٣٤٢
١٤. المحلى بالآثار , لعلي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد: ١٩٦/٨ , اقوال ابن حزم الظاهري : ٥٨/٩
١٥. لسان العرب , لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري , الناشر : دار صادر – بيروت , ط١: ٩٩/١١ , ومعجم مقاييس اللغة : ٨/٥
١٦. الحلى في الشرائع : ٣/ ١٤٣
١٧. روضة الطالبين وعمدة المفتين , لابي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) تحقيق: زهير الشاويش , المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– عمان , ط٣، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م: ص ٣٤٩ , والفِقهُ المُيسَّر, للدكتور عبد الله بن محمد الطيّار، والدكتور عبد الله بن محمّد المطلق،والدكتور. محمّد بن إبراهيم الموسى , الناشر: مَدارُ الوَطن للنَّشر، الرياض – المملكة العربية السعودية ,ط١ , ١٤٣٢/ ٢٠١١: ١٨٦١/١ , ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج , لشمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (ت: ١٠٠٤هـ) دار الفكر، بيروت , ط٥ – ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م : ٨ /٦٥
١٨. النظام القضائي في الفقه الإسلامي , لمحمد رأفت عثمان , دار البيان , ط٢ ١٤١٥هـ١٩٩٤م: ص٢٧٩ , الفقه الشافعي , المجلد ٢, الصفحة ٢٨٣
١٩. البحر المحيط، للزركشي : ٣١٤/٦ , روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل , لابي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ) مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع , ط٢ , ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م: ص٤٧٢.
٢٠. المستصفى , لابي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ) تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي , دار الكتب العلمية , ط١, ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م: ١٧٩/١ , المحصول في علم الأصول , لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي , جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض , ط١ , ١٤٠٠, تحقيق : طه جابر فياض العلواني: ٢/ ٢٥.
٢١. البحر المحيط , للزركشي : ٤٥٧/٦ , القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الاربع , للزحيلي :١٦٢/١ , اصول الفقه , للشيخ محمد رضا المظفر : ٢٠٠/٣.
٢٢. منهج المدخل الى أصول الفقه : ١٦٠/١ , توصيف الاقضية في الشريعة الاسلامية :٧٣٢/٢
٢٣. البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي : ٤٥٧/٦–٤٥٨ .
٢٤. المستصفى، الغزالي: ١/ ١٧٩
٢٥. الإحكام، الآمدي : ٣/ ٤٥ .
٢٦. إعلام الموقعين عن رب العالمين, لابي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ) تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان , شارك في التخريج: أبو عمر احمد عبد الله أحمد , دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية , ط١، ١٤٢٣ هـ: ١/ ٩١, الجامع لأحكام القرآن , لابي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت : ٦٧١ هـ) , تحقيق : هشام سمير البخاري , دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ,ط١ : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م , عند تفسير آية التوبة: ٦٠.
٢٧. صحيح البخاري , كتاب اللباس , باب المتفلجات للحسن : ٢٢١٦/٥ , والامام مسلم , باب تغير الخلقة برقم ٢١٢٥ .
٢٨. صحيح البخاري , كتاب الأطعمة, باب الضب, حديث رقم: ٢٥٧٥, الجزء: ٥, الصفحة: ٢٠٧٦ , صحيح مسلم , كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوانات, باب إباحة الضب, حديث رقم: ١٩٤٦, الجزء: ١٣, الصفحة: ١٤٦, طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٩. الاحكام في اصول الاحكام , للآمدي : ٥٥/٣
٣٠. المحصول , للرازي : ٥٤/١
٣١. الإبهاج في شرح المنهاج , لتقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيى السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب, دار الكتب العلمية –بيروت , عام النشر: ١٤١٦هـ – ١٩٩٥ م: ٩٤/٢
٣٢. البحر المحيط , للزركشي : ٤٥٦/٦
٣٣. أصُولُ الفِقهِ الذي لا يَسَعُ الفَقِيهِ جَهلَهُ , لعياض بن نامي بن عوض السلمي , الناشر: دار التدمرية، الرياض – المملكة

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

أثر توظيف استراتيجيات النظرية المعرفية في تحصيل مادة اللغة العربية لدى طلاب الصف الأول المتوسط واتجاههم نحوها

أ.م.د. حمدي إسماعيل احمد علي
الجامعة المستنصرية /كلية التربية / قسم اللغة العربية

المستخلص:
يستهدف البحث معرفة اثر توظيف استراتيجيات النظرية المعرفية في تحصيل مادة اللغة العربية لدى طلاب الصف الاول المتوسط واتجاههم نحوها ، ومن هدف البحث وضع الباحث الفرضيتين الصفرتين :
١- لا يوجد فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب الصف الاول المتوسط طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة اللغة العربية على وفق استراتيجيات النظرية المعرفية، ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة الاعتيادية في اختبار التحصيل البعدي .
٢- لا يوجد فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب الصف الاول المتوسط طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة اللغة العربية على وفق استراتيجيات النظرية المعرفية، ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة الاعتيادية في مقياس الاتجاه نحو المادة .
اعتمد الباحث منهج البحث التجريبي ذو التصميم الجزئي لمجموعتين متكافئتين ، وبلغت عينة البحث (٦٥) طالب اختيروا بالطريقة العشوائية العنقودية من مجتمع البحث ، وداتا البحث تمثلت الأداة الاولى اختبار التحصيل البعدي الذي اعدت فقراته من نوع الاختيار من متعدد بلغ (٤٠) فقرة بعدها تم استخراج صدقها وثباتها وخصائصها السيكومترية ، والاداة الثانية مقياس الاتجاه نحو المادة والذي بلغ عدد فقراته (٣٠) فقرة (١٥) فقرة مثلت الفقرات الايجابية و (١٥) فقرة مثلت الفقرات السلبية نحو مادة اللغة العربية من وجهة نظر الطلاب ، وبعد استخراج نتائج البحث باستعمال الحقيبة الإحصائية للعلوم الإنسانية والاجتماعية (spss) اظهرت نتائج البحث تفوق طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا مادة اللغة العربية باستراتيجيات النظرية المعرفية على طلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا بالطريقة الاعتيادية احصائيا في اختبار التحصيل البعدي ، وكذلك تفوق طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا مادة اللغة العربية باستراتيجيات النظرية المعرفية على طلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا بالطريقة الاعتيادية احصائيا في مقياس الاتجاه نحو المادة، ، واستنتج الباحث ان التدريس على وفق استراتيجيات النظرية المعرفية أكثر تأثيرا من الطريقة الاعتيادية في التحصيل والاتجاه ، واوصى الباحث بضرورة تدريب مدرسي مادة اللغة العربية على الاستراتيجيات التدريسية الحديثة ومنها طريقة التدريس على وفق استراتيجيات النظرية المعرفية، واقترح الباحث اجراء بحوث مستقبلية مماثلة على مراحل ومواد دراسية أخرى في اللغة العربية .

الكلمات المفتاحية:الاثر،استراتيجيات، النظرية المعرفية،التحصيل، اللغة العربية، الاتجاه

Abstract :
The study aims to investigate the effect of employing cognitive theory strategies on the achievement in Arabic language subject among first-grade intermediate students and their attitudes toward the subject. Based on this objective, the researcher formulated two null hypotheses:
1. There is no statistically significant difference at the (0.05) level between the mean scores of the experimental group students, who study Arabic language using cognitive theory strategies, and the control group students, who study the same subject using the conventional method, in the post-achievement test.
2. There is no statistically significant difference at the (0.05) level be-

tween the mean scores of the experimental group students, who study Arabic language using cognitive theory strategies, and the control group students, who study the same subject using the conventional method, in the attitude scale toward the subject.

The researcher adopted the experimental research method with a quasi-experimental design for two equivalent groups. The sample consisted of 65 students selected randomly using cluster sampling from the research population. The research tools were: (1) a post-achievement test comprising 40 multiple-choice questions—its validity, reliability, and psychometric properties were established; and (2) an attitude scale toward the subject consisting of 30 items (15 positive and 15 negative statements) reflecting students› perceptions of Arabic language.

Using the Statistical Package for the Social Sciences (SPSS), the results indicated that the experimental group students who were taught Arabic using cognitive theory strategies outperformed the control group students taught with the traditional method—both in the post-achievement test and in the attitude scale toward the subject.

The researcher concluded that instruction based on cognitive theory strategies is more effective than conventional methods in enhancing achievement and attitude. Accordingly, the researcher recommended training Arabic language teachers in modern teaching strategies, particularly those based on cognitive theory, and proposed conducting similar future studies on other educational stages and subjects within the Arabic language domain.

Keywords: Effect,Cognitive Theory Strategies, Achievement, Arabic Language, Attitude

المقدمة:

تُعد اللغة العربية ركيزة أساسية للهوية الثقافية والدينية، ومادة محورية في المناهج الدراسية بمختلف مراحلها. ومع ذلك، يواجه العديد من طلابنا تحديات في تحصيلها الدراسي، لا سيما في المراحل الانتقالية كالصف الأول المتوسط، حيث تتزايد متطلبات المادة وتزداد معها الحاجة إلى استراتيجيات تعلم فعالة، هنا يبرز دور النظريات المعرفية في فهم وتحسين عمليات التعلم.

وتُقدم النظريات المعرفية إطارًا شاملاً لكيفية معالجة الدماغ للمعلومات، من خلال التركيز على العمليات العقلية الداخلية مثل الانتباه، الإدراك، الذاكرة، حل المشكلات، والتفكير. وتُشير هذه النظريات إلى أن التعلم ليس مجرد استقبال سلبي للمعلومات، بل هو عملية نشطة يبني فيها الطالب معرفته الخاصة. وتتعدد استراتيجيات التعلم المستقاة من هذه النظريات، مثل التعلم ذي المعنى، الاستدعاء النشط، التنظيم الهرمي للمعلومات،

استخدام الخرائط الذهنية، والتساؤل الذاتي. عند تطبيق هذه الاستراتيجيات في تدريس اللغة العربية، يمكننا تحويل العملية التعليمية من مجرد تلقين إلى تجربة تفاعلية تُشجع الطلاب على التفكير النقدي، الفهم العميق، وربط المعلومات الجديدة بالسابقة.

وإن توظيف استراتيجيات مستمدة من النظرية المعرفية في تدريس اللغة العربية لطلاب الصف الأول المتوسط له أثر مزدوج، فهو لا يقتصر على تحسين التحصيل الدراسي فحسب، بل يمتد ليشمل تنمية اتجاهات إيجابية نحو المادة. عندما يجد الطلاب أنفسهم قادرين على فهم القواعد النحوية الصعبة، تحليل النصوص الأدبية المعقدة، والتعبير بطلاقة، فإن ذلك يعزز من ثقتهم بأنفسهم ويزيد من دافعيتهم للتعلم ، هذا بدوره يُسهم في تقليل القلق المصاحب لدراسة اللغة العربية، ويُحفزهم على المشاركة الفعالة، مما يُخلق بيئة تعليمية محببة وفعالة. وبالتالي، فإن البحث في أثر توظيف هذه الاستراتيجيات يُعد ضرورة ملحة لفهم كيف يمكننا تمكين طلابنا من إتقان لغتهم الأم والتمتع بعملية تعلمها.

الفصل الأول – التعريف بالبحث –

مشكلة البحث :

يواجه تدريس مادة اللغة العربية مشكلات عدة ابرزها الضعف في استعمال استراتيجيات التدريس الحديثة ، وكذلك عدم توظيف مدرسي المادة لها في التدريس ، وصعوبة المادة نفسها ، حيث اصبح تدريس اللغة العربية بالطريقة الاعتيادية الشائعة المعتمد في تدريسها على طريقة المحاضرة (تلقين المعلومات) بالدرجة الاساس والقاء المعلومات على الطلاب من قبل المدرسين ، و ايضا التركيز على الحفظ من دون الفهم وهذا الامر اثارة انتباه العديد من الباحثين في مجال التربية مما جعلهم يعملون جاهدين على اسعاف العملية التعليمية من الانهيار فقد قدموا الكثير من الدراسات التي تؤكد ضعف الطريقة التدريسية الاعتيادية واستعمال بدلاً عنها استراتيجيات حديثة في التدريس التي بدورها تُنضج التعليم وتجعله اكثر اهميه ومتعةً للطلاب او اكثر فائدة يمكن من خلالها زيادة مستوى تحصيل وتفكير الطلاب ومن الدراسات العربية التي بحثت في هذا المجال هي دراسة (اللبان ، ٢٠١٦ : ٢٦٩ – ٢٧٠) ، (جراد والعبيدي ، ٢٠٢٣: ٩٥٣).

وعلى الرغم من الأهمية الجوهرية للغة العربية كركيزة للثقافة والهوية، ومادة أساسية في المناهج التعليمية، إلا أن العديد من طلاب المرحلة المتوسطة، وبالتحديد في الصف الأول، يواجهون تحديات في فهمها واستيعاب قواعدها ومفاهيمها. يُلاحظ تراجع في مستوى التحصيل الدراسي في هذه المادة، يصاحبه غالبًا اتجاهات سلبية لدى الطلاب نحو تعلمها، تتمثل في الشعور بالملل، القلق، أو ضعف الدافعية. يعود هذا جزئيًا إلى الطرق التقليدية في التدريس التي قد تركز على التلقين والحفظ، وتهمل الجوانب المعرفية النشطة في عملية التعلم.(السكران ، ٢٠١٥ : ١٢٣).

اذ تُقدم النظريات المعرفية إطارًا شاملًا لفهم كيفية معالجة الدماغ للمعلومات وبناء المعرفة، وتُبرز دور العمليات العقلية العليا كالانتباه، الذاكرة، حل المشكلات، والتفكير، تستلهم هذه النظريات استراتيجيات تعليمية فعالة تهدف إلى تفعيل دور الطالب وجعله مشاركًا نشطًا في بناء معرفته، من هنا، تبرز الحاجة المُلحة لدراسة أثر توظيف هذه الاستراتيجيات في سياق تدريس اللغة العربية، فهل يمكن لاستراتيجيات مثل الخرائط الذهنية، التساؤل الذاتي، التعلم ذي المعنى، والاستدعاء النشط أن تُحسن من مستوى تحصيل طلاب الصف الأول المتوسط في اللغة العربية؟ وهل يمكن لهذه الاستراتيجيات أن تُسهم في تغيير اتجاهاتهم السلبية نحو المادة، وتحويلها إلى اتجاهات إيجابية تُعزز من دافعيتهم ورغبتهم في التعلم؟(محسن ، ٢٠١٨ : ٢٠٠)

إن فهم العلاقة بين تطبيق هذه الاستراتيجيات المعرفية وتحسين التحصيل والاتجاهات سيُسهم بشكل كبير في تطوير ممارسات تعليمية أكثر فعالية، ويُمكن المدرسين من تبني أساليب تدريس تُناسب طبيعة الفروق الفردية بين

الطلاب، وتُعزز من استقلاليتهم المعرفية، وبالتالي، فإن المشكلة البحثية تكمن في تحديد الأثر النوعي والكمي لتوظيف بعض استراتيجيات النظرية المعرفية المختارة على كل من التحصيل الدراسي في مادة اللغة العربية والاتجاهات النفسية والتعليمية نحوها لدى طلاب الصف الأول المتوسط . (زيتون ، ٢٠٠٧ : ٦٧) ، لاوعليه تبلورت مشكلة البحث بالسؤال الاتي : س/ هل لتوظيف استراتيجيات النظرية المعرفية اثر في تحصيل مادة اللغة العربية لدى طلاب الصف الاول المتوسط ؟ وما اتجاههم نحوها ؟ .

اهمية البحث :

١) تعزيز تعلم اللغة العربية وتنمية اتجاهات الطلاب :

يكتسب البحث في «أثر توظيف بعض استراتيجيات النظرية المعرفية في تحصيل مادة اللغة العربية لدى طلاب الصف الأول المتوسط واتجاههم نحوها» أهمية عميقة ومتعددة الأبعاد، لا تقتصر على الجانب الأكاديمي فحسب، بل تمتد لتشمل جوانب تربوية ونفسية واجتماعية أوسع.

٢) سد الفجوة في التحصيل الدراسي وتجاوز التحديات التعليمية:

يُعد هذا البحث بالغ الأهمية في معالجة التحديات الراهنة التي تواجه تعلم اللغة العربية في المرحلة المتوسطة، فكثيرًا ما يواجه الطلاب صعوبة في استيعاب قواعد النحو والصرف، وفهم النصوص الأدبية، والتعبير بطلاقة. هذه الصعوبات غالبًا ما تنبع من طرق التدريس التقليدية التي قد تركز على الحفظ والتلقين، وتُهمل تفعيل العمليات المعرفية العليا لدى الطالب. من خلال استكشاف أثر استراتيجيات مستقاة من النظريات المعرفية (مثل الخرائط الذهنية، التساؤل الذاتي، والاستدعاء النشط)، ويسعى البحث إلى :

تطوير أساليب تدريس مبتكرة: يقدم البحث إطارًا عمليًا لمدرسي اللغة العربية لتبني استراتيجيات تدريس حديثة تُحفز التفكير النقدي.

تُعزز الفهم العميق للمفاهيم اللغوية بدلاً من مجرد الحفظ .

تحسين الأداء الأكاديمي: يُتوقع أن يُسهم تطبيق هذه الاستراتيجيات في رفع مستوى التحصيل الدراسي لطلاب الصف الأول المتوسط في اللغة العربية، مما يُمكنهم من بناء أساس قوي لمراحل تعليمية لاحقة.

تعزيز استقلالية الطالب : تُشجع الاستراتيجيات المعرفية الطلاب على أن يصبحوا متعلمين نشطين ومستقلين، قادرين على تنظيم معلوماتهم ومعالجتها بكفاءة، وهذا يُعد مهارة حيوية تتجاوز حدود مادة اللغة العربية.

٣) بناء اتجاهات إيجابية نحو اللغة العربية وتعزيز الهوية:

تتجاوز أهمية البحث مجرد التحصيل الأكاديمي لتصل إلى التأثير على الجانب الوجداني للطلاب؛ فالكثير منهم يُظهرون اتجاهات سلبية نحو اللغة العربية بسبب طبيعة التدريس أو صعوبة المادة. يسعى البحث إلى:

تغيير النظرة النمطية للمادة: عندما يجد الطلاب أنفسهم قادرين على فهم وتطبيق قواعد اللغة بسهولة أكبر، فإن ذلك يُقلل من شعورهم بالقلق أو الملل، ويُحول نظرتهم للمادة من عبء إلى متعة.

تعزيز الدافعية للتعلم: تُسهم النجاحات المتتالية الناتجة عن تطبيق الاستراتيجيات المعرفية في بناء الثقة بالنفس لدى الطلاب، وتُعزز من دافعيتهم الداخلية للاستمرار في تعلم اللغة وتطوير مهاراتهم فيها.

ترسيخ الانتماء اللغوي والثقافي: تُعد اللغة العربية وعاءً للثقافة والهوية. عندما يُحب الطالب لغته ويُتقنها، فإن ذلك يُعزز من انتمائه لهويته الثقافية والدينية، ويُمكنه من التعبير عن ذاته وفهم تراثه بشكل أعمق.

٤. إثراء الأدبيات التربوية وتوجيه السياسات التعليمية:

يُقدم البحث مساهمة علمية قيمة في مجال التربية ، من خلال:

تقديم أدلة بحثية مُوثقة: يُوفر البحث نتائج قائمة على أدلة تثبت فعالية استراتيجيات معينة في سياق تعليمي محدد، مما يُثري المكتبة التربوية ويدعم القرارات التعليمية المستقبلية.

توجيه برامج تدريب المدرسين: يمكن أن تُستخدم نتائج هذا البحث في تطوير برامج تدريبية للمدرسين تركز على تزويدهم بالأدوات والاستراتيجيات المعرفية الفعالة لتدريس اللغة العربية، مما يُحسن من جودة التعليم بشكل عام.

المساهمة في تطوير المناهج: قد تُقدم توصيات البحث رؤى قيمة للمسؤولين عن تطوير المناهج الدراسية، لدعم تبني أساليب تدريس تعتمد على النظريات المعرفية وتُراعي طبيعة نمو الطلاب في هذه المرحلة العمرية.

باختصار، لا يهدف هذا البحث إلى مجرد تحسين درجات الطلاب، بل يسعى إلى إحداث تحول نوعي في طريقة تعلم اللغة العربية، وجعلها تجربة ممتعة وثرية تُسهم في بناء جيل مُحب للغته ومُتمكن منها، قادر على التواصل الفعال والمساهمة في مجتمعه ، كون اللغة العربية هي أكثر من مجرد وسيلة للتواصل، إنها ركيزة أساسية للهوية الثقافية والتاريخية لملايين الأشخاص حول العالم ، تتميز اللغة العربية بكونها واحدة من أقدم اللغات الحية وأكثرها انتشارًا، وهي لغة القرآن الكريم، مما يمنحها مكانة دينية وروحية عظيمة لدى المسلمين.

هدف البحث : يستهدف البحث معرفة اثر توظيف استراتيجيات النظرية المعرفية في تحصيل مادة اللغة العربية لدى طلاب الصف الاول المتوسط واتجاههم نحوها.

فرضيتا البحث :

١) لا يوجد فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب الصف الاول المتوسط طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة اللغة العربية على وفق استراتيجيات النظرية المعرفية، ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة الاعتيادية في اختبار التحصيل البعدي .

٢) لا يوجد فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب الصف الاول المتوسط طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة اللغة العربية على وفق استراتيجيات النظرية المعرفية، ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة الاعتيادية في مقياس الاتجاه نحو المادة .

حدود البحث :

الحدود المكانية : المدارس التابعة لمديرية تربية محافظة بغداد الرصافة الثالثة .

الحدود البشرية : طلاب الصف الاول المتوسط.

الحدود الزمانية : العام الدراسي ٢٠٢٤ / ٢٠٢٥ م .

الحدود الموضوعية : تدريس الوحدة الأولى (المطالعة والنصوص من ص ١ الى ص ١٦) والوحدة الثانية (الايثار من ص ١٧ الى ص٢٨) والوحدة الثالثة (من تراث العرب من ص ٢٩ الى ص ٤٥) من مادة اللغة العربية في الكورس الأول على وفق بعض استراتيجيات النظرية المعرفية .

متغيرات الدراسة : المتغير المستقل (استراتيجيات النظرية المعرفية بالاعتماد على استراتيجية الاستماع والتحدث) المتغيرين التابعين (التحصيل البعدي ومقياس الاتجاه نحو المادة).

تحديد مصطلحات البحث :

الأثر : عرفه: (خماس،٢٠١٨): « التغيرات المرغوبة التي تحصل نتيجة إجراءات البحث التجريبية « . (خماس،٢٠١٨: ٢٦٦)

التعريف الاجرائي: قدرة طلاب المجموعة التجريبية على تحقيق النتائج المرغوبة بعد دراسة المادة والمعدة من قبل الباحث وتحليل نتائج الاختبار التحصيلي ومقياس الاتجاه الذي سيطبق على الطلاب في نهاية التجربة .

استراتيجيات النظرية المعرفية : عرفها (And Mari،Schwartz،١٩٩٨) «كلمات ومفاهيم للوصول الى المعنى ، فهي تتضمن مسح المادة لالتقاط تفصيلات محدد وملاحظة نماذج تركيب الكلمات «. (AndMari،Schwartz،٣٤:٣٤،١٩٩٨)

التعريف الاجرائي : طريقة للتدريس المراد منها ايصالها الى طلاب الصف الاول المتوسط المشتقة من استراتيجيات النظرية المعرفية ، فهي نسبة تفاعل المدرس مع طلاب الصف الاول المتوسط من خلال اسئلة وحوار يتم فيما بينهما داخل الصف الدراسي .

التحصيل: عرفه : (أبو جادو، ٢٠١١): « إجراء منظم لتحديد مقدار ما تعلمهُ الطلاب في موضوع ما في ضوء الأهداف المحددة « . (أبو جادو، ٢٠١١: ١١٤)

التعريف الاجرائي : مقدار ما يحصله عليه طلاب عينة البحث من تعلم في موضوعات مادة اللغة العربية طيلة مدة التجربة مقاسا بالدرجات التي يحصلون عليها بعد استجابتهم للاختبار التحصيلي البعدي .

الاتجاه: عرفه عامر :(٢٠١٢) : « حالة داخلية تؤثر في اختيار الشخص لفعل معين اتجاه موضوع أو شخص أو حدث ، إذ انه أفضل طريقة لقياس اتجاه الشخص نحو موضوع ما وملاحظة كيف يسلك ويتصرف إزاء هذا الموضوع» (عامر ، ٢٠١٢ : ٧).

-التعريف الإجرائي : مؤشر لاتجاهات طلاب الصف الاول المتوسط (عينة البحث) نحو مادة اللغة العربية، ويقاس بالدرجات التي يحصل عليها الطلاب بعد الإجابة عن فقرات مقياس الاتجاه نحو المادة الذي أعده الباحث لهذا الغرض».

الفصل الثاني: اطار نظري ودراسات سابقة :

اطار نظري :

أولاً: استراتيجيات النظرية المعرفية :

مقدمة :

ظهر مفهوم الاستراتيجيات المعرفية في بداية السبعينات من القرن العشرين ليضيف بعدا جديدا في مجال علم النفس المعرفي ويفتح آفاقا واسعة للدراسات التجريبية والمناقشات النظرية في موضوعات الذكاء والتفكير والذاكرة والاستيعاب ومهارات التعلم ، تطور مفهوم التفكير المعرفية (Metacognition) في العشر سنوات الأخيرة حتى أصبح مجالا من مجالات علم النفس التطوري ، بدا ذلك التطور كشفت عنه النشاطات البحثية التي قام بها الرواد في هذا المجال ، أن القدرة على ملاحظة مستويات تعلم الطلاب قد تمت دراستها لدى فيلافيل فريدريكس وهويته ، حيث قدموا إلى أطفال ما قبل المدرسة ، وأطفال المدرسة الابتدائية مجموعة من الفقرات ، وطلبوا إليهم دراستها كلما أرادوا ذلك ، حتى يصلوا إلى درجة يكونون فيها متأكدين من قدرتهم على استدعائها ، بشكل تام ، وتوصلوا إلى أن الطلاب في مستوى ما قبل العلمية لم يكونوا قادرين على استدعاء الفقرات ، مع انهم كانوا قد درسوها قبل قولهم أننا مستعدون لذلك (أبو رياش ، ٢٠٠٧ : ٦٧) وفي حالة تكون التغيرات الاثمانية المرتبطة بالقدرات الفوق معرفية ، وفي لحظة بداية مرحلة الأفكار العملية ، فان القدرات المعرفية المحددة المختلفة تلك ، التي تشكل التفكير العملي ، تلعب دورا رئيسيا في حين العمليات فوق المعرفية وقدرات فوق الذاكرة ، وهذه القدرات بدورها تجعل الطلاب قادرا على أن يطور استراتيجيات ذاكرة فاعلة لمهمات الذاكرة المختلفة ، وان النتاجات النهائية لهذه الاستراتيجيات بالطبع ، في ذاكرة افضل واسترجاع أحسن(إسماعيل ، ٢٠٢١ : ٧٨).

ومع وجود الفروق الفردية بين الطلاب في اعمارهم ، وفي قدراتهم التي تجعلهم يستطيعون إجراء مثل هذه العمليات ، أو توظيف مثل هذه الاستراتيجيات بفاعلية ، فإن هذه الاستراتيجيات يبدو أنها تكون طريقة جيدة لوصف السلوك الذي يظهره الطلاب أمام مهمة ما ، ولكن ليست جدية في توضيحه . (إسماعيل ، ٢٠٢١ : ٧٨)

متطلبات التعلم باستراتيجيات النظرية المعرفية:

١. المعرفة: وتتضمن معرفة الطالب لطبيعة التعلم وعملياته وأغراضه ومعرفة استراتيجيات التعلم الفعال

ومتى تستخدم.

٢. الوعي: ويعني وعي الطالب بالإجراءات التي ينبغي القيام بها لتحقيق نتيجة معينة يتضمن ثلاثة أبعاد الوعي بمتغيرات الشخصية والوعي بمتغيرات الموقف التعليمي والوعي بمتغيرات الاستراتيجية الملائمة.

٣. التحكم: ويشير إلى طبيعة القرارات الواعية التي يتخذها الطالب بناءاً على معرفته ووعيه.(قطامي ، ٢٠١٣ : ٨٩)

مكونات استراتيجيات النظرية المعرفية:

١. تركيز عملية التعلم : وتشمل استراتيجية النظرة الشاملة وربط ما هو موجود بما هو معروف من قبل وتركيز الانتباه والاستماع الجيد.

٢. استراتيجية تركيز الانتباه : وتشمل التنظيم والتخطيط للتعلم والتي تنطوي على فهم موضوع التعلم وتنظيم الجدول والبيئة المحيطة وتحديد الأهداف العامة والخاصة والبحث عن فرص لممارسة المهمة.

٣. استراتيجية المراقبة : وتشمل تقويم التعلم والمراقبة والتقويم الذاتي.

مبادئ تتعلق بتعلم استراتيجيات النظرية المعرفية :

١. مبدأ العلمية:- حيث يتم التأكد من أنشطة التعلم وعملياته أكثر من التأكد من نواتجه.

٢. مبدأ التأملية:- حيث ينبغي أن يكون للتعلم قيمة ، وأن يزيد من الوعي باستراتيجيات تعلمه ومهارات تنظيم ذاته والعلاقة بين هذه الاستراتيجيات والمهارات وأهداف التعلم .

٣. مبدأ الوظيفية:- حيث ينبغي أن يكون الطالب على وعي دائم بتوظيف وظائف المعرفة والمهارات.

٤. مبدأ التشخيص الذاتي:- حيث ينبغي أن يدرس الطالب كيفية تنظيم تعليمه وتشخيصه ومراجعته.

٥. مبدأ المساندة:- بمعنى ان تتحول مسؤولية التعلم تدريجيا الى الطالب .

٦. مبدأ التعاون:- ويهتم بأهمية التعاون بين الطلبة واهمية المناقشة والحوار بينهم .

٧. مبدأ المفهوم القبلي:- ويعني أن تعلم المفاهيم الجديدة يبنى على المعرفة المتوفرة عند الطلبة.

٨. مبدأ تصور التعلم:- وتعني ضرورة تكيف التعلم حتى يلاءم تصورات الطالب ومفاهيمه. (يوسف ، ٢٠١١ : ٦٥)

العلاقة بين استراتيجيات النظرية المعرفية والاستراتيجيات فوق المعرفية:

١. الاستراتيجيات المعرفية تستخدم لمساعدة الفرد على تحقيق هدف محدد (مثل فهم نص)، بينما تستخدم الاستراتيجيات فوق المعرفية للتأكد من أن ذلك الهدف قد تحقق بالفعل(مثل اختبار الذات لتقييم مدى فهم النص).

٢. في أغلب الأحيان تكون النشاطات فوق المعرفية تالية للنشاطات المعرفية، وهي تأتي عادة عندما يظهر فشل التفكير المعرفي (مثل إدراك الفرد أنه لم يفهم النص)، حيث يعتقد أن ذلك يحفز التفكير فوق المعرفي أثناء محاولة الطالب تصحيح الوضع.

٣. قد تتداخل الاستراتيجيات المعرفية وفوق المعرفية من ناحية أن الاستراتيجية نفسها (مثل طرح الأسئلة) قد تكون معرفية أو فوق معرفية وذلك حسب الهدف من توظيفها. فمثلا قد يستخدم الفرد استراتيجية سؤال الذات أثناء القراءة كوسيلة لتحصيل المعرفة (استراتيجية معرفية) أو كطريقة للتأكد مما تم قراءته (استراتيجية فوق معرفية).

٤. إن الاستراتيجيات المعرفية وفوق المعرفية متداخلة وتعتمد على بعضها بعضاً، فإن أي محاولة لدراسة أحداهما دون الأخرى لن تؤدي إلى فهم صحيح لطبيعتها. (قطامي ، ٢٠١٣ : ٩٠)

الوظائف التي تحققها استراتيجيات النظرية المعرفية:

١) تحسين قدرة الطالب على الاستيعاب.

٢) زيادة مخزون الطالب من المعارف حول عناصر ما وراء المعرفة.
٣) رفع مستوى وعي الطالب عن طبيعة وهدف المهمات.
٤) رفع مستوى وعي الطالب عن أساليب تعلمه وتفكيره.
٥) زيادة ضبط الطالب لتعلمه عن طريق اتخاذ قرارات فاعلة.
٦) تحسين الاتجاهات بحيث تصبح أكثر ايجابية نحو الطالب.
٧) رفع المستوى المقبول للفهم وللأداء لدى الطالب، وتوظيف تقويم ذاتي أكثر دقة لتعلمه.
٩. تؤدي الى التقليل من صعوبات التعلم. (يوسف ، ٢٠١١ : ٦٧)

توظيف استراتيجيات النظرية المعرفية :

١) المرحلة الاستكشافية التمهيدية : حيث تم فيها تقصي بعض اتجاهات الطلبة السابقة نحو التعلم ونحو التعلم التعاوني والمشاركة .

٢) مرحلة الوعي : حيث أعطي الطلبة فرصة لزيادة وعيهم بعمليات التعلم التي يمارسونها ويستخدمونها ، والطلب منهم بتحديدها والتحدث عنها ، وكذلك من اجل التعرف على اتجاهات الطلبة عن موقف التعلم وصعوباته : وكيف تواجه مشكلات التعلم .

٣) مرحلة المشاركة : إعطاء الطلاب فرص تحمل مسؤولية اداءاتهم ، وتشجيعهم على ذلك ، ومساعدتهم على تكوين اتجاهات مناسبة .

٤) مرحلة تحمل المسؤولية – والضبط الذاتي : وفيها يختار الطالب ما يريده من مواد تعليمية بتدخل بسيط من قبل المدرس ، كما ويراقب المدرس في هذه المرحلة أسلوب تعلم وتفكير طلبته ، ومدى استقلالهم . (يوسف ، ٢٠١١ : ٦٩)

دور المدرس في استراتيجيات النظرية المعرفية: تشجيع الطلاب على التفكير وتنميته من خلال توجيههم الى العمليات العقلية التي يقومون بها وتوجيه نشاطهم اثناء اداء حل المشكلة من خلال مساعدتهم على تقويم تفكيرهم وتحويل حجرة الدراسة الى بيئة تفاعلية استقصائية نتيجة لوجود المناقشة الواضحة بين كل من المدرس والطالب وتنوع استراتيجيات التفكير فوق المعرفي . (إسماعيل ، ٢٠٢١ : ٧٩)

دور الطالب في استراتيجيات النظرية المعرفية: القيام بمجموعة من الاجراءات والانشطة التي ينبغي القيام بها لتحقيق نتيجة معينة والتحكم الذاتي في عمليات التعلم وتوجيهها . وبذلك يتحمل الطالب مسؤولية تعلمة من خلال توظيف معارفة ومعتقداته وعملية التفكير في تحويل المفاهيم والحقائق الى مكان يمكن توظيفها في حل ما يواجه من مشكلات . (إسماعيل ، ٢٠٢١ : ٧٩)

الاستراتيجيات المختارة من النظرية المعرفية:

استراتيجية التدريس بالاستماع والتحدث:

أولاً: الاستماع :

ان استراتيجية التدريس بمهارة الاستماع هي استراتيجيات تدريس معرفية، فهي اساليب محددة او انشطة تسهم مباشرة في الفهم، واستدعاء مدخلات الاستماع ويمكن تصنيف استراتيجيات التعامل مع النص المسموع على اساس كيفية معالجة المستمع للمدخلات الى نوعين اساسيين :

اولهما : تعتمد على السياق والمعرفة السابقة ويطلق عليها استراتيجيات (الاعلى – الادنى) (TOP–DOWN) وهذه استراتيجية تعتمد على الخلفية المعرفية للفرد وتوقعاته عن اللغة والعالم ، هذه المعرفة تتيح للمستمع ان يفسر النص على اساس السياق اللغوي السابق والموقف والموضوع Position والمشاركين

Pjrticipgnts .

ثانيهما : تعتمد على النص ذاته ، لذلك فالفهم يتسامى من الادنى للأعلى مع استمرار تدفق النص لذا سميت باستراتيجيات (الادنى – الاعلى)Bottom– UP فالفهم يعتمد على اللغة الفعلية للمفهوم في عملية الاستماع ويشمل فهم الاحداث والكلمات والمفاهيم للوصول الى المعنى ، فهذه الاستراتيجية تتضمن مسح المادة المسموعة لالتقاط تفصيلات محدد وملاحظة نماذج تركيب الكلمات. (And،٣٤:٣٤،١٩٩٨ Mari،Schwartz) ، وتقدم الاستراتيجيات الأتية :

١) البحث عن الكلمات المفتاحية.
٢) البحث عن الدلالات والاشارات غير المنطوقة التي تشير للمعنى المقصود.
٣) توقع غرض المتحدث من خلال سياق الحديث.
٤) الربط بين المعلومات التي يتبعها وبين ما يمتلكه من نسبة معرفية.
٥) . تخمين المعنى.
٦) الاستماع بفرض التوصل للفكرة العامة.
٧) الاستماع للخروج باستنتاجات . (الليودي ، ٢٠٠٦ : ٨٢)

ثانياً: التحدث :

تعد الاسئلة التي يسوغها المدرس بعناية ويوجهها لطلابه بطريقة صحيحة من الاستراتيجيات تنمية مهارات التحدث حيث انها تؤدي الى التفاعل بين المدرس والطلاب وبين الطلاب بعضهم لبعض ، بشرط ان تصاغ الاسئلة بوضوح وايجاز وان تستعمل لغة غير غامضة اي لغة طبيعية ملائمة لمستوى الطلاب وتكون ايضا» مختصرة تضم الكلمات والمصطلحات او المعلومات والمفاهيم التي يحتاجها الطلاب لكي يجيبوا عن الاسئلة وان تطلب من الطلاب تجهيز المعلومات او التفكير فيما يتعلق به وما يتعلمون منه ، وهذا يعني ان يحسن المدرس طرح الاسئلة التي لها اجابة واحدة ، او اسئلة الاستجابة المغلقة ، وهي التي يمكن الاجابة عنها (بنعم او لا)(صواب او خطأ) لأنها تتيح للطلاب ان يخمنوا الاجابة دون تجهيز للمحتوى ومعالجته .(جابر ،٢٠٠٠ : ٦٣)

وقد قدم (Pino ١٩٨٨،) مدخلا» للتدريس واختيار مهارات استراتيجيات النظرية المعرفية ، يقوم هذا المدخل على تقديم طريقة تدريسية جديدة أكثر فاعلية وقائمة على استعمال انواع مختلفة ومتنوعة من الاسئلة ، فقد تم تقديم الكلمات الجديدة باستعمال الصور الجاهزة او التي صورها المدرس ، والتي صورها عن الدروس المختارة ، ويستعمل المدرس ثلاث انواع من الاسئلة لمزيد من التدريب، تنوعت ما بين (اسئلة موضوعية ، مقالية) هي :

١) اسئلة حقيقية عن محتوى الصورة المقدمة.
٢) تشخيص الصورة بتطبيق الاسئلة عن الطلاب انفسهم.
٣) اسئلة للتأكد عن الفهم (فهم الموضوع) .(Bgrbara ،Pino،٣٥:١٩٨٨)

ثانياً: الاتجاهات :

مفهوم الاتجاه :

يُعَد مفهوم الاتجاه من المفاهيم النفسية والاجتماعية الأكثر شيوعاً واستعمالاً، وحظي باهتمام معظم العلوم الإنسانية وعلم الاجتماع والتربية والأعلام والصناعة كما أن مصطلح الاتجاهات جاء ترجمة عربية لاصطلاح (Attitude) في اللغة الإنكليزية ، إذ تشير الدلائل إلى أن الفيلسوف الإنكليزي (هربت سبنسر) (H. Spencer) أول من استعمل هذا المصطلح في كتابه (المبادئ الأولى) الصادر منه (١٨٦٢) إذ يقول : (إن وصولنا إلى أحكام صحيحة في مسائل مثيرة لكثير من الجدل يعتمد إلى حد كبير على اتجاهنا الذهني،

ونحن نصغي إلى هذا الجدل أو نشارك فيه) ، ويرى جوردن البورت (G.W. Allport) ، وهو حجة في ميادين علم النفس الاجتماعي إن مفهوم الاتجاهات هو من أبرز المفاهيم وأكثرها شيوعاً في علم النفس الاجتماعي الأمريكي المعاصر فليس ثمة اصطلاح واحد يفوقه في عدد مرات الظهور في الدراسات التجريبية والنظرية المنشور لذلك وصل الأمر ببعضهم من أمثال بوجاردس (E.S. Bojardas) وتوماس وزنانكي (Thomas& Ziniganisky) : أن علم النفس الاجتماعي ما هو إلا الدراسات العلمية للاتجاهات ٠ (مرعي ، ١٩٨٥ : ٨٦١)

طرق قياس الاتجاه :

إن قياس الاتجاهات يُسهل التنبؤ بالسلوك الإنساني لذلك أهتم العلماء والباحثون التعرف على الاتجاهات لدى الإفراد وقياسها بمقاييس مختلفة ، وقياس الاتجاهات ساعد الباحثين كثيراً للوقوف على أسباب وعوامل اكتسابها وتطورها بوصفها تنظيماً داخلياً نسبياً للمعتقدات حول شيء ، أو وضع ما يعطي الفرد استعدادا للاستجابة ، ويرى قطامي أن الاتجاهات لا يمكن ملاحظتها مباشرة بل يمكن الاستدلال عليها من السلوك سواء من ملاحظة استجابات الفرد للموضوعات، والأشخاص والحوادث أو في عباراته التقويمية وغيرها من التعبيرات اللفظية ، وهذه بعض الطرائق الأكثر شيوعاً في قياس الاتجاهات:

١-طريقة بوجاردس للمسافة الزمنية :

وتعّد هذه الطريقة أقدم طرائق قياس الاتجاهات المعتمدة على المسافة ألاجتماعية ، وضع بوجارد س هذا المقياس لقياس البعد الاجتماعي بين الجماعات القومية والعصرية المختلفة ، وقدم بعض العبارات وعددها سبع تمثل استجابات متدرجة من أقصى درجات القبول الاجتماعي إلى أقصى درجات عدم القبول ويؤخذ على هذا المقياس أن المسافة بين درجاته ليست متساوية تماماً وصعوبة تعليماته ، فقد لا تساعد المفحوص على الاستجابة بصورة بسيطة واحتمالية قياس أي مستوى من مستوياته لأكثر من اتجاه ، ألا إن بوجاردس عدله وعالج بعض مشكلاته وأستعمله على نطاق واسع.

٢-طريقة ثيرستون :

وضع ثيرستون وزميله شيفSheif عدداً من العبارات بينها فواصل أو مسافات متساوية عرضها على مجموعة من المحكمين ليسترشد برأيهم على أن العبارات تمثل أقصر درجات الايجابية ، وإنها تمثل أقصى درجات السلبية وقد استخدما طريقة المقارنة الزوجية لتحديد مواقع العبارات الأخرى بين هذين الطرفين وهي طريقة تتميز بالصعوبة والتعقيد ، وتسمى هذه الطريقة بالمقارنة المزدوجة ، وأن هذا المقياس لا يُحدد المدى الذي يعطيه اتجاه التأييد أو المعارضة للموضوعات التي يشملها المقياس ، ولذا لا يعطينا فكرة عن شدة الاتجاه وحاجته لوقت طويل لأعداده وقياسه من جانب واحد هو المفاضلة فقط ولا يحدد بدقة موقف المفحوص من موضوع الاتجاه . (قطامي ، ١٩٩٨: ١٧١)

٣-طريقة ليكرت للتقدير الجمعي :

(وهذه هي الطريقة التي سيعتمدها الباحث في بحثه لقياس الاتجاه) :

وتعد هذه الطريقة من أكثر طرائق قياس الاتجاه شيوعاً بين الباحثين ، وقد تتميز الفقرات باستخدام هذه الطريقة بانقسامها على نصفين الأول يحتوي على فقرات ايجابية والثاني يحتوي على فقرات سلبية ، وأمام الفقرات سواء كانت ايجابية أم سلبية بدائل واختيارات قد تكون ثلاثة أو أربعة أو خمسة . (الكبيسي و الداهري ، ٢٠٠٠ : ٨١) وتتميز هذه الطريقة بعدة مميزات :

١- جميع فقراته تقيس الاتجاه نفسه .

٢- قلة الجهد والوقت المستهلكين لأعداده مقارنة بمقاييس نفسية أخرى .

٣- يتيح للمفحوص التعبير عن استجابته من خلال البدائل المتعددة في كل فقرة لكن هناك مآخذ عديدة على هذه الطريقة :

أ- الدرجة الكلية على هذا المقياس يمكن أن يحصل عليها أكثر من مفحوص بطرائق مختلفة .

ب- أن الدرجة (٢) (متردد) التي تفترض أن المفحوص غير متأكد من استجابته ، لا يمكن عدها نقطة محايدة إذ يمكن تفسيرها على أنها استجابة (شك) نحو الموضوع الذي يُقيسه المقياس أو أنه اتجاه فعلي عند المفحوص ، وهذا ما يجب أن ينتبه إليه مستعمل هذا المقياس (علام، ٢٠٠٧: ٥٤٣).

٤-طريقة جتمان :

تسمى هذه الطريقة بطريقـــــة تحليل المقياس وهناك تشابه بين هذا المقياس ومقياس ليكرت في قياس الاتجاهات ، إذ يستند إلى فكرة التدرج التراكمـــي أو التجمعي للاستجابات ، وتعُد هذه الطريقة أحادية البعد في قياس الاتجاه وتوصف بأنها مقياس تراكمي لذلك أصبح استخدامها في قياس الاتجاه محدوداً ، إذ تراعي هذه الطريقة نقطة مهمة في القياس بشكل عام ففي المقاييس السابقة لا نستطيع تحديد الفقرات التي أجاب عنها المجيب إجابة صحيحة إذا عرفنا درجته الكلية لأن هذه الفقرات غير متسلسلة في الأصل منطقياً بشكل يجعلها تبدو كوحدات قياس ثابتة(ألعبيدي و محمد ، ٢٠٠٣ : ١٩٥).

علاقة اللغة العربية بالاتجاه :

إن تكوين الاتجاهات هدف من أهداف التربية التي تسعى كل المواد الدراسية لتحقيقه ، ولكن نوعية الاتجاهات التي تسعى لتكوينها تختلف تبعا لاختلاف طبيعة و أهداف هذه المواد ، واللغة العربية كمادة دراسية تنوي لتحقيق هذا الهدف من خلال ما تقدمه للطلاب من معلومات ضرورية ، و ذلك في جو من الانفعال المناسب لتكوينها و تنميتها ويمكن تصنيف الاتجاهات التي تسعى اللغة العربي و لتحقيقها فيما يأتي :

١) اتجاهات فردية : تتعلق بذاتية الطالب كالتعرف على اللغة العربية قديما وحديثا من خلال ما يتعلمه في المدرسة والبيت .

٢) اتجاهات دينية : تتعلق بتعميق الإيمان بالله كعقيدة و سلوك والذي يمكن إن يكتسبها من القران والسنة النبوية وأحاديث الصحابة الإجلاء ، وان مادة اللغة العربية مفخمة بالإحداث الدينية الإسلامية.

٣) اتجاهات علمية : تتعلق بالتفكير العلمي وربط التطوير باللغة العربية.

٤) اتجاهات وطنية :

ينمي الاهتمام بالوطن والانتماء إليه ، و الدفاع عنه ، و المحافظة على مكتسباته ، والتأكيد على الديمقراطية و المواطنة الصالحة من خلال لغتنا الام.

٥) اتجاهات عالمية :

تتعلق بالسلام العالمي العادل ، و التعاون و التفاهم الدولي و حرية الإنسان ، و تحقيق الاتجاهات يتوقف على نجاح المدرس في تنمية اتجاه ايجابي نحو مادة اللغة العربية ، لان ذلك يلعب دوراً هاماً في عملية تعلمها من جانب الطلاب ، بل هي تعتبر محددة لمقدار ما يكتسبه الطلاب من مهارات و معارف و معلومات و اتجاهات هذه المادة و استخدامهم لها كما ان درجة النجاح التي يمكن تحقيقها من جانب الطلاب تعتمد على اتجاهاتهم الثابتة و المؤقتة نحو مادة اللغة العربية كمادة دراسية مما تتضمنه من أنشطة تتطلب من الطلاب إعمال فكرهم بالمقارنة و التحليل و النقد والاكتشاف(الفرا ، ١٩٩٧ : ٦٩).

دراسات سابقة :

لم يجد الباحث اي دراسات سابقة تناولت توظيف استراتيجيات النظرية المعرفية في تخصص طرائق تدريس اللغة العربية ، وعليه يمثل البحث حسب علم الباحث اول بحث محلي تناول توظيف استراتيجيات النظرية المعرفية في

تطبيق البحث في تخصص طرائق تدريس اللغة العربية لتجريبها في تدريس موضوعات مادة اللغة العربية لطلاب الصف الاول المتوسط.

الفصل الثالث: منهج البحث واجراءاتها:

منهج البحث : اتبع الباحث منهج البحث التجريبي، وذلك لملائمته لهدف البحث وفرضيته .

التصميم التجريبي : اعتمد الباحث التصميم التجريبي الذي يطلق عليه تصميم المجموعتين المتكافئتين ذي الاختبار البعدي ، والشكل (١) يوضح ذلك .

المجموعة	المتغير المستقل	المتغير التابع	نوع الاختبار
التجريبية	استراتيجيات النظرية المعرفية	التحصيل	اختبار التحصيل البعدي
الضابطة	الطريقة الاعتيادية	الاتجاه	مقياس الاتجاه البعدي

شكل (١) التصميم التجريبي للبحث

مجتمع البحث: بلغ مجتمع البحث (٦٣) مدرسة متوسطة و مثل عدد الطلاب فيها (١٠٦٥) .

عينة البحث:

بطريقة السحب العشوائي البسيط اختيرت مدرسة (متوسطة كاظم بريسم للبنين) لتمثل عينة البحث ، و بلغ عدد طلاب الصف الاول المتوسط في هذه المدرسة (٧٠) طالب ، موزعين بين شعبتين تضم الشعبة (أ) ٣٥ طالب والشعبة (ب) ٣٥ طالب ، و اختيرت شعبة (أ) لتمثل المجموعة التجريبية التي سيدرسُ طلابها مادة اللغة العربية لاستراتيجيات النظرية المعرفية وشعبة (ب) تمثل المجموعة الضابطة التي سيدرسُ طلابها المادة نفسها بالطريقة الاعتيادية ، بعدها تم استبعاد (٥) من طلاب المجموعتين الراسبين من العام الماضي لتصبح العينة النهائية (٦٥) طالب مع الإبقاء عليهم ضمن مجموعاتهم حفاظاً على نظام الصف والمدرسة ، والجدول (١) يوضح ذلك .

جدول (١) عدد طلاب مجموعتي البحث التجريبية والضابطة قبل وبعد الاستبعاد

المجموعة	الشعبة	عدد الطلاب قبل الاستبعاد	عدد الراسبين	عدد طلاب المجموعتين بعد الاستبعاد
التجريبية	أ	٣٥	١	٣٤
الضابطة	ب	٣٥	٤	٣١
المجموع الكلي		٧٠	٥	٦٥

تكافؤ مجموعتي البحث :

تم التعامل مع التكافؤ وفق (العمر الزمني محسوبا بالشهور ، اختبار مستوى الذكاء ، درجات مادة اللغة العربية للعام الماضي) ، واظهرت نتائج التحليل الاحصائي عدم وجود فرق ذو دلالة احصائية بين المجموعتين ، لذا فان المجموعتين متكافئتين في هذه المتغيرات .

ضبط المتغيرات الدخيلة :

تم التعامل مع المتغيرات الداخلية وضبطها وفق الاتي (تاريخ أجراء التجربة ، الحوادث المصاحبة ، الترك والانقطاع ، النضج اختيار أفراد العينة ، اثر الإجراءات التجريبية ، سرية التجربة ، لتدريس ، بناية المدرسة ، الوسائل التعليمية ، توزيع الحصص الدراسية) وتم ضبط هذه المتغيرات بالاتفاق مع إدارة المدرسة .

المستلزمات المطلوبة لأجراء البحث:

١- تحديد موضوعات مادة اللغة العربية المقررة للتجربة :

اعُتمدت مادة اللغة العربية التي تدرس في الكورس الدراسي الاول لطلاب الصف الاول المتوسط والمقرر تدريسها لهم من قبل وزارة التربية .

٢- صياغة الاغراض السلوكية من موضوعات مادة اللغة العربية المقررة في التجربة :

بلغت الاغراض السلوكية التي توزعت على المستويات الثلاثة الاولى من تصنيف بلوم (المعرفة – الفهم – التطبيق) ، ٤٥ غرض سلوكي عُرضت على مجموعة من الخبراء المتخصصين في مجال طرائق تدريس اللغة العربية ، واعتمدت نسبة اتفاق (٨٠٪) فاكثر معياراً لصلاحية كل غرض سلوكي ، وفي ضوء ملاحظاتهم ومقترحاتهم عدُلت قسماً من الأهداف فيما يخص لغة الغرض وتقديم وتأخير بعض منها.

٣- إعداد الخطط التدريسية للموضوعات المقررة لمادة اللغة العربية :

لجأ الباحث الى وضع خطط يومية أنموذجية لتدريس موضوعات مادة اللغة العربية لطلاب المجموعة التجريبية على وفق استراتيجيات النظرية المعرفية وعددها (١٢) خطة تدريسية و(١٢) خطة أخرى للمجموعة الضابطة التي يدرس طلابها على وفق الطريقة الاعتيادية ، وعرضت نماذج من الخطط على مجموعة من المختصين في مجال طرائق تدريس اللغة العربية ، للإفادة من آرائهم ومقترحاتهم واعُتمدت نسبة اتفاق (٨٠٪) قوة للحكم على صلاحية الخطط التدريسية .

أداة البحث:

الأداة الأولى للبحث :

اختبار التحصيل:

١) تحديد الهدف من الاختبار :

ان هدف هذا الاختبار هو لمعرفة فاعلية استراتيجيات النظرية المعرفية في تحصيل مادة اللغة العربية لدى طلاب الصف الاول المتوسط.

٢) تحديد مستويات المجال المعرفي لتصنيف بلوم التي يقيسها الاختبار :

بعد الاستئناس بآراء المختصين بالقياس والتقويم وبطرائق تدريس اللغة العربية ارتأى الباحث أن يشمل الاختبار التحصيلي قياس المستويات الثلاثة الأولى من تصنيف بلـــوم (Bloom) للمجال المعرفي وهـي (معرفة ، فهم ، تطبيق) .

٣) إعداد جدول المواصفات (الخريطة الاختبارية) : حددت بالاتي :

أ ـ تحديد نسبة اهمية الفصول واهمية مستويات الاهداف :

اعتمد الباحث في تحديـــد أهميـــة الفصـــول(الموضوعات) عدد الصفحات وهو أسلوب معتمد في كثير من الدراسات وبذلك كانت نسبة أهمية الفصول كما هو موضح في الجدول (٢) الخريطة الاختبارية .

جدول (٢) الخريطة الاختبارية لنسبة أهمية الفصول وأهمية مستويات الأهداف

الوحدة	عدد الصفحات	مستويات الأهداف			المجموع
		معرفة	فهم	تطبيق	
الاولى	١٦	٧	٦	٣	١٦
الثانية	١٢	٥	٥	٢	١٢
الثالثة	١٧	٨	٧	٢	١٧

ب . تحديد عدد فقرات الاختبار وتوزيعها على نسب الخريطة الاختبارية : وجد الباحث من المناسب أن يكون عدد فقرات الاختبار التحصيلي (٤٠) ، كي يتلاءم و الوقت المخصص للإجابة ، ويغطي مساحة مناسبة من

الموضوعات والأهداف ، وقد تم توزيع عدد فقرات الاختبار التحصيلي على الموضوعات والأهداف بحسب نسبة أهميتها كما موضح في الجـــدول (٣) .

جدول (٣) الخريطة الاختبارية لعدد فقرات الاختبار التحصيلي

الوحدة	عدد الصفحات	عدد الفقرات الاختبارية			عدد الفقرات الكلي	عدد الفقرات الكلي
		معرفة ٤٠%	فهم ٤٠%	تطبيق ٢٠ %		
الأولى	١٦	٦	٦	٤	١٦	(٤٠)اختبارية
الثانية	١٢	٥	٥	٢	١٢	
الثالثة	١٧	٨	٧	٢	١٧	

٤) إعداد الفقرات وتعليمات الإجابة :

اعتمد الباحث فقرات الاختبار التحصيلي البالغ عددها (٤٠) فقرة بصيغته الأولية من نوع الاختيار من متعدد وبدائل ثلاثة للإجابة بديل واحد صحيح والأخرى خاطئة ، وقد روعت في ذلك شروط صياغة أسئلة الاختيار من متعدد عند إعداد الفقرات من حيث صيغة السؤال والتركيب اللغوي لها ، مع مراعاة البدائل الثلاثة لكل فقرة من فقرات الاختبار ، كما أعدت تعليمات الإجابة عن الاختبار التي تضمنت حث الطلاب على الجدية والدقة في الإجابة وعلى كيفية الإجابة .

٥) معايير تصحيح الاختبار :

اعد الباحث إجابة نموذجية لمفتاح تصحيح فقرات الاختبار التحصيلي ، إذ أعطيت درجة(واحدة) للإجابة الصحيحة و (صفر) للإجابة غير الصحيحة ، وعوملت الفقرة المتروكة من دون إجابة والفقرة المجاب عليها بأكثر من إجابة معاملة الفقرة غير الصحيحة ، وبذلك تراوحت الدرجـــة الكليـة لتلك الفقـــرات من (٤٠) كحد أعلى إلى (صفر) كحد أدنى ، إذ صححت فقرات الاختبار التحصيلي من قبل الباحث نفسه .

٦) وضوح التعليمات وفهم العبارات :

بغية التثبت من وضوح تعليمات الاختبار ومدى فهم فقراتهُ وعباراتهُ ، تم تطبيق الاختبار على (٥٠) طالب تم اختيارهم عشوائياً من طلاب الصف الاول المتوسط في مدرسة (متوسطة زين العابدين للبنين) وطلب الباحث منهم الإجابة عن الاختبار لأجل تحديد جوانب الغموض أو عدم الفهم لبعض الفقرات ، وأتضح من خلال هذا التطبيق أن التعليمات واضحة والفقرات مفهومة وأن متوسط الوقت التقريبي للإجابة حوالي (٣٥) دقيقة ، وهذا الوقت يمثل المدى بين اول طالب واخر طالب في الاجابة عن الاختبار

٧) التحليل الإحصائي لفقرات الاختبار :

لحساب الخصائص السيكومترية للفقرات طُبق الاختبار على عينة مكونة من (٩٠) طالب تم اختيارهم عشوائياً ، وبعد تطبيق الاختبار على هذه العينة وتصحيح الإجابات وحساب الدرجات لكل فقرة وكل طالب ، رتب العينة من أعلى درجة كلية الى أقل درجة كلية ثم قام الباحث بحساب الخصائص السيكومترية للفقرات وهي كالآتي :

١) معامل صعوبة الفقرة :

عند حساب معامل الصعوبة لكل فقرة من فقرات الاختبار وجد انها تتراوح بين (٠,٣٧ – ٠,٦٢) ، فكانت معاملات الصعوبة مقبولة .

٢) معامل تمييز الفقرات :

رتب الباحث درجات طلاب عينة تحليل الفقرات البالغ حجمها (٩٠) طالب من أعلى درجة الى أقل درجة وحددت المجموعتين العليا والدنيا بنسبة ٥٠٪ في كل مجموعة واستخدم معادلة تمييز الفقرات ذات الإجابة الثنائيـــة (صح ، خطأ) ،فكانت جميع معاملات تمييز الفقرات مقبولة ، وقد تم حساب القوة التمييزية لكل فقرة من فقرات الاختبار وكانت النتائج تتراوح بين (٠,٣٢– ٠,٥٦) .

٣) فعالية البدائل الخاطئة:

ينبغي أن تكون البدائل الخاطئة من أسئلة الاختيار من متعدد جذابة للمجيبين ولاسيما للمجموعة الدنيا ، كذلك ينبغي أن تكون نتيجة معادلة التمييز في كل بديل خاطئ سالبة ، وعند توظيف معادلة التمييز مع البدائل الخاطئة لكل فقرة أتضح أن جميعها جذابة للمجيب من ذوي المستوى الواطئ إذ اختارها أكثر من ذوي المستوى العالي .

٤) الصدق الظاهري :

عرض الاختبار بصورته الأولية على مجموعة من الخبراء المتخصصين في مجال طرائق تدريس اللغة العربية والمتخصصين في مجال القياس والتقويم ، واعتُمدت الفقرات التي حصلت على نسبة اتفاق (٨٠٪) أو اكثر معياراً للفقرة المقبولة .

٥) ثبات الاختبار :

تم التحقق من الثبات بمعادلة « الفا كرونباخ « ، فكان معامل الثبات (٨٥، ٠)هو معامل ثبات جيد لأن معامل تفسيره المشترك الذي هو ربع معامل الثبات يساوي حوالي (٧٠٪).

الأداة الثانية للبحث (مقياس الاتجاهات):

إعداد فقرات المقياس :

من متطلبات البحث التعرف على اتجاه طلاب عينة البحث نحو مادة اللغة العربية ، لذلك اعد الباحث مقياساً لاتجاه طلاب الصف الاول المتوسط نحو المادة على وفق الخطوات الآتية:

١. الاطلاع على الدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع الاتجاه.
٢. الاطلاع على الأدبيات التي تناولت موضوع الاتجاه .
٣. مراجعة بعض المقاييس ذات العلاقة بموضوع الاتجاه نحو المادة.

صياغة فقرات المقياس :

بعد الاطلاع على الدراســـات والمقاييس ذات العلاقة بالموضوع، اعد الباحث مقياسا مـن (٣٠) فقـــرة على وفق مقياس ليكرتLikert)) الخماسي ، وقد وضعت أمام كل فقرة خمسة بدائل هي (أوافق بقوة ، أوافق ، غير متأكد، لا أوافق ، لا أوافق بقوة) بصيغته الأولية بما يغطي المواقف التي تشير إلى الاتجاه نحو مادة اللغة العربية لدى طلاب الصف الاول المتوسط ، ولأجل التوصل إلى مقياس دقيق لاتجاهات الطلاب ، اعتُمدت عددا من الأسس في صياغة فقرات المقياس التي حددتها الأدبيات وهي:

١– إن تكون كل فقرة من فقرات المقياس ذات فكرة محددة وواضحة .
٢– إن تُصاغ بعبارات سليمة ومفهومة.
٣– إن تكون كل فقرة ذات علاقة مباشرة بالاتجاه نحو المادة .
٤– حُسب المقياس على وفق الفقرات الايجابية والسلبية للتعرف على استجابة الطلاب.

٣ – أعداد تعليمات المقياس وورقة الإجابة:

أ– تعليمات الإجابة:

اعد الباحث التعليمات الخاصة بالإجابة عن فقرات المقياس بحيث تتناسب مع مستوى الطلاب بالشكل الذي

يجعلها واضحة ، وتضمنت الغرض من المقياس وطريقة الإجابة عن فقراته مع أنموذج لحلها، وفكرة عن الهدف من المقياس ، وان هذه الفقرات تعبر عن وجهة نظر الطلاب وليس لها علاقة بنجاحهم آو رسوبهم ، والتأكيد على ضرورة قراءة الملاحظات عن كيفية الإجابة وبيان أن وقت الإجابة ليس محددا ومن حق أي طالب أن يستفسر بشان أي فقرة تجدها غير واضحة ، والتأكد من عدم التأشير بعلامتين على الفقرة الواحدة فضلا عن ذلك تأكيد الباحث على الطلاب بأن تكون إجاباتهم مستقلة، ولا يعتمد الطالب على إجابات زميله وبيان ضرورة أن يكون لكل واحدة منهم رأي مستقل بإجابته .

ب- تعليمات التصحيح :

يتطلب حساب الدرجة الكلية لفقرات مقياس الاتجاه أمور عدة تأتي في مقدمتها تحديد البدائل للإجابة على كل فقرة من فقرات المقياس ، فقد تم تحديد البدائل الخاصة بالإجابة بـ (٥) خمسة بدائل هي (أوافق بقوة ، أوافق ، غير متأكد ، لا أوافق ، لا أوافق بقوة) إذ حددت الأوزان (٥، ٤، ٣، ٢، ١) على التوالي ، علما إن نصف عدد فقرات المقياس تمت صياغتها بشكل مؤيد للاتجاه أي أنها فقرات (ايجابية) في حين امتازت الفقرات الخاصة بالنصف الثاني من المقياس في كونها معارضة للاتجاه أي إنها فقرات (سلبية) ، وعليه يمكننا تصحيح فقرات المقياس ، وتم احتساب درجة الاتجاه نحو المادة عن طريق جمع الدرجات التي يحصل عليه الطلاب لكل فقرة من فقرات المقياس، وتكون أعلى درجة يحصل عليه الطالب (١٥٠) درجة .

صدق المقياس :

اعتمد الباحث للتحقق من صدق مقياس الاتجاه نحو مادة اللغة العربية على (الصدق الظاهري) عرض الباحث المقياس بصيغته الأولية على مجموعة من الخبراء في مجال طرائق تدريس اللغة العربية والقياس والتقويم ، وذلك للتأكد من :

١- سلامة صياغة الفقرات وشمولها ومدى وضوحها.

٢- مدى تمثيل الفقرات للمجال المراد قياسه.

٣- تعديل ما يجب من الفقرات سواء بالحذف أو بالإضافة أو التغيير.

وقد أبدى الخبراء ملاحظاتهم على فقرات المقياس، واستعمل الباحث مربع كاي كوسيلة إحصائية لاستخراج نسبة الموافقون وغير الموافقون ، و بهذا فأن الفقرات البالغة (٣٠) فقرة قد حازت على اتفاق الخبراء بنسبة (٨٥ ٪) وبهذا يكون قد تحقق الصدق الظاهري للمقياس

ثبات المقياس:

وجدت عدة طرائق لحساب الثبات وقد اختار الباحث طريقة إعادة الاختبار ، كونها أسهل الطرائق للحصول على درجات متكررة للمجموعة نفسها من الأفراد ولمقياس السمة نفسها ، لذا اعتمد على درجات عينة التحليل الإحصائي نفسها ، لذا طبق المقياس مرة ثانية بعد مرور ١٤ يوما وبعد الانتهاء من التطبيق حسب الثبات بحساب درجات هذه العينة مع درجاتها في التطبيق الأول وباستعمال معامل ارتباط بيرسون ، بين درجات التطبيقين بلغ الارتباط (٨٧) وهو معامل ثبات جيد .

وصف المقياس بصيغته النهائية:

يتألف مقياس الاتجاه من (٣٠) فقرة وكل فقرة لها خمس بدائل بإعطاء الدرجة (٥) للبديل الأول ، والدرجة (٤) للبديل الثاني، والدرجة (٣) للبديل الثالث، والدرجة (٢) للبديل الرابع ، والدرجة (١) للبديل الخامس هذا بالنسبة للفقرات الايجابية ، إما الفقرات السلبية فأعطيت الدرجة(١) للبديل الأول ، والدرجة(٢) للبديل الثاني، والدرجة(٣) للبديل الثالث ، والدرجة (٤) للبديل الرابع ، والدرجة (٥) للبديل الخامس ، وتكون الإجابة بحسب البديل الذي يختاره المستجيب وتحسب الدرجة الكلية للمقياس عن طريق جمع الدرجات التي يحصل عليها الطالب عن كل بديل يختاره من كل فقرة من فقرات المقياس .

اجراءات تطبيق التجربة :

١) تدريس المجموعتين (التجريبية والضابطة) من قبل الباحث نفسه .
٢) تدريس الوحدة الاولى والثانية والثالثة من كتاب اللغة العربية لكلا المجموعتين.
٣) تم استعمال الوسائل التعليمية نفسها لكلا المجموعتين ، واستعمال استراتيجيات النظرية المعرفية للمجموعة التجريبية .
٤) طُبق الاختبار التحصيلي على مجموعتي البحث في وقت واحد وهو الدرس الاول .
٥) أخبر الباحث المجموعتين بموعد الاختبار قبل أسبوع من إجرائه وذلك ليتحقق التكافؤ بين طلاب عينة البحث في الاستعداد والتهيؤ للاختبار.
٦) تم الاختبار صباحا بين المجموعتين التجريبية والضابطة في نفس الوقت مع الاستعانة بمدرس اخر لأجل المراقبة على الامتحان .
٧) تم تطبيق مقياس الاتجاه لكلا المجموعتين بعد يوم من اختبار التحصيل البعدي .
٨) تم جمع البيانات وتحليلها احصائيا بعد الانتهاء من تجربة البحث .

الوسائل الإحصائية :

تم استعمال برنامج (spss) للعلوم الاجتماعية لاستخراج نتائج البحث والاجراءات.

الفصل الرابع – عرض نتائج البحث وتفسيرها و الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات –

اولا : عرض نتائج البحث وتفسيرها :

نتائج الفرضية الأولى للبحث :

بغية التعرف على الفرضية التي نصت (لا يوجد فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب الصف الاول المتوسط طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة اللغة العربية على وفق استراتيجيات النظرية المعرفية (استراتيجية الاستماع والتحدث) ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة الاعتيادية في اختبار التحصيل البعدي) .

وبعد تطبيق الاختبار وتصحيح إجابات طلاب مجموعتي البحث عن فقرات اختبار التحصيل البعدي والحصول على الدرجات، وللتحقق من صحة الفرضية ، تم حساب متوسطي درجات طلاب مجموعتي البحث وتبين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية بلغت (١٥،٣٢) درجة بانحراف معياري (٣،١٩) ، في حين بلغ متوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة (١١،٤٩) درجة بانحراف معياري (١٢،٤) ، ولمعرفه دلالة الفروق الإحصائية بين متوسطي المجموعتين استعمل الباحث الاختبار التائي (T-Test) لعينتين مستقلتين لإظهار النتائج، كما موضحه في الجدول (٤) .

جدول (٤) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية المحسوبة والجدولية لدرجات طلاب مجموعتي البحث في اختبار التحصيل البعدي

المجموعة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة (٠,٠٥)
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٤	١٥،٣٢	٣،١٩	٦٤	٨،٣	٢	دالة لصالح المجموعة التجريبية
الضابطة	٣١	١١،٤٩	٤،١٢				

يلاحظ من النتائج المعروضة في جدول(٤) ان القيمة التائية المحسوبة بلغت(٣،٨) وهي اكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (٢) عند مستوى دلالة (٠،٠٥) ودرجه حرية (٦٤) مما يدل على وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين نتائج مجموعتي البحث في اختبار التحصيل البعدي ولصالح المجموعة التجريبية .

تفسير نتائج الفرضية الأولى للبحث :

يمكن عزو النتائج الخاصة باستراتيجيات النظرية المعرفية (استراتيجيتي الاستماع والتحدث) الى طريقة التدريس المتبعة وفقاً لاستراتيجيات النظرية المعرفية الى ان التدريب المستمر والشرح والتسجيلات الصوتية المتكررة بنطق المفهوم الاكثر من مرة في الدرس الواحد اثر كثيرا في تقدم طلاب المجموعة التجريبية فاستماع الطلاب للقصص، والحب، والشغف من طلاب المجموعة التجريبية كما والمناقشة، والحوار وابداء الرأي في سماع القصة حول المفهوم وكثرة التكرارات في السمع من قبل المدرس والجو العلمي الذي لم يتعود عليه الطلاب من قبل كان له اثر ايجابي في تفوق طلاب المجموعة التجريبية التي درس بها موضوعات مادة اللغة العربية خلافا للمجموعة الثانية التي درست على وفق للطريقة الاعتيادية ، يمكن عزو النتائج الخاصة الى طريقة التدريس المتبعة الى ان التدريب على التحدث من خلال الانشطة الوظيفية المتنوعة ، ومجالات التعبير الشفوي كالتحدث بالمفهوم عن طريق الاناشيد، والمحادثات بين الطلاب وقراءة القصة بينهم بطريقة الانشطة الجماعية كل هذا ادى الى نمو استراتيجية التحدث، كما ومن خلال تدريب الطلاب على تمثيل الادوار، وتسابق الطلاب ، والاندماج ، والتفاعل بينهم مما ادى الى شقتهم بأنفسهم واصبحوا اكثر مشاركة في الدرس وكان له فاعلية ايجابية في نمو هذه الاستراتيجية لو قورنت بالطريقة الاعتيادية التي تعتمد على المدرس دون اشراك الطلاب في الدرس .

نتائج الفرضية الثانية الخاصة بمقياس الاتجاه نحو المادة :

نصت الفرضية الثانية بأنه لا يوجد فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب الصف الاول المتوسط طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة اللغة العربية على وفق استراتيجيات النظرية المعرفية، ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة الاعتيادية في مقياس الاتجاه نحو المادة .

ولأجل التحقق من صحة الفرضية تم تطبيق مقياس الاتجاه على مجموعتي البحث التجريبية والضابطة ، وبعد تحليل نتائج البحث إحصائيا تم احتساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لدرجات مجموعتي البحث أتضح إنَّ متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية بلغ (٧٢،١٣٠) بانحراف معياري (٠٩،١٥) ، في حين بلغ متوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة (٩٤،١٢٠) بانحراف معياري (٩٥،١٤) ، وباستعمال الوسيلة الإحصائية للاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين، تبين إن القيمة التائية المحسوبة بلغت (٣،٩١) وهي اكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (٢) عند مستوى دلالة (٠،٠٥) ودرجة حرية (٦٤) ، والجدول (٥) يبين ذلك .

جدول (٥) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية المحسوبة والجدولية لدرجات طلاب المجموعتين (التجريبية والضابطة) في مقياس الاتجاه

المجموعة	حجم العينة N	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة (٠,٠٥)
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٠	٧٢،١٣٠	٠٩،١٥	٦٤	٩١،٣	٢	دالة لصالح المجموعة التجريبية
الضابطة	٣٠	٩٤،١٢٠	٩٥،١٤				

تفسير نتائج الفرضية الثانية الخاصة بمقياس الاتجاه نحو المادة : أن توظيف استراتيجيات النظرية المعرفية في التدريس جديد على طلاب الصف الاول المتوسط في مدارسنا ، مما أدى ذلك إلى أثر واضح في تغيير اتجاهاتهم نحو من السلبية إلى الإيجابية في مادة اللغة العربية ، إذ إن المبادئ والمواقف المصحوبة تكون أكثر ايجابية من غيرها ، واقرب إلى سرعة التذكر و الفهم ، وتزداد أهميتها بالنسبة إلى الطلاب ، فلابد للمدرس من إثراء و إنماء تلك

المبادئ بهدف توسيع مدارك الطلاب المعلوماتية والفكرية ، لان توظيف استراتيجيات النظرية المعرفية تربط بين القيم والاتجاهات الايجابية لدى الطالب وتحقيق السلوك المرجو من الطلاب نحو تحقيق تعلم هادف قادر على إيصال المعلومات بسهولة ويسر.

الاستنتاجات:

١. ان التدريس على وفق استراتيجيات النظرية المعرفية(استراتيجية الاستماع والتحدث) أكثر فاعلية من الطريقة الاعتيادية في التحصيل.

٢. ان طريقة التدريس على وفق استراتيجيات النظرية المعرفية (استراتيجية الاستماع والتحدث) تساعد على ترتيب محتوى المادة الدراسية بشكل يسهل على الطلاب الربط بين الموضوعات .

٣. ان عمليات تحصيل المادة (بالمعرفة والفهم والتطبيق) مكملة لاستراتيجيات النظرية المعرفية(الاستماع والتحدث)، وبدون العمليات يصعب على الطلاب إدراك العلاقات بين الموضوعات وتكوين مخطط للتعلم.

٤. ان التدريس على استراتيجيات النظرية المعرفية (استراتيجية الاستماع والتحدث) يتطلب وقتاً وجهداً وخبرة واستراتيجية من قبل المدرس أكثر مما تطلبه الطريقة الاعتيادية .

٥. ان لتقويم أداء مجاميع الطلاب من خلال ورقة العمل أثراً في تحديد نقاط الضعف وعلاجهم لتحسين مستواهم وصولاً إلى تحقيق الأهداف المطلوبة وذلك من خلال(استراتيجية الاستماع والتحدث).

٦. ان التدريس على وفق استراتيجيات النظرية المعرفية(استراتيجية الاستماع والتحدث) يطور من نشاط المدرس في الصف، وذلك من خلال تحضير الوسائل التعليمية المتنوعة كل من الصور والنماذج المصغرة والخرائط والتسجيلات الصوتية وكيفية تقديمها بشكل متسلسل يتناسب مع وقت الدرس .

٧. يساعد التدريس على وفق استراتيجيات النظرية المعرفية (استراتيجية الاستماع والتحدث) في تنظيم أفكار الطلاب في سياقات منظمة بنائية، أي جعل الطالب يفكر في كيفية ربط مفاهيم وموضوعات المادة الدراسية، إضافة إلى معلوماته السابقة في مخططاته العقلية .

٨. يشجع التدريس على وفق استراتيجيات النظرية المعرفية (استراتيجية الاستماع والتحدث) على زيادة معلومات الطلاب وذلك من خلال البحث عن الموضوعات ذات الصلة التي ترتبط بمفهوم الدرس المراد تدريسه، ومن خلال إيجاد العلاقات بين الموضوعات المقدمة لديهم من خلال القراءة المستمرة وتعوده على سماع المادة والتحدث بها امام الطلاب .

التوصيات:

١) ضرورة تدريب مدرسي اللغة العربية في المرحلة الاعدادية على الاستراتيجيات والطرائق التدريسية الحديثة ومنها طريقة التدريس على وفق استراتيجيات النظرية المعرفية (استراتيجية الاستماع والتحدث)، لغرض استعمالها في تدريس موضوعات مادة اللغة العربية.

٢) على مدرسي اللغة العربية تنظيم وترتيب محتوى المادة الدراسية بشكل يتناسب مع الخطة اليومية والفصلية والسنوية لغرض ربطها مع بعضها وربطها بالخبرة السابقة .

٣) التأكيد على المديرية العامة للمناهج في تطوير منهج اللغة العربية عامة وموضوعات مادة اللغة العربية خاصة على وفق استراتيجيات النظرية المعرفية أي(استراتيجية الاستماع والتحدث) وترتيب محتوى المادة الدراسية ترتيباً متسلسلاً مترابطاً بشكل يسهل على الطلاب الربط بين المعلومات المقدمة لديهم، إضافة إلى وضع مخطط في نهاية كل وحدة أو فصل من فصول المنهج، وهذا يزيد من استيعاب الطلاب للمعلومات التي تُعرض عليهم من قبل مدرس المادة .

٤)ضرورة الاهتمام بالواجبات البيتية لأنها جزء متمم لعملية التدريس الصفي، ويجب ان يكون الواجب ألبيتي

لا يتعارض مع وقت الدرس، كتوظيف ورقة العمل التي يطلب المدرس من الطلاب ان يجيبوا على الأسئلة إثناء سير الدرس حتى نهايته (مرحلة التقويم).

٥)وضع مشرفين متخصصين من قبل وزارة التربية في طرائق التدريس، بحيث يشرفون على كيفية استعمال الاستراتيجيات والطرائق التدريسية الحديثة، وما هي المعوقات التي تحول دون استعمالها، والى ماذا تحتاج لغرض تفعيل استعمالها وإنجاحها في تقديم المادة الدراسية .

المقترحات:

دراسة مماثلة للدراسة الحالية على مراحل ومواد دراسية أخرى .

المصادر:

•ابو جادو، صالح محمود علي(٢٠١١):علم النفس التربوي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان،الاردن.

•أبو رياش ، حسين محمد (٢٠٠٧): التعلم المعرفي ، ط١ ، دار الميسرة للنشر والتوزيع ، عمان ،الأردن.

•إسماعيل ، عبد زيد (٢٠٢١) : التفكير فوق المعرفة ، جامعة المستنصرية ،كلية التربية الاساسية ، محاضرة دكتوراه .

•جابر، عبد الحميد جابر(٢٠٠٠): مدرس القرن الحادي والعشرين الفعال والتنمية المهنية ، دار الفكر العربي، القاهرة.

•جراد ، مقداد ستار ، و العبيدي ،عبد الحسن عبد الأمير (٢٠٢٣) : تحليل كتاب اللغة العربية للصف الأول المتوسط في ضوء مهارات الاقتصاد المعرفي ، بحث منشور ، مجلة كلية التربية الأساسية ، الجامعة المستنصرية ، العدد٢٩ .

•الحيلة ، محمد محمود (٢٠٠٧) : مهارات التدريس الصفي، ط٢ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان، الاردن.

•الخليفة، حسن ومطاوع، ضياء (٢٠١٥): استراتيجيات التدريس الفعال، مكتبة المتنبي، ط١، الدمام، المملكة العربية السعودية.

•خماس، نغم فلاح (٢٠١٨): فاعلية استعمال التعليم المتمايز في تحصيل ماده التاريخ لدى طالبات الصف الخامس الادبي، بحث منشور، مجله كليه التربية الاساسية للعلوم الانسانية، جامعه بابل، العدد ٣٧١.

•زيتون، عايش محمود (٢٠٠٧): نظرية التعلم المعرفية ومفهوم التعلم ذي المعنى ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن .

• السكران، عادل محمد (٢٠١٥): صعوبات تعلم اللغة العربية في المرحلة المتوسطة: تشخيص وعلاج. مجلة العلوم التربوية، جامعة الكويت.

• شاهين ، عماد (١٩٩٩) : مبادئ التعليم المدرسي للأهل والمدرسين ، ط١، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع عمان ، الاردن.

• شل، ماريان (٢٠١٢):علم النفس المعرفي وتطبيقاته التربوية. ترجمة: علي أسعد وآخرون. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

• عامر، محمد راشد بني ، (٢٠١٢) : شذرات تربوية ، ط١، دار اليازوري، عمان ، الأردن .

• العبيدي ، محمد جاسم ، ومحمد ، آلاء (٢٠٠٣) : مدخل إلى علم النفس العام ، ط١، دار غازي للنشر والتوزيع ، بنغازي ، ليبيا.

• العجرش ، حيدر حاتم فالح (٢٠١٣) : استراتيجيات وطرائق معاصرة في تدريس التاريخ ، ط١ ، دار الرضوان للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن .

• العقيل، إبراهيم (2004):الشامل في تدريب المدرسين التفكير والابداع، ط1، مؤسسه رياض نجد للتربية والتعليم، دار الوراق .

• علام ، صلاح الدين محمود (٢٠٠٧) : القياس والتقويم التربوي والنفسي أساسياته وتطبيقاته وتوجيهاتهُ المُعاصرة ، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة ، مصر .

• الفتلاوي ، سهيلة محسن كاظم(٢٠٠٣) : الكفايات التدريسية المفهوم التدريس الاداء، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.

• الفرا ، فاروق حمدي (١٩٩٧) : رؤيا مستقبلية لمناهج الدراسات الاجتماعية ، ط١ ، وكالة المطبوعات ، فلسطين

• قطامي ، يوسف (٢٠١٣): النظرية المعرفي التعلم، ط١، دار الميسرة للطباعة والنشر ،عمان ،الأردن.

• قطامي ، يوسف (١٩٩٨) : سيكولوجية التعليم والتعلم الصفي ، ط ١، دار الشرق للتوزيع والنشر، عمان ، الأردن

• الكبيسي ، وهيب محمد مجيد ، والداهري ، صالح حسن أحمد (٢٠٠٠) : المدخل في علم النفس التربوي، ط١، مؤسسة حماه للخدمات والدراسات الجامعية ، دار الكندي للنشر ، أربد ، الأردن .

• اللبان ، فرح حفظي حسن (٢٠١٦) : تقويم كتاب قواعد اللغة العربية للصف الاول متوسط وفق معايير الجودة الشاملة من وجهة نظر مدرسي اللغة العربية ومدرساتها ، بحث منشور ، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل .

• الليودي، منى (٢٠٠٦): الحوار ،فنياته ، واستراتيجياته، واساليب تعليمه، مكتب وهبة، ط١ ، القاهرة .
• محسن، عبد الرحمن أحمد (٢٠١٨): اتجاهات طلاب المرحلة المتوسطة نحو مادة اللغة العربية وعلاقتها ببعض المتغيرات، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، ١٠(١)، ٢٠٠-٢٢٠.
• مرعي ، توفيق احمد (١٩٨٥) : الميسر في علم النفس الاجتماعي ، ط١، دار الفرقان ، عمان ، الأردن .
• الهاشمي ، عبد الرحمن عبد علي ، والدليمي، طه علي حسين (٢٠٠٨): استراتيجيات حديثة في فن التدريس، دار المناهج للنشر ، عمان ، الاردن.
•يوسف ، سليمان عبد الواحد (٢٠١١): الفروق الفردية في العمليات العقلية المعرفية ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان.
• Hergeshemier , J . catting to : (2000) The Essence concepts in social studies Re- view , p . 10 ,
• Pino, parbara,gonzaez:assquantial : (1988) approach to teachinq and tastinq ..the listeinq speakinq skills _ ed 336935
• shauhan ,s. s : (1998) Advanced educational psychology , vikas pub- lishing House pvt ltd , printed at Hindustan offset , printers , Delhi , Masjid Road , Jangpura , New Delhi .

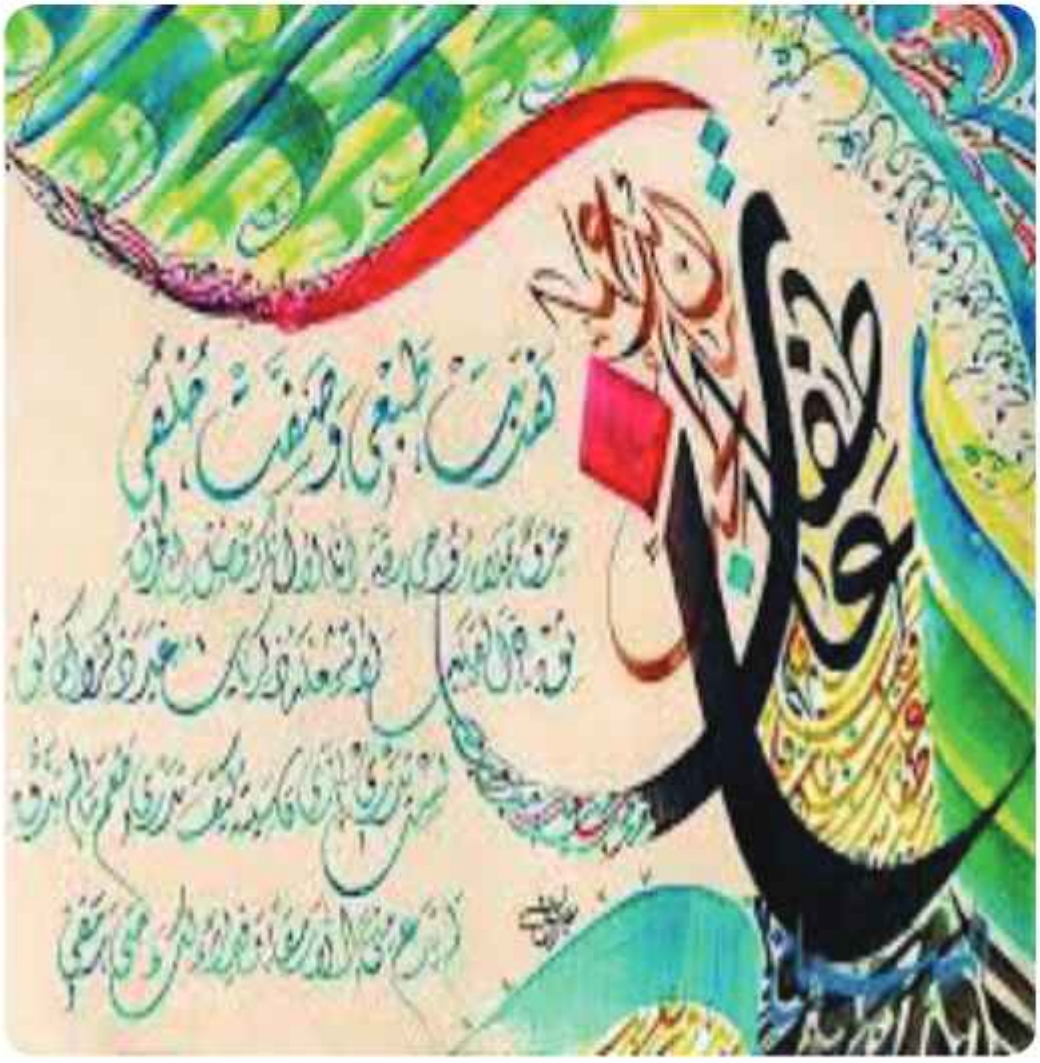

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

السلوك الاندفاعي لدى اطفال الامهات العاملات وغير العاملات

أ.م. د. ليلى نجم ثجيل
جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات

المستخلص :

يهدف البحث الحالي التعرف على السلوك الاندفاعي لدى اطفال الأمهات العاملات وغير العاملات ، ودلالة الفرق في السلوك الاندفاعي لدى أطفال الامهات العاملات وغير العاملات وكذلك تبعا لمتغير (ذكور اناث) ومن اجل تحقيق اهداف البحث الحالي قامت الباحثة باعداد مقياس السلوك الاندفاعي بالاعتماد على النظرة الشمولية التكاملية وكذلك على الاطر النظرية ومقياس , اذ بلغ عدد فقرات المقياس بصيغته النهائية من (٢٣)فقرة وقد تم التأكد من خصائصه السايكومترية وتم تطبيق الاداة على عينة قصدية مكونه من (٢٠٠) طفل تم اختيارهم عشوائيا من رياض مديرية تربية بغداد (رصافة (١) رصافة (٢) للعام الدراسي ٢٠٢٤-٢٠٢٥

وتم التوصل الى النتائج الاتية:

١- ان اطفال امهات العاملات والغير العاملات لديهم سلوك اندفاعي

٢- يوجد فرق دال بين اطفال امهات العاملات والغير العاملات وهو صالح للام العاملة .

٣- لاتوجد فروق بين (اطفال العاملات والغير العاملات) في السلوك الاندفاعي حسب متغير (ذكور ، اناث) .

الكلمات المفتاحية: السلوك الاندفاعي، الاطفال.

Abstract:

The current research aims to identify impulsive behavior in children of working and non-working mothers, the significance of the difference in impulsive behavior in children of working and non-working mothers, and the variable (males vs. females). To achieve the objectives of the current research, the researcher developed an impulsive behavior scale based on a holistic, integrative perspective, as well as theoretical frameworks and scales. The number of paragraphs in the final version of the scale reached (23) paragraphs. Its psychometric properties were verified, and the instrument was applied to a purposive sample of (200) children randomly selected from kindergartens of the Baghdad Education Directorate (Rusafa (1) and Rusafa (2) for the academic year 2024-2025

The following results were reached

1-Children of working and non-working mothers exhibit impulsive behavior.

2- There is a significant difference between children of working and non-working mothers, which is valid for working mothers.

3- There are no differences between (children of working and non-working mothers) in impulsive behavior according to the variable (male, female).

Keywords: impulsive behavior, children.

مشكلة البحث:

يعد السلوك الاندفاعي من أكثر الاضطرابات السلوكيةواكثر المشكلات شيوعا وانتشارا بين الأطفال، لاسيما في مرحلة الطفولة المبكرة،والذييؤدي إلى ضعف الانتباهوهو احد العمليات العقلية العلياالذي يعكس في اختياره

للمنبهات الحسية المختلفة، والذي من خلالهيتمكن الطفل من دقة تحليلها وإدراكها والاستجابة لها بصورة تجعله يتكيفمن حيث قدرته على الاتصال بالبيئة المحيطة بصورة طبيعية (Erickson et al, ١٩٨٥: ١٤٧-١٦٦).
يسبب السلوك الاندفاعي العديد من المشكلات للأطفال منها صعوبات التعلم والفرط الحركي، مما يجعله يضع نفسه في الكثير من المواقف الصعبة أو الخطرة من دون تفكير، فيشعر الطفل بالذنب وتأنيب الضمير بعد كل سلوك يقوم به ولا تمنعه هذه المشاعر عن القيام بمثل هذا السلوك مره أخرى (علية، ٢٠٠٧: ٥٥).
ويقع الطفل المندفع في مشاكل مع زملائه ومعلميه وأسرته ومجتمعهويكون غيرمحبوب بين رفاقه، إن السلوك الاندفاعي له آثر اساسي في تطورالسلوكالاجتماعي لمن يتصف به(الحيارى،٢٠١٢: ٤١٠).
لذا انبثقت مشكلة البحثفي القاء الضوء على المشكلات السلوكية الشائعة لدى أطفال الأمهات العاملات وغير العاملات، لأن عمل المرأة في تقديري مهما كان ثمينا، تبطل أهميته في حال تأثيره سلبا على تربية الأطفال لأن مسؤولية رعاية الأطفال ملقاة بشكل عام على عاتقالأم، واي اهمال من قبلها يؤثر على حياتهم النفسية والاجتماعية، الامر الذي يجعل منهم اطفالا مشكلين وهذا يؤثر الى حد كبير في قدرة الطفل على تحقيق ذاته والاستعداد للتكيف مع البيئة .
وفقا لذلك تحددت مشكلة الدراسة الحالية في الاجابة عن التساؤل الاتي:
هل لدى اطفال الامهات العاملات وغير العاملات سلوك اندفاعي؟

أهمية البحث:

تعد مرحلة الطفولة في نموها وتطورها موضع اهتمام الفكر التربوي الانساني، إذ انطلق العقل الإنساني في جميع مجالات تفكيره مسخراً كل قدراته وتطلعاته في فهم الطفولة فهما واعيا، مستندا بالخبرات الحياتية في تطوير أساليب التربية متأثرة بجملة من العوامل والظروف والتي تقدم للمسيرة البشرية رصيداً من الفكر التربوي والاساليب التهذيبية في فهم الطفولة وتربيتها تربية سليمة.
والطفولةهيأولمراحلالحياةورمزالمستقبل،لذلكفهيالأحقبالرعايةوالعنايةلضمانسلامةالفردوالمجتمعوتوازنه،والأطفالفيالمرحلةالعمريةالمبكرةيكونونبحاجةإلىالتوجيهوالإرشادالمستمرينمنأجلتحقيقمطالبنموهمبصورةسليمةمنخلالوضعالأسس العلميةلرعايتهموتربيتهم،وهذا الاهتمامهواهتمامبرأسالمالالبشري، فالأطفالثروةقوميةتمايمثلونعمةمنقوةالعملالمنتج, ولا بدمنالمحافظةعليهاورعايتهاللحصولعلىثمارهاالمرجوة(المشهداني, ٢٠٠٤: ١٩)
إن الاهتمام بمرحلة الطفولةلا ينبع من ضرورة اجتماعية واقتصادية معاصرة فقط ، بل إنه يرتكز أيضاً على قناعة تربوية ونفسية ووعي وادراك، وعليه فإن رعاية الطفل في هذه المرحلة يجب أن تتم على وفق الاسس العلمية التربوية، فلابد من اعطائها الاهتمام الكافي ولا يترك الامر للعفوية والتلقائية، فالطفل بحاجة إلى رعاية شاملة (المجادي، ٢٠٠١: ١٥).
ان الاطفال الذين يتصفون بالسلوك الإندفاعي يتصرفون قبل التفكير بالشيء،لانهم يجدون صعوبة في الإنتظارأوالتأخير ويقودهم الإندفاع إلى الكلام خارج سياق الموضوع أو مقاطعة الآخرين وقد يندفعمن دون النظر إلى حوله،وحقيقة الامران الطفل ليس مغامرا أو مخاطرا لكنه يجد صعوبة بالغة في السيطرة على اندفاعاته، وكثيراً ما يفاجئ الطفل حينما يجد نفسه في مأزق خطيرولا يوجد لديه فكرة عن كيفية الخروج منه (بطرس، ٢٠١٠: ١٣).
الطفل المندفع غير قادر على الانتباه لمعلميه ولا يستطيع إن يستقر في مكانه مدة طويلة فهو يتحرك باستمرار ويقاطع معلميه في داخل الصف (ابو غزاله والدبلجي, ٢٠١٤: ٢٠٢).
ويتصف هؤلاء الاطفالبمظاهر عدة منهاانعدام الصبر, ومواجهة الصعوبات في تأخير الاستجابات واطلاق الأجوبة قبل اتمام الأسئلة والانتظار خلف الصفوف والمقاطعة المتكررة لاحاديث الآخرين على نحو يسبب لهم مشكلات في المؤسسات التربوية, وكذلك اخذ الاشياء من الآخرين عنوة، وقد يتعرض الطفل المندفع للحوادث أو يتسبب

بأضرار للأشياء أو يقوم بأفعال خطرة من دون اعتبار للعواقب المحتملة(عثمان ,٢٠٠٥: ١٠).
يرتبط السلوك الاندفاعي بكل من مشكلة العدوان والنشاط الزائد واضطراب عجز الانتباه، وتأثر الاندفاعية على أداء الطفل في المهام المعرفية والتحصيلية فانه يستجيب بسرعة قبل أن يفهم المشكلة أو يقيس الحلول البديلة الممكنة لها، أي أن فترةكمون الاستجابة لديه قصيرة للغاية وغالباما تكون استجابة خاطئة (عجلان،١٩٩١ : ٢١).
ويرون علماء النفس التربوي أن الأطفال يظهرون فروقا متسقة نسبيا في الطريقة التي يعملون بها ، أو يدركون أو يتذكرون المعلومات، أي أنهم يظهرون أسلوبا معرفيا مفضلا لديهم يمكن أن يرتبط بالفروق بين الأفراد في الدافعية والشخصية والانتباه والتنظيم المعرفي (Hetherington & Parke، ١٩٧٩: ٥٧).
واهتم الباحثينبدراسة السلوك الاندفاعي لدى الأطفال كدراسة الصراف (١٩٨٧) التي تناولت علاقة الأسلوب التأملي – الاندفاعي بالتحصيل الدراسي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، ودراسة الفرماوي (١٩٨٧) التي هدفت الى تعرف علاقة الأسلوب المعرفي الاندفاع – التروي بالذكاء لدى أطفال المرحلة الابتدائية ، ودراسة الخولي (١٩٩٠) والتي تناولت علاقة كل من أسلوب التروي – الاندفاع والقلق بأداء تلاميذ التعليم الأساسي في بعض مهام السرعة ودراسة عبد العزيز الشخص (١٩٩١) والتي هدفت الى تعرف اندفاعية الأطفال وعلاقتها بعمرهم الزمني ومستوى تحصيلهم ،اما دراسةعكاشة (١٩٩٧) والتي هدفت الى تعرف لمدى فاعلية تعديل السلوك المعرفي في خفض مستوى الاندفاعية لدى الأطفال.، واغلب هذه الدراسات توصلت بنتائج ان الاطفال الذين لديهم سلوك اندفاعي يتصفون بنقص التركيز وتشتت الانتباه وقصور في الفهم. وغالباً ما تكون مستويات أدائهم في مجال القراءةوالمسائل الحسابية ادنى من مستوى اقرانهم المرتوبين، وكثيرا ما يتدرجون ضمن الاطفال المتأخرين دراسيا.
قد يعزى التطور الكمي والنوعي في أدوار المرأة إلى التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي حدثت، فخروج المرأة للعمل يفترض أنه ينعكس إيجابا عليها وعلى رعايتها لأطفالها ويسهم في رفاهية الأسرة وتطور المجتمع.
فان المرأة العاملة جزء من الحياة العصرية الحديثة، وعملها ليس بشيء إضافي أو جانبي، وانماستجابة للتغيرات الاجتماعية، والذي قد يسهم في تحقيق حاجات الأسرة والأطفال على نحو أفضل ويعد مؤشرا إيجابياعلى مدى إسهامها في عملية الإنتاج (عبد الفتاح، ١٩٩٠ : ١٧).
ولعمل المرأةغايات متعددة لتلبية الحاجات الشخصية والأسرية، والشعور بالإنجاز والنجاح والمكانة الاجتماعية، ولتحقيق الذات والمساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وقضاء وقت الفراغ في أعمال مفيدة (مختار، ١٩٩٧ :).
اشارت بعض الدراسات الى ان عمل الام ليس له تأثير على الطفل كدراسة(هارفيHarvey ، ١٩٩٩) والتي توصلت إلى ان عمل الام ليس له تأثير سلبي على نمو الأطفال، ولم يرتبط عمل الأم مع أية مشكلات سلوكية عند الأطفال مثل تقدير الذات أو الامتثال والطاعة،اما دراسةهوفمان (Hoffman, ١٩٩٨) توصلت إلى أن الأمهات اللواتي التحقن بدوام كامل كن أكثر تواصلا مع أطفالهن من خلال زيادة العناق والتعبيرات اللفظية عن عواطفهن مقارنة بالأمهات اللواتي مارسن الدوام الجزئي،وان الأمهات من الفئة الأولى يحضن بمساعدة الأزواج في المهمات المنزلية ورعاية الأطفال، اما دراسة جوشي (٢٠٠١) ، توصلتالدراسةالى عدم وجود آثار سلبية ذات دلالة معنوية لعمل الأم في وقت مبكر على نمو الطفل في التطور المعرفي والسلوكي والمهارات الحسابية والاستيعاب القرائي، في المراحل المتعددة من حياة الطفل – منذ مرحلة المهد وحتى المراهقة.
وترى الباحثة ان العلاقة بين الام والطفل، علاقة في غاية الاهمية لان هذا النوع من العلاقات يسهم بصورة فعالة التأثير في سلوك الاطفال واكتساب الخبرات الحسية الاساسية اللازمة لنموه،اذااتبعت الام الاساليب السليمة والنمط المناسب في ادارة وضبط سلوكهتساعد الطفل لممارسة السلوك الإيجابيوالتكيف والاندماج مع البيئة.
ويمكن ان تلخص الباحثة أهمية البحث بالنقاط الآتية:-

١. تناولها شريحة مهمة من شرائح المجتمع هي شريحة الاطفال في سن قبل المدرسة، وذلك لانهم موارد بشرية مهمة يعوّل عليهم في النهوض بالمستقبل.

٢- الكشف عن السلوك الاندفاعي عند الأطفال ومعرفة اسبابه وطرائق علاجه في عمر مبكر يساعد في تقديم الخدمات المناسبة لهم بالطرائق السليمة والتربوية من خلال استخدام النمط المناسب للتعامل مع هؤلاء الاطفال.

٣- تنبثق أهمية البحث من خلال ما تفتحه من افاق وما تقدمه من اضافات تسهم في ترسيخ الوعي العلمي للظاهرة المدروسة لدى الأطفال.

٤- تبصير أولياء الأمور على المشكلات السلوكية الشائعة عند أبنائهم، والتي تعيق توافقهم الشخصي والاجتماعي ، الأمر الذي يؤدي إلى البحث عن حلول ناجعة ومناسبة لها لمساعدة أبنائهم في التغلب عليها .

اهداف البحث:

يهدف البحث الحالي الى تعرف :

١- السلوك الاندفاعي لدى اطفال الأمهاتالعاملات وغير العاملات.

٢- دلالة الفرق في السلوك الاندفاعي لدىأطفالالامهات العاملات وغير العاملات.

٣- دلالة الفرق في السلوك الاندفاعي لدى اطفال الامهات العاملات والغير العاملات وفقالمتغير (ذكور. اناث).

حدود البحث:

تحدد البحث الحالي لأمهات اطفال الروضة في المديرية العامة لتربية بغداد الرصافة الاولى والثانية للعام الدراسي (٢٠٢٤-٢٠٢٥).

تحديد المصطلحات:

السلوك الاندفاعي

عرفه كل من انه:الشخص(١٩٩٠):الطفل الذي يستغرق وقتاً قصيراً قبل تقديم أول استجابة للمواقف المختلفة، مما يؤدي إلى تعرضه لعدد كبير من الأخطاء قبل الوصول إلى الإجابات الصحيحة لهذه المواقف(الشخص، ١٩٩٠ : ٧٣).

العتوم (٢٠٠٤): السلوك الذي يتسم بسرعة الاستجابة نحو المواقف المختلفة، وبميل اصحاب السلوك المتسرع الى الاندفاع والاستجابة السريعة للمثيرات مما يجعلهم عرضة لارتكاب الاخطاء (العتوم، ٢٠٠٤: ٢٩٨)

ابو غزالة (٢٠١٤): الطفل الذي يعاني من صعوبة في ضبط السلوك والميل نحو الاستجابة من دون تفكير وصعوبة في انتظار دوره والاندفاع عند القيام بإنجاز الواجبات والأنشطة ويقاطع الآخرين في الكلام، مما يؤدي إلى التوقف عن اكمال المطلوب منه(ابو غزالة ، ٢٠١٤ :٢١١).

التعريف النظري للباحثة : استجابة الاطفال قبل الاوانغير القابلة للسيطرة عليهاوغير المتوقعة نحو المواقف المختلفة, مما تؤدي الى عواقب غير مرغوب فيها.

التعريفالإجرائي : هي الدرجة التي تحصل عليها الامهات العاملات وغير العاملات من خلال الإجابةعلى مقياس السلوك الاندفاعي الذي اعد لهذا الغرض.

تعريف الأطفال:

تعرفمنظمة للأمم المتحدة للطفولة(١٩٩٠):انهمالشريحة الاجتماعية التي تتميز بخواص بيولوجية ونفسية معينه, وبضعف الوعي والإدراك وعدم النضوج والتصرف وفقاً للدوافع والغرائز البيولوجية وليس على وفق العقل والمنطق والبصيرة علماً بأن هذه الفئة العمرية تكون تحت المتابعة والرقابة والإشراف من قبل العديد من الإفراد والجماعات

كالأبوين مثلاً(Hand,٢٣:١٩٧٩).

الفصل الثاني : اطار نظري ودراسات سابقة

السلوك الاندفاعي:

تعددت التصورات النظرية التي اهتمت بموضوع الاندفاعية كأحد الأساليب المعرفية الضرورية للفرد، وقد كان للإسهامات العلمية البناءة التي تقدم بها موراي (Murray) للسلوك الاندفاعي على أساس أنها ميل الفرد ونزعته إلى الاستجابة بسرعة بدون تفكير أو تأني،بينما وصفها مونو Monoe, ١٩٧٠)) على أنها محرك رئيسي لمشاعر الغضب والعدوان،كما أشار أيضاً دوجلاس Douglas, ١٩٧١)) إلى أن الاندفاعية ترتبط بدرجة كبيرة بعدم القدرة على الانتباه لفترة طويلة، وقدم كل من كندالوفينش(Kendal, ١٩٧٩ &Finch) تفسيرا للاندفاعية على أنه نمط سلوكي يتضمن عجزا في ضبط السلوك والاستجابة دون تفكير، بينما وصف ايسنك Eysenck , ١٩٨٣)) الاندفاعية بوصفها مكوناً فرعيا للانبساطية ، والذي اتضح في نتائج دراساته العملية الخاصة بالشخصية والتعرف على أبعادها الأساسية.

حددت رابطة علم النفس الأمريكية مجموعة من المعايير للحكم على الطفل الاندفاعيهي:

-غالباً ما يتصرف قبل أن يفكر .

- ينتقل بسرعة من نشاط إلى آخر دون إكمال النشاط الأول.

- يجد صعوبة في تنظيم عمله.

- يكون في حاجة إلى مراجعة وإشراف.

-غير قادر على الانتظار(عبد الله، ٢٠١٨: ٤٥)

النظريات التي فسرت السلوك الاندفاعي

نظرية المجال:

ترتبط هذه النظرية بالعالم (كيرت ليفين) وهوعالم النفس الجشتالتي الذي اكد اهمية قوى المجال التي تساهم في تحديد السلوك،تقوم هذه النظرية على فكرة إن العوامل الاجتماعية تؤثروتحدد المجال النفسي للفرد اكثر مما تحدده العوامل الطبيعية، أي إن الاحداث النفسية المحيطة بالفرد تمثل العناصر الاساسية لأنها أكثر تأثيراً في بناء حيز الحياة، فضلا عن التغيرات في البيئة، ولكي نفهم سلوك الفرد في لحظة ما وموقف ما علينا إن نصنف حيز الحياة وفهمه الخاص بذلك الفرد هو المفتاح لفهم سلوكه الحاضر، وعلى هذا الاساس فإن التوافق يكون متغير لدى الفرد، ايأن البيئة النفسية والشخصية يتغيران من وقتٍ الى أخر (عباس، ١٩٨٢: ٤١-٤٢).

وتشيرهذه النظرية بأن التعلم الخطأ يؤدي الى ظهورالسلوك الخطأ ولكي يتغير هذا السلوك فلا بد من تغيير الادراك ومساعدة الفرد المعني بذلك السلوك في تغيراتجاهاته ومفاهيمه حتى يصل لفهم أعلى وأكثر استبصارا للواقع مما يعدل مجاله الادراكي (Coldstein, ١٩٨١: ٣٩٧-٣٩٩).

وتؤكد النظرية ايضا على ان عملية الادراك تتأثر بعامل الوقت اي يجب ان يكون التعرض للموقف كافياً حتى يسمح للحواس بالقيام بوظيفتها بكفاءة، كما وتؤثر قيم الشخص واهدافه على ادراكه، حيث انه يدرك ما يرغب في ادراكه او ما تدرب على ادراكه. (زهران، ٢٠٠٥: ١١٦).

نظرية السيطرة المثبطة :

تفهم هذه النظرية من خلال القرارات التي هي وظيفة تنفيذية متمثلة بالقدرة على كبح استجابة مرجحة، وإن ذوي السلوك الاندفاعي يظهرون ضعفا أو خللا في هذه الوظيفة التنفيذية وانهم يميلوا للإجابة عن سؤال قبل اتمامه أو قبل اخذ الوقت للتفكير وفهمه، فمن الطبيعي خلال عملية التفكير إن يوجد اصغاء ثم ادراك ثم معالجة للبيانات ثم استرجاع معلومات من خبرات سابقة للمقارنة ومن ثم التوصل للحكم. واستناداً الى هذه النظرية فإن الاطفال ذوي

السلوك الإندفاعي لديهم اشكالات في هذه الخطوات الادراكية مما يؤدي بهم إلى الفعل الإندفاعي (Logan, et al., ١٩٩٧:٦٣).

النظرية السلوكية:

تعد النظرية السلوكية من النظريات التي ترى إن التعلم هو تغيير في سلوك الفرد بسبب تكرار الارتباط بين المثير والاستجابة كما أوضح رواد هذه النظرية (ثورندايكوبافلوف)، وقدمسكنر تعديلا سلوكيا جديدا يرتبط بالتعلم اسماه (السلوك الاجرائي) ومفاده ان الانسان يضبط الاستجابة من خلال ناتج التعزيزات، فكلما انجز الطفل مهمة ما، تدرب على ضبط استجابته بصورة اكثر ووعيا من دون مؤثرات قبلية بل سيعتى اكثر بالنتائج أي ما توفره استجابته من تعزيزات (صوالحة، ٢٠٠٤: ٤١).

ويرى اصحاب النظرية السلوكية إن مهمة أولياء الامور والمعلمين والمسؤولين عن الاطفال هي إن يساعدوا الاطفال على مواجهة مشاكلهم من خلال استخدام الوسائل التعليمية واتباع اساليب سلوكيه جديدة ولاسيما الالعاب المصممة جيدا بمختلف أنواعها (عاشور، ٢٠٠٣: ١٣٩).

نظرية التعلم الاجتماعي:

ونظرية التعلم الاجتماعي من النظريات البارزة في تطور النظريات السلوكية الحديثة لتضمنها تطبيقات مبدعة في تعديل السلوك (البيلاوي، ١٩٨٥: ٧٦، ٩٢).

وتؤكد النظريةعلى الملاحظة لباندورا (Pandora)على التفاعل الحتمي المتبادل والمستمر للسلوك والمعرفة والتأثيرات البيئية، وتُبين إن السلوك الانسانيومحدداته الشخصية والبيئية تشكل نظاما متشابكا من التأثيراتالمتبادلة والمتفاعلة، ولايمكن اعطاء أي من هذه المحددات الرئيسة الثلاثة أي مكانة مميزة على حساب المحددين الاخرين، وترى نظرية التعلم الاجتماعي إن الطفل يكتسب السلوك ويتعلمه من خلال احتكاكه بالكبار وملاحظته لهم ولاسيما الوالدان، وإن الاباء يعززون السلوك من خلال المكافآت والتعزيز والعقاب(صالح، ١٩٩٢: ٤٢-٤٤).

ويربباندورا (Pandora) إن الأنماط الجديدة من السلوك يمكن إن تكتسب حتى في غياب المعزز الخارجي، حيث تكتسب العديد من أنماط السلوك منخلال ملاحظة سلوكيات الاخرين والنتائج المترتبة عليها، وهذا ما يؤكد عليه باندوراوهو التعلم بالملاحظة أو الأقتداء بالنموذج أكثر من التعزيز المباشر، ولعل هذه الخاصية تشكّل اهم ملامح نظريتهُ للتعلم الاجتماعي القائم على الملاحظة، فهو يرى إن الشخص عندما يتحكم بالنماذج فإنه يتحكم بالسلوك (وهو بذلك يكون بالضد من سكنر الذي يرى إن الشخص الذي يتحكم بالمعززات يتحكم بالسلوك) (الجبوري، ٢٠١٤:١٠١).

دراسات سابقة التي تناولت السلوك الاندفاعي:

دراسة شعلان (٢٠١٤)

(اثر الالعاب في خفض السلوك الإندفاعي لدى اطفال الرياض)

هدفت الدراسة إلى التعرف على آثر الألعاب في خفض السلوك الإندفاعي لدى اطفال الرياض في العراق، وتكونت عينة الدراسة من (٤٠٠) طفل وطفلة في رياض الاطفال من محافظة بغداد، وقامت الباحة ببناء مقياساً للسلوك الإندفاعي وتضمن (٤٧) فقرة ضمن أربعة مجالات وتضمنت الالعاب (١٦) لعبة، وتحققت الباحثة من الصدق والثبات وقد توصلت نتائج الدراسة إلى وجود السلوك الإندفاعي لدى اطفال المرحلة العمرية (٤ – ٦) سنوات ويوجد أثر إيجابيللألعاب في خفض السلوك الاندفاعي (شعلان٢٠١٤).

دراسة (Kagan& Others١٩٧١)

(اثر التدريب المباشر في تعديل السلوك الإندفاعي إلى تأملي)

هدفت الدراسة إلى تعرف اثر التدريب المباشر في تعديل السلوك الاندفاعي ليصبح تأمليا في جامعة هارفارد

الأمريكية. وطبق اختبار كاجانkagan (اختبار مناظرة الأشكال المألوفة) على عينة بلغت (١٥٥) طفل في الصف الأول الابتدائي.

وتكون الاختبار من (١٢) موقفاً لكل موقف ستة بدائل وطلب من الطفل إن يختار الصورة التي تتطابق تماما مع الصورة المعيارية, أظهرت النتائج إمكانية تأخير زمن الاستجابة للاندفاعيين ولكن الأثر يكون أدنى من نوعية الأداء، إن زمن استجابة الأطفال التأمليين لم يكن أطول بدلالة إحصائية من زمن الاندفاعيين الذين دربوا على تأخير استجاباتهم، اما الإناث أظهرت تفوقاًمن الذكور (Kagan, ١٩٧١).

دراسة (Dornfeld, ١٩٧١) :

(تأثيرات التدريب المباشر وغير المباشر في أداء التميز البصري لدى الأطفال الإندفاعيين والتأمليين)

هدفت الدراسة الى تعرفالتدريب الموجه وغير الموجه والتأثيرات المختلفة والتحسن في أداء الأطفال الاندفاعيين والتأمليين في مهمة تمييز الكلمة،أجريت الدراسة في ولأية (أيوا) الأمريكية وتألفت عينة الدراسة من (٤٧) طفلاً اندفاعيا و(٤٧) طفلاً تأملياً من أطفال الروضة وبعد تعرضهم لاختبار (مناظرة الأشكال المألوفة على أساس الوسط الحسابي لكل من زمن استجاباتهم وعدد أخطائهم على ذلك الاختبار تم تصنيف الأطفال إلى ثلاث مجموعات:- (مجموعة التدريب الموجه، مجموعة التدريب غير الموجه ، المجموعة الضابطة)،وتوصلت الدراسة بنتائج : ازدياد متوسط زمن الاستجابة بشكل دال لمجموعتي التدريب وازداد بشكل غير دال للمجموعة الضابطة، وانخفضت نسبة متوسط الخطأ بشكل دال لمجموعتي التدريب في اختبار (Mfft) البعدي،وان الاندفاعيين من مجموعة التدريب الموجه قد اظهروا تحسناً يقدر الأطفال التأمليين (Dornfeld, ١٩٧١) .

دراسة (Khan ، ١٩٨٠):

(تأثيرات التدريب التصوري على السيطرة الذاتية لدى الأطفال الاندفاعيين) هدفت الدراسة إلى تعرف ان الأطفال الاندفاعيين من مجموعة التدريب التصوري سيظهرون مستوى تصوري أعلى وأكثر سيطرة ذاتية للسلوك من الأطفال الاندفاعيين من المجموعة الضابطة، اجرت الدراسة في مدينة فورد هام في إنكلترا وتكونت العينة من (٥٠) إندفاعياً من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم (٨ –١٤) سنة تم تقسيمهم بصورة عشوائية وتعرضوا للتدريب التصوري، والسيطرة على الإنتباه ومجموعة أخرى ضابطة ، واستعملت للمعالجة التصورية (١٢) قصة تصورية بعد التأكد من ملاءمتها. وبعد الانتهاء من الجلسات تعرض الأطفال لاختبار (mfft) واختبار وكسلر للذكاء، وبتحليل البيانات إحصائيا توصلت الدراسة الى وجود فرق دال إحصائيا بين الأطفال الاندفاعيين للمجموعتين التدريب التصوري وتدريب السيطرة على الانتباه ولصالح مجموعة التدريب التصوري،واظهار الأطفال الاندفاعيين من مجموعة التدريب التصوري نقصاً دالاً في عدد الأخطاء مع زيادة دالة في زمن الاستجابة على الاختبار (Khan, ١٩٨٠).

الفصل الثالث : منهجية البحث واجراءاته:

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي كونه يصف المتغيرات وصفا جيدا وهو احد اشكال التحليل والتفسير العلمي لوصف ظاهر او مشكلة محددة كما هي بالواقع عن طريق جمع البيانات ومعلومات مقننة عن الظاهرة او المشكلة وتصنيفها وتحليلها .(ملحم ،٢٠٠٢، ٣٥٢)

مجتمع البحث: اقتصر مجتمع البحث على معلمات رياض الأطفال التابعين للمديرية العامة لتربية الرصافة الثانية والاولى للعام الدراسي (٢٠٢٤–٢٠٢٥) والبالغ عددهم (١٦٧٤) معلمة

عينة البحث : تكونت عينة البحث الحالي من (٢٠٠) معلمة من معلمات رياض الأطفال التابعين للمديرية العامة

لتربية الرصافة الثانية والاولى للعام الدراسي (٢٠٢٤– ٢٠٢٥)كما هو موضح في جدول (١).

ت	اسم الروضة	عدد المعلمات	اسم الروضة	عدد المعلمات	اسم الروضة	عدد معلمات
١	احباب الرحمن	١٠	الغصون	١٠	البشائر	١٠
٢	الرياحين	١٠	ياسمين	٥	الفارس	١٥
٣	الشروق	٩	احباب الرحمن	١٠	المروج	١٠
٤	الاقحوان	١١	النسائم	١٠	الهديل	١٠
٥	النشيء الجديد	١٠	الربيع	١٠	الصفا	٧
٦	العسل	٧	طيبة	١٠	المقداد	١٠
٧	البراعم	٦	طيور الجنة	١٠	الاحلام	١٠
المجموع						٢٠٠

خطوات بناء المقياس:

أ– تحديد المنطلقات النظرية والمنهجية لمفهوم السلوك الاندفاعي إطارا نظريا لبحثهما .

ب. تحديد فقرات المقياس قامت الباحثة بصياغة فقرات مقياس السلوك الاندفاعي هي (٢٤)فقرة بأوزان (١،٢،٣) وبدائل (دائما , احيانا , ابدا) .

–صلاحية الفقرات : لغرض التعرف على صلاحية الفقرات التي تشير إلى قدرة المقياس على قياس المتغير المراد قياسه ,وان مضمون الفقرات متفق مع الغرض الذي وضعت لأجله .وللتحقق من ذلك قامت الباحثة بعرض فقرات المقياس على مجموعة من الخبراء في مجال التربية وعلم النفس وكان عددهم (١٠) من اجل إبداء آرائهم من خلال الحكم على , مدى صلاحية الفقرة, ,مدى ملاءمة الفقرات للمجال الذي وضعت فيه , تعديل أو إضافة بعض الفقرات, تم اعتماد نسبة اتفاق (٨٠٪)على الفقرة بين الخبراء لتعد الفقرة مقبولة في المقياس

– العينة الاستطلاعية : تكونت العينة الاستطلاعية من (١٠) معلمة من معلمات رياض الاطفال، تم اختيارهن بشكل عشوائي من مجتمع البحث .

الإجراءات الإحصائية لتحليل الفقرات:يشير «ايبل» ١٩٧٢ إلى إن الهدف من إجراءات التحليل الإحصائي هو الإبقاء على فقرات المقياس المميزة التي تستطيع ان تمثل الخاصية التي وضعت من اجلها Ebel,٣٩٢:١٩٧٢) وقد تضمن التحليل الإحصائي ماياتي :

أ– القوة التمييزية لفقرات المقياس :

ولغرض حساب القوة التمييزية لفقرات المقياس بحيث تبقى الفقرات المميزة واستبعاد الفقرات غير المميزة (Eble, ١٩٧٢, p.٣٩٢)، ولتحقيق ذلك إذ تم تطبيق المقياس على العينة البالغة)٢٠٠)واختيرت نسبة ٢٧٪ المجموعة العليا من الاستمارات الحاصلة على الدرجات العليا تراوحت حدود الدرجات للمجموعة العليا ٢٨–٣٦ ، ونسبة ٢٧٪ المجموعة الدنيا من الاستمارات الحاصلة على الدرجات الدنيا تراوحت حدود الدرجات للمجموعة الدنيا ٤٥–٦٤، وبلغ عدد الاستمارات ٥٤ استمارة لكل مجموعة وبذلك يكون مجموع الاستمارات ١٠٨ استمارة، ثم استعمل الاختبار التائي لعينتين مستقلتين لاختبار الفروق بين متوسطي المجموعتين العليا والدنيا لكل فقرة من فقرات المقياس، وأظهرت النتائج بان هناك فقرة واحدة غير مميزة وهي(١) (انظر جدول ٢).

جدول ٢ تمييزفقراتمقياس السلوك الاندفاعي

الفقرة	المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		الاختبار التائي	مستوى الدلاله
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري		
1	٢,٣٨٨٩	٤٩٢٠٨.	٢,٣٧٠٤	٤٨٧٤٤.	.196	غير دالة
2	٢,٨٠٠٠	٤٠٣٦٩.	١,٩٠٧٤	٥٢٣٧٢.	9.977	.001
3	١,٩٤٥٥	٦٧٨١٨.	١,١٤٨١	٣٥٨٥٨.	7.652	.001
4	٢,٢١٨٢	٤٩٧٨١.	١,٠١٨٥	١٣٦٠٨.	17.092	.001
5	٢,٣٠٩١	٦٠٤٧٠.	١,٤٦٣٠	٥٠٣٣١.	7.933	.001
6	٢,٥٦٣٦	٥٠٠٥٠.	١,٧٧٧٨	٥٣٧٨٧.	7.899	.001
7	١,٩٢٧٣	٧٩٠٠٩.	١,٢٠٣٧	٤٠٦٥٣.	5.995	.001
8	١,٨٩٠٩	٦٨٥١٠.	١,٠٣٧٠	١٩٠٦٣.	8.829	.001
9	٢,٣٢٧٣	٥٧٩١٠.	١,٢٥٩٣	٥٥٥٧٧.	9.821	.001
10	١,٧٦٣٦	٨٥٩٨٨.	١,٠٠٠٠	٠٠٠٠٠.	6.525	.001
11	٢,٣٨١٨	٦٢٣٣٤.	١,٥٧٤١	٦٦١٦٧.	6.561	.001
12	١,٧٦٣٦	٦٣٧٢٣.	١,٢٢٢٢	٤١٩٦٤.	5.229	.001
13	٢,٣٨١٨	٥٩٢٨٩.	١,٤٤٤٤	٥٠١٥٧.	8.904	.001
14	١,٤٣٦٤	٦٨٧٥٥.	١,٠٠٠٠	٠٠٠٠٠.	4.663	.001
١٥	٢,٣٢٧٣	٦٠٤١٤.	1.0556	٢٣١٢١.	9.914	.001
١٦	١,٣٠٩١	٤٦٦٣٨.	١,٠١٨٥	١٣٦٠٨.	4.398	.001
١٧	١,٧٤٥٥	٦٤٤٥٨.	١,٤٢٥٩	٦٠١٩٤.	2.674	.001
١٨	١,٤٧٢٧	٥٠٣٨٦.	١,٢٢٢٢	٤٦٢٤٢.	2.703	.001
١٩	٢,٣٤٥٥	٥٥١٧٠.	١,٦١١١	٥٢٩٠٣.	7.091	.001
٢٠	٢,٤٧٢٧	٥٣٩٣٦.	1.5370	٥٠٣٣١.	9.360	.001
21	٢,٤٣٦٤	٦٣١٣٩.	١,٩٠٧٤	٥٢٣٧٢.	4.756	.001
22	٢,٢٠٠٠	٥٥٧٧٧.	١,٣٧٠٤	٥٢٤٧٢.	7.995	.001
23	١,٨٠٠٠	٧٧٩٣٦.	١,٢٧٧٨	٤٥٢١١.	4.269	.001
٢٤	٢,٣٤٥٥	٦٧٢٧٠.	١,٦٦٦٧	٦٤٤٢٨.	5.379	.001

من الجدول اعلاه يتبين أن جميع الفقرات مميزة لان قيمها التائية المحسوبة أعلى من التائية الجدولية البالغة (١,٩٦) عند مستوى (٠,٠٥) ودرجة حرية (١٠٦) .

ب- علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس (صدق الفقرة Item Validity)

لتحقيق ذلك تم أستعمال معامل ارتباط بيرسون Pearson لاستخراج العلاقة الارتباطية بين درجة كل فقرة من فقرات مقياس التحكم الموجه والدرجة الكلية ل (٢٠٠) ، وعند موازنة قيم الارتباط مع قيمة معامل ارتباط بيرسون الجدولية البالغة (٠,١٤) عند مستوى (٠,٠٥) ودرجة حرية (١٩٨) أتضح أن الارتباطات كلها دالة إحصائيا والجدول (٣) يوضح ذلك .

جدول (٣) معاملات ارتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية لمقياس السلوك الاندفاعي

الفقرة	الارتباط	المعنوية	الفقرة	الارتباط	المعنوية
2	.626	.001	١٤	.436	.٠٠١
٣	.585	.001	١٥	.655	.٠٥
٤	.773	.05	١٦	.234	.٠٠١
٥	.613	.05	١٧	.202	.001
٦	.485	.001	١٨	.193	.001
٧	.528	.001	١٩	.444	.001
٨	.682	.001	٢٠	.585	.0٠١
٩	.562	.001	٢١	.250	.0٠١
١٠	.603	.001	٢٢	.409	.0٠١
١١	.488	.٠٠١	٢٣	.359	.0٠١
١٢	.517	.001	٢٤	.438	.0٠١
١٣	..650	.0٠١			

جدول (٤)صدق فقرات مقياس نظام رياض الاطفال باستعمال أسلوب علاقة درجة الفقرة بالدرجة بالمجال

المجال الاول			المجال الثاني			المجال الثالث		
الفقرة	الارتباط	مستوى الدلالة	الفقرة	الارتباط	مستوى الدلالة	الفقرة	الارتباط	مستوى الدلالة
٢	.739	.001	11	.608	.001	19	.526	.001
٣	.655	.001	12	.618	.001	20	.688	.001
٤	.788	.001	13	.734	.001	21	.561	.001
٥	.683	.001	14	.455	.001	22	.568	.001
٦	.537	.001	15	.754	.001	23	.470	.001
٧	.598	.001	16	.177	.05	24	.671	.001
٨	.743	.001	17	.269	.001			
٩	.651	.001	18	.171	.05			
١٠	.588	.001			.001			

ثبات مقياس السلوك الاندفاعي:

تحققت الباحثة من ثبات مقياس السلوك الاندفاعي بطريقة الفاكرونباخ وذلك بالاعتماد على بيانات العينة الكلية وقد بلغ معامل الثبات (.٨٥٠) .

- الوسائل الإحصائية :

اعتمدت الباحثة على الحقيبة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) في المعالجات الإحصائية كلها سواء في إجراءات التحقق من الخصائص السيكومترية لأداتي البحث ، أو في استخراج النتائج ، وقد استعملت الوسائل الإحصائية الآتي ذكرها :

١-الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين : أستعمل لاختبار دلالة الفرق بين المجموعتين الطرفيتين في حساب القوة التمييزية لمقياس السلوك الاندفاعي.

٢-معامل ارتباط بيرسون Person Correlation Coefficient : وقد أستعمل في التحقق من علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية لمقياس السلوك الاندفاعي .

٣-معادلة ألفا للاتساق الداخلي Alfa Coefficient For Internal Consistency:
استعملت لاستخراج الثبات بطريقة ألفا للاتساق الداخلي لمقياس السلوك الاندفاعي

٤- الاختبار التائي (t-test) لعينة واحدة : أستعمل لاختبار دلالة الفرق بين المتوسط الحسابي والمتوسط الفرضي مقياس السلوك الاندفاعي.

الفصل الرابع :نتائج البحث ومناقشتها

الهدف (١) : قياس مستوى السلوك الاندفاعي لدى اطفال امهات طفال العاملات والغير العاملات.

لتحقيق هذا الهدف تم تطبيق مقياس السلوك الاندفاعي على أفراد عينة البحث البالغ عددهن (٢٠٠) معلمة، وقد أظهرت النتائج أن متوسط درجاتهم على المقياس بلغ (٤١,١٦٠) درجة وبانحراف معياري مقداره (٦,٩٨٧) درجة ، وعند موازنة هذا المتوسط مع المتوسط الفرضي (٤٦) للمقياس والبالغ (٩٦) درجة ، وباستعمال الاختبار التائي

(t-test) لعينة واحدة تبين أن الفرق دال إحصائيا ولصالح المتوسط الحسابي ، إذ كانت القيمة التائية المحسوبة أعلى من القيمة التائية الجدولية والبالغة (١,٩٦) بدرجة حرية (١٩٩) ومستوى دلالة (٠,٠٥) والجدول (٥) يوضح ذلك .

جدول (٥)الاختبار التائي لعينة واحدة لمقياس السلوك الاندفاعي

العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الفرضي	درجة الحرية	الاختبار التائي		مستوى الدلالة
					المحسوبة	الجدولية	
٢٠٠	41.160	6.987	46	١٩٩	9.795	٢,٥٧٦	.٠٠١

الهدف (٢): تعرف دلالة الفرق في السلوك الاندفاعي لدى امهات الاطفال العاملات والغير العاملات

ولتحقيق هذا الهدف تم استعمال الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين لتعرف الفروق السلوك الاندفاعي،تم استخراج المتوسط الفرضي لمقياس (السلوك الاندفاعي) وبعد حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري حسب ماهو موجود في الجدول (٦) ان القيمة المحسوبة اعلى من القيمة جدولية وهو صالح لدى الموظفة قد يرجع السبب نتيجة التوتر الضغوط النفسية التي تعرض لها الموظفة مما ينعكس على تربية اطفالها او قد يرجع السبب الى التداخل بين العمل والاسرة كون الطفل الذي لدية سلوك اندفاعي يتطلب الكثير من الاهتمام والرعاية يؤدي الى استنزاف طاقة الام مما يؤثر على ادئها ، او نتيجة قلة الدعم الاجتماعي او الاسري في عناية اطفاظن

الجدول (٦) الاختبار التائي لعينتين مستقلتين لمقياس السلوك الاندفاعي وفقا (عاملة غير عاملة)

العينة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	الاختبار التائي		مستوى الدلالة
					المحسوبة	الجدوليه	
ربة بيت	١٥١	٤٠,٤٣٠	٧,٥٤٤	١٩٨	٢,٦٣٠	١,٩٦٠	.٠٥
موظفة	٤٩	٤٣,٤٠٨	٤,٢٠٧				

الهدف (٣) تعرف دلالة الفرق السلوك الاندفاعي لدى امهات اطفال العاملات والغير العاملات تبعا لمتغير (ذكور ، اناث).

لحساب الفروق لمستوى السلوك الاندفاعي لدى امهات اطفال لمتغير نوع الجنس (ذكور ، اناث) استخدمت الباحثة الاختبار التائي لعينتين مستقلتين بواقع (٢٠٠) طفلا . وقد أظهرت النتائج أن متوسط درجة ذكور على المقياس بلغ (٤٢,١٣٢) درجة وبانحراف معياري مقداره (٦,٤٣٢) درجة ، بينما بلغ متوسط درجة الاناث (٤٠,٢٢٥)وبدرجة انحراف معياري بلغ (٧,٣٩٤)، إذ لا يوجد فرق دال احصائيا بين الذكور والاناث في السلوك الاندفاعي لدى امهات الاطفال حسب متغيرنوع الجنس ولذلك بسبب نتيجة التأثير المشترك للعوامل الوراثية والبيئة او نتيجة نوعية التربية التي يتلقها الطفل من المحيط به او قد يرجع السبب الى جود عوامل اقتصادية او اجتماعية او حتى تعليمية حيث كانت القيمة التائية المحسوبة أقل منالقيمة التائية الجدولية والبالغة (١,٩٦)

بدرجة حرية (٩٨) ومستوى دلالة (٠,٠٥) والجدول (٧) يوضح ذلك .

الجدول (٧) الاختبار التائي لعينتين مستقلتين لمقياس السلوك الاندفاعي وفقا لمتغير (ذكور ، اناث)

العينة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	الاختبار التائي		مستوى الدلالة
					المحسوبة	الجدوليه	
ذكور	98	42.132	6.432	١٩٨	1.943	١,٩٦٠	غير دالة
اناث	102	40.225	7.394				

الاستنتاجات : اهم ما توصلت له الباحثة هي

٤- اناطفال امهات العاملات والغير العاملات لديهم سلوك اندفاعي

٥- يوجد فرق دال بين اطفال امهات العاملات والغير العاملات وهو صالح للام العاملة .

٦- لاتوجدفروقبين (اطفال العاملات والغير العاملات) في السلوك الاندفاعي حسب متغير (ذكور ، اناث)

التوصيات :

١-تسحين التفاعل الاسري وتوفير بيئة داعمة من خلال ايجاد وقت نوعي مع الاطفال

٢- على الاسرة ان تظم رورتنيها اليومي من خلال وضع جداول زمنية واضحة للأكل والنوم والواجبات المدرسية والتنزه

٧- تعزيز المهارات الاجتماعية والتكيف مع الضغوط من خلا دمج الاطفال في انشطة اجتماعية مثل الرياضة او الفنون لكي يتعلمون كيفية التحكم في تصرفاتهم والتفاعل الاجتماعي

٨- تفعيل دور الروضة او المدرسة في الحد من الاندفاعية من خلال استخدام استراتيجيات تدريس قائمة على التعلم النشط

المقترحات:

١- اثر نوع عمل الام على سلوك الطفل الاندفاعي

٢- دراسة السلوك الاندفاعي لدى امهات الاطفال ومستوى الدعم الاجتماعي

٣- دراسة السلوك الاندفاعي لدى امهات الاطفال العاملات والغير العاملات وعلاقتها بالصحة النفسية

المصادر:

-ابو غزالة، سميرة علي جعفر والدلبجي، خالد غازي (٢٠١٤): فاعلية برنامج مقترح لخفض السلوك المندفع والنشاط الزائد لدى الاطفال المعاقين عقلياً القابلين للتعلم، مجلة العلوم الانسان والمجتمع، جامعة القاهرة ، مصر.

-البيلاوي،فيولا(١٩٨٥): دراسةتجريبية في تعليم السلوك عندالأطفال في رياض الأطفال، الكويت، المجلة العربية للبحوث التربوية.

-بطرس، بطرس حافظ(٢٠١٠):طرق تدريس الطلبة المضطربين سلوكياً وإنفعالياً، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان الاردن.

-الخيارى، غالب محمد (٢٠١٢):خصائص الاضطرابات السلوكية أو الإنفعاليةللاطفال والمراهقين، ط١، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان ، الاردن.

-زهران، حامد عبد السلام(٢٠٠٥): التوجيه والارشاد النفسي،ط٤، عالم الكتب، القاهره.

الشخص، عبد العزيز السيد(١٩٩٠): الاندفاعية للأطفال وعلاقتها بالعمر الزمني ومستوى تحصيلهم، مركز دراسات الطفولة، المؤتمر السنوي الرابع، المجلد الثالث، القاهرة.

-شعلان، أيثار منتصر (٢٠١٤): أثر الالعاب في خفض السلوك الإندفاعي لدى رياض الاطفال، رسالة ماجستير، كلية التربية

للبنات، جامعة بغداد.

-صالح، عبدالرحيم (١٩٩٢): اللغةعندالطفل، مصر ، القاهرة.

-صوالحة، محمد أحمد(٢٠٠٤) :علم نفس اللعب، ط١، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع.

-عباس، فيصل (١٩٨٢): الشخصية في ضوء التحليل النفسي، بيروت، دار الميسرة.

-عجلان، عفاف محمد محمود(١٩٩١): بعض المشكلات السلوكية لدى اطفال ما قبل المدرسة وعلاقتها ببعض المشكلات المتغيرات المتعلقة بالطفل والاسرة ونوعية الرعاية المقدمة في رياض الاطفال، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، اسيوط.

-علام ،صلاح الدين محمود(٢٠٠٢): القياس والتقويم التربوي والنفسي ، دار الفكر العربي، القاهرة

العتوم، عدنان يوسف (٢٠٠٤) : علم النفس المعرفي بين النظرية والتطبيق، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

-عثمان، محمد علي محمد(٢٠٠٥): النشاط الزائد وعلاقته بالتحصيل الدراسي دراسة ميدانية، رسالة ماجستير غير منشورة،المكتبة الالكترونية اطفال الخليج ذوي الاحتياجات الخاصة، دمشق.

-عاشور، محمد إبراهيم (٢٠٠٣): اثر استخدام الألعاب في التحصيل وحب الاستطلاع لطلبة الصف الثاني المتوسط، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد الثالث، (بحث منشور) دراسة منشورة.

-علية، عبد الرحيم مدني (٢٠٠٧): تقنين اختبار اضطراب عجز الإنتباه وفرط الحركة لدى الأطفال تلاميذ مرحلة –الاساس الفئة العمرية (١٤) سنة بولأية الخرطوم، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب – جامعة الخرطوم.

-عبد الله، مريم نعمان(٢٠١٨): السلوك الاندفاعي للأطفال وعلاقته بأنماط الضبط الصفي لدى معلمات رياض الاطفال، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية.

-عبد الفتاح، كاميليا (١٩٩٠): سيكولوجية المرأة العاملة، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.

-المجادي، حياة.(٢٠٠١): أساليب ومهارات رياض الأطفال، ط١، مكتبة الفلاح، الكويت.

المشهداني، خديجة حسن جاسم (٢٠٠٤) :عمل الأطفال في الشوارع دراسة ميدانية في مدينة بغداد ، اطروحة الدكتوراه في علم– الاجتماع كلية الآداب، جامعة بغداد.

–Eble, R. (1972) : Essentials of educational MeasurmentNewJersey, Prentice–Hall. Englewood cliffs, Inc

–Coldstein, H.(1981):»Social learning change, traislock publication», New yourk.

–Dornfeld,d.m,(1971): the effects of directed and non directed training upon the visual discrimination performance of reflective and impulsive children,dissertation abstracts integration,vol,32,no,9,p,5.

–Erickson, M. F., Sroufe, L. A., &Egeland, B. (1985). The relationship between quality of attachment and behavior problems in preschool in a high–risk sample. Monographs of the society for research in child development, 147–166.

–Khan,R.n(1980): Effects of tmagry training onself control in impulsivechildrenDisser ationAbstracts,vol,40,No12,p.p.6023.

–Logan, Gordon D.; Schachar, Russell J.; Tannock, Rosemary (1997). «Impulsivity and Inhibitory Control». Psychological Science. 8 (1): 60–4.

–Kagan, Terome,(1971):change and contity infancy Tonewill and sons. U.S.A.

مقياس السلوك الاندفاعي بالصيغة النهائية

ت	الفقرات	دائما	احيانا	ابدا
١	المجال الحركي : هو يشمل النشاطات والحركات الجسمية التي تتسم بانها غير ملائمة موجهه ولا يستطيع الطفل تنظيمها او السيطره عليها (شعلان ، ٢٠١٨: ٢٠١			
١	يلعب لفتره قصيره بألعابه			
٢	-يبدو دوما في حركة مستمرة			
٣	يحرك يديه وقدميه بشكل مبالغ فيه			
٤	يتحرك كثيرا في مقعده			
٥	كثير الحركة في البيت			
٦	ياخذ الاشياء من الاخرين دون استئذان			
٧	يضرب الاخرين اثناء الحديث معهم			
٨	يدخل غرفة دون استئذان			
٩	يتململ من مكان جلوسه مع صدور اصوات غريبه			
٢	مجال العقلي : وهي الاستجابات السريعة والحلول الفكرية التي غالبا ما تكون في غير موقعها نتيجة عدم التركيز (شعلان ، ٢٠١٨: ٢٠١)			
١	اجابته تكون سريعة و بدون تفكير			
٢	يصعب عليه التركيز لفتره طويلة من الوقت			
٣	ينفعل قبل ان يفكر			
٤	يسال اسئلة تدل على ضعف النضج الفكري لديه			
٥	صعوبة الاصغاء عند توجيه			
٦	يكرر اجابات الاخرين دون تفكير			
٧	ينقطع انتباهه بسرعة لاي مثير خارجي			
٨	يبتعد عن النشاطات التي تتطلب جهد عقليا			
٣	المجال الاجتماعي : هو يتمثل علاقة الطفل بالأخرين والتي تتسم بعدم قدرته على الانسجام واقامة صداقات مع اقرانه وضعف تعاونه(شعلان ، ٢٠١٨: ٢٠٢			
١	يقاطع الاخرين عند حديثهم			
٢	يصعب عليه انتظار دوره في الكلام			
٣	يحب ان تستجاب مطالبه في الحال			
٤	يتحدث من دون توقف (كثير الثرثره أو المبالغة في الوصف او الشرح			
٥	يتصرف بفضاضة دون مراعاه مشاعر الاخرين			

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

منهج ابراهيم بن حسن البقاعي(٨٠٩- ٨٨٥م) في كتابه «عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والاقران»

أ.م.د رشا عيسى فارس
جامعة بغداد / مركز حياء التراث العلمي العربي

المستخلص :
يعد كتاب عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران مصدراً تاريخياً يقدم صورة شاملة للحياة الفكرية والثقافية في عصر المماليك ، فكان للعالم برهان الدين البقاعي الاثر الكبير في تأليفة لهذا الكتاب والذي عكس روح العصر الذي كتب فيه مع تفاصيل دقيقة عن الأشخاص والوقائع التأريخية التي حدثت في تلك الحقبة ، مستعملاً أسلوباً يجمع بين التوثيق التأريخي والسرد الأدبي فهو بهذا قد قدم صورة واضحة لتلك الحقبة الزمنية بما فيها من حياة أجتماعية وثقافية وحضارية .

الكلمات المفتاحية: تراجم ، توثيق ، الشيوخ.

Abstract:

The book entitled(Enwan Alzaman bitrajim Al shiyookh wa Al – Aqran)Considers ahistorical source present full text about cullu–ral and intellectual life through Mamluk era, The scientist Burhan Addin Al–Buqaie had the big effect about his writing of this book that reflects the spirit of that period who wrote accurate details in it a bout historical situations and persons that had happened in that period used a style connect between historical documentation and literary writing ,thus he has presented a clear thought of that period including civil ,cultural and social life.

Keywords: biographies, documentation, sheikhs.

المقدمة :

تعد كتب التراجم مصدراً تأريخياً للعلماء الذين أسهموا في الثقافة الاسلامية ، والتي من خلالها يتم التركيز على توثيق حياة هؤلاء العلماء بما في ذلك شيوخهم وتلاميذهم بالاضافة الى أنجازاتهم ومساهماتهم في مجالات المعرفة المختلفة ، وهي واحدة من أكثر الدراسات أهمية في تحديد سمات التأريخ العربي الاسلامي ، وترسيخ قواعد منهج البحث التأريخي أذ تعد تراجم الاعيان أحد مسالك التوثيق التأريخي ، وأن هؤلاء الاعيان تنوعوا ، فمنهم الفقهاء ، والمحدثون ، والقضاة فضلا عن الادباء والنحويين واللغويين والشعراء وغيرهم .

وظهرت بذلك المصنفات الكثيرة التي ترجمت عن هولاء الاعيان ومنها مصنفنا (عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والاقران)وتهدف الدراسة بهذا الموضوع الى تسليط الضوء على حياة ومصنفات العلماء الذين كانوا شيوخ للامام البقاعي ممن شاركوا في الحياة الفكرية والثقافية ، وتأتي أهمية هذا الموضوع كون الامام البقاعي واحد من أبرز العلماء المفكرين العرب الذي نبغ في مجالات علمية عدة كالحديث والفقه ، كما أن كتابه (عنوان الزمان) يعد من المصنفات المهمة بفضل ماتميز به من مميزات كونه كتاباً موسوعيا لأحتوائه على عدد كبير من التراجم المختلفة من البلدان والامهن والصنائع ، فهو مؤلف جامع للحوادث والتراجم وعليه فأن هذه الدراسة تشكل أنجازا مهما في دراسة الحياة الفكرية ، وقد كان الامام البقاعي دقيقاً في ذكره لهذه التراجم من حملة العلم وغيرهم وأشارته الى الرحلة في طلب العلم مما يؤكد بأنها رافد من روافد العلم والمعرفة ، بالاضافة الى أظهاره قيمه المعلومة التأريخية من خلال الجمع بين التأريخ والتراجم مما زاد في أهمية الكتاب ، وبهذا يعد الكتاب من أبرز كتب التراجم الذي يعكس رؤية شاملة للعصر الذي عاش فيه المؤلف وأثره بناء الحضارة العربية الإسلامية .

المبحث الأول:

سيرة البقاعي الاجتماعية

– أسمه:

هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي البقاعي الشافعي ، برهان الدين ، الامام العلامة المحدث ، المفسر ، المؤرخ والأديب (١) ،والبقاعي جمع بقعة: موضع يقال له بقاع كلب، قريب من دمشق، وهو أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق، فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة ، وبالبقاع هذه قبر الياس النبي، عليه السلام(٢)

– نسبه:

وأما نسبه وأسرته فهو من قبيلة اسمها بنو حسن، وحسن هذا له ثلاثة أولاد يونس وعلي ومكي، وهو من بني مكي، والبقاعي لا يعرف نسبه بعد أبي بكر، وقد ذكر له بعض أهل قريةخربا دوحاً أن أهله ينتسبون إلى سيدنا سعد بن أبي وقاص الزهري، وأن عندهم نسبة شاهدة بذلك،

ولكن لم يتيسر للبقاعي الاطلاع على هذه الشجرة وقد أنشد في قبيلته شعراً فقال:

إنا بنو حسن والناس تعرفنا وقت النزال وأسد في الحرب

كم جنت قفراً لم يسلك به بشر غيري وأنس إلا السيف في عنقي(٣).

– كنيته:

وقد كنى نفسه أبو الحسن الخرباوي البقاعي (٤).

– لقبه:

ويقال أنه يلقب ابن عويجان تصغير أعوج وهذا مأورده السخاوي في كتابه الضوء اللامع (٥).

– ولادته:

ولد أبراهيم بن عمر بن الحسن سنة (٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)في قرية (خربة روحا)من عمل البقاع في سوريا ، وقد أورد البقاعي مولده في نظم كتبه والتي من خلالها تم تحديد تأريخ مولده (٦)، قائلا» ومولدي في تاسع هذا القرن سنة تسع وثمان مئة في بلاد البقاع من أعمال دمشق من جمله الاراضي المقدسة ولله الحمد «(٧)

– نشأته وتربيته:

فقد تلقى البقاعي علومه الاولى على يد والده قبل وفاته ، فحفظ القرآن الكريم ، والفقه وعلومه منذ نعومة أظافره الا أنه حدثت حادثة فقد أصيب بالسيف ثلاث ضربات مما دفع بجده لأمه بأخراجه من القرية حفاظاً عليه وأخذ يتنقل به بين قرى وادي التيم والعرقوف وغيرها وصولا الى دمشق فجود القآن وأفرد في القراءات على بعض المشايخ ومن ثم على الشمس أبن الجزري في سنة سبع وعشرين وثمانمائة وأستمر بأشتغاله بالنحو والفقه وغيرها من العلوم الأخرى (٨) .

وقد أستمر بأهتمامه بالعلم والمعرفة عن طريق الرحلة والتي أصبحت حياته حافلة ولاسيما في سنوات الغزو والجهاد والتي أستمرت أكثر من ثلاثين سنة ، فقد كانت له بصمة واضحة للبقاعي من ناحيتين الاولى تميزت بالجرأة والبطولة والثانية فقد زادته علماً الى علمه وفتحت مواهبه (٩)

– وفاته :

قبل ذكر سنة وفاته فقد تعرض له الناس ولاسرته في قريتهم (قرية خوبا) ذهب ضحيتها والده وأخواه ، وجرح البقاعي فيها مما دفعه الى الانتقال من بلد الى آخر أنتهى المطاف به الى دمشق مستقراً بالمدرسة الصالحية ، حيث تولى مشيخة القراء بتربة أم الصالح ، الى أن وافته المنية في ليلية السبت ١٨ رجب سنة ٨٨٥هـ ، ودفن خارج دمشق بالحميرية، من جهة قبر عاتكة (١٠)

سيرة البقاعي العلمية

– شيوخه :

تتلمذ البقاعي على يد كبار شيوخ عصره في تلك الحقبة التأريخية في دمشق ، والقدس ، وحلب ، والقاهرة ففي دمشق قرأ على الشيخ شرف الدين صدقة الضرير المسحراتي صدقة بن سلامة بن حسين بن بدران بن إبراهيم بن جملة الجيدوري ثم الدمشقي المقرئ،عني بالقراءات وأتقنها، ، وانتفعوا به، وله تآليف في القرآت(١١).

وفي القدس أخذ الحساب عن العماد إسماعيل أبو الفدا القدسي الشافعي ،وهو اسْمَاعِيل بن إبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن عَليّ بن شرف بن مشرف الْعِمَاد أَبُو الفدا الْقُدسِي الشَّافِعِي وَيعرف بِابْن شرف ،وَرُبمَا قيل فِيهِ إسْمَاعِيل بن إبْرَاهِيم بن شرف أَو إسْمَاعِيل بن شرف أَو ابْن إبْرَاهِيم بن عَليّ بن شرف. ولد سنة اثْنَتَيْنِ أَو ثَلَاث وَثَمَانِينَ وَسبْعمائة (١٢).

وفي حلب فأخذ عن المحدث حافظ الشام المعروف خارج حلب برهان وهو ابراهيم بن محمد بن خليل البرهان أبو الوفا ، سبط أبن العجمي (١٣) وفي القاهرة عند دخولها اليها سنة ٨٣٤هـ لازم شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني شهاب الدين فكانت ولادته في شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، وقد رحل الى عدد البلاد في سبيل تحصيل العلم والسماع من العلماء (١٤) ، فقد تلقى منه البقاعي علومه وسافر معه في بعض رحلاته العلمية ، وأذن له في التدريس ، وكتب جملة من تصانيفه وقرأها عليه ثم كتب له العلامة ، كما سمع منه غالب شرح ألفية العر اقي كما سمع بحث الحاوي على الشرف السبكب وأجازه بالافتاء والتدريس الى أن توفي رحمه الله بعد حياه حافلة بالعلم في سنة (٨٨٥هـ) (١٥) بالاضافة الى العديد من الشيوخ الين أستقى البقاعي علومه منهم وقد أوردهم بشكل مفصل في كتابه (عنوان الزمان)

– مؤلفاته:

كان الامام البقاعي موسوعياً في كتاباته مكثراً في التأليف بالفنون المختلفة ، وممكن التعرف على أهم مؤلفاته فقد أشار الى مؤلفاته قائلاً «ومصنفاتي تقارب المائة «وفي موضع آخر يقول « لي مايزيد عن ستين مصنف منها ماهو عشر مجلدات ، ومنها ماهو مجلد ومنها ماهو أقل أو أكثر ، ولا أقول هذا فخراً بل تعريف بالحال ...(١٦)»، وَله تصانيف كَثِيرَة حَسَنَة مِنْهَا كتاب « الْجَوَاهِر والدرر فِي مُنَاسبَة الْآي والسور « و» النكت على شرح ألفية الْعِرَاقِيّ « و» النكت على شرح العقائد « ومختصر كتاب الرّوح لِأبْنِ الْقيم سَمَّاهُ» سر الرّوح « و» القَوْل الْمُفِيد فِي أصُول التجويد « وكفاية الْقَارئ « فِي رِوَايَة أبي عَمْرو و « الإطلاع على حجَّة الْوَدَاع»، وَله ديوَان شعرسماه« أشعار الواعي بأشعار البقاعي»، وشعره كثير(١٧)، بالاضافة الى العديد من المصنفات الكثيرة تزيد على مئة مصنف يصعب سردها ضمن السرد الموضوعي لبحث .

– رحلاته:

كانت الرحلة في طلب العلم جزءاً أساسياً من مسيرة العلماء ، ومنهجهم في التحصيل المعرفي ، فكان طالب العلم يبدأ بتلقي العلم على أيدي شيوخ بلده ثم يرحل الى البلدان الأخرى علمائها والاستفاده من علمهم ،وهكذا سلك الامام البقاعي هذا الطريق بعد أن نَهل من علماء بلده ، وفي سنة ٨٢٧ هـ رحل الى القاهرة ولازم شيخه الحافظ ابن حجر العسقلاني قائلاً» قبلنا بعض مشايخنا ومشايخهم وهلم جر ، فلم أجد منهم من شرح لهذا الامر مصدراً، ولا أطلع في سماء معرفته شمساً ولابدراً ، وأستمر الحال على ذلك الى أن رحلت الى سيدنا ومولانا قاضي القضاة شيخ الاسلام حافظ العصر وعلامة الدهر الأمام أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني» (١٨) ، وسمع جملة من كتب الحديث على مشايخ القاهرة ، ثم رجع الى القدس في أواخر تلك السنة ، ثم رجع الى القاهرة في أوائل سنة ٨٥٣هفأكمل نظم الحساب ، وضم أليه علم المساحة ، وفي هذه الاثناء سافر الى حلب مع شيخه أبن حجر فقرأ على مشايخها جملة من كتب الحديث وقرأ على مشائخ دمشق أثناء رجوعه الى القاهرة سنة ٨٣٧هـ، ثم رحل الى دمياط والاسكندرية وأستمر في رحلاته العلمية وعاد الى القاهرة في نفس السنة (١٩).

– تلامذته:

كان الامام البقاعي قد تلقى العلوم الغزيرة في شتى الميادين على يد شيوخه الذين تم الأشارة لهم ، فكان لهم الأثر في بلورة شخصيته العلمية والاجتماعية ، فكونت لديه قاعدة علمية أستطاع من خلالها أستقطاب العديد من التلاميذ الذين نهلوا من علمه ، ونظراً لكثرة التلاميذ الذين تمت دراستهم ، وبسبب التحديد الذي يقتضية موضوع البحث لايمكنني التوسع بشكل شامل في هذا السياق وسأقتصر على الأشهر منهم :

*السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر بن عثمان محمد بن خليل الأصل الشافعي (ت ٩١١هـ) والذي أخذ من علماء كثير ومنهم البقاعي وصنف التصانيف المفيدة كالجامعين في الحديث والدر المثور في التفسير والاتقان في علوم القرآن .(٢٠)

*شمس الدّين أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن زهير بن خليل الرّملي الدمشقي الشافعي الإمام العلّامة،كانت ولادته بالرّملة في ربيع الأول سنة أربع وخمسين وثمانمائة، ونشأ بها، وكان يعرف قديما بابن الحلاوي، وبابن الشّقيع، ثم تحول إلى دمشق، وحفظ «المنهاج» و «ألفية» النحو والحديث و «الشّاطبيتين» و «الدّرة في القراءات الثلاث» وعرض على جماعة، وأخذ عن ابن نبهان، وابن عراق، وأبي زرعة المقدسي، وابن عمران، وعمر الطّيبي، والزّين ،خطّاب، والنور وآخرين ، وسمع على الجمال عبد الله بن جماعة خطيب المسجد الأقصى «المسلسل بالأولية» وغيره وناب في الحكم بدمشق فحسنت سيرته، وولي مشيخة الإقراء وبدار الحديث الأشرفية، و «بتربة الأشرفية» وبتربة أم الصّالح بعد البقاعي، وكان لازمه حين إقامته بدمشق وأخذ عنه كثيرا (٢١)

*محي الدين عبد القادر النعيمي الدمشقي الشافعي صاحب كتاب الدارس في تأريخ المدارس (ت ٩٢٧هـ/١٥٢٠م)(٢٢)

*شمس الدين محمد بن محمد الدلجي العثماني الشافعي ، حفظ القرآن العظيم ودخل القاهرة فقرأ التنبيه وغيره ثم رحل الى دمشق وأقام بها نحو ثمانين سنة وأخذ عن البرهان البقاعي (ت ٩١٧هـ) (٢٣)

المبحث الثاني

– التعريف بكتاب عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والاقران)

كان موضوع التراجم ودراستها من أكثر الموضوعات أهمية عند الامام البقاعي ، والذي تناوله في مؤلفه هذا وبدرجات متفاوته بحسب مايقتضيه هدف الكتاب وغايته ، لذلك يقوم كتاب عنوان الزمان على اسس الترجمة لأعلام القرن التاسع الهجري الذين عاشوا في عصره أضافة الى بعض العلماء ممن كانت لهم آثار وبصمة في آثار الجوانب الفكرية والحضارية والعلمية ، ولم يقتصر الأمر على الرجال من الاعلام فقد ترجم لعدد من النساء ممن كان لهن أثر في الجانب العلمي والحضاري وأن كان الامر أقل مقارنة بتراجم الرجال في تلك الحقبة التأريخية.

– الديباجة

أستهل البقاعي كتابه عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران بالبسملة والحمد لله والثناء عليه والصلاة على نبيه وسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) على غرار معظم المصنفين العرب والمسلمين (٢٤)

وقد دفعه منهجه الى أن يقدم مقدمة عامة للكتاب ،((أما بعد فهذه تراجم شيوخي الذين أخذت عنهم فنون العلم تطلابا، ورتبت على حروف المعجم أسماءهم وأسماء آبائهم وإن علوا أنساباً.....بدأته بالأحمدين تيمنا بأسم سيد الاولين والآخرين ، عليه مني صلاة وسلاما دائمين)) (٢٥)

تضمن الجزء الاول : تراجمه تبدأ بمن أسمه أحمد وتنتهي بأسم آمنة بنت نصر الله (٢٦) مع فهارس الجزء (٢٧).

والجزء الثاني أبتدأ فيه من أسم آمنة بنت نصر « ... عمة صاحبنا العلامة عز الدين أحمد المقدم ، ولدت سنة سبعين وسبعمائة «(٢٨) وتنتهي بترجمة حمزة بن علي بن محمد (٢٩) مع فهارس الجزء (٣٠)

الجزء الثالث : الذي يبدأ بحرف الحاء الموحدة بمن أسمه (خالد بن جامع بن خالد) (٣١) وينتهي بمن أسمه عطا بن

عبد العزيز» ... بمعجمتين الاولى مضمومة ...» (٣٢)
وتضمن الجزء الرابع والذي يبدأ بأسم علي بن إبراهيم بن سليمان (٣٣) وينتهي بمن أسمه محمد بن الشرف أبي بكر بن الشيخ محمد بن بن نبهان الجبريني(٣٤)

– مادة الكتاب

مال البقاعي شأنه شأن المؤرخين الى التفنن في ترتيب وتنسيق كتابه ونظمه نظاما وثق فيه أسم المترجم له على حروف المعجم حيث يتم من خلاله سهوله البحث من غير مشقة أو عناء ، وفقا لما سبقه الى ذلك من أصحاب التراجم (٣٥) مبتدئاً من الرجال بالاسماء ثم بالكنى ثم الانساب والالقاب تتعلق كلها برجال ونساء عاشوا في القرن التاسع الهجري في كل من مصر والشام والحجاز والعراق والهند وبلاد الروم وأفريقيا والسودان والاثر الفكري الذي تركوه في تلك الحقبة التأريخية (٣٦) ولم يقتصر كتابه على الشيوخ الذين تعلم منهم فقط ، بل شمل الاقران الذين عاصرهم وهذا يعكس أهتمامه بتوثيق المشهد العلمي والثقافي الذي عاش فيه .

– دوافع تأليف الكتاب

أن تنوع أتجاهات الاعلام المترجم لهم ، ومدى توافر عدد الموارد وتباين نوعيتها من جهة أخرى ، فكان الهدف الاساس للبقاعي في تأليف كتابه هذا ، لتنويه بمكانه هؤلاء الاعلام ومكانتهم ومشاركاتهم في الثقافة العربية الاسلامية أولا ، وفي الحياة العامة ثانياً لأنه قد ترجم لمختلف شرائح المجتمع الاسلامي آنذاك ، مما يجعل القاريء يلتمس السمات المختلفة في الترجمة الواحدة ، بالاضافة الى ذلك نلاحظ تنظيمه الدقيق والواضح عند ذكره لعدد من تراجمه الطويلة ، لذا تضمن الكتاب مجموعة كثيرة من التراجم التي توضح من خلالها منهج البقاعي في عرض مادة كتابه.

–طريقة البقاعي في عرض الترجمة في كتابه (عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والاقران) وتشمل :

– تقسيم تراجم الكتاب .

من المعروف أن لكل كتاب منهجا معينا ينتهجه مؤلفه ، والبقاعي في كتابه (عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والاقران) سار وفق منهج رسمه لنفسه والتزمه – في أكثر تراجم كتابه ففي مقدمة كتابه وجدناه يذكر الذين سيترجم عنهم أذ قال « فهذه تراجم شيوخي الذين أخت عنهم فنون العلم تطلابا ، ورتبت على حروف المعجم أسماءهم وأسماء آبائهم وأن علو أنساباً...)(٣٧)

فهو في هذا النص يترجم لكل من صنف الرواة ، فبذلك جمع أكبر عدد من التراجم ، لان صفة العلماء السابقين الموسوعية ، فقلما نجد عالما لم يصنف أو يدرس أو يروي ، فتراجم البقاعي في كتابه لايشترط فيهم النبوغ في علم محدد ، وهذا يفسر لنا وجود تراجم لعلماء أشتهروا بالقراءات والحديث أو الفقه أو شعراء أو أدباء .

وقد ذكر البقاعي التسلسل الذي سينتهجه في ترتيب تراجم كتابه أذ قال «... بدأته بالاحمدين تيمُنا بأسم سيد الأولين والآخرين ، عليه منّ صلاة وسلاما دائمين ...» (٣٨)

وأن هذا النص يبين لنا طريقة البقاعي شأنه شأن معظم المصنفين العرب من خلال استهلاله بالبسملة والحمد لله والثناء عليه والصلاة والسلام على نبيه وسيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

فمن خلال ماتقدم نجد أن البقاعي جعل تسلسل تراجمه بحسب حروف المعجم وهي :(أ، ب، ت، ث، .... الخ).

وأنه التزم ترتيب حروف المعجم (الألفبائي) في ترتيب اسماء المترجم لهم حتى في أسماء الآباء والاجداد نحو قوله في ترجمة «...أحمد بن أبراهيم بن محمد بن خليل الإمام الفاضل الأديب أبو ذر ...» (٣٩)

فمثلا أسم :(أحمد بن أسماعيل بن أبي بكر) مقدم على (أحمد بن أسماعيل بن عثمان) لأن اسم الأبوين أيضاً يخضع للترتيب .(٤٠)

بعد هذا التوضيح لتناول اسماء التراجم عند البقاعي نأتي الى معالجة لواقع هذه الاسماء ، إذ نرى أنه قسم كتابه الى ثلاثة أقسام بحسب نوع الاسم وشكله وشهرته فمن أشتهر بأسمه جعله في قسم الاسماء ومن أشتهر بكنيته جعله في قسم

الكنى ونلاحظ في كتابه (عنوان الزمان) أن قسم الاسماء قد أخذ الجزء الاكبر في كتابه نحو قوله في ترجمة «خالد بن جامع بن خالد ،زين الدين البسطامي ...»(٤١)

ومن الجدير بالذكر أن البقاعي لم يغفل في تراجمه عن ذكر النساء نحو قوله في ترجمة « خديجة بنت الشيخ فرج بن عبد الله الزيلعي ..»(٤٢)

ومن المعروف أن بداية الترجمة تكون بتعريف الأسم والنسب ، ثم يبدأ بأخبار المترجم ، وهذا مانجده في كثير من كتب التراجم ، لكن البقاعي عزف عن ذلك وأتخذ صيغاً مختلفة في ترجمته ، فيعد ذكر أسم المترجم عنه ينتقل مباشرة الى نسبته أو علمه أو مدينته أو كتاب أشتهر به ، وأن هذا التنوع كان الهدف منه هو الايضاح للقاريء دون أن يجهد نفسه لما كان العلماء يشتهرون به سواء أكان بالالقاب أو الكنى نحو قوله في ترجمة : « خلف بن علي بن محمد ... المغربي الاصل « (٤٣)

ويستعمل البقاعي أيضا للتعريف بالعلم الذي يختص بها المترجم نحو قوله في ترجمة «أحمد بن حسين ... الشافعي ، الامام العالم العلامة الورع ...»(٤٤)

وترجمة «أحمد بن رجب بن طبيغا ... أشتغل بالعلوم فبرع في كثير منها وهو الان رأس الناس في الحساب بأنواعه والهندسة وفي الفرائض وعلم الوقت بلا منازعه وله في ذلك مصنفات فائقة ...» (٤٥)

وترجمة ابراهيم بن محمد ... الحداد الدمشقي الشافعي المقريء»(٤٦)

ولكي تتضح لنا المسألة نرجع الى كتاب البقاعي في ذكر المدينة التي ينتمي اليها المترجم له نحو قوله في ترجمة أحمد بن عبد الرحمن ... أبي الفرج الدمشقي ...» (٤٧)

«ابراهيم بن محمود ... نزيل أشبيلية « (٤٨)

وكان كثير الأشادة بالمترجم له والثناء عليه وتقويمه بعبارات وجيزة دالة كقوله في ترجمة أسماعيل بن أبراهيم «... الإمام العلامة ...»(٤٩)

وفي ترجمة خلف بن علي بن محمد بن أحمد ، المغربي الاصل «... الإمام العالم العلامة مفتي المسلمين وصالحهم ...»(٥٠)

وكثيراً ماكان البقاعي ينوه الى أن المترجم له من حفاظ القرآن الكريم أو تالياً له ،كقوله في ترجمة علي بن محمد بن أبراهيم « حفظ القرآن والمنهاج ومختصر أبن الحاجب الأصلي وألفية أبن مالك ...» (٥١)

وترجمة علي بن محمد بن حسن الاشموني « ...أنتقل الى فارسكور وقرأ بها القرآن ...» (٥٢)

ويلاحظ أيضا أن البقاعي كان شديد الحرص والولع بذكر خط المترجم له وجودته وأتقانه فهو يشير أليه كلما وجد ذلك ضرورياًأو حصلت لديه معلومات نحو قوله في ترجمة أحمد بن حسن الرباط بن علي «... كتب الخط الحسن وتعانى الكتابة الى أن مهر في صنعة الترسل وكان يرتزق منها عند التركمان «(٥٣)

وترجمة عبد الله بن محمد بن موسى «... قرأ القرآن وكتب الخط الحسن ...» (٥٤) ، وترجمة محمد بن أبي بكر بن علي بن حسن « ... وكتب الكثير بخطه الجيد ...» (٥٥)

وترجمة عائشة بنت علي بن محمد «... تعلمت الخط فكتبت الكتابة الحسنة ...»(٥٦) ،وعبارات دالة على ذلك «وكتب الكثير بخطه الدقيق الحسن «(*)ج٢،ص١٤١، وترجمة كلثوم بنت عمر بن صالح «... الكاتبة ... قرأت القرآن جميعه وكتبت الخط الحسن بدمشق ...»(٥٧)

ولعل هذه الدلالات الأيضاحية التي أستعملها البقاعي في بداية الترجمة إنما يجعلها علامة موضحة ودالة على صاحب الترجمة وتسهل علينا معرفة المترجم عنه عن طريق شهرته بأحدى هذه الدلالات .

وعلى الرغم من تفاوت نسبه هذه الدلالات من حيث الكثرة والقلة لكن البقاعي كان يستعملها للايضاح من خلال العلم الذي يختص به المترجم عنة او عن طريق مدينة المترجم له أو شيخ المترجم ثم أشهر مصنفاته كلها أستعملها البقاعي

في كتابه كله .

– ذكر مؤلفات المترجم عنه :

لقد اولى البقاعي ذكر المؤلفات التي ألفها أصحاب التراجم في العلماء وغيرهم عناية كبيرة حتى تحصلت لديه نتيجة لذلك ثروة كبيرة في المؤلفات في شتى فروع العلم والمعرفة .

وقد يتفاوت ذكر مؤلفات المترجم عنه بحسب مايطلع عليه البقاعي أو يسمع عنه أو ينقله من مصادر أخرى، فقد يذكر البقاعي حجم الكتاب الذي يترجم لمؤلفه نحو قوله في ترجمة أحمد بن علي بن عبد القادر ، المقريزي «... ذو التصانيف الباهرة ... قرأت عليه تصانيف من تصانيفه منها كتاب أمتاع الاسماع بما للرسول من الابناء والاخوال والحفدة والمتاع «ست مجلدات كبار وكتاب المدخل اليه مجلدان ودرر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة ، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار في عشر مجلدات وعقد جواهر الاسفاط في أخبار مدينة الفسطاط في مجلدة وكذا أتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا وكتاب السلوك بمعرفة دول الملوك في أربعة مجلدات والتأريخ الكبير «المقفى « في ستة عشر مجلداكبار»(٥٨)

وترجمة حسين بن عبد الرحمن بن محمد بن علي الحسيني «... صنف كشف الغطا عن حقائق التوحيد وعقايد الموحدين وفضل الائمة الأشعريين وذكر بعض من خالفهم من المبتدعين وهو مجلد ضخم ، وكتاب «التنبيهات على التحرر في الروايات « وكتاب « الرسائل المرضية في نصرة مذهب الاشعرية « وبيان فساد مذهب الحشوية ...»(٥٩)

ولم يكتف البقاعي بذكر المصنفات فقط بل أنه قد يكر رأيه فيها نحو قوله ترجمة أحمد بن أبي بكر بن أسماعيل بن قايماز»... ومن مصنفاته أستدراك على ترغيب المنذري وسماه تحفة الحبيب للحبيب بما يزيد على الترغيب والترغيب فجاء في حجم الترغيب ...»(٦٠) ، وكذلك» في مجلد لطيف « (٦١)

وأسهب في عرض هذه المؤلفات مظهراً رأيه في قسم منها أعجابه فيه أحياناً نحو قوله في ترجمة أحمد بن حسين بن حسن بن علي بن رسلان «... له تصانيف كثيرة نافعة ...»(٦٢)

– ذكر الرحلات

كانت الرحلة في طلب العلم من الامور المألوفة لدى طلاب العلم في ذلك الوقت ، اذ هجروا أوطانهم وأنتقلوا من بلد الى آخر متحملين بذلك شتى أنواع الصعاب طلباً للعلم ، موثقين العرى بين علمائها وتلامذتها جاعلين العالم الاسلامي أشبه مايكون بمدينة واحدة (٦٣)

ونظراً لأهمية الرحلة في تحصيل علو الأسناد ، وقدم السماع ، ولقاء الحفاظ والمذاكرة لهم والاستفادة منهم (٦٤)

والبقاعي أنتهج في كتابه ذكر رحلات العلماء الذين يترجم عنهم فكان كثيراً يشير الى أسم البلد الذي رحل اليه المترجم والعلم الذي درسه نحو قوله في ترجمة أحمد بن أسماعيل بن أبي بكر الأبشيطي «... أنتقل الى حصن كيفا فدرس على الشيخ جلال الدين الحلواني في العربية ، ثم قدم دمشق في حدود سنة ثلاثين وثمانمائة ، ثم قدم القاهرة في سنة خمس وثلاثين ...» (٦٥)

وترجمة أبراهيم بن علي بن محمد بن ظهيرة المخزومي «... رحل سنة أحدى وخمسين الى القاهرة وأخذ عن مشايخها كشيخ الاسلام ابن حجر علم الحديث والفقه ، وعن الكمال بن الهمام الأصوا الفقهية وعن التقي الشمني المنطق والنحو وعن الشريف يحيى المناوي الفقه ...»(٦٦) وترجمة أبراهيم بن عمر بن إبراهيم « ... رحل الى القاهرة سنة ثلاث وأربعين ، وأخذ الجبر والمقابلة والمساحة عن الشهاب المجدي ،... والتصريف والنحو عن الشيخ شهاب الدين بن يهوذا ...»(٦٧)

ويورد المرات التي تتكر فيها رحلات بعض مترجمية نحو قوله في ترجمة رجب بن يوسف بن سليمان المالكي «... سافر الى أسكندرية ودمياط مراراً ...» (٦٨)موكانت القاهرة في عصر البقاعي من أكثر المدن الاسلامية أستقطاباً لطلبه العلم لذا نراه يعني بذكر من ورد اليها في هذه المدة بشكل خاص ، مكثراً لأستخدام عبارة (رحل الى القاهرة)

(٦٩)، أو للقتال (٧٠).

وبالاضافة الى أهمية الرحلة العلمية من أجل طلب العلم فهناك أشارات أوردها البقاعي الى أسباب الرحلة لبعض مترجميه هو كان بسبب تردي الاحوال السياسي نحو قوله في ترجمة عبد السلام بن أحمد بن عبد المنعم « وأرتحل الى السلطانية وبحث مقدمة الشافعية والحنفية ... ثم وقعت فتنة تمر العظمى ، نجاه الله أرتحل الى بلاد العجم فبحث الحاوي للشافعية ...» (٧١)

– الوظيفة والمهنة للمترجم لهم :

عني البقاعي بذكر الوظيفة التي يشغلها المترجم ، وذلك من خلال تتبعه لوظائف صاحب الترجمة محددا المكان الخاص بالوظيفة سواء أكان في محلة أو مدينة أو بلدة نحو قوله في ترجمة أحمد بن علي بن أحمد بن عباس «... نزيل المدرسة الخروبية على شاطيء النيل في مدينة الجيزة ومؤدب الاطفال بها ...» (٧٢)

وترجمة أحمد بن محمد بن عبد الله بن حمزة «...وولى مشيخة خانقاه المحسني بأسكندرية ... وولي عقود الانكحة بالديار المصرية ...» (٧٣)

وبصورة عامة يكون البقاعي قد وضح لنا بعض جوانب الحالة الأدارية في عدد من المدن العربية الاسلامية ، كما عني بذكر وظيفة المترجم له ، وهي من الأمور الرئيسة في التراجم نحو قوله في ترجمة عبد الرحيم بن أحمد بن يعقوب «... وولي أمانة الحكم ...»(٧٤) وترجمة أم الخير بنت أحمد بن عيسى بن محمد «... الكاتبة القادرية الفاضلة ...» (٧٥)

وترجمة علي بن محمد بن أقبرس الشافعي «... وولاه وظائف منها نظر الأوقاف ...»(٧٦)ويوضح لنا البقاعي أيضا بعض الوظائف العسكرية نحو قوله في ترجمة حسن بن علي بن جوشن المصري «... الركاب بالاسطبلات السلطانية كأسلافه والركاب في أصطلاحهم هو أن يروض الخيل ويؤدبها ...»(٧٧) كون مهنة ترويض الخيل تعد جزءاً من الوظائف ذات الطابع العسكري ، ذلك لأن الخيل كان لها دور محوري في النظام العسكري .

ويلاحظ في هذا أنه دأب في ذكر المدارس التي درس بها المترجم لهم ولاسيما مدارس القاهرة المختلفة نحو قوله في ترجمة طاهر بن محمد بن علي بن محمد «... وولي تدريس المالكية بالبربوقية على الشمس أبن عمار ...» (٧٨)

وترجمة عبادة بن علي بن صالح بن عبد المنعم «... مدرس المالكية بالاشرفية المستجدة ...»(٧٩) وكل «... درس الشيخ المقبلي بأسكندرية في مدرسة أبن الريفي ...»(٨٠)

وغالبا مايشير الى الاماكن التي تولى بها صاحب الترجمة وظيفته كقوله في ترجمة عبد الكافي بن أحمد بن الجوبان بن عبد الله «... نائب كاتب السر بدمشق ...» (٨١)

وقد يشير الى المدة التي قضاها صاحب الترجمة في وظيفته كقوله في ترجمة أحمد بن أبي بكر بن علي «... وولي قضاء حلب وأستمر بها مدة ...» (٨٢)

وعني أيضا بذكر حرفة أو نوع العمل الذي يقوم به المترجم مثال ذلك في قوله بترجمة أبو بكر بن عبد الله المناوي «... وأرتزق من صنعة الخياطة ...» (٨٣) وترجمة عبد المنعم بن محمد بن عبد المولى «... وأرتزق الخياكة ...» (٨٤) ، وترجمة علي بن محمد بن رشيد السلسيلي الحصري «... أرتزق من صنعة الحصر ...» (٨٥)

، وترجمة قاسم بن عبد الرحمن بن محمد الكويك « ... وهو يرتزق بالتقبين والخياطة ...»(٨٦) ، أرتزق في بيع العطر(٨٧)» ،» وهو يرتزق بيع الكعك (٨٨)» ،وقد أولى أيضا البقاعي أهتما بالمترجم لهم في المعدلين وذكر ذلك في ترجمة محمد بن أبي بكر بن عبد الوهاب «... وهو من جملة العدول بحانوت القطانين بالمحلة ...»(٨٩)

والذي يتبين من هذه الرحلات أن البقاعي يذكر رحلة طلب العلم والعلماء من أجل التعلم وأفادة طلب العلم وهو بذلك يفيدنا في معرفة المترجم ، والمصنفات الخاصة بهم ، والامصار التي زاروها في رحلة طلب العلم .

– نقل أشعار المترجم عنه

من المعروف أن كتاب (عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران) هو كتاب جامع لكل من له مشاركة بتأليف أو تدريس

أو رواية لذا ترجم البقاعي للشعراء وذكر بعض أشعارهم ،لانه يعكس ثقافة المجتمع ، فكان أهتمام البقاعي بالشعر في تراجمه ، فقد يثبت الشواهد الشعرية والتي أظهر من خلالها القيم العربية للمترجم له نحو قوله في ترجمة أبو بكر بن علي بن عبد الله المشهدي « نسبة الى مشهد الحسين (ع) قرب جامع الازهر من القاهرة له تصانيف في الوراقة ونظم قصيدة في الكعبة الشريفة ...»(٩٠) وقد ترجم لعدد من الشعراء وأستشهد بنماذج من أشعارهم وكان يصفها بألفاظ تدل على أستحسانه لبعضها في ذلك قوله في ترجمة

علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن « ...وعني بالشعر فأتقن الزجل ..» (٩١) وترجمة أحمد بن أبي السعود أسماعيل بن إبراهيم الفاضل الاديب»أنشدني كثيراً من نظمه وكنت أصلح له بعض القوافي «(٩٢)

وقد يذكر روايته لشعر من يترجم عنه كقوله «.... أنشدنا هذا الشعر الآتي في التأريخ المذكور ...» (٩٣) وترجمة علي بن علي بن ناصر «... أنشدني نظماً رائقاً...»(٩٤)

كما كانت له تعليقات حول الأبيات الشعرية بصورة عامة كثيرة جداً بأستخدامه بعض الألفاظ سواء أكان مدحاً او ذماً للأبيات الشعرية نحو قوله» نظمها وسط «(٩٥) ،»ربما وقع له الشعر الجيد «(٩٦)، ،»وله نظم رديء كتصوره «(٩٧) ، « وله شعر كثير جيده قليل ...غير واف ...»(٩٨) ،»وهي من نظمه فيما أظن «(٩٩) « يمدح الاكابر بشعر جيد وسط « (١٠٠) ،»نظم في البحور ومهر في الزجل «(١٠١) ، «نظم الشعر الحسن «(١٠٢) ، «وله الشعر الحسن الكثير «(١٠٣)

وحرص أيضا على ذكر قصائد طويله لبعض تراجمه ونوه بذلك نحو قوله في ترجمة علي بن جمعة بن أبي بكر «... أنشدني قصيده له طويلة جداً جزلة الالفاظ عذبتها جيدة المعاني فحلتها متمكنة القوافي ...»(١٠٤) وترجمة عمر بن يوسف بن عبد الله « ونظم في العربية قصيدة على نحو الشاطبية في مائة بيت غريبة في فنها ...»(١٠٥)

ذكر سني الولادة والوفاة .

ذكر سني الحوادث في التراجم أمر في غاية الاهمية ،إذ به يحدد عصر المؤلف فضلاً عن المتعلقات الأخرى في الحادثة أو الترجمة ، ومن هذه السنين المهمة هو ذكر سني الولادات والوفيات .

ترد ولادة صاحب الترجمة بعد الأسم وملحقاته كاللقب والكنية والنسب وقد حرص البقاعي على ذكر المولد في أغلب تراجمه بأستثناء بعض منها ، أما الوفاة فيضعها في آخر الترجمة ، والذي عن طريقه يتم تحديد أعمار الرجال وله أهمية كبيرة في الأطمئنان على لقاء المترجم لمشايخه وسماعه عليهم أو أجازته عنهم ،فكان المحدثون يتتبعون المواليد ويسألون الشيخ عن مولده قبل السماع منه أو الأخذ عنهفأذا ماوجدوا له رواية قبل هذا التأريخ أو في سن لاتحتمل السماع حكموا بكذبه في هذه الرواية (١٠٦)

وقد عني عناية كبيرة بذكر الولات قدر أمكانه وحدد أعمار المترجم، وقد أتخذ في ذلك عدداً من الأساليب فمرة يذكر تأريخ الولاة مقترناً بأسم اليوم والشهر والسنة ، نحو قوله في ترجمة أحمد بن محمد بن سليمان الحنفي «... ولد يوم الجمعة عاشر ربيع الأول سنة ثمانمائة ...»(١٠٧) وتارة يذكر الشهر والسنة نحو قوله في ترجمة أحمد بن محمد بن التيجاني «... ولد في ربيع الأول سنة أثنتين وثمانمائة ...»(١٠٨)

، أو بالسنة فقط نحو قوله في ترجمة أحمد بن إبراهيم بن محمد « ...ولد سنة ثماني عشرة وثمانمائة ...»(١٠٩) وترجمة أحمد بن علي الزملكاني «... ولد سنة سبعين وسبعمائة ...»(١١٠) وترجمة أحمد بن علي بن محمد بن الحصين «... ولد سنة أثنتين وثمانين وسبعمائة ...»(١١١)

وفي حالة عدم تأكده من تأريخ ولادة المترجم بصورة دقيقة أو صحيحة نراه يذكر عبارات تدل على الشك والظن مثل حدود أو تقريباً نحو قوله في ترجمة أحمد بن أبي بكر بن علي «... ولد تقريباً سنة ثلاث وستين وسبعمائة ...»(١١٢) وترجمة أحمد بن عبد الرحمن بن حمدان «... ولد سنة ست وسبعين وسبعمائة ظناً...»(١١٣) وترجمة أحمد بن عبد الرحمن «... ولد في حدود ستة عشر وثمانمائة على ما أظن في الرملة ...»(١١٤) وترجمة بركة بنت سعد «... قرأت

بخط شيخنا أنها ولدت بمنية عقبة في حدود الستين وسبعمائة ...»(١١٥)

أو يحدد يوم من أيام الاسبوع نحو قوله في ترجمة أحمد بن محمد بن بدران « ... ولد ليلة الجمعة خامس عشر ذي القعدة سنة أحدى وتسعين وسبعمائة بدمشق ...»(١١٦)

وفي أحيان أخرى ذكر تأريخ الولادة يعتمد أيضا على معرفة المترجم لنفسه وشير بذلك نحو ترجمة أحمد بن إسماعيل ، الامام العلامة الكوراني «... ولد سنة ثلاث عشر وثمانمائة كما أخبرني ...»(١١٧) وفيما يخص الوفاة فقدأعتاد البقاعي أن يذكر سنة الوفاة في نهاية الترجمة ، كما في ترجمة أحمد بن إبراهيم «... مات في ي القعدة سنة ٨٣٩ « (١١٨) ، وربما أخل في بعض التراجم فيذكر أحياناًفي بداية الترجمة أو في وسطها كما في ترجمة أحمد بن أبراهيم بن محمد «... مات سنة ٨٤٩...» (١١٩)

وقد لا يكتفي بذكر سنة الوفاة بل يذكر معها الشهر واليوم ، والمكان الذي توفي فيه المترجم عنه وذلك نحو قوله «... توفي رحمه الله يوم الأثنين سادس عشر شوال سنة إحدى وأربعين وثمنمائة بحلب «(١٢٠)أو نحو قوله «... مات يوم الاثنين ثالث عشري شوال سنة أربع وستين وثمانمائة بمنزله بالمدرسة الفاضلية بدرب الملوخية من القاهرة « (١٢١)

وكذلك قد يذكر البقاعي سبب الوفاة نحو قوله في ترجمة عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم بن علي «... مات قبل سنة أربعين مقتولا « (١٢٢) وترجمة عبد الغني عبد الواحد بن إبراهيم «... أدركه أجله سنة ثلاث وثلاثين بالطاعون المشهور «(١٢٣)

فهذه المعلومات التي أتضحت من خلال البحث والاستقصاء ، لكلام البقاعي عن الولادات والوفيات والذي نراه عليها أنها كانت مختلفة نوعا ما في الأختصار والأسهاب ولعل السبب الواضح وهو مايتوافر عند البقاعي من معلومات حول الولادة والوفاة فيذكرها فالمسألة تتناسب طرديا مع ماعند البقاعي من معلومات حول حادثة الوفاة أو الولادة .

الخاتمة :

أظهرت هذه الدراسة التي تناولت فيها منهج الامام برهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥هـ)في كتاب عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والاقران ، الدور البارز والفعال الذي تميز به ممن ترجم لهم الامام البقاعي من خلال ابراز نتاجاتهم الفكرية والعلمية في تلك الحقبة التأريخية التي عاش فيها مؤرخنا ، كونه واحداً من أبرز العلماء والمفكرين العرب الذي نبغ في مجالات علمية مختلفة ، كالحديث والفقه والتأريخ وغيرها من العلوم الاخرى ، وان كتابه عنوان الزمان يعد أشهر وأوسع مؤلفات كتب التراجم بفضل ماتميز به من مميزات كونه كتاباموسوعيا لأحتوائه على عدد كبير من التراجم المختلفة ، فهو كتاب جامع للحوادث والتراجم ، تميز بأسلوبه الذي يجمع بين الدقة والموضوعية وهو سجل يعكس الحياة الفكرية والاجتماعية والثقافية في القرن التاسع الهجري والذي يعد جزء أساسي في التأريخ وله أهمية كبيرة في التوثيق التأريخي .

الهوامش:

١–السخاوي : شمس الدين أبو الخير محمد (ت ٩٠٢/١٤٩٦م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ،ج١،ص١٠١،الزركلي : خير الدين محمود بن محمد (ت ١٣٩٦هـ)، الاعلام ، دار العلم للملايين ، ٢٠٠٢، ج١، ص٥٦

٢– ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ / ١٢٢٩م)، معجم البلدان ، دار صادر بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٥،ج١، ص٤٧٠

٣–زهر صالح إسماعيل أبو عبيد ، منهج البقاعي في القراءات في تفسيره نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، رسالة ماجستير مقدمة الى الجامعة الاسلامية – غزة / كلية أصول الدين ١٤٣٣هـ_ ٢٠١٢م، ص٣٨

٤– السخاوي ، الضوء اللامع ،ج١،ص١٠١

٥– الضوء اللامع ، المصدر السابق ، ج١،ص١٠١

٦– كحالة :عمر رضا ، معجم المؤلفين ، مكتبة المثنى ، بيروت ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ج١، ص٧١

٧– زهر صالح إسماعيل أبو عبيد ، منهج البقاعي في القراءات في تفسيره نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، رسالة ماجستير مقدمة الى الجامعة الاسلامية – غزة / كلية أصول الدين ١٤٣٣هـ_ ٢٠١٢م، ص٤٠

٨- ابن العماد الحنبلي : عبد الحي بن محمد أبو الفلاح (١٠٨٩هـ/ ١٦٧٩م) ،شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح محمود الأرناؤوط ،خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط،دار ابن كثير، دمشق – بيروت
الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م،ج ،ص٥٠٩

٩-أكرم عبد الوهاب الموصلي ، الامام العلامة برهان الدين البقاعي ومنهجه في التفسير ، دار الفتح للدراسات ، الطبعة الاولى ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م ، ص٢٩.

١٠- الدمشقي : عبد القادر بن محمد النعيمي (ت ٩٢٧هـ) ،لدارس في تاريخ المدارس ، تح إبراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية ،الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م،ج١، ص٣٣،ابن العماد :شذرات الذهب، المصدر السابق ، ج٩ ،ص٥٠٩،برهان الدين البقاعي ومنهجه في تفسيره دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرآن العظيم: عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة ،ص١٢
k -١٤ ٢٩٧١١= www.dahsha.com/viewrticte.php idv.

١١- شذرات الذهب، المصدر السابق ،ج٩،ص٢٤٧

١٢- الضوء اللامع ، المصدر السابق ،ج٢،ص ٢٨٤

١٣- الضوء اللامع ،ج١،ص١٣٨

١٤- شذرات الذهب ، المصدر السابق،ج١،ص٧٤

١٥- ابراهيم بن عمر البقاعي ، أظهار العصر لاسرار أهل العصر (ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م) ، تح محمد سالم بن شديد العوفي ، الطبعة الاولى ١٩٩٢ص٢٨.

١٦- زهر صالح إسماعيل أبو عبيد ، منهج البقاعي في القراءات في تفسيره نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، المصدر السابق ، ص٦٩

١٧- السيوطي : جلال الدين (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)نظم العقيان في أعيان الأعيان ، تح ، فيليب حتي ، المكتبة العلمية ، بيروت ،ج١، ص٢٤، الزركلي : خير الدين ، الاعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، الطبعة السابعة ، ١٩٨٦، ج١، ص٥٦

١٨- ابراهيم بن حسن البقاعي (٨٠٩-٨٨٥هـ)، عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والاقران ، تح حسن حبشي ، دار الكتب والوثائق القومية ، الطبعة الاولى (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١)، ج١، ص٣٣

١٩- ابراهيم بن عمر البقاعي ، أظهار العصر لاسرار أهل العصر ، المصدر السابق ،ص٢٣

٢٠- السخاوي ،الضوء اللامع ج٤، ص٦٦٥،الشوكاني : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت ١٢٥٠هـ) ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، دار المعرفة ، بيروت ، ج١، ص٣٢٨.

٢١- ابن العماد ، شذرات الذهب ج١٠، ص١٦٨

٢٢- الغزي : نجم الدين (ت١٠٦١هـ/١٦٥١م)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، حققه وضبط نصه جبرائل سليمان جبور ، الطبعة الثانية ،دار الآفاق الجديدة ،١٩٧٩،ج١، ص٢٥٠.

٢٣- الغزي : الكواكب السائرة ج٢، ص٥.

٢٤- ابراهيم بن حسن البقاعي ،عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والاقران ، ج١،ص٣١.

٢٥- البقاعي : عنوان الزمان ، المصدر السابق ،ج١،ص٣١

٢٦- م.ن :ج١،ص٣٨

٢٧- م.ن :ج١ص٢٧٣-٢٨٣

٢٨- م.ن : ج٢،ص٩٦

٢٩- م.ن: ج٢، ص٢١٢

٣٠- م.ن:ج٢ ،ص١٨٥-١٩٩

٣١- م.ن: ج٣،ص٢١٣

٣٢- م.ن:ج٣،ص٣٤٩

٣٣- م.ن :ج٤،ص٥

٣٤- م.ن : ج٤،ص١٩٣
٣٥- سالم : السيد عبد العزيز ، التأريخ والمؤرخون العرب ،(الاسكندرية ، ١٩٨١م)، ص١٢١
٣٦- م.ن : ج١،ص١٢
٣٧- م.ن : ج١، ص٣١
٣٨- م.ن : ج ١،ص٣١
٣٩- م.ن : ج١، ص٢٨
٤٠- م.ن : ج١،ص٦٠
٤١- م.ن : ج٣ص٩
٤٢- م.ن : ج٣،ص١٠
٤٣- م.ن : ج٣،ص١١
٤٤- م.ن : ج١، ص٦٨
٤٥- م.ن: ج١، ص٧٤
٤٦- م.ن : ج٢،ص٧٨
٤٧- م.ن : ج١،ص٨٠
٤٨- م.ن : ج٣،ص١٠٢
٤٩- م.ن : ج٢،ص١٣٥
٥٠- م.ن : ج٣،ص١٢
٥١- م.ن: ج٤، ص٥٤
٥٢- م.ن: ج٤،ص٦١
٥٣- م.ن: ج١،ص٦٦
٥٤- م.ن: ج٢، ص١٤١
٥٥- م.ن: ج٤،ص١٨٠
٥٦- م.ن : ج٣،ص٥٢
٥٧- م.ن: ج٤، ص١٤٩
٥٨- م.ن : ج١،ص١١٠،وانظر ج٢،ص٥٩
٥٩-م.ن: ج٢، ص١٦٩
٦٠- م.ن: م.ن : ج١،ص٤٨
٦١- م.ن: م.ن :ج١،ص٢١٢وأنظر ج٢،ص١٠٥
٦٢- م.ن : ج١،ص٧١
٦٣- فاطمة زبار عنيزان : السخاوي وكتابه الضوء اللامع موارده ومنهجه ، الطبعة الاولى ٢٠١١م-١٤٣٢هـ، دار صفاء للنشر والتوزيع – عمان ،ص١٩١
٦٤- بشار :عواد معروف ،الذهبي ومنهجه في كتاب تاريخ الاسلام ، ط١، دارالغرب الاسلامي ، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م،ص٨١
٦٥- م.ن :ج١،ص٦١
٦٦- م.ن :ج٢،ص٧٥
٦٧- م.ن : ج٢،ص٥٨وأنظر أيضاًج٢،ص٨٥،ج٢،ص، ١١٢، ، ج٣، ٨٩،ج٣ ،ص ١١٣، ج ، ص١١٥ ، ج٣،ص١٥٤،ج٣، ج٤، ص٢٨
٦٨- م.ن :ج٣،ص١٧وأنظر ج٣، ص١٧٦،ج٤،ص٢٨،ج٣،ص١٦١
٦٩- م.ن : ج٢،ص٨٧وأنظر أيضا ج٢،ص١١٢
٧٠- م.ن: ج٢، ص١٦١
٧١- م.ن: ج٣، ص١١٥

٧٢- م.ن : م.ن : ج١،ص١٠
٧٣- م.ن: ج١،ص٢٠٨
٧٤- م.ن: م.ن : ج٣،ص١٠١
٧٥- م.ن : ج٢، ص١٣٠
٧٦-م.ن: ج٤،ص٥٩وأنظر أيضاًج٤،ص٣٦
٧٧- م.ن: ج٢،ص١٥٥
٧٨- م.ن: ج٣،ص٥٠
٧٩- م.ن: ج٣، ص٥٣
٨٠- م.ن: ج٣،ص١١٣
٨١- م.ن: ج٣ ، ص١٢١
٨٢- م.ن: ج١، ص٤٦
٨٣- م.ن : م.ن : ج٢، ص١١٤
٨٤- م.ن : ج٣، ص١٦١
٨٥ - م.ن: ج٤، ص٦٤
٨٦- م.ن : ج٤، ص١٤٥
٨٧- م.ن: ج١/٢٥٠
٨٨- م.ن: ج٤ص٢٩وأنظر أيضا ج٤،ص٣٣
٨٩- م.ن : ج٤،ص١٧٨
٩٠- م.ن: م.ن : ج٢،ص١١٧
٩١- م.ن : ج٤، ص ٩٥
٩٢- م.ن : ج١، ص٥٦
٩٣- م.ن : ج٤،ص٦٤
٩٤- م.ن : ج٤،ص٤١
٩٥-م.ن : ج١،ص٦٥
٩٦- م.ن : ج١،ص٨٦
٩٧- م.ن : ج١، ص١٠٢
٩٨- م.ن: ج٢، ص٢٤
٩٩- م.ن: ج١،ص١٠٩
١٠٠- م.ن: ج١،ص١٩٦
١٠١- م.ن : ج٤،ص٢٨
١٠٢- م.ن :ج٤،ص٣٢
١٠٣- م.ن: ج٣، ص٢٦وأنظر ج٤ ،ص١٩٢
١٠٤-م.ن : ج٤،ص٣٧
١٠٥- م.ن : ج٤،ص١٣٥
١٠٦- معروف : الذهبي ومنهجه ص٣٦٨-٣٦٩
١٠٧- م.ن :ج١،ص١٨٥وأنظر أيضاً ج٢،ص١٦٠، ج٣،ص٦٢،ج٤،ص٥٦
١٠٨م.ن:ج١،ص٢١٠وأنظرايضاًج٢،ص١٣٤،ج٣،ص٦٤،ج٣،ص٦٨،ج٤،ص٥٧
١٠٩- م.ن : ج١،ص٣٨
١١٠- م.ن :ج١،ص١١١
١١١-م.ن:ج١،ص١١٤وانظر ايضا ج١،ص١،٧٤ج،٨٠،ج١،ص١،٨٥/ص١٤٠، ج١،ص١٨٤،ج١،ص١٦٨،ج٢،ص١٠

٢،ج٢،ص١١٣،ج٣،ص٦٢،ج٣،ص٧٠، ج١٤،٤،ج٤،ص٤٠
١١٢– م.ن :ج١، ص٤٦
١١٣– م.ن:ج١،ص٨٥
١١٤– م.ن:ج١، ص٨٤
١١٥–م.ن:ج٢،ص١٤٦وأنظرأيضاج١،ص٦ ج١،ص١،٧٥،ص١،٧٩،ص١،٩٧،ص١٠٧،ج١،ص١٨٥،ج١،ص١٨٦،ج١ ،ص١٩٢،ج١،ص١٩٣،ج١،ص١٩٧،ج١،ص٢٣٦،ج١،ص٢٤٦،ج١،ص٢٤٨ ،١،ص٢٥٠،ج١،ص٢٦٤،ج١،ص٢٦٥ ،ج٢،ص١٥١،ج٢،ص١٥٢، ج٣،ص٩
١١٦– م.ن:ج١،ص٢٤٢وأنظر أيضاج٢،ص١١٩،ج٣،ص٦٢، ج٤،ص٥٦
١١٧– م.ن :ج١،ص ٦٠
١١٨– م.ن: ج١،ص٢١٨وأنظر ج٢،ص١٣٧،ج٤،ص٦٣
١١٩–م.ن: ج١، ص٤٠
١٢٠–م.ن: ج٢، ص٣٩
١٢١– م.ن : ج٣، ص٨٩
١٢٢– م.ن:ج٣، ص١٠٩
١٢٣–م.ن: ج٣،ص١١٨

المصادر والمراجع :

١– أبن العماد الحنبلي : عبد الحي بن محمد أبو الفلاح (١٠٨٩هـ/ ١٦٧٩م)،شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح محمود الأرناؤوط ،خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط،دار ابن كثير، دمشق – بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م
٢– ابراهيم بن حسن البقاعي (٨٠٩–٨٨٥هـ)، عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والاقران ، تح حسن حبشي ، دار الكتب والوثائق القومية ، الطبعة الاولى (١٤٢٢هـ– ٢٠٠١)
٣– أكرم عبد الوهاب الموصلي ، الامام العلامة برهان الدين ومنهجه في التفسير ، دار الفتح للدراسات ، الطبعة الاولى ١٤٣٥هـ– ٢٠١٤م
٤– بشار :عواد معروف ،الذهبي ومنهجه في كتاب تاريخ الاسلام ، ط١، دارالغرب الاسلامي ، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨
٥– الدمشقي : عبد القادر بن محمد النعيمي (ت ٩٢٧هـ) ،الدارس في تاريخ المدارس ، تح إبراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية ،الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م
٦– الزركلي : خير الدين ، الاعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، الطبعة السابعة ، ١٩٨٦
٧– زهر صالح إسماعيل أبو عبيد ، منهج البقاعي في القراءات في تفسيره نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، رسالة ماجستير مقدمة الى الجامعة الاسلامية – غزة /كلية أصول الدين ١٤٣٣هـ_ ٢٠١٢م
٨– سالم : السيد عبد العزيز ، التأريخ والمؤرخون العرب ،(الاسكندرية ، ١٩٨١م)
٩– السخاوي : شمس الدين أبو الخير محمد (ت ١٤٩٦/٩٠٢م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .
١٠– السيوطي : جلال الدين (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)نظم العقيان في أعيان الأعيان ، تح ، فيليب حتي ، المكتبة العلمية ، بيروت
١١– الغزي : نجم الدين (ت١٠٦١هـ/١٦٥١م)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، حققه وضبط نصه جبرائل سليمان جبور ، الطبعة الثانية ،دار الآفاق الجديدة ،١٩٧٩
١٢– فاطمة زيار عنيزان : السخاوي وكتابه الضوء اللامع موارده ومنهجه ، الطبعة الاولى ٢٠١١م–١٤٣٢هـ، دار صفاء للنشر والتوزيع – عمان
١٣–كحالة :عمر رضا ، معجم المؤلفين ، مكتبة المثنى ، بيروت ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت.
١٤– ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ / ١٢٢٩م)، معجم البلدان ، دار صادر بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٥

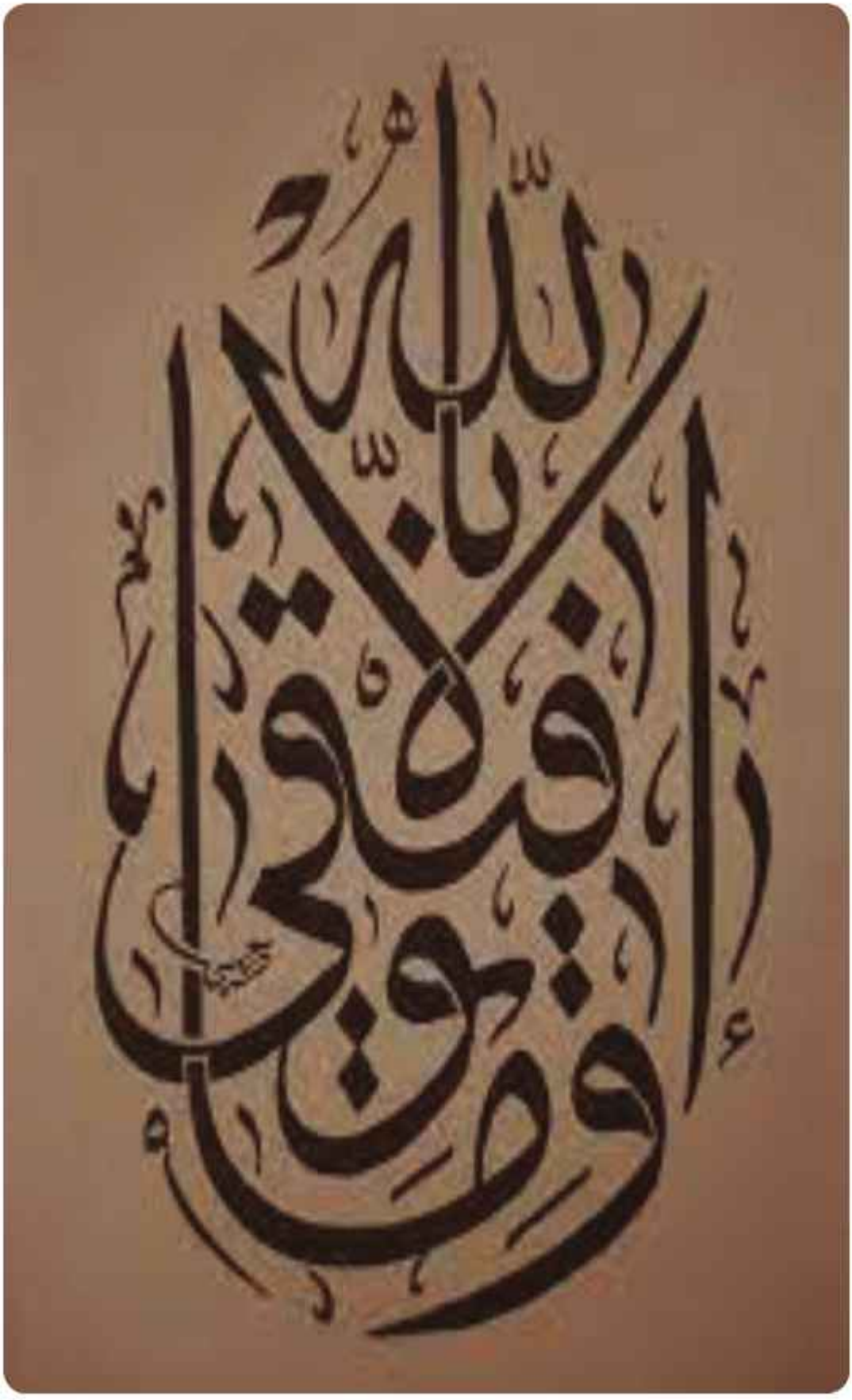

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

تأثير القواعد الفقهية على التشريعات العدلية
دراسة تأصيلية تطبيقية

أ. م.د. كريمة عبود جبر
الجامعة المستنصرية /كلية التربية الأساسية

المستخلص:
يهدف هذا البحث إلى بيان الأثر الفعّال للقواعد الفقهية في توجيه وصياغة التشريعات العدلية، من خلال دراسة تأصيلية تطبيقية تجمع بين الجانب النظري والجانب العملي. فتناول البحث تعريف القواعد الفقهية وبيان مصادرها في القرآن الكريم والسنة النبوية وآثار الصحابة والتابعين ومقاصد الشريعة، ثم وضّح مفهوم التشريعات العدلية وضوابطها وفق مقاصد الشريعة الإسلامية. وخصص البحث مبحثًا لتطبيقات قواعد فقهية مختارة، كقاعدة «الضرر يزال»، و«العادة محكمة»، و«الأمور بمقاصدها»، مبرزًا انعكاساتها المباشرة في قوانين الأضرار والأحوال الشخصية والمعاملات التجارية. كما تم تتبع حضور القواعد الفقهية في نصوص القوانين المدنية في بعض الدول العربية، مما يؤكد على حيوية الفقه الإسلامي في بناء نظام عدلي معاصر. وقد خلص البحث إلى أن القواعد الفقهية تمثل أداة مرنة وعميقة تُسهم في تحقيق العدالة والمصلحة، وتمنح التشريعات طابعًا شرعيًا وإنسانيًا متوازنًا.
الكلمات المفتاحية: القواعد الفقهية، التشريعات العدلية، القرآن الكريم،السنة النبوية.

Abstract:
This study aims to highlight the significant impact of Islamic legal maxims (Qawā id Fisheye) on the formulation and guidance of judicial legislation through a foundational and practical analysis. The research begins by defining legal maxims and exploring their sources in the Qur'an, Sunnah, the practices of the Companions and Successors, and the objectives of Sharia (Maajid al-Sariah). It then clarifies the concept and principles of judicial legislation in line with Islamic legal objectives. Selected maxims such as «Harm must be eliminated,» «Custom is authoritative,» and «Matters are judged by intentions» are examined for their applications in civil liability, personal status law, and commercial transactions. The study also traces the presence of these maxims in modern Arab civil codes, confirming the enduring relevance of Islamic jurisprudence in shaping contemporary legal systems. The research concludes that Islamic legal maxims provide a flexible and profound tool that supports justice and public interest, endowing legislation with a balanced ethical and legal foundation.
Keywords: Jurisprudential rules, judicial legislation, the Holy Qur'an, the Sunnah of the Prophet.

المقدمة:
الحمد لله الذي شرّع لنا الشريعة، وجعلها تامة شاملة، والصلاة والسلام على نبي الرحمة محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:
فإن القواعد الفقهية تمثل ركيزة أساسية في بناء الفقه الإسلامي، لما تتضمنه من أحكام كلية تضبط الفروع، وتسهل الفهم والاستنباط، وتُبرز وحدة المنهج الفقهي رغم تنوع المسائل. ومن جهة أخرى، فإن التشريعات العدلية في الدول الإسلامية المعاصرة تتطلب مرجعيات أصولية راسخة تحقق العدالة وتراعي مقاصد الشريعة، وهو ما توفره القواعد الفقهية بدرجة عالية من المرونة والاتساق..

ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث ليسلط الضوء على أثر هذه القواعد في توجيه وصياغة التشريعات العدلية، من خلال تحليل تأصيلي وتطبيقي، يُظهر العلاقة بين التراث الفقهي الأصيل والتقنين الحديث.

وقد سار البحث في خطته على أربعة مباحث أساسية؛ بدأ بالإطار النظري للقواعد الفقهية، ثم عرّج على مفهوم التشريعات العدلية وضوابطها، ثم استعرض نماذج تطبيقية لأهم القواعد الفقهية مجالات الاستفادة من نصوص القواعد الفقهية في بعض القوانين المدنية في القوانين المعاصرة، ليختتم برصد الاستفادة المباشرة من تلك القواعد في القوانين المدنية العربية، وذلك على النحو الاتي:

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من أربعة مباحث رئيسية، بالإضافة إلى الخاتمة، على النحو التالي:

المبحث الأول: الإطار النظري للقواعد الفقهية.

المطلب الأول: تعريف القواعد الفقهية.

المطلب الثاني: مصادر القواعد الفقهية

المبحث الثاني: التشريعات العدلية –المفهوم والنطاق.

المطلب الأول: مفهوم التشريعات العدلية.

المطلب الثاني: تأثير القواعد الفقهية على التشريعات العدلية

المبحث الثالث: نماذج تطبيقية للقواعد الفقهية على التشريعات العدلية

المطلب الأول: أثر قاعدة «الضرر يزال « في قانون الأحوال الشخصية.

المطلب الثاني: أثر قاعدة « العادة محكمة « في المعاملات المدنية.

المطلب الثالث: أثر قاعدة « المشقة تجلب التيسير « في التشريعات الجزائية أو العمل

المبحث الرابع: مجالات الاستفادة من نصوص القواعد الفقهية في بعض القوانين المدنية

الخاتمة: أهم النتائج التي توصل اليها البحث . التوصيات التي يقترحها الباحث لتفعيل دور القواعد في التشريعات العدلية.

راجيًا أن يسهم هذا العمل في تجديد النظر الفقهي في المجال التشريعي، وخدمة المقصد الأسمى للشريعة الإسلامية لتحقيق العدل والمصلحة.

المبحث الأول: الإطار النظري للقواعد الفقهية والتشريعات العدلية

المطلب الأول: تعريف القواعد الفقهية

القاعدة الفقهية مصطلح مركب من القاعدة والفقه، وهو مركب وصفي، ولبيان معناها لابد من بيان كل منهما على حدة أولاً ن ثم نبين معناها باعتبارها مركبا وصفيا ثانياً.

أولاً: تعريف القاعدة في اللغة والاصطلاح:

١– في اللغة:

القواعد مفردها قاعدة، وقد جاءت في اللغة بعدة معان أهمها الأساس (١). وقد وردت في القرآن الكريم بهذا المعنى كما في قوله تبارك وتعالى:» وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»(٢) البقرة/ ١٢٧

٢– في الاصطلاح: اختلفت عبارات العلماء في تعريفها والمعنى واحد:

فقد عرفها السبكي بأنها:» الامر الذي ينطبق على جزئيات كثيرة تفهم أحكامها منه»(٣)

وعرفها الجرجاني بأنها: قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها» (٤)

ثانياً تعريف الفقه في اللغة والاصطلاح:

١– في اللغة: جاءت بمعنى الفهم والعلم والفطنة (٥). قال الله تعالى حكاية عن قوم شعيب –عليه السلام –

لنبيهم «مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ»(٦) أي: لا نفهمه كما تفهم الأمور الحاضرة المشاهدة (٧).

٢- في الاصطلاح: أشهر تعريف لها هو:«العلم بالأحكام الشرعية المكتسبة من ادلتها التفصيلية " (٨)

ثانياً: تعريف القواعد الفقهية باعتبارها مركبا وصفيا:

لم يتفق الفقهاء على تعريف واحد للقاعدة الفقهية باعتبارها مركبا وصفيا، بل تعددت هذه التعريفات على النحو الاتي:

١- عرفها الإمام المقري: بأنها (كل كلي هو أخص من الأصول، وسائر المعاني العقلية العامة، وأعم من العقود وجملة الضوابط الفقهية الخاصة) (٩).

٢- وعرفها الحموي بأنها: (حكم أكثري لا كلي ينطبق على أكثر جزئياته لتعرف أحكامها منها) (١٠)

٣-ويُعرفها الندوي بأنها: (حكم شرعي في قضية أغلبية يتعرف منها أحكامها ما دخل تحتها) (١١)

٤-وعرفها الأستاذ الدكتور الزرقا بأنها: (أصول فقهية كلية في نصوص موجزة دستورية تتضمن أحكاما تشريعية عامة في الحوادث التي تدخل تحت موضوعها (١٢).

وبهذا يمكن القول بأن القواعد الفقهية تُعد من الأسس العامة المستمدة من الفقه الإسلامي، وتهدف الى توجيه عقود المعاملات بما يتوافق مع مقاصد الشريعة الإسلامية.

وتمثل هذه القواعد إحدى الأدوات الرئيسة في عملية استنباط الاحكام الشرعية وتنظيمها، كما تسهم في ربط الفروع بالأصول من خلال عبارات موجزة دقيقة تؤطر البناء الفقهي وتعزز منهجيه.

المطلب الثاني: مصادر القواعد الفقهية

أولا: في القرآن الكريم: جاءت الكثير من الآيات القرآنية بهيئة مبادئ عامة لتكون للفقهاء المعين الذي لا ينضب في صياغة القواعد الفقهية ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

١- قوله تبارك وتعالى :((ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل)) البقرة/١٨٨.

٢- وقوله تعالى: ((وما جعل عليكم في الدين من حرج)). الحج /٧٨

٣- وقوله تعالى: ((لا يكلف الله نفساً الا وسعها)) البقرة/٨٦.

٤- وقوله تعالى:((وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة)) البقرة/ ٢٨٠.

٥- وقوله تعالى :((يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود)) المائدة/١.

هذه الآيات وغيرها من النصوص القرآنية وهي أكثر من أن تحصى التي تدل على ذلك، فمنها ما هو بنفسه ليكون قاعدة فقهية، ومنها ما يكون مادة خصبة تستنبط منها القواعد الفقهية، ومن الأمثلة على ذلك: إن قاعدة الضرورات تبيح المحظورات مستفادة من قوله تبارك وتعالى :((فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فلا أثم عليه)) البقرة/ ١٧٣. وغيرها كثير (١٣).

ثانياً السنة النبوية:

بعث الله نبينا وحبيبنا محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- بجوامع الكلم، وخصه ببدائع الحكم ،كما في الصحيحين عن ابي هريرة -رضي الله عنه-عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال:((بعثت بجوامع الكلم))(١٤) أي أن النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- أعطي ملكة أقتدر بها على ايجاز اللفظ مع سعة المعنى، بنظم لا تعقيد فيه يعثر الفكر في طلبه ، ولا التواء يحار الذهن في فهمه ، ولذا نجد كثير من كلامه -صلى الله عليه وآله وسلم- يخرج مخرج القاعدة الكلية ،والمبدأ العام ، الذي يندرج تحته جزيئات كثيرة ،ويجمع فروعا شتى، ومن الأمثلة على ذلك :

١- قوله -صلى الله عليه وآله وسلم-:((انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى)) (١٥) فهذا الحديث أصل القاعدة الكلية (الأمور بمقاصدها)، وهومن جوامع كلم النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وعليه عمدة الدين، قال ابن رجب في شرحه لما ذكر صلى الله عليه وآله وسلم إن الاعمال بحسب النيات، وأن حظ العمل من عمله نيته من خير أو شر، وهاتان كلمتان جامعتان، وقاعدتان كليتان لا يخرج عنهما شيء (١٦).

-٢ وقوله :-صلى الله عليه وآله وسلم-:((البينة على من المدعى واليمين على المدعي عليه)) (١٧)، وهذا

الحديث قاعدة من أهم القواعد التي يقوم عليها القضاء في الإسلام. (١٨)
-٣وقوله -صلى الله عليه وآله وسلم-:((الخراج بالضمان))، و((لا ضرر ولا ضرار)).
وغير ذلك كثير، فالقواعد الفقهية اما تكون نص نبوي شريف، واما أنها ترجع الى أصلها واستنباطها الى الحديث النبوي الشريف.

ثالثاً: آثار الصحابة والتابعين:

كان من الطبيعي ان يتأثر الصحابة والتابعين بالمنهج النبوي في فهم النصوص الشرعية وبيان مقاصدها، والتعبير عنها بعبارات موجزة وواضحة تخرج مخرج القاعدة الكلية، وذلك لأنه كلما كان عهد الانسان بالرسول أقرب، كان أعلم بالمعقول والمنقول، ويؤيد ذلك قوله - صلى الله عليه وآله وسلم-:((إن خيركم قرني، ثم الذي يلونهم، ثم الذين يلونهم)) (١٩).

وللسلف الصالح آثارا كثيرة في مجال القواعد والضوابط الفقهية، مما يعد مصدرا في هذا المجال. ومن هذه الاقوال على سبيل الحصر:

١- ((ليس على صاحب العارية ضمان)).
٢- ((لا يقضى على غائب))
٣- ((كل قرض جر منفعة فهو ربا)).
٤- ((كل شيء يقاد منه فهو على العاقلة)).

رابعاً: مقاصد الشريعة العامة:

تعد مقاصد الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر القواعد الفقهية، ومن الأمثلة على ذلك: إن من مقاصد الشريعة رفع الحرج والمشقة على الناس، والى هذا المقصد ترجع القاعدة الفقهية (المشقة تجلب التيسير) (٢٠).
كما أن مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ الضرورات الخمس، والى هذا المقصد ترجع القاعدة الفقهية الضرورات تبيح المحظورات (٢١).

المبحث الثاني: التشريعات العدلية -مفهومها وضوابطها

المطلب الأول: مفهوم التشريعات العدلية.

التشريع العدلي هو:(مجموعة القواعد العامة المجردة الملزمة التي تنظم سلوك الأفراد في المجتمع والمقترنة بالجزاء) (٢٢).
فالتشريعات العدلية في النظام الإسلامي إذن: هي القوانين التي تنظم سلوك الأفراد والعلاقات بينهم في ضوء مبادئ الشريعة الإسلامية. تتسم هذه التشريعات بأنها تهدف إلى تحقيق العدالة والمساواة، وتنظيم الحياة الاجتماعية وفقًا للقيم الإسلامية.
وتشكل القواعد الفقهية حجر الزاوية لهذه التشريعات، حيث إن القوانين التي تشرعها الدولة في الأنظمة الإسلامية تستند في الكثير من الأحيان إلى القواعد الفقهية التي يتم استنباطها من القرآن الكريم والسنة النبوية..
وعلى الرغم من وجود تطور ملحوظ في الأنظمة القانونية المعاصرة، فإن العديد من الدول الإسلامية ما تزال تعتمد على هذه القواعد الفقهية كأساس لصياغة قوانينها العدلية، خصوصًا في مجالات مثل الأحوال الشخصية، المعاملات المالية، والعقوبات.
وفي السياق الإسلامي، فإن التشريع العدلي يندرج ضمن مقاصد الشريعة التي تسعى إلى حفظ الضروريات الخمس: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، ويستمد أصوله من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، إلى جانب الاجتهادات الفقهية المعتبرة (٢٣).

المطلب الثاني: ضوابط التشريع العدلي

لكي يكون التشريع العدلي منسجمًا مع مقاصد الشريعة، فإنه ينبغي أن يتقيد بعدة ضوابط، أبرزها:
١. المرجعية الشرعية: يجب أن يكون مصدر التشريع منضبطًا بأصول الشريعة الإسلامية ومقاصدها الكلية، بحيث

لا يتعارض مع النصوص القطعية، ولا يُفرّط في الحقوق أو يُخلّ بالواجبات.

٢. تحقيق العدالة والمصلحة: من أهم أهداف التشريع تحقيق العدل ورفع الظلم، واعتبار المصالح العامة والخاصة في إطار الموازنة بين الحقوق والواجبات.

٣. الوضوح والانضباط اللغوي: ينبغي أن تصاغ التشريعات بلغة قانونية دقيقة، خالية من الغموض أو التناقض، لتفادي الخلاف في التطبيق والتنفيذ، وان تتجنب الألفاظ ذات الاشتراك اللغوي، وان تكون قليلة الالفاظ محكمة، بحيث يرجع اليه استحضار الفروع والجزئيات التطبيقية في مختلف البلدان والامصار (٢٤).

٤. المرونة والتطور: لا بد أن تراعي التشريعات العدلية تطور المجتمعات وتغير الظروف، مع الحفاظ على الثوابت والمقاصد العليا للشريعة.

٥. قابلية التطبيق والتنفيذ: يجب أن تكون القواعد العدلية واقعية وقابلة للتنفيذ في بيئة اجتماعية معينة، دون تكلف أو تعسف، وهذا من صميم قاعدة «التيسير ورفع الحرج».

وقد أشار الزحيلي إلى أهمية هذه الضوابط بقوله:

«لا يكفي أن يكون التشريع مستندًا إلى نص شرعي، بل لا بد أن يكون محققًا لمصلحة معتبرة، خاليًا من المفسدة، وقابلًا للتطبيق الواقعي»(٢٥) .

المبحث الثالث: نماذج تطبيقية للقواعد الفقهية على التشريعات العدلية

المطلب الأول: قاعدة ((الضرر يزال)) وتطبيقاتها في قوانين الأضرار والعقوبات

هذه القاعدة تُعد من القواعد الفقهية الأساسية ذات الأثر الكبير في التشريعات العدلية العربية، حيث تشكل الأساس في تنظيم علاقات الافراد والجماعات بما يحفظ الحقوق ويمنع الاعتداءات والضرر.

١-مفهوم القاعدة وأهميتها:

تقوم القاعدة على مبدأ رفع أو إزالة الضرر عن النفس أو الغير، ومعناها كما يوضحه السرحان بقوله:(أي لا يجوز إيقاع الضرر بالآخرين، ولا مقابلة الضرر بضرر مثله، والمقصود من ذلك رفع الضرر والمضارة) (٢٦). والاصل في هذه القاعدة الحديث النبوي الشريف ((لا ضرر ولا ضرار)) (٢٧).

وهي تعبر عن مبدأ العدالة الاجتماعية ودرء المفسدة، بما يتوافق مع مقاصد الشريعة في حفظ النفس والعرض والمال.

ويتفرع عن هذه القاعدة القواعد الاتية:

أ-الضرر يزال (٢٨): أي يجب أن يرفع الضرر وتزال آثاره، فمن سلط ميزابه على طريق عام يتضرر به المارة فعليه أن يرفعه.

ب_ الضرر يدفع بقدر الإمكان (٢٩): أي يجب أن يدفع الضرر قبل وقوعه قدر الإمكان، وذلك بكل وسيلة كافية، فالوقاية خير من العلاج.

ويدخل في هذه القاعدة المصالح المرسلة والتدابير الاحترازية قبل وقوع الضرر وسد باب الذرائع، ومن هنا شرع الجهاد والاستعداد بالعدة الكافية لإرهاب العدو، والعقوبات وغير ذلك لدفع الضرر.

ج-الضرر لا يزال بمثله (٣٠): ولكن الضرر إذا كانت إزالته واجبة، فلا يزال بضرر مثله أو أعظم منه.

فلا توجب النفقة للفقير على قريبه المعدم. وغير ذلك من الفروع (٣١).

٢-تطبيق القاعدة في الاضرار المدنية:

في القوانين العربية المدنية، نجد أن هذه القاعدة تمثل حجر الزاوية في تنظيم المسؤولية المدنية والتعويض عن الأضرار، حيث تنص على تعويض المتضرر عما لحقه من ضرر بسبب فعل غير مشروع.

أ-القانون المدني المصري: ينص في مادته (١٦٣) على أن «كل فعل أو امتناع عن فعل معاقب عليه بموجب القانون يوجب تعويض الضرر»، وهو تعبير صريح عن مبدأ رفع الضرر.

ب-القانون المدني الأردني: يشدد على حق المتضرر في التعويض عن الضرر الناشئ عن الفعل الضار، ويتيح

للمحاكم تطبيق قاعدة «الضرر يزال» لتعديل الأحكام بما يحفظ الحقوق (٣٢)

٣–تطبيق القاعدة في التشريعات الجنائية:

في القانون الجنائي، تلعب القاعدة دورًا في تحديد العقوبات والتدابير الوقائية التي تهدف إلى منع وقوع الأضرار، كما في قوانين:

أ–القانون الجزائي السعودي: حيث تُراعى في تحديد العقوبات الموازنة بين ردع الجاني ورفع الضرر عن المجتمع (٣٣).

ب–القانون الجزائي المصري: يعتمد مبدأ إزالة الضرر في فرض العقوبات التي تهدف إلى حماية الحقوق والحريات (٣٤).

٤ –التحديات والفرص في التطبيق:

رغم أهمية القاعدة، تواجه تطبيقاتها تحديات تتمثل في:

أ–تحديد حجم الضرر وسببه بدقة في القضايا المعقدة.

ب–التوازن بين حماية الحقوق الفردية والمصلحة العامة.

لكنها تظل قاعدة فقهية فعالة تسهم في تطوير التشريعات العدلية وجعلها أكثر عدالة وإنصافًا (٣٥).

المطلب الثاني: القاعدة ((العادة محكمة)) وأثرها في قانون الاحوال الشخصية

تُعتبر قاعدة «العادة محكمة» من القواعد الفقهية المهمة التي تأخذ بعين الاعتبار الأعراف والعادات المجتمعية في تفسير وتطبيق الأحكام الشرعية، مما يضفي على التشريعات مرونة تتناسب مع خصوصية المجتمعات والثقافات المختلفة.

١ –مفهوم القاعدة وأساسها الفقهي:

تنص القاعدة على أن العادة أو المألوف في المجتمع تُعتبر حجة في تحديد الأحكام إذا لم تخالف نصًا شرعيًا صريحًا. ومعناها أن العادة عامة كانت أو خاصة تجعل حكماً لإثبات حكم شرعي لم ينص على خلافه بخصوصه، فلو لم يرد نص يخالفها أصلاً، أو ورد ولكن عاما، فإن العادة تعتبر (٣٦).

العادة: هي الاستمرار على شيء مقبول للطبع السليم، والمعاودة إليه مرة بعد أخرى. وهي المرادة بالعرف العملي (٣٧).

يقول الإمام الشاطبي في هذا الصدد:

«العادة من الأسباب التي يراعى فيها في التشريع، فهي دليل معتبر ما لم تخالف النص الشرعي» (٣٨).

ويأتي هذا مراعاةً للواقع الاجتماعي، حيث لا يمكن إغفال تأثير العادات في حياة الناس وعلاقاتهم.

٢– تطبيق القاعدة في قانون الأحوال الشخصية:

في التشريعات العربية المتعلقة بالأحوال الشخصية، تُستخدم القاعدة لإضفاء الطابع المحلي على الأحكام، بحيث تعكس العادات المتبعة في المجتمع.

أ–القانون المصري للأحوال الشخصية: يُبيّن أن العادات التي لا تخالف الشريعة تُؤخذ في الاعتبار في مسائل مثل الزواج والطلاق والنفقة والحضانة.

ب–القانون الأردني للأحوال الشخصية: يقر بأن العادات المتعارف عليها تُراعى عند الفصل في المنازعات، طالما لا تتعارض مع نصوص الشريعة (٣٩).

٣–أمثلة تطبيقية:

أ–في مسألة النفقة، قد تختلف العادات في مقدار النفقة ومدتها، فتُراعى تلك العادات في تقدير القاضي.

ب–في مسائل الزواج والطلاق، تأخذ العادات في طرق إبرام العقد أو إعلان الطلاق بعين الاعتبار، مما يمنح التشريع طابعًا مرنًا يلائم الواقع.

٤ –أهمية القاعدة في تحقيق العدالة الاجتماعية

تكمن أهمية «العادة محكمة» في تكييف الأحكام الشرعية بما يحقق مصالح المجتمع، ويجنب التشريعات الجمود، ويعزز القبول الاجتماعي للتشريعات (٤٠).

المطلب الثالث: القاعدة ((الأمور بمقاصدها)) في القانون التجاري والمعاملات:

١- مفهوم القاعدة وأهميتها:

تُعد قاعدة «الأمور بمقاصدها» من القواعد الفقهية الجوهرية التي تؤكد أن الحكم الشرعي مرتبط بالمقصد والغاية من الفعل لا بلفظه فقط، وقد قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم:

«النية شرط في صحة العبادة وفي صحة الحكم، ولا يكون الحكم إلا على المقاصد» (٤١).

وتعني هذه القاعدة: أن النية هي مدار الحكم على الاعمال ثوابا وعقابا، فيتحمل المكلف مسؤولية ما نوى (٤٢).

والاصل في هذه القاعدة قوله -صلى الله عليه وآله وسلم- ((انما الاعمال بالنيات)) (٤٣).

وتعكس هذه القاعدة أهمية التوجه نحو تحقيق مقاصد الشريعة (المصالح والمفاسد) في تحليل الأفعال والمعاملات، وهو ما يضفي عمقًا على الأحكام القانونية في مجال التجارة والمعاملات المالية ويتفرع منها قواعد كثيرة (٤٤).

٢- تطبيق القاعدة في القانون التجاري والتشريعات العربية:

تُستخدم القاعدة لتفسير العقود والمعاملات التجارية بحيث تُراعى نوايا الأطراف والمقاصد الحقيقية، وليس مجرد الشكل الظاهري للأفعال.

أ-القانون التجاري المصري: يعترف بمبدأ المقصد في تفسير العقود، حيث تنص المادة (١٢) من القانون التجاري على أن «ينظر إلى إرادة الطرفين ومقصدهما عند تفسير العقد.»

ب- قانون المعاملات المدنية الأردني: يشدد على أهمية النية والمقصد في تنفيذ العقود، وهو ما يتماشى مع مبدأ «الأمور بمقاصدها»(٤٥).

٣- أمثلة تطبيقية:

أ- في عقود البيع، يُراعى أن يكون المقصد تحقيق مصلحة متبادلة، فإذا ثبت أن العقد باطل بسبب الغش أو التدليس، فلا يصح العقد رغم وجود الشكل الظاهري له.

ب-في المعاملات المصرفية، يُفحص المقصد من التعاقد لتحديد ما إذا كان متوافقًا مع الشريعة الإسلامية (كالتحقق من عدم وجود ربا أو غرر) (٤٦).

المبحث الرابع: مجالات الاستفادة من نصوص القواعد الفقهية في بعض القوانين المدنية (٤٧):

تقيدت بعض القوانين المدنية في إفادتها من القواعد الفقهية فأوردتها بنصوصها، ومن ذلك:

١- أورد القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١في المادة:(لا مساغ للاجتهاد في مورد النص))

وفي المادة ٥: ((لا ينكر تغير الاحكام بتغير الازمان)) (٤٨).

وفي المادة ٨:((درء المفاسد أولى من جلب المنافع)) (٤٩).

وفي المادة٢٣٥: ((الغُرم بالغُنم)) (٥٠).

وفي المادة ٤٠١: ((يلزم مراعاة الشرط بقدر الإمكان)) (٥١).

وهكذا فعل القانون المدني الأردني في كثير من مواده القانونية، فهي نصوص قواعد فقهية، منها ما جاء في الفصل الرابع، الفرع الأول، المادة٦١:(الجواز الشرعي ينافي الضمان))(٥٢).

والمادة٦٢:((لا ضرر ولإضرار، والضرر يزال)).

فهذه المادة جمعت بين قاعدتين هما:(لا ضرر ولا ضرار)، وقاعدة :(الضرر يزال) (٥٣).

وفي المادة٧٥-١ من القانون المدني الأردني: ((الأصل بقاء ما كان على ما كان، كما ان ((الأصل في الأمور العارضة العدم)).

والشق الأول من هذه المادة وهو ((الأصل: بقاء ما كان على ما كان)) نص قاعدة فقهية مستقلة، والشق الثاني منها وهو الأصل في الأمور العارضة العدم)) نصه :(الأصل في الصفات العارضة العدم))(٥٤)

وفي القانون المدني الأردني ا لمادة ٢١٦: ((إعمال الكلام أولى من إهماله، لكن إذا تعذر إعمال الكلام يهمل)).

فهذه المادة جمعت بين قاعدتين، هما: (إعمال الكلام أولى من إهمال)) وقاعدة :(إذ تعذر إعمال الكلام يهمل)) (٥٥).

وفي القانون المدني العراقي المادة ٢١٢ : ((الضرورات تبيح المحظورات، ولكنها تقدر بقدرها))

فـ ((الضرورات تبيح المحظورات)) نص قاعدة فقهية مستقلة، و ((الضرورات تقدر بقدرها)) نص قاعدة فقهية أخرى (٥٦).

٢–كما أوردت بعض القوانين العربية قواعد فقهية بنصها يستفيد منها رجال القانون في تفسير النصوص والترجيح بينها، فربما يستفيد رجال القانون من القواعد الفقهية في قوانينهم من غير أن يتقيدوا بنصها كما جاء:

أ– في القانون المدني الأردني: الفصل الرابع، الفرع الأول، المادة ٦٤: ((درء المضار أولى من كسب المنافع)) (٥٧) ونص المادة في القواعد الفقهية :((درء المفاسد أولى من جلب المصالح)) (٥٨).

ب– وفي المادة ٧٣: ((الأصل براءة الذمة، وعلى الدائن أن يثبت حقه وللمدين نفيه)).:

ونص هذه المادة في القواعد الفقهية: ((الأصل براءة الذمة)) (٥٩).

ج– وفي المادة ٩٥–١: ((لا ينسب للساكت قول ولكن السكوت في معرض الحاجة بيان ويعتبر قبولاً)) (٦٠) ونص هذه المادة في القواعد الفقهية: لا ينسب الى ساكت قول ولكن السكوت في معرض الحاجة بيان)) (٦١).

د– وفي المادة٢٢٠–١: ((العادة محكمة عامة كانت أو خاصة)). ونص المادة في القواعد الفقهية: ((العادة محكمة)) (٦٢).

هـ– وفي المادة ٢١٤–٢– ((الأصل في الاكلام الحقيقة فلا يجوز حمل اللفظ على المجاز إلا اذا تعذر حمله على معناه الحقيقي)).

ونص هذه المادة في القواعد الفقهية: ((الأصل في الكلام الحقيقة)) (٦٣)

الخاتمة:

بعد هذه الجولة البحثية التي حاولنا فيها تتبع أثر القواعد الفقهية في بناء وصياغة التشريعات العدلية، يمكننا أن نستخلص مجموعة من النتائج والتوصيات، من أهمها:

أولًا: النتائج

القواعد الفقهية تمثل أداة أصيلة في ضبط الأحكام الشرعية، وصالحة للاعتماد عليها في بناء التشريعات المعاصرة.

معظم التشريعات العدلية في الدول الإسلامية – خصوصًا في مجالات الأحوال الشخصية والمدنية – تستند بشكل مباشر أو غير مباشر إلى تلك القواعد.

قواعد مثل: (الضرر يزال)، (العادة محكمة)، (الأمور بمقاصدها)، وجدت طريقها صراحة أو ضمنًا في مواد القوانين الحديثة، مما يعزز من شرعية هذه التشريعات.

القواعد الفقهية تتيح للأنظمة القانونية مرونة في التعامل مع مستجدات الحياة المعاصرة دون الإخلال بالثوابت الشرعية.

ثانيًا: التوصيات

ضرورة تفعيل القواعد الفقهية في المؤسسات التشريعية عند سن القوانين، لا سيما في المجتمعات الإسلامية.

حث الباحثين على دراسة القواعد الفقهية من زاوية قانونية تطبيقية وربطها بالواقع القضائي والتشريعي.

إدراج مقررات دراسية تجمع بين القواعد الفقهية والتشريعات الوضعية في كليات القانون والشريعة لتكوين جيل قادر على الربط والتأصيل.

تعزيز دور القواعد الفقهية في المحاكم الشرعية باعتبارها مرجعية فقهية أصيلة تسهم في تحقيق العدالة الناجزة.

ونسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا في مجاله، ومساهمة متواضعة في ربط الماضي بالحاضر، خدمةً للفقه والشريعة.

الهوامش:

(١) لسان العرب ا / لابن منظور: محمد بن مكرم، ت٦٣٠هـ، ط١ ،١٥م، دار صادر بيروت، لبنان، ج٣: ص٣٥٧، باب قعد. والقاموس المحيط /للفيروز ابادي، محمد بن يعقوب، ت ٨١٧هـ، ط١، م٤، دار الفكر بيروت ١٩٨٣ م، ج١: ص ٣٢٨.

(٢) سورة البقرة :١٢٧

(٣) الاشباه والنظائر / السبكي: عبد الوهاب بن علي، ت٧٧١هـ، م٢، /تحقيق:(عادل أحمد وعلي عوض)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ج١، ص١١.

(٤) التعريفات /للجرجاني: علي بن محمد، ت٨١٦هـ، ط١، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ ص ٢١٩.

(٥) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، / للتفتازاني: سعد الدين مسعود، ت١٣٨٩هـ، ط١، م٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦م، ج١، ص٣٥.

(٦) سورة هود: ٩١.

(٧) زبدة التفاسير من فتح القدير، لمحمد سليمان الأشقر(٢٠٠٠م) ط٤ م١، مؤسسة الرسالة–بيروت، ص٢٣٨.

(٨) الابهاج في شرح المنهاج، لعلي بن عبد الكافي السبكي، ت٧٥٦ هـ ط١، م٢، (تحقيق: جماعة من العلماء)، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١: ص٢٨.

(٩) قواعد الفقه/ المقري: محمد بن محمد، ت٧٥٩هـ، تحقيق الدكتور محمد الدرداي (٢٠١٢) ط١ ،٤م، دار الكتاب، بيروت، ص٧٧.

(١٠) شرح غمز عيون البصائر لشرح كتاب الاشباه النظائر/للحموي: أحمد بن محمد، (ت ١٠٨٩هـ)، ط١ ،٤م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ج١: ص٥١.

(١١) القواعد الفقهية /للندوي: علي أحمد (ت ١٩٩١م) ط٢، دار القلم، دمشق، ص٤٣.

(١٢) المدخل الفقهي العام / للأستاذ الدكتور مصطفى الزرقا، دار القلم، دمشق، ط٢، ج١: ص

(١٣) القواعد الفقهية المختصة بمقومات الحكم القضائي في القضاء الشرعي الاردني دراسة مقارنة / أطروحة دكتوراة للطالب: محمد يونس فالح الزعبي /الجامعة الأردنية، حزيران ٢٠٠٥م، ص:٤٠.

(١٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نصرت بالرعب مسيرة شهر، ج٣، ص١٠٨٧، مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ج١، ص٣٧١، واللفظ لهما.

(١٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ج١، ص٣.

(١٦) ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، (ت٧٩٥م١٣٩٣م)، جامع العلوم والحكم، م١، دار الجيل، بيروت، لبنان ،١٩٨٧م، ص١٧.

(١٧) البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين، (ت٤٨٥هـ/١٠٦٥م)، سنن البيهقي الكبرى، م١٠، (تحقيق: محمد عبد القادر عطا)، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤م، ج١، ص٢٥٢، الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الاحكام باب ما جاء في أن البينة على المدعي واليمين على المدعي عليه، ج٣، ص٦٢٦، وصححه الصنعاني، محمد بن إسماعيل، (ت١١٨٢/١٨٦٥م)، سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الاحكام، ط٤، م٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٠ م، ج٤، وص١٣٢، الحديث صحيح، واللفظ لهم.

(١٨) ابن الجارود أبو محمد عبد الله بن علي، (ت٣٠٧/٩١٩م)، المنتقى من السنن المسندة، كتاب، باب من أبواب القضاء في البيوع، ط١، م١، (تحقيق: عبد الله البارودي)، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت ١٩٩٨م، ص١٥٩، الترمذي، سنن الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح، ج٣، ص٥٨١، الحديث صحيح، واللفظ لهما.

(١٩) الحاكم، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله، (ت ٤٠٥هـ /١٠١٤م)، المستدرك على الصحيحين، ط٤، ١م"(تحقيق: مصطفى عطا) دار الكتب العلمية بيروت ،١٩٩٠م، وقال: حديث صحيح الاسناد على شرط مسلم، ج٢، ص٦٦، الالباني، محمد ناصر الدين، (١٩٨٥م) ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط٢، م٨، المكتب الإسلامي، بيروت، وقال: حديث صحيح، ج٣، ص٤٠٨، الحديث صحيح واللفظ لهما.

(٢٠) السيوطي، الاشباه والنظائر، ج١، ص١٥٧.

(٢١) القواعد الفقهية المختصة بمقومات الحكم القضائي، محمد يونس فالح الزعبي، ص٤٢.

(٢٢) مدخل لعلم القانون /للدكتور يوسف حسن يوسف، المركز القومي للإصدارات القانونية، بالقاهرة، ط١ ،٢٠١٣، ص١١

(٢٣) لقواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة د. محمد مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر – دمشق، ص٤٠.

(٢٤) أثر القواعد الفقهية في القانون: دراسة نظرية / عبد القادر بن ياسين بن ناصر الخطيب، أستاذ الدكتور بجامعة الامير سلطان – المملكة العربية السعودية، بحث منشور في مجلة العلوم الإسلاميةم١، العدد٣٢، ص٨٧.

(٢٥ القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة د. محمد مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر – دمشق، ص٤٠..

(٢٦) تبسيط القواعد الفقهية، شرحها ودورها في إثراء التشريعات الحديثة الأستاذ الدكتور محي هلال السرحان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٥م. ص:٥٣.

(٢٧) رواه ابن ماجة في الاحكام من عبادة بن الصامت وعن ابن عباس (سنن: ٢:٧٨٤، رقم ٢٣٤٠–٢٣٤١)، والإمام أحمد: المسند، ج١: ص٣١٣، ج٥،٣٢٧) ومالك والشافعي والطبراني وفي الباب عن أبي سعيد وأبي هريرة وغيرهما (المقاصد الحسنة :٤٦٨

رقم ١٣١٠) والتخريج منقول عن السرحان: تبسيط القواعد الفقهية: ص١٢.
(٢٨) الاشباه والنظائر، للسيوطي:٨٣.
(٢٩) المدخل الفقهي العام: ج١، ص:٦٥٦.
(٣٠) والاشباه والنظائر للسيوطي: ص٨٦ ولابن نجيم: ص٨٧.
(٣١) راجع تبسيط القواعد الفقهية للسرحان: ص٥٥ وما بعدها.
(٣٢) أثر القواعد الفقهية في القانون: دراسة نظرية / عبد القادر بن ياسين بن ناصر الخطيب، أستاذ الدكتور بجامعة الامير سلطان – المملكة العربية السعودية، بحث منشور في مجلة العلوم الإسلاميةم١، العدد٣٢، ص٢٠.
(٣٣) المرجع السابق: ص٢١.
(٣٤) المرجع السابق: ص٢٢.
(٣٥). القواعد الفقهية المختصة بمقومات الحكم القضائي، محمد يونس فالح الزعبي، ص٦٤.
(٣٦) شرح القواعد الفقهية، للشيخ أحمد بن محمد الزرقا، (ت١٣٥٧هـ– ١٩٣٨م)، ط٢، دار القلم، دمشق، ص٢١٩.
(٣٧) المرجع السابق: ص٢١٩.
(٣٨) قواعد المقاصد عند الامام الشاطبي، ط١، م١، دار الفكر، دمشق ،٢٠٠٠م، ص ٤٣.
(٣٩) أثر القواعد الفقهية في القانون، للخطيب، ص٢٤.
(٤٠) القواعد الفقهية المختصة بمقومات الحكم القضائي، محمد يونس فالح الزعبي، ص٧٢.
(٤١) شرح صحيح مسلم، للنووي، ج١: ص:٤١.
(٤٢) تبسيط القواعد الفقهية/ص:٣٧
(٤٣) متفق عليه من حديث عمربن الخطاب فقد رواه البخاري في مواضع من صحيحه، منها ما افتتح به كتابه في باب بدء الوحي (صحيح البخاري :١/٢–٣) وصحيح مسلم :١٥١٥/٣ رقم ١٩٠٧)
(٤٤) راجع كتاب تبسيط القواعد للسرحان/ص:٣٨.
(٤٥) القواعد الفقهية المختصة بمقومات الحكم القضائي، محمد يونس فالح الزعبي، ٨٤.
(٤٦) المرجع السابق: ص٨٥.
(٤٧) ينظر أثر القواعد الفقهية في قوانين بعض الدول العربية، للباحث عبد القادر الخطيب بن ياسين بن ناصر الخطيب، الأستاذ الدكتور بجامعة الأمير سلطان –المملكة العربية السعودية وهو بحث منشور في مجلة العلوم الإسلامية المجلد الاول، العدد٣٢، ص٩٦–٩٨.
(٤٨) ينظر شرح القواعد الفقهية، للزرقاء، ص٢٢٧.
(٤٩) الوجيز في إيضاح قواعد الفقهية الكلية د. البورنو، ص٣١٠.
(٥٠) شرح القواعد الفقهية، ص٤١٩، الوجيز في إيضاح قواعد الفقهية الكلية، ص٣٦٥
(٥١) شرح القواعد الفقهية، ص٤٤٩ الوجيز في إيضاح قواعد الفقهية الكلية، ص.٤٠٧.
(٥٢) شرح القواعد الفقهية، ص٤٤٩ الوجيز في إيضاح قواعد الفقهية الكلية، ص٣٦٢
(٥٣) شرح القواعد الفقهية، ص٢١٣، الوجيز في إيضاح قواعد الفقهية الكلية، ص٢٤٤.
(٥٤) الوجيز في إيضاح قواعد الفقهية الكلية، ص١٧٢، شرح القواعد الفقهية، ص١٢١ .
(٥٥) شرح القواعد الفقهية، ص١٢١
(٥٦) المرجع نفسه، ص١٠٧
(٥٧) المرجع نفسه، ص٣١٥
(٥٨) المرجع نفسه، ص٣١٩
(٥٩) المرجع نفسه، ص١٨٧
(٦٠) المرجع نفسه، ص٢٠٥
(٦١) المرجع نفسه، ص١٠٥
(٦٢) القواعد الفقهية وتطبيقاتها القانونية د. محمد ياسين القرالة، ص ١٧٥
(٦٣) ينظر: أثر القواعد الفقهية في قوانين بعض الدول العربية، للباحث الخطيب، ص٩٦–٩٨.

المصادر والمراجع:

١– الابهاج في شرح المنهاج، لعلي بن عبد الكافي السبكي، ت٧٥٦ هـ ط١، م٢، (تحقيق: جماعة من العلماء)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢– ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الالباني، ط٢، م٨، المكتب الإسلامي، بيروت.١٩٩٥م.
٣–أثر القواعد الفقهية في القانون: دراسة نظرية / عبد القادر بن ياسين بن ناصر الخطيب، أستاذ الدكتور بجامعة الامير سلطان – المملكة العربية السعودية، بحث منشور في مجلة العلوم الإسلاميةم١، العدد٣٢،

٤–الاشباه والنظائر / السبكي: عبد الوهاب بن علي، ت٧٧١هـ، م٢، /تحقيق:(عادل أحمد وعلي عوض)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م
٥–الاشباه والنظائر/ للسيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) م١، مطبعة مصطفى أحمد، مصر ١٩٣٦م
٦–تبسيط القواعد الفقهية، شرحها ودورها في إثراء التشريعات الحديثة الأستاذ الدكتور محي هلال السرحان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
٧– التعريفات /للجرجاني: علي بن محمد، ت٨١٦هـ، ط١، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٨– جامع العلوم والحكم، ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، (ت٧٩٥م١٣٩٣م)، م١، دار الجيل، بيروت، لبنان ،١٩٨٧م.
٩–زبدة التفاسير من فتح القدير، لمحمد سليمان الأشقر(٢٠٠٠م) ط٤ م١، مؤسسة الرسالة–بيروت
١٠–سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الاحكام، ط٤، م٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، م١٩٦٠
١١– سنن ابن ماجة /ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣ هـ)
تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ]، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي
١٢–سنن الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى ت(٢٧٩هـ) م٥، تحقيق: أحمد شاكر، دار احياء التراث العربي، بيروت.
١٣–سنن البيهقي الكبرى، البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين، (ت٤٨٥هـ/١٠٦٥م)، (تحقيق: محمد عبد القادر عطا)، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤م، م١٠.
١٤–شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، / للتفتازاني: سعد الدين مسعود، ت١٣٨٩هـ، ط١، م٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦م.
١٥– شرح القواعد الفقهية، للشيخ أحمد بن محمد الزرقا، (ت١٣٥٧هـ– ١٩٣٨م)، ط٢، دار القلم، دمشق،١٩٨٩م.
١٦–شرح غمز عيون البصائر لشرح كتاب الاشباه النظائر/للحموي: أحمد بن محمد، (ت ١٠٨٩هـ)، ط١ ،٤م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.
١٧–صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نصرت بالرعب مسيرة شهر،
١٨–صحيح مسلم، مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١ هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ) مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة: ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م
١٩–القاموس المحيط /للفيروز ابادي، محمد بن يعقوب، ت ٨١٧هـ، ط١، م٤، دار الفكر بيروت ١٩٨٣
٢٠–قواعد الفقه/ المقري: محمد بن محمد، ت٧٥٩هـ، تحقيق الدكتور محمد الدرداي (٢٠١٢) ط١ ،٤م، دار الكتاب، بيروت.
٢١–القواعد الفقهية المختصة بمقومات الحكم القضائي في القضاء الشرعي الاردني دراسة مقارنة / أطروحة دكتوراة للطالب: محمد يونس فالح الزعبي /الجامعة الأردنية، حزيران ٢٠٠٥م .
٢٢–القواعد الفقهية وتطبيقاتها القانونية د. محمد ياسين القرالة، نشر الأكاديميون، عمان، ط١٤٥٣،١هـ–٢٠١٤م.
٢٣–القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة د. محمد مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر – دمشق،
٢٥–القواعد الفقهية /للندوي: علي أحمد (ت ١٩٩١م) ط٢، دار القلم، دمشق،
٢٦–قواعد المقاصد عند الامام الشاطبي، ط١، م١، دار الفكر، دمشق ،٢٠٠٠م
٢٧––لسان العرب ١ / لابن منظور: محمد بن مكرم، ت٦٣٠هـ، ط١ ،١٥م، دار صادر بيروت، لبنان.
٢٨–المدخل الفقهي العام / للأستاذ الدكتور مصطفى الزرقا، دار القلم، دمشق، ط٢، ٢٠٠٥.
٣٩–مدخل لعلم القانون /للدكتور يوسف حسن يوسف، المركز القومي للإصدارات القانونية، بالقاهرة، ط١ ،٢٠١٣،
٣٠– المستدرك على الصحيحين، الحاكم، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله، (ت ٤٠٥هـ /١٠١٤م)، ط١،٤م ،(تحقيق: مصطفى عطا) دار الكتب العلمية بيروت ،١٩٩٠م.
٣١–المسند لأحمد بن حنبل/أحمد بن حنبل ت(٢٤١هـ–٨٥٥م)٦م، مؤسسة قرطبة، مصر.
٣٢–المنتقى من السنن المسندة، ابن الجارود أبو محمد عبد الله بن علي، (ت٣٠٧/٩١٩م)، كتاب، باب من أبواب القضاء في البيوع، ط١، م١، (تحقيق: عبد الله البارودي)، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت ١٩٩٨م، ص١٥٩،
٣٣– الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية/ للبورنو، الشيخ الدكتور محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي،، مؤسسة الرسالة العالمية، بيروت – لبنان، ط٤، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

الترخُّص في القرائن اللفظية وعلاقته بقصد المتكلم في شرح الكتاب للرماني

م. د. زينب معين
الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

المستخلص:
يتناول هذا البحث جزئية مهمة من نظرية القرائن النحوية لتمام حسان، وتتعلق بظاهرة الترخص في القرائن اللفظية، إذ نتطرق لمفهوم الترخص والقرينة اللفظية، ثم علاقة الترخص بالقصد، ثم البحث عن تجلياتها في شرح الرماني لكتاب سيبويه، للبرهنة على أن ظاهرة الترخص في القرينة اللفظية قد ذكرت عند الرماني في شرح الكتاب وكان لها دور في بيان قصد المتكلم.
الكلمات المفتاحية: الترخص؛ القرينة؛ القصد؛ الرماني.

Abstract:
-This research deals with an important aspect of the theory of grammatical semantics, and it is related to the phenomenon of leniency in grammatical semantics, where we discuss the concept of leniency, grammatical semantics, then the relationship of leniency to intent, then we search for its manifestations in Al-Rumani's commentary on Sibawayh's book, to prove that the phenomenon of leniency in grammatical semantics was mentioned by Al-Rumani in his commentary on the book, and it played a role in clarifying the speaker's intent.
Keywords: Permissibility; Presumption; Intent , Al-Rumani

المقدمة :
تعد اللغة واحدة من الأنظمة المستخدمة في بيان قصد المتكلم، بل هي الأداة الأبرز في تحقيق هذه الوظيفة ،فالمتكلم يستطيع عن طريق هذه اللغة التعبير عن أفكاره ولا شك فيه أن القرائن النحوية تعد أبرز الأدوات التي تحمل المعنى الذي يقصده المتكلم لذلك قسّم العلماء العرب القرائن إلى لفظية ، ومعنوية ، وحالية ، وعقلية ، ولعل أهم تقسيم للقرائن وأكثرها تفصيلاً هو ما ذهب إليه الدكتور تمّام حسّان ، حيث ذهب إلى أن التعليق الذي هو إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بوساطة القرائن اللفظية ، والمعنوية، والحالية يعد الفكرة المركزية في النحو العربي، حيث نجد اهتمام اللغويين القداما والمحدثين بنظرية القرائن أدى إلى ظهور مصطلحات ومفاهيم مختلفة مثل(مبدأ الترخص)، وإن كان حديثاً ؛إلا أننا لا نعدم وجود مفهومه في كتب التراث العربي فنجده مبثوث في الدرس النحوي ،ومن هنا جاء البحث للوقوف على الأثر الكبير لمبدأ الترخص بالقرائن اللفظية في الكشف عن قصد المتكلم، متخذا من شرح كتاب سيبويه للرماني ميداناً لبيان هذا الأثر .

المحور الأول : مفاهيم عامة (الترخص – القرينة اللفظية – القصد) (الجانب النظري)

أولاً: مفهوم الترخص : ذهب اللغويون على أن الترخص مأخوذ من الرخصة حيث قال ابن منظور: « رخص له في الأمر ،أذن له فيه بعد النهي عنه، والاسم الرخصة ،والرخصة : ترخيص الله للعبد في أشياء خففها عنه»(١). أما في الاصطلاح عرفت الرخصة على أنها:» تركيب الكلام على غير ما تقتضي به القاعدة اتكالاً على أمن اللبس ، فإن لم يؤمن اللبس نسب الكلام إلى الخطأ لا إلى الترخص» (٢)، وقد جاء مفهوم الترخص في كتب النحاة كونه «غاية لا يمكن التفريط فيها، لأن اللغة الملبسة لا تصلح واسطة للفهم والأفهام»(٣)،فضلاً عن أن « تعدد القرائن على إرادة المعنى قد يجعل واحدة من هذه القرائن الزائدة على مطالب وضوح المعنى ،لان غيرها يمكن أن يغني عنها فيكون الترخص بتجاهل التمسك بهذه القرينة»(٤) .

وقد وردت مصطلحات مرادفة لمصطلح الترخص في كتب التراث منها مصطلح عدم الضرر، وإرادة المعنى ، وحذار

اللبس ،وآمن اللبس ، التوهم ، ونية المعنى ، والتوسع ، والضرورة والحذف ...الخ، ومن أكثر المصطلحات التي تطرق إليها الرماني في شرح الكتاب مصطلح الضرورة ، وآمن اللبس ، والتوسع، والحذف ، وهي مصطلحات تشير إلى أهدار القرينة والخروج عن أصل القاعدة النحوية لغاية ليس بالضرورة من أجل الوزن والقافية ولكن أحيان كثيرة يقصدها المتكلم (الشاعر) من أجل المعنى الذي يريد إصاله للسامع وبذلك يؤدي إلى تولد قاعدة شاذة بالاعتماد على قرائن أخرى تساعد إلى آمن اللبس ووضوح المعنى المراد(٥).

حيث جاءت ظاهرة الترخص واضحة وشاملة عند الرماني ، إذ أدركها أدراكاً تاماً عن شيخه سيبويه، وفصل القول فيها ، بالرغم لم يستخدم مصطلح الترخص بشكل صريح ؛لكن أستخدم مصطلحات غيرها، تدل على الترخص.

ثانياً: مفهوم القرينة اللفظية :

القرينة في اللغة على وزن « فَعِيلة بمعنى مَفْعُولَةٍ من الاقتران.... واقترن الشيء بغيره وقارنته قِراناً: صاحبته»(٦). أما في الاصطلاح فهناك تعريف ذكره الجرجاني (ت٨١٦هـ) بأنها « أمر يشير إلى مطلوب»(٧). يمكن أن نقول إنَّ قصد الجرجاني بالأمر: الدليل، والمطلوب : القصد ، وكأنه أراد بالقرينة : الدليل اللفظي ،أو المعنوي ،أو العقلي الذي يصل إلى قصد المتكلم(٨)، وهذا ما أكده الباحثون المحدثون حيث عرفت الباحثة عدوية الشرع القرينة بشكل عام بأنها: «الدليل الذي يصاحب النص فيكشف معناه ، سواء أكان لغوياً، أم حالياً أم عقلياً»(٩) .

وقد أدرج علماء العربية بنحوٍ عام وتمام حسان بنحوٍ خاص أن تتكون القرائن من ثلاثة أنواع رئيسة، تتمثل بالقرائن:(المادية، والعقلية، والتعليق). وما يهمنا هنا قرائن التعليق، وتتكون من قرائن فرعية تتمثل بقرائن تؤخذ من المقال وتشمل:(القرائن اللفظية ، والقرائن المعنوية)، وقرائن تؤخذ من المقام (القرائن الحالية) .

وما يخصنا في هذا البحث هو الحديث عن القرائن اللفظية « وهي عنصر من عناصر الكلام يستدل به على الوظائف النحوية فيمكن الاسترشاد بها أن نقول هذا فاعل وذلك مفعول به أو غير ذلك»(١٠). وكما نعلم أنَّ الوظائف النحوية هي إحدى أهم الأُسس التي يرتكز عليها بناء الجملة، ومعرفة هذهِ الوظائف ضروري للوصول إلى الإفادة . فالقرينة اللفظية هي عنصر من عناصر الكلام يستدل به على الوظائف النحوية .ويمكن القول إن وظيفة القرائن اللفظية مثل معالم الطريق التي يهتدى بها المرء إلى المكان الذي يريدهُ (١١) ،ومن أنواعها(١٢): قرينة العلامة الإعرابية ، قرينة المطابقة ، قرينة الرتبة ، قرينة الصيغة ، قرينة الأداة ، قرينة التنغيم، قرينة الربط، قرينة التضام والتي ترتبط مع القرائن المعنوية لبيان قصد المتكلم عن طريق التركيب النحوي .

ثالثا: مفهوم الترخص في القرائن اللفظية :

ذهب النحويون على أن مسائل النحو تقسم إلى قواعد أصلية وهو الذي كثر في السماع والموافق للعقل وإلى قواعد فرعية فهو أيضاً كثر في السماع لكن وافق العقل من جهة أخرى و قواعد شذوذ وهو ما كان خارج عن الأصل ولم يحتمل التأويل(١٣)، وهذا القسم الثالث وهو ما نخصه بالكلام في هذا البحث .

حيث تكثر القواعد الشاذة في الشعر أكثر من النثر وذلك لعدة اسباب منها بلاغية يقصدها الشاعر وأخرى ضرورة شعرية تتمثل بالوزن الشعري الذي يلزم الشاعر الترخص بقرينة من القرائن اللفظية والخروج عن أصل القاعدة لأغراض فنية أو شعورية ،وهذا الخروج قد رخصه النحويون القداما ورموه بالشذوذ .

والقاعدة الأساس التي تتمركز عليه مبدأ الترخص هو ظاهرة تضافر القرائن» لأن تعدد القرائن على إرادة المعنى قد يجعل واحدا من هذه القرائن زائدة على مطالب وضوح المعنى ؛ لأن غيرها يمكن أن يغني عنها فيكون الترخص بتجاهل التمسك بهذه القرينة»(١٤)؛ إذن يمكننا تعريف الترخص بالقرينة اللفظية «هو إهدارها عند آمن اللبس، اتكالاً على أن المعنى مفهوم بدونها»(١٥).

رابعاً : الترخص والقصد :

إن الأصل في اللغة أن ترد وفق الوضع ، ولكن هناك خروج عن أصل الوضع والذي يعرف بالقاعدة الشاذة

وتكثر في الشعر حيث يلجأ المتكلم (الشاعر) إلى الترخص ببعض القرائن اللفظية لأسباب عدة منها أمن اللبس ،وضوح القصد الذي يريد إيصاله المتكلم ، أو من أجل الانزياح إلى معان جديدة قصدها المتكلم عن طريق خروجه عن أصل الوضع . وهنا مخطط توضيحي لمبدأ الترخص وأهمية في فهم قصد المتكلم :

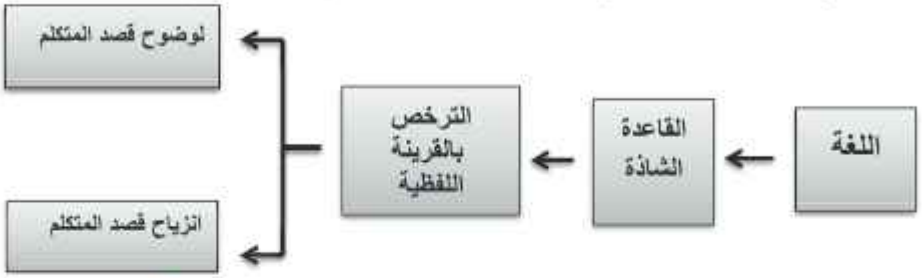

المحور الثاني : دراسة تطبيقية لظاهرة الترخص في القرائن اللفظية وعلاقته بقصد المتكلم للرماني .

بعد النظر إلى الجانب النظري للموضوع وتحديد مفاهيم عامة حول مبدأ الترخص، والقرائن اللفظية ،وعلاقتها بقصد المتكلم ننتقل إلى الجانب التطبيقي ، حيث يتجلى هذا الدور في نماذج تطبيقية من شرح الكتاب لدى الرماني ؛ لكن قبل البدء بالتطبيق يمكن طرح سؤال هل تنبه الرماني إلى مبدأ الترخص بالقرينة ؟ وهل هناك علاقة بقصد المتكلم ؟ هذا ما سوف يجيب عليه هذا المحور .

أولاً:الترخص في قرينة المطابقة : نقصد بقرينة المطابقة«إيجاد التجانس بين الضمائم النحوية من حيث العلامة والشخص والعدد والنوع والتعيين»(١٦)، فقد ورد الترخص في هذه القرينة فيما نقله لنا الرماني بقوله :

وقال الأعشى:

وتشرق بالقول الذي قد أذعتهُ كما شرقتْ صدرُ القناةِ من الدمِ . لأن صدر القناة من القناة»(١٧) .

تحليل نص الرماني : الأصل في الفعل يطابق فاعله في التذكير والتأنيث وهذا ما اتفق النحويون عليه مثل(سيبويه) (١٨)، و(شرح المفصل) (١٩)، ولكن هناك قواعد تشذ عن أصل الوضع ذكرها الرماني مبيناً خروج الاعشى في البيت الشعري بعد الترخص بقرينة المطابقة فقد أنث الفعل المسند إلى فاعليه المذكر معتمد على وضوح المعنى كقوله :

١- كما شرق صدرُ القناةِ من الدم.(القاعدة الأصلية)
مذكر مذكر

٢- كما شرقتْ صدرُ القناةِ من الدم.(القاعدة الشاذة)
مؤنث مذكر

حيث أورد الشاعر في البيت الثاني الفاعل مذكر(صدر القناة) بالرغم فعله (شرقتْ) مؤنث ولكن الذي سوغ للشاعر ألحاق التاء بالفعل والترخص بقرينة المطابقة بين الفعل وفاعله وهو ما يقصده المتكلم من أن (صدر القناة) الذي يتألف من المضاف والمضاف إليه ، بمعنى (القناة) وهي مؤنث وهو لا يخرج عن المعنى العام ، فالمضاف قد اكتسب التأنيث من المضاف إليه، وهكذا برر الرماني هذا الترخص بقوله:« لأن صدر القناة من القناة»(٢٠)، وفي هذا الباب يورد الرماني عدة أمثلة لتوضيح القاعدة الشاذة بقوله : قال ذو الرمة:

مشين كما اهتزت رماح تسفهت أعاليها مر الرياح النواسم

فجاز لأن (مر الرياح) ملتبس بها ، إذ يجوز (تسفهتها الرياح) فيفهم به هذا المعنى بعينه»(٢١)، فيذكر ما يقع على (شرقت صدر القناة) يقع على (تسفهت مر الرياح) .

نستنتج أن الرماني جعل الفعل مؤنث رغم أسناده إلى الفاعل المذكر وهذا الخروج عن الأصل نتيجة الترخص بقرينة المطابقة التي أعطت حكم الشاذ للقاعدة النحوية وهذا يطابق ما ذهب إليه سيبويه في الكتاب(٢٢) .

وبناء على ما تقدم فالذي يبدو لي أن الرماني قد أوضح في النص أهمية الترخص بقرينة المطابقة ودورها في تحديد

قصد الشاعر . ويمكن توضيح ما ذكر بمخطط رسمي توضيحي:

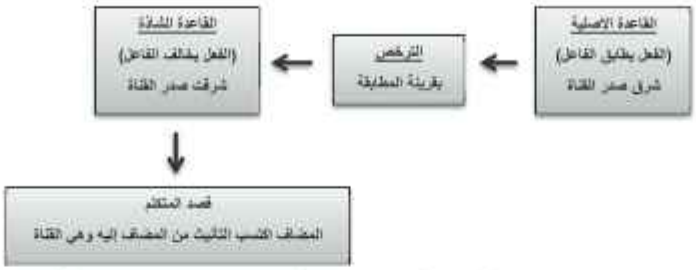

ثانياً: الترخص بقرينة الرتبة: المقصود بهذه القرينة «هي علاقة بين جزئيين مرتبين من أجزاء السياق يدل موقع كل منهما من الآخر على معناه»(٢٣)، وهي إحدى القرائن التي يتم الترخص بها ،ومن ذلك قول الرماني في باب« ما يحتمل الشعر» (٢٤) :« صددت فأطولت الصدود وقلما .... وصال على طول الصدود يدوم . وقوله :(قلما وصال) ضرورة ؛ لأن الاستعمال على طريقة قلم(يكون كذا وكذا) (وقلما يدوم وصال) وإنما جرى على ذلك لأن ما دخلت كافة للفعل ليليها مالم يكن يلي الفعل قبل كما دخلت في ... فلهذا لم يجز في الكلام إلا قلما يدوم وصال ولكن جاز في الشعر ؛ لأنه رده إلى الأصل في الموضع»(٢٥).

تحليل نص الرماني : يؤكد الرماني ما ذهب إليه سيبويه في كتابه على اختيار الشاعر الخروج عن القاعدة الأصلية معتمد على الترخص بقرينة الرتبة في تقديم الفاعل على فعله في البيت الشعري وقد وضح الرماني ذلك .

قبل أن نبّين مُراد الرماني في هذا النص يجب أن نقف عند أصل القاعدة التي تنص على أن الفعل مرتبته التقديم ثم يليه الفاعل الذي مرتبته التأخير على النحو :

١- وقلما يدوم وصال(القاعدة الأصلية)
الفعل الفاعل

٢- وقلما وصال يدوم (القاعدة الشاذة)
الفاعل الفعل

لكن نجد الرماني في هذا البيت الثاني توقف على قضية مهمة وهي الترخص بقرينة الرتبة في تركيب القاعدة وتقديم ماحقه التأخير وتوليد نمط فرعي يخرج عن الأصل بالاعتماد على قصد المتكلم في وضوح المعنى لدى السامع ولذي أمن اللبس وجود قرينة الأعراب حيث كان العرب «إنّما يُقدمون الذي بيانه أهم لهم ، وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم»(٢٦)، وكذلك ضرورة إقامة الوزن حيث قيل: «وقلّما يدومُ وِصالٌ، فقدَّم وأخَّر مضطرًّا لإقامة الوزن، والوصال على هذا التقدير فاعل مقدم، والفاعل لا يتقدَّم في الكلام إلا أن يبتدأ به، وهو من وضع الشيء في غير موضعه»(٢٧)،ويمكن توضيح ما ذكر بمخطط رسمي توضيحي :

ثالثاً :الترخيص بالقرينة الإعرابية : لقد عرف ابن جني (٣٩٢ ت) القرينة الإعرابية بأنها « الإبانة عن المعاني بالألفاظ ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعد أباه ، وشكر سعيداً أبوه ، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ولو كان الكلام نوعا واحدا لا ستبهم أحدهما من صاحبه»(٢٨) .

وهناك من رخص بالقرينة الإعرابية حيث أباح سيبويه للشاعر في جعل الإخبار بالمعرفة عن النكرة في باب (كان) وتابع الرماني سيبويه في هذا الكلام حيث يقول: « فأما جعل الاسم نكرة والخبر معرفة فهو قلب ما ينبغي أن يكون عليه الكلام ، وقد جاء في الشعر كقول حسان : كأن سُلافة من بيتِ رأسٍ *** يكون مزاجها عسلٌ وماءٌ»(٢٩).

تحليل نص الرماني: تنص القاعدة الأصلية على أن مستعمل اللغة يجعل المعرفة اسما والنكرة خبراً فعند النطق بجملة (كان) يجعل اسمها معرفة مرفوعة وخبرها نكرة منصوبة (٣٠)،وأكد ذلك قول سيبويه: « لا يبدأ بما يكون فيه اللبس ، وهو النكرة ، ألا ترى أنك لو قلت : كان رجل منطلقا أو كان إنسان حليما ، كنت تلبس»(٣١) .

ولكن هناك خروج عن أصل هذه القاعدة بقاعدة شاذة كما نبه الرماني بقوله :(فأما جعل الاسم نكرة والخبر معرفة فهو قلب ما ينبغي أن يكون عليه الكلام) وذلك لضرورة شعرية ساعدت الشاعر في الترخص بقرينة العلامة الإعرابية والذي حافظ على المعنى وأمن اللبس قرينة الأسناد لكون المسند والمسند إليه من نفس النوع ، فقد مثل الرماني خروج عن أصل الوضع بقول الشاعر حسان بن ثابت :

١-يكون مزاجها عسلاً وماءاً (القاعدة الأصلية)

٢- يكون مزاجها عسلٌ وماءٌ (القاعدة الشاذة)

يفهم من كلام الرماني أنه جعل الترخص بالقرينة الإعرابية بجعل الخبر معرفة مرفوع والاسم نكرة منصوب وذلك لسبب قصده الشاعر وهو رفع (عسل وماء) لتمييز (مزاجها)مما يعزز الجمالية الصوتية للبيت الشعري إضافة على أن « الشعراء قد يضطرون فيجعلون الاسم نكرة والخبر معرفة، لعلمهم أن المعنى يؤول إلى شيء واحد» (٣٢) . ويمكن توضيح ما ذكر بمخطط رسمي توضيحي :

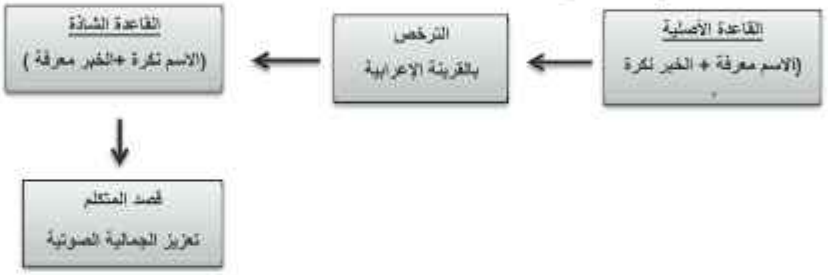

رابعاً : الترخص بقرينة الأداة : ومن ذلك ما ورد في باب «الجواب بالجزم لما لم يذكر فيه حرف الجزاء»(٣٣) من حذف الأداة في قول الشاعر طرفة :

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات ها أنت مخلدي ؟

فحذف (أن) وتقديره : أن أحضر الوغى ، ودليله وأن أشهد اللذات»(٣٤).

تحليل نص الرماني : تنص القاعدة الأصلية إلى أن يسبق فعل الأمر (أحضر) أداة كما سبقت (أن) فعل (أشهد) كالآتي :

٣- أداة + الفعل = [أن أحضر الوغى] (القاعدة الاصلية)

ولكن هناك خروج عن أصل هذه القاعدة إلى قاعدة فرعية أشار إليها الرماني يقصد منها معنى بلاغي عن طريق الترخص بقرينة الأداة والذي سوغ هذا الحذف هو أمن اللبس بالاعتماد على القرائن الأخرى مثلا في هذا البيت الشعري اعتمد على قرينة التضام والقرينة الإعرابية ، فقد مثل الرماني هذا الخروج بقوله :

٢-&(حذف) + الفعل = [أحضر الوغى] (القاعدة الشاذة)

فقد وضح الرماني موضع الترخص بقرينة الأداة مبين قصد الشاعر في البيت الشعري اذ يرى أن الشاعر قصد الترخص في الأداة (أن) واستخدام فعل أمر صريح (احضر) لقصد حيث جاء بفعل أمر صريح دلالة على قوة الأمر ثم أكمل عجز البيت بمصدر مؤول من (أن أشهد) حيث قصد الشاعر التخفيف ونقل من أمر مباشر إلى أمر غير مباشر يدل على التخفيف بقوة الطلب . ويمكن توضيح ما ذكر بمخطط توضيحي :

خامساً: الترخص بقرينة التضام :

حيث عرف التضام بأنه استلزام «كلمة كلمة أخرى في السياق أو الاستعمال» (٣٥) ،أما على سبيل الافتقار أو على سبيل الطلب، وقد ذكر هذه الظاهرة الرماني في شرحه للكتاب واستطاع أن يوضح بأن الشاعر ترخص بقرينة يمكن أن تفهم من السياق ولم يفصح عنها لفظاً بقوله : « في لجة أمسك فلان عن فل.... فأجراه للضرورة في غير النداء ، وهو أقوى مما فيه الهاء لأن الحذف له ألزم» (٣٦) .

تحليل نص الرماني: تنص القاعدة الأصلية في باب الترخيم على حذف أخر الاسم في النداء على وجه الخصوص

والترخيم على غير النداء لا يكون إلا للضرورة(٣٧). ويمكن تمثيل ذلك مع ما يتوافق مع اصل القاعدة النحوية بقوله الشاعر :

١- في لجّةٍ أمسكَ فلّانً عن فُلانٍ (القاعدة الأصلية)

نلاحظ في أصل القاعدة أن يرد الاسم (فلان) غير مرخم ؛ لكن نجد الرماني في هذا البيت الشعري توقف على قضية مهمة وهي ظاهرة الترخص بقرينة التضام حيث رخص في هذه القرينة عندما رخم آخر الاسم في غير النداء وهذا مغاير للقاعدة الأصلية وبرر الرماني خروج الشاعر بقوله (فاجراه للضرورة) وهي احد المصطلحات القريبة لمعنى الترخص أو أهدار القرينة بالاعتماد على السياق ،والقرينة الإعرابية التي تمنع اللبس في المعنى رغم الحذف لكونه واضح لدى السامع عند الترخص بالاسم (فلان) بعد حذف النون والألف حذفت للزيادة (فل) يراد به شخص محدد فقصد الشاعر هنا هو أن يمنح قوة ايحائية للسامع وكذلك التخفيف في البيت الشعري .

٢- في لجّةٍ أمسكَ فلان عن فل . (القاعدة الشاذة)

- ويمكن توضيح ما ذكر بمخطط توضيحي :

الخاتمة:

نخلص عن طريق هذا البحث إلى النتائج الآتية :

١- إنَّ (مصطلح الترخص) في القرائن اللفظية ورد عند الرماني في شرحه لكتاب سيبويه بمصطلحات مختلفة مثل: الحذف ،الضرورة الشعرية ، التوسع ،القلب ، وغيرها .

٢- عن طريق البحث وما احتواه من قضايا تخص الترخص بالقرينة، وقصد المتكلم عند النظر إلى الدرس اللغوي القديم والحديث نجد أن هناك تقارب في المفهوم واختلاف في المصطلحات .

٣- يتبين من خلال أمثلة الرماني بأن ظاهرة الترخص تزداد في الشعر من النثر لكون كثير ما يتجه الشاعر إلى كسر القواعد الأصلية، واستنباط قواعد فرعية يطلق عليه بالشذوذ .

٤- نستنتج من خلال الجانب التطبيقي للترخص بالقرينة اللفظية أن الرماني يفعل مبدأ الترخص ،ويشغلها للخروج عن أصل القاعدة والانزياح عنها بقاعدة شاذة معتمد على قرائن أخرى ساعدت على أمن اللبس وتقديم معنى آخر يقصده المتكلم .

٥- أقام الرماني علاقة وطيدة بين الضرورة الشعرية و القصد ، حيث جاء كثير من الضرورات الشعرية معتمدة على القصد ؛ إذ جعله الرماني وجها يسوغ اضطرار الشاعر ، وهو بذلك غلب الرماني المعنى الذي يقصده المتكلم على الاداء الصوتي في مسائل كثيرة من مثل الرتبة ،والمطابقة، والعلامة الاعرابية ، والأداة ، والتضام لأن قصد الشاعر ايصال المعنى للسامع .

الهوامش :

١- لسان العرب ، ابن منظور : ٤٠ / ٧.

٢- اللغة العربية (معناها ومبناها)، تمام حسان :٢٩٧، ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان : ١٢/١.

٣- اللغة العربية(معناها ومبناها) : ٢٣٣.

٤- البيان في روائع القرآن : ٢٣٠/١..

٥- ينظر: مقالات في اللغة والأدب ، تمام حسان : ٢٦٢/١، ينظر: الترخص في اللغة القرآن -دراسة في المفهوم ، شكيب غازي : ٩٨.

٦- لسان العرب : ١٣/ ٣٣٦ .

٧- التعريفات، للجرجاني : ١٤٦.

٨- ينظر: القرائن وأثرها في التوجيه النحوي عند سيبويه ، لطيف حاتم الزاملي : ١٥.

٩- القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني ، عدوية عبد الجبار الشرع : ٩.

١٠- البيان في روائع القرآن : ١٠

١١- ينظر : البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني : ٧.

١٢- ينظر : اللغة العربية : معناها ومبناها : ٢٠٥.

١٣- ينظر: أثر العقل في توجيه القاعدة النحوية إلى أصلية وفرعية ، معن عبد القادر بشير : ٢٤٢.

١٤- البيان في روائع القرآن: ١٢/١.

١٥- آمن اللبس في النحو العربي دراسة في القرائن، أطروحة، دكتوراه، بكر عبد الله خورشيد : ١١٨، ينظر : مقالات في اللغة والادب :٢٦٣،

١٦- اللغة العربية (معناها ومبناها) : ٢١٢.

١٧- شرح كتاب سيبويه، للرماني : ١/ ٢١٧.
١٨- ينظر: الكتاب ، سيبويه : ٣١/١.
١٩- ينظر: شرح المفصل ، ابن يعيش : ٧٥/٢.
٢٠- شرح كتاب سيبويه ، للرماني : ٢١٧/١.
٢١- شرح كتاب سيبويه ، للرماني : ١/ ٢١٩-٢٢٠.
٢٢- الكتاب ، سيبويه : ٥٢/١.
٢٣- اللغة العربية معناها ومبناها :٢٠٩.
٢٤- شرح كتاب سيبويه، للرماني : ١٠٦/١.
٢٥- شرح كتاب سيبويه، للرماني : ١/ ١١٦-١١٧ .
٢٦- الكتاب ، لسيبويه: ٣٤/١.
٢٧- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، الأعلم شنتمري : ٦٧.
٢٨- الخصائص ، ابن جني : ٣٦/١.
٢٩- شرح كتاب سيبويه ، للرماني : ١/ ٢٠٢.
٣٠- ينظر : الافعال الناقصة : ٤٠.
٣١- الكتاب، لسيبويه : ١/ ٤٨.
٣٢- الأفعال الناسخة ، حمدي كوكب : ٤٣ .
٣٣- شرح كتاب سيبويه : للرماني : ٣/ ٦١٥.
٣٤- شرح كتاب سيبويه ، للرماني : ٦٣١/٣.
٣٥- أقسام الكلام العربي ، فاضل مصطفى الساقي : ١٩٦.
٣٦- شرح كتاب سيبويه ، للرماني : ٢/ ٤٠٣.
٣٧- ينظر : شرح كتاب سيبويه، للرماني : ٣٩٧/٢.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم .
• أثر العقل في توجيه القاعدة النحوية إلى أصلية وفرعية ، معن عبد القادر بشير، مجلة التربية والعلم، كلية الحدباء، المجلد ١٧، العدد ٣، ٢٠١٠م .
• الأفعال الناسخة، حمدي فراج محمد فراج المصري (حمدي كوكب)، دار البحوث والإعلام ، مصر، ط١، ٢٠٠٨م.
• أمن اللبس في النحو العربي دراسة في القرائن ، بكر عبد الله خورشيد، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٦م .
• البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ،عالم الكتب ، ط٢، ٢٠١٤م.
• تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، أبو الحجاج يوسف بن سلمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري ،تحقيق زهير سلطان ،ط٢، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، ١٩٩٤م.
• الترخص في لغة القرآن- دراسة في المفهوم ، شكيب غازي بصري ، مركز دراسات الكوفة ، جامعة الكوفة ، العدد ٣٦ ، ٢٠١٥م.
• التعريفات: الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٩٨٣م .
• شرح كتاب سيبويه : أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان ت(٣٦٨ هـ) ، تحقيق: أحمد حسن مهدلي ، علي سيد علي ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،ط١ ، ٢٠٠٨ م .
• شرح كتاب سيبويه: علي بن عيسى الرماني ت(٣٨٤هـ) بتتمة العلامة الشيخ صالح بن محمد الهسكوري (٥٦٩هـ): ،إعداد وتحقيق عثمان غزال ،المكتبة الأزهرية للتراث ، مصر ، ط٢٠١٦/١م .
• شرح المفصل،ابن يعيش، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، د.ت.
• القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني، عدوية عبد الجبار الشرع، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ،٢٠٠٦م .
• القرائن وأثرها في التوجيه النحوي عند سيبويه : لطيف حاتم الزاملي، دار الانتشار العربي ، بيروت – لبنان ، ط١، ٢٠١٤م .
• الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه ت(١٨٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط٣ ،١٩٨٨ م .
• لسان العرب : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت٧١١هـ) ، دار صادر – بيروت ،ط٣ ،١٤١٤هـ.
• اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان عمر، عالم الكتب، القاهرة ، ط٥، ٢٠٠٦م .
• مقالات في اللغة والأدب، تمام حسان ،عالم الكتب، ج١، ط١، ٢٠٠٦م .

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

رسالة متعلّقة بالتفسير للفاضل محمّد الوانيّ (ت١٠٩٦هـ)
تفسير ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾
سورة آل عمران/١٨٢- دراسة وتحقيق-

أ.م. د. عقيل عباس ريكان
الجامعة المستنصرية/كلية التربية الأساسية

المستخلص:

تناولت هذه الرسالة التفسيرية الآية الكريمة: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، من سورة آل عمران، بالتحليل والردّ على الاعتراضات الكلامية المتعلّقة بسببيّة العدل الإلهي للعقاب، واعتمد الفاضل البيضاوي في تفسيره على أنّ نفي الظلم عن الله تعالى يستلزم العدل، والعدل يقتضي معاقبة المسيء ومجازاة المحسن، فكان العدل سبباً لعذاب المستحقّين، وقد اعترض بعض المفسّرين على هذا التوجيه، بزعم أنّ ترك التعذيب لمن يستحقّه لا يُعدّ ظلماً، فلا يصح أن يكون نفي الظلم سبباً للعذاب.

يردُّ الوائيّ بأنّ الاعتراض ناتج عن الخلط بين «السبب» و«العلّة الموجبة»، فالسبب لا يُلزم بوقوع النتيجة، كما أنّ القلم سبب للكتابة دون أن يوجبها، ويوضّح الرد أنّ العدل سبب غير موجب للعذاب، أي أنّه لا يُحتّم وقوعه؛ لكنّه يجيزه ويبرّره عند تحقّق الاستحقاق، وكذلك، بيّن أنّ نفي الظلم لا يُراد به إلزام الله بالتعذيب، بل تأكيد أنّ العقوبة لا تقع إلا عن عدل، لا عن هوى أو ظلم.

وتُظهر مقارنة البيضاوي بين تفسير آل عمران وتفسير سورة الأنفال انسجاماً في المعنى، إذ أنّ نفي الظلم هناك يرفع احتمال العذاب بلا ذنب، لا أنّه يوجب العقوبة حتماً.

الوائيّ يبيّن أنّ هذه التفسيرات تهدف إلى حصر العذاب في الذنوب لا إلى نفي الرحمة أو تقييد المشيئة الإلهية، كما أُشير إلى أنّ بعض الاعتراضات تعتمد على اشتراط الاستحقاق لوجود السبب، وهذا مردود، إذ قد يقع الأثر عن سبب دون استحقاق، كما في القتل والضرب ظلماً، فالسببيّة لا تنحصر في الاستحقاق العقليّ، بل قد تكون بحسب سنّة الله في الخلق والتدبير، ويبيّن التحليل أنّ ترك العذاب ليس نفياً للعدل، بل هو مظهر من مظاهر الرحمة، والله يجمع بين العدل والفضل. ويُفهم من الآية أنّ الله لا يعذّب أحداً إلا بذنب، وأنّه لا يُعذّب ظلماً، دون أن يلزم من ذلك وجوب العذاب لكلّ مذنب، فالعدل وسيلة للعقاب، لكنّه لا يوجب وقوعه دائماً، لأنّه مشروط بإرادة الله، ومن ثمّ فإنّ نفي الظلم في الآية يُستخدم لإثبات عدالة العذاب، لا لفرضه في كل حال.

كما أنّ ما بدا من اختلاف في عبارتي البيضاوي بين الموضعين راجع إلى اختلاف السياق، لا إلى اضطراب في المعنى، وتؤكّد الرسالة أنّ موقف البيضاوي متماسك، وأنّ تفسيره مؤسّس على قواعد كلامية دقيقة تجمع بين العقل والنص، والردود المعروضة تظهر براعة في تحرير محل النزاع، والتفريق بين مدلولات المفاهيم الكلامية.

وبذلك يُعدّ هذا النموذج التفسيري مثالاً على الدمج المتوازن بين علم التفسير وعلم الكلام في خدمة المعنى القرآني، ويُظهر تميّزاً في معالجة الإشكالات العقدية دون الإخلال بجوهر الدلالة القرآنية.

الكلمات المفتاحية: العدل الإلهيّ، نفيُ الظلم، تفسير البيضاوي، السببيّة والعلّة، العقوبة والاستحقاق.

Abstract:

This exegetical treatise addresses the verse: «And Allah is not unjust to His servants» (Al Imran: 182), by analyzing and responding to theological objections related to the causality of divine justice in punishment. Al-Fadil Al-Baydawi, in his interpretation, holds that the negation of injustice implies the existence of justice, and that justice entails rewarding the righteous and punishing the

wrongdoer. Therefore, justice becomes a cause for punishing those who deserve it.

Some exegetes objected to this view, arguing that refraining from punishing someone who deserves it is not, in itself, considered injustice, and thus the negation of injustice cannot be taken as a reason for inflicting punishment.

Al-Wani responds that this objection results from a confusion between a cause and a compelling cause. A cause does not necessarily entail the result, just as a pen is a cause of writing but does not compel it. He clarifies that justice is a non-compelling cause of punishment—it does not necessitate it, but it allows and justifies it when the condition of deserving is fulfilled. He also explains that the negation of injustice does not oblige Allah to punish; rather, it confirms that punishment, when it occurs, is always based on justice, not on whim or oppression.

A comparison between Al-Baydawi's interpretations in Al Imran and Al-Anfal shows consistency in meaning: in both contexts, the negation of injustice removes the possibility of punishment without sin, rather than requiring punishment in every case.

Al-Wani shows that these interpretations aim to restrict punishment to those who have sinned, not to deny divine mercy or limit Allah's will. He also refutes the claim that causality must be based on moral desert, using examples such as wrongful killing or beating, which cause harm without being deserved. Thus, causality is not confined to moral desert but may operate according to Allah's laws in creation.

The analysis further shows that refraining from punishment is not a denial of justice but rather a manifestation of mercy. Allah combines justice with grace. The verse indicates that Allah does not punish without sin, and never acts unjustly, but this does not mean that every sinner must be punished. Justice serves as a possible cause for punishment, but it does not always lead to it, as it

remains subject to Allah's will.
What appears to be a difference in Al-Baydawi's wording between the two verses is actually due to differences in context, not contradiction in meaning.
The treatise concludes that Al-Baydawi's interpretation is coherent and rooted in solid theological reasoning, combining both rational and textual evidence. The objections discussed are skillfully addressed, with precise distinctions between theological concepts. This exegetical model offers a refined example of how Quranic interpretation and theology can be integrated to serve the deeper understanding of the Quranic message, without compromising its essential meaning.

Keywords: Divine Justice, Denial of Injustice, Al-Baydawi's Exegesis, Causality and Reason, Punishment and Deservedness

مقدّمة التحقيق:

الحمد لله الذي أنزل الكتاب هدىً وبياناً، وجعل التأمّل في آياته سبيلاً للعلم والإيمان، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمّد بن عبد الله، وعلى آله الأطهار، وصحابته المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم القرار.

أمّا بعد...

فإنّ تحقيق المخطوطات التفسيرية من أرفع أبواب خدمة التراث الإسلامي، لما تحويه من ذخائر علمية تسهم في فهم النص القرآني، وتُظهر تطوّر العلوم الإسلامية وتفاعلها مع قضايا الفكر والعقيدة. ومن هذه المخطوطات ما يجمع بين الدقّة التفسيرية والدقّة الكلامية، كما في هذه الرسالة التي تناولتها بالتحقيق والدراسة.

يتناول هذا البحث بالتحليل الكلامي والتفسيري الآية الكريمة: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، مستعرضاً أقوال الإمام البيضاويّ في تفسيرها، وما أُثير حولها من اعتراضات كلامية تتعلّق بعدل الله وسببية العدل للعقاب، ومدى دلالة نفي الظلم على وجوب العذاب. ويركّز البحث على بيان الفرق الدقيق بين «السبب» و«العلّة الموجبة»، مبيّناً أنّ السبب لا يوجب النتيجة بالضرورة؛ بل يبرّرها ضمن نظام الحكمة الإلهية.

كما يُبرز البحث جهود المولى محمّد الوانيّ في الردّ على تلك الإشكالات، وتحرير محل النزاع بدقّة، وبيان انسجام التفسير مع العقيدة. وقد اعتمدتُ في تحقيق هذه الرسالة على جمع النسخ، ومقابلة النصوص، وضبطها لغوياً، مع شرح الغريب وتوثيق المصادر، ثمّ قمتُ بإعداد دراسة تحليلية تضع النص في سياقه العلمي والفكري.

ويهدف هذا البحث إلى تحقيق نص تراثي لم يُنشر من قبل، وإظهار قيمته العلمية، وبيان تداخل المنهج التفسيري والكلامي في تفسير القرآن الكريم، وبيان كيفية توظيف علم الكلام في معالجة القضايا العقدية دون الإخلال بالدلالة النصيّة للآية، كما يسعى؛ لتقريب هذا التراث إلى الباحثين، وإتاحة مادته بأسلوب علمي موثوق.

وتضمّنت خطّة البحث تقسيم العمل إلى قسمين رئيسيين:

القسم الأول: القسم الدراسي.

استعرضتُ فيه السيرة الذاتية للمؤلف، والمنهج المتبع في التحقيق، بالإضافة إلى وصف النسخ الخطية.

القسم الثاني: النص المحقّق بشكله النهائي.

وختمتُ التحقيق بما يأتي:

- الهوامش.
- توثيق المصادر والمراجع.

وأخيراً نسأل الله أن يتقبّل هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً لطلّاب العلم والباحثين.

القسم الأول: القسم الدراسي.

حياة المؤلف

الخوشابيّ الوانيّ (... – ١٠٩٦ هـ .../ – ١٦٨٥ م) (١).

«السيد محمّد بن السيد بسطام بن السيد رستم بن السيد الشيخ خليل بن السيد الشيخ علي بن السيد يونقلي بن السيد حمزة بن السيد قنبر، من أولاد أمير المؤمنين، إمام المتقين، أبي عبد الله الحسن بن أمير المؤمنين، وإمام المتقين أبي الحسن علي المرتضى بن أبي طالب، وابن سيدة نساء العالمين أم الموحدين فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)(٢). الخوشابيّ(٣). الوانيّ(٤)، وانقولي المتوفى ١٠٩٦ هـ»(٥).

فهو «محمّد بن بسطام الخوشابيّ الحسينيّ الروميّ، المعروف بالوانيّ: مفسّر، واعظ، فقيه حنفيّ، من علماء الدولة العثمانية، من أهل خوشاب(٦). القريبة من بلدة (وان) التركية، نفي إلى قرية كستل(٧). من قرى بروسة(٨) ، وتوفي بها. من كتبه (خلاصة التفاسير)، و(عرائس القرآن ونفائس الفرقان) في قصص الأنبياء(٩). قال في كشف الظنون: «وهو أحسن وأفيد من «عراش» الثعلبي، ذكر فيه تفسير البيضاويّ وحواشيه، ومن الكشّاف (١٠) وحواشيه»(١١).

منهجية إعداد النص المحقّق

لضمان دقة ووضوح النص المحقّق، اتبعنا المنهجية التالية:

١. تحديث الإملاء: تمّت كتابة النص المحقّق وفقاً لقواعد الإملاء الحديثة، باستثناء الآيات القرآنية التي حافظنا فيها على الرسم القرآني الأصيل.

٢. توثيق الفروقات: سجّلت الاختلافات بين النسخ المختلفة في الهامش؛ لتمكين القارئ من مقارنتها.

٣. عزو الآيات القرآنية: نسبت كل آية قرآنية مُستشهد بها إلى سورتها، مع ذكر رقم الآية تحديداً.

٤. توثيق الأقوال: عُزيت أقوال العلماء إلى مصادرها الأصلية، تأكيداً للتوثيق وضماناً لدقّة ما نُقل.

٥. تمييز النصوص: استخدمنا أقواساً خاصة؛ لتمييز أنواع النصوص المختلفة:﴿ ﴾: للآيات القرآنية.

« »: لنقل الأقوال المباشرة.

[ ]: للإضافات المأخوذة من نسخ أخرى، لتمييزها عن المتن الأصلي.

٦. ملاحظة السقط: نبّه في الهامش إلى المواضع التي سقطت من النسخة «أ» ؛لتسهيل المقارنة المرجعية.

٧. علامات الترقيم: روعي استعمال علامات الترقيم المناسبة (فواصل، نقاط، نقطتين رأسيتين، وغيرها)؛ لتعزيز وضوح النص وتيسير فهمه.

٨. ترقيم الصفحات الأصلية: أُدرجت أرقام الصفحات كما وردت في المخطوطة الأصلية ضمن النص، محصورة بين [ ]، مع استخدام الرمز (أ) للصفحة الأمامية و(ب) للصفحة الخلفية؛ لتسهيل تتبع المخطوطة الأصلية والمراجعة.

٩. التعريف بالأعلام: قُدِّم تعريف موجز بالشخصيات العلمية المذكورة عند أول ورود لأسمائهم في النص.

١٠. الفهارس الختامية: اختتم التحقيق بفهارس شاملة للمصادر والمراجع التي جرى الاعتماد عليها في إعداد النص وتحقيقه.

وصف النسخ الخطية:

١. النسخة الأصلية: وهي النسخة المحفوظة في مكتبة أسعد أفندي (تركيا) تحت رقم ٣٦٠٠، وتتألف من أربعة ورقات، يحتوي كلّ وجه منها على ١٩ سطراً، ويضم كلّ سطر ما بين ٨ إلى ١٠ كلمة، باستثناء الوجه الأخير من الورقة الأخير، فالسطور فيها من سطر ١٤ إلى ١٩ يضم من كلمة إلى أربع كلمات، وقد كُتبت بخط التعليق (الخط الفارسي).

ووقع الاختيار على هذه النسخة؛ لتكون معتمدة في التحقيق، نظراً لما امتازت به من نصّ كامل خالٍ من الإضافات، ومنسّق بوضوح في الترتيب والخط، ومتماسكة البناء، ممّا يجعلها أوثق النسخ وأقربها إلى الأصل.

أما النسخة الثانية، فقد تبيّن ضعفها من جهة عدم الوضوح، وكثرة التعليقات المضمّنة، ممّا أثّر في تماسك النص وأفقدها صفة الاستقلال.

في حين أن النسخة الثالثة وردت في صورة حواشٍ لا متنٍ، تفتقر إلى التسلسل والاكتمال، الأمر الذي يجعلها نسخة مساعدة لا تصلح للاعتماد الأصلي.

٢. النسخة الثانية: وهي المشار إليها بالرمز (ب)، محفوظة في مكتبة قسطموني (تركيا) بالرقم ٣٦٩، وتتكوّن من ثلاث ورقات، يحتوي كلّ وجه منها على ٢٧ سطراً، ويضم كلّ سطر ما بين ١٢ إلى ١٥ كلمة، باستثناء الوجه الأخير من الورقة الأخير تحتوي على ١٤ سطراً، تضم السطور الإحدى عشر الأولى من ١١ إلى ١٥ كلمة، أمّا السطور الثلاثة الأخيرة فتتراوح من ٤ إلى ٨ كلمات، وقد كُتبت بخط التعليق (الخط الفارسي).

٣. النسخة الثالثة: تُعرف النسخة الثالثة بالرمز (ت)، وهي محفوظة في مكتبة أحمد الثالث بتركيا تحت الرقم ١٥٤١. تتألّف هذه النسخة من ثلاث ورقات، وقد جاءت في هيئة حواشٍ وليست نصّاً أصليّاً، وقد كُتبت بخط التعليق (الخط الفارسي).

الورقة الأولى: الوجه الأول منها: تبدأ المخطوطة من الجانب الأيمن ضمن إطار، وتمتد الكتابة بشكل عمودي حتى أسفل الصفحة. يضم هذا الوجه ٤٧ سطراً، ويتراوح عدد الكلمات في السطر الواحد بين ٤ و ٩ كلمات.

أمّا الوجه الثاني: تبدأ الكتابة من الأعلى باتجاه اليسار ضمن الإطار، وتمتد عمودياً. يحتوي هذا الوجه على ٣٨ سطراً، وتتراوح الكلمات في السطر الواحد بين كلمتين وخمس كلمات.

الورقة الثانية: الوجه الأول منها: جاء على شكل حاشية، ويقع على يمين الصفحة داخل إطار يمتد إلى أسفلها. يضم هذا الوجه ٥٨ سطراً، بمعدل يتراوح بين كلمة وخمس كلمات في السطر الواحد.

أمّا الوجه الثاني: تبدأ الكتابة من الأعلى باتجاه اليسار ضمن الإطار، وتمتد عمودياً. يحتوي على ٥٨ سطراً، وتتراوح الكلمات في السطر الواحد بين كلمتين وخمس كلمات.

الورقة الثالثة: الوجه الأول منها: مُقدّم أيضاً على شكل حاشية، ويقع على يمين الصفحة داخل إطار يمتد إلى أسفلها. يضم هذا الوجه ٥٨ سطراً، بمعدل يتراوح بين كلمة وخمس كلمات في السطر الواحد.

أمّا الوجه الثاني: يحتوي على ٧ أسطر فقط في الجزء العلوي من الورقة باتجاه اليسار ضمن الإطار، وتمتد هذه الأسطر أفقياً. يتراوح عدد الكلمات في السطر الواحد من ٤ إلى ٥ كلمات.

صور من النسخ المعتمدة في التحقيق

أولى صفحات المخطوطة الأصلية (أ)

آخر صفحات المخطوطة الأصلية (أ)

الصفحة الاولى من النسخة (ب)

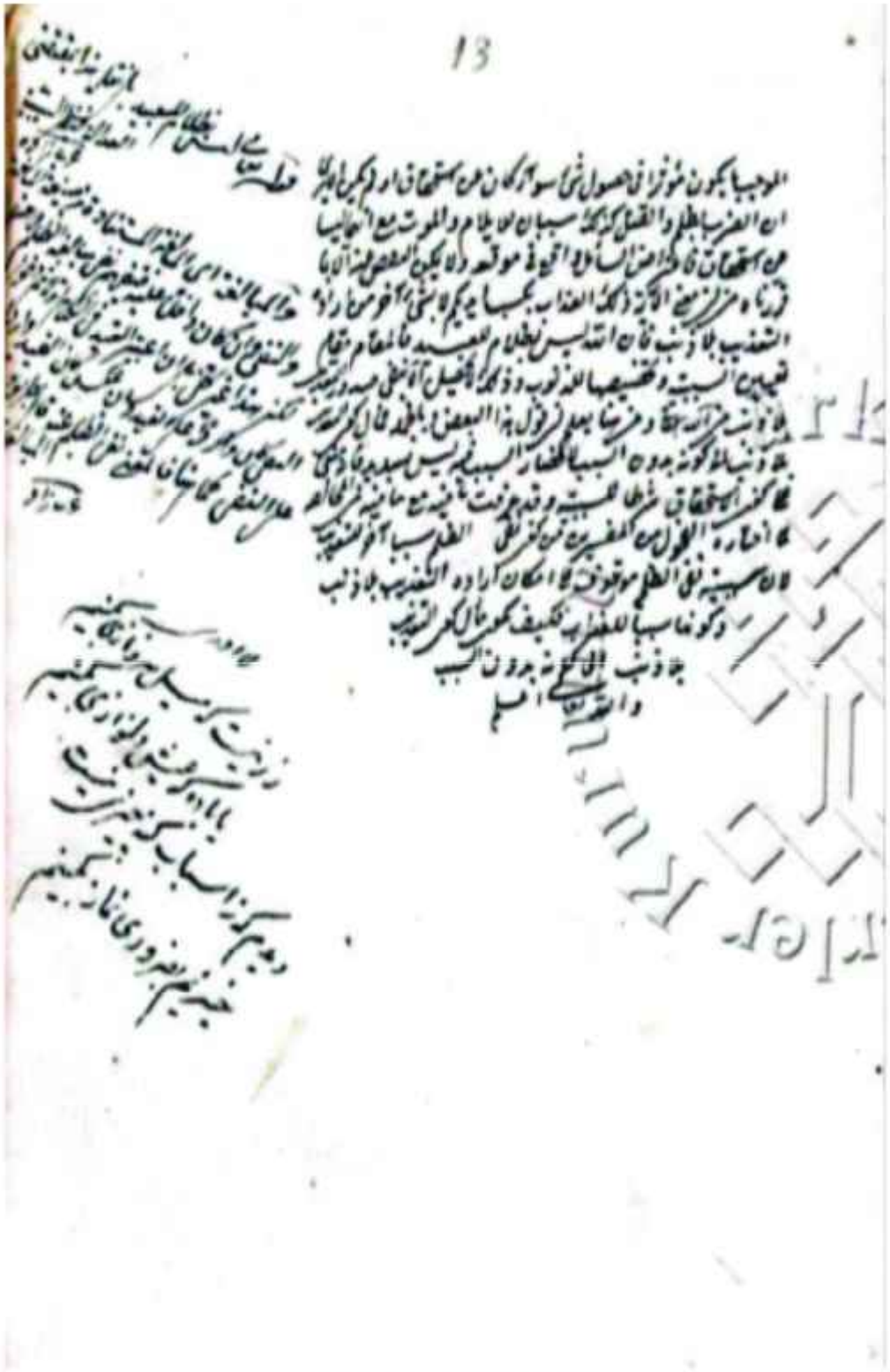

الصفحة الأخيرة من النسخة (ب)

الصفحة الأولى من النسخة (ت)

الصفحة الأخيرة من النسخة (ت)

القسم الثاني: النص المحقّق:

رسالة[متعلّقة بالتفسير](١٢). للمولى الفاضل الكامل الربانيّ الشهير بمحمّد الوانيّ عليه رحمة الملك الغني(١٣)

[بسم الله الرحمن الرحيم] (١٤).

الحمد لوليّه، والصلاة على نبيّه وآله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فقد قال الفاضل البيضاويّ(١٥).في تفسير سورة آل عمران في قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(١٦).﴿وأن الله﴾ «عطف على ما قدّمت وسببيته للعذاب من حيث أنّ نفي الظلم (١٧). يستلزم العدل المقتضي إثابة المحسن ومعاقبة المسيء»(١٨). انتهى.

قيل: «فساده ظاهر فإن ترك التعذيب من مستحقّه ليس بظلم شرعاً ولا عقلاً لينتهض نفي الظلم سبباً للتعذيب»(١٩).

يقول العبد الحقير: «منشأ(٢٠). هذا الاعتراض عدم الفرق بين السبب والعلّة الموجبة، والفرق واضح؛ فإنّ السبب وسيلة محضة(٢١).لا توجب(٢٢). حصول(٢٣).المسبّب كما أنّ القلم سبب للكتابة غير موجب إيّاها والعدل اللازم من نفي الظلم سبب لعذاب المستحقّ، وإن لم يوجبه، فالاستدلال بعدم الإيجاب على عدم السببية فاسد(٢٤)جداً»(٢٥)، وأما قوله: «للعدل المقتضي إثابة المحسن ومعاقبة المسيء فهو بيان لمقتضى العدل إذا خلّى وطبعه، وتقرير لكونه وسيلة له ولا يلزم منه إيجاب الإثابة والمعاقبة على كلّ حال على ما ينبئ عنه»(٢٦). قوله: «سبقت رحمتي على غضبي»(٢٧)، لا يقال يحتمل أن يكون بناء هذا الاعتراض على [١/أ] وقيل: ظهور فساد كلام البيضاوي عند رجوع الضمير في وسببيته إلى نفي الظلم كما قيل وأما إذا رجع إلى ما قدمت كما هو الأقرب فلا إذ معناه حينئذ أن سببيته كفرهم ومعاصيهم للعقاب ليس إلا من حيث أن نفي الظلم يستلزم أن لا يعاقب إلا المسيء فكانت مقيدة بانضمامه إليه كما ذكره القائل(٢٨). في سورة الأنفال حيث قال: «عطف عليه(٢٩).للدلالة على أن سببيته مقيدة بانضمامه غليه إذ لولاه لأمكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم»(٣٠). هذه عبارته فلا مخالفة بينهما انتهى. أقول: كيف لا يكون المخالفة وخلاصة كلامه ههنا على تقريركم هذا ذلك بكفركم عند عدم التعذيب بلا ذنب مع اقتضاء العدل العذاب مع الذنب وفي سورة الأنفال ذلك بكفركم عند عدم التعذيب بلا ذنب مع إمكان التعذيب بدون الذنب وفرقهما ظاهر لا خفاء فيه على أن المعنى حينئذ الكفر والمعاصي إنما يكونان سببين لاستحقاق العذاب عند تعذيب الله المسيء بذنبه وأمّا عند عدمه فلا يصلحان أن يكونا سببين له وفساده ظاهر فإن كلا من الكفر والمعاصي سبب لاستحقاق العذاب سواء وجد العذاب أو لم يوجد مع ما فيه من شبه تفكيك الضمائر فإن قوله عطف بمعنى معطوف فالذي فيه من رابطه يرجع إلى غير ما يرجع إليه ضمير وسببيته ومن لزوم استدراك في الكلام وهو أن قوله وسببيته جواب دخل مقدر لخفاء سببيته نفي الظلم للعذاب وسببيّة الكفر للعذاب مما لا ستره فيها فلا يتوجه فيه شيء من السؤال ولا يحتاج إلى إيراد الجواب[١/ب]. «المفهوم المعتبر عند الشافعيّة لا على كون السبب موجباً حتى يلزم ما ذكر؛ لأنّا نقول: إن أرادت بالمفهوم مفهوم قوله تعالى: ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ فنقول حاصلهُ إنّ العدل سبب لعذاب المستحقّين فالمفهوم فيه أن العدل لا يكون سبباً لعذاب غير المستحِقّين(٣١)، فهو معنى متفق عليه لا نزاع فيه وإن أردت أنّ المفهوم من قولنا: سبب تعذيبهم كونه تعالى غير ظالم أنّه تعالى لو لم يعذبهم لكان ظالماً نقول فهو مع بعده عن سياق كلام المعترض من قبيل الاستدلال بانتفاء السبب على انتفاء المسبب فيكون منفيّاً(٣٢). على كون المراد بالسبب السبب الموجب كما قلنا ولا يكون من باب المفهوم في شيء وإن أردت غير ذلك فبيّن حتى يتكلم عليه، فالحقّ أنّ حاصل الاعتراض الاستدلال بتحقّق أحد المتنافيين في وجود انتفاء(٣٣). الآخر، والجواب أنّ يمنع المنافات بينهما فإنّ التنافي إنّما ينشأ في(٣٤).كون العدل سبباً موجباً للعذاب(٣٥).[منافياً له وليس كذلك فإنّ العدل وسيلة محضة للعذاب] (٣٦). إن شاء يعذّب بعدله

وإن شاء يغفر بلطفه وكرمه على ما مر فيترك (٣٧) التعذيب لا يلزم انتفاء نفس العدل؛ بل انتفاء كونه وسيلة له بالفعل ولا محذور فيه، ثم قيل في دفع هذا الاعتراض؛ أن حاصل معنى الآية دفع(٣٨). العذاب عليكم ولم يترك وبسبب (٣٩). أنّ الله تعالى ليس بظلّام للعبيد وهو بمنطوقه يدل على أنّ نفي الظلم لا يكون سبباً لترك التعذيب مع مستحقه(٤٠). [٢/أ] ويدل(٤١)على كون الظلم سبباً لترك التعذيب؛ بل له سبب آخر وهو لطفه تعالى(٤٢)، فلا يرد عليه ما أورده بعض المفسّرين من «أنّ ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعاً ولا عقلاً لينتهض نفي الظلم سبباً للتعذيب»(٤٣). انتهى.

أقول: هذا ذهول عن مقصود المعترض أيضاً فإن حاصل ما ذكره على ما قرّرناه الاستدلال(٤٤). بتحقّق أحد المتنافيين على انتفاء الآخر فدلالة الكلام على كون الظلم سبباً لترك التعذيب وعدمها خارج عن مطمح نظره على أنّه إذا كان المراد بالسبب السبب الموجب على ما هو مبني كلام ذلك البعض فدلالته عليه ظاهرة فإنّ وجود السبب الموجب كما يكون سبباً لوجود المسبب يكون عدمه سبباً لعدمه(٤٥). كما في طلوع الشمس ووجود النهار فالعدل أعني نفي الظلم إذا كان(٤٦).لتعذيب المستحق يكون عدمه أعني الظلم سبباً لعدم التعذيب له وبالجملة خلاصة هذا الاعتراض المعارضة بطريق القياس الاستثنائي(٤٧). بأنّه لو كان ترك التعذيب ظلماً لكان نفي الظلم سبباً للتعذيب لكن ترك التعذيب ليس بظلم فنفي الظلم لا يكون سبباً له، وحقّ الجواب منع الملازمة بين المقدّم والثاني(٤٨). بأنّه لم لا يجوز أن لا يكون ترك التعذيب ظلماً ويكون نفي الظلم سبباً بأن يكون السبب سبباً غير موجب على ما مرّ ثمّ إنّ هذا الفاضل (٤٩). [٢/ب] قال في سورة الأنفال في تفسير هذه الآية: أنّ الله «عطف عليه للدلالة على أنّ السببية(٥٠).مقيّدة بانضمامه إليه إذ لولاه لأمكن أن يعذّبهم [بغير ذنوبهم] (٥١). لا أن لا يعذبهم بذنوبهم، فإنّ ترك التعذيب من مستحقّه ليس بظلم شرعاً ولا عقلاً حتى ينتهض نفي الظلم سبباً للتعذيب» (٥٢). انتهى.

أقول: قوله: لا أن لا يعذّبهم بذنوبهم معطوف على قوله أن يعذّبهم، والمعنى أنّ سبب ذكر(٥٣). هذا القيد دفع احتمال أن يعذّبهم بغير ذنوبهم لا احتمال أن لا يعذبهم بذنوبهم فإنّه أمر حسن شرعاً وعقلاً(٥٤)، وقوله: للدلالة على أنّ السببية مقيّدة بانضمامه إليه أي تعيّنه(٥٥). للسببية إنّما يحصل بهذا التقييد إذ بإمكان تعذيبه(٥٦). بغير ذنب، يحتمل أن يكون سبب التعذيب إرادة العذاب بلا ذنب فيكون حاصل معنى الآية أنّ عذابكم هذا إنّما نشأ من ذنوبكم لا من شيء آخر، لا يقال هذا يخالف ما قال في سورة آل عمران من أنّ سببية(٥٧).للعذاب من حيث أنّ نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي إثابة المحسن ومعاقبة المسيء لأنّا نقول لنفي الظلم معنيان: أحدهما: ما ذكر من إثابة المحسن ومعاقبة المسيء، والآخر عدم التعذيب بلا ذنب وكل منهما يؤول إلى معنى العدل فلا تدافع (٥٨). بين كلاميه وأمّا جعله هناك سبباً وهنا قيداً للسبب [٣/أ] فلا يوجب التدافع أيضاً فإنّ المراد بالسبب الوسيلة المحضة فهو وسيلة سواء اعتبر سبباً مستقلاً وقيداً للسبب وبما ذكرنا يعلم أنّ قول من قال تزييفاً لكلامه أنّ إمكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب؛ بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة المعينة لسبب(٥٩).ذنوبهم حتى يحتاج إلى اعتبار عدمه كلام نشأ من عدم الاطلاع على المراد فإنّ كلامه ليس في منافات هذين الأمرين بحسب ذاتيهما؛ بل في منافات احتمال التعذيب بلا ذنب لتعين سببية الذنوب [له] (٦٠). ثم قال هذا عقيب كلامه ذلك: لو كان المدعي أنّ جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين لاحتيج إلى ذلك»(٦١). انتهى.

«وهذا أيضاً مبني على عدم الشعور(٦٢). المزبور(٦٣)، فإن الاحتياج إلى ذلك القيد في كلّ من الصورتين إنّما هو لتقرير(٦٤). المخاطبين وتبكيتهم(٦٥). في الاعتراف بتقصيراتهم بأنّه لا سبب للعذاب إلا من قبلهم فالقول بالاحتياج في صورة عموم الخطاب لجميع المعذّبين وبعدمه في صورة خصوصه بالكفرة(٦٦). ركيك جداً»(٦٧). بقي ههنا شيء وهو أنّ قول البيضاوي: «فإنّ ترك التعذيب من مستحقّه ليس بظلم»(٦٨)، لا ينتهض دليلاً

مع الخصم المعتزلي إلا أن يقال أنّه كلام تحقيقيّ لا يجب أن يكون مقدّماته مسلّمة عند الخصم فتدّبر والله تعالى (٦٩).أعلم. [٣/ب]

ثمّ قال بعض الأفاضل(٧٠). في حاشيته على تفسير البيضاويّ في شرح قوله للدلالة على أنّ سببيّة مقيّدة بانضمامه إليه «يريد أنّ سببية الذنوب للعذاب يتوقّف(٧١). على انتفاء الظلم من الله تعالى، فإنّه لو جاز صدوره عنه لأمكن أن يعذّب عبيده بغير ذنوبهم، فلا يصلح أن يكون الذنب سبباً لا في هذه الصورة ولا في غيرها، فإن قلت لا يلزم من هذا إلا نفي الحصار السبب للعذاب في الذنوب، لا نفي سببيتها له والكلام فيه إذ يجوز أن يقع العذاب في الصورة المفروضة بسبب غير(٧٢). الذنوب، ولا ينافي هذا كونها سبباً له في غير هذه الصورة كما في أهل بدر مثلاً فلا يتم التقريب» (٧٣) (٧٤).

«قلت: السبب المفروض في الصورة المذكورة، إن أوجب استحقاق العذاب يكون ذنباً لا محالة والمفروض خلافه، وإن لم يوجبه فلا يتصوّر أن يكون سبباً إذ لا معنى لكون شيء سبباً إلا كونه مقتضياً لاستحقاقه له فإذا انتفى هذا ينتفي ذلك، وبالجملة فمآل كون التعذيب من غير ذنب إلى كونه بدون السبب لانحصار السبب فيه» (٧٥). إلى هنا كلامه.

أقول: «قوله: وإن لم يوجب(٧٦)، فلا يتصور أن يكون سبباً ممنوع فإن السبب الموجب ما يكون مؤثراً في حصول شيء سواء كان عن استحقاق أو لم يكن(٧٧). ألا يرى(٧٨). أن الضرب بظلم(٧٩)، والقتل [٤/أ] كذلك سببان للإيلام والموت مع أنهما(٨٠). ليسا(٨١).عن استحقاق، فاعتراض السائل واقع في موقعه، ولا يمكن التقصّي(٨٢). عنه إلا بما قرّرناه. من أنّ معنى الآية ذلك العذاب بكسب(٨٣). أيديكم لا بشيء(٨٤). آخر من إرادة التعذيب بلا ذنب فإن الله(٨٥). ليس بظلام للعبيد فالمقام مقام تعيين السببية، وتخصيصها للذنوب وذلك لا يحصل إلا بنفي صدور التعذيب(٨٦). بلا ذنب من الله(٨٧). تعالى، ومن هنا يعلم(٨٨). أن قول هذا البعض وبالجملة فمآل كون التعذيب بلا ذنب إلى كونه بدون السبب لانحصار السبب فيه ليس بسديد فإنه مبني على كون الاستحقاق شرطاً للسببية وقد عرفت ما فيه مع ما فيه من المخالفة لما اختاره الفحول(٨٩). من المفسرين من كون نفي الظلم سبباً آخر للتعذيب لأن سببية نفي الظلم موقوف(٩٠). على إمكان إرادة التعذيب بلا ذنب وكونها سبباً للعذاب فكيف يكون مآل كون التعذيب بلا ذنب إلى كونه بدون السبب»(٩١). والله تعالى أعلم بالصواب(٩٢).[٤/ب].

الهوامش:

(١)لم تذكر المصادر التي ترجمت سيرته الذاتية سنة ولادته، إذ اكتفت بذكر سنة وفاته فقط.

(٢)هذه الترجمة نقلاً عن كتاب (عرائس القرآن ونفائس الفرقان وفراديس الجنان) المعروف بـ(قصص الأنبياء) للوائي، والذي حقّقه سعيد عبد الفتاح. ويذكر المحقّق أن هذه الترجمة نقلها من نسخة المخطوط الخاص بهذا الكتاب –عرائس القرآن– وأن هذه الترجمة كتبها الوائي عن نفسه. ينظر: عرائس القرآن ونفائس الفرقان وفراديس الجنان المعروف بـ(قصص الأنبياء) للوائي، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان: ١١/١.

(٣)نسبة للقرية التي ولد فيها، ينظر: الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢م :٥٢/٦.

(٤)نسبة إلى بلد (وان) التركية، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغداديّ: ٢٩٩/٢.

(٥)ينظر: عرائس القرآن ونفائس الفرقان وفراديس الجنان المعروف بـ(قصص الأنبياء): ١١/١.

(٦)«تركي «خوشاب»، «خوشاف» أصله بالباء، وهو فارسي بمعنى «الماء الطيّب»، وهو مركّب من «خوش» بمعنى طيّب، و«آب» بمعنى الماء». معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة وطجاتها، الدكتور ف. عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م: ص١٠٠.

(٧)«وقام هناك بأعمال خيرية كثيرة منها: بناء مسجد، وكذلك مدرسة، وألقى الدروس، وصنّف الكتب في عدد من العلوم

العربية»، عرائس القرآن ونفائس الفرقان وفراديس الجنان المعروف بـ(قصص الأنبياء) للوائي، تحقيق: سعيد عبد الفتاح: ١١/١.

(٨)ويقصد بها مدينة «بورصة» التي تقع شمال غرب تركيا، وتعد (كستل) أحدى ضواحيها: ينظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت – لبنان، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م: ص١٢٤.

(٩)تمّ تحقيق هذا الكتاب على يد سعيد عبد الفتاح، وصدر عن دار الكتب العلمية في بيروت، سنة ١٩٧١.

(١٠)يُقصد به كتاب (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، للزمخشريّ.

(١١)كشف الظنون، لحاجي خليفة: ١١٣١، والأعلام:٥٢/٦، وإيضاح المكنون، لإسماعيل باشا البغداديّ: ٤٣٤/١، وهدية العارفين: ٢٩٩/٢، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة: ١٠٢/٩، ومعجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، لعادل نويهض:٤٩٩/٢.

(١٢)ما بين معقوفين من (ت): رسالة متعلّقة بالتفسير للفاضل محمّد الوائيّ.

(١٣)في (ب): رسالة مولانا فاضل وائي أفندي حضرتلري. في (ت): رسالة متعلّقة بالتفسير للفاضل محمّد الوائيّ.

(١٤)ما بين معقوفين من (ب)، و (ت).

(١٥)البيضاوي، هو«ناصر الدين (.. – ٦٩١هـ، .. – ١٢٩٢م)، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد. قاضٍ وإمام مبرّز من بلاد فارس. تولّى قضاء شيراز، وكان صالحاً متعبداً، أثنى العلماء عليه وعلى مؤلفاته، وأبرزها المنهاج الوجيز في أصول الفقه، وتفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لخصه من تفسيري الزمخشري والرازي وأضاف إليهما ملاحظات في مواضع كثيرة.ولد البيضاوي في مدينة البيضاء قرب شيراز. ولم تذكر كتب التراجم تاريخ ولادته. توفي في تبريز». ينظر: الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م: ٢٠٧/١٧؛ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لأبي محمّد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت٧٦٨هـ)، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م: ١٦٥/٤؛ شد الأزار عن زوار المزار، لمعيد الدين الجنيد بن محمود الشيرازي (ت٧٤٠هـ)، تحقيق: محمّد القزويني، وعبّاس إقبال، مطبعة المجلس، طهران، ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م: ص٢١٢–٢١٣؛ طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود محمّد الطناجي، د. عبد الفتاح محمّد الحلو، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ: ١٥٧/٨–١٥٨؛ الإبهاج في شرح المنهاج، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت٧٧١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م: ٢٥–٢٦؛ نهاية السول (شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول)، لجمال الدين عبد الرحيم الإسنوي (ت٧٧٢هـ)، ضبطه وصححه ووضع حواشيه: عبد القادر محمّد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م: ص٥؛ طبقات الشافعية، لجمال الدين عبد الرحيم الإسنوي الشافعي (ت٧٧٢هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م: ١٣٦/١؛ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان – صيدا: ٥٠/٢؛ العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي (ت٨٠٤هـ)، تحقيق: أيمن نصر الأزهري، وسيد مهني، دار الكتب العلمية، بيروت: ص١٧٢؛ قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، لأبي محمّد بن عبد الله بن أحمد بن علي باحرمة، الهجراني الحضرمي الشافعي (ت٩٤٧هـ)، عُني به: بو جمعة مكري، وخالد زواري، دار المنهاج، جدة، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م: ٤٤٣/٥؛ طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت٨٥١هـ)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتاب، بيروت، ١٤٠٧هـ: ١٧٢/٢–١٧٣؛ طبقات المفسرين، للحافظ شمس الدين محمّد بن علي بن أحمد الداوودي (ت٩٤٥هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد المعين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م: ٢٤٨/١.

(١٦)آل عمران: ١٨٢.

(١٧)في (ت): الظلام.

(١٨)ينظر: تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ: ٥٢/٢.

(١٩)تفسير أبي السعود (ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، لأبي السعود العمادي محمّد بن محمّد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان: ١٢٢/٢.

(٢٠)في حاشية الشهاب وردت (ومنشؤه)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسمّاة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاويّ، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت١٠٦٧هـ)، دار صادر – بيروت:

٢٨٣/٤.

(٢١)في حاشية الشهاب وردت (غير موجبة)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٣/٤.

(٢٢)في (ت): يوجب.

(٢٣)في حاشية الشهاب وردت (لحصول)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٣/٤.

(٢٤)في حاشية الشهاب وردت (المسبب فاسد)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٣/٤.

(٢٥)يُنظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٣/٤.

(٢٦)ينظر: تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل): ٥٢/٢.

(٢٧)صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، حديث رقم ٣١٩٤، في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى؛ وصحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النسيابوري (٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م، حديث ٢٧٥١، في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه. (باختلاف يسير في لفظ الحديث). ففي صحيح البخاري وردت «رحمتي غلبت غضبي»، أمّا في صحيح مسلم وردت «سبقت رحمتي غضبي»

(٢٨)يقصد به: (البيضاوي).

(٢٩)في تفسير البيضاوي، وردت (عطف على «ما»)، يُنظر: تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل): ٦٣/٣.

(٣٠)ينظر: المصدر نفسه: ٦٣/٣.

(٣١)فالمفهوم فيه أن العدل لا يكون سبباً لعذاب غير المستحقين. سقط في (ت).

(٣٢)في (ت): مبنياً.

(٣٣)في (ت): الانتفاء.

(٣٤)في (ت): من.

(٣٥)في (ت): لتركه.

(٣٦)ما بين معقوفين من (ب)، و (ت).

(٣٧)في (ب): فترك. في (ت): فبترك.

(٣٨)في (ت): وقع.

(٣٩)في (ب)، و (ت): بسبب.

(٤٠)في (ب)، و (ت): من.

(٤١)في (ت): ولا يدل.

(٤٢)نقل الألوسي هذا الرأي عن المولى الوانيّ في تفسيره روح المعاني، وأيّده، ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م : ٣٥٤/٢.

(٤٣)يُنظر: تفسير أبي السعود (ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم): ١٢٢/٢؛ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٣/٤.

(٤٤)في (ت): الاستدلالي.

(٤٥)سبباً لعدمه. صح هامش النسخة الأصل.

(٤٦)سبباً. زيادة في (ت).

(٤٧) القياس الاستثنائي: هو القياس الذي يدل على النتيجة بصورتها ومادتها، أو يدل على نقيضها»، ينظر: يُنظر: شرح السُّلَّم في المنطق للأخضري، لعبد الرحيم فرج الجندي، المكتبة الأزهرية للتراث: ص٣٢؛ إيضاح المُبهم من معاني السُّلَّم، للشيخ أحمد عبد المنعم الدمنهوري، تحقيق: مصطفى أيوب محمود الأزهري، دار البصائر، القاهرة، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م: ص ١٢؛ آداب البحث والمناظرة، للشيخ محمّد الأمين بن محمّد المختار الجكني الشنقيطي (ت ١٣٨٣هـ)، تحقيق: سعود بن عبد العزيز العريفي، دار عالم الفوائد: ١٠٥/١؛ ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، صياغة للمنطق وأصول البحث منمشية مع الفكر الإسلامي، لعبد الرحمن جنبكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م: ص ٢٢٨.

(٤٨)في (ت): والتالي.
(٤٩)يقصد بـ(الفاضل)، البيضاوي.
(٥٠)«سببيته» هكذا وردت في تفسير البيضاوي: ينظر: تفسير البيضاويّ (أنوار التنزيل وأسرار التأويل): ٦٣/٣.
(٥١)ما بين معقوفين من (ب)، و (ت).
(٥٢)تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل): ٦٣/٣.
(٥٣)في حاشية الشهاب لم ترد هذه الكلمة (ذكر)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٥٤)في حاشية الشهاب يوجد تقديم وتأخير. إذا وردت في الحاشية (عقلاً وشرعاً)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٥٥)في حاشية الشهاب وردت (تعيينه)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٥٦)في حاشية الشهاب وردت (تعذيبهم)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٥٧)في (ب)، و (ت): سببيته.
(٥٨)في (ب)، و (ت): يدافع.
(٥٩)في (ت): يسبب.
(٦٠)ما بين معقوفين من (ب)، و (ت).
(٦١)ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٦٢)في حاشية الشهاب وردت (الوقوف)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٦٣)في حاشية الشهاب وردت (على مراده)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٦٤)في حاشية الشهاب وردت (لتبكيت)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٦٥)لم ترد في حاشية الشهاب، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٦٦)لم ترد في حاشية الشهاب، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٦٧)ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٦٨)ينظر: تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل): ٦٣/٣.
(٦٩)تعالى. سقط في (ت).
(٧٠)المقصود بالأفاضل هنا: أبو السعود العمادي (٩٨٢هـ) «مفسّر وفقيه حنفي، تولّى القضاء في الدولة العثمانية»، وله تفسير مشهور يُعرف بـ»إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب السليم» معجم المفسرين: ٦٢٥؛ الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، لنجم الدين محمّد بن محمّد الغزي (ت١٠٦١هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م: ٣٢/٣؛ الفوائد البهية في تراجم الحنفية، للعلامة أبي الحسنات محمّد عبد الحي اللكنوي الهندي، عنى بتصحيحه وتعليق بعض زوائده عليه: السيد محمّد بدر الدين أبو فراس النعاني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة: ص٨١.
والشهاب الخفاجي (ت١٠٦٩هـ)، عالم مصري وقاضٍ، ومن أبرز شرّاح تفسير البيضاوي، وهو صاحب الحاشية المعروفة بـ(عناية القاضي وكفاية الراضي)، وهو «قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة، نسبته إلى قبيلة خفاجة، ولد ونشأ بمصر، ورحل إلى بلاد الروم، واتصل بالسلطان مراد العثماني فولّاه قضاء سلانيك، ثم قضاء مصر، ثم عزل عنها فرحل إلى الشام وحلب وعاد إلى بلاد الروم، فنفي إلى مصر وولي قضاءاً يعيش منه فاستقر إلى أن توفي» الأعلام: ٢٣٨/١؛ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمّد أمين بن فضل الله المحبّي الحنفي، تحقيق: محمّد حسن محمّد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م: ٢٣١/١؛ تاريخ آداب اللغة العربية، لجرجي زيدان، راجعه وعلّق عليه: شوقي ضيف، مؤسسة دار الهلال، القاهرة: ٣٠٠/٣؛
(٧١)في حاشية الشهاب وردت (لتوقّف)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٧٢)في (ب): عبر.
(٧٣)في حاشية الشهاب وردت (لتبكيت)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٧٤)ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٧٥)ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٧٦)في حاشية الشهاب وردت (يوجبه)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.

(٧٧)في حاشية الشهاب وردت (أو لا)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٧٨)في حاشية الشهاب وردت (ترى)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٧٩)في حاشية الشهاب وردت (والقتل بظلم)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٨٠)في حاشية الشهاب وردت (أنه)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٨١)في حاشية الشهاب وردت (ليس)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاويّ، عناية القاضي وكفاية الراضي: ٢٨٢/٤.
(٨٢)في (ب): النقض.
(٨٣)في (ت): بحسب.
(٨٤)في حاشية الشهاب وردت (لشيء)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٨٥)في حاشية الشهاب وردت (تعالى)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٨٦)في حاشية الشهاب وردت (العذاب)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٨٧)في حاشية الشهاب لم يرد لفظ الجلالة (الله)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٨٨)في حاشية الشهاب وردت (علم)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٨٩)في حاشية الشهاب وردت (أجلة المفسرين)، ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤.
(٩٠)في (ت): موقوفة.
(٩١)ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٨٢/٤ – ٢٨٣.
(٩٢)بالصواب. سقط من (ب). تم الرسالة. زيادة في (ت).

المصادر والمراجع:

بعد القرآن الكريم

١. الإبهاج في شرح المنهاج، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت٧٧١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
٢. آداب البحث والمناظرة، للشيخ محمّد الأمين بن محمّد المختار الجكني الشنقيطي (ت ١٣٨٣هـ)، تحقيق: سعود بن عبد العزيز العريفي، دار عالم الفوائد.
٣. الأعلام، لخير الدين الزركليّ (ت١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
٤. إيضاح المُبهم من معاني السُّلَّم، للشيخ أحمد عبد المنعم الدمنهوري، تحقيق: مصطفى أيوب محمود الأزهري، دار البصائر، القاهرة، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
٥. إيضاح المكنون إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لإسماعيل باشا البغداديّ، عُني بتصحيحه وطبعه وتعليق حواشيه: محمد شرف الدين يالتقايا، وكالة المعارف بإسطنبول، ١٩٤٥ – ١٩٤٧م.
٦. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان – صيدا.
٧. تاريخ آداب اللغة العربية، لجرجي زيدان، راجعه وعلّق عليه: شوقي ضيف، مؤسسة دار الهلال، القاهرة.
٨. تاريخ الدولة العلية العثمانية، لمحمد فريد، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت – لبنان، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
٩. تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٠. تفسير البيضاويّ (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازيّ البيضاويّ (ت ٦٨٥م)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨ هـ.
١١. حاشية الشهاب على تفسير البيضاويّ، المسمّاة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاويّ، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت١٠٦٧هـ)، دار صادر، بيروت.
١٢. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمّد أمين بن فضل الله المحبّي الحنفي، تحقيق: محمّد حسن محمّد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م.
١٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
١٤. شد الأزار عن زوار المزار، لمعيد الدين الجنيد بن محمود الشيرازي (ت٧٤٠هـ)، تحقيق: محمّد القزويني، وعبّاس إقبال، مطبعة

المجلس، طهران، ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م.
١٥. شرح السُلَّم في المنطق للأخضري، لعبد الرحيم فرج الجندي، المكتبة الأزهرية للتراث.
١٦. صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
١٧. صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النسيابوري (٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م.
١٨. ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي، لعبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
١٩. طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود محمّد الطناحي، د. عبد الفتاح محمّد الحلو، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
٢٠. طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت٨٥١هـ)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتاب، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٢١. طبقات الشافعية، لجمال الدين عبد الرحيم الإسنوي (ت٧٧٢هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م.
٢٢. طبقات المفسرين، للحافظ شمس الدين محمّد بن علي بن أحمد الداوودي (ت٩٤٥هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد المعين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
٢٣. عرائس القرآن ونفائس الفرقان وفراديس الجنان المعروف بـ(قصص الأنبياء) للواني، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ١٩٧١م.
٢٤. العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي (ت٨٠٤هـ)، تحقيق: أيمن نصر الأزهري، وسيد مهني، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٥. الفوائد البهية في تراجم الحنفية، للعلامة أبي الحسنات محمّد عبد الحي اللكنوي الهندي، عنى بتصحيحه وتعليق بعض زوائده عليه: السيد محمّد بدر الدين أبو فراس النعاني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٢٦. قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، لأبي محمّد بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهجراني الحضرمي الشافعي (ت٩٤٧هـ)، عُني به: بو جمعة مكري، وخالد زواري، دار المنهاج، جدة، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.
٢٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله، محمود بن عمر بن محمد للزمخشريّ (ت٥٣٨هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠٩م.
٢٨. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ويليه إيضاح المكنون ويليه هدية العارفين، لحاجي خليفة، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٩. الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، لنجم الدين محمّد بن محمّد الغزي (ت١٠٦١هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م
٣٠. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لأبي محمّد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت٧٦٨هـ)، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.
٣١. معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، الدكتور ف. عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.
٣٢. معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، لعادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.
٣٣. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة (ت١٩٨٧م)، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
٣٤. نهاية السول (شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول)، لجمال الدين عبد الرحيم الإسنوي (ت٧٧٢هـ)، ضبطه وصححه ووضع حواشيه: عبد القادر محمّد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
٣٥. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغداديّ، وكالة المعارف، اسطنبول ١٩٥١.
٣٦. الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

المثقف المهزوم وتمثيلات الخيانة في رواية «رجال في الشمس» لغسان كنفاني مقاربة نقدية

م. د. سرى ظافر سلمان
الجامعة العراقية /كلية الاعلام

المستخلص:
يُقدّم البحث قراءة نقدية لرواية "رجال في الشمس" لغسان كنفاني، مستخدماً منهج نقد الأنساق الثقافية المضمرة لتفكيك تمثيلات المثقف المهزوم والخيانة كبنية رمزية في الخطاب العربي ما بعد النكبة. يُركز البحث على شخصية "أبو الخيزران" كأنموذج للمثقف المهزوم الذي تحوّل من صوت مقاوم إلى وسيط للهزيمة، حيث يُجسّد عجز المثقف عن الفعل وتحوله إلى أداة في بنية القمع الرمزي. كما يُحلّل الخيانة كبنية ثقافية وسياسية تتكرر عبر الصمت، والخضوع، والتواطؤ الجماعي، متمثلة في رمزية "الخزان" كفضاء للموت الرمزي والجسدي.
يستند البحث إلى مفاهيم ميشيل فوكو حول السلطة والخطاب، وإدوارد سعيد حول المثقف، وعبد الله الغذامي في نقد الأنساق الثقافية، ليكشف كيف يُنتج النص الأدبي خطاباً نقدياً مضاداً يفضح الأنظمة البيروقراطية والأبوية العربية. الرواية، بحسب البحث، لا تقدم بديلاً خلاصياً، بل تُجبر القارئ على مواجهة أسئلة مفتوحة حول المسؤولية، الصمت، والهزيمة. يُختتم البحث بدعوة لإعادة تأطير دور المثقف العربي كفاعل نقدي مقاوم، مع التأكيد على أهمية قراءة الأدب الفلسطيني كتفكيك للذات العربية وليس كمقاومة للاحتلال فحسب.
الكلمات المفتاحية:المثقف المهزوم، الخيانة، الأنساق الثقافية، رجال في الشمس، أبو الخيزران، غسان كنفاني.

Abstract:
The study offers a critical reading of Ghassan Kanafani's novel Men in the Sun, employing the approach of critiquing implicit cultural patterns to deconstruct representations of the defeated intellectual and betrayal as a symbolic structure in the post-Nakba Arab discourse. The research focuses on the character of "Abu al-Khaizaran" as a model of the defeated intellectual who transforms from a voice of resistance into a mediator of defeat, embodying the intellectual's inability to act and their complicity in the structure of symbolic oppression. It also analyzes betrayal not as an individual act but as a cultural and political structure reproduced through silence, submission, and collective complicity, symbolized by the "tank" as a space of both symbolic and physical death.
Drawing on Michel Foucault's concepts of power and discourse, Edward Said's views on the intellectual, and Abdullah Al-Ghadhami's critique of cultural patterns, the study reveals how the literary text produces a counter-discourse that exposes the bureaucratic and patriarchal Arab systems. The novel, according to the study, does not offer a salvific alternative but compels the reader to confront open-ended questions about responsibility, silence, and defeat. The study concludes by calling for a redefinition of the Arab intellectual's role as a critical, resistant actor, emphasizing the importance of reading Palestinian resistance literature as a deconstruction of the Arab self, not merely as opposition to occupation.
key words : Defeated Intellectual, Betrayal, Cultural Patterns, Men in the sun, Abu al-Khaizaran, Ghassan Kanafani.

المقدمة:

لا نبالغ إذا قلنا إنّ الأدب الفلسطيني الحديث ما كان ليأخذ صورته المتميزة من دون حضور لغسان كنفاني، هذا الكاتب الذي استطاع أن يُحوّل المأساة إلى ملحمة، والنكبة إلى سؤال ثقافي ممتد، لا يتعلق بفقد الأرض وحدها، بل بفقد المعنى، والهوية، والدور. ففي نصوصه، لم يكن الفلسطيني مجرد لاجئ، بل كان شاهداً، ومنفيًّا، ومتمردًا، وضحية وبطلاً في آنٍ. وعلى الرغم من عمره القصير الذي اختُتم باغتيال سياسي عام ١٩٧٢، ترك كنفاني أثرًا أدبيًا بالغًا في الوجدان العربي، بوصفه أنموذجاً لما يمكن أن يكون عليه المثقف المشتبك، المتورط، الذي لا يفصل بين القلم والبندقية، ولا بين الجمال والمأساة.

من بين أعماله العديدة، تتصدر رواية رجال في الشمس (١٩٦٣) مكانةً استثنائية، لا لأنها أول عمل روائي طويل له، بل لأنها نص مفصلي في الأدب العربي الحديث، يقدّم رؤية قاتمة للواقع الفلسطيني والعربي بعد نكبة ١٩٤٨. وعلى الرغم من بساطة الحبكة: ثلاثة فلسطينيين يحاولون التسلل إلى الكويت عبر صهريج ماء، ويموتون خنقًا، إلا أن الرواية تفيض بدلالات رمزية كثيفة تتجاوز الحكاية إلى استبطان البنية العميقة للهزيمة، والخذلان، والتواطؤ. رجلٌ عجوزٌ (أبو قيس)، شابٌ بلا أمل (مروان)، متمرّدٌ مأزوم (أسعد)، وسائقٌ مخصيّ الجسد والضمير (أبو الخيزران)؛ هذه هي الشخوص التي تتحرك داخل صحراء قاحلة، تمشي نحو أمل كاذب، وتموت في عتمة الخزان الحديدي. لكن القصة لا تنتهي هناك. الموت لا يقع داخل الصهريج فحسب، بل في صمت "أبو الخيزران" وهو يحدّث نفسه في النهاية: "لماذا لم تدقوا جدران الخزان؟". هذه العبارة التي صارت مرجعًا ثقافيًا بذاتها، لا تسأل الموتى فقط، بل تسألنا نحن، وتسائل جيلًا بأكمله.

وعلى هذا، فإن الرواية لا تُقرأ كأدب نكبة، بل كخطابٍ رمزيّ مشفّر عن بنية الخيانة في الثقافة العربية، وعن غياب المثقف، أو تحوّله إلى شاهد زور على لحظة الإبادة الرمزية. إنها رواية مكتوبة بنسقين: ظاهرٌ يعرض مأساة التهريب، وباطنٌ يفضح علاقة الذات المهزومة بنفسها، وبالسلطة، وبالخلاص المستحيل.

لقد استطاع كنفاني، عن طريق لغةٍ مقتضبة ومشحونة، أن يضع القارئ أمام مفارقة حارقة: الفلسطيني لا يموت برصاص العدو، بل يختنق في عتمة خيانة الذات، في صمتٍ يُشبه الرضا، في بنية ثقافية تبرر الانسحاب، وتعيد إنتاج الهزيمة في كل جيل. لم يكن الخزان مجرد أداة نقل، بل تمثيلا مكثفا للواقع السياسي والاجتماعي العربي، إذ يُمنح الموت طابعًا بيروقراطيًا باردًا، وتُمنح الخيانة وظيفة رسمية.

هذا ما يجعل من الرواية نصًا غير قابل للتجاوز، لأنها لا تقف عند حدود الزمان والمكان، بل تتجاوزها نحو فضاء رمزي يكشف عن أنساق ثقافية مضمرة تحكم سلوك الإنسان العربي، وتعيد تشكيل علاقته بالسلطة، بالنجاة، وبالهوية، من دون أن يعي أنه يتحرك داخل قفص من الرموز والأوامر غير المنطوقة.

– إشكالية الدراسة

تتأسس إشكالية هذه الدراسة على محورين رئيسين:

المحور الأول: يتعلق بـ (تموضع المثقف داخل الرواية): كيف يُمثَّل المثقف في الرواية؟ وهل هو حامل لقيم المقاومة والتنوير، أم صوت مهزوم عاجز عن اختراق البنية السلطوية/القهرية التي تنتج المأساة؟ تُظهر الرواية أن المثقف ليس غائبًا فقط، بل حاضرا ككائن مخصيّ، فاقد للفعالية، يراوغ عبر البلاغة، لكنه لا يملك أدوات الفعل أو الرفض، كما يتجلى في شخصية "أبو الخيزران".

المحور الثاني: يتعلق بـ (مفهوم الخيانة): كيف تُبنى الخيانة في الرواية ليس كفعل فردي يقوم به شخص ما، بل كنسق رمزي مضمَر تتشاركه السلطة، الثقافة، والسرد؟ الخيانة هنا ليست "خيانة وطنية" تقليدية، بل خيانة الوعي، خيانة الأمل، خيانة الذات لذاتها. إنها لحظة تسليم داخلي، حينما يقبل الإنسان العيش داخل "الخزان" بانتظار أن يُقفل عليه الباب.

المنهج المتبع: نقد الأنساق الثقافية المضمرة

تنهض هذه الدراسة على مقاربة نقدية حديثة تنتمي إلى ما بعد البنيوية، وتُعرف بـ"نقد الأنساق الثقافية المضمرة"، وهو اتجاه يركز على ما يُخفيه النص أكثر مما يُصرّح به، ويقرأ الخطاب لا بوصفه مجموعة جُمل، بل بوصفه بنية سلطوية تُنتج المعنى وتُعيد إنتاجه.

وقد ظهرت هذه المقاربة بقوة في أعمال عبد الله الغذامي، الذي انتقل من النقد الأدبي إلى ما سماه "النقد الثقافي"، حيث أكد أن "النص الأدبي يحمل داخله أنساقًا سلطوية تتستر خلف الجماليات والبلاغة"، وهذا ما ينطبق تمامًا على نص كنفاني الذي يفضح النسق الثقافي العربي لا عن طريق الخطاب، بل بالصمت، والموت في الخزان.

كما تستلهم الدراسة أدواتها من ميشيل فوكو، الذي نظّر لعلاقة المعرفة بالسلطة، مؤكداً أن "الخطاب هو أداة إنتاج للسلطة، وأن كل نص يحتوي على انضباط ضمني يُعيد تشكيل الذات داخل نسق معين". وهنا يظهر كيف أن الرواية تشكل خطابًا سلطويًا/مضادًا يُظهر كيف تُمأسس الهزيمة وتُطبع الخيانة.

كما يُستحضر إدوارد سعيد في قراءته للمثقف بوصفه "صاحب موقف"، لا مجرد ناقل معرفة، إذ يصور "الحياد خيانة"، وبالتالي، فإنّ قراءة شخصية "أبو الخيزران" في عدسة سعيد تكشف عن مثقف فقد موقعه كوسيط بين المعرفة والفعل، وأصبح متواطئًا مع آليات القهر.

أهمية البحث وحدوده

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنّها تقدم قراءة نوعية متعددة الأبعاد لرواية "رجال في الشمس"، بوصفها نصًا لا يزال يحتفظ براهنيته غلى الرغم من مرور عقود على صدوره، إذ تتقاطع فيه إشكالات الحضور الفلسطيني، وسلطة الأنظمة العربية، واغتراب المثقف، والخيانة كخطاب متجذر في بنية الذات العربية.

تسعى الدراسة إلى:

- كسر القراءة التقليدية للرواية التي تُحصرها في إطار الواقعية السياسية أو التوثيق التاريخي.
- تقديم مقاربة نسقية تشتبك مع البنى التحتية للخطاب الثقافي العربي وتُظهر المسكوت عنه.

أما حدود الدراسة، فتتمثل في:

- التركيز على "رجال في الشمس" كونها رواية مهمة تجسد الواقع المعيش .
- الاقتصار على الشخصيات الأربع المركزية وتحليل تمثيلاتها الرمزية.
- الاقتصار على مقاربة نسقية من دون التوسع في قراءات سوسيولوجية أو سيكولوجية.

أهداف البحث

١. تحليل صورة المثقف في الرواية من منظور الهزيمة التاريخية، وذلك بقراءة شخصية "أبو الخيزران" كأنموذج لـ"المثقف المخصي" الذي فقد سلطته الرمزية، وتحول إلى خادم للموت.

٢. كشف النسق الثقافي الذي يُنتج الخيانة بوصفها بنية اجتماعية عميقة، لا مجرد فعل شخصي، بل جزء من خطاب الهزيمة والسلطة والنجاة الفردية.

٣. إعادة تأويل رمزية الشخصيات الثلاثة (أبو قيس، مروان، أسعد) بوصفها تجليات لشرائح اجتماعية مضللة، تبحث عن خلاص فردي مفقود، وتستسلم للانتظار، في مقابل "أبو الخيزران" الذي يمثل "المثقف الخائن"، أو المرواغ الذي يسوّق الهزيمة.

٤. تقديم مقاربة نقدية تُظهر كيف يُحوّل النص الأدبي "الخزان" من فضاء جغرافي إلى نسق ثقافي يحبس الداخل العربي في بنية موت رمزية.

المبحث الأول: الإطار النظري

لقد شهد النقد الأدبي في النصف الثاني من القرن العشرين تحولات جذرية دفعت بالباحثين إلى تجاوز النص بوصفه

بنية لغوية منغلقة، والسعي لفهمه ضمن سياقه الثقافي والتاريخي والمعرفي. من هنا، ظهر ما يُعرف بـ"نقد الأنساق الثقافية"، بوصفه أداة لتفكيك الخطابات والتمثيلات التي تُنتجها النصوص لا على مستوى المعنى الظاهري فحسب، بل عن طريق كشف المسكوت عنه، والمقموع، والمضمر الذي يتواطأ مع البُنى الاجتماعية والسياسية والرمزية.

نشأ نقد الأنساق الثقافية في أحضان ما بعد البنيوية، متأثرًا بتقويض التصورات البنيوية التي حصرت المعنى داخل النص، ورفضت دور المؤلف والسياق. فبينما كانت البنيوية تركز على البنية الداخلية للنص، كان نقاد ما بعد البنيوية، مثل فوكو ودريدا، يُصرّون على أن الخطاب الأدبي هو حقل للصراع الرمزي، وأن النص لا يُنتج المعنى فقط، بل يُنتج السلطة، ويعيد إنتاج النسق الثقافي المهيمن .في هذا السياق، يُعد الناقد السعودي عبد الله الغذامي من أوائل الذين دعوا إلى "تفكيك البلاغة العربية" للكشف عن النسق السلطوي في اللغة، فهو يرى أنّ الجماليات ليست محايدة، بل تتحول إلى حُجُبٍ أيديولوجية تستبطن القهر وتمأسسه داخل النصوص، حتى في أكثرها شاعريةً وبراءةً وبتأثره بميشيل فوكو، يعرّف الغذامي النسق الثقافي بأنّه "منظومة من القيم المستترة التي تُنتج الهيمنة عن طريق التكرار والتواطؤ الرمزي بين الخطاب والمجتمع" (١).

النسق الثقافي، إذن، لا يُعلن عن نفسه صراحة، بل يتسلل في النصوص عبر الرمز، والتكرار، والتقنيات السردية، واللغة المحايدة ظاهريًا. وهنا يكمن المسكوت عنه، ليس كغياب، بل كاختيار واعٍ من بنية الخطاب للإقصاء. وقد أوضح فوكو أن السلطة لا تعمل بالقمع الظاهر فقط، بل بالتنظيم الرمزي لما يمكن قوله وما لا يمكن قوله، أي أن "الخطاب هو نظام استبعاد لا يقل صرامة عن أي مؤسسة رسمية"(٢).

من هذا المنطلق، تستدعي قراءة رواية —"رجال في الشمس" — رصد ما لا يُقال، وما يُخفى خلف الحبكة، وما يُرمى في الهامش. إنّ صمت الشخصيات الثلاثة قبل موتهم داخل الخزان، وصمت أبو الخيزران بعد موتهم، ليس صمتًا بريئًا، بل هو صوت النسق المهزوم، العاجز عن المواجهة، والذي يُعيد إنتاج خيانته من خلال السكون.

أولا:مفاهيم مركزية:

المثقف: في سياق نقد الأنساق، ليس حاملًا للحقيقة أو مُمثلًا للضمير بالضرورة، بل يمثل موقعا رمزيا متحولا، يُعاد تشكيله على وفق شبكة العلاقات مع السلطة، والمعرفة، والجمهور. وقد ميّز إدوارد سعيد بين "المثقف العضوي" و"المثقف المهزوم"، عادّاً أن "الأول منحاز للعدالة والحقيقة، أما الثاني فهو موظف أيديولوجي للنظام القائم"(٣). وبهذا المعنى، فإن شخصية "أبو الخيزران" في رواية كنفاني تُقدَّم كنموذج للمثقف الذي خان موقعه، وصار "جسرًا للموت" بدل أن يكون بوابة للنجاة.

"الخيانة" : في هذا السياق، ليست فعلاً أخلاقيًا مجردًا، بل بنية رمزية تتجلى في الخطاب، وتنشأ عن فشل الذات في مقاومة النظام الذي يُعيد إنتاجها. إن صمت الشخصيات قبل الموت هو صمت الخيانة الذاتية، لا خيانة الآخرين. والخيانة الأكبر، في هذا السياق، لا ترتكب في الخزان، بل في القبول بالصمت داخل الخزان.

"السلطة الرمزية": هي القوة التي تُمارَس بالتمثيل لا الإجبار، وتتضح عن طريق التعليم، والخطابة، والإعلام، والفن، والأدب. وقد حلّل بيير بورديو هذه السلطة بوصفها "عنفًا رمزيًا يُمارَس بتواطؤ المُتلقي"(٤). أي أنّ الخطاب الروائي في "رجال في الشمس" لا يهاجم السلطة مباشرة، بل يكشف عن آلياتها الرمزية، في مشهد مثل صمت أبو الخيزران وهو يغلق باب الخزان على الضحايا.

"الخطاب": في نقد الأنساق لا يمثل نصًا أو قولًا، بل هو مُنتَج ثقافي يحتوي على منظومة قيم، ويخضع لقوانين إنتاج محددة. إنّه أداة السلطة، وحامل الرسالة، وصانع المعنى. ولهذا فإن الخطاب الروائي في "رجال في الشمس" يشتبك مع سؤال: من يقول؟ ولمن؟ وبأي لغة؟ وما الذي يُخفيه أكثر مما يُظهره؟

ومن أبرز منظّري نقد الأنساق الثقافية عبد الله الغذامي: الرائد في نقد البلاغة بوصفها منتجًا سلطويًا، قدم قراءته

للنصوص الشعرية والنثرية بوصفها حوامل للنسق السلطوي الذكوري والأبوي. وهو الذي أطلق مصطلح "النسق المضمر" الذي يعمل خلف النص ولا يظهر في سطحه(٥).

وميشيل فوكو الذي نظّر لفكرة "أنظمة الخطاب" والكيفية التي تتحكم بها المعرفة في إنتاج السلطة. رفض فوكو الفهم التقليدي للسلطة كجهاز قمعي فقط. مؤكدًا أن السلطة "تنتج المعرفة، وتنظم الرؤية، وتحدد شروط الظهور"(٦). هذا ما يجعل رواية "رجال في الشمس" خطابًا سلطويًا–مضادًا، يُظهر كيف تعمل السلطة عن طريق الصمت.

وإدوارد سعيد في كتابه تمثيلات المثقف، قدّم تصورًا عن المثقف بوصفه "صاحب موقف"، وهاجم أولئك الذين يجعلون من أنفسهم أدوات طيّعة في يد السلطة. وقال إن "المثقف إن لم يكن منحازًا للحق، فهو خائن لمهنته"(٧)، ومن هنا، يصبح أبو الخيزران خائنًا ليس لأنه قاتل، بل لأنه التزم الصمت.

وبيير بورديو: كشف عن دور المدرسة والأكاديمية والثقافة في إعادة إنتاج النسق الطبقي والرمزي، وأن السلطة الثقافية تُمارَس غالبًا بتواطؤ المُتعلِّم لا بإجبار السلطة. وهذا ما نراه في قبول الشخصيات الثلاثة "بالثمن"، مقابل احتمال النجاة، على الرغم من علمهم الضمني بالخطر.

إنّ نقد الأنساق الثقافية ليس مجرد أداة لتحليل الخطاب، بل هو مشروع لتحرير القراءة من التواطؤ مع السلطة النصية، ولتعريه الأنظمة الرمزية التي تُقنّع الهزيمة بالواقعية، وتُخفي الخيانة تحت ستار "القدر". ولهذا فإن إعادة قراءة "رجال في الشمس" من منظور الأنساق الثقافية المضمرة، تفتح لنا بابًا لفهم أدق وأعمق لرمزية المثقف المهزوم، وللخيانة بوصفها إنتاجًا ثقافيًا ممنهجًا لا مجرد فعل فردي.

ثانياً: المثقف المهزوم في الخطاب العربي

لقد كان مفهوم "المثقف" في الخطاب العربي الحديث، ولا يزال، ساحةً مفتوحةً للتوتر والتشظي، إذ لم يُحسم بعد إن كان المثقف صوتًا مستقلًا أو تابعًا، شاهدًا أو شاهد زور، ممثلًا للضمير الجمعي أو عاكسًا لأزمته. وقد شكّلت نكسة حزيران ١٩٦٧ لحظة فاصلة في هذا الجدل، إذ انكشفت فيها حدود الخطاب القومي الرومانسي، وانهارت شعارات التقدم والتحرير أمام آلة الحرب، فانهار معها – رمزيًا على الأقل –المثقف التبشيري الذي ظل طيلة الخمسينيات والستينيات يروّج لأيديولوجيا شمولية لا تحتمل النقد.

مع النكسة، انهار تصوّر "المثقف البطل"، وبدأ الخطاب العربي يُعيد إنتاج المثقف بوصفه كائنًا مأزومًا، عاجزًا، مشلول الإرادة، كثير التنظير، قليل الفعل. هذا التحول لم يكن فقط نتيجة للهزيمة العسكرية، بل لتصدّع المشروع الثقافي العربي الذي تأسس على مركزية خطاب قومي/تحرري جعل من المثقف داعية أو نبيًا أو واعظًا، لا ناقدًا أو فاضحًا للبنى السلطوية.

وقد أشار الناقد المغربي عبد الله العروي إلى أنّ المثقف العربي خضع بعد النكسة لصراع داخلي بين الانتماء الأيديولوجي والوعي التاريخي، وهو صراع أنتج شخصية قلقة، تميل إلى الإنكفاء على الذات، وتجنح إلى التبرير أو الصمت بدلًا من المواجهة والنقد(٨)، ومن هنا بدأت صورة "المثقف المهزوم" تتكرّس، لا بوصفها حالة فردية، بل بنية رمزية تتكرر في معظم النصوص العربية، إذ يتحوّل المثقف إلى متفرجٍ عاجز، أو إلى وسيطٍ مشبوه بين السلطة والجماهير، أو إلى مروّج لهزيمة يتعذر وصفها إلا بلغة الخيانة الرمزية.

ضمن هذا السياق، يصبح من الضروري التمييز بين نموذجين متضادين: "المثقف العضوي" و"المثقف النكوصي". ففي تصوّر أنطونيو غرامشي، المثقف العضوي هو من ينبع من صلب الجماعة الاجتماعية، ويناضل من داخلها، ويتبنى همومها لا من موقع الوعظ أو الإرشاد، بل من موقع الفعل التحويلي. إنه ليس متفرجًا على التاريخ، بل صانعا له. وقد تبنّى إدوارد سعيد هذا التصور، وأضاف إليه بعدًا أخلاقيًا حين قال: "إن المثقف هو من يقول الحقيقة للسلطة، لا من يجمّل السلطة للجماهير"(٩).

لكن ما نشأ بعد النكسة هو نقيض هذا النموذج، أي "المثقف النكوصي" الذي يُنتج الخطاب لا لمواجهة السلطة،

بل لتبرير عجزه عنها، أو للتصالح معها عبر التقنُّع بلغة الحياد أو الغموض، وقد أشار المفكر جورج طرابيشي إلى أن هذا النموذج يمثل "مثقف الأزمة"، الذي يقف "بين الحداثة والتقليد، بين الممانعة والتموقع داخل السلطة، بين الخطاب النقدي والخضوع الرمزي"(١٠). وهذا ما يجعل شخصية "أبو الخيزران" في رواية رجال في الشمس تجسيدًا نموذجيًا للمثقف النكوصي: هو لا يقود، بل يهرّب؛ لا يواجه، بل يصمت؛ لا يكتب التاريخ، بل يغلق الخزان على الموتى.

لا يمكن فهم تشكّل صورة المثقف المهزوم من دون ربطها بتكوين الأنظمة السياسية العربية بعد الاستقلال. فمع تصاعد الأنظمة القومية ذات الطابع العسكري أو الأبوي، جرى تدجين دور المثقف وتحويله إلى تابع للنظام أو صانع للشرعية الرمزية. وقد كتب هشام شرابي عن هذا السياق مشيرًا إلى "السلطة الأبوية الجديدة التي لا تحتاج إلى مثقف ناقد، بل إلى شاعرٍ رسميّ ومُبرّر أيديولوجيّ"(١١). لقد تحوّل المثقف، في كثير من الحالات، إلى "رأس مال رمزي" في خدمة النظام، يُستخدم وقت الحاجة ثم يُهمل في الهامش.

ومن جهة أخرى، فإن النكسة لم تكن هزيمة عسكرية، بل نكسة وجودية ومعرفية، دفعت ببعض المثقفين إلى التورط في خطاب جلد الذات القومي من دون طرح مشروع بديل، أو الوقوع في حالة من التصوف السياسي، فيصبح الانسحاب من الفعل هو الموقف. وقد وصف صادق جلال العظم هذه الحالة بأنها استقالة المثقف من وظيفته النقدية، واستبدال المواجهة بالتبرير، والفعل بالتأمل العقيم(١٢).

وهذا ما ينعكس بوضوح في رواية كنفاني: المثقف هنا – ممثلاً بأبي الخيزران – لا يقود الثورة، بل يقود الخزان، ولا يحرّض على الصراخ، بل يُغلق الباب ويصمت. لم يعد المثقف هنا حاملًا للموقف، بل وسيطًا بين الموت والحياة، بين الوعي والعجز، بين المعرفة والخيانة.

انّ من بين أخطر التحولات التي شهدتها صورة المثقف في الخطاب العربي الحديث هي تحوّله من وظيفة التنوير إلى وظيفة التخدير. وهذا لا يتم من خلال القمع، بل بإعادة إنتاج خطاب السلطة داخل الثقافة نفسها. لقد أصبح المثقف كما يقول بورديو، فاعلًا في إنتاج "العنف الرمزي"، من حيث لا يدري، حين يسهم في تثبيت الوضع القائم عبر لغة محايدة، أو بلاغة فارغة، أو خطابات نخبوية منفصلة عن الواقع (١٣).

وما الرواية التي بين أيدينا سوى شهادة رمزية على هذه الأزمة. فالسؤال "لماذا لم تدقوا جدران الخزان؟"، لا يُوجَّه إلى الشخصيات، بل إلى المثقف الذي اختار الصمت كملاذ آمن، بدلًا من أن يكسر الحواجز، ويصرخ بوجه الصمت الجماعي. السؤال ليس عن الخزان الحديدي، بل عن الخزان الرمزي للثقافة العربية المعاصرة، حيث يختنق الوعي بين الخوف والذل والتواطؤ.

ثالثا: النسق الرمزي للخيانة في السرد العربي

تمثل "الخيانة" في المتخيل العربي ـ الأدبي والسياسي على حدٍّ سواء ـ فعلا فرديا، بل بنية رمزية مركبة تتقاطع فيها عناصر السلطة، والضمير، واللغة، والمجتمع. فلطالما اقترنت الخيانة في الوجدان الجمعي بالعار، وبالانفصال عن الجماعة، وبكسر "الميثاق الرمزي" غير المكتوب بين الفرد والمجموع. غير أن السرد العربي الحديث، خاصة ما بعد النكسة، انتقل بالخيانة من دائرة الفعل الاستثنائي الفردي إلى موقع بنيوي في الذات الجماعية، حيث يتحوّل الجميع إلى خونة بالقوة أو بالفعل، إمّا بالصمت، أو بالهرب، أو بالتواطؤ، أو بالتذرع بالعجز.

ليست الخيانة، في هذا السياق، حدثًا طارئًا أو فعلًا شاذًّا، بل هي مفهوم محوري في الثقافة السياسية العربية؛ لأنها تطرح إشكالية الولاء والانتماء والهوية ضمن شروط تاريخية معقدة، حينما يصبح الحفاظ على الذات الفردية متعذرًا من دون انتهاك للقيم الجمعية(١٤). الخيانة هنا ليست ضدًا للأمانة، بل آلية من آليات النجاة الفردية، وتكتيكًا للعيش داخل بنية قمعية مغلقة، فيتحوّل الضمير إلى ساحة مقاومة أو إلى أداة مساومة.

في رواية رجال في الشمس، لا يُقال لفظ (الخيانة) صراحة، لكن كل شيء في النص يؤسس له: من صمت أبي الخيزران، إلى قبول الثلاثة بالموت في خزان ماء، إلى مشهد النهاية الذي يُسائل الأحياء: "لماذا لم تدقوا جدران

الخزان؟". إن النسق الرمزي هنا لا يحدد الخائن، بل يُنتج الخيانة بوصفها نمطًا وجوديًا في ظل التردي الجماعي. إننا أمام نظام سردي يُدين الجميع، لا لأنه يملك أدلة قانونية، بل لكشفه بأنّ الجميع متورطون في الخضوع، في التبرير، والإنكار. هذا ما يجعل الخيانة، في النصوص ما بعد الكولونيالية، ليست فعلًا ضد الوطن فقط، بل ضد الحقيقة، وضد الوعي، وضد الذات نفسها. فالخيانة، كما يعبّر عنها فرانتز فانون، ليست دائمًا ما يفعله الجواسيس، بل ما يفعله الناس حين يصمتون، وحين يقبلون الحياة في القفص، ويرفضون أن يسمّوا السجن باسم السجن(١٥).

لقد شكّلت الخيانة في الأدب العربي الكلاسيكي فعلًا استثنائيًا يرتبط بشخصيات بعينها (كعبد الله بن سبأ أو ابن العلقمي)، إلا أن السرد الحديث، خاصة بعد النكبة والنكسة، أزاح هذه الصورة نحو تصوّر بنيوي للخيانة، يتعامل معها بوصفها نتيجة للانهيار الجمعي، وللهشاشة المؤسسية، وللعجز السياسي، أكثر من كونها انحرافًا أخلاقيًا فرديًا(١٦).

يرى برهان غليون أن المجتمعات العربية الحديثة تعاني من "أزمة ولاء" لا لأنها فقدت الوطنية، بل لأنها لم تنتج عقدًا اجتماعيًا حقيقيًا يجعل من الوطن فضاءً حقيقيًا للانتماء والمشاركة. ومن هنا، تصبح الخيانة تمظهرًا لأزمة النظام لا خيانة للضمير(١٧)، ويتجلى ذلك بوضوح في رجال في الشمس: الخيانة هنا لا تنبع من شخصيات خبيثة تسعى للمال أو المجد، بل من شخصيات مسحوقة، مفجوعة، تبحث عن النجاة الفردية، فتقع . من حيث لا تدري . في قبضة بنية خيانة كبرى. وفي هذا السياق، يمكن النظر إلى "الخزان" بوصفه الرمز المكثف لهذه البنية: فضاء الموت الرمزي والجسدي الذي يُنتج الخيانة بالصمت. الشخصيات تموت لأنها لم تملك جرأة الاحتجاج. لكن لماذا لم تحتج؟ لأن البنية الثقافية التي شكلتها منذ النكبة، وحتى لحظة الرواية، أقنعتها بأن الصمت حكمة، والانتظار نجاة، والطرق كلها مغلقة إلّا طريق الخضوع(١٨).

وهكذا تنتقل الخيانة من مجال الأفعال إلى مجال الأنظمة الرمزية، وتصبح حالة عامة لا تُقصى، بل تتكرر ويعاد إنتاجها. حتى المثقف . الذي يُفترض به أن يكون صوت الضمير . يتحول إلى مُنفذ للخيانة كما هو حال "أبو الخيزران"، لا لأنه شرير، بل لأنه هُزِم داخليًا قبل أن يُهزَم خارجيًا، وقَبِل التواطؤ بدلًا من الصدام، والنجاة الشخصية بدلًا من الإنقاذ الجمعي(١٩).

يشتغل السرد العربي الحديث .كما في أعمال كنفاني، وصنع الله إبراهيم، وإلياس خوري على تعرية النسق الثقافي الذي يبرّر الخيانة ويجمّلها. في رواية رجال في الشمس، لا نجد خائنًا يُسمّى بذلك، بل نجد نسقًا كاملاً يشارك في القتل: السلطة الحدودية، جهاز التهريب، النظام السياسي الذي خلق اللاجئ، اللغة التي تخدع، والمثقف الذي يبرر(٢٠).

وعليه فلقد تحوّلت الخيانة في الخطاب العربي إلى وظيفة داخل البنية، لا خروجًا عنها. وهذا ما يجعل من نقد الخيانة نقداً للثقافة التي تنتجهم وتشرّع لأفعالهم لاهجوما على الأشخاص، فحين تُصبح الخيانة "أهون الضررين"، و"أخف البلاء"، و"طريق الحياة"، فإننا لا نعيش في ثقافة مقاومة، بل في ثقافة تبرير الهزيمة(٢١).

ومن هنا فإن السؤال الكبير الذي تطرحه الرواية . وإن كان مختنقًا في جدران الخزان . ليس عن المسؤول عن موت الثلاثة، بل عن النظام الذي جعل من الصمت خيارًا وحيدًا، ومن المثقف أداة مرور آمن نحو الفناء، لذا لا تتحدث الرواية عن الخيانة بوصفها انقطاعًا، بل عن تمأسس الخيانة كثقافة تحت الجلد(٢٢).

المبحث الثاني : الاطار التطبيقي

لم تُكتب رجال في الشمس لتكون قصة عن التهريب، ولا لتسرد محض مأساة فردية، بل جاءت كصرخة مُرّة ضد زمن عربي بكامله. هي رواية قصيرة في حجمها، لكنها غائرة في وجدانها الرمزي، تستحضر ما بعد النكبة كفضاء زمني، وما قبل النكسة كغليان صامت، وتمدّ يدها لتحاصر القارئ في سؤال: "لماذا لم يدقوا جدران الخزان؟". بهذا السؤال، تنفجر الرواية في وجه التاريخ العربي الحديث، وتكشف عجز المثقف، وخيانة الأنظمة، وسذاجة الحلم.

تعد رواية رجال في الشمس التي نُشرت عام ١٩٦٣ من أولى الروايات الفلسطينية التي استطاعت أن تختصر معاناة اللاجئ الفلسطيني في بنية سردية شديدة التكثيف. تدور الرواية حول ثلاثة رجال فلسطينيين من أجيال مختلفة،

تجمعهم رغبة واحدة: العبور إلى الكويت بحثًا عن فرصة حياة أفضل، بعدما ضاقت بهم الأرض في المخيمات التي لجؤوا إليها بعد النكبة. هؤلاء الرجال هم:

• أبو قيس: رجل مسن فقد أرضه بعد النكبة، يُمثّل الجيل الأول من الفلسطينيين الذين عاشوا صدمة التهجير، ويحمل حنينًا فادحًا للماضي، لكنه مشلول الإرادة، يتردد كثيرًا، ويعيش داخل رأسه أكثر مما يعيش في العالم.

• أسعد: شاب طموح، يسعى لتحسين ظروفه المعيشية عن طريق الزواج، يبدو متهورًا في قراراته، لكنه نتاج منظومة اجتماعية خانقة تُقيّده بأدوار تقليدية.

• مروان: الأصغر بينهم، يمثل جيل ما بعد النكبة، الشاب الذي يحمل مسؤوليات تفوق عمره؛ بسبب تخلي الأب عن الأسرة. هو الأكثر وعيًا بين الثلاثة، لكن وعيه لا ينقذه من المصير نفسه.

يلتقي هؤلاء الثلاثة على الحدود، ويجمعهم أبو الخيزران، السائق الذي يعدهم بتهريبهم عبر الخزان إلى الكويت، وهو شخصية مركزية في بنية الرواية، مثقف مهزوم، فقد رجولته في الحرب (جرى تخصيه نتيجة إصابة)، وها هو يتحول إلى أداة في شبكة التهريب، يظهر ككائن بين الحدين: بين الضحية والجلاد، بين الفعل والصمت، بين المأساة والتواطؤ.

الرواية تنتهي بمشهد مأساوي؛ إذ يموت الثلاثة داخل الخزان، بسبب الصمت، بسبب عدم دقّ جدرانه، بسبب الانتظار الخانع، وبسبب خيانة من لا يبدو خائنًا صريحًا. وعلى لسان السائق يُطرح السؤال المزلزل: "لماذا لم يدقوا جدران الخزان؟".

يندرج زمن الرواية بوضوح في الفجوة الزمنية ما بين نكبة ١٩٤٨ ونكسة ١٩٦٧. إذ شهدت هذه الحقبة ترسيخ اللجوء الفلسطيني كمأساة وجودية، وُلدت فيها المخيمات لا كأماكن للسكن، بل كفضاءات للإلغاء. وقد تشكّلت فيها كيانية الفلسطيني كلاجئ لا كصاحب قضية. والوجهة التي أراد قصدها والهروب إليها هي دولة"الكويت" التي تمثل في الوعي الشعبي حينها أرض الحلم والمال.

لم تُحدّد الرواية عامًا بعينه، لكنها تلمّح إلى مناخ سياسي يشي بانغلاق الأفق، وفقدان الثقة بالأنظمة العربية، والانقسام الداخلي بين اللاجئ والمقيم، والمثقف والانتهازي، والحلم والخذلان. هذا الزمن هو زمن الانتظار الكبير، إذ لا توجد مقاومة فعلية، بل انتظار لخلاص خارجي، يُكثّفه صوت الإذاعة، وحكايات الماضي، ووهم العبور.

لقد كانت الخريطة السياسية تنطوي على أنظمة عربية تحكم باسم القومية، لكنها تقمع باسم الأمن. وقد وجد اللاجئ الفلسطيني نفسه بين فكين: طردته إسرائيل من أرضه، وتكفّل "الأشقاء" بإبقائه في مخيمات على هامش الهامش، تحت أعذار تنظيمية أو أمنية أو سياسية. ولذا، فإن خيار التهريب إلى الكويت لم يكن فعلاً فرديًا، بل انعكاسًا لوضع جماعي يُنتج اقتصادًا خفيًا للبقاء، يحوّل اللاجئ من حامل هوية إلى بضاعة قابلة للمرور.

إنّ اللغة المكثفة والسرد الدرامي يجعل –رجال في الشمس– رواية استثنائية في السياق العربي، فهي قادرة على ربط الخاص بالعام، والفردي بالبنيوي، والمأساة الشخصية بالخذلان القومي. فلم يكتب كنفاني عن "أشخاص" بل عن "أنماط"، ولم يكتب عن "حكاية" بل عن "نسق ثقافي خفي"، يحوّل الجميع إلى شركاء في الفقد.

تشتبك الرواية مع الواقع السياسي في ثلاثة مستويات:

١– النظام العربي كنسق خاذل

إنّ الأنظمة التي ظهرت في الرواية، سواء كسلطات حدودية أو مراكز تهريب أو أجهزة مرور، تمثل الوجه الآخر للخذلان، فلا يوجد عدو خارجي واضح، بل ثمة عدو داخلي ناعم، لا يقتل لكنه يتيح القتل، لا يخون لكنه يصمت أمام الخيانة. حتى القارئ، لحظة الانتهاء من الرواية، يشعر بأنّه جزء من هذه البنية التي أفرزت الجريمة.

٢– المثقف المتواطئ

أبو الخيزران السائق الذي يمثل رمز للمثقف العربي المهزوم شارك في القتال ففقد جزءًا من جسده، لكنه لم يُكافأ، فاختار أن يتحوّل إلى أداة تمرير. وهو يمثل المثقف الذي سقط بين النية الطيبة والفعل الخائن مما جعله تجسيدًا تامًا

لما بعد النكبة: من يحمل الحقيقة لا يجرؤ على قولها، ومن يعرف الطريق لا يملك السير فيه.

٣- السرد كاحتجاج رمزي

السرد نفسه يتجاوز الحكاية نحو بنية احتجاج، فالرواية تبني توترها لا في الصراعات الفعلية، بل بغياب الفعل. الانتظار، التردد، التهريب، الصمت... كلها ليست عناصر حبكة بل أدوات لفضح الفعل الغائب: المقاومة. وحين يموت الثلاثة، لا يكون ذلك بسبب الرصاص، بل بسبب البنية الرمزية التي أخضعتهم للصمت، وجعلت الصراخ فعلاً غير وارد.

الرواية، بهذا المعنى، ليست سردًا لحدث، بل تشريحا دقيقا لجسد ما بعد النكبة: الجسد الذي فقد القدرة على الصراخ، والذي ما زال يبحث عن وطنٍ في ظل وهم العبور. ولهذا جاءت نهاية الرواية بسؤال: سيفهم القادمون شيئًا أم أن الصمت سيبقى اللغة الوحيدة؟

التحليل التطبيقي

أولا:-تمثيلات المثقف المهزوم في شخصية أبو الخيزران

لم يكن أبو الخيزران مجرّد سائق شاحنة في رواية رجال في الشمس، بل كان تمثيلًا عميقًا لما آل إليه حال المثقف العربي بعد النكبة، إذ يتقاطع فيه البعد الشخصي مع البعد الرمزي، ليتحول من شخصية روائية إلى أيقونة للهزيمة الثقافية والسياسية. فهو "المثقف المؤدلج" الذي عاش تجربة القتال، وفقد جزءًا من جسده (رمز الرجولة والقدرة)، وعاد لا ليقود ثورة، بل ليقود شاحنة تهريب، فصار كائنًا بين الهامش والمركز، بين الفعل والصمت، بين الرغبة في التغيير والخضوع لواقع لا يتغير.

لقد كتب كنفاني شخصية أبو الخيزران بلغة محمّلة بالرموز، فالرجل الذي شارك في معركة "جبل المكبر" في القدس، وأصيب فيها، فأصبح رمزا للمثقف المقاتل الذي فقد شرط الفاعلية: الجسد كأداة تغيير، والكرامة كدافع وطني. ومع هذا الفقد، ينتقل أبو الخيزران إلى منطقة بينية: لم يمت كما يموت الأبطال، ولم ينتصر كما ينتصر القادة، بل نجا من الموت ليعيش كائنًا مشلولًا، مخصيًّا، صامتًا، لكنه واعٍ تمامًا بمأساته.

هذا الوعي، مع العجز، ولّد داخله ازدواجية قاتلة: إذ أدرك خيانته لدوره من جهة، ووجد نفسه مجبرًا على ممارستها من جهة أخرى. إذ نجده يقول لأحد الركّاب: "ما عاد فيني شيء أقاتل فيه" – في هذا التصريح الموجع، تكمن أزمة المثقف العربي المهزوم، الذي يتخذ من الواقعية تبريرًا للتواطؤ، ومن فقدان القوة الجسدية حجة للهروب من القوة الرمزية للموقف.

أبو الخيزران مخصي، وهذه ليست إشارة طبية أو عسكرية في الرواية، بل مفتاحا رمزيا لفهم بنيته النفسية والسياسية. ففي الثقافة العربية، يرتبط مفهوم الخصاء بالفقد التام للقدرة، لا فقط الجنسية، بل الرجولية، والسيادية، والنخبوية. وقد أشار عبد الله الغذامي إلى أنّ الخصاء الرمزي يطول الخطاب الثقافي عندما يُفرغ من بعده النقدي، ويصبح ملحقًا بالسلطة أو المال أو النجاة الشخصية(٢٣).

أبو الخيزران يمثل هذا الخطاب تمامًا: كان يحمل حلمًا، ففقد شرطه العضوي (الجسد)، ثم فقد شرطه الأخلاقي (الصدق)، ثم فقد شرطه التاريخي (الدور). فغدا كمن يقود الشاحنة، لكنه لا يعرف وجهتها، أو يعرفها لكنه لا يملك خيارًا آخر. وهذا يُعيدنا إلى مفهوم (المثقف المؤدلج) بحسب إدوارد سعيد، الذي وصفه بـ"الوسيط المتواطئ، الذي يختار السلامة على الحقيقة، والتكيف على الموقف(٢٤).

من أبرز سمات أبو الخيزران أنه لا يصرخ، لا يحتج، لا يكشف الحقيقة. بعد أن يموت الثلاثة في الخزان، لا يُقدّم تفسيرًا، بل يدخل في مشهد مسرحي يائس، محاولًا التخلص من الجثث، ثم يصرخ في النهاية لا عليهم، بل على سؤال يجلده هو: "لماذا لم يدقوا جدران الخزان؟" – لكنه لا يجيب.

هذا الصمت – الذي يلف أفعال أبي الخيزران – هو خيانة لغوية، خيانة للوظيفة الأسمى للمثقف: الكلام، المجابهة،

الإعلان. ولا تكمن خيانته في إخفاء الخطر عن رفاقه فحسب، بل في التخلي عن الحق في قول ما يجب أن يُقال. وهنا تستحضر الرواية بشكل مبكر ما سماه بيير بورديو بـ"العنف الرمزي"، إذ يتم إنتاج الهيمنة لا عبر السلاح، بل عن طريق التواطؤ الصامت مع لغة لا تُسمّي الأشياء بأسمائها(٢٥).

أبو الخيزران لا يخون الركاب فقط، بل يخون لغته، دوره، وذاكرة القتال التي كانت تملأ ماضيه. إنه المهزوم الذي يعرف الحقيقة لكنه لا يريد مواجهتها، فينقلب من "فاعل سياسي" إلى "حمّال رمزي" لجثث المشروع القومي العربي، يدفنهم في مكب النسيان ولا يترك حتى قبورًا تشير إلى أسمائهم(٢٦).

تبني الرواية شخصية أبي الخيزران في خط سردي متوتر، يبدأ من لحظة اللقاء مع الشخصيات الثلاثة، ويتصاعد عبر التنقل من حدود إلى أخرى، وينفجر في لحظة الموت الجماعي، ثم يختتم بصرخة خالية من الأمل. هذا البناء لا يترك للقارئ مخرجًا، بل يدفعه للتساؤل: هل كان يمكن لأبي الخيزران أن يُنقذهم؟ هل بإمكانه أن يرفض لعب هذا الدور؟ هل فقد القدرة أم فقد الرغبة؟

السرد يُدين أبا الخيزران لا لأنه شرير، بل لأنه فاقد للبدائل، وهو ما يجعل خيانته أكثر إيلامًا. إنها خيانة المهزوم الذي لا يستطيع أن يصرخ، والذي يحوّل موقعه إلى وظيفة، ثم إلى قيد، ثم إلى لعنة.

تتحقق المفارقة في نهاية أبي الخيزران فهو الشخصية الوحيدة التي تبقى على قيد الحياة، لكنه لا يعود بطلًا، بل شاهداً على موت الأمل. يسير في الشوارع محمّلًا بعار جماعي لا يستطيع التبرؤ منه، يبحث عن مكان لدفن الموتى، من دون أن يمتلك الجرأة في الاعتراف بأنه كان قاتلًا بصمته المطبق.

وهكذا، تنجح الرواية في تشريح المثقف العربي في إحدى أشدّ لحظاته هزيمة، وتُقدّم عبر شخصية أبي الخيزران أنموذجًا لرجل فقد أدوات المقاومة، فأصبح أداة في ماكنة القمع الرمزية. لا غرابة إذًا أن تُصبح هذه الشخصية مرآة للمثقفين العرب في لحظات التراجع والانكسار، حيث يصبح الصمت موقفًا، والموقف جريمة(٢٧).

ثانيا:–سرديات الخيانة والإخلاص

لا تطرح الرواية الخيانة كسلوك عارض، بل كنَسَقٍ ثقافي يُنتج نفسه عبر شخصيات مأزومة، أنظمة مغلقة، وتواطؤات صامتة. فرجال في الشمس ليست مجرد قصة هروب انتهت بموت ثلاثة فلسطينيين داخل خزان شاحنة، بل سردية عميقة عن مجتمع بأكمله خان ذاته قبل أن تخونه الأنظمة. فالخيانة في هذا النص لا تُقال، بل تُبنى. لا تُعلن، بل تتسلل. إنها خيانة تبدأ من الداخل، وتتكشف في النهاية لا كفضيحة، بل كقدر مأساوي.

حين يُطرح السؤال "من الذي خان؟"، يتبادر إلى الذهن أولاً أبو الخيزران، السائق الذي خدع الركاب، وأغلق الخزان عليهم دون أن يخبرهم بمدة الانتظار أو حجم الخطر. لكن هذا الجواب على الرغم من وجاهته، يبقى سطحيًا أمام تعقيد النسق الذي تُدينه الرواية. فهل الخيانة فردية هنا؟ هل هي محصورة في شخصية واحدة أم أنها نتاج بنية ثقافية وسياسية واقتصادية(٢٨). كاملة؟ من هذا المنظور، يتبدّى أن:

• السلطة السياسية العربية خانت القضية، حين حوّلت اللاجئين إلى كتل صامتة على هامش الدولة، من دون أفق للعودة أو حق في الحياة الكريمة.

• الشخصيات الثلاثة (أبو قيس، أسعد، مروان) خانت ذاتها حين قبلت بالصمت، ورضيت بعبور الخزان من دون مقاومة، المتمثل بالامتناع عن دق الجدران.

• خيانة أبي الخيزران لكنه قبل كل شيء خان نفسه حين قبل التحوّل من مقاوم إلى مهرب، ومن صوت إلى صمت. إن الخيانة هنا متبادلة، لا بمعنى التآمر، بل بمعنى الانسحاب الجماعي من الفعل التاريخي. فكلٌّ خان على طريقته، وكلٌّ أسهم في تحويل الأمل بالعبور إلى رحلة موت(٢٩).

أضحى الهيكل المعدني البسيط في الرواية بؤرة رمزية مكتظة بالدلالات، فهو يمثل الكمين الثقافي العربي: فضاء ضيق، خانق، مميت، يوهم بالعبور، لكنه في الحقيقة لا يؤدي إلا إلى الفناء. هو خلاصة التاريخ السياسي بعد النكبة، حين

تتكثّف الخيبات، وتُخزّن الهزائم، وتُجمّد الحركة في الداخل دون بصيص ضوء.

إنّ وضع الشخصيات الثلاثة في خزان شاحنة مغلقة، تحت حرارة الصحراء، يُعبّر عن ظروف التهريب، ويُجسّد الانغلاق البنيوي للواقع العربي، فلا نوافذ، ولا بدائل، ولا أصوات. فالخزان هو الوطن الذي لم يعد وطنًا، والقضية التي تحوّلت إلى عبء، والمثقف الذي صار دليل موت لا دليل حياة.

وقد أشار عبد الله العروي إلى أن الخيانة في السياق العربي الحديث تنبع من "العجز عن توليد بدائل حقيقية، من تخلي الذات عن ذاتها"(٣٠)، والخزان، بهذا المعنى، ليس مجرد مسرح موت، بل مختبر رمزي لإنتاج معنى الهزيمة(٣١).

المشهد الأخير في الرواية، حين يُفتح الخزان ويُكتشف موت الركاب الثلاثة من دون أن يصدر عنهم صوت واحد، يُعدّ من أقسى المشاهد في الأدب العربي الحديث. إذ ينهار فيه الأمل، وتُعلَن الهزيمة بصمت لا يقلّ ضجيجًا عن صراخ الحرب. لماذا لم يدقوا جدران الخزان؟ سؤال لا يحتاج جوابًا، بل يُعاد طرحه كاتهام مفتوح للماضي والحاضر والمستقبل.

صمتهم هنا ليس خنوعًا فقط، بل تحوّل وجودي نحو العدم. إنه الصمت الذي يختاره المستسلم حين يدرك أنه فقد الحق في الكلام، في الاحتجاج، في الاعتراض. هو صمت من فقد الإيمان بالجدوى، وبالممكن، وبأن لا أحد سيُصغي لدقّ الجدران. لقد "انسحبوا من التاريخ"، لا لأنهم قرروا ذلك، بل لأن النسق الثقافي الذي ينتمون إليه لا يتيح غير هذا الانسحاب.

ويرى برهان غليون أن النكبة عسكرية، وجودية أخرجت الفلسطيني من تاريخه، وتركته في الفراغ السياسي والمعنوي(٣٢).

وهذا ما تُجسّده الرواية حرفيًا: ثلاث شخصيات من ثلاثة أجيال مختلفة، يجتمعون في حلم النجاة، فيموتون في صمت، كأنهم مواطنون بلا تاريخ، ولا أصوات، ولا قبور.

ما تقوم به رجال في الشمس، بتقنية بارعة، هو تفكيك السرد التقليدي للخيانة. فبدلاً من تقديم خائن واحد يُدان ويُحاسب، تكشف الرواية عن "سردية خيانة جماعية"، يسهم فيها كل عنصر في النظام الثقافي والسياسي:

- المثقف (أبو الخيزران) الذي يعرف لكنه يصمت.
- الشباب (مروان) الذي يأمل لكنه لا يقاوم.
- اللاجئ (أبو قيس) الذي يحلم لكنه لا يتحرّك.
- النظام الذي يراقب لكنه لا يتدخل.
- القارئ الذي يقرأ لكنه يواصل حياته دون أن يتغير.

بهذا التفكيك، لا تبرئ الرواية أحدًا، لكنها تحرّر الخيانة من بعدها الأخلاقي الشخصي، لتعيد إنتاجها كبنية رمزية متجذرة في ثقافة الهزيمة.

إن السرديات المضادة لاتسعى لتبرير الضعف، بل لكشف آلياته، وتحويل النص إلى مساءلة لا ملاذ (٣٣)، وهذا ما تفعله رجال في الشمس ببراعة: كل شيء فيها يدفع نحو سؤال مركزي لا يُجاب عنه: هل كنا خونة حين صمتنا؟ أم حين آمنا بوجود مخرج من الخزان؟

ثالثا:–التحليل النسقي للمسكوت عنه

تخبئ رواية رجال في الشمس في بنيتها العميقة، ما لا يُقال أكثر مما يُقال. فالسرد لا يصرّح بالمواقف السياسية الجذرية أو يتهم جهة مباشرة، لكنه يُشيّد عالمًا مكتظًا بالمسكوت عنه: أنظمة عربية فاسدة، أنساق أبوية خانقة، وتشييء ممنهج للإنسان الفلسطيني، يجعله سلعة قابلة للمرور والدفن في خزان شاحنة من دون أن يُذكر له اسم أو تُرفع له راية.

الرواية لا تحتاج إلى إعلان صريح كي تفضح الواقع، إذ يغدو الصمت بنية دلالية، وتُصبح الهوامش منجمًا للمعنى. ومن هنا تفرض علينا الرواية قراءة نقدية نسقية تكشف كيف يُنتج المسكوت عنه سلطته، وكيف يتحوّل القمع إلى لغة، والخذلان إلى نظام.

على الرغم من الغياب المباشر لأسماء الدول أو الزعماء، إلا أنّ الرواية مليئة بحضور شبحي للسلطة، يظهر في كل محطة، وكل إجراء إداري، وكل جدار صمت. إننا نرى الشخصيات الثلاث – أبو قيس، أسعد، مروان – تخوض رحلتها عبر منافذ الموت العربية، وتصطدم بحواجز وجمارك وقوانين عبور، لكنها لا تصطدم يومًا بـ"العدو الإسرائيلي". العدو هنا ليس منفيًا، بل مضمور لصالح عدو آخر هو الأنظمة العربية التي تُدير الموت وتمنع الحياة(٣٤).

هذه الأنظمة لا تُدان صراحة، لكن الرواية تفكك نسقها عن طريق عرض لا إنساني لبيروقراطيتها: حارس الحدود الذي لا يُفكر إلا في الأختام، ضابط الجمارك الذي يساوم السائق، وضابط الشرطة الذي لا يسأل عن مصير الموتى. كل هؤلاء ليسوا شخصيات روائية بقدر ما هم أقنعة لبنية سلطوية عربية خانقة، تمارس عنفها لا بالسلاح، بل بالإهمال والتواطؤ.

هذا يتقاطع مع ما يصفه فوكو بـ"السلطة الانتشارية"، تلك التي لا تظهر بالضرورة كقمع عنيف، بل كبنية إدارية تُنتج خضوعًا تلقائيًا في إجراءات الحياة اليومية(٣٥)، وهكذا، فإن موت الفلسطيني لا يتم على يد الجندي أو العدو، بل على يد الإجراءات، الانتظار، الختم، والخزان.

في الرواية، يتحوّل الإنسان الفلسطيني من ذات تحلم، تعاني، تحب، وتفكر، إلى كائن مشيّأ، أقرب إلى البضاعة القابلة للنقل والتلف. أبو قيس، مروان، وأسعد يُنقلون في خزان ماء، بلا تهوية، بلا صوت، بلا أي قيمة تميّزهم عن أمتعة الشاحنة. حتى لحظة موتهم، يتم التعامل معهم كجثث يجب التخلص منها لا كضحايا يجب الحزن عليهم. هذا التشييء لا يتم فقط من قبل التاجر أو المهرّب، بل حتى من قبل السارد، الذي يُسقط عنهم أسماءهم في اللحظات الأخيرة، ويحولهم إلى ثلاثة رجال مجهولين. وهو ما يكشف عن بنية أعمق من الفقد، بنية تُقنّن الإنسان الفلسطيني كحالة فائضة، كرقم إضافي في موازنات النزوح أو كشحنة ضائعة في شاحنة غير مؤهلة للحياة.

هذا السياق يُعيدنا إلى نقد إدوارد سعيد للمنظور الاستشراقي الذي يُشيّء الآخر بوصفه "كائنًا لا يمتلك صوتًا"، ويُنتج خطابه من خارجه(٣٦)، إذ تكشف الرواية أن هذا التشييء لا يأتي من الخارج فقط، بل ينتجه النظام العربي الداخلي، عندما يعجز عن التعامل مع الفلسطيني ككائن حر، ويختزله في عبء أو تهديد أو عدد يجب التحكم فيه.

أحد الأنساق المضمورة في الرواية هو النسق الأبوي السلطوي الذي يُشكّل خلفية ثقافية لأنماط الصمت والطاعة والخوف. فالذكورة هنا لا تُعرّف بالحرية أو الفعل، بل بالانضباط والهيمنة. أبو قيس، رغم سنّه وتجربته، لا يستطيع اتخاذ قرار حاسم، ولا يجرؤ على الرفض أو الاحتجاج. هو أبوي شكلاً، لكنه خانع فعلاً، يمارس سلطته داخل رأسه، لكنه لا يملك أي قدرة على التأثير في العالم(٣٧).

في المقابل، نجد شخصية أبو الخيزران وقد فقد أداة سلطته الذكورية (الخصاء)، فيتحوّل إلى خادم للبنية الأبوية بدلًا من أن يكون خصمًا لها. هو السائق، القائد، لكنه لا يملك قرارًا حقيقيًا. إنه يُعيد إنتاج السلطة، لا يتحدّاها. إنّ المجتمعات العربية تعاني من النظام الأبوي المستتر الذي يُعيد إنتاج الطاعة والخضوع لا عبر السلطة المباشرة، بل عن طريق قيم الشرف، والعيب، والمكانة (٣٨)، وهذا ما توضحه الرواية حين تجعل الشخصيات تخضع لصمتها لأنها تربّت على ألا تسأل، ألا تشتكي، وألا تطرق جدران الخزان.

إن نقد النسق الأبوي في الرواية لا يتم عبر خطاب نسوي مباشر، بل عبر تفكيك كيف تُشلّ الحركة وتُخنق المبادرة بسبب سلطة الأب الغائب أو الأب المستبد أو الأب المغيّب. فلا يجد الجيل الجديد (مروان) أي نموذج للاحتذاء به، بل يرى أمامه سلسلة من الآباء المهزومين الذين لا يملكون غير نقل الهزيمة لأبنائهم(٣٩).

الرواية لا تصرخ، لكنها تُدين. لا تُعلن، لكنها تُفجّر أسئلة. هذا الأسلوب يتقاطع مع ما يصفه الغذامي بـ"الخطاب المقموع"، حيث السلطة تُنتج ما يُمنع قوله لا ما يُقال[4]. ورجال في الشمس تفعل ذلك بإتقان، فهي لا تذكر الحكومات بالاسم، لكنها تضعنا في متاهة حدودها. لا تصف أجهزة الأمن، لكنها تبيّن أثرها في شكل الخوف والانتظار.

النص لا يُحمّل فردًا واحدًا المسؤولية، بل يكشف عن نسق معقّد من القوى المتداخلة: البيروقراطية، النظام،

الذكورة، الفقر، القمع، التخلي، والتطبيع مع الألم. وهذا ما يجعل الرواية، على الرغم من صغر حجمها، نصًا مكثفًا في نقده، صامتًا في صراخه، واضحًا في الحيازه(٤٠).

لاتمثل الرواية التهريب والموت فقط، بل هي نصٌّ يتوغّل في بنية الثقافة العربية ما بعد النكبة، إذ تتحول الحكاية البسيطة لثلاثة لاجئين يبحثون عن عمل إلى تشريح صادم للمنظومة الأخلاقية والسياسية التي أنتجت خيبتهم. يتقاطع فيها المسكوت عنه مع المُمسرح، ويتعانق الظاهر مع الرمزي، لتبدو الرواية كوثيقة ثقافية عن مجتمعات فقدت أصواتها، ومثقفيها، ومعانيها.

تخفي الرواية بنية رمزية معقّدة لتفكيك النسق الثقافي العربي المهزوم، لا عبر الخطابة، بل في شخصيات تُشبهنا، تتنفّس خيبتنا، وتعيد إنتاج آلامنا. الخزان، على سبيل المثال، ليس فقط وسيلة نقل، بل تمثيلٌ للاحتباس التاريخي الذي يُغلق المستقبل على الأمل، ويحوّل الحلم إلى موت. صمت الشخصيات الثلاثة، عجز أبو الخيزران، الحدود العربية المغلقة، كلّها عناصر تنسج في ما بينها خطابًا نقديًّا لا يُدين الحدث، بل يُدين البنية التي أنتجته(٤١).

وفي هذا الإطار، تتحوّل الرواية إلى ممارسة "تفكيكية" للثقافة السائدة، من الداخل. وكأن كنفاني يقول: ليست الخيانة هي ما يفعله العدو، بل ما نفعله حين نفشل في أن نكون جديرين بتاريخنا.

هذا يتقاطع مع ما وصفه ميشيل فوكو بـ"أرشيف الخطاب"، حيث لا يُقرأ النص من حيث ما يقوله فقط، بل من حيث ما يسمح لنفسه بقوله وما لا يسمح (٤٢)، وهكذا، تتحوّل الرواية إلى بناء نقدي صامت، لا يعلن موقفه، بل يترك القارئ يغرق في الأسئلة: من المسؤول؟ من خان من؟ من هو العدو الحقيقي؟

من الأسئلة المركزية في هذه الرواية: هل اقترحت بديلاً؟ هل منحتنا نموذجًا مغايرًا؟. الإجابة المؤلمة هي: كلا.

أبو الخيزران، الشخصية الأكثر وعيًا، هو المثقف المهزوم الذي تحوّل إلى خادم لوجستي في منظومة قمعية. غير قادر على الانسحاب بشرف، ولا على الفعل بكرامة. هو يعرف، لكنه يصمت؛ يرى، لكنه لا يحتج؛ يمتلك السيارة، لكنه لا يوجّهها.

أمّا الشخصيات الثلاثة – أبو قيس، مروان، أسعد – فتمثل فئات اجتماعية مختلفة: الأب، الشاب، الثائر. لكنهم جميعًا ضحايا بلا فاعلية، عاجزون عن إدراك المصيدة، والأهم: عاجزون عن دقّ جدرانها.

من هنا، تبدو الرواية خالية من النموذج الخلاصي، إذ لا نجد "مثقفًا عضويًا" كما في نموذج أنطونيو غرامشي، ولا ثائرًا مثاليًا كما في أدب الثورات، بل أفرادًا محكومين بالخذلان(٤٣).

وهذا الغياب ليس صدفة، بل قرار في وفكري: كنفاني لا يريد أن يُسلّمنا ببطل من ورق، بل يفضّل أن يتركنا في فراغ الحقيقة. لقد انتهى كل شيء، فماذا أنتم فاعلون؟ – هذا هو سؤال الرواية الأبرز.

في أكثر من موضع، توحي الرواية بأنّ الخيانة لا تكمن فقط في قرار أبي الخيزران أن يُخفي الحقيقة، أو في فشل الشخصيات أن تدقّ، بل في منظومة كاملة تُنتج الخيانة كثقافة. لا خيارًا، بل مصيرًا.

هذا ما يجعل الرواية تتجاوز منطق الإدانة الأخلاقية، إلى نقد بنيوي للثقافة العربية، إذ تُبرّر الخيانات باسم "الضرورة"، ويُبرّر الصمت باسم "السلامة"، ويُبرَّر التواطؤ باسم "الواقعية". كما يُحلّل عبد الله الغذامي، فإن الخطاب العربي في لحظة الانكسار يُنتج أنساقًا دفاعية تحوّل العجز إلى حكمة، والخضوع إلى دهاء، والهزيمة إلى "تكتيك (٤٤).

والأخطر من ذلك أن هذه الخيانة ليست مجرّد فعل، بل بنية تُعاد إنتاجها يوميًا عبر مؤسسات الدولة، المدرسة، الإعلام، وحتى اللغة. لذا فإن الرواية لا تقف عند خيانة أبي الخيزران، بل تضعه في بنية تؤهّله لأن يكون خائنًا: واقع سياسي مشلول، سلطة لا مبالية، ثقافة تجرّم السؤال.

وهذا بالضبط ما يشير إليه برهان غليون حين يعتبر أن الأنظمة العربية أفرغت المجتمع من السياسة، فصار "الفرد لا يملك سوى أدوات الخيانة كي ينجو (٤٥).

في آخر مشهد، حين يصرخ أبو الخيزران: لماذا لم يدقّوا جدران الخزان؟ – يتجلّى أعمق تأويل في الرواية: نحن لا

تموت لأننا لا نعرف، بل لأننا لا نسأل. لأننا نرضى بالصمت، ونُقنع أنفسنا أن الخروج مستحيل.
هذه الصرخة هي اتهام صريح للموتى، وتأنيب للأحياء الذين يعيشون وهمًا مشابهًا، داخل خزاناتهم الرمزية. إنها صرخة مؤلف يعرف أن لا أحد سيجيب، لكنها ضرورية، لأنها تكشف أننا نعرف الحقيقة، لكننا لا نملك الشجاعة لمواجهتها(٤٦).
وبهذا، تُقدّم الرواية تأويلاً قاتمًا للحظة الفلسطينية والعربية: لا أحد بريء، ولا أحد خالص، ولا أحد منقذ. فقط المسكوت عنه، والنظام، والتواطؤ الجماعي.
يمكن القول إنّ رجال في الشمس ليست فقط وثيقة أدبية، بل صرخة نسقية طويلة، مكتوبة بلغة الموتى للأحياء. رواية ترفض أن تُجمّل القبح، أو أن تُصالح البشاعة، بل تختار أن تُدين بلا استثناء، وأن تكشف أننا جميعًا، بشكلٍ أو بآخر، شاركنا في خيانة الصرخة(٤٧).
وفي زمن عربي جديد، تعاد فيه سرديات الهزيمة بأقنعة مختلفة، تظلّ هذه الرواية حية كجرح مفتوح، تذكّرنا بأن الخيانة لا تبدأ عند الحدود، بل تبدأ حين يصمت الإنسان الذي يعرف(٤٨).

الخاتمة:

تتضح في ضوء هذا البحث، معالم جديدة لرواية رجال في الشمس، لا بوصفها مجرّد نص أدبي يحكي عن ثلاثة لاجئين قضوا نحبهم اختناقًا في خزان شاحنة، بل بوصفها بنية روائية رمزية مكتملة، تعرّي النظام الثقافي العربي في لحظة ما بعد النكبة، وتُسائل المثقف، والسلطة، والخطاب، والضمير الجمعي.
انطلقت الرواية من الحدث الصغير (رحلة عبور فاشلة) لتقول شيئًا بالغ الضخامة: أن الهزيمة ليست فقط عسكرية، ولا الخيانة فقط فعلًا فرديًا، بل إن ما يقتلنا في الحقيقة هو التواطؤ الجماعي الصامت مع منظومات ثقافية أعجزتنا، وأفقدتنا الصوت والقدرة على الفعل. لقد مات أبو قيس ومروان وأسعد في الخزان، لكن الرواية لا تدينهم بقدر ما تدين الثقافة التي جعلت "الصمت" فضيلة، و"العبور الصامت" خلاصًا كاذبًا.
وقد أعيد رسم المثقف بالافادة من تمفصلات النقد الثقافي والنسق المضمر، ككائن مأزوم لابطل ، متواطئ، مخصيّ الرغبة والفعل، يُعيد إنتاج السلطة بدلًا من مقاومتها. إن شخصية أبي الخيزران تمثّل أعلى تجليات "المثقف المهزوم" الذي يعرف لكنه لا يحتج، الذي يمتلك الوعي لكنه يُوظّفه لخدمة البنية المهترئة، لا لهدمها. هذه المفارقة تؤسس لأهم استنتاجات البحث وهي: أن المثقف العربي، حين ينفصل عن الفعل، يتحوّل من صوت مقاومة إلى وسيط للهزيمة.
لقد قدّمت رجال في الشمس، من حيث لا تُعلن، إدانةً كاملة للخطاب العربي في زمن ما بعد النكبة: خطابات خالية من المعنى، أنظمة خاوية من الكرامة، ومجتمعات تأنف السؤال وتخشى دقّ جدران الخزان. فليس الموت وحده هو الكارثة، بل أن تموت من دون أن تُجرّب الاعتراض، أو تطرق جدران الهزيمة.
وهكذا، تكشف الرواية أن عمق الأزمة، فالمشكلة لا تكمن في العدو وحده، بل في المنظومة الثقافية التي جعلت الهزيمة قدرًا مقدّسًا لا يُناقش، وجعلت الصمت حكمة، والتواطؤ واقعية. وبذلك تتحول الرواية إلى تأمل مرير في موت المعنى، وموت الجسد، وفي الخيانة بوصفها حالة جماعية لا فردية، مؤسسة في كل زاوية من الثقافة العربية الرسمية والشعبية.
بناءً على ما سبق، لا بدّ من إعادة طرح سؤال: ما دور المثقف العربي اليوم؟ هل هو شاهد على انكسارات متتالية؟ أم مُساهم في إعادة إنتاج نسق ميت؟ أم هو مشروع خلاص مؤجل؟ رواية رجال في الشمس لا تمنحنا إجابة، لكنها تُجبرنا على طرح السؤال بشراسة، وبتجرد من أوهام "الحياد".
إننا بحاجة إلى مثقف جديد، لا يقف على الهامش، ولا ينخرط كأداة، بل ينقضّ على النسق الثقافي كما هو، ويخترق الصمت كما يجب، ويطرق جدران الخزان قبل أن يُغلق عليه وعلى غيره باب التاريخ.
في النهاية، ليست رجال في الشمس رواية عن التهريب فقط، بل رواية عن الموت الرمزي في ظل خطاب عربي خان

ذاته، وخان شُهداءه، وخان المثقف حين دفعه إما إلى السكوت أو إلى الخيانة المقنّعة. لذا، فإن قراءتها اليوم ليست ترفًا، بل واجب ثقافي ونقدي، علّنا نحمي الأحياء من أن يُصبحوا، كمن سبقهم أمواتًا لم يطرقوا جدران الخزان.

النتائج

١. المثقف المهزوم في الرواية ليس شخصية عابرة، بل تجسيد لبنية ثقافية، إذ تمثل شخصية "أبو الخيزران" المثقف المؤدلج الذي فقد أدوات التأثير (الرمزية والجسدية)، وتحول إلى وكيل غير مباشر للهزيمة. هذه الشخصية كُتبت داخل مناخ عربي ما بعد النكبة، فأقصي المثقف العضوي لصالح المثقف المتواطئ مع النظام.

٢. الخيانة – كما قدمتها الرواية– ليست فعلًا فرديًا، بل بنية نسقية تُنتجها الثقافة والسياسة معًا، ويعاد إنتاجها عن طريق الصمت، والخضوع، والقبول بالواقع. إذ تحول الخزان من مكان موت، إلى رمز للثقافة العربية المغلقة، التي تقتل أبناءها بحجّة الحماية.

٣. كشفت الرواية أن الصمت، في الخطاب الثقافي العربي، ليس محايدًا بل هو شكل من أشكال الخيانة، تتحول اللغة فيه من وسيلة مقاومة إلى أداة تواطؤ، ويُكافأ الصامت ويُقصى الصادح بالحقيقة.

٤. جسدت الأنظمة العربية الغياب الحاضر فهي لم تُذكر بالاسم صراحة، لكن ملأت آثارها كلّ مشهد، عبر البيروقراطية، الجمود، القسوة، وانعدام المسؤولية. وهذا الحضور الشبحي يكشف عن "سلطة منتشرة" على حد تعبير ميشيل فوكو.

٥. لا تقدّم الرواية بديلاً صريحًا للخلاص، بل تنتهي بمأزق لشخصيات تموت بصمت، ومثقف لا يصرخ إلا بعد فوات الأوان، مما يضع مسؤولية الفهم والتغيير على عاتق القارئ، لا على النص.

الهوامش:

(١) الغذامي، عبد الله. النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ٢٠٠٠، ص٣٦

(٢) فوكو ، ميشيل. علم آثار المعرفة. ترجمة إيه إم شيريدان سميث، كتب بانثيون نيويورك ، ١٩٧٢، ص٤٤

(٣) ينظر سعيد ، إدوارد دبليو تمثيلات المثقف، كتب عتيقة ، نيويورك، ١٩٩٦، ص٣٥

(٤) بورديو ، بيير. اللغة والقوة الرمزية. ترجمة جينو رايموند وماثيو أدامسون. كامبريدج ، ماساتشوستس: مطبعة جامعة هارفارد ، ١٩٩١.ص٤٥

(٥) ينظر النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص٥٥

(٦) علم آثار المعرفة، ص٢٣–٢٦

(٧) تمثيلات المثقف، ص٤٦

(٨) العروي، عبد الله. الأيديولوجيا العربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ١٩٩٥.ص٣٩

(٩) تمثيلات المثقف، ص٥٠–٥١

(١٠) طرابيشي، جورج. المثقفون العرب والتراث: التحليل النفسي لعصاب جماعي، دار الساقي، بيروت، ١٩٩١.ص٦٧

(١١) شرابي، هشام. النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ١٩٩٢، ص٣٤

(١٢) ينظر: العظم، صادق جلال. نقد الفكر الديني. ط ٣، دار الطليعة، بيروت ، ١٩٨٠.ص١١–٢٠

(١٣) اللغة والقوة الرمزية، ٤٧.

(١٤) العروي، عبد الله. مفهوم الدولة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٥.ص٥٤

(١٥) رواية رجال في الشمس، غسان كنفاني، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٦٣، ص٢٣

(١٦) هارلو ، باربرا. أدب المقاومة، ميثوين، نيويورك ، ١٩٨٧، ص ٤٤

(١٧) أبو ديّة، سميح. الخيانة بوصفها بنية روائية في أدب ما بعد النكسة، مجلة فصول ١٧، العدد ٣ (١٩٩٨): ٤٥–٦٣.ص ٤٠–٤٥

(١٨) ينظر: دلاجة، مصطفى. الهوية والخيانة في الرواية العربية المعاصرة، دار توبقال، الدار البيضاء ، ٢٠٠٧، ص ٣٢-٣٥

(١٩) الخيانة بوصفها بنية روائية في أدب ما بعد النكسة، ص ٧٠

(٢٠) غليون، برهان. اغتيال العقل: محاكمة الفكر السياسي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ١٩٩٠، ص ٥٠-٥١

(٢١) الأيديولوجيا العربية المعاصرة ص ٣٢-٣٦

(٢٢) ينظر: سعيد ، إدوارد دبليو الثقافة والإمبريالية، ألفريد أ. كنوبف، نيويورك ، ١٩٩٣، ص ٥٤

(٢٣) ينظر: النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص٢٨-٢٩

(٢٤) العروي، عبد الله. الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ص٣٧

(٢٥) النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص ٥٤

(٢٦) النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، ص ٦١

(٢٧) الثقافة والإمبريالية، ص ٢٩-٣٠

(٢٨) ينظر: رجال في الشمس .ص ٣٠

(٢٩) النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص ٢٩

(٣٠) فانون ، فرانتز. بؤساء الأرض. ترجمة ريتشارد فيلكوكس. نيويورك: مطبعة جروف ، ٢٠٠٥. ص ٢٨

(٣١) الأيديولوجيا العربية المعاصرة. ص٣٩

(٣٢) الخيانة بوصفها بنية روائية في أدب ما بعد النكسة، ٤٥-٦٣.

(٣٣) بؤساء الأرض، ص٨١-٨٣

(٣٤) رواية رجال في الشمس، ص ٢٥ -٣٠

(٣٥) النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص٥١

(٣٦) رجال في الشمس، ص٢٩-٣٣

(٣٧) النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، ٥٧.

(٣٨) فانون ، فرانتز. بشرة سوداء ، أقنعة بيضاء. ترجمة ريتشارد فيلكوكس. نيويورك: مطبعة جروف ، ٢٠٠٨.

(٣٩) فوكو ، ميشيل. التأديب والعقاب: ولادة السجن. ترجمة آلان شيريدان. نيويورك: كتب بانثيون ، ١٩٧٧.

(٤٠) غليون، برهان. اغتيال العقل: محاكمة الفكر السياسي العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠.

(٤١) فوكو ، ميشيل. علم آثار المعرفة. ترجمة إيه إم شيريدان سميث. نيويورك: كتب بانثيون ، ١٩٧٢.

(٤٢) النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ٦٦

(٤٣) النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية. ص ٣٦

(٤٤) رجال في الشمس ص ٣٨

(٤٥) غليون، برهان. بيان من أجل الديمقراطية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٠. ص ٥١

(٤٦) ينظر: رجال في الشمس.، ص ٣٩

(٤٧) خليل، إبراهيم. الرواية العربية والواقع: دراسة في الأنساق السردية. بيروت: دار التنوير، ٢٠٠٣.

(٤٨) زراقط، محمد. الفكر النقدي العربي: من التراث إلى الحداثة. الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، ١٩٩٨، ٤٥

المصادر :

١. أبو ديّة، سميح. "الخيانة بوصفها بنية روائية في أدب ما بعد النكسة." فصول، مج. ١٧، ع. ٣ ، ١٩٩٨

٢. الغذامي، عبد الله. النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠.

٣. العروي، عبد الله. الأيديولوجيا العربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٥.

٤. العروي، عبد الله. مفهوم الدولة. المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٥.

٥. العظم، صادق جلال. نقد الفكر الديني. ط ٣، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٠.
٦. بورديو، بيير. اللغة والقوة الرمزية. ترجمة جينو ريموند وماثيو أدامسون. كامبريدج، ماساتشوستس: مطبعة جامعة هارفارد، ١٩٩١.
٧. دلاجة، مصطفى. الهوية والخيانة في الرواية العربية المعاصرة، دار توبقال، الدار البيضاء، ٢٠٠٧.
٨. سعيد، إدوارد دبليو. الثقافة والإمبريالية، ألفريد أ. كنوبف، نيويورك، ١٩٩٣.
٩. سعيد، إدوارد دبليو. تمثيلات المثقف، كتب عتيقة، نيويورك، ١٩٩٦.
١٠. شرابي، هشام. النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٢.
١١. طرابيشي، جورج. المثقفون العرب والتراث: التحليل النفسي لعصاب جماعي، دار الساقي، بيروت، ١٩٩١.
١٢. غليون، برهان. اغتيال العقل: محاكمة الفكر السياسي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٠.
١٣. غليون، برهان. بيان من أجل الديمقراطية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٠.
١٤. فانون، فرانتز. بؤساء الأرض. ترجمة ريتشارد فيلكوكس، مطبعة جروف، نيويورك، ٢٠٠٥.
١٥. فانون، فرانتز. بشرة سوداء، أقنعة بيضاء. ترجمة ريتشارد فيلكوكس، مطبعة جروف، نيويورك، ٢٠٠٨.
١٦. فوكو، ميشيل. التأديب والعقاب: ولادة السجن. ترجمة آلان شيريدان، كتب بانثيون، نيويورك، ١٩٧٧.
١٧. فوكو، ميشيل. علم آثار المعرفة. ترجمة إيه إم شيريدان سميث، كتب بانثيون، نيويورك، ١٩٧٢.
١٨. كنفاني، غسان. رجال في الشمس، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٦٣.
١٩. هارلو، باربرا. أدب المقاومة. نيويورك: ميثوين، ١٩٨٧.
٢٠. خليل، إبراهيم. الرواية العربية والواقع: دراسة في الأنساق السردية، دار التنوير، بيروت، ٢٠٠٣.
٢١. زراقط، محمد. الفكر النقدي العربي: من التراث إلى الحداثة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩٨.

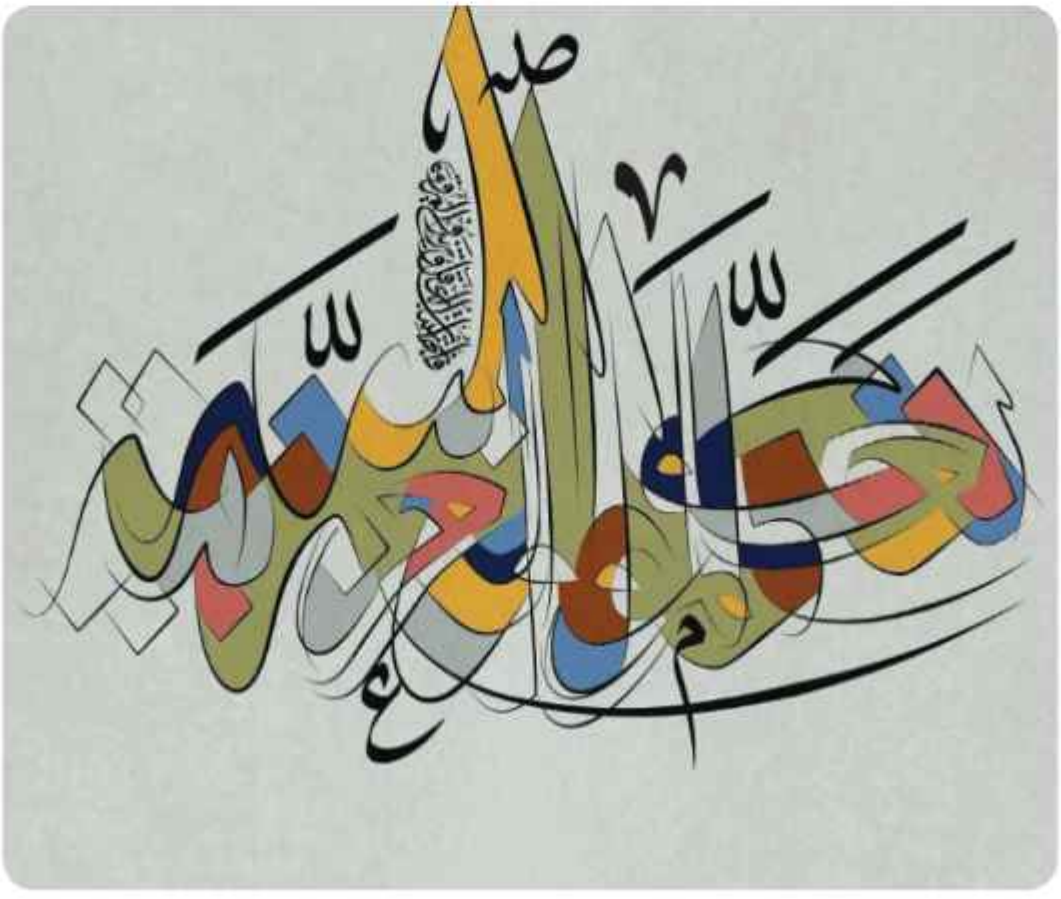

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

صفات العرب ومناقبهم قبل الاسلام الحلم والوفاء انموذجاً

أ.م.د. صلاح حسن خلف
وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية محافظة ديالى

المستخلص:
كان للبيئة الطبيعية والظروف التي احاطت بسكان شبه الجزيرة العربية أثر كبير في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية وساهمت في خلق نوع من الاعراف والمثل والقيم الاخلاقية الحميدة ، فعلى الرغم من قساوة البيئة الصحراوية التي كانت تعيشها القبائل العربية قبل الاسلام وكثرة الحروب والغارات فيها بينهم ولاسيما ان السلب والنهب لا يعد من الجرائم في نظرة العرب قبل الاسلام بل كان يعد من الشجاعة ، وعلى الرغم من التفاوت الاجتماعي الكبير الذي كان موجود الذي ادى الى وجود العصابات التي تتخذ من الغزو والاغارة والفتك من اجل العيش بسبب قساوة البيئة ، إلا أن العربي كان يكافح من اجل اظهار مكارم الاخلاق والتي ساهمت الى حد كبير في تحسين الاوضاع وشيوع الامان والطمأنينة ، ومن أهم هذه القيم الاخلاقية الحلم والوفاء التي سلطنا عليها الضوء في بحثنا لمعرفة هذه الصفات الحميدة ومدى انتشارها لدى العرب قبل الاسلام .

الكلمة المفتاحيّة : صفات، حلم، وفاء .

Abstract:

The natural environment and conditions that surrounded the inhabitants of the Arabian Peninsula had a great impact on their social, economic, and religious lives and contributed to the creation of a type of race, ideals, and good moral values. Despite the harsh desert environment that the Arab tribes lived in before Islam and the frequent wars and raids among them, especially the looting and looting. It is not considered a crime in the view of Arabs before Islam, but rather it was considered a form of courage . Despite the great social disparity that existed, which led to the existence of gangs that used invasion, raiding, and murder in order to survive despite the harsh environment, the Arab was struggling to demonstrate good morals, which contributed greatly to improving conditions and the spread of safety and tranquility. The most important of these moral values is dreaminess and loyalty, which we highlighted in our research to find out these good qualities and the extent of their spread among Arabs before Islam.

Keywords: Qualities, Dream, loyalty

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافئ كرمه ، والصلاة والسلام على خاتم انبيائه ورسله سيدنا محمد الامين وعلى اله وصحبه اجمعين .

لقد صور للكثير ان الحقيقة التي كان يعيشها العرب قبل الاسلام تكاد تكون مظلمة سادتها الحروب والصراعات والفوضى والانقسامات والقتل والنهب وكثرة الثارات والتي ركز عليها المستشرقون وحاولوا التسليط على بعض العادات السلبية التي كانت تعيشها اغلب المجتمعات آنذاك ، فهل من المعقول ان الله سبحانه وتعالى الذي اختار خاتم الانبياء والمرسلين من العرب ليكون نبراساً مشعاً لحمل الاسلام لكل ارجاء العالم ولم يزرع فيهم القيم الاخلاقية والعادات الاجتماعية الحميدة التي ساهمت في تنظيم حياتهم الاجتماعية .

وبمرور الزمن ترسخت هذه القيم والعادات وتثبيت اركانها وتعمقت اصولها حتى اعتبرها الانسان المنار الذي ينبغي ان يسير عليه ، وان هذه القيم والاخلاق ليست كسباً خالصاً وانما هي وثيقة الصلة او قائمة على ما اودع الله سبحانه وتعالى في النفوس من خير وسجايا واخلاق ، لاسيما ان العرب وارضهم مهد الديانات السماوية ، لذلك حرص العرب على التمسك بهذه القيم الاخلاقية والابتعاد عن كل العادات السيئة التي تعرضهم للتشهير في الاسواق والتجمعات الكبرى فكان الذي يغدر بوفائه ترفع لهم رايات الغدر .

تناول البحث صفات العرب ومناقبهم قبل الاسلام الحلم والوفاء انموذجاً ، وتم تقسيمه الى محورين جاء في المحور الاول الحلم عند العرب قبل الاسلام ، وتضمن المحور الثاني الوفاء عند العرب قبل الاسلام .

صفات العرب ومناقبهم قبل الاسلام الحلم والوفاء انموذجاً

اتسمت كل امة من الامم القديمة بمجموعة من القيم الاخلاقية يقتدون بها ويروها فضائل تساعدهم في تنظيم حياتهم ورفعة شأنهم وعد العرب من اول الامم التي فطرت بقيم اخلاقية قلماً نجدها عند الامم الاخرى وتشكلت لديهم قاعدة اساسية انطلقوا منها لتنظيم حياتهم الاجتماعية فاعتزوا بها وعدوها سلوكاً في حياتهم ومعياراً لنيل الشرف والسيادة لدى المجتمع وان من يخالف القيم الاخلاقية عدت لديهم من المثالب الذميمة التي تفسد سمعتهم ومكانتهم في المجتمع العربي ومكانتهم بين الاقوام والامم المجاورة لهم . إن صور مكارم الاخلاق عند العرب قبل الاسلام كثيرة وكان من بين هذه الصفات والمناقب الحلم والوفاء .

اولاً . المحور الاول الحلم عند العرب قبل الاسلام :

١ . الحلم في اللغة :

الحلم الرؤيا يقال حلم يحلم اذا رأى في المنام(١) ، والحلم بالكسر الاناة(٢) ، وترك العجلة فالحلم خلاف الطيش يقال : حلمت عنه احلم ، فانه حليم(٣) .

٢ . الحلم اصطلاحاً :

عرف الحلم اصطلاحاً بالعديد من التعاريف فقيل : « هو ضبط النفس عند هياج الغضب»(٤) ، وعرف انه : « الامهال بتأخير العقاب المنصف «(٥) ، تأخير مكافأة الظالم(٦).

والحلم لا يتم الا بإمساك الجوارح كلها اليد عن البطش واللسان عن الفحش ، والعين عن فضولات النظر(٧) ، فقد كان الحلم في نظرهم من الفضائل ، لاسيما انهم كانوا يعيشون في بيئة صحراوية وقسوة حياة كان لها اثرها في طبائعهم(٨) ، لذلك كثير من مناسباتهم وشعرهم مدح الحلماء كما جاء في شعر خلف بن خليفة مولى قيس بن ثعلبة وهو يمدح قومه قائلاً :

عليهم وقار الحلـــــم حتى كأنما ... وليدهم من اجـــــــل هيبته كهل
اذا استجاموا لم يعزب الحلم عنهم ... وان اثروا ان يجهلوا عظم الجهل(٩)

وكانوا يفخرون بالحلم عندما يقرن بالشجاعة حتى لا يتصورهم انهم جبناء كما جاء في شعر كعب بن سعد الغنوي في رثاء اخاه قائلاً :

اخي ما اخي لا فاحش عند بيته ... ولا ورع عنـــــــــد اللقاء هيوب
هو العسل الماذي حلماً ونائـــلاً ... وليت اذا يلقي العـــــــدو غضوب
لقد كان اما حلمه فمـــــــــروح ... علينا وامـــــــــــا جهله فعزيب
حليم اذا ما سورة الجهل اطلقت ... حتى الشيب للنفس اللجوج غلوب(١٠)

وعلى الرغم من ان العربي قبل الاسلام كان يعرف بحميته وعصبيته القبلية إلا ان الكثير منهم كانوا يحلمون ليس فقط على الاقارب وابناء القبيلة ، إنما كان حلمهم على الصديق والغريب في اثناء اقترافه الخطأ ، لاسيما الذي يرتكب دون قصد او تعمد(١١) .

واشترط في الحلم ان يكون صاحباً قادراً على الانتقام الا انه يهلك نفسه عند الغضب فإذا حصل وغضب وهو قادر على العقاب بانه يحلم ولا يعاقب وإلا فلم يكن للحلم قيمه(١٢) وذكر ان العرب عندما يشاهدون شخصاً يغضب واراد منه طلب العفو والحلم قالوا له : « اذا ملكت فاسجع «(١٣) .

فيصبحون احلم في النفار من كل حليم واسلم للخصام من كل سليم : « لا حليم غيرهم الا ذو عثرة ، ولا ذخور سواهم الا ذو هفوت «(١٤) ، وان اكثر المعروفين بالحلم كانوا كبار السن له خبرة في الحياة يتعلمون الاخطاء حتى من الحمقى(١٥)، وفي ذلك قال الشاعر :

ليت الاحلام في حال الرضا ... إنما الاحلام من حيث الغضب(١٦)

وقيل إن من علامات الحلم ثلاث : « قلة الغضب عند مخالفة الرأي والاحتمال عند الردى ... ونيسان اساءة المسيء اليه عفواً عنه «(١٧) .

لقد كان الحلم من اجل الصفات الحميدة التي تدل على الاخلاق الفضيلة بين العرب قبل الاسلام وهي تعني المغفرة والصفح عند المقدرة مكان الحليم يستطيع ان يتغلب على نفسه عندما يتقلب على عدوه وقيل : « ان الكريم من يغفر الذنوب ويستر العيوب «(١٨) ، « واذا اغلبت فكن عفواً «(١٩) ، « ولا عظمة مع الحقد «(٢٠) .

ومما يؤكد هذه الصفة الحميدة ويقصدها في قوله تعالى :(ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ)(٢١) ، وجاء في تفسير الآية الكريمة ان الذين يكظمون غيظهم ويعفون عن من اساء اليهم فأن الله سبحانه وتعالى يحب من عمل هذا العمل(٢٢) .

لقد برز العديد من العرب الذين عرفوا بحلمهم وصبرهم على المصائب والشدائد وتحملهم الاذى ، وكانت هذه الصفة التي تجعل رئيس القبيلة موضوع احترام وتقديس اكثر من غيرها لاسيما ان المجتمع العربي قبل الاسلام فرضت طبيعته القاسية على الافراد طبعاً حاداً وحزاماً عصبياً ، لذلك نجد في كثير من الاحيان على ابسط خلاف يلجئون الى تحكيم السيوف وتقوم المنازعات الدموية لأتفه الاسباب ، لذلك في بيئة مثل هذه يسودها الطيش يجب ان يكون الرئيس على قسط اخر من الحلم ليتمكن من السيطرة على جهالة الجهال في قومه ويمنع اراقة الدماء ويطفئ نار الحرب بحلمه وحكمته ويجنب قومه الاقتتال الذي يجرهم لحروب ربما تدوم لسنوات(٢٣) .

لذلك كان العرب قبل الاسلام لا يقرون مبدأ الوراثة ولا يفضلون استغلال الابن لأبيه لان ذلك سيؤدي الى مجيء اشخاص لا تتوفر فيهم صفات الرئاسة التي يجب ان تتوفر في الرئيس ، وربما ذلك يؤدي الى مجيء اشخاص ضعفاء لا يستطيعون قيادة قومهم ، لذلك حرص العرب قبل الاسلام ان لا يسودون عليهم الا من تكاملت فيه ست خصال (السخاء ، والنجدة ، والصبر، والحلم ، والبيان ، والتواضع)(٢٤) .

سئل عرابه الاوسي(٢٥) ، بما سدت قومك؟ ، فقال : « اعفو عن سفيههم ، واحلم عن جاهلهم ، واسعى في حوائجهم ... «(٢٦) ، وورد في الشعر العربي الكثير من المدح للحلماء والسادة والزعماء الذين ترفع بعضهم عن السفهاء والضعفاء والاحقاد في قول الشاعر كعب بن سعد الغنوي :

حليم اذا ما الحلم زين اهله ... مع الحلم في عين العدو مهيب

اذا ما تراءاه الرجال تحفظوا ... حلم تنطق الحوراء وهو قريب(٢٧)

وقد مدح العديد ممن وصفوا بحلمهم حتى ضربت لهم الامثال منهم قيس بن عاصم المنقري(٢٨) ، وضرب به المثل : « احلم من قيس ين عاصم «(٢٩) ، لا اعرف عنه من حلم فقد ذكر انه كان جالس في فناء بيته في احد الايام اذا قبل نحوه جماعة ومعهم شخص مقتول والاخر مكتوف ، فقالوا له : هذا ابنك مقتول ، قتله ابن اخيك وهو المكتوف قال : فو الله ما حل حبوته ، ولا قطع كلامه حتى فرغ منه ، ثم التفت الى ابن له فقال : وار اخاك ، واحمل الى امه مئة من الابل ، فإنها غريبة ، واطلق ابن عمك ، ثم قال : « لابن اخيه : قطعت رحمك ، وقللت عددك ، فلا ابعد الله غيرك «(٣٠) ، وانشد قائلاً :

اي امرؤ لا يطيب حسبي ... سفه بكـــــــــدره ولا امن
من منقر في بيت مكرمة ... والغصن ينبت حول الغصن
حلماء حتى يقول قائلهـــم ... بيض الوجوه مصافـــع لسن
لا يفطنون لحبيب جارهم ... وهم لحفظ جـــواره فطن(٣١)

وهذه الحادثة عدته من حلماء بني تميم والعرب قبل الاسلام وكان ممن حرم الخمر على نفسه حتى لا يقع في الخطأ اثناء سكره(٣٢) ، وقال في ذلك :

رأيت الخمر صالحه وفيها ... مناقب تفسد الرجل الحليما
فلا والله استر بها صحيحاً ... ولا اسقى بها ابـــداً سقيما
ولا اعطى بها ثمنا حياتي ... ولا ادعو لهـــا ابداً نديماً(٣٣)

واستمر في ذلك حتى دخوله للإسلام في السنة التاسعة للهجرة ولقبه الرسول محمد (سيد اهل الوبر)(٣٤) ، لما له عرفه عنه من حلم وشرف وسيادة وكرم(٣٥) ، عندما جاءته الوفاة واخذ يحتضر جمع ابناءه وكان له ثلاثة وثلاثون ولداً قال لهم : « يا بني احفظوا عني فلا انصح لكم مني ، اذا انامت فسودوا كباركم ، ولا تسودوا صغاركم ، فتسفه الناس كباركم وتهونوا عليهم وعليكم بإصلاح المال ، فانه منبهة للكريم ، وسيتغنى به عن اللئيم ، واياكم ومسآله الناس ، فأنها اخر كسب المرء ، ولا تقيموا عليّ نائحة... «(٣٦).

نستنتج من وصية قيس بن عاصم لأبنائه حين اتته المنية انه يوصيهم بان سيسودوا عليهم كبار قومهم لما لهم من معرفة وحلم ولا يسودوا صغار قومهم الذين لا يحترمون الكبار ويكون طائشين سريعي الغضب واوصاهم بالاهتمام بأموالهم وان لا يصرفوها بغير مكانها وان يعفوا عن الناس ولا يسائلوهم عن بعض اخطائهم التي اقترفوها ويوصيهم بالحلم فيمن يخطأ معهم وهذا يدل على حكمته وحلمه .

ومن الذين عرفوا بحلمهم الاحنف بن قيس(٣٧) ، وهناك الكثير من الروايات التاريخية التي تؤكد على حلمه منها انه جاء اله رجل وهو يصلح قدراً للطبخ وعندما ذهب الرجل اتهمه بالبخل وانشد قائلاً :

وقدر ككف القرد لا مستعيرها ... يجار ، ولا من يأتيها يتدسم(٣٨)

وعندما اخبر الاحنف بما قاله باتهامه بالبخل وان قدره صغير بحجم كف القرد ولا يشبع الضيف لم يغضب لذلك وقال لهم : « لو شاء لقال احسن من هذا «(٣٩) ، ومن حلمه انه جاء اليه رجل ذات يوم فلطمه على وجهه فقال له الاحنف : « يا ابن اخي ما دعاك الى هذا؟ ، قال : آليت ان ألطم سيد العرب من بني تميم ، قال : فبر يمينك فما انا سيدها ، سيدها حارثه بن قدامه ، فذهب الرجل فلطم حارثه فقام اليه حارثه بالسيف فقطع يمينه ... «(٤٠) ، فضرب به مثلاً قيل : « احلم من الاحنف «(٤١) ، وانه ساد الناس بحلمه(٤٢) فسئله الناس من اين تعلمت الحلم قال : « تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنقري»(٤٣).

وللاحنف بن قيس اقوال كثيرة في الحلم منها : « ان الناس يرون الحلم ذلاً ، وقال : رب غيظ تجر عنه مخافة ما هو اشد منه «(٤٤) ، وقال : « كثرة المزاح تذهب بالهيبة ... والسوء وكرم الاخلاق وحسن الفعل ، وقال : ثلاث ما اقولهن الا ليعتبر معتبر لا اخلف جليسي بغير ما احضر به ، ولا ادخل نفسي فيما لا مدخل لي فيه ، ولا آتي السلطان او يرسل اليّ ، وقال له رجل : يا ابا بحر ، دلني علي محمدة بغير مرزئه ، قال : الخلق السجيع ، والكف عن القبيح ، واعلم ان دواء الداء اللسان البذي والخلق الردي»(٤٥) .

وقوله : « ان الكرم ، منع الجرم ، ما اقرب النقمة من اهل البغي ، لا خير في لذة تعقب ندماً ، لن يهلك من قصد ، ولن يفتقر من زهد ، رب هزل عاد جد ، من امن الزمان خانه ، ومن يعظم عليه اهانه ، دعوا المزاح فانه يرث الضغائن ، وخير القول ما صدقه الفعل ، احتملوا لمن ادل عليكم ، واقبلوا عذر من اعتذر اليكم ، واطع اخاك وان عصاك ، وحله وان جفاك انصف نفسك قبل ان ينتصف منك ، واياكم ومشاورة النساء ، واعلموا ان كفر

النعمة لؤم ، وصحبة الجاهل شؤم ، ومن الكرم الوفاء بالذمم ، ما اقبح القطيعة بعد الصلة ، والجفاء بعد اللطف والعداوة بعد الود ، ولا تكونن على الاساءة اقوى منك على الاحسان ولا الى البخل اسرع منك الى الذل ، واعلم ان لك من دنياك ما احلمت به مثواك ، فانفق في حق ولا تكونن خازناً لغيرك ، واذا كان الغدر في الناس موجوداً ، فالثقة بكل احد عز ، اعرف الحق لمن عرفه لك ، واعلم ان قطيعة الجاهل ، تعدل منه العاقل «(٤٦) ، من خلال اقواله وحكمه الكثيرة في حث الناس على الحلم عد من احلم الناس حتى قيل: انه احلم من لقمان ولقيم وقيس بن عاصم وهو الذي قال : « لا تزال العرب بخير ما ليست العمائم ، وتقلدت السيوف ، وركبت الخيل ، ولم تأخذها حمية الاوغاد ، قيل : وما حمية الاوغاد؟ ، قال : ان يروا الحلم ذلاً ، والتواهب ضيماً»(٤٧) . ومن حلمه انه لم يشتم او يسب رجلاً(٤٨)، وذكر انه جاء اليه رجل ارسله عمرو بن الاهتم(٤٩) وطلب منه تسفيه الاحنف بن قيس مقابل ان يعطيه الف درهم فاخذ يسبه سباً يغضب الا ان الاحنف لم يرد عليه فاخذ الرجل بعض اجامه من شدت غضبه لان الاحنف لم يرد عليه فقال : ما يمنعه من جوابي الا هواني عليه ، وبقي الرجل يسب بالاحنف حتى حان موعد الغداء فطلب الاحنف منه وقال له : « يا هذا ان غداءنا قد حضر ، فانهض بنا اليه ان شئت فإنك منذ اليوم تددر بحمل ثقال اي الجمل النبطي «(٥٠). تدل هذه الرؤيا وتؤكد ان الاحنف بن قيس كان من الحلماء فان الرجل اذا غضب فليس بحليم. لان الحليم لا يعرف الا عند الغضب وفي ذلك قال الشاعر : اغضب صديقك غرة لتعرفه ... لا يعرف الحلم الا ساعة الغضب(٥١)

نستنتج مما ذكر ان الاحنف بن قيس كان من احلم الناس حتى ضرب فيه المثل وانه كان يوصي الناس على الحلم وخصال الخير على الرغم من محاولة بعض الاشخاص اغضابه الا انهم فشلوا في ذلك بل كان يعاملهم بالحسنى ويدعوهم للطعام وان حلمه تعلمه من قيس بن عاصم الذي قُتل ولده ولم يغضب بل وعفى عن قاتله وقام بأطلاق سراحه ، وهذا ما جعلهم مضرب الامثل ومديح الشعراء لأن الحلم في البيئة العربية عرف محاسن الاخلاق .

المحور الثاني . الوفاء عند العرب قبل الاسلام :

١. الوفاء في اللغة :

الوفاء ضد الغدر يقال : وفى بعهده اوفى بمعنى ووفى الشيء وفيا(٥٢) , الوفاء اتمام العهد واكمال الشرط ويقولون اوفيتك الشيء , اذ اقضيته اياه(٥٣) .

٢. الوفاء اصطلاحاً :

عرف بانه : « ملازمة طريق المواساة ومحافظة عهود الخلطاء «(٥٤) , وعرف بانه « الصبر على ما يبذله الانسان من نفسه ويرهن به لسانه «(٥٥) .

لم يكن له العرب قبل الاسلام وثائق وعهود مدونة فكانت الكلمة التي ينطقها الرجل عهداً عليه لابد من ان يفي بها , فإذا كان الكرم والشجاعة من ضروريات الحياة في الصحراء , فإن الوفاء من اهم الصفات الاخلاقية عند العرب فرضتها عليهم البيئة الصحراوية القاسية واقرها المجتمع(٥٦) , وقد كان العرب يعتدون بالوفاء ويرونه قيمة عظيمة وشرفاً اذا ضاع في قوم حلت بهم النوائب لذلك قالوا : « اذا ذهب الوفاء نزل البلاء «(٥٧) , وقيل : « الوفاء من شيم الكرام والغدر من همم اللئام «(٥٨).

وعد الوفاء بالوعود من المقدسات سواء كان ذلك على الصعيد الفردي او على الصعيد القبلي ، لذلك برو بوفاء الوعود وقبحوا من يخلف به(٥٩) ، واذا ما غدر احدهم بوفائه رفعوا له اللواء في سوق عكاظ(٦٠) , وفي ذلك قال الشاعر قطبة بن محصن الغطفاني :

اسمي ويحك هل سمعت بغدرةً ... رفع اللواء لنا بها فـــــي مجمع

انا نعف فـــــلا نريب حليفنا ... ونكف شح نفوسنا في المطمع(٦١)

حرص العرب قبل الاسلام على الوفا الا انها من اعظم الصفات الخليقة ، ولما للوفاء من اهمية كبيرة فقد حث

القرآن الكريم على الالتزام به وعدم الغدر كما جاء في قوله تعالى : وَأَوفُواْ بِعَهدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّم وَلَا تَنقُضُواْ ٱلأَيمَٰنَ بَعدَ تَوكِيدِهَا وَقَد جَعَلتُمُ ٱللَّهَ عَلَيكُم كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعلَمُ مَا تَفعَلُونَ (٦٢) .

وجاء في نفس الآية الكريمة يجب الوفاء بالعهود فاذا عاهد يجب ان يوفي ولا يجب نقض العهود بعد التأكيد عليها فان الله كفيل بالوفاء(٦٣) , وقوله تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوفُواْ بِٱلعُقُودِ أُحِلَّت لَكُم بَهِيمَةُ ٱلأَنعَٰمِ إِلَّا مَا يُتلَىٰ عَلَيكُم غَيرَ مُحِلِّي ٱلصَّيدِ وَأَنتُم حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحكُمُ مَا يُرِيدُ (٦٤) , وجاء في تفسير الآية ان الله سبحانه وتعالى يحث على الوفاء بالعهود التي عاهدتموها ربكم فأتموها بالوفاء والتمام ولا يجب ان تنقضوها(٦٥) .

لم تكن اخلاق العرب قبل الاسلام في الوفاء صورية او اسطورية من الخيال ، انما كانت واقعاً ضربت به الامثال الكثيرة ولدينا العديد من الشخصيات العربية الذين عرفوا بوفائهم منهم فكيهة بنت قتادة بن مشنوءة خالة طرفة بن العبد(٦٦) , من وفائها ان السليك بن سلكة(٦٧) , قام بالإغارة على بكر بن وائل فخرج جماعة من بكر على اثره وكان يشرب الماء فوثبوا عليه فقام بالركض واستجار بفكيهة فأدخلته تحت درعها ونادت اخوتها فمنعوهم منها وضرب فيها المثل بوفائها على الرغم من انه كان سارق الا انها وفت له عندما استجار فيها فقيل : « اوفى من فكيهة «(٦٨) , وقيل ايضاً : « اوفى من ام جميل «(٦٩) , وهي امرأة من دوس ومن وفائها ان هشام بن الوليد بن المغيرة قتل رجلاً من الازد فبلغ ذلك قومه فوثبوا على ضرار بن الخطاب ليقتلوه فقام بالركض ودخل بيت ام جميل واستجار بها فقامت في وجوههم ونادت قومها فمنعوه لها(٧٠) , وممن ضرب فيها المثل بالوفاء خماعة بنت عوف بن محلم بن ابي عوف قام مروان القرظ بن زنباع العبسي بالإغارة على بكر بن وائل وقامت بكر بن وائل باللحاق بهم واسر مروان القرظ من دون ان يعرفوه والذي اسره رجل يقال له : زهير بن امية بن جشم بن تيم الله بن ثعلبة فأتى به الى امه فلما رأته يسوق اسيره قالت له : « انك لتختال بأسيرك كأنك قد جئت بمروان القرظ ، فقال لها مروان : وما ترجّين من مروان قالت : كثرة فدائه ، قال : وكم مبلغ رجائك من فدائه قالت : مائه بعير قال : مروان لك عندي مائه بعير على ان تؤدي الى خماعة بنت عوف بن ملحم , قالت : ومن لي بالمائة فاخذ عوداً من الارض وقال هذا لك , فضمت به الى عوف فاستجار بخماعة «(٧١) وعندما علم عمرو بن هند طلب من عوف ان يسلمه مروان القرظ لأنه كان قد حلف لا يتركه حتى يضع يده في يد مروان ومن شدت الوفاء وخشيه ان يقتله طلب عوف ان يضع كف عوف بين كف عمرو بن هند وكف مروان القرظ وقام بالعفو عنه وضرب مثل في خماعة لشدة وفائها فقيل : « اوفى من خماعة بنت عوف»(٧٢) , وقيل ان المثل في الوفاء ضرب كذلك في ابيها الذي اوفى بعهده ولم يسمح للملك عمرو بن هند ان يقتل مروان القرظ فقيل : « اوفى من عوف بن ملحم «(٧٣) .

وممن ضرب فيهم المثل في الوفاء السموأل بن عاديا وكان من وفائه ان أمرؤ القيس بن حجر(٧٤) عندما قتلت بني اسد والده قام بطلب الثأر فقام بقتل جماعة من كنانة يحسبهم بني اسد تفرقت القبائل عنه فقرر الذهاب الى الشام ليطلب العون من ملكها فنزل على السموأل بن عاديا بحصنه الابلق ، لاسيما ان ملك المناذرة اخذ يطلبه وارسل اليه جيشاً فقام بإيداع امواله واسلحته عند السموأل بن عاديا ورحل ، وقيل : انه توفي في الشام ولم يأخذ بثأر ابيه ، وقيل : ان ملك المناذرة اخذ يطالب بالأسلحة والاموال ، وذكر ان ملك الغساسنة هو من اخذ يطالب بالأموال والاسلحة التي اودعت عند السموأل(٧٥) ، الا انه رفض ذلك فقام بالإغارة عليه واسر احد ابناءه وطلب منه ان يعطيه الاسلحة والاموال او يقوم بقتل ولده امام عينيه وطلب منه ان يختار فقال له السموأل : « ما كنت لأخفر ذمامي وابطل وفائي فاصنع ما شئت «(٧٦) , فقتل ولده وانصرف الملك وانهى السموأل بالأموال والاسلحة وقام بإرجاعها الى ورثة أمرؤ القيس , وانشد قائلاً :

وفيت بادرع الكنـــــدي اني ... اذا ماذم اقـــــوام وفيت
وقالوا عنـــــده كنز رغيب ... فلا وابيك اغدر ما مشيت
بنى لي عاديا حصناً حصيناً ... وبئراً كلمـا شئت استقيت(٧٧)

ونتيجة لوفائه على الرغم من قتل ابنه امامه ضرب بوفائه المثل فقيل : « اوفى من السموأل «(٧٨) .
ومن القصص الشهيرة بالوفاء قصة الحارث بن عباد(٧٩) , كان من وفاءه انه اسر عدي بن ربيعة بن مرة بن هبيرة المعروف بالمهلهل ولم يعرفه فقال له : « دلني على عدي بن ربيعة ولك الامان , فقال انا آمن ان دللتك عليه , قال : نعم قال : فانا عدي بن ربيعة «(٨٠) فقام بأطلاق سراحه بعد ان كان يود ان يقتله لأنه قتل والده ، فقيل : انه اول من سن الوفاء من العرب(٨١) , وضرب به المثل في الوفاء فقيل : « اوفى من الحارث بن عباد «(٨٢) .
ومن الامثلة على الوفاء عند العرب قبل الاسلام قصة حنظلة بن عفراء الطائي والملك النعمان الثالث بن المنذر الرابع بن امرئ القيس ابو قابوس (٥٨٥-٦١٣م)(٨٣) ، فذكر ان النعمان خرج ذات يوم في نزهة فهطلت امطار غزيرة ، فقرر ان يلتجأ الى احد المنازل التي تصادفه في البادية فكان اول منزل صادفه هو منزل حنظلة الطائي فقام بإكرامه من دون ان يعرفه وعندما خرج النعمان بعد توقف المطر قرر ان يكرمه واخبره بانه النعمان بن المنذر الا انه رفض ان يأخذ شيئاً مقابل ذلك ، فطلب منه النعمان ان يزوره في قصره ومع مرور الزمن اصابت الطائي نكبة البلاء وساءت احواله وضاقت سبل العيش فقرر ان يذهب الى النعمان ويطلب مساعدته وعندما وصل الى قصره صادف يوم وصوله يوم بؤس النعمان الذي قام فيه بدفن ندماءه وهو ثمل ، فلما اصبح استدعاهم فاخبره حراسه بما فعل بما فقرر ان يجعل لهم يوم بؤس ويوم نعيم يذبح في يوم البؤس كل من يلقاه ويحسن في نعيمه الى كل من يلقاه(٨٤) ، وكان من سوء حظ الطائي انه وصل النعمان في يوم البؤس(٨٥) ، فقال للملك : إني أتيتك زائراً وطالباً للمساعدة بسبب ما حل بي وبأهلي من ضيق إلا ان النعمان اصر على قتله ، وقال : لابد من ذلك وطلب منه ان يسئله حاجته قبل قتله ، فطلب منه الطائي ان يؤجله سنة حتى يرجع الى أهله واطفاله الصغار ويوصي به احد قبل قتله واعطيك عهد بالوفاء بالرجوع ، إلا ان النعمان رفض وطلب منه ان يكفله احد واذا لم ترجع يقوم بقتل من يكفله فنظر الطائي للجالسين فشاهد شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل بن مرة الشيباني(٨٦) ، وانشد الطائي قائلاً :

يا شريك يا بن عمـــرو ... ما من الموت محالة
يا شريك يا ابن عمرو ... يا اخا من لا اخا له
يا اخا شيبان فك اليوم ... رهنا قد انالـــــــــه
يا اخا كـــــل مضاف ... وحيا من لا حيا لـــه
ان شيبـــــــــان قبيل ... اكرم الله رجالـــــــه
وابوك الخير عمـــرو ... وشراحيل الحمالـــــه
رقياك اليوم في المجد ... وفي حسن المقالة(٨٧).

عندما سمع شريك شعره وقال : « يدي يده ودمي دمه ان لم يعد الى اجله»(٨٨) ، فقام الملك بأطلاق سراحه ومضت السنة التي طلبها الطائي ، وجاء النعمان في الموعد المحدد وجاء شريك فقال له النعمان : « إن صدر هذا اليوم قد ولي وشريك يقول : ليس لك عل سبيل حتى نمسي»(٨٩)، وعندها اراد الملك ان يقتل شريك شاهد رجل قادم فتأملوه فإذا هو حنظلة اقبل اليهم وهو متكفن فلما راه الملك اعجب بوفائه على الرغم من انه كان يعلم انه سوف يقتل إلا انه آتى في الوقت المحدد ليفي بوعده الذي قطعه فقرر ان يعفو عنه واطلق سراحه وابطل لوفائهم يوم بؤسه الذي كان يقتل فيه الناس(٩٠) ، فانشد الطائي قائلاً :

لقد دعتني للخلاف عشيرتي ... فأبيت عند تجهر الاقوال
اني امرؤ مني الوفاء خليقة ... وفعال كل مهذب بذال(٩١).

وممن ضرب المثل بوفائه عمير بن سلمى ابن عمرو الحنفي عندما استجار به رجل من بني عامر بن كلاب وكانت له زوجة جميلة فرأها اخو عمير قرين بن سلمى واخذ يتقرب منها ويتحدث معها وطلب زوجها الامتناع عن محادثته

فنهت عن الوقوف معه ، فعندما علم قرين بذلك قام بقتل زوجها وعمير كان غائب فأتى اخو المقتول فطلب بثأر اخيه وجاء عمير من سفره فقرر ان يسلم اخيه حتى يقتل فعندما سمعت وجوه بني حنيفة طلبوا منه ان يتراجع عن قتله فقال : « والله لا ادعه او يعفوا عنه جاري «(٩٢) ، فجاءوا الى اخو المقتول وضاعفوا له الدية إلا انه رفض فقام عمير بإخراج اخيه فربطه على نخله وقال له : انك رفضت ان تعفوا او تأخذ الدية وها هو امامك فانتظر حتى اقطع الوادي ثم شأنك به فقام بقتله(٩٣) ، وقام عمير بتسليم اخاه وفاءً لجاره الذي قتله وهذه اعلى قيم الوفاء عند العرب(٩٤).

ومن عرف بوفائه عبدالله بن جدعان(٩٥) دارت معركة بين كنانة وهوازن وهي ما عرفت بحرب الفجار لأنها وقعت في الاشهر الحرم وكانت على عدة ايام منها يوم نخلة وحدثت هذه المعركة في اثناء قيام سوق عكاظ وكان شخص من قريش قتل رجل من هوازن يدعى عروة بن عتبة الكلابي وارسل خبراً الى قريش بما فعله وحذرهم من هوازن ، وكان المسؤول على الاسلحة في السوق عبدالله بن جدعان فطلب منه حرب بن امية خشية ان يقتتل الطرفان ان يحتبس سلاح هوازن فغضب عبدالله بن جدعان من طلبه وقال له : « ابا لغدر تأمرني يا حرب والله لو اعلم انه لا يبقى منها سيف إلا ضربت به ولا رمح الا طعنت به ما امسكت منها شيئاً ... «(٩٦) .

وقصة وفاء هاني بن مسعود بن عامر بن عمرو الشيباني ان النعمان بن المنذر (٥٨٥-٦١٣هـ) قام بإيداع امواله واسلحته عند هاني بن مسعود عندما استدعاه كسرى ابرويز (٥٩٠-٦٢٨م) ملك الفرس الساسانيين وذهب الى المدائن عاصمته آنذاك فامر بحبسه حتى طلب هاني بن مسعود بالأموال والاسلحة التي استودعها النعمان عنده , إلا ان هاني رفض تسليمها له لأنها امانة عنده فخيره الملك بين ثلاث : « أما أن تعطوا بأيديكم فيحكم الملك فيكم كيف يشاء ، واما ان تخلوا الديار ، واما ان تأذنوا بحرب ... «(٩٧) ، فاختاروا الحرب وكان ايام من العرب المشهورة وهو يوم ذي قار الذي وقع حوالي سنة (٦١٠م)(٩٨) ، وعلى الرغم من الخطر الكبير الذي تعرض له هاني بن مسعود هو وافراد قبيلته الذي ربما يعرضهم للقتل والتشريد , الا انه ابى ان يغدر وينكث بوفائه واصر على عدم تسليم الامانة وخاض الحرب وانتصرت فيها العرب على الفرس(٩٩) .

نستنتج من النصوص التي تم ذكرها ان الوفاء كان من اعظم الصفات الملازمة للعربي قبل الاسلام , لذلك ارتفع الوفاء بالعهد الى حد القدسية وان الذي يغدر يتعرض للتشهير في الاسواق الكبرى والتجمعات العامة وبالعكس الذي يوفون فكان يتم لهم تكريم ويرفعون لهم راية الوفاء وتتفاخر بهم قبائلهم ويصبحون مضرباً للأمثال وتمدحهم الشعراء وتقال فيهم القصائد لذلك نجد العرب يحرصون على الوفاء مهما كلفهم من عناء ولو ادى الى تعرضهم للقتل او قتل اشخاص اعزاء عليه في سبيل المحافظة على وفائهم وبذلك انتشر الامان والطمأنينة وطردت المخاوف والهواجس على الرغم من ما عرف عن العرب قبل الاسلام من الغزو والحروب فلطف جو الصحراء وقساوة البيئة بهذه الاخلاق الحميدة .

الخاتمة :

بعد الانتهاء من البحث توصلنا الى جملة من النتائج ومن أهمها ما يلي :

- لقد حرص العرب قبل الاسلام بالتمسك بالقيم والاخلاق الحميدة والتي كانت تعد معياراً لنيل الشرف والسيادة وان من يخلف هذه القيم يتعرض للازدراء والى افساد سمعتهم .
- على الرغم من قساوة البيئة الطبيعية والظروف التي تحيط بالقبائل العربية من حروب وغزوات , إلا ان هذه القيم مثلت نوعاً من الامن والطمأنينة في شبه الجزيرة العربية.
- برز العديد من العرب قبل الاسلام ممن عرفوا بحلمهم ووفائهم وضربت بهم الامثال ومدحهم الشعراء لما يحملوه من قيم خلقية نبيلة .
- لم تكن هذه القيم حكراً على الرجال فقد برزت العديد من العربيات ممن عرفنَ بوفائهن منهن فكيهة بنت قتادة

وخماعة بنت عوف وام جميل .

– وصلت القيم الخلقية ومنها الحلم والوفاء الى حد التقديس وكانت ترفع للذين يحملون هذه الصفات الرايات في الاسواق والتجمعات الكبرى ومن يغدر ترفع لهم رايات تعرف برايات الغدر .

– عُد الحلم من أجل الصفات التي تدل على مكانة فضيلة بين العرب ، اما الوفاء فكان من اهم العناصر المكونة للأخلاق عند العرب قبل الاسلام وقد فرضت ذلك البيئة الصحراوية القاسية .

الهوامش :

(١) الازهري ، تهذيب اللغة ، ج٥ ، ص٦٩ .
(٢) الفارابي ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ج٥ ، ص١٩٠٣ .
(٣) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج٢ ، ص٩٣ .
(٤) الشيزري ، المنهج المسلوك في سياسة الملوك ، ج١ ، ص٣٣٦ .
(٥) ابو هلال العسكري ، الفروق اللغوية ، ص٢٠٠ .
(٦) الجرجاني ، التعريفات ، ص٩٢ .
(٧) الالوسي ، بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ، ج١ ، ص٩٩ .
(٨) محمود ، العرب قبل الاسلام احوالهم السياسية والدينية واهم مظاهر حضارتهم ، ص٢٩٢ .
(٩) التبريزي ، شرح ديوان الحماسة ، ج٢ ، ص٣٦٢ .
(١٠) الاصمعي ، الاصمعيات ، ج١ ، ص٩٥ .
(١١) الناصر ، اخلاق العرب بين الجاهلية والاسلام دارسة مقارنة على ضوء الاسلام ، ص١٧٦ .
(١٢) اعداد مجموعة من الباحثين ، موسوعة الاخلاق الاسلامية ، ج٥ ، ص٤٦٤ .
(١٣) الالوسي ، بلوغ الارب ، ج١ ، ص١٠١ .
(١٤) المرجع نفسه ، ج١ ، ص١٠١ .
(١٥) الخوصي ، الحياة العربية في الشعر الجاهلي ، ص٢٧٤ .
(١٦) الصالحي ، الكنز الاكبر من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص٣٨٤ .
(١٧) المصدر نفسه ، ص٣٤٨ .
(١٨) محمود ، العرب قبل الاسلام اصولهم السياسية والدينية واهم مظاهر حضارتهم ، ص٢٩٦ .
(١٩) المرجع نفسه ، ص٢٩٦ .
(٢٠) المرجع نفسه ، ص٢٩٦ .
(٢١) سورة ال عمران الآية : ١٣٤ .
(٢٢) الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ج٧ ، ص٢١٥ .
(٢٣) برو ، تاريخ العرب القديم ، ص١٩٦ .
(٢٤) ابن حيان ، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، ص٢٧٤ ؛ ابو حيان التوحيدي ، البصائر والذخائر ، ج٦ ، ص٤١٢.
(٢٥) عرابة الاوسي (ت نحو ٦٠هـ) ، عرابة بن اوس بن قيظي بن عمرو بن زيد كان ابوه من كبار المنافقين واحد القائلين ان بيوته عورة عرف بجوده وكرمه ادرك حياة النبي محمد واسر في معركة احد واطلق سراحه امتدحه العديد من الشعراء لكرمه توفي نحو سنة ستون هجرية . الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٩ ، ص ٣٥٥ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٤ ، ص٢٢٢ .
(٢٦) العسكري ، المصون في الادب ، ج١ ، ص١٨٥ .
(٢٧) قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، ج١ ، ص٣٥ .
(٢٨) هو قيس بن عصام المنقري بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس واسم مقاعس (الحارث) بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، يكنى ابا علي وقيل ابو طلحة وقيل ابو قبيصة وامه ام اسفرة بنت خلف ادرك الا النبي محمد واسلم سنة تسع للهجرة ، توفي نحو سنة عشرون هجرية . ابن الاثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج٤ ، ص٤١١ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٥ ، ص٢٠٦ .
(٢٩) الجاحظ ، الحيوان ، ج٢ ، ص٣٠٠.
(٣٠) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان ، ج٧ ، ص١٠١ .
(٣١) الخالديان ، حماسة الخالديين بالاشباه والنظائر من اشعار المتقدمين والجاهلين والمخضرمين ، ج١ ، ص٤٦ .
(٣٢) ابن دريد ، الاشتقاق ، ج١ ، ص٢٥١ .
(٣٣) ابو هلال العسكري ، الاوائل ، ج١ ، ص٥٠ .
(٣٤) ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ج٢ ، ص٣٠١ .

(٣٥) المزي ، تهذيب الكمال في اسماء الرجال ، ج٢٤ ، ص٥٨ .
(٣٦) ابن الاثير ، اسد الغابة ، ج٤ ، ص٤١١ .
(٣٧) ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ج٢ ، ص٤٩٩ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج١ ، ص٢٧٦ .
(٣٨) الميداني ، مجمع الامثال ، ج١ ، ص٢١٩ .
(٣٩) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢١٩ .
(٤٠) البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ج٢ ، ص٥٥٤ .
(٤١) الميداني ، مجمع الامثال ، ج١ ، ص٢١٩ .
(٤٢) الجاحظ ، المحاسن والاضداد ، ج١ ، ص١٤٩ .
(٤٣) الزمخشري ، المستقصي في امثال العرب ، ج١ ، ص٧٠ .
(٤٤) المفضل ، الفاخر ، ج١ ، ص٢٩٨ .
(٤٥) الميداني ، مجمع الامثال ، ج١ ، ص٢١٩ .
(٤٦) الالوسي ، بلوغ الادب ، ج١ ، ص١٠٣ .
(٤٧) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج٨ ، ص١٧٧ .
(٤٨) المبرد ، الكامل في اللغة والادب ، ج١ ، ص١٩٧ .
(٤٩) هو عمرو بن الاهتم بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم يكنى ابا نعيم ، ادرك الاسلام وكان ضمن وفد بني تميم الذي قدموا للرسول محمد كان يسكن البصرة عرف بجماله وفصاحته وشعره . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٢٧ .
(٥٠) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج٣ ، ص٥٩ .
(٥١) الصالحي ، الكنز الاكبر، ص٣٨٤ .
(٥٢) الفارابي ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ج٦ ، ص٢٥٢٦ .
(٥٣) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج٦ ، ص١٢٩ .
(٥٤) الجرجاني ، التعريفات ، ج١ ، ص٢٥٣ .
(٥٥) الجاحظ ، تهذيب الاخلاق ، ج١، ص٢٤ .
(٥٦) خربوطلي ، سطور مبنية في تاريخ الحجاز الحياة الاجتماعية في الحجاز قبل الاسلام ، ص١٣٧.
(٥٧) الراغب الاصفهاني ، محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، ج١ ، ص٣٥١ .
(٥٨) المصدر نفسه ، ص٣٥١ .
(٥٩) سقال ، العرب في العصر الجاهلي ، ص٨٩ .
(٦٠) سوق عكاظ : هو من اشهر الاسواق العرب قبل الاسلام سمي بهذا الاسم لان العرب كانت تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعض ، كانت قبائل العرب تجتمع فيه في السنة مرة وكان يعقد في شهر ذي القعدة ويقع السوق بين نخله والطائف على بعد ثلاث ليال من مكة وكان يقام السوق بموقع يقال له : الاثيداء كان يتم فيه البيع والشراء والمفاخرة ويجتمع فيه الشعراء لالقاء قصائدهم ويتم فداء الاسرى ويتم فيه فض الخلافات والمنازعات . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٤٢ ؛ حمور ، سوق عكاظ ومواسم الحج ، ص١٧ .
(٦١) البحتري ، الحماسة ، ص٢٩٣ .
(٦٢) سورة النحل الآية : ٩١ .
(٦٣) الواحدي ، الوسيط في تفسير القران المجيد ، ج٣ ، ص٨٠ .
(٦٤) سورة المائدة الآية : ١ .
(٦٥) الطبري ، جامع البيان ، ج٩ ، ص٤٤٧ .
(٦٦) ابو هلال العسكري ، جمهرة الامثال ، ج٢ ، ص٣٤٧ .
(٦٧) هو السليك بن سلكة بن عمير بن يثربي بن سنان السعدي التميمي ، والسلكة امه ، من صعاليك العرب قبل الاسلام يلقب بالرئبال ، شاعر عداء اسواد كان ادل الناس بالارض ومسالكها له وقائع كثيرة كان لا يغير على مضر وانما يغير على اليمن واذا اضطر اغار على ربيعة قتله اسد بن مدرك الخثعمي نحو (٦٠٥م) . الزركلي ، الاعلام ، ج٣ ، ص١١٥ .
(٦٨) الميداني ، مجمع الامثال ، ج٢ ، ص٣٧٨ .
(٦٩) ابو هلال العسكري ، جمهرة الامثال ، ج٢ ، ص٣٤٧ .
(٧٠) الجاحظ ، المحاسن والاضداد ، ص٤٧ .
(٧١) المصدر نفسه ، ص٨٥ .
(٧٢) الميداني ، مجمع الامثال ، ج٢ ، ص٣٧٨ .

(٧٣) ابو هلال العسكري ، جمهرة الامثال ، ج٢ ، ص٣٤٦ .
(٧٤) هو امروء القيس بن حجر بن حارث بن عمرو بن حجر آكل المدار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يعرف بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة ابو يزيد ، ويقال : ابو وهب ، ويقال : ابا الحارث من اشهر شعراء العرب يماني الاصل ، اختلف المؤرخون في اسمه فقيل : ضدج ، وقيل : مليكة ، وقيل : عدي ، امه اخت المهلهل الشاعر وتعلم من خاله الشعر وهو غلام عرف بلهوه وسكره فبعثه ابيه الى حضرموت مواطن ابيه وبقي خمس سنين حتى ثارت بني اسد على ابيه وقتلته ، توفي امروء القيس نحو (٥٤٥) ميلادي . ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١٢ ، ص٢٢٢ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٢ ، ص١١ .
(٧٥) الجاحظ ، المحاسن والاضداد ، ص٨٣ .
(٧٦) الاشبيهي ، المستطرف في كل من مستطرف ، ج١ ، ص٣٣ .
(٧٧) البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ج١ ، ص١٠٤ .
(٧٨) ابو هلال العسكري ، جمهرة الامثال ، ج٢ ، ص٣٤٥ .
(٧٩) هو الحارث بن عباد بن صفية بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب الربعي ، يكنى ابا بجير ، يقال له : فارس النعامة من حكماء العرب قبل الاسلام وساداتها انتهت اليه امرة بني ضبة وهو شاب ، عرف بشجاعته ورجاحه عقله اعتزل القتال في حرب البسوس توفي نحو (٥٧٠م) . الدارقطني ، المؤتلف والمختلف ، ج٣ ، ص١٥٢٣ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٢ ، ص١٥٦.
(٨٠) الجاحظ ، المحاسن والاضداد ، ج١ ، ص٨٤ .
(٨١) الدار قطني ، المؤتلف والمختلف ، ج٣ ، ص١٥٢٣ .
(٨٢) الميداني ، مجمع الامثال ، ج٢ ، ص٣٧٨ .
(٨٣) الاعظمي ، تاريخ ملوك الحيرة ، ص٨١ .
(٨٤) جواد علي ، المفصل ، ج٥ ، ص٢٣٦ .
(٨٥) ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، ج٨ ، ص١٧ .
(٨٦) الجاحظ ، المحاسن والاضداد ، ص٨٥ ؛ الالوسي ، بلوغ الادب ، ج١ ، ص١٣١ .
(٨٧) ابو الفرج الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢٢ ، ص٩٤ .
(٨٨) ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، ج٨ ، ص١٧.
(٨٩) الجاحظ ، المحاسن والاضرار ، ص٨٥ .
(٩٠) ابو الفرج الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢٢ ، ص٩٥ .
(٩١) البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ج١ ، ص١٠٨ .
(٩٢) ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٥١ .
(٩٣) المصدر نفسه ، ص٣٥٢ .
(٩٤) الناصر ، اخلاق العرب بين الجاهلية والاسلام ، ص١٣٩.
(٩٥) هو عبدالله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب التميمي ابو زهير من سادات قريش وكرمائها ادرك النبي محمد قبل النبوة له جفنه يأكل منها الواقف والراكب . المقريزي ، المقفى الكبير ، ج٤ ، ص٢٥٨ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٤ ، ص٧٦ .
(٩٦) ابو الفرج الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢٢ ، ص٦٤ .
(٩٧) ابو هلال العسكري ، الاوائل ، ج١ ، ص٤٢٨ .
(٩٨) جواد علي ، المفصل ، ج٥ ، ص٢٩٨ .
(٩٩) ابن حمدون ، تذكرة الحمدونية ، ج٣ ، ص١٥ .

المصادر :

القرآن الكريم :
أولاً . المصادر الاولية :
١- الاشبيهي ، شهاب الدين محمد بن احمد بن منصور (ت٨٥٢هـ)، المستطرف في كل من مستطرف ، تحقيق : مفيد حميد قمحية ،ط٢،دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٨٦م) .
٢- ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الجزري (ت٦٣٠هـ)، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق : علي محمد معوض وعادل احمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) .
٣- الازهري ، ابو منصور محمد بن احمد (ت٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت – ٢٠٠١م) .
٤- الاصمعي ، ابو سعيد عبدالملك بن قريب بن علي بن اصمع (ت٢١٦هـ)، الاصمعيات ، تحقيق : احمد محمد شاكر وعبد السلام

محمد هارون ، ط٧ ، دار المعارف ، (القاهرة – ١٩٩٣م) .
٥– البحتري ، ابو عبادة الوليد بن عبيد (ت٢٨٤هـ)، الحماسة ، تحقيق : محمد ابراهيم صور واحمد محمد عبيد ، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث ، (ابو ظبي – ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) .
٦– البيهقي ، ابو الفضل ابراهيم بن محمد (ت٣٢٠هـ)، المحاسن والمساوئ ، مطبعة غليوم دروفولين ، (المانيا – ١٣١٨هـ) .
٧– التبريزي ، ابو زكريا يحيى بن علي بن محمد (ت٥٠٢هـ)، شرح ديوان الحماسة ، دار القلم ، (بيروت – بلات) .
٨– الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت٢٥٥هـ)، تهذيب الاخلاق ، دار الصحابة للتراث ، (طنطان – ١٤١٠هـ/١٩٨٩م) .
٩– الجاحظ، الحيوان ، ط٢، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٤٢٤هـ) .
١٠– الجاحظ، المحاسن والاضداد ، دار ومكتبة الهلال ، (بيروت – ١٤٢٣هـ) .
١١– الجرجاني ، علي بن محمد بن علي (ت٨١٦هـ)، التعريفات ، تحقيق : مجموعة من العلماء ، دار الكتب العليمة ، (بيروت – ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) .
١٢– ابن حبان ، ابو حاتم محمد بن حيان السبتي (ت٣٥٤هـ)، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) .
١٣– ابن حبيب ، محمد بن حبيب بن امية (ت٢٤٥هـ)، المحبر ، تحقيق : ايلزة ليختن شتيتر ، دار الافاق الجديدة ، (بيروت–بلات).
١٤– ابو حيان التوحيدي ، علي بن محمد بن العباس ، (ت نحو ٤٠٠هـ)، البصائر والذخائر ، تحقيق : وداد القاضي ، دار صادر ، (بيروت–١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) .
١٥– الخالديان ، ابو بكر محمد بن هاشم (ت نحو ٣٨٠هـ) ، وابو عثمان سعيد بن هاشم (ت٣٧١هـ)، حماسه الخالديين بالاشباه والنظائر من اشعار المتقدمين والجاهلين والمخضرمين ، تحقيق : محمد علي دقه ، وزارة الثقافة السورية ، (دمشق – ١٩٩٥م) .
١٦– ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت٦١٨هـ)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر ، (بيروت – ١٩٠٠م) .
١٧– الدارقطني ، ابو الحسن علي بن عمر بن احمد (ت٣٨٥هـ)، المؤتلف والمختلف ، تحقيق : موفق بن عبدالله بن عبدالقادر ، دار الغرب الاسلامي ، (بيروت – ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) .
١٨– ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ)، الاشتقاق ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، (بيروت – ١٤١١هـ/١٩٩١م) .
١٩– الراغب الاصفهاني ، ابو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ)، محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، دار الارقم بن ابي الارقم ، (بيروت – ١٤٢٠هـ) .
٢٠– الزمخشري ، ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد (ت٥٣٨هـ)، المستقصي في امثال العرب ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت–١٩٨٧م).
٢١– سبط ابن الجوزي ، شمس الدين ابو المظفر يوسف (ت٦٥٤هـ)، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان ، تحقيق : محمد رضوان عرقسوسي ، دار الرسالة العالمية ، (دمشق – ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) .
٢٢– ابن سعد ، ابو عبدالله محمد بن سعد بن منيع (ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطه ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) .
٢٣– الشيزري ، عبدالرحمن بن نصر بن عبدالله العدوي (ت٥٩٠هـ)، المنهج المسلوك في سياسة الملوك ، تحقيق : علي عبدالله الموسى ، مكتبة المنار ، (الزرقاء–١٩٨٧م).
٢٤– الصالحي ، عبدالرحمن بن ابي بكر بن داود (ت٨٥٦هـ)، الكنز الاكبر من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تحقيق : مصطفى عثمان حميدة ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٤١٧هـ/١٩٩٦م) .
٢٥– الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك بن عبدالله (ت٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات ، تحقيق : احمد الارناؤوط وتركي مصطفى ، دار احياء التراث ، (بيروت – ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) .
٢٦– الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) .
٢٧– ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن (ت٥٧١هـ)، تاريخ دمشق ، تحقيق ، عمرو بن غرامة العمري ، دار الفكر للطباعة ، (دمشق – ١٤١٥هـ/١٩٩٥م) .
٢٨– العسكري ، ابو احمد الحسن بن عبدالله بن سعيد بن اسماعيل (ت٣٨٢هـ)، المصون في الادب ، تحقيق : عبدالسلام محمد

هارون ، ط٢ ، مطبعة حكومة الكويت ، (الكويت – ١٩٨٤م) .
٢٩– الفارابي ، ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : احمد عبد الغفور عطار ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، (بيروت – ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) .
٣٠– ابن فارس ، ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، (بيروت – ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) .
٣١– ابو الفرج الاصفهاني ، علي بن الحسين بن محمد (ت٣٥٦هـ)، الاغاني ، تحقيق : سمر جابر ، ط٢ ، دار الفكر ، (بيروت – بلات) .
٣٢– ابن قتيبة الدينوري ، ابو محمد عبدالله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)، المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، ط٢ ، الهيئة المصرية للكتاب، (القاهرة – ١٩٩٢م) .
٣٣– قدامة بن جعفر ، بن قدامة بن زياد البغدادي (ت٣٣٧هـ)، نقد الشعر ، مطبعة الجوانب ، (قسطنطينية – ١٣٠٢هـ) .
٣٤– المبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والادب ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط٣ ، دار الفكر العربي ، (القاهرة – ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) .
٣٥– المزي ، يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف (ت٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في اسماء الرجال ، تحقيق : بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) .
٣٦– المفضل ، ابو طالب بن سليمه بن عاصم (ت نحو ٢٩٠هـ)، الفاخر ، تحقيق : عبدالعليم الطحاوي ، دار احياء الكتب العربية ، (القاهرة – ١٣٨٠هـ).
٣٧– المقريزي ، تقي الدين (ت٨٤٥هـ)، المقفى الكبير ، تحقيق : محمد اليعلاوي ، ط٢ ، دار الغرب الاسلامي ، (بيروت – ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) .
٣٨– الميداني ، ابو الفضل احمد بن محمد بن ابراهيم (ت٥١٨هـ)، مجمع الامثال ، تحقيق : محمد محي الدين ، دار المعرفة ، (بيروت – بلات) .
٣٩– ابو هلال العسكري ، الحسن بن عبدالله بن سهل (ت نحو ٣٩٥هـ)، الاوائل ، دار البشير ، (طنطا – ١٤٠٨هـ) .
٤٠– ابو جمهرة الامثال ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم وعبد المجيد قطامش ، ط٢ ، دار الفكر ، (بيروت –١٩٨٨م) .
٤١– ابو هلال العسكري، الفروق اللغوية ، تحقيق : محمد ابراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، (القاهرة – بلات).
٤٢– الواحدي ، ابو الحسن علي بن احمد بن محمد بن علي (ت٤٦٨هـ)، الوسيط في تفسير القران المجيد ، تحقيق : عادل احمد عبد الموجود واخرون ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) .
٤٣– ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان ، ط٢ ، دار صادر ، (بيروت – ١٩٩٥م) .

ثانياً: المراجع الحديثة :

٤٤– اعداد مجموعة من الباحثين، موسوعة الاخلاق الاسلامية ، الدرر السنية ، (بلام – بلات) .
٤٥– الاعظمي ، علي ظريف، تاريخ ملوك الحيرة ، المكتبة والمجلة السلفية ، (القاهرة – ١٣٣٨هـ/١٩٢٠م).
٤٦– الالوسي ، محمود شكري، بلوغ الادب في معرفة احوال العرب ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – بلات) .
٤٧– برو ، توفيق، تاريخ العرب القديم ، ط٢ ، دار الفكر ، (بيروت – ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) .
٤٨– جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط٤ ، دار الساقي ، (بيروت – ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) .
٤٩– حمور ، عرفان محمد، سوق عكاظ ومواسم الحج ، مؤسسة الرحاب الحديثة ، (بيروت – ٢٠٠٠م).
٥٠– خربوطلي ، شكران، سطور مبنية في تاريخ الحجاز الحياة الاجتماعية في الحجاز قبل الاسلام ، مؤسسة رسلان للطباعة ، (دمشق – ٢٠١١م) .
٥١– الخوصي ، احمد محمد، الحياة العربية في الشعر الجاهلي ، مكتبة نهضة مصر ، ط٢ ، (القاهرة – ١٣٧١هـ/١٩٥٢م) .
٥٢– الزركلي ، خير الدين بن محمود، الاعلام ، ط٥ ، دار العلم للملايين ، (بيروت – ٢٠٠٢م) .
٥٣– سقال ، دزيره، العرب في العصر الجاهلي ، دار الصداقة العربية ، (بيروت – ١٩٩٥م).
٥٤– محمود ، عرفة محمود، العرب قبل الاسلام احوالهم السياسية والدينية واهم مظاهر حضارتهم ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، (القاهرة – ١٩٩٥م) .
٥٥– الناصر ، محمد، اخلاق العرب بين الجاهلية والاسلام دارسة مقارنة على ضوء الاسلام ، دار الرسالة ، (مكة المكرمة – ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) .

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

تعاطي المنكرات واضرارها على صحة الانسان «الخمر انموذجا»

أ.م. د. سميه عبد الوهاب شعبان
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية

المستخلص:
يتناول هذا البحث بالدراسة عن منكر عظيم حرمه القرآن واستنكره ديننا الاسلامي انها(الخمر) ام الخبائث ،ومن اكبر الكبائر التي حرمها الشارع الحكيم لما يترتب عليها من المفاسد الفردية ،والاجتماعية والصحية ،والبدنية ،والاخلاقية ، والمالية؛ ولان متعاطيها يرتكب كل المعاصي التي نهانا عنها الشارع الحكيم فهو يزني ويقتل ،ويسرق ويفعل جميع المنكرات باسم ام المهالك (الخمر)فمتعاطيها يهلك بدنه، وعقله ويخسر دينه بالخمر فلذلك نهانا عنها الشارع والمسلمين كانوا مولعين بتعاطيها في بداية الاسلام امتدادا لتصرفاتهم بالجاهلية وقبل مجيئ النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– فلذلك كان امر الامتثال بالامتناع عنها صعبا لكن الشارع الحكيم راعى نفسية المسلمين في ذلك الوقت فنزل امر الامتناع عن تعاطيها بالتدريج كما ذكر بآيات القران الكريم
الكلمات المفاتيح: المنكر، الخمر ، نقيع التمر ، الزبيب ، الاشربة المحرمة

Abstract:
This research deals with a great evil forbidden by the Qur'an and denounced by our Islamic religion, which is (alcohol), the mother of all evils. It is one of the greatest major sins forbidden by the Wise Lawgiver because of the individual, social, health, physical, moral, and financial corruption that results from it. Its user commits all the sins that the Wise Lawgiver has forbidden us from. He commits adultery, murders, steals, and does all the evils in the name of the mother of all destructions (alcohol). Its user destroys his body and mind and loses his religion because of alcohol. Therefore, the Lawgiver has forbidden us from it. Muslims were fond of consuming it at the beginning of Islam, an extension of their behavior during the Age of Ignorance and before the coming of the Prophet Muhammad. Therefore, the command to comply with abstaining from it was difficult, but the Wise Lawgiver took into account the psychology of Muslims at that time, so the command to abstain from consuming it was revealed gradually, as mentioned in the verses of the Noble Qur'an.
Keywords: evil, alcohol, date infusion, raisins, forbidden drinks

المقدمة:
الحمد لله الذي جعلنا من أمة الإسلام التي هي خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ،وتؤمن بالله ربا ،وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولا– صلى الله عليه وسلم –وعلى آلة وصحبه وسلم .

وبعد:
لقد اهتم الاسلام بغذاء وشراب المسلم اهتماما لم يسبقه اليه اي دين ،او تشريع من قبل فلا يخلو كتاب من كتب الفقه والتشريع من باب عن علم التغذية والاشربة يسمى باب (الاطعمة والاشربة) والخمر وما على شاكلتها من الاشربة التي حرمها الاسلام لما لها ضرر على صحة الانسان واخلاقه ، والقران الكريم ومن خلال منهجه في التربية الوقائية يهدف الى بناء الشخصية الاسلامية المحمية من كل الاضرار التي يمكن ان تلحق بها ،فجاء التحذير من

معاقرة المواد المضرة التي تفتك بالجسد والعقل ، ،ويرى كثير من الناس ان تناول الخمر يجعل الانسان اجتماعيا يحب الناس والجلوس مع الاصدقاء وانه يصبح اكثر مرحاً ووداً، وهذا يحدث في الوهلة الاولى ،ولكن لو تعمقنا في دراسة الاسباب لوجدنا ان الخمر تسبب بعض التخدير في العقل الواعي مما يقلل شعور الانسان بواقعه ،ويقلل من تحفظه في الكلام فينطلق لسانه بغزارة ويبدو اجتماعياً ودوداً ، واذا كان الهدف هو خلق روح اجتماعية وجعل الانسان ودوداً يُحب الناس فليكن ذلك الاسلوب الايجابي (لا السلبي) وعن طريق الدين والعقيدة لاعن طريق التخدير ونسيانهم لواقعهم !! ويعتبر الاسلام الدين الوحيد الذي جاء بأمر قاطع في النهي عن الخمر ،وقد اتبع الاسلام في ذلك اسلوبا

فريدا في نوعه سبق به احدث الطرق العلمية والنفسية بعدة قرون ،وهو التدرج في المنع حتى لايشق على الناس تحريمها والامتناع عن تعاطيها ،وهكذا لم تعد الخمر ان تكون مشكلة ذات بال في العالم الاسلامي . اما في باقي العالم وخصوصا في اوربا وامريكا فهي تشكل مشكلة اجتماعية واقتصادية خطيرة ،ولكن في الوقت الحاضراستغل اعداء الاسلام وضع الشباب وابتعادهم عن الدين وبداو بالترويج لهذه السموم القاتلة لاتلاف عقول الشباب واضعافهم وهي استنزاف للاموال لينالوا من الطبقة المثقفة الواعية التي بيدها النهوض بالامة الاسلامية وارجاعها الى سالف عهدها.

وقد قسمت خطتي الى مباحث و مطالب فتناولت بالمبحث الاول التعريف بمصطلح الخمروالمنكرات وادلتها شرعا وفيه اربعة مطالب المطلب الاول :التعريف بمفهوم المنكرات والخمر لغة واصطلاحا والمطلب الثاني : الحكمة من تحريم الخمر والمطلب الثالث: ادلة تحريم الخمر بالقران الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، واجماع العلماء والمطلب الرابع تناولت فيه : الحكم بنجاسة الخمر ام بطهارتها والمبحث الثاني تحدثت فيه : صفات متعاطي الخمر وما شابهها من المحرمات ومقدار الحد الذي عليه العقوبة وفيه خمسة مطالب المطلب الاول : صفات متعاطي الخمر الذي يقام عليه الحد والمطلب الثاني : مقدار الحد الذي يترتب فيه العقوبة على شاربها والمطلب الثالث: حكم نقيع التمر والفقاع (الشعير) وغيرها من الاشربة المطلب الرابع :حكم التداوي بالنجاسات كالخمرة والاشربة المائعة الاخرى والمطلب الخامس اضرار الخمرعلى صحة الانسان جسديا واجتماعيا .

المبحث الاول : التعريف بمصطلح الخمر والمنكرات وادلتها شرعا

المطلب الأول : التعريف بمفهوم المنكر والخمر لغة واصطلاحاً

تعريف المنكر في اللغة هو:ضد المعروف ،وكل ماقبحه الشرع وحرمه وكرهه ،فهو منكر .(١)

وعرفه الفيومي : من انكرته انكارا خلاف عرفته (والنكراء)وزان الحمراء بمعنى المنكر(والنكر)مثل قفل وهو الامر القبيح و(انكرت)عليه فعله (انكارا) اذا عبته ونهيته .(٢)

اما في الاصطلاح عرف بانه : ما ليس فيه رضا الله سبحانه من قول ، او فعل ، والمعروف ضده (٣)

وذكره الالوسي بقوله : المتبادر من المعروف : الطاعات ،ومن المنكر المعاصي التي انكرها الشرع . (٤)

وعرفت الخمر في اللغة بانها: اسم لكل مسكرٍ(خامر)العقل: أي غطاه. و(اختمرَتِ)الخمر أدركت وغلت و(خمرت)الشيء (تخميراً) غطيتهُ وسترتهُ.(٥)

وعرفها الجوهري بانها:– خَمْرَة وخَمْرٌ وخُمورٌ، مثل تمرةٍ وتمرٍ وتمورٍ. يقال: خَمْرَةٌ صِرْفٌ. قال ابن الاعرابي : سميت الخمر خمراً لأنها: تُركت فاختمرت ، واختمارها : تغير ريحها .ويقال : سميت بذلك لمخامرتها العقل . والخِمِير : الدائم الشُرب للخَمر. والخُمَار: بقية السكر . (٦)

والخمر اصطلاحاً: عرفها الكاساني في البدائع هي: اسم للنئ من ماء العنب اذا غلا وأشتد وقذف بالزبد.(٧)

وعرفها الصابوني هي: ماخامر العقل اي خالطه وستره فاسكره،فكل مسكرٍخمرٌ،سواء كان مأخوذاًمن العنب او التمر أو الشعير ، أو غيره فالكل حرام ،والكل رجس ونجس (٨).

وعرفت بانها : الشراب المسكر كان من العنب او التمر او غيرهما ، واما اطلاقها على كل مسكر مزيل للعقل في وقت محدود مائعاً كان او جامداً ، وان الله لم يحرم الخمر لاسمها ،ولكن حرمها لعاقبتها فما كان عاقبته عاقبة الخمر فهو خمر(٩).

المطلب الثاني:

الحكمة من تحريم الخمر

الخمر من اخبث الخبائث في الشريعة الاسلامية لما فيها من المضار ، الخُلقية ، والبدنية ، والاجتماعية ، ويكفي الخمرَ رجسا ودنسا ، وأنها ام الكبائر ،وام الخبائث ،لأنها تذهب العقل ، الذي هو اثمن جوهرة يمتلكها الانسان ، فمن شرب الخمر هَذَى، وفَسَق، وزنى ،وفجر ،لأنه اذا فقد العقل ، فعل كل رذيلة ،ولم يتورع عن فعل القبيح ! !(١٠)

وروي عن الامام جعفر بن محمد الصادق –عليه السلام– ان زنديقا قال له – للامام الصادق – لم حرم الله الخمر ولا لذة افضل منها ؟قال: «حرمها لانها ام الخبائث ،وراس كل شر ، ياتي على شاربها ساعة يسلب لُبه فلا يعرف ربه ولايترك معصية الا ركبها ولايترك حرمة الا انتهكها ولا رجما ماسة الا قطعها ولا فاحشة الا اتاها ،والسكران زمامه بيد الشيطان ان امره ان يسجد للاوثان سجد ، وينقاد حيثما قاده» (١١).

فجميع انواع المسكرات ،حرام باجماع العلماء ، لم يخالف في ذلك احد ، وقد ظهرت في زماننا انواع لهذه المسكرات الخبيثة ، كالبيرة ، والويسكي ،والنبيذ، وغير ذلك مما هو رجس محرم ، وكلها مشروبات تدخل في اسم الخمر لانها مسكرة فهي حرام ،وان تنوعت اسماؤها ، وقد قال –صلى الله عليه وآله وسلم– «يشرب أناسٌ من امتي الخمر يسمونها بغير اسمها»(١٢)، وهذا من معجزاته – صلى الله عليه وآله وسلم – حيث اخبر عن امر لم يكن في زمانه ، وقد حدث مااخبر عنه – صلى الله عليه وآله وسلم–حيث تغيرت الاسماء والرجس واحد وقد زين الشيطان لبعض هؤلاء السفهاء ان يسموا هذه الخمور باسم «مشروبات روحية « امعانا منهم في السفه والجنون !! وما هي في الحقيقة الا نجاسات روحية ، تذهب العقل ، وتدنس الروح (١٣).

المطلب الثالث:

أدلة تحريم الخمرفي القران الكريم ، والسنة المطهرة ،واجماع العلماء:

حرمت الخمر تدريجيا كما ذكر في القران على ثلاثة مراحل ليكون الاقلاع عنها طوعا من نفوسهم لان الاسلام لو حارب هذا البلاء من غير ان ياخذ الاوضاع النفسية والاجتماعية بنظر الاعتبار لتعذر تطبيق التحريم وخاصة ان بعض المسلمين قالوا ماحرم علينا شئ اشد من الخمر وعليه فقد ورد التحريم بادلة من القران الكريم والسنة النبوية المطهرة ،واجماع العلماء .

اما القران الكريم : من خلال منهجه في التربية يهدف الى بناء الشخصية الاسلامية المحمية من كل الاضرار التي يمكن ان تلحق بها ،فجاء التحذير من معاقرة المواد التي تفتك بالجسد والعقل ،وراعى الحالة النفسية لمتعاطيها ،فلذلك جاء تحريم الخمر بالتدريج ليكون وقعها على النفوس اخف وعليه سادرج هنا كيف حصل التدريج في نزول ايات الذكر الحكيم في الخمر :

(١) في سورة البقرة ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا (((١٤)

فسرالعلامة الزحيلي قوله تعالى :(فِيهِمَا)أي في تعاطيهما اثم كبير والاثم : الذنب ،ولا ذنب الا فيما كان ضارا من قول او فعل ،والضرر اما في البدن او النفس او العقل او المال والكبير : العظيم، وسبب الوقوع في الاثم : مايقع بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش . (وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) باللذة والفرح في الخمر وتحقيق الربح بالتجارة فيها، واصابة المال بلا كد ولا جهد في الميسر ،فهي منافع اقتصادية او شهوانية (وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) أي ماينشا عنهما من المفاسد وعقاب التعاطي اعظم من نفعهما :وهو الالتذاذ بشرب الخمر ،ولعب القمار والطرب فيهما ،وسلب الاموال بالقمار والافتخار على الاقران ،فالكثرة تعني ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما

الاثام من وجوه كثيرة (١٥).

وفي تفسير الميزان قوله تعالى : (قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ) والاثم يقارب الذنب ،وهو يبطئ الانسان عن نيل الخيرات ،فهو يستتبع الشقاء والحرمان ،فمضرات الخمر الطبية تشمل كافة اعضاء الجسم ،ومن مضراته الخلقية تأدية الانسان الفحش والجنايات، وافشاء السر وهتك الحرمات ،وابطال النواميس الانسانية وخاصة العفة ،ومضرته في تخريب الادراك حين السكر وبعد الصحو ،واثره الكبير على العقل ، والميسر يهدم بنيان الحياة ومفاسده الاجتماعية (وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) وهي الاستفادات المالية والتفكه والتلهي (وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا)وقد كبر الاثم وافرد المنافع ،ولا دلالة في الاية على اية اباحة فالاثم لاينفك عن الخمر والميسر(١٦).

(٢) قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ))(١٧).

ذكرالبغوي في تفسيره لهذه الاية قال: المراد من السكر من الخمر ،عند الاكثرين وذلك ان عبد الرحمن بن عوف – رضي الله عنه –صنع طعاما ودعا ناسا من اصحاب النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – واتاهم بخمر فشربوها قبل تحريم الخمروسكروا فحضرت صلاة المغرب فقدموا رجلا ليصلي بهم فقرا (قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ)اعبدوا ماتعبدون ،بحذف (لا)هكذا الى اخر السورة فانزل الله تعالى هذه الاية ،فكانوا بعد نزول هذه الاية يجتنبون السكر اوقات الصلوات حتى نزل تحريم الخمر (١٨).

(٣)قوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))(١٩).

وفي تفسير هذه الاية قيل :وضعت الخمر والقمار الى جانب الاصنام للدلالة على ان الخمرة والقمار لا يقلان ضررا من عبادة الأصنام ولقد أعتبرها القرآن الكريم رجسا وخبثا، وأن هذه الأعمال القبيحة كلها من أعمال الشيطان وأمرنا الله تعالى في هذه الآية بالابتعاد عنها وعدم الاقتراب منها وهذا ما يكون أشد و أقوى من مجرد النهي في شرب الخمر(٢٠).

وفسر القرطبي في نهاية الآية الكريمة((فَاجْتَنِبُوهُ))يقتضي الاجتناب المطلق الذي لاينتفع معه بشئ بوجه من الوجوه ،لابشرب ،ولابيع، ولا تخليل ،ولامداومة ولاغير ذلك(٢١).

(٤) قوله تعالى ((إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ))(٢٢)ز

ورد في تفسير هذه الاية انما يريد لكم الشيطان شرب الخمروالمياسرة بالقداح ،ويحسن ذلك لكم ارادة منه ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في شربكم الخمر ومياسرتكم بالقداح ليعادي بعضكم بعضا ويبغض بعضكم بعضا ويبغض بعضكم الى بعض ،فيشتت امركم بعد تاليف الله بينكم بالايمان (وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ) أي ويصرفكم بغلبة هذه الخمر بسكرها اياكم عليكم ،وباشتغالكم بهذا الميسر عن ذكر الله الذي به صلاح دنياكم واخرتكم (٢٣).

أما في السنة / فقد وردت أحاديث كثيرة في تحريم الخمر، سأذكر بعض منها:

(١) ماروي عن أبن عمر (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– ((لعن الله الخمر، وشاربها، وساقيها ،ومبتاعها، وبائعها، وعاصرها ،ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة اليه وآكل ثمنها))(٢٤).

(٢)وقال النبي محمد – صلى الله عليه وآله وسلم–:((أن من العنب خمرا ، وأن من العسل خمرا ، وأن من الزبيب خمراً ، ومن الحنطة خمراً ، ومن التمر خمرا، وأنا أنهاكم عن كل مسكر)) (٢٥).

(٣)وقال النبي محمد – صلى الله عليه وآله وسلم– :((ما أسكر كثيرة فقليلة حرام))(٢٦).

(٤) وقال النبي محمد – صلى الله عليه وآله وسلم–:((اذا شربوا الخمر فاجلدوهم ، ثم أذا شربوا فاجلدوهم ، ثم اذا شربوا فاجلدوهم ثم اذا شربوا فاقتلوهم)) (٢٧).

(٥) قال يونس عن سليمان بن خالد قال: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) ((يضرب في النبيذ المسكر ثمانين

كما يضرب في الخمر ،ويقتل في الثالثة من النبيذ كما يقتل في الثالثة من الخمر)) (٢٨)

(٦) وعن محمد بن مسلم عن ابي عبد الله –عليه السلام– قال ((لاتجالسوا شارب الخمر ،ولاتزوجوه، ولاتتزوجوا اليه ،وان مرض فلا تعودوه ، وان مات فلا تشيعوا جنازته ، ان شارب الخمر يجئ يوم القيامة مسودا وجهه مزرقة عيناه مائلا شدقه سائلا لعابه دالعاً لسانه من قفاه (٢٩):

وفي الاجماع :

لقد اجمعت الامة من لدن رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– الى يومنا هذا الى تحريمها، وبذلك استقرت الحرمة حكما للخمر وصارت حرمتها معلوما من الدين بالضرورة، فمن استحلها وانكر حرمتها يكون خارجا عن دائرة الاسلام واتفقوا على ان الخمر قليلها وكثيرها حرام ،وفيها الحد ،وانها نجسة ،ومن استحلها حكم بكفره (٣٠)

المطلب الرابع:

الحكم بنجاسة الخمر، ام بطهارتها:

أن الخمر نجسة في قول عامة أهل العلم ، لأن الله تعالى حرمها لعينها فكانت نجسة كالخنزير وكل مسكر حرام لما ذكر ووصفها الله تعالى بالرجس. (٣١)، وذكر في شرح الموطا لمالك : أن الخمر وكل مسكر نجس تعاد منة الصلاة كما تعاد من سائر النجاسات (٣٢).

وورد عن ابي حنيفة في حكم بنجاسة الخمر ، أنها ان اصابت الثوب باكثر من قدر الدرهم فانها تمنع جواز الصلاة ، لأنه حرم شربها قليلها وكثيرها (٣٣). ونقل قولا عن الامامية في بحار الانوار ان المشهور بين الاصحاب نجاسة الخمر ، وسائر المسكرات المائعة ، بل نسب الى اكثر اهل العلم حتى حكي عن المرتضى رضي الله عنه– انه قال: لاخلاف بين المسلمين في نجاسة الخمر الا مايحكى عن شذاذ لااعتباربقولهم (٣٤).

وقد اختلف البعض بان يقولون ، أن الخمر طاهرة لكن المحرم شربها وهو قول لبعض الشافعية واستدلوا بحديث أنس في قصة تحريم الخمر وفيه» أمر رسول الله _صلى الله عليه وسلم – مناديا ينادي : ألا أن الخمر قد حرمت قال : فخرجت فارهفتها فجرت في سكك المدينة)) (٣٥).

وقالوا: لو كانت الخمر نجسة لأمر الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم– بصب الماء على الارض لتطهيرها كما أمر بالصب على بول الأعرابي، ولأمرهم بالاحتراز منها ، والخمر نجسة عند سائر العلماء إلا ما ورد عن بعضهم بأنها طاهرة، وأن كانت محرمة كالسم الذي هو نبات ، وكالحشيش المسكر، والذين حكموا بنجاستها احتجوا بالآية الكريمة وقالوا : لا يضر قول الميسر والانصاب والأزلام بها مع أن هذه الأشياء طاهرة ، لأن هذه الأشياء الثلاث خرجت بالاجماع، فبقيت الخمر على مقتضى الكلام وقالوا : ان الرجس عند اهل اللغة القذر ، ولايلزم من ذلك النجاسة والامر بالاجتناب لايلزم منه النجاسة ،وانما في نظرهم ان المنع من الخمر هو لكونها سببا للعداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة كما ورد انفا في الايات الكريمات فاقرب مايقال :انه يحكم بنجاستها تغليظا وزجرا عنها(٣٦).

المبحث الثاني:صفات متعاطي الخمر،وماشابهها من المحرمات ،ومقدار الحد الذي عليه العقوبة

المطلب الأول: صفات متعاطي الخمر الذي يقام عليه الحد

لشارب الخمر صفات ذكرها العلماء حتى يقام عليه الحد وهي كالاتي :–

(١) أن يكون الشارب مكلفا – عاقلاً – بالغا – لأن الغير مكلف كالصغير والمجنون والمعتوه أو غير عالم بالتحريم فهنا لا يقام عليه الحد، لأن أقامة الحدود من باب العبادة، والعبادة لا تجب إلا على المكلف(٣٧)

(٢) أن يكون مختاراً ، فان شربها مكرها فلاحد عليه ، سواء كان الاكراه ملجئاً أم غير ملجئ ، فاذا هدد بالضرب الشديد أو اتلاف المال كله فشرب فلاحد عليه، ، وكذلك يحد أن كان عالماً بالتحريم وشربها لغير الضرورة وثبت عليه بالبينة والإقرار(٣٨)

(٣)هو الذي لا يعرف من المنطق لا قليلا ولا كثيراً، ولا يعرف الأرض من السماء ، فيزول تميزة بالكلية ويصبح بحالة يدرك الاشخاص ولكن يجهل الاوصاف، وكذلك هو الذي يهذي ويخلط كلامه ويستوي عنده الحسن والقبيح(٣٩).

المطلب الثاني:

مقدار الحد الذي تترتب فيه العقوبة على شاربها:

تعريف الحد في اللغة هو :هو المنع ، وهذا امرحَدَدٌ :اي منيع حرام لايحل ارتكابه ،وحددت الرجل :اقمت عليه الحد ؛ لأنهُ يمنعه مُن المعاودة (٤٠).

وفي الشرع هو:عقوبة مقدرة شرعا في معصية ؛لتمنع من الوقوع في مثلها او في مثل الذنب الذي شرع له العقاب (٤١).

والحدود شرعت لتكون زجرا للنفوس عن ارتكاب المعاصي والتعدي على حرمات الله سبحانه وتعالى ،فتحقق الطمأنينة في المجتمع ويشيع الامن بين افراده ، ويسود الاستقرار كما ان فيها تطهير للعبد في الدنيا

واختلف في مقدار عقوبة شارب الخمر ؟ فقيل يجلد أربعين جلدة ، وقيل : يجلد ثمانين جلدة و هو أخف الحدود. (٤٢) التي ذكرها الله في كتابه العزيز وهو حد القذف((وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً))(٤٣) وقد روي في فتح الباري عن انس –رضي الله عنه– ((أن نبي الله– صلى الله عليه وآله وسلم– جلد في الخمر بالجريد والنعال ، ثم جلد أبو بكر –رضى الله عنه– أربعين ، فلما كان عمر ––رضى الله عنه– أي في زمن خلافته _ ودنا الناس من الريف والقرى – أي انتشروا في الارياف والمدن ،واكثروا من شرب الخمر – قال عمر : ماترون في جلد الخمر ؟ فقال عبد الرحمن بن عوف : أرى ان تجعلها كأخف الحدود – يعني حد القذف – فجلد عمر ثمانين (٤٤).

وعن حصين بن المنذر وكنيته ابو ساسان قال : شهدت عثمان بن عفان (رضى الله عنه) وهو خليفة أتى «بالوليد بن عقبة» قد صلى الصبح ركعتين ،ثم قال: (أزيدكم) ؟أي هل تحبون ان ازيدكم في الصلاة ؟ – فشهد عليه رجلان : أنه شرب الخمر ،وشهد اخر أنه رآه يتقيأ!!– وكان الوليد واليا على الكوفة – فقال عثمان : انه لم يتقيأ حتى شربها ،فقال ياعلي :قم فاجلده !!فقال عليّ:قم ياحسن فاجلده!! فقال الحسن : ول حارها من تولى قارها –يعني ول شدتها من تولى هينها ولدتها يعني الخلافة – فكانه وجد عليه – أي غضب عليه – فقال : ياعبد الله بن جعفر ،قم فاجلده !! فجلده وعلي يعد ،حتى بلغ أربعين – أي سوطا– فقال امسك!! ثم قل: جلد النبي– صلى الله عليه وآله وسلم– أربعين، وجلد ابو بكر أربعين ، وجلد عمر ثمانين ،وكلٍ سُنة،وهذا احب الي (٤٥) وقول علي –عليه السلام– «وكلٌ سُنة»اشارة لطيفة الى ان فعل عمر ،لم يكن خروجا عن هدي المصطفى – صلى الله عليه وسلم– الذي جلد اربعين ، وانما هم متفق مع السنة المطهرة ،لقول النبي–صلى الله عليه وسلم–»عليكم بسنتي ،وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ،وعضوا عليها بالنواجد « ولهذا قال عليّ: وكل سنة ، وما فعله عمر احب الي، ردعا للناس وزجرا لهم (٤٦).

وفي الاحكام السلطانية اختلفوا في حد السكر وقالوا : هو الذي ما زال معه العقل حتى لا يفرق بين الأرض والسماء ولا يعرف أمة من زوجته ، وحدة أصحاب الشافعي بانه ما أفضى بصاحبة الى أن يتكلم بلسان منكسر ومعنى غير منتظم ويتصرف بحركة مختبط و مشي متمايل واذا جمع بين اضطراب الكلام فهما وبين اضطراب الحركة مشيا وقياما صار داخلاً في حد السكر (٤٧)، وفي المغني لابن قدامة حد السكر الذي يقع الخلاف في صاحبة ، هو الذي يجعلهُ يخلط كلامة ولا يعرف رداءة من رداء غيره ونعلهُ في نعل غيره، ونحو ذلك كما قال تعالى((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ)) فجعل علامة زوال السكر هي علمه بما يقولهُ وكان عمر –رضي الله عنه– يشترط على شارب الخمر اذا قرا أم القرآن، أو عرف رداءه من رداء غيرهُ فلا تحد ،

ولا يعتبر بمن لا يعرف السماء من الأرض ولا الذكر من الأنثى لأن ذلك لا تخفى من المجنون فعليه أولى (٤٨).
وورد في حد شرب الخمر أشد من حد القدف لأن جريمة الشارب متيقن بها بخلاف جريمة القاذف فالقذف خبرةُ متمثل بين الصدق والكذب وقد يعجز عن أقامة أربعة من الشهداء مع صدقه وعلى الرغم أنهم اختلفوا في عدد ضربات الحد ، أيضا اختلفوا في آلة الضرب، فقيل أن يجلد الشارب بالأيدي وأطراف الثياب، وقيل أن يجلد بالسوط اعتبارا بسائر الحدود ، ولكنهم أشترطوا صفات السوط الذي يضرب به بان يكون معتدلاً في حجمه ، فيكون بين القضيب والعصاء وفي صفته أن لا يكون رطباً فيشق الجلد بثقله، ولا شديد اليبوسة فلا يؤلم ، وأيضا لا يفرق الضرب على الأيام والساعات لعدم الإيلام الزاجر ويضرب الامام الذكر قائماً ، والانثى جالسة فلو عكس أساء ولا يضمنُه أن تلف ، لأن ذلك تغير حال لا زيادة ضرب . وأن الأنثى تكون ملفوفة بالثوب حذراً من تكشفها ويتولى ألف أمراة أو محرم أو نحوهما والظاهر الخنثى تعامل كالأنثى . ولا ترفع يد السكران من فوق الرأسي بحيث يرى بياض أبطيه فانه يعظم أمله ويجب أن يفرق الامام الضرب على أعضاء البدن ولا يجمعه في محل واحدا ويتجنب ثغرة النحر والفرج لأن القصد هو الردع وليس القتل ، وقالوا أيضا يضرب على الراسي لأنه يقال أن الشيطان فيه ومنبت الشعر فلا يخاف تشويهه بخلاف الوجه وقيل: يتجنب ، لأنه مقتل ويخاف منه العمى(٤٩) وعن اسحاق بن عمار قال: سألت أبا عبد الله عن رجل شرب حسوة خمر قال:يجلد ثمانين جلدة قليلها وكثيرها حرام .(٥٠) وفي عجائب احكام امير المؤمنين، قضى –عليه السلام – في شارب الخمر ثمانون، فان عاد حد، فان عاد حد ،فان عاد الرابعة قتل (٥١).

و المطلب الثالث:حكم نقيع التمر والفقاع (الشعير) وغيرهامن الاشربة

يحل للمسلم ان يشرب نقيع التمر،ونقيع الزبيب ،اذا لم يصل الى درجة الاسكار ،والاسكار أن يشتد ويقذف بالزبد ويفور ،فيصبح مسكرا وطريقة النقيع ان يلقي الانسان التمر ،أو الزبيب ،في الآنية أو الخابية ويتركه ساعات ،أو يوما وليلة ،ثم يشرب هذا الحلو،فاذا بقي أكثرمن يومين،يفور ويشتد – أي يصبح غليظا –ويقذف بالزبد فيصبح عند ذلك مسكرا ،يحرم شربه بالاجماع (٥٢).
والخمر هي عصير العنب وحكم العصير اذا غلا واشتد،وان لم يقذف بالزبد الا ان يذهب بالغليان ثلثاه ،او ينقلب خلاً، وبما عداه اذا حصلت فيه الشدة المسكرة . واما التمر اذا غلا ولم يبلغ الاسكار ففي تحريمه تردد ،والاشبه بقاءه على التحليل حتى يبلغ حد الاسكار ،والزبيب كذلك اذا نقع بالماء فغلا مع نفسه او بالنار ،والاشبه انه لايحرم مالم يبلغ الشدة المسكرة ،والفقاع (أي الشعير) كالنبيذ المسكر في التحريم ،وان لم يكن مسكرا ففيه وجوب الامتناع من التداوي والاصطباغ به (٥٣).
وقد كان– صلى الله عليه وآله وسلم– يشرب نقيع التمر ،والزبيب ،والعسل، مالم يشتد ،فاذا اشتد أراقه ولم يشربه فهذا هو النبيذ الحلال ،الذي كان يشربه رسول الله– صلى الله عليه وآله وسلم– لاهذا الرجس في زماننا الذي يسمى»نبيذا»وهومسكر، وينسبون حله الى ابي حنيفة – رحمه الله– فهو حرام قطعا ،لم يختلف احد من الفقهاء في تحريمه،انما اباح الامام ابو حنيفة،النبيذ الذي كان يفعل لرسول الله– صلى الله عليه وآله وسلم–وهو تمرات يشرب نقيعها بعد ان تطرح في الماء لعدة
ساعات (٥٤) ولو اتخذ شيئا من الشعير أو الذرة أو التفاح أو العسل فاشتد ، وهو مطبوخ أو غير مطبوخ فانه يجوز شربة مادون السكر وهذا عند أبي حنيفة (رحمة الله) وعصير العنب أذا طبخ حتى ذهب منه ثلثاة وبقي ثلثة حلال وأن أشتد ،وان الخمر أذا تخللت حلت ، سواء صارت خلا بنفسها أو بشئ طرح فيها ، ولا يكره تخليلها ، هنا المقصود أن عصير العنب أذا طبخ بالنار أو الشمس حتى ذهب منه ثلثاة وبقي ثلثة فهو حلال شربة ، وأن غلا وأشتد وقذف بالزبد وهنا خلاف وهو ان فتوى المتاخرين على قول محمد لفساد الزمان ،ولو طبخ حتى ذهب ثلثه ثم زيد عليه وأعيد الى النار، أي أعيد قبل أن يغلي لا بأس به ؛لانه تم الطبخ قبل ثبوت الحرمة، وأن أعيد بعد ما غلي الصحيح لا يحل

شربة. وأيضا أذا تخللت الخمر حلت لزوال الوصف المفسد ، سواء صارت خلا بنفسها أو بشي طرح فيها كالملح، والخل ، والماء الحار ، لأن التخليل يزيل الوصف المفسد، وأذا زال الوصف المفسد الموجب للحرمة حلت،كما اذا تخللت بنفسها ، واذا تخللت تطهر الاناء أيضا ،لان جميع مافيه من اجزاء الخمر يتخلل ،الا ماكان منه خاليا عن الخل ،فقيل : يطهر تبعا ،وقيل : يغسل بالخل ليطهر ؛ لانه يتخلل من ساعته ،وكذا لو صب منه الخمر فملئ خلا طهر من ساعته ؛ولا يكره تخليلها ؛لانه اصلاح ،والاصلاح مباح .(٥٥)

واختلفت أقوال العلماء في حكم شرب الأنبذة فمنهم من قال: ان الحد في غير الخمر من أنواع الأنبذة أنما يتعلق بالسكر فقط فنقيع التمر والزبيب أذا غَلِيَ واشتد كان محرما قليلهُ وكثرهُ ، ويسمى نبيذا لاخمراً فان أسكر ففي شربه الحد ويكون نجساً نجاسة مغلظة؛ فان طبخا وشرب منها من غير طرب فشربها حلال؛ وأن أشتد غلياناها حُرم الشرب منها . أما نبيذ الحنطة والتين والأرز والشعير والذرة والعسل فانه حلال عند ابو حنيفة –رحمه الله– نقيعها و مطبوخها و أنما يحرم المسكر منه ، ويحد أذا سكر كثيرهُ، وكذلك المتخذ من الالبان أذا أشتد ومنهم من قال حرام شرب القليل والكثير سواء كان من العنب أن الزبيب أو الحنطة أو الشعير أو التين أو الذرة أو الأرز أو العسل أو اللبن سواء كان نياً أو مطبوخاً . وقيل أيضا: في حكم العصير قبل أن يشتد اذا مضى على العصير ثلاثة أيام أو أقل ولم يغل ، ولم يشتد ولم يقذف بالزبد ، لايصير خمراً ، وحل شربه، لأنه في هذه الحالة يكون غير مسكر . وقال البعض الآخر: اذا مضى على العصير ثلاثة أيام ، يصير خمراً ويحرم شربة، ويجب أراقتهُ وأن لم يغل ولم يشتد ،وذلك لأنها سميت خمراً لأنها تركت حتى أختمرت وتغيرت ريحها .(٥٦)

المطلب الرابع:

حكم التداوي بالنجاسات كالخمرة والأشربة المائعة الأخرى:

التداوي من الامور المشروعة ،ولكن بما شرعه الله عز وجل ،وبما شرعه رسوله– صلى الله عليه وآله وسلم – فان هذا هو الذي يمكن ان يكون فيه الشفاء ، اما ماحرمه الله فلا شفاء فيه ،ومما يدل على تحريم التداوي بالادوية المحرمة عامة ،وبالخمر خاصة مارواه مسلم في صحيحه عن طارق بن سويد الجعفي انه سال النبي –صلى الله عليه وسلم – عن الخمر فنهاه ، او كره ان يصنعها فقال: انما اصنعها للدواء .فقال : (انه ليس بدواء ، ولكنه داء)(٥٧)

اتفق العلماء على منع التداوي باليسير من الخمر ، وكذلك التداوي بالنجاسات وما شابههما ، لأن حصول الشفاء عند استعمال هذه الأدوية هو مظنون فكيف نسوغ إلى فعل شيئ نهى عنه رسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم –وهذا بعيد . من أخلاق أهل الأيمان(٥٨).

وقد اختلفوا الفقهاء في جواز التداوي بالمحرمات عند الضرورة الى عدة أقوال : القول الأول : ما ذهب اليه الحنابلة المالكية والأمامية وفيه قالوا : لا يجوز التداوي بالمحرمات مطلقا سواء كانت من الأشربة المائعة كالخمر أو المحرمات الاخرى. وقالوا: أن تحريمها مقطوع به وحصول الشفاء أمر مشكوك فيه ولا يغلب المشكوك فيه على المقطوع به.(٥٩) واستدلوا بنهي الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم– حين قال : (أنه ليس بدواء ولكنة داء) .

القول الثاني : ماذهب اليه الظاهرية، قال أبن حزم الظاهري أن الخمر مباحة لمن أظطر اليها فمن أظطر ، شرب أخمر لعطش أو علاج أو لدفع خنق فشربها فلاحد عليه (٦٠).

وحجته في ذلك ، أن التداوي يعتبر من حالات الضرورة، والضرورات تبيح المحضورات واستندوا بقوله تعالى ((وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ))(٦١)، فما أضطر المرء آليه فهو غير محرم عليه من الماكل والمشرب . (٦٢)

القول الثالث: هو ما ذهب اليه الحنفية فقد أباحوا التداوي بالمحرمات عند تيقن حصول الشفاء ، والاستشفاء بالحرام جائز عند حصول الشفاء فيه كتناول الميتة عند المخمصة، والخمر عند العطش ، وإساغة اللقمة، لا يباح بما لا يتعين حصول الشفاء به(٦٣) .

القول الرابع : هو ما ذهب اليه فقهاء الشافعية، فقد فرقوا بين التداوي بالخمر وغيره من النجاسات وسائر المحرمات

الاخرى عدا الخمر(٦٤). مستدلين بحديث الرسول –صلى الله عليه وسلم –الذي رواه أنس–رضي الله عنه – قال: ((قدم اناس من عكا او عرينة فاجتووا المدينة فامرهم النبي –صلى الله عليه وسلم– بلقاح وان يشربوا من ابوالها والبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعي –النبي صلى الله عليه وسلم–واستاقوا النعم فجاء الخبر في اول النهار فبعث في اثارهم فلما ارتفع النهار فبعث في اثارهم فلما ارتفع النهار جئ بهم فقطع ايديهم وارجلهم وسمرت اعينهم والقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون))(٦٥).

وعلق الحنفية على قول الشافعية بأنهم قاسوا النجاسات وسائر المحرمات عدا الخمر على أبوال الأبل وهي نجسة عندهم في أباحة التداوي بها(٦٦).

المطلب الخامس:

أضرار الخمر على صحة الأنسان جسديا ،واجتماعيا:

تعرف الخمر من ناحية مكوناتها (أومن الناحية الطبية)بانها كل سائل يحتوي على نسبة معينة من الكحول وتتراوح المشروبات الروحية في هذه النسبة ،فهي في البيرة لاتزيد على ٣٪ويزداد الكحول الى ٢٥٪في المشروبات الاقوى ويصل التركيز الى ٥٠٪في المشروبات الروحية المركزة ، ومن المعروف طبيا ان بعض الادوية والاملاح الضرورية لصحة الانسان كادوية السعال تذاب في مادة الكحول . وكذلك بعض انواع المياه الغازية مثل الكولا .وتسمى المادة المذابة المستخلص الكحولي ،ولاتدخل هذه الادوية والسوائل علميا ولاشرعيا في باب الخمور لان مادة الكحول فيها غيرحرة لاتؤدي الى السكر (٦٧).

وان اضر مايكون من المعاصي على اصحابها ضر عاجل بعد الزنا هو الخمر الذي يهيج المعدة ؛ فيسبب القئ ،ثم يسبب التهابات مزمنة فيها ، واخيرا يتلف الكبد تدريجيا ، ثم يكون بعده الاستسقاء القاتل ،ومن ادمن الخمر تصلبت شرايينه ،وتاثر بها قلبه وكلاؤه ومخه ،وضعف جسمه ضعفا يعجز معه عن مقاومة الامراض المعدية ،واولاده يصابون بالصرع ،والجنون والشلل ، وضعف الادراك ،ويفسد عقله ومزاجه ،ويذهب ماله وكرامته(٦٨).

ويختلف تاثير الخمر السمي على جسم الانسان كلما تغير مستواه في الدم فعندما يبلغ مستواه من (٢٠– ٩٩٪) يسبب تغير المزاج وعدم توازن العضلات واضطراب الحس. وعندما يكون المستوى من(١٠٠–٢٩٩٪) يظهر الغثيان وازدواج الرؤيا وأضطراب شديد في التوازن . . وفي مستوى (٣٠٠–٣٩٩٪) فيسبب هبوط حرارة البدن ويظطرب الكلام ويفقد الذاكرة. وفي مستوى (٤٠٠–٧٠٠٪) يدخل الشاب في سبات عميق يصحبة قصور في التنفس وقد ينتهي بالموت. (٦٩) ويقرر العلم الحديث ان مخ الانسان يتكون من مراكز مختلفة ،فالوظائف الراقية توجد في المراكز العليا من المخ ،والوظائف الاقل رقيا توجد في المراكز الاسفل منها ، واعلى المراكز في مخ الانسان هي التي تختص بالارادة وضبط النفس والسلوك الاجتماعي ،ثم تاتي اسفل منها مراكز العقل والتفكير ،ثم مراكز الحكم على الاشياء ،ثم مراكز الذاكرة ،واسفل من هذه تاتي المراكز المسيطرة على العواطف والاحاسيس ويسري مفعول الخمر من اعلى الى اسفل ،أي انها تؤثر على الوظائف الارقى في المخ اولا، ولذلك فان اول شئ يتاثر في الانسان بالكميات القليلة جدا من الخمر هو الارادة وضبط النفس والسلوك الاجتماعي ،فاذا زادت الكمية تاثرت مقدرته على التركيز الذهني وهكذا. (٧٠) وان كاسا من الخمر داعية الى فتح ابواب الامراض على الانسان ،فهي فتح لباب مرض القلب والتاثير على اعصابه ،ما يؤدي الى سرعة دقاته، كما انه يؤثر في الكليتين فمرورالكحول منها يحدث تهيجا والتهابا ،وتوالي هذا التهيج والالتهاب يؤدي الى اتلاف نسيج الكليتين ، والخمر سبب التهاب المعدة والقرحة والنزف المعدي ،وداء السكري والعنة، والتهاب الكبد الكحولي ،وتشمع الكبد ،وداء النقرس ،والصرع ، والارتعاش وغيرها من الامراض (٧١).

وان الطريق الصحيح لمعالجة الخمر هو الجمع بين التربية الدينية والتثقيف الصحي ،فالطب وحده لابد ان يفشل كعلاج ،كما ان الوعظ الديني وحده لايحقق النتائج المرجوة دون الاقناع العلمي والطبي ،واول قاعدة في هذا العلاج هي «الوقاية خير من العلاج»ومعنى ذلك منع الخمر منعا قاطعا في المجتمع الاسلامي وذلك يشمل منع بيعها والاتجار فيها

.ومنع صنعها أو استيرادها وما اصدق قول رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم–

الخاتمة:

بعد الانتهاء من هذا البحث المتواضع توصلت الى نتائج اهمها

(١) ان الخمر ملعونة وملعون متعاطيها ومطرود من رحمة الله اذا اصر على تعاطيها ولم يتب .

(٢) وان متعاطي الخمر يفعل ماينهاه الله تعالى عنه ،وهذا يدل على الاستهانة باحكام الله تعالى ،وعبودية للشهوة والهوى .

(٣) والخمر تفتح باب للاكتئاب ،والهموم ، والاحزان فبدل ان يفكر متعاطيها لايجاد الحلول التي تمر به ،يهرب من واقعه ،ويغيب عقله من خلال تعاطيها

(٤) وهي تفتح باب للعداوة والبغضاء بين افراد المجتمع ،التي قد تؤدي الى القتل ، او القيام بجرائم اخرى .

(٥) ان المؤمن مطالب بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ،فاذا جلس بمجلس خمر أو باطل فعليه ان لايكون سلبيا يتفرج على الاخرين بل عليه ان يقدم النصح والارشاد بالحسنى .

(٦) وان المؤمن الحق المتمسك بدينه تكون له هيبة وحياء في نفوس الناس فلا يقدمون على عمل الباطل في حضوره .

واخيرا فان تحريم الخمر هو وقاية من الامراض ،وحفظ للعقل والممتلكات ،وباب من ابواب التربية الوقائية لبناء المجتمع ، والمحافظة على استقراره وتقدمه كما اراده الله سبحانه وتعالى .

الهوامش:

(١) لسان العرب ،لابن منظور (٥/ ٢٣٣)

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ،للشيخ احمد بن محمد بن علي الفيومي (ت٧٧٠) دار الحديث طرابلس ص(٦٨١)

(٣) كتاب التعريفات ،علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني (ت٨١٦) دار الفكر للطباعة والنشر ،ط١ ،٢٠٠٥م ص(١٦٣)

(٤) روح المعاني للألوسي ،ابو الفضل ،شهاب الدين البغدادي ،ت(١٢٧٠هـ)،دار الكتب العلمية ،ط١، ١٤١٥هـ،١٩٩٤م (٧/ ٢٨)

(٥) المصباح المنير للفيومي(ص١٩٩ ،٢٠٠)

(٦) معجم الصحاح ،للامام اسماعيل بن حماد الجوهري ، دار المعرفة ،ط٢–١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م ص(٣١٧)

(٧) بدائع الصنائع ، علاء الدين ابو بكر بن مسعود الكاساني الملقب ب(ملك العلماء)ت (٥٨٧)ط١، ١٣٢٨هـ مطبعة دار الكتب العلمية (٥/١١٢)

(٨) الفقه الشرعي الميسر ، للشيخ محمد علي الصابوني ،مؤسسة الريان ،ط١ ، ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م (٧/ ١٩٦)

(٩) مصطلحات الفقه واصطلاحات الاصول ، علي المشكيني ، منشورات الرضا ،ط١، ١٤٣١هـ– ٢٠١٠م ص(٢٢٨)

(١٠) الفقه الميسر للصابوني (٧/ ١٩٧،١٩٦

(١١) وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة للشيخ محمد بن الحسن بن علي الحر العاملي ت(١١٠٤)،مؤسسة ال البيت –١٤٠٩هـ(٢٥/ ٣١٧)

(١٢) التاريخ الكبير البخاري (١/ ٣٠٥)

(١٣) الفقه الميسر (٧/ ١٩٩–٢٠٠

(١٤) سورة البقرة اية (٢١٩)

(١٥) تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ،وهبة الزحيلي ،دار الفكر ،ط١، ١٤١١هـ–١٩٩١م (٢/ ٢٦٧)

(١٦) تفسير الميزان للطبطبائي ص(٤٩)

(١٧) سورة النساء اية (٤٣)

(١٨) تفسير البغوي حسين بن مسعود البغوي (٢/ ٢٢٠)

(١٩) سورة المائدة أية(٩٠)

(٢٠) تفسير الامثل للعلامة ناصر الشيرازي ،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات _بيروت ،لبنان (٣/ ٦٢٢)

(٢١) تفسير القرطبي الجامع لاحكام القران ، لابي عبد الله الانصاري القرطبي ،(٦/ ٢١٨)

(٢٢) سورة المائدة اية (٩١)

(٢٣) تفسير الطبري ص(١٢٣)

(٢٤) سنن ابي داود الاشعث السجستاني ، مطبعة السعادة (١٨٣/٢) باب العنب يعصر للخمر(٢٦٤٧) ،وسائل الشيعة للحر العاملي (١٧/ ٢٢٤) مع تقديم وتاخير بالرواية

(٢٥) سنن ابي داود ، (٤/ ١٦٦)
(٢٦) سنن الترمذي ، ابي عيسى محمد بن عيسى السلمي،٢٠٩هـ-٢٧٩م (٤/ ٢٥٨)
(٢٧) سنن ابن ماجه (٢/ ٨٥٩)
(٢٨) تهذيب الاحكام ،لابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت (٤٠٦هـ)مؤسسة الاعلمي للمطبوعات –بيروت ، لبنان ،٢٠٠٥م (١٠/ ١٨٥٢).
(٢٩) وسائل الشيعة للحر للعاملي (٢٥/ ٣١٢)
(٣٠) رسالة العضات الى اصحاب الخمور والمخدرات ،دكتور بدر عبد الحميد هميسة،١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩ م ص(٣٦)
(٣١) المغني لابن قدامة، أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد ت (٦٢٠) هـ) مكتبة القاهرة، مصر.(٩/ ٣٦٢)
(٣٢) شرح الموطا للامام مالك لأبي عبد الله بن محمد عبد الباقي بن يوسف. الزرقاني، مطبعة مصطفى الحلبي ط١(١٢٨١ هـ – ٢١٩٦١) (١٤٤/١)
(٣٣) بدائع الصنائع (٥/١١٨)
(٣٤) بحار الانوار للمجلسي (٧٧/ ٩٤)
(٣٥) صحيح مسلم (٤/١٢)
(٣٦) المجموع شرح المهذب (٣/ ٥٨٣)
(٣٧) شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام للمحقق الحلي أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن مع تعليقات السيد صادق الشيرازي ، مطبعة عترت،١٣٨-٢٠٠٠م (٤/ ١٥٦)
(٣٨) تحرير المسالك الى عمدة السالك ، شهاب الدين أبو العباس ابن النقيب ، ت (٧٦٦ هـ)دار البيروتي، دمشق – (١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م) ، (٣/ ١٧٣)
(٣٩) المغني لابن قدامة (٩/ ١٤١)
(٤٠) الصحاح للجوهري ص(٢١٦)
(٤١) شرح فتح القدير لابن الهمام (٤/ ٥)
(٤٢) الفقه الشرعي الميسر للصابوني (٨/ ١٧٤)
(٤٣) سورة النور الاية (٤)
(٤٤) الفقه الميسر للصابوني (٨/ ١٧٤)، والحديث ورد في فتح الباري شرح صحيح البخاري ،لاحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٢/ ٦٥) (كتاب الحدود)
(٤٥) ارواء الغليل ،محمد ناصر الالباني (٨/ ٤٩)
(٤٦) الفقه الميسر (٨/ ١٧٦)،ووردت الرواية مختصرة في موسوعة كلمات الامام الحسن –عليه السلام –لجنة الحديث في معهد باقر العلوم ص(٥٠)
(٤٧) الاحكام السلطانية ، علي بن محمد بن حبيب الماوردي ت(٤٥٠هـ)المكتبة العصرية ،بيروت ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م (١/ ٢٨٥)
(٤٨) المغني لابن قدامة (٩/ ٥٨٤١)
(٤٩) شرح البهجة، زكريا بن محمد زكريا الانصاري ،المطبعة الميمنية (٥/ ١٠٦، ١٠٧)
(٥٠) الكافي محمد بن يعقوب لكليني ت(٣٢٨هـ) ،دار الكتب الاسلامية ،ط٣- ١٣٨٨هـ(٧/ ٢١٤)
(٥١) عجائب أحكام امير المؤمنين ،للسيد محسن الامين العاملي ،تحقيق فارس حسون كريم ص(١٤٣)
(٥٢) الفقه الميسر (٧/ ٢٠١)
(٥٣) شرائع الاسلام للمحقق الحلي (٤/ ١٥٦)
(٥٤) الفقه الميسر (٧/٢٠١)
(٥٥) اللباب في شرح الكتاب ،للشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني-١٢٢٢-١٢٩٨،ط١،دمشق (٦/ ٥٨١، ٥٨٢)
(٥٦) الفقه على المذاهب الأربعة، تأليف : عبد الرحمن بن عوض الجزيري (١٢٩٩ – ١٣٦٠ م) الغدير الجديد مصر (٥/ ١١٥٤)
(٥٧) صحيح مسلم بشرح النووي (١٣/ ١٥٢)
(٥٨) المدخل ،محمد بن محمد العبدري(ابن الحاج)،دار التراث (٤/١٥٧)
(٥٩) الذخيرة للقرافي(١٢/ ٢٠٢) ، والأنصاف المرداوي(١٠/ ١٧٣)، وشرائع الأسلام في مسائل الحلال والحرام (١/ ١٥٦)
(٦٠)معجم الفقه لأبي محمد علي بن سعيد بن حزم الظاهري ، ترتيب لجنة موسوعة الفقه الاسلامي ،جامعة دمشق (١/ ٣٤٥)
(٦١) سورة الانعام اية (١١٩)
(٦٢) معجم الفقه (١/ ٣٥٣)
(٦٣) بدائع الصنائع ، (٥ / ٦١)
(٦٤) المجموع شرح المهذب (٩/ ٤٩)

(٦٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري ،لابن حجر العسقلاني (١/ ٤٠١)
(٦٦) بدائع الصنائع (١/ ٦٢)
(٦٧) الطب الوقائي في الاسلام د. احمد شوقي الفنجري ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩١م ص(٢٥٩)
(٦٨) من اضرار الخمور والمسكرات ،عبد الله جار الله ،١٤٣٠هـ ص(٣)
(٦٩) موسوعة الاعجاز العلمي في القران الكريم والسنة ،ليوسف الحاج احمد ،دار ابن حجر ،٢٠٠٧م ص(٦٢٢)
(٧٠) الطب الوقائي في الاسلام د. احمد الفنجري(٢٦٢)
(٧١) الاسلام والوقاية من الامراض، فراج عز الدين ،ط٢ ،دار الرائد العربي – بيروت – ١٩٨٤م ص(١٦٢)

المصادر:

(١)الاحكام السلطانية ، علي بن محمد بن حبيب الماوردي ت(٤٥٠هـ)المكتبة العصرية ،بيروت ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣
(٢)ارواء الغليل ،محمد ناصر الدين الألباني(١٤٢٠هـ)، المكتب الاسلامي –بيروت ،ط٢، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م
(٣)الاسلام والوقاية من الامراض، فراج عز الدين ،ط٢ ،دار الرائد العربي – بيروت – ١٩٨٤م
(٤)الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف ،المرداوي علاء الدين ابو الحسن علي بن سليمان (ت ٨٨٥هـ)مطبعة السنة المحمدية ، دار احياء التراث العربي ،بيروت، ط١، ١٣٧٤هـ– ١٩٥٥م
(٥)بحارالانوار للعلامة المجلسي (ت١١١١)ط٢، ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م
(٦)بدائع الصنائع ، علاء الدين ابو بكر بن مسعود الكاساني الملقب ب(ملك العلماء)ت (٥٨٧)ط١، ١٣٢٨هـ دار الكتب العل
(٧)التاريخ الكبير البخاري ،محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة ،ابو عبد الله (ت٢٥٦هـ) ،دار المعارف العثمانية
(٨)تحرير المسالك الى عمدة السالك ، شهاب الدين أبو العباس أبن النقيب ، ت (٧٦٦ هـ)دار البيروتي، – (١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م)
(٩) تفسير الامثل للعلامة ناصر الشيرازي ،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات _بيروت ،لبنان
(١٠)تفسير البغوي ،ابو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي (ت٥١٠هـ)،دار احياء التراث العربي– بيروت ،ط١ ،١٤٢٠هـ
(١١)تفسير الطبري ،لابي جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)،دار هجر للطباعة والنشر ،القاهرة ،ط١، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م
(١٢)تفسير القرطبي الجامع لاحكام القران ، لابي عبد الله الانصاري القرطبي
(١٣)تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ،وهبة الزحيلي ،دار الفكر ،ط١، ١٤١١هـ–١٩٩١م
(١٤)تفسير الميزان للطبطبائي ،للسيد محمد حسين ،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،١٤١٧هـ
(١٥)تهذيب الاحكام ،لابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت (٤٠٦هـ)مؤسسة الاعلمي للمطبوعات –بيروت ، لبنان ،٢٠٠٥م.
(١٦)الذخيرة للقرافي،ابو العباس شهاب الدين ،احمد بن ادريس المالكي (ت٦٨٤هـ)،دار الغرب الاسلامي –بيروت ،ط ١، ١٩٩٤م
(١٧)رسالة العضات الى اصحاب الخمور والمخدرات ،دكتور بدر عبد الحميد هميسة، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م
(١٨)روح المعاني للألوسي ،ابو الفضل ،شهاب الدين البغدادي ،ت(١٢٧٠هـ)،دار الكتب العلمية ،ط١، ١٤١٥هـ،١٩٩٤م
(١٩)سنن ابن ماجه،ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ)،دار احياء الكتب العربية
(٢٠)سنن ابي داود الاشعث السجستاني ، مطبعة السعادة
(٢١)سنن الترمذي ، ابي عيسى محمد بن عيسى السلمي،٢٠٩هـ–٢٧٩م
(٢٢)شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام للمحقق الحلي أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن(ت٦٨٦هـ) مع تعليقات السيد صادق الشيرازي،ط٧ ،مطبعة الاستقلال ، (١٣٨٤هـ) .
(٢٣)شرح البهجة، زكريا بن محمد زكريا الانصاري ،المطبعة الميمنية
(٢٤)شرح الموطا للامام مالك لأبي عبد الله بن محمد عبد الباقي بن يوسف، الزرقاني، مصطفى الحلبي ط١(١٢٨١ هـ – ١٩٦١م)
(٢٥)شرح فتح القدير لابن الهمام ،كمال الدين ،محمد بن عبد الواحد السيواسي(ت٨٦١هـ)مصطفى البابي الحلبي ،ط١ ١٣هـ١٩٧٠م
(٢٦)صحيح مسلم لابي الحسن مسلم بن الحجاج ت (٢٦١ هـ) دار احياء التراث العربي ،بيروت – لبنان تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
(٢٧)صحيح مسلم بشرح النووي ،يحيى بن شرف ،محي الدين ابو زكريا(ت٦٧٦هـ) ،ط١ ،مكتبة دار السلام ١٤٣١هـ– ٢٠١٠م

(٢٨)الطب الوقائي في الاسلام د. احمد شوقي الفنجري ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩١م
(٢٩)عجائب أحكام امير المؤمنين ،للسيد محسن الامين العاملي ،تحقيق فارس حسون كريم
(٣٠)فتح الباري شرح صحيح البخاري ،لاحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ط١ ،مكتبة مصر ،١٣٨٠هـ-١٣٩٠هـ
(٣١)الفقه الشرعي الميسر ، للشيخ محمد علي الصابوني ،مؤسسة الريان ،ط١ ، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م
(٣٢)الفقه على المذاهب الأربعة، تأليف : عبد الرحمن بن عوض الجزيري (١٢٩٩ - ١٣٦٠ هـ) ، دار الغدير الجديد مصر
(٣٣)الكافي محمد بن يعقوب لكليني ت(٣٢٨هـ) ،دار الكتب الاسلامية ،ط٣- ١٣٨٨هـ
(٣٤)كتاب التعريفات ،علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني (ت٨١٦) دار الفكر للطباعة والنشر ،ط١ ،٢٠٠٥م
(٣٥)اللباب في شرح الكتاب ،للشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني-١٢٢٢-١٢٩٨،ط١ ،دمشق
(٣٦)لسان العرب لجمال الدين بن مكرم بن الفضل ابن منظور ت (٧١١ هـ) ط- بيروت، لبنان سنه ١٣٧٥ هـ ١٩٥٦ م.
(٣٧)المجموع شرح المهذب للنووي،ابو زكريا محي الدين بن شرف ،مطبعة الامام مصر
(٣٨)المدخل ،محمد بن محمد العبدري(ابن الحاج)،دار التراث
(٣٩)المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ،للشيخ احمد بن محمد بن علي الفيومي (ت٧٧٠)مؤسسة دار الحديث طرابلس
(٤٠)مصطلحات الفقه واصطلاحات الاصول ، علي المشكيني ، منشورات الرضا ،ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م
(٤١)معجم الصحاح ،للامام اسماعيل بن حماد الجوهري ، دار المعرفة ،ط٢-١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م
(٤٢)معجم الفقه لأبي محمد علي بن سعيد بن حزم الظاهري ، ترتيب لجنة موسوعة الفقه الاسلامي ،جامعة دمشق
(٤٣)المغني لابي محمد عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامه ت(٦٢٠ هـ)تحقيق طه محمد الزيني، مكتبة القاهرة
(٤٤)من اضرار الخمور والمسكرات ،عبد الله جار الله ،١٤٣٠هـ
(٤٥)موسوعة الاعجاز العلمي في القران الكريم والسنة ،ليوسف الحاج احمد ،دار ابن حجر ،٢٠٠٧م
(٤٦)وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة للشيخ محمد بن الحسن بن علي الحر العاملي ت(١١٠٤)،مؤسسة ال البيت -١٤٠٩هـ

التخصيص بِتَعرِيف طَرفَيّ الإسناد فِي الصَّحيفةِ الرّضَويّةِ الجامعة

م.د. أنمار محمد مسلم السويدي
جامعة بابل/كلية العلوم الإسلامية

المستخلص:
من المَباحثِ التي اختصّ بها هذا البحث، وعرّف بها، وأصّل لها عند البلاغيين واستقرى أمثلتها في الصّحيفة الرّضويّة الجامعة وقسّمها على أنماطٍ ثلاثة هو مبحث (التّخصيص بتعريفِ طرفيّ الإسناد)، وقد ظهرت منه ثلاث صور في المادة المستقرأة من كلام الأئمة(عليهم السلام) في الصحيفة الرضوية الجامعة ، هي: الصورة الأولى: المُبتدأ أشرفُ المعارف(لفظ الجلالة) والخبر معرّف بـ(الإضافة)، والصورة الثانية: المبتدأ اسم علم ظاهر والخبر(مضاف إليه)، والصورة الثالثة: المبتدأ واحد من الضمائر والخبر(معرفة)، وتبيّن للنّمطِ الثالث صورٌ متعدّدة؛ فالأولى : أنّ المبتدأ هو الضمير (أنت) والخبر هو لفظ الجلالة (الله)، والثانية : أنّ المبتدأ هو الضمير (أنت) والخبر معرف بـ(أل) دال على الألوهية، والثالثة : أنّ المبتدأ هو الضمير (أنت) والخبر هو المعرف بـ(أل) دال على صفة من صفاته سبحانه وتعالى، والرابعة : أنّ المبتدأ هو الضمير (أنا) والخبر مضاف ومضاف إليه، والخامسة هي أنّ المبتدأ هو الضمير(هم) والخبر مضاف ومضاف إليه، وقد كشفَ الباحثُ عن دَلالاتٍ مُعتبرة لهذهِ الأنْماط والصّور مُعتمدًا على القرائن اللّغوية السّياقية.
الكلمات المفتاحية: التخصيص، النداء، النحويين، البلاغيون.

Abstract:
One of the topics that this research specializes in, is known for, and has established among rhetoricians. It has extracted examples of them in the Comprehensive Sahifa al-Ridhawiyya, dividing it into three types. This is the topic of «specialization by defining the two ends of the chain of transmission.» Three forms of this have emerged in the material extracted from the words of the Imams (peace be upon them) in the Comprehensive Sahifa al-Ridhawiyya: The first form: The subject is the most noble of definite nouns (the Divine Name), and the predicate is defined by the addition. The second form: The subject is an apparent proper noun and the predicate is a complement. The third form: The subject is one of the pronouns and the predicate is a definite noun. Multiple forms have emerged for the third type: The first: The subject is the pronoun «you» and the predicate is the Divine Name «Allah.» The second: The subject is the pronoun «you» and the predicate is defined by «al,» indicating divinity. The third: The subject is the pronoun «you» and the predicate is defined by «al» (the definite article). (Al) indicates one of His attributes, glory be to Him. The fourth: The subject is the pronoun (I) and the predicate is a noun and a complement to it. The fifth: The subject is the pronoun (they) and the predicate is a noun and a complement to it. The researcher has revealed significant indications for these patterns and images, relying on linguistic contextual evidence.
Keywords: specification, vocative, grammarians, rhetoricians.

المقدّمة:

يختصُّ هذا البحث بموضوعٍ قلّما تناوله الدارسون وهو(وسائل التخصيص) ذلك أنّ النحويين لم يؤصّلوا لمصطلح التخصيص، ولم يحدّدوا وسائله في مدوّنة جامعة بل نجد عندهم بابًا في النحو سمّوه (الاختصاص) يفرعونه على باب النداء، لذا حاول الباحث أن يصطلح تعريفًا للتخصيص، وتفريقه عن مصطلح الاختصاص مستعينًا بما دوّنه البلاغيون من مباحث متفرّقة في كتبهم، نصّوا فيها على مواضع التخصيص، ولعلّ من أهم ما أظهروه في ذلك أنّ تعريف المبتدأ والخبر هو وسيلة من وسائل تخصيص المعنى يلجأ إليها المتكلّم لتخصيص المسند بالمسند إليه.

وقد توسّع البحث في صور التخصيص بتعريف طرفيّ الإسناد، واختار مدونة لغوية في أعلى درجات الفصاحة والبيان، وهي(الصحيفة الرضوية الجامعة)، لتكون ميدانًا للتطبيق والتحليل، فاستقرى الباحث طائفة من أمثلة هذا النوع من التخصيص قسمها على صور، يمكن إجمالها بالآتي:

الصورة الأولى: المُبتدأ أشرفُ المعارف(لفظ الجلالة) والخبر معرّف بـ(الإضافة).

الصورة الثانية: المبتدأ اسم علم ظاهر والخبر(مضاف إليه).

الصورة الثالثة: المبتدأ من الضمائر والخبر(معرفة).

ثم خُتم البحث بأهمّ النتائج ، وقائمة بالمصادر والمراجع .

توطئة:

لا تكون الجملة العربية تامّة إلّا إذا استوفت ركنين أساسيين ، هما: المُسند إليه والمُسند، وإذا ما حُذِفَ منها أحدَ هذين الرّكنين فإنّ النحويين يلجؤون إلى التقدير ليستقيم الكلام(١).

إنّ أقدمَ مَن تكلّم على المسند والمسند إليه هو سيبويه، إذ أفرد في كتابه باباً في بيانِها ، ذكرَ فيه أنّهما ((لا يَغْنَى واحدٌ منهما عن الآخر، ولا يَجد المتكلّمُ منه بُدّاً، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبنيُّ عليه، وهو قولك: عبدُ الله أخوك، وهذا أخوك)) (٢)، ومن نصّه يتّضحُ أنّ المبتدأ والخبر متلازمانِ، لا ينفكُّ أحدهُما عن الآخَرِ، فهُما عندَ سيبويه مَبنيّ ومَبنيّ عليه، وهذا البناءُ يستوجبُ أحكاماً نحويّةً لكلٍّ منهُما، ويترتّب عليه معنًى رابطٍ للمُبتدأ بالخبرِ، وهي علاقة تلازميّة عبّر عنها سيبويه بتعبير(هو هو) قال: ((واعلم أن المبتدأ لا بد له من أن يكون المبنى عليه شيئاً هو هو... فأمّا الذي يُبنى عليه شيء هو هو، فإنّ المبني عليه يرتفع به كما ارتفع هو بالابتداء، وذلك قولُك: عبدُ الله منطلقٌ؛ ارتفع (عبد الله)، لأنّه ذُكر ليُبنى عليه المنطلق، وارتفع المنطلق، لأنّ المبني على المبتدأ بمنزلته)) (٣).

والمقصودُ بـ (هو هو) أنّ الخبر في المعنى هو المبتدأ، فلو قلت: (زيدٌ الصادقُ)، فالصادقُ هو زيد في المعنى، لأنّه صفة من صفاته، فلو أنّك سألتَ: مَن هو الصادقُ؟ فالجواب: هو زيد، وهذا ما وضّحه ابن السرّاج بقوله: ((وتعتبر خبرًا لمبتدأ ، بأنك متى سألتَ عن الخبر جاز أن يُجاب بالمبتدأ ؛ لأنه يرجع إلى أنه هو هو في المعنى. ألا ترى أنّ القائل إذا قال: عمرو منطلق، فقلت: مَن المنطلق؟ قال: عمرو، وكذلك إذا قال: عبد الله أخوك، فقلت: من أخوك؟ قال: عبد الله)) (٤).

ويذكر سيبويه أنّ مثل ذلك قولك: يذهب عبد الله، ((فلا بدَّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأوّل بدّ من الآخرِ في الابتداء)) (٥).

وممّا يكون أيضاً بمنزلة الابتداء كقولكَ: كانَ عبدُ الله منطلقا؛ لأنّ هذا يَحتاج إلى ما بعده كاحتياج المبتدأ إلى ما بعده، ومن المعلوم أنّ أوّلَ أحوال الاسم الابتداء، فإن المبتدأ قد يدخل عليه الرافع والناصب والجار ليكون غير مبتدأ، ولا تصل إلى الابتداء إلا أن ترفع عنه هذه الإضافات نحو قولك(عبدُ الله منطلقٌ)، فإن شئت أدخلت الفعل (رأيتُ) عليه، نحو قولك (رأيتُ عبدَ الله منطلقاً)، أو أدخلت (كان) عليه نحو قولك (كان عبدُ الله منطلقاً)، أو (مررتُ بعبد الله منطلقًا) (٦).

ثمّ إنّ النحويون اختلفوا في تسمية أيّ من الطرفين مسنداً . والآخر مسنداً إليه ، تبعاً لاختلافهم في تفسير قول

سيبويه: ((فأما المبنيّ على الأسماء المبهمة فقولك: هذا عبد الله منطلقا، وهؤلاء قومك منطلقين، وذاك عبد الله ذاهبا، وهذا عبد الله معروفاً. فهذا اسمٌ مبتدأ يبنى عليه ما بعده وهو عبد الله. ولم يكن ليكون هذا كلاما حتى يُبنى عليه أو يبنى على ما قبله. فالمبتدأ مُسند والمبنى عليه مسند إليه))(٧) .

لذا قرّر السيرافي في تحديد معنى (المسندِ والمسند إليه) أربعة أوجهٍ هي(٨):

الوجهُ الأوّل: أن يكون المسند معناه (الحديث) و (الخبر)، و المسند إليه (المحدّث عنه)، وذلك على وجهين: فاعل وفعل، نحو: قام زيد، واسم وخبر، نحو: زيد قائم .

فالفعل حديث عن الفاعل، والخبر حديث عن الاسم، فالمُسند هو الفعل، وهو خبر الاسم، والمُسند إليه هو الفاعل، وهو الاسم المخبر عنه.

وإنّما كان المُسند الحديث، والمُسند إليه المحدّث عنه، كقولنا في الحديثِ الذي يحدّث به عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم هذا الحديث مُسند إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فالحديثُ هو المُسند، ورسول الله هو المُسند إليه.

الوجه الثاني: أن يكون التقدير فيه: هذا باب المسند إلى الشّيء، والمسند ذلك الشّيء إليه، وحذف من الأول، اكتفاء بالثاني، وذلك هو الاسم والخبر، والفعل والفاعل، وكل واحد منهما محتاج إلى صاحبه، وكل واحد منهما مسند إلى صاحبه؛ لاحتياجه إلى صاحبه، إذ لا يتم إلا به؛ كقولك لمن تخاطبه: إنّما أمري مسند إليك، أي أنا محتاج إليك فيه وأنت قيّمه.

والوجه الثالث: أن يكون المسند هو الثاني في الترتيب على كلّ حال، والمسند إليه هو الأول، فإذا كان فعلاً وفاعلاً، فالمسند هو الفاعل، والمسند إليه هو الفعل، وإن كان مبتدأ وخبرا، فالمسند هو الخبر، والمسند إليه هو المبتدأ، ويكون بمنزلة المبنيّ والمبنيّ عليه، فالمبنيّ هو الثاني فعلا كان أو خبرا، والمبنيّ عليه هو الأول، وإنما كان الأول هو المسند إليه، والمبنى عليه، من قبل أنّك جئت به ، فجعلته أصلا لما بعده، ولم تبنه على شيء قبله، ثم جئت بما بعده، وهو محتاج إلى ما قبله، فصار فرعا عليه، فلذلك قيل: مبنيّ للثاني، إذ كان هو الفرع، وقيل الأوّل مبنيّ عليه، إذ كان هو الأصل، كما تبنى الفروع على الأساس.

الوجه الرابع: وهو أن يكون المسند هو الأوّل على كل حال، والمسند إليه الثاني على كلّ حال، فإن كان فعل وفاعل، فالفعل هو المسند والفاعل هو المسند إليه، وإن كان مبتدأ وخبرا فالمبتدأ هو المسند، والخبر هو المسند إليه، ويكون المسند والمسند إليه بمنزلة المضاف والمضاف إليه، في أن المضاف هو الأول، والمضاف إليه هو الثاني، وذلك أن معنى الإضافة والإسناد واحد تقول: أسندت ظهري إلى الحائط.

ومن الأحكام النحوية للمسند والمسند إليه، أنّ المبتدأ يجب أن يكون معرفة، ولا يُبتدأ بالنكرة إلا بمسوّغ يحقق فائدة للإخبار بالنكرة(٩)، لذا قال ابن مالك(١٠):

ولا يَجوزُ الابتدَا بالنّكِرَهْ ما لَمْ تُفِدْ كعِند زيد نَمِرَهْ

فقد علّل المبرّد ذلك بقوله: ((فالابتداء نَحْو قَوْلك زيد فَإِذا ذكرته فَإِنَّمَا تذكره للسامع ليتوقع مَا تخبره بِهِ عَنهُ فَإِذا قلت منطلق أَو مَا أشبهه صَحَّ معنى الْكَلَام وَكَانَت الْفَائِدَة للسامع فِي الْخَبَر لِأَنَّهُ قد كَانَ يعرف زيدا كَمَا تعرفه وَلَوْلَا ذَلِك لم تقل لَهُ زيد ولكنت قَائِلا لَهُ رجل يُقَال لَهُ زيد فَلَمَّا كَانَ يعرف زيدا ويجهل مَا تخبره بِهِ عَنهُ أفدته الْخَبَر فصح الْكَلَام لِأَن اللَّفْظَة الْوَاحِدَة من الِاسْم وَالْفِعْل لَا تفِيد شَيْئا وَإِذا قرنتها بِمَا يصلح حدث معنى وَاسْتغْنى الْكَلَام))(١١)، ويذكر المبرّد أنّ الفائدة من الابْتِدَاء هي (التّنْبِيه والتعرية)، والابتداء أول الْكَلَام، وقد يدْخل عليه الْجَار والناصب والرافع سوى الِابْتِدَاء على الْمُبْتَدَأ، والابتداء والمبتدأ يرفعان الْخَبَر...فَالْخَبَر هُوَ الِابْتِدَاء فِي الْمَعْنى أَو يكون الْخَبَر غير الأول فَيكون لَهُ فِيهِ ذكر فَإِن لم يكن على أحد هذَيْن الْوَجْهَيْن فَهُوَ محَال(١٢).

وبيّن ذلك ابن السرّاج بأوضح بيان، فقال: ((لأنّه لا فائدة فيه وما لا فائدة فيه فلا معنى للتكلم به ، ألا ترى أنك لو قلت: رجلٌ قائمٌ، أو رجلٌ عالمٌ، لم يكن في هذا الكلام فائدة؛ لأنه لا يستنكر أن يكون في الناس رجل قائماً أو

عالماً، فإذا قلت: رجل من بني فلان أو رجل من إخوانك أو وصفته بأي صفة كانت تقربه من معرفتك حسن لما في ذلك من الفائدة)) (١٣).

فالجملةُ التي لا توصل المعنى إلى ذهن السامع تعدُّ خاطئة ولا تجوز، فعِلَّةُ عدمِ الابتداء بالنكرة عدمُ تحقّق الغرض منها وهو إفهام المخاطب.

وقسّم العلماءُ الخبرَ أقساماً، فمِنهُ مفرد، ومنهُ جملة (اسميّة وفعليّة)، ومنهُ شبه جملة(ظرف وجار ومجرور) (١٤)، وبيّنوا أنّ الخبر يأتي نكرة في الأعمّ الأغلب، ولا يأتي معرفة إلا مؤوّلاً بنكرة (١٥).

فالثابتُ أنّ هذا التركيب اللّغوي له فائدة، وتختلف هذه الفائدة بحسب الغرض الذي يتوخاه المتكلّم، فمرةً يريد أن يبيّنَ للمخاطب ما يجهله، كأن يكون هذا التركيب (اللهُ ربُّنا) مخاطباً به الكافرين، أو مَنْ لا يؤمنون بالله تعالى، وهم يجهلون هذا المعنى، وتلمح به معنى آخر، كأنّه جواب لسؤال: مَن ربُّكم؟ فتقول: اللهُ ربُّنا. أمّا إن كان المعنى معلوماً عند المخاطب، ففي إنشاء هذا التركيب لغوٌ ومضيعة. قال ابن السرّاج: ((لو قال قائل: النار حارة، والثلج بارد، لكان هذا كلاماً لا فائدة فيه ، وإن كان الخبر فيهما نكرة))(١٦).

ومن أحكام المبتدأ الأخرى أن يقدّم على الخبر في الأصل، ولا يتأخّر عنه إلا لغرض يبتغيه المتكلم ويقتضيه سياق الكلام، قال ابن مالك(١٧):

والأصلُ في الأخبارِ أنْ تؤخّرَا وَجَوّزُوا التقديمَ إذْ لاَ ضَرَرَا

وقد بيّن ابن عقيلٍ هذا الحكم فقال: ((الأصلُ تقديمُ المبتدأ وتأخيرُ الخبرِ؛ وذلك لأنَّ الخبرَ وصفٌ في المعنى للمبتدأ، فاستَحَقَّ التأخيرَ كالوصفِ، ويَجُوزُ تقديمُه إذا لم يَخْصُلْ بذلكَ لَبْسٌ أو نحوُه على ما سَيُبَيَّنُ، فتقولُ: قائمٌ زيدٌ، وقائمٌ أبوه زيدٌ، وأبوه منطلِقٌ زيدٌ، وفي الدارِ زيدٌ، وعندَكَ عمرٌو))(١٨).

ممّا تقدّم يتضح أنّ المسند والمسند إليه في المباحث النحوية قد تقرّر فيه أنّ المبتدأ يجب أن يكون معرفة، وأنه لا يرد نكرة إلا بمسوّغ يقربه من المعرفة ، أما الخبر فالأكثر فيه أن يكون نكرة، والأقل فيه أن يرد معرفة، وهذا ما دعا ابن الحاجب أن يقرّر معياراً مفاده أنّ الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة والخبر نكرة، إذ إن الأصل أن يكون المبتدأ معرفة والخبر نكرة، لأن المبتدأ هو الأولى أن يكون معروفاً عن المتلقي؛ لأنه محكوم عليه، وأما الخبر فيكون نكرة، فلأنه حكم لا بد أن يكون للإفادة لمن ليس عنده. فلو عرفوه لم يستقم، نحو قولك (زيد قائم) فحكمت على زيد بالقيام، فلم ذهبت تعرفه لوجب أن تكون الذات المنسوب إليها القيام معروفة، فتكون مخبراً بما لا يفيد المخاطب. وأيضا فإنه لو صح ذلك لوقع التعريف ضائعاً(١٩). أمّا البلاغيون فلم يلتفتوا إلى هذا المعيار الذي يستند إلى العلل القياسية بل انجذب فكرهم إلى ما يمكن أن يؤديه طرفا الإسناد من معنى، لذا كان مجيءُ المسند والمسند إليه معرفتين باباً مهيعاً في الاستعمال اللغويّ، وأنّ له وظيفة معنوية لا تتحقّقُ إلا بذلك التعريف للطرفين ، وعليه تكون هذه الوسيلة في الاختصاص وسيلة بلاغية تتعلق بعلم المعاني من علوم البلاغة، ويعضد ذلك ما ذكره الرفاعيّ بأنّ النُحاة لم يأخذوا بهذين المصطلحين أيّ (المسند والمسند إليه) بعد سيبويه وإن أداروهما في كتبهم، وإنّما استعملوا ما يقابلهما من مبتدأ وخبرٍ أو فعل وفاعل وغيرها، ولكن علماء البلاغة أخذوهما وبنوا عليهما دراستهم في علم المعاني(٢٠). لذا عُرّف المُسند إليه بأنّه: ((المحكوم عليه أو المخبر عنه))(٢١)، ففي قوله تعالى:(وَعَدَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَالْمُنافِقاتِ وَالْكُفّارَ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها هِيَ حَسْبُهُمْ، وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ)(سورة التوبة:٦٨)، أسند الوعد إلى الله سبحانه وتعالى، فلفظ الجلالة مسند إليه، و(الوعد) مسند.

أمّا المُسند: فهو((المحكوم به أو المخبر به)) (٢٢)، ففي قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ) (سورة الصف: ٢)، أُسندت المحبّة إلى الله تعالى، فهي مُسندٌ، ولفظُ الجلالةِ مُسندٌ إليه.

وقد ألمح عبد القاهر الجرجاني إلى أن تعريف الخبر فيه فائدة التخصيص ، حين فرّق بين الخبر النكرة والخبر المعرفة ، نحو قولك (زيد منطلق)، إذا كانَ الكلام مع مَنْ لم يعلَمْ أنَّ انطلاقاً قد حصل ، لا مِنْ زَيْد ولا مِنْ عَمْرو، فأنتَ

تُفيدُه ذلك ابتداءً، أما إذا كان الكلام مع مَنْ عَرَفَ أنَّ انطلاقاً كان، إما من زَيْد وإمّا من عَمرو، فتقول (زيدٌ المنطلقُ)، فأنتَ تُعْلِمه أنه كان من زيدٍ دون عمرو(٢٣).

على حين صرّح السكاكي بأن تعريف الخبر يفيد تخصيصه بالمبتدأ، فقال: ((وأما الحالة التي تقتضي تعرفه فهي إذا كان المقصود من الكلام إفادة السامع فائدة يعتد بمثلها، والسبب في ذلك هو أن فائدة الخبر لما كانت هي الحكم أو لازمه كما عرفت في أول قانون الخبر ولازم الحكم وهو أنك تعلم الحكم أيضا، ولا شبهة أن احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد كانت الفائدة في تعريفه أقوى ومتى كان أقرب كانت أضعف، وبعد تحقق الحكم بحسب تخصيص المسند إليه والمسند كلما ازداد تخصصا ازداد الحكم بعدا، وكلما ازداد عموما ازداد الحكم قربًا))(٢٤).

وممّا تقدّم يتضح أن هذه الوسيلة في التخصيص قد أظهرها البلاغيون جليّة اعتناء منهم بمعنى التعيين أو التقييد أو التقييد الحاصل عند تعريف طرفي الإسناد، بل إن القزويني منهم فرّع على ذلك بيان المعاني المتنوعة التي ترد على التركيب المنتظم لطرفي إسناد معرفتين ، عند التقديم والتأخير في الجملة، وذلك في قوله:((إذا كان للسامع أخٌ يُسمّى زيدًا وهو يعرفه بعينه واسمه ولكن لا يعرف أنه أخوه، وأردت أن تُعرّفه أنه أخوه، فتقول: له زيدٌ أخوك، سواء عرف أن له أخًا ولم يعرف أن زيدًا أخوه أو لم يعرف أن له أخًا أصلًا. وإن عرف أن له أخًا في الجملة وأردت أن تعينه عنده قلت «أخوك زيد: أما إذا لم يعرف أن له أخًا أصلًا فلا يقال ذلك لامتناع الحكم بالتعيين على من لا يعرفه المخاطب أصلًا، فظهر الفرق بين قولنا: زيد أخوك وقولنا أخوك زيد، وكذا إذا عرف السامع إنسانًا يسمى زيدًا بعينه واسمه، وعرف أنه كان من إنسان انطلاق ولم يعرف أنه كان من زيد أو غيره فأردت أن تعرفه أن زيدًا هو ذلك المنطلق فتقول: زيد المنطلق، وإن أردت أن تعرفه أن ذلك المنطلق هو زيد قلت : المنطلقُ زيدٌ))(٢٥).

وبعد التمعّن والاستقراء ثبتَ للباحثِ أنّ مجيء المُسند والمُسند إليه معرفتينِ وارد، والتخصيص في هذا التعريفِ ناشئٌ من أنّ المبتدأ فيه الدّلالة على الجثّة (الذات)، فهو متعيّن بالابتداء، والخبر وصفٌ للذات، فالمسندُ إليه متعيّن بالخبرية، فقولنا مثلاً: زيدٌ القادمُ، فيه تصريح بإثبات قدوم مخصوص لزيدٍ، فتعريف طرفي الإسناد فيه زيادة في التخصيص والتقييد، ويتّضح الفرق أكثر إن قلت: زيدٌ قادمٌ، إذ يكون زيد منطلقاً من منطلقينَ آخرين(٢٦).

وقد أجريتُ احصاءً في الصّحيفة الرّضويّة الجامعة، فظهرَ ليَ أنّ هذه الوسيلة من وسائلَ التخصيص قد كثُرت في أدعيةِ آل البيت(عليهم السّلام) كثرةً تستوجب الوقوف عندها وتصنيف أمثلتها وتحليلها وتفكيك تراكيبها اللّغوية للوصول إلى نتيجةٍ مثمرة، تعدُ خصّيصة من خصائص كلامهم(عليهم السّلام)، وعليه يمكنُ أنْ نُجمِلَ ما وردَ من نماذجِ هذه الوسيلة على الأنماطِ الآتية:

النّمطُ الأوّلُ: المُبتدأ أشرفُ المعارف(لفظ الجلالة)، والخبر معرّف بـ(الإضافة):

يظهرُ هذا النّمط في قول الإمام الجواد (عليه السلام) في دعائه في منتصف رجب ويوم المبعث: ((اللهُ رَبِّي، لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً)) (٢٧)، فالمسند إليه لفظ الجلالة (الله) الوارد في موضع المبتدأ هو أشرفُ المعرفاتِ في الوجود، يقول السيد السبزواريّ ((الله أجلّ لفظٍ في الممكناتِ كلّها لأعظم معنى في الموجودات جميعها، بُحت في عذوبة لفظه كلّ سالك مجذوب وتحير في عظمة معناه جميع أرباب القلوب))(٢٨).

وقد تعدّدت آراء اللغويين في أصله واشتقاقه، وأمّا أهل التحقيق من العُلماء، فوقعوا على ظاهر لفظه فعدوه لفظاً جامداً ارتجله الباريّ عزّ وجلّ ارتجالاً في القرآنِ الكريم.

أمّا المسند إليه (ربّ) وقد وقع موقع الخبر، فهو مكوّن من مضاف (رب) وهي صفة لله تعني الملك والسيد (٢٩)، قال فيها الشيخ الطوسيّ ((والربوبية هي تنشئة الشيء حالا بعد حال حتى يبلغ حد الكمال في التربية، فلما كانَ الله تعالى مالكاً لإنشاء العالم كان ربّاً، و لا تطلق هذه الصفة إلا عليه تعالى، لأن إطلاقها يقتضي الملك بجميع الخلق، فأما إجراؤها علي غيره، فعلي وجه التقييد، كقولك رب الدار، و رب الضيعة. و قالوا في وصف قوم من العلماء: هم أرباب البيان يراد به شدة اقتدارهم عليه))(٣٠)، وقيلَ إنّه يطلق على غيرِ الله تعالى من دونِ تقييد ومصداقه ما قاله الله تعالى

على لسانِ يوسف (عليه السلام)(إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)(سورة يوسف: ٢٣)، فالضمير فيه راجع إلى العزيز(٣١)، وإضافة هذه الصفة إلى ياء المتكلّم هي اضافة تشريفية فيها معنى التحنّن والرّحمة ، إذ إنّ المالك والسيّد الذي لا ينازعه أحد في ملكهِ وقيمومتهِ قد أضيفت صفته إلى العبدِ الضعيفِ الذي يحتاج إلى الربّ في كلّ زمان ومكان، إذ كان اختصاص المسند إليه لهذه الصفة دالّة منه سبحانه على عبده، ودافع للتجلي بما يقرب العبد إلى مكنونات هذه الصفة، لذلك كثر استعمالها في مواضع التوسّل في القُرآن الكريم وفي كلامهم (عليهم السّلام).

وقد تكرّر هذا النّمط لزيادة في لفظِ المسند إليه في موضعٍ آخر في دعاءِ الإمام الجواد (عليه السّلام) في توحيد الله: ((اللهُ اللهُ، رَبِّي، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً)) (٣٢)

فتكرارُ لفظِ المسند إليه قد ناسب غرض الدعاء ذلك أنّ التوحيد هو أصل الأصول التي تُبتغى لتثبيتِ الدّين وشرائعه عند العباد، لذلك كرّره الإمام وكرّر معه صفات دالة على التوحيد (الرحمن الرحيم) مشفوعة بمعنى الرحمة والتحنن وهو معنًى ثابت مكتنز في لفظ المسند (رب)، ثم صرّح بالتوحيد في قوله (عليه السلام) (لا اشرك به شيئاً)، فتطابق هذا التخصيص بتكرار المسند إليه بتخصيص المسند بالإضافة ثم بالصّفتين المذكورتين ليناسبَ كلّ ذلك ما صرّح به من غرضِ التوكيد.

النّمطُ الثّاني: المُبتدأ اسم علم ظاهر والخبر مضاف إليه:

قد ورد ذلكَ النّمط مكرّراً في قولِ الإمام الجواد (عليه السّلام)، في العوذة ليوم الثلاثاء: ((كَفَانَا اللهُ، كَفَانَا اللهُ، كَفَانَا اللهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً)) (٣٣).

وقال (عليه السّلام) في خاتمة دعائه في العوذة ليوم الأربعاء: ((هُوَ اللهُ، هُوَ اللهُ، هُوَ اللهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً دَائِماً)) (٣٤)، وقال في عوذة يوم الخميس: ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ، وَأَعُوذُ بِقُدْرَةِ اللهِ وَأَعُوذُ بِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً))(٣٥).

فالتكرارُ في هذه التراكيبِ المتشابهةِ ظاهرٌ في تحقيقِ الغرض من وسيلةِ التخصيص بتعريف المبتدأ والخبر (محمدٌ رسول الله)، فهذا التكرّار اللّفظي يسبق وسيلة التخصيص ليؤذن بأهمية ما سيذكر بعد التّكرار، وقد أوديّ هذا التكرّار بلفظِ الجلالة (الله) وبِنيّ لغوية كاشفة عن معنى التوحيد والقدرة والقوة والمَنعة لدفعِ كيد الشيطان والأعداء، فالتعوّذُ لما في لفظه من معنى القوة يستوجب أن تُذكر معه ألفاظ دالة على ما يستند إليه في دفع الشر ودفع الاستعاذة، و وسيلة التخصيص وردت لمسند إليه (محمّد) وهو أشرف الخلق من الأوليّين والآخرين وأعرف ألفاظ المخلوقات وعلّة العلّل لوجودها وبقائها ودفع الضرر به أمكن في نفس الداعي، إذ هو حبيب الله والمقرب إليه ، وقد خصص خبره (المسند) بصفة الرسالة وقد أُضيفت إلى لفظ الجلالة تشريفاً وتعظيماً لمقامها وهو رسول ذلك الإله الواحد الأحد المخصص لذلك اللّفظ الذي لا يستقيم تشريفه ومقامه الأكبر إلّا به (صلى الله عليه وآله الطاهرين وسلم تسليماً).

النمط الثالث: المبتدأ واحد من الضمائر والخبر معرفة:

فقد ورد لهذا النمط عدّة صورٍ بحسب اختلاف الضمائر المستعملة في المسند إليه واختلاف ألفاظ المسند، ويمكن ذكر هذه الصور على النحو الآتي:

أ. المبتدأ هو الضمير (أنت) والخبر هو لفظ الجلالة (الله)

فقد ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام)في قنوته: ((اللَّهُمَّ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْحَلِيمُ الكَرِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)) (٣٦).

ونجد وسيلة التخصيص هذه (أنت الله) قد تقدمها لفظ دال على التفخيم والتعظيم لما بعدها وهو لفظ المنادى المفخّم (اللهم)، و ورد المسند إليه ضمير المخاطب (أنت)، وهو ضمير منفصل علّل السهيليّ (ت: ٥٨٠ هـ)

دلالة تائه على المخاطب بقوله: ((وكانت التاء من «تفعل» للمخاطب لوجودها في ضميره المستتر فيه، وإن لم تكن في أول لفظ الضمير أعني» أنت» ولكنها في آخره، ولم يخصوا بالدلالة عليه ما هو في أول لفظه – أعني الهمزة – لمشاركته للمتكلم فيها وفي النون، فلم يبق من لفظ الضمير إلا التاء، فجعلوها في أول الفعل علماً عليه، وإيماء إليه)) (٣٧)، ثمّ خصّص هذا الضمير للمخاطب بالمسند هو لفظ الجلالة (الله) الذي أخبر به هن هذا الضمير، فكان تخصيصاً له بأشرفِ الألفاظ تأكيداً على المعنى المُراد في الدُّعاء وهو بيان توحيده (لا إله إلا أنت) وعظيم صفاته وإظهار صفات رحمته (الحليم الكريم) وملكه (العلي العظيم)، وقد تكرّرت هذه البِنيّة نفسها في قوله (عليه السلام): ((أَنْتَ اللهُ لا إلهَ إلّا أَنْتَ)) (٣٨).

ب– المبتدأ هو الضمير (أنت) والخبر معرف بأل دالٌ على الإلوهية:

ورد ذلك في قول الإمام الرضا (عليه السلام) في أول يوم من شهر المحرم: ((اللّهُمَّ أَنْتَ الإلهُ الْقَدِيمُ، وَهذِهِ سَنَةٌ جَديدَةٌ، فَأَسْأَلُكَ فِيهَا الْعِصْمَةَ)) (٣٩)، نجد في ما تقدم مراراً من أن هذه الوسيلة في التخصيص (أَنْتَ الإلهُ الْقَدِيمُ) قد سبقت بلفظٍ دالٍ على التّفخيم والعظمة (اللّهمّ)، وقد خُصّص الضمير للمخاطب (أنت) الواقع في موضع مبتدأ بصفة الإله المعرّف بـ(ال) دالة على اختصاصه به سبحانه، ففي التّعريف إحالة على معهود معلوم بالفطرة قد كُشف عنه بصفة القديم، وهو إزليّ خلق الوجود من العدم، إذ لا إله قبله خالق لإي شيء، وهذه الصفة المخصصة بطرفي الإسناد المسبوقة بما يُظهر العظمة والتفخيم قد وظفت لطلب العصمة في سنة جديدة يتطلع فيها الداعي إلى مرتبة القرب من الله بالابتعاد عن كلّ ما يستدعي إزالة العصمة والتعرض للبعد وفيه المهلكة الكبرى.

ت –المبتدأ هو الضمير (أنت) والخبر هو المعرف بـ(ال) دالّ على صفة من صفاته سبحانه وتعالى:

وهذه الصورة هي الأكثر وروداً في صفحات هذه الجامعة، فقد وردت كثيراً في أدعيتهم (عليهم السلام)، أمّا على جهة ذكر المسند إليه (الضمير أنت) والمسند خبر مفرد، فهو قول الإمام الهاديّ (عليه السلام) في استغاثته لطلب الفرج: ((اللّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ، وَمِنْكَ السَّلامُ، وَإِلَيْكَ يَعُودُ السَّلامُ)) (٤٠).

فقد خصّص المسند إليه المخاطب (أنت) المسبوق بلفظ التفخيم (اللهم)، بمسند معرف بـ(ال) (السلام) وهي صفة دالة على الكمال، بينها العلامة المجلسي بقوله: ((أنت السلام: أي السالم مما يلحق الخلق من العيب والنقص والفناء)) (٤١)، الذي تسلم عبادك من ((البلايا والنقائص)) (٤٢)، الذي يعود إليك منهم ((كلّ ثناء ومدح وتحية وإن توجهت ظاهرا إلى غيرك، أو من جهة العلية ترجع إليك فإنك علة جميع ذلك بواسطة أو بغيرها)) (٤٣).

وقوله (عليه السّلام) في موضع آخر في دعائه لكشف المهمات وطلب الفرج: ((وَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى كَشْفِ مَا بُليتُ بِهِ، وَدَفْعِ مَا وَقَعْتُ فِيهِ)) (٤٤)، فقد قيد المسند إليه وخصصه بصفة القادر وهو((الذي لا يمتنع عليه شيء أراد فعله)) (٤٥)، أو هو ((الذي لا يجوز عليه المنع)) (٤٦)، أو هو ((الذي لا يعجزوه شيء))(٤٧).

فهذهِ الصفةُ المختصةُ استعملهَا الإمامُ (عليه السّلام) في مطلبهِ لكشفِ البلاءِ ودفعِ الابتلاءِ الّذي يقعُ على الإنسانِ وأنْ كانتْ هذهِ القدرة غير مستوجبة عليه سبحانه وتعالى.

وأمّا على جهة أن يكون المسند إليه الضمير (أنت)، والمسند أخباراً مكررة تباعاً فهو قول الإمام الرضا (عليه السّلام) في افتتاح الصلاة بعد التكبيرات: ((اللّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ)) (٤٨).

فقد خُصّص المبتدأ بثلاثة أخبارٍ متوالية مقيّدة للضمير مُبينة لما فيه من إبهام وهي صفات الملك ((هو القادر الواسع القدرة الذي له السياسة والتدبير)) (٤٩)، ثمّ صفة الحق وهو الذي ((أبانَ الحجج والآيات في دار التكليف))(٥٠)، واقترَنتْ صفةُ الحَقّ بصفةِ المبين، قال الرازيّ: ((إنّما سمي بالحق لأنّ عبادته هي الحق دونَ عبادة غيره أو لأنّه الحقّ فيما يأمرُ به دونَ غيره ومعنى المُبين يؤيّد ما قُلنا)) (٥١)،وقيل معنى الحقّ أي ((يبيّن لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا،...، وقيل: سُمّيَ بـ(الحق) ومعناه: الموجود، لأن نقيضه الباطل وهو المعدوم، ومَعنى «المُبين» : المظهر)) (٥٢).

وَقَدْ استعانَ الإمامُ (عليه السّلام) بهذهِ الأخبار الثلاثة المقيدة وما تلاها من ألفاظِ التوحيدِ (لا إله إلا أنت)) والتنزيه

(سُبحانك) والتحميد (وبحمدك)، لبيان أنّه سبحانه هو القادر على غفران الذنوب وتبديل السيئات بالحسناتِ بعدَ أن بيّن للعباد سوء عاقبتها وحذر منها، فالبيان عدلٌ والغفران رحمة ومنّة لا يمنحها إلا القادر عليها، ومن أمثلة تتابع الأخبار أيضاً قول الإمام الجواد (عليه السّلام) في دعائه للاحتراز من المخاوف: ((اللَّهُمَّ أَنْتَ الْوَاحِدُ الْمَلِكُ الدَّيَّانُ يَوْمَ الدِّينِ)) (٥٣).

فالإمامُ (عليه السّلام) يستعينُ بوسيلةِ التخصيص هذهِ بينَ طرقِ الإسناد لغاياتٍ كبرى يبتغيها، فقد استعانَ بالوحدانيّةِ وهي صفةٌ قد استفردَ بِها سبحانهُ، وقدْ قِيْلَ فِي مَعنى الواحد هو: ((الَّذي لاَ شَبيهَ لهُ ولاَ نَظير)) (٥٤)، وَقيلَ فِيهِ هُوَ الَّذي: ((ليس له في الأشياء شبيه، ولا ينقسمُ في وجود ولا عقل ولا وهم)) (٥٥)، وَقَدْ مَرّ آنِفاً تفسير الملك القادر، أمّا الدّيّان فهو: ((القهار المُدَلُّ المُطوّعُ لسائر الموجودات)) (٥٦)، فمجموع هذه الصفات مخصّص لمعنى الوحدانية والقهّاريّة والقيموميّة الشاملة للكون القادر على إجابة الدُّعاء مهما عَظُم.

ومنه أيضاً قول الإمام العسكريّ(عليه السّلام):((وأنتَ الحيُّ القيُّوم)) (٥٧). إذ يستعين الإمام بصفتين من الصفات الإلهية الكبرى لما جلّ وعظمَ من الأمور، قد خصصتا الضمير (أنتَ) الواقعُ مسنداً إليهِ وقيّدتا المعنى الحيّ وهو:((من كان على صفةٍ وجب لأجلها أن يدرك المدركات))(٥٨)، أو هو:((الدائم الحياة بحيث لا يعتريه العدم)) (٥٩)، وتقيّد الضمير (أنت) أيضًا بالقيُّوم وهو: ((وصفٌ يدلُّ على المبالغة والقيام حفظ الشيء وتدبيره والمراقبة عليه والقدرة عليه)) (٦٠).

وورد تكرار الخبرُ أيضًا في دعاء الإمام الهاديّ (عليه السّلام): ((اللّهُمّ أنتَ الوَلِيُّ الحميدُ الغفورُ الودود المبدئ المعيد ذو العرش المجيد والبطش الشديد)) (٦١)، فقدْ قيّدَ المُبتدأ بأكثرِ مِنْ خَبرٍ وَاحدٍ دلالةً على العِنايةِ بِالصفةِ المُخصّصةِ، ذلكَ أنّ التركيبَ قدْ سَبقَ باللّفظِ المُفخّم (اللّهمّ) الدال على شديدِ العِنايةِ بالأمرِ الّذي بعده، فَهُوَ سُبحانهُ الوليُّ الّذي يَتولّى عبادهُ بإحسانه، الحميدُ الّذي يُوصلُ لَهُم أنواعَ رحمته(٦٢)، ومنها غفران الذنوب ومنها أنّه مبدئهم وإليه يعودون وهو القاهر فوقهم ذو القوة المتين الشديد العقاب لمن عصاه، وكلّ هذه الصفات قد قدّمها الإمام الهاديّ (عليه السّلام) يستشفعُ بها ويقدّمها أمامه وبين يدي حاجاته لضمان تحقيقها الذي يستوعب الشكر والاعتراف بالنعمة والرحمة.

وأمّا على جهة أن يكون المسند إليه الضمير (أنت) والمسند أخباراً معطوفة بعضها على بعض، فمِنهُ قولُ الإمام الجواد (عليه السّلام) في دعائه للاحتراز من المخاوف: ((وَأَنْتَ الرَّفِيعُ فِي جَلَالِكَ، وَأَنْتَ الْبَهِيُّ فِي جَمَالِكَ، وَأَنْتَ الْعَظِيمُ فِي قُدْرَتِكَ، وَأَنْتَ الَّذي لا يُدْرِكُكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ الْعَظِيمُ)) (٦٣).

فقد أُخبر عن المُسند إليه بأخبارٍ متعددةٍ معطوفةٍ معرّفةٍ بـ(أل) لغرضِ التخصيص، فالرفيع هو ((عالي الصفات)) (٦٤)، أو هو من رفعة الشأن والسلطان، فقد ترفع عن مستوى الخلق فتغيب عنهم واحتجب عنهم بدرجاتٍ رفيعةٍ ومراحل بعيدة(٦٥).

واحتمل الرازيّ في الرفيع معنيين قال: ((فالرفيعُ إن فسرناه بالمرتفع، كان معناه أنّه أرفع الموجودات وأعلاها في جميع صفات الجلال والإكرام، وإن فسرناه بالرافع، كان معناه أن كل درجة وفضيلة ورحمة ومنقبة حصلت لشيء سواه، فإنما حصلت بإيجاده وتكوينه وفضله ورحمته)) (٦٦).

وبيّن الشيخ ناصر الشيرازيّ أنّ الرفيع صفة للمرتفع وهي:((تشير إلى الصفات العالية الرفيعة لله تعالى، فهو رفيع في علمه، وفي قدرته، وفي جميع أوصافه الكمالية والجمالية، هو تعالى رفيع في أوصافه بحيث إن عقل الإنسان برغم قابليته واستعداده لا يستطيع أن يدركها)) (٦٧).

ممّا تقدم يمكن أن نستعينَ بما ورد من أقوال العلماء في بيان معنى الرفيع في أخبار النص الوارد عن الإمام الجواد (عليه السلام)، فقد تخصّص المسند إليه الضمير(أنت) بصفة الرفيع في قوله(الرفيع في جلاله)، فقد ارتفعت درجات جلاله عن أن يكون له شريك، إذ قد احتجبت أعيان صفاته عن مدارك مخلوقاته، فجل أن يُقرن بالذي صفته

معلومة مدركة بأدنى حسّ.

ثمّ عُطف على هذا الإخبار بجملة تامة موازية للأولى وهي: (وَأَنْتَ الْبَهِيُّ فِي جَمَالِكَ)، فخصص المسند إليه بصفة البهي أي الفائق الحس الذي حُسنه لا يُدرك في صفات الجمال لديه وليس لها حد، وهي تفيض على عباده رحمة ورأفة وتكرّر ثالثاً العطف بجملة (وَأَنْتَ الْعَظِيمُ فِي قُدْرَتِكَ)، فتخصّص المبتدأ الضمير (أنت) بصفة العظيم أي الشديد، القادر الذي لا يعجزه شيء، والعالم الذي لا يُخفى عليه شيء، فلا نهاية لعلمه (٦٨).

وبيّن المفسرون أنّ العظيم هو صفة بمعنى عظيم القدر والخطر والشرف، وأنّه عظيم بحسب مدة الوجود، وذلك لأنّه أزليّ أبديّ، وذلك هو نهاية العظمة والكبرياء في الوجود والبقاء والدوام، وقيل: العظيم الذي قد كمل في عظمته، وفي سلطانه وجلاله (٦٩).

فقد خصّص الإمام (عليه السلام) صفة العظمة في قدرته سبحانه وتعالى التي خلق بها كلّ شيء ولم يعجزه شيء ولا تتفاوت عنده الأشياء، فهو قادرٌ عليها جميعها، ومنها المطلب الذي يطلبه الداعي ويتوسل لتحققه.

ثمّ عُطف على هذه الأخبار المتقدمة جملة من مسند إليه الضمير(أنت) ومسند هو اسم موصول (الذي) وصلته الجملة الفعلية المضارعة الدالة على الاستمرار والتجدد، ففي القدرة على إدراكه قد تخصص بهذا الإسناد الذي عُرف فيه الخبر بصلته الذي ارتبطت بالمبتدأ برابط الضمير (الكاف) في (يدركك) وبعد ذلك ترد جملة معطوفة قد تكررت فيها الأخبار (وَأَنْتَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ الْعَظِيمُ)، وقد خصص فيها المبتدأ بخبرٍ فيه صفة العلي أي ((لا شيء أعلى منه شأناً وأكبر سلطاناً)) (٧٠)، أو هو ((منزّهًا عن صفات النقائص والحاجات)) (٧١)، ثمّ قُرن هذا الخبر بخبرٍ ثانٍ (العلي الكبير) ، وفي ذلك يقول الطاهر ابن عاشور: ((وعلو الله: مستعار للجلال والكمال التام، والكبر: مستعار لتمام القدرة، أي هو العلي الكبير دون الأصنام التي تعبدونها إذ ليس لها كمال ولا قدرة ببرهان المشاهدة)) (٧٢)، ويبين السيد الطباطبائيّ هذا المعنى بقوله: ((المرتفع على كل شيء والمتسلط عليه)) (٧٣).

ثمّ قُرن هذان الخبران بخبرٍ ثالثٍ هو (العظيم) فدل هذا التركيب على أن الضمير (أنت) قد تخصص بأخبار معرفة دالة تمام العلو في الشأن والكبرياء التي لا حد لها والقدرة التي لا توصف وبمثل هذا التخصص يستعين الإمام (عليه السلام) لتمجيد صفات الباري (عزوجل) تثبيتاً لتحقق المطلوب في دعائه، إذ من كان صفاته بهذه الشأنية فالرحمة لا تنفك عنه مهما كان المطلب.

وفي موضع آخر من الصحيفة الرضوية ترد الأخبار معطوفة في دعاء الإمام الجواد (عليه السّلام) في قنوته للإستعداء على الظالمين: ((اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ بِلا أَوَّلِيَّةٍ مَعْدُودَةٍ، وَالْآخِرُ بِلا آخِرِيَّةٍ مَحْدُودَةٍ)) (٧٤).

وفيه نجد الإمام (عليه السلام) يفتتح الدعاء بأداة التفخيم (اللهم)، وقد تكرر ذلك مراراً في أدعيتهم، ثم ترد وسيلة التخصيص بالمسند والمسند إليه، فيتخصّص المبتدأ بصفة (الأول)، ثمّ يعطف عليه بخبرٍ آخر (الآخر) وقد ترك ذكر المسند إليه في جملته لدلالة ما قبله عليه، ولأنّ العطف في مثل ذلك لا يقع إلا بين الجمل بتقدير (أَنْتَ الْأَوَّلُ و أَنْتَ الآخر)، ولعل خير من يوضح معنى هاتين الصفتين هو الإمام الصادق (عليه السلام) حين سُئل عن تفسير قوله تعالى: هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ (سورة الحديد: ٣) قال: ((هو الأول قبل كل شيء وهو الآخر على ما لم يزل ولا تختلف عليه الصفات والأسماء كما تختلف على غيره مثل الإنسان الذي يكون تراباً مرة ومرة لحماً ودماً ومرة رفاتاً ورميماً، وكالبسر الذي يكون مرة بَلَحاً ومرة بسراً ومرة رُطباً ومرة تمراً، فتتبدل عليه الأسماء والصفات، والله عزّ وجلّ بخلاف ذلك)) (٧٥)، ومن كلامه يتضح صحة الجملة الواردة في دعاء الإمام الجواد (عليه السلام): (الْأَوَّلُ بلا أَوَّلِيَّةٍ مَعْدُودَةٍ، وَالْآخِرُ بلا آخِرِيَّةٍ مَحْدُودَةٍ) وفيه أن المسند إليه قد خصّص بمسندٍ معرّف دالٍ على إحاطة وجوده سبحانه بكلّ شيء، فأنّه تعالى ثابتٌ قبل ثبوت كلّ شيء وثابت بعد فناء كلّ شيء وكل الأشياء فانية محدودة إلا هو سبحانه وتعالى.

ب. المبتدأ هو الضمير (أنا)، والخبر مضاف ومضاف إليه:

وعلى هذا النّمط وردَ قول الإمام الهاديّ (عليه السّلام) في دعائه لدفع كيد الأعداء: ((أَنَا عَبْدُكَ وَأَنْتَ رَبِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِإِسَاءَتِي وَاسْتَغْفِرُ إِلَيْكَ مِنْ ذُنُوبِي (فَاغْفِرْ لِي) إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ)) (٧٦).

فالمُسند إليه في النصّ ورد بضميرِ المتكلّم مرّة (أنا) وأخرى بضميرِ المخاطب (أنت)، ثمّ خصّص هذانِ المسندانِ إليهما بخبرينِ معرّفينِ بالإضافةِ إلى ضميرِ الخطابِ (الكاف) مرّة، وأخرى إلى ضميرِ المتكلّم (الياء)، وهي إضافة تشريفية، إذ العبودية لا يستحقّها إلّا مَن كانَ قادراً على تحقيقِ مطالبِ عبادهِ والمتحنّن عليهم بالربوبيّة المُطّلع على جميعِ شؤونهم، فتمتدُّ قدرتُه لتصلحَ ما يفسدونَ من أمورهم .

لذا كانت وسيلة التخصيص بتعريفِ طرفيّ الإسنادِ أداة ناجحة لتحقيقِ مطلبِ الدّعاءِ بغفرانِ الذّنوبِ بعدَ اعترافِ العبدِ بالإساءةِ والاستغفارِ منها، مِصْداقاً لقوله تعالى:(قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ)(سورة الفرقان: ٧٧).

وورد هذا التركيبُ أيضاً مكرّراً معَ زيادةِ أداة الحَصْرِ في قولِ الإمامِ الرضا (عليه السّلام): ((إِنَّمَا أنا عَبدُكَ وفي قَبْضَتِك)) (٧٧)، فقد أُفتتحتْ الجُملة بأداةِ الحَصْرِ (إنّما) المُكوّنة من (إنّ) المشبّه بالفعلِ التي تفيد التوكيد و (ما الزائدة) التي تكفُّ (أن) عن العملِ، فيعبّرَ عنها (كافة ومكفوفة)، ذلك أنَّ الفاصلَ يعزلُ (إنّ) عن اسمِها فلا تباشرهُ لتنصبَ ما كانَ أصلهُ مُبتدأ، لذا يعود أصلهُ إلى المُبتدأ المرفوع بعد أن أُهملت صفة النّسخ في الأداةِ (إنّ) (٧٨) على أنّ دلالتَها على التوكيدِ باقية وأدّت معَ (ما) معنى لا يتحصّل إلا باجتماعِهما وهو الحصر المُفيد لمرتبةٍ عاليةٍ من مراتبِ العنايةِ بالجملةِ اللّاحقةِ التي هي وسيلة من وسائلَ تخصيصِ المُسند بالمُسند إليه (أنا عبدك)، وقد سَبقَ الحديثُ عنها آنفاً.

ت. المبتدأ هو الضمير(هم)، والخبر مضاف ومضاف إليه:

وقد وردَ على هذا النّمط قول الإمام الرضا (عليه السلام) في طلبِ دفعِ الشّدائد: ((اللَّهُمَّ وَهُمْ مَفْزَعِي)) (٧٩).

إنّ هذا التوكيد والتّفخيم الذي يَسْبِقُ وسيلةُ التخصيص قد لاحظناه مِراراً وتكراراً في أدعيةِ الأئمّةِ (عليهم السلام) في الصّحيفةِ الرّضويّة الجامعةِ تهيئةً لِما سَيَرِدُ من مطلبِ قمينٍ يستوجبُ سبقة بأداةِ تجلبُ انتباه المتلّقي، وتكونُ وسيلةَ الدّاعي يُمهّد لها لمطلبه، فلفظُ (اللّهمّ) المُفخّم قد سبق المُسند والمُسند إليه المعرّفين، وقد وردَ المُبتدأ ضَميراً مجموعاً دالاً على الغائبين (هم)، وهو راجعٌ إلى الأئمّةِ (عليهم السلام) الذينَ قدّمهم الدّاعي بينَ يديّ طلبته، فهو ضَميرٌ مُفخّمٌ أيضاً بدلالته على متعلق مسبوق ذكره في طيات فقرات الدعاء، ثم خصص المسند إليه بخبرٍ مضاف إلى ياء المتكلم، فهم (عليهم السلام) المفزع والملجأ والكهف الحصين الذي يضيفه الداعي إلى نفسه تشريفاً لتحقيق غايته لتأخذهم وسيلة لنجاح مطلبه.

ثمّ يُكرّرُ هذا التركيبِ في قولِ الإمامِ الرضا (عليه السّلام) في موضعٍ آخرٍ عندَ دعائهِ عندَ دخولِ الكعبة: ((اللَّهُمَّ هَذَا حَرَمُكَ وَأَمْنُكَ، فَحَرِّمْ لَحْمِي وَدَمِي عَلَى النَّارِ وَأَمِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) (٨٠)

هذه المطالبُ العظيمةُ التي يبتغيها الدّاعي تستوجبُ هذه البِنْية المُفخّمة المُبتدئة بلفظ (اللّهمّ)، وهو نداءٌ خاصٌ به سبحانه فيه من العظمة والكبرياء ما يُعينُ على الاستغاثةِ بحرمه وأمنه، لذلكَ وردتْ وسيلةُ التخصيص.

الهوامش:

١ – يُنظر: أساليب بلاغية، الرفاعي: ١٣٢.
٢– كتاب سيبويه: ١/٢٣.
٣– الأصول في النحو، ابن السراج: ٢/١٢٧.
٤– كتاب سيبويه: ٢/١٢٧.
٥– المصدر نفسه: ١/ ٢٣.
٦– يُنظر: كتاب سيبويه : ١/ ٢٣.
٧– المصدر نفسه: ٢/ ٧٨.
٨– يُنظر: شرح كتاب سيبويه، السيرافي: ١/١٧٣.
٩– البديع في العربية، ابن الأثير: ١/ ٥٨،٥٧.
١٠– شرح ابن عقيل: ١/١٣٨.

١١- المقتضب، المبرّد: ١٢٦/٤.
١٢- المصدر نفسه: ١٢٦/٤.
١٣- الأصول في النحو: ٥/١.
١٤- المفصل في العربية، الزمخشري، ١٩٩٣م: ٤٤
١٥- المقتضب: ٢٣٦/١
١٦- الأصول في النحو: ٢٦٨/١.
١٧- شرح ابن عقيل: ١٤٧/١.
١٨- المصدر نفسه : ١٤٧/١.
١٩- ينظر: الكافية في علم النحو، ابن الحاجب: ٨٨٣/٢.
٢٠- يُنظر: أساليب بلاغية: ١٣٢.
٢١- المصدر نفسه: ١٣٣.
٢٢- يُنظر: المصدر نفسه: ١٣٦.
٢٣- ينظر: دلائل الإعجاز، الجرجاني: ١٨٧-١٧٧.
٢٤- مفتاح العلوم، السّكّاكيّ: ١٧٨.
٢٥- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني: ١٣٠/٢.
٢٦- دلائل الإعجاز: ١٧٧.
٢٧- الصحيفة الرضوية الجامعة، الإصفهاني: ١٤٩.
٢٨- مواهب الرحمن، السبزواريّ: ١٤٤/١٢.
٢٩- ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٦٧/١.
٣٠- التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤٧٢/٢.
٣١- يُنظر: التحرير والتنوير:١٦٧/١.
٣٢- الصحيفة الرضوية الجامعة: ١١٧.
٣٣- المصدر نفسه: ١٤٠.
٣٤- المصدر نفسه: ١٤١.
٣٥- الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٤٢.
٣٦- الصحيفة الرضوية الجامعة: ٩٥.
٣٧- نتائج الفكر، السهيليّ: ٩٢.
٣٨- الصحيفة الرضوية الجامعة: ٣٤٨.
٣٩- المصدر نفسه: ٦٠.
٤٠- الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٨٣.
٤١- بحار الأنوار، المجلسي: ٢٩/٨٣.
٤٢- المصدر نفسه: ٢٩/٨٣.
٤٣- المصدر نفسه: ٢٩/٨٣.
٤٤- الصحيفة الرضوية الجامعة:١٨٣.
٤٥- التبيان في تفسير القرآن: ٤٦٧/١.
٤٦-المصدر نفسه: ١٨٧/٢.
٤٧- مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١٦١/٢.
٤٨- الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٨٣.
٤٩- التبيان في تفسير القرآن: ٣٣/١.
٥٠- المصدر نفسه: ٧/ ٤٣٢.
٥١- مفاتيح الغيب، الفخر الرازي: ٢٣/ ٣٥٤.
٥٢- اللباب في علوم الكتاب، النعماني: ١٤/ ٣٤٠.
٥٣- الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٣١.
٥٤- مجمع البيان: ١/ ٤٥٨.
٥٥- تفسير الصافي، الكاشاني: ٤/ ٣١٤.

٥٦- التحرير والتنوير: ٨/ ٨٩.
٥٧- الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢١٦.
٥٨- التبيان في تفسير القرآن: ٢/ ٣٠٨.
٥٩- التحرير والتنوير: ٣/ ١٨.
٦٠- الميزان في تفسير القرآن: ٢/ ٣٣١.
٦١- الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٠٠.
٦٢- يُنظر: مفاتيح الغيب: ٢٧/ ٦٠٠.
٦٣- الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٣٣.
٦٤- مجمع البيان: ٨/ ٤٣١.
٦٥- يُنظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٧/ ٣١٧.
٦٦- مفاتيح الغيب: ٢٧/ ٤٩٨.
٦٧*- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، مكارم الشيرازي: ١٥/ ٢٢٠.
٦٨- التبيان في تفسير القرآن: ٢/ ٥٣.
٦٩- يُنظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٣/ ٢٧٩.
٧٠- الكشاف، الزمخشري: ٣/ ١٦٨.
٧١- مفاتيح الغيب: ١/ ١٣٥.
٧٢- التحرير والتنوير: ١٧/ ٣١٧.
٧٣- الميزان: ٥/ ١٥١.
٧٤- الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٥٣.
٧٥- تفسير نور الثقلين، الحويزي: ٥/ ٢٣٢.
٧٦- الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٨٩.
٧٧- الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٠٦.
٧٨- يُنظر: النحو الوافي، عباس حسن: ١/ ٦٣٦.
٧٩- الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٩.
٨٠- الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٠٤.

المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم

١. ابن الأثير: (مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت: ٦٠٦ هـ)): البديع في علم العربية، تح: د. فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠ هـ.

٢. ابن السراج: (أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف(ت ٣١٦هـ): الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.

٣. ابن عاشور: (محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ): التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ، الدار التونسية للنشر، تونس،١٩٨٤ هـ.

٤. ابن عقيل: (عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت: ٧٦٩هـ): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ط٢٠، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م.

٥. الإصفهاني: (محمد باقر):الصحيفة الجامعة لأدعية علي بن موسى الرضا وأبنائه الأربعة (عليهم السلام)، تح: مؤسسة الإمام المهدي(عليه السلام)، چاپخانه بزرگ قرآن كريم، ط١، ١٣٧٨هـ.

٦. عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي (ت: ٤٧هـ): دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط٣، ١٩٩٢م.

٧. حسن: عباس (ت ١٣٩٨هـ): النحو الوافي، دار المعارف، ط١٥.

٨. الحويزي: (عبد علي بن جمعة العروسي(ت: ١١١٢هـ): تفسير نور الثقلين، تح: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة إسماعيليان

للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ط٤، ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش.
٩. الرازي: (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت ٦٠٦هـ): مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ.
١٠. الرفاعي: (أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي): أساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة - المعاني، وكالة المطبوعات - الكويت، ط١، ١٩٨٠ م.
١١. الزمخشري: (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)): المفصل في صنعة الإعراب، تح: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣.
١٢. الزمخشري: (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ت: ٥٣٨هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.
١٣. السامرائي: (فاضل صالح): معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٤. السبزواري: (عبد الأعلى الموسوي): مواهب الرحمن في تفسير القرآن، مؤسسة أهل البيت للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان.
١٥. السكاكي: (يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: ٦٢٦هـ)): مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
١٦. سلامة: (إيهاب عبد الحميد عبد الصادق): قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سيبويه، رسالة: دكتوراة، قسم اللغة العربية، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية ، جامعة عين شمس، ٢٠١٦ م.
١٧. السهيلي: (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت: ٥٨١هـ): نتائج الفكر في النّحو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤١٢،١ - ١٩٩٢ م.
١٨. سيبويه: (عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر (ت: ١٨٠هـ)): الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
١٩. الشافعي: (محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت: ٧٣٩هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل، بيروت، ط٣.
٢٠. الشيرازي: (الشيخ ناصر مكارم): الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مصادر التفسير عند الشيعة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
٢١. الطباطبائي: محمد حسين، (ت: ١٤٠٢هـ): تفسير الميزان، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٢٢. الطبرسي: (ت: ٥٤٨ هـ): تفسير مجمع البيان، تح: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان ، ط١، سنة الطبع : ١٤١٥ - ١٩٩٥ م.
٢٣. الطوسي: (أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ، (ت:٤٦٠هـ)): التبيان في تفسير القرآن، تح: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، ط١، رمضان المبارك ١٤٠٩هـ.
٢٤. الفيض الكاشاني: (ت: ١٠٩١هـ)، تفسير الصافي، تح: العلامة الشيخ حسين الأعلمي ، مؤسسة الهادي- قم المقدسة، ط٢، رمضان ١٤١٦ - ١٣٧٤ ش.
٢٥. القرطبي: (أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري): الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
٢٦. المالكي: (ابن الحاجب جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسنوي (ت: ٦٤٦ هـ): الكافية في علم النحو، تح: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١ ، ٢٠١٠م.
٢٧. المبرد: (محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف (ت: ٢٨٥هـ)): المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت.
٢٨. المجلسي: (الشيخ محمّد باقر بن محمّد تقي(ت:١١١١هـ): بحار الأنوار، تح: السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، ط٣، ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م.
٢٩. النعماني: (أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني(ت ٧٧٥هـ)): اللباب في علوم الكتاب، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

فاعلية استراتيجية كيتسو في تحصيل مادة الفيزياء لدى طلاب الصف الرابع العلمي

الباحث: م.م.سعيد لفته كريم
وزارة التربية/المديرية العامة لتربية محافظة النجف الاشرف

المستخلص:
هدف هذا البحث إلى دراسة فاعلية استراتيجية كيتسو في تحسين التحصيل الدراسي في مادة الفيزياء لطلاب الصف الرابع العلمي
من أجل تحقيق هذا الهدف، أُجريت التجربة على عينة عشوائية من طلاب الصف الرابع العلمي في ثانوية الفرسان للبنين، والتي تم اختيارها من بين ٣١ مدرسة إعدادية وثانوية تابعة لمديرية تربية النجف الأشرف. تكونت عينة البحث من ٥٨ طالبًا، بواقع ٢٩ طالبًا لكل مجموعة (تجريبية وضابطة)، وتم تكافؤ المجموعتين لضمان تكافؤ الظروف.
وللتأكد من فرضية البحث، قام الباحث بإعداد اختبار تحصيلي مكون من ٤٠ فقرة في مادة الفيزياء، وتم التحقق من صدق الاختبار وثباته قبل تطبيقه عقب انتهاء التجربة. وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات الاختبار التحصيلي لصالح طلاب المجموعة التجريبية مقارنة بالمجموعة الضابطة وبناءً على هذه النتائج، توصل الباحث إلى أن استراتيجية كيتسو أثبتت فاعليتها في تدريس مادة الفيزياء للصف الرابع العلمي، مما يدل إلى جدوى استخدامها لتحسين تحصيل مادة الفيزياء طلاب الصف الرابع العلمي.
الكلمات المفتاحية: الهدف، التجربة،العينة، الفاعلية.

Abstract:
The research aims to identify the effectiveness of the KITSU Strategy in the Achievement of Physics among Fourth-Grade Science Students .
To achieve the research objective, the experiment was conducted on fourth-grade science students at Al-Fursan Secondary School for Boys as a research sample, which was randomly selected from among 31 middle and secondary schools affiliated with the Najaf Education Directorate. The research sample consisted of 58 students, 29 students in each of the two groups, and both groups were rewarded. To verify the research hypothesis, the researcher prepared an achievement test in physics (40 items). Its validity, reliability, and application were verified after the end of the experiment. The findings revealed statistically significant differences in the average scores of the physics achievement test between the experimental group and the control group, with the experimental group performing better. Based on these results, the researcher confirmed the effectiveness of the Ketsu strategy in teaching physics to fourth-grade students.
Keywords: objective, experiment, sample, effectiveness.

مشكلة البحث:
العملية التعليمية في العراق تعاني العديد من التحديات التي اثرت بشكل سلبي على واقع التدريس بوجه عام, وتدريس الفيزياء بوجه خاص, ومنها ازدياد اعداد الطلبة داخل الصف الدراسي بسبب قلة الأبنية المدرسية وعدم توافر المختبرات, وان توفرت فهي تخلو من الادوات والتجهيزات اللازمة لأجراء التجارب, وظهور جائحة كورونا مما دفعنا الى التعليم الالكتروني دون سابق انذار لتهيئة الظروف المناسبة لذلك, فضلاً عن قلة المدرسين الذين يمتلكون الخبرة

الكافية لتوظيف طرائق تدريس حديثة تساعد الطلبة في تعلم وتحصيل مادة الفيزياء, وتحقيق اهداف تدريس هذه المادة مما اثرت هذه المعوقات سلباً في تدريس مادة الفيزياء.

وخلال عقود طويلة مضت، ساد في مدارسنا نمط معين من التدريس، نمط تدريسي يعتمد على الإلقاء والتلقين والحفظ والاسترجاع. ولعل أحد اسباب شيوع هذا النمط التدريسي في مدارسنا يرجع إلى نظرتنا إلى العلم بشكل عام، ونظرتنا إلى المنهج الدراسي على وجه الخصوص ،فالعلم من وجهة نظر الكثير منا عبارة عن مجموعة من الحقائق والقوانين والنظريات, والمنهج ما هو إلا الموضوعات المقررة بين دفتي الكتاب المدرسي. هذه النظرة القاصرة للعلم والمنهج في الحقيقة لم تؤدي فقط إلى ترسيخ طرائق التدريس المباشر في مدارسنا، بل انها ساهمت وبشكل كبير في تدني مهارات التعلم لدى الطلاب. فأضحى التعلم لدينا مقصوراً على التحصيل الدراسي في أدنى مستوياته. ان الاهتمام بالممارسات التدريسية والتعلمية، من خلال بناء مناهج جديدة تهتم بتدريس الطريقة إضافة إلى تدريس المحتوى، ومحاولة نشر استراتيجيات وطرائق تدريس حديثة، وأيضاً من خلال دمج مهارات التفكير في التدريس، ودمج مهارات التعامل مع التقنية في التدريس, مما يتناسب مع توسع وتنوع اهداف التربية الحديثة من جهة ومع حاجات الطلبة من جهة أخرى بما يمكنهم من تحقيق الأهداف المرجوة من العملية التعليمية

وعليه بات من الضروري السعي لاستراتيجيات ونماذج وطرائق تدريس مبتكرة تساهم في إيجاد حلول فعّالة لهذه التحديات، ومنها التي لم يتم تجريبها على البيئة التعليمية العراقية خصوصاً في تدريس مادة الفيزياء هي استراتيجية كيتسو لغرض التعرف على فاعليتها في تحصيل الطلاب لمادة الفيزياء.

واستناداً إلى خبرة الباحث التي تجاوزت سبعة عشر عامًا في تدريس مادة الفيزياء، بالإضافة إلى النقاشات والمقابلات التي أجراها مع عدد من المتخصصين في مجال طرائق التدريس والمشرفين الاختصاصيين ومدرّسي الفيزياء، تم إعداد استبانة استطلاعية شملت أربعة أسئلة، وُزّعت على ١١ مشرفًا ومدرّسًا لمادة الفيزياء في المدارس الثانوية والإعدادية بمحافظة النجف. وقد أظهرت نتائج الاستبانة أن ٨٢٪ من المشاركين يرون وجود ضعف واضح في مستوى تحصيل الطلاب في مادة الفيزياء، مرجحين ذلك إلى الاعتماد الكبير على الطرائق التقليدية القائمة على أساليب المحاضرة والاستجواب. كما أظهرت الدراسة أن ٧٣٪ منهم لم يسمعوا باستراتيجية كيتسو، بينما أفاد ٢٧ ٪ منهم بأن لديهم معرفة نظرية بهذه الاستراتيجية، إلّا أنهم يواجهون صعوبات في تطبيقها على أرض الواقع نتيجة للظروف والإمكانات المتاحة حاليًا في المدارس و بناءً على هذه المعطيات، يمكن صياغة مشكلة البحث بالسؤال التالي:

ما فاعلية استراتيجية كيتسو في تحصيل مادة الفيزياء لدى طلاب الصف الرابع العلمي؟

اهمية البحث: يمكن ايجاز اهمية البحث بالنقاط الآتية :

١. قد يساعد البحث الحالي المدرسين في توظيف استراتيجية كيتسو لتدريس موضوعات الفيزياء بطريقة اكثر فاعلية .

٢. يعد البحث الحالي اضافة نوعية للادبيات التربوية في محتوى موضوعات مادة الفيزياء للمرحلة الاعدادية وتنظيم مفاهيمهاعلى اسس استراتيجية كيتسو.

٣. يعد البحث الحالي مادة جاهزة يمكن اعتمادها في تدريب مدرسي الفيزياء لتحسين ادائهم التدريسي.

هدف البحث: يهدف البحث الحالي الى التعرف على فاعلية استراتيجية كيتسو في تحصيل مادة الفيزياء لدى طلاب الصف الرابع العلمي وذلك عن طريق الاجابة عن على السؤال التالي :

١. ما فاعلية استراتيجية كيتسو في تحصيل مادة الفيزياء لدى طلاب الصف الرابع العلمي ؟

فرضية البحث : للتحقق من هدف البحث والاجابة عن سؤال البحث وضع الباحث الفرضية الصفرية الاتية:

١. لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين سيدرسون باستخدام استراتيجية كيتسو ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين سيدرسون بالطريقة الاعتيادية في تحصيل مادة الفيزياء.

حدود البحث: يتحدد البحث الحالي بـ :

١. طلاب الرابع العلمي للمدارس الاعدادية والثانوية التابعة للمديرية العامة لتربية النجف الاشرف .

٢. الفصل الدراسي الاول للعام ٢٠٢٤-٢٠٢٥

٣. الاربعة فصول الاولى لكتاب الفيزياء المخصص للصف الرابع العلمي الطبعة الحادية عشرة للعام ٢٠٢١.

مصطلحات البحث:

استراتيجية كيتسو Creative Teaching

عرفها (Tritz ٢٠١٤) «أن استراتيجية الكيتسو أداة مثالية وشاملة وتفاعلية لجمع التغذية الراجعة والبيانات والمعلومات بطريقة فريدة، ولها تأثير إيجابي في اتخاذ القرارات، وتستخدم أيضًا في المتابعة، ورصد النتائج وتقيمها». (Tritz, ٢٠١٤, p:٥٤)

التعريف الاجرائي لاستراتيجية كيتسو

هي مجموعة من الإجراءات التدريسية التفاعلية التعاونية، المخطط لها بشكل متسلسل، وتعتمد أسلوب الحوار والنقاش بين المعلم والطلاب وبين الطلاب أنفسهم، وتتضمن هذه الاستراتيجية مجموعة من الإجراءات التدريسية التي تتحدد في عدة خطوات هي : تهيئة الطلاب ذهنيا ونفسيا بإثارة سؤال، أو مشكلة يمكن حلها ، وتنشيط المعرفة السابقة ذات العلاقة بالموضوع، ، واكتشاف معطيات الفكرة، وبناء التصور الجامع».

التحصيل :

عرفه (التميمي وآخرون،٢٠١٨) بأنّه: «مجموعة المعارف والمهارات المتحصل عليها والتي تم تطويرها خلال المواد الدراسية ، والتي عادة ما تدل عليها درجات الاختبار أو الدرجات التي يخصصها المعلمون أو بالأثنين معاً». (التميمي وآخرون، ٢٠١٨ص ٣٢)

عرفه (اسماعيلي،٢٠١١) بانه : « المجموع العام لدرجات المتعلم التي حصل عليها في اختبار مقنن كنتيجة لتاثير مدخلات معينة تتمثل في المنهاج وطرائق التدريس والوسائل التعليمية .(اسماعيلي ، ٢٠١١، ص٦١).

التعريف الاجرائي للتحصيل بانه : درجات طلاب الصف الرابع العلمي التي يحصلون عليها متمثلاً بمتوسط درجات الاختبار التحصيلي للمجموعتين الضابطة والتجريبية الذي اعده الباحث لهذا الغرض .

اطار نظري:

مقدمة:

ان تحقيق أهداف العملية التعليمية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بقدرات المدرس على مواكبة الأساليب الحديثة في مجال تنظيم الخبرات التعليمية داخل الصفوف الدراسية، بغرض خلق البيئة التعليمية المناسبة التي تساعد على تعليم الطلاب كيف يفكرون؟ لا كيف يحفظون المادة الدراسية، ومن خلال المواقف التعليمية ونتائج التعلم المرتبطة بها تتكون لديهم القدرة على التجديد والابتكار .

ولهذا، لا يتحقق تنمية المهارات لدى الطلاب إلا إذا توافرت لدى المدرس بعض المهارات التي ترتبط باستراتيجية كيتسو، اذ إن المدرس المبتكر هو المفتاح الأساسي في عملية تعليم طلابه القدرات الابتكارية، وعدم امتلاك المدرس حداً أدنى من معامل الابتكار، فقد ينعكس ذلك سلباً- في أثناء الممارسات التدريسية- على الطلاب بصورةعامة، والمبتكرين منهم بصورة خاصة.(السيدعلي,٢٠١٦,ص٧٥).

ان مساعدة الطالب واجب الأسرة والروضة والمدرسة والمؤسسات التربوية هو على إكتشاف الميدان الذي يمكن أن يتعلم فيه ويتفوق به وتوفير الظروف المساعدة على تنمية وتدريب مواهبه لمصلحته وأسرته ومجتمعه ثم زيادة درجة اليقظة لدى الجميع ويضمنهم المدرس نحو البحث عن نوع الموهبة التي يمكن أن يمتلكها كل طالب وإعداد وتقديم البرامج والنشاطات التي تساعده على تنمية تلك الموهبة وهذا يتطلب تحسين وتطوير بيئة التربية والتعليم ومناهج

وأساليب التعلم والتعليم في كل مدرسة وهذا التحسين والتطوير لا يحقق أهدافه من غير مدرسين اكفاء في مادتهم العلمية وثقافتهم التربوية بضمنها ثقافة الأبداع وثقافتهم العامة وانتمائهم الجاد للمهنة في المؤسسات التعليمية المختلفة. (البرقعاوي, ٢٠١٤, ص١٠٧)

اولاً : استراتيجية الكيتسو

تعد استراتيجية الكيتسو (Ketso) من الاستراتيجيات التي نالت اهتماما كبيرا في العملية التعليمية؛ فهي قائمة على مبدأ تقسيم الطلاب إلى مجموعات صغيرة لإنجاز المهمات المشتركة بشكل أفضل من خلال تعاون الطلاب فيما بينهم على أساس العمل الجماعي المشترك، والحوار ، والمناقشة، والتفاعل بين أفراد المجموعة، لتحقيق أهداف تعليمية مشتركة، وتنمية المهارات، وبناء الشخصية المتزنة.

وتعتمد استراتيجية الكيتسو (ketso) على «التعلم بالممارسة» ويحفز ملكية النتائج من خلال عملية التفاعل والمشاركة. وتعتمد الاستراتيجية أيضًا بجانب نظريات التفكير الإبداعي لدي بونو (De Bono) رسم الخرائط الذهنية لبوزان (Buzan) ، وتم استلهام الطبيعة المرئية والطبيعة القابلة للحركة من الذكاءات المتعددة. (Gardner, ٢٠١٥ p:٤١)

واستخدمت تيبيت (Tippett) الكثير من النظريات في التعلم والتعليم، وتعتمد أيضًا على نظريات التفكير لبناء الاستراتيجية، ورفدت العديد من أبحاث ديبونو (De Bono) في التفكير لتصميم الكيتسو (ketso)، وكان في مقدمتها التفكير الجانبي.(De Bono,٣٣:p ,٢٠٠٩).

وقامت تيبيت (Tippett) باستخدام الخرائط الذهنية أو الخارطة العقلية (Mind Map) كأداة في تصميم استراتيجية الكيتسو (ketso) ؛ وذلك بالرجوع إلى أبحاث توني بوزان (Tony Buzan) ، حيث تم تصميم التمثيل الشكلي البصري للأفكار والمصطلحات باستخدام الخرائط الذهنية، وقد شكلت الخرائط وطرق التمثيل البصري دورًا مهمًا وفاعلا في تشكيل جوانب تصميم استراتيجية الكيتسو (ketso) ، وساعدت في تركيب الأفكار وتوليدها وتجسيد تنظيم المعلومات بصريا، ويرجع ذلك إلى المبادئ الأساسية لنظرية جاردنر (Gardner) في الذكاءات المتعددة وأنماط التعلم، وهذا ما استندت إليه تيبيت (Tippett) ،كذلك أفادت استراتيجية الكيتسو (ketso) أيضًا من أنموذج كولب (Kolb) في التعليم التأملي إذ يعد التأمل عملية أساسية من العمليات العقلية. (Njiraini ٦١:p, ٢٠١٥ ;٣٥:p Furlong & Tippett ٢٠١٣).

وأشار الباحثون إلى أن استراتيجية الكيتسو (ketso) تم تطويرها ، وتصميمها على شكل حقيبة أدوات، أو صندوق أدوات الكيتسو (ketso) يتكون محتواه من لوحة كبيرة مقسمة على أربعة أرباع، وعدد من الأوراق الملوّنة قابلة لإعادة الاستخدام يمكن كتابة الأفكار عليها أو رسمها (ثم مسحها لاحقا)، وأغصان على شكل شرائح مرنة تسمح بتشكيل الأغصان بمرونة؛ بالإضافة إلى أقلام للكتابة، وأوراق، وحبر ملوّن، وكل تلك الأدوات في الحقيبة، أو الصندوق (مجموعة أدوات (الكيتسو) جذابة وملموسة، ويمكن تحريكها بكل سهولة .

((Tippett & How , ٢٠١١ :p; ١٢١) (Furlong& Tippett ,٢٠١٣ ,١٦٦:p

وتستخدم استراتيجية الكيتسو (ketso) تشبيه الشجرة؛ إذ يصبح الجذع هو المحور الرئيسي للعمل، والفروع (الأغصان) هي مواضيع مرتبطة بالتركيز الرئيس، ويكتب المشاركون أفكارهم واستفساراتهم ومقترحاتهم على الأوراق، ويضعونها في مكانها الصحيح على مجسم الشجرة. وتعمل استراتيجية الكيتسو (ketso) على تنظيم حوار المجموعة المشاركة ويتم دمج كل المشاركين في عملية توليد الأفكار بشكل مستقل فردي وجماعي، ويُطلب من المشاركين كتابة أفكارهم بشكل فردي على الأوراق الملونة والمرقمة للأشجار ، وبشكل تعاوني يضعونها في مكانها الصحيح على مجسم الشجرة الذي يتشارك به الجميع الذي يعتقدون أنه يمثل نقطة الورقة، وتتيح هذه العملية إمكانية المشاركين جميعًا بتزويد المدخلات،ومن ثم التشارك في مناقشة المدخلات مع الآخرين في المجموعةKetso ٢٠١٩ ;١٨٠:p)

(Tippett & How, ٢٠١١, p:١٥٥)) وبذلك؛ فإن الأفكار تنمو بسرعة باستخدام مجموعة أدوات الكيتسو (Ketso)، ويتم تمكين الجميع من الإسهام بفعالية.

وتسهم مجموعة أدوات استراتيجية الكيتسو (Ketso) في طريقة تشاركية جديدة فاعلة آمنة للمعرفة المشتركة بين الباحثين ومشاركة تجاربهم الخاصة، وطرح الأفكار، واستكشاف آراء الآخرين، وتوضيحها عن طريق التفاعل، والحوار والمناقشة، ومشاركة أصحاب المصلحة والمجتمع الأوسع؛ فورشة العمل كاملة في الحقيبة، وهي أداة فعالة في الاستراتيجية تسمح بالتفكير والعمل معاً.(Tippett & How, ٢٠١١ ,p:٦٦).

وأكدت دراسات متعددة أن استراتيجية الكيتسو (Ketso) طريقة تشاركية فاعلة للمعرفة أسهمت في تصوّر أنواع مختلفة من النقاش، وطرح الأفكار والنظر في عمليات تركيب المعنى، وسمحت للمشاركين بإيجاد مساحة يتشارك فيها الجميع بشكل تعاوني تفاعلي، وتضع خططا مرنية لاقتراح الإجراءات والحلول ضمن بيئة داعمة تسمح لمشاركة التجارب البحثية المختلفة، وإجراء محادثات قيمة، وتشجيع العمل التعاوني، وتقاسم المعرفة، وإعادة بناء الواقع، واستكشاف وجهات النظر والتعلم من بعضهم بعضا، مما يمنح الثقة للمشاركين عن طريق منح المصداقية لمعلوماتهم المختلفة، وأفكارهم وقدراتهم التي دعمت بمعارف الزملاء المشاركين للتوصل إلى روابط جديدة يتم إنتاجها عن طريق التفسير والتحليل المشترك والمتعاون.(Bates, ٢٠١٦ ;p:٨٧).

وجرى تحديد استراتيجية الكيتسو على أنها جزء من البحوث التشاركية الفاعلة، والتي تعد نقطة تحول في الأشكال التقليدية للأبحاث، والابتعاد عن هذا النمط في تلك البحوث ؛ وتعتمد على مبادئ تتمحور حول إنشاء علاقات متعادلة، أو متساوية بين الباحث والمشاركين في الدراسة، وإنتاج المعرفة والعمليات التأملية. (Tritz, ٢٠١٤ ;p:٨٠)

وتوصلت دراسة العباسي(Al Abbasi ٢٠١٧) إلى أن استراتيجية الكيتسو (Ketso) تعتمد على التخطيط الذهني في البحوث النوعية التشاركية، فهي استراتيجية تشاركية تفاعلية ويمكن استخدام استراتيجية الكيتسو (ketso) بما يتجاوز أصولها التشاركية كأداة شاملة لتوليد البيانات في البحث النوعي ,إضافة إلى أنها تنادي بما يُسمّى العلاقات المتكافئة، التي تشتمل على بناء الثقة وخلق بيئة من القوى المشتركة بين المعلم والمتعلمين .(AlAbbasi, ٢٠١٧ ;p٧٧)

وتوصلت نتائج بعض الدراسات إلى أهمية عملية التفاعل والمشاركة في زيادة التحصيل العلمي لدى المتعلمين، وتنمية الدافعية لديهم، وتشجيع التعلم الذاتي، وزيادة الثقة بأنفسهم، وتفعيل دورهم وجعله محوريًا في العملية التعليمية التعلمية، بالإضافة إلى زيادة وتطوير العلاقات الشخصية الإيجابية بين المتعلمين، ضمن عملية التفاهم التي تسمح بإنتاج المعرفة وإعادة بنائها ؛ فالإنتاج المعرفي يعد عنصرًا أساسيًا جديدًا من عناصر استراتيجية الكيتسو (ketso), وأضاف تريتز, أنها فرصة لدمج أصوات الطلبة وآرائهم لمناقشة موضوعات متنوعة ذات أهمية بالنسبة لهم .(Tritz, ٢٠١٤ :p:١١٢).

وأثبتت بعض الدراسات(Bates, ٢٠١٦). فاعلية استراتيجية الكيتسو في اندماج المتعلمين عبر جلسات الحوار والمناقشة، فهي استراتيجية نموذجية من أجل العصف الذهني وتوليد الأفكار الإبداعية؛ بالإضافة إلى أهميتها في رصد الحاجات وتقييم عملية تخطيط البيانات وتنظيمها.

(Bates, ٢٠١٦ ;p:٧٣).

وكشفت دراسة العباسي وستيلما(AlAbbasi & Stelma ٢٠١٨) في دراستهما وجهات نظر جديدة حول التعليم عندما يتم التعبير عن أصوات المعلمين في عملية البحث، وكشفت الدراسة عن آراء ست معلمات في مركز تحفيظ القرآن في السعودية حول استخدام التكنولوجيا في التعليم باستخدام استراتيجية الكيتسو، ويعتمد تصميم الكيتسو (ketso) على استعارة شجرة، ويستخدم مدخلات مكتوبة ومناقشة جماعية، وأظهرت النتائج تمكن

المعلمات من التعبير عن آرائهن باستخدام الاستراتيجية، وأنها ساعدت المعلمات على توسيع آرائهن الفردية الأولية في المحادثة مع الآخرين خلال الحوار والمناقشات، وجعلت المعلمات يركزن على ما هو مهم بالنسبة لهن، إضافة إلى ذلك؛ فإن الهيئة البصرية الملموسة لكيتسو أسهمت في زيادة تركيز المعلمات حول أهم نقاط القوة لديهن، وتجنب تضخيم وجهات النظر أو الآراء غير المهمة.
(AlAbbasi & Stelma ٢٠١٨ ٧٩:p;)

وأشار كريسويل (Creswell, ٢٠٠٣) أن تلك الطريقة في الاكتشاف تشجع الأشخاص المشاركين على التفكير فيما وراء المعرفة، وعلى النظر بعمق في المهارات التي تركز على رفع مستوى الوعي، والتوعية، والمشاركة، والحوار والنقاش، والتفكير الناقد، ويرى أنها طريقة بصرية حسية مرئية، وتضع خططا تعتمد على المجموعات من خلال عملية التفاعل والمشاركة، وتستخدم في البحوث التشاركية؛ لمعرفة آراء المشاركين في الموضوعات وطرق معالجة القضايا المطروحة.(Creswell, ٩٥:p; ٢٠٠٣).

وأكد بيتس (Bates,٢٠١٦) أن الكيتسو استراتيجية تفاعلية ساعدت في دمج المشاركين معا، وذهب إلى أن الاستراتيجية تعد أداة تفكير إبداعية مثالية، وتكشف قيمة الاعتماد على الذات في التقدم الهادف، مع إيلاء اهتمام خاص لدور التفكير النقدي وتكشف قيمة الاعتماد على الذات في التقدم الهادف، مع إيلاء اهتمام خاص لدور التفكير النقدي في تلك العملية، وتسمح بالتركيز على الإدماج وعلى الطرق الفاعلة التي تجعل من المتعلمين قادرين على التعبير عن أنفسهم وعن آرائهم بطرق مريحة والعمل معًا ، وتسمح لهم باختيار الألفاظ المناسبة، وتوفر مساحة للتحدث للمجموعات، وتناول القضايا من خلال الحوار الحر والأساليب التشاركية، فهي الطريقة المفيدة للنظر في الاعتماد على الذات، التي تعالج مخاوف علاقات القوة، ويتم تبادل المعرفة بطريقة تحترم قيم ومصالح الآخرين، ويتم تسهيل ذلك من خلال استخدام أداة المشاركة الإبداعية الكيتسو (ketso).
(Bates, ١٣٣:p;٢٠١٦)

وأشار كيتزينجير (Kitzinger, ١٩٩٥) أنه جرى تشجيع الطلاب على المشاركة والنقاش معا من خلال تكوين المجموعات، بدلًا من طرح الأسئلة بشكل فردي للحصول على الإجابات من كل طالب، وجرى العمل على طرح الأسئلة والإجابة من خلال تشجيع الأشخاص على التحدث مع بعضهم بعضا وتبادل الحكايات والأفكار والآراء والتعليق على تجارب ووجهات نظر بعضهم بعضا ومناقشتها بشكل مشترك، واستكشاف معرفة الناس وخبراتهم.
(Kitzinger, ٥٥:p;١٩٩٥)

وأكد شهروخ (Shahrokh ٢٠١٤,) في دراسته أن استخدام أسلوب معرفة ومشاركة الخبرات وتوضيحها والتواصل بين المشاركين والتحدث عن التجارب الشخصيّة؛ ومشاركة التحديات والحلول في استراتيجية الكيتسو (Ketso) ومكنت المشاركين من تطوير فهم جماعي شامل للموضوع والقضايا المطروحة.(Shahrokh ٢٠١٤, ٨٧:P;).

واستخدمت استراتيجية الكيتسو (ketso) في مجالات مختلفة، وقام الخبراء والباحثون بتوظيفها في توليد رؤى جديدة عند أخذ آراء المشتركين بعين الاعتبار، وإمكانية التأمل الناقد، والإسهام في الحصول على المعلومات والحقائق في مجالات متعدّدة، ومن أجل توليد البيانات، والاندماج في صناعة القرار، وتشجيع التفكير ، وتطوير الأفكار والتخطيط، وإنشاء خطط العمل، والتشاور والتحاور بشكل تفاعلي في التخطيط للمشاريع والبحوث في التعلم والتعليم. وكذلك تطوير عملية التدريب، من خلال عملية التفاعل والمشاركة، ويمكن استخدام هذه الاستراتيجية بوضع خطط مرئية لاقتراح الإجراءات والحلول والأساليب المرتبطة بها في جميع مراحل تطوير البرامج وتطبيقها وتحليلها وتقيمها. (Bates, ٢٠ ١٢٠:P;١٦)

واستنادًا إلى كل ما تقدّم حول استراتيجية الكيتسو (Ketso) يُلاحظ أنها استخدمت أولا لدى سكان الريف

بالتخطيط لتحسين قراهم، وعلى صعيد التعليم جرى بناء استراتيجية الكيتسو (Ketso) بحسب نظريات التفكير المختلفة، وتعتمد استراتيجية الكيتسو (Ketso) التعلم بالممارسة واستخدام الخرائط الذهنية. وقد طورت استراتيجية الكيتسو (Ketso) على شكل حقيبة تعليمية، وأخذت استراتيجية الكيتسو (Ketso) شكل الخريطة التي تمثل شجرة لها جذع تتفرع منه مجموعة أغصان، والتي يجري فيها تنظيم حوار المجموعة المشاركة، وذلك بدمج جميع الأعضاء في عملية توليد الأفكار. وتسهم استراتيجية الكيتسو (Ketso) بعد ذلك في تنمية الدافعية، وتشجيع التعلم الذاتي، وزيادة الثقة بالنفس، وجعل دور الطالب محوريًا في عمليتي التعلم والتعليم، وتطوير العلاقات الإيجابية بين الطلاب، وإنتاج المعرفة وإعادة بنائها، واندماج الطلاب في الحوار، والمناقشة، وتوليد الأفكار الإبداعية. يزاد على ذلك إسهام استراتيجية الكيتسو (Ketso) في لمتابعة، ورصد النتائج وتقيمها، والوصول إلى توليد رؤى جديدة والحصول على معلومات وحقائق في مجالات متعددة.

مراحل استراتيجية كيتسو :تتكون من خمس مراحل هي :

أولاً: مرحلة التمهيد :The Introductory

تبدأ هذه المرحلة بوضع الطلاب في موقف ينطوي على مشكلة لها صلة بالواقع الاجتماعي الذي يعيشون فيه ويتفاعلون معه وفي نفس الوقت يثير اهتمامهم أو د هشتهم أو يثير شعورهم بالاضطراب أو التناقض المعرفي ، ثم يطلب منهم حل هذه المشكلة. ومن خلال إجاباتهم ومناقشتهم يكتشف المعلم ما لدي الطلاب من معرفة أولية سابقة عن موضوع الدرس وقد تكون هذه المعارف وتلك المعلومات بها بعض الغموض أو التصورات الخاطئة عن بعض المعلومات المتضمنة في الدرس . (Bates, ١٧٥:p;٢٠١٦).

ثانياً: مرحلة قراءة الموضوع: The Reading the topic

يقرأ المدرس في هذه المرحلة جزء من الموضوع قراءة جهرية ويطلب منهم ان يقرأ احدهم الجزء الاخر ويقوم الطلاب في هذه المرحلة بالعديد من الأنشطة للإجابة عن تساؤلاتهم وأثناء ذلك يكتشفون أشياء وأفكاراً وعلاقات لم تكن معروفة لهم من قبل ، كما أن هذه الأنشطة تساعدهم علي تذكر الخبرات السابقة وربطها بالخبرات الجديدة ، ويقوم الطلاب بهذه الأنشطة من خلال العمل في مجموعات مما ينمي لديهم مهارات التعاون والاتصال .(AlAbbasi & Stelma, ١٠٠ ;p: ٢٠١٨).

ثالثاً: مرحلة مشاركة النقاش:The Discussion sharing

في هذه المرحلة يعمل الطلاب على عرض الأفكار التي توصلوا اليها في المرحلة السابقة وتكتب على السبورة أو على أي وسيلة عرض أخرى ويتم مناقشتها من قبل المدرس والطلاب معا . ويجب إعطاء الوقت الكافي للطلاب للتفكير وإعداد الإجابات ومن ثم مناقشة الحلول ويطلب منهم عرض ما توصلوا إليه من خلال خبراتهم الاستكشافية التي مروا بها ويتعاون معهم في تنظيم ما تم التوصل إليه بشكل منطقي. ويقوم بمراجعة ونقد الحلول والآراء التي طرحها الطلاب و تصحيحها والتعليق عليها من خلال المعرفة والخبرات السابقة التي تكونت لديهم و يحاول مساعدة الطلاب في التوصل إلي المعلومات والمفاهيم الصحيحة وتعديل تصوراتهم الخاطئة عنها.(Tritz, ٢٠١٤ :p;١١٣).

رابعاً: مرحلة تكوين المجموعات : The Groups formation

حيث يقوم المعلم في هذه المرحلة بتقسيم الطلاب إلى مجموعات صغيرة غير متجانسة في التحصيل (مرتفع، متوسط ، ضعيف) وتقوم كل مجموعة بتنفيذ الأنشطة والمهام الخاصة بها تمهيداً لعمل جلسة حوار عامة مع المعلم تتبادل خلالها المجموعات المعلومات والخبرات و الأفكار التي توصلوا إليها، ويحث المعلم الطلاب بضرورة التعاون والمشاركة في تنفيذ الأنشطة المطلوبة منهم .

يزود الطلاب بالمرحلة الحالية بعدد من الأنشطة ذات العلاقة بالمعرفة الجديدة (المفاهيم المبادئ ، الخ) التي توصل إليها في المرحلة السابقة لغرض الفهم العميق لهذه المعرفة أو نقل أثر التعلم لديهم إلى مواقف جديدة بوساطة تطبيق تلك

المعرفة في حل مشكلات أو قضايا واقعية ذات علاقة بحياتهم العملية أو استخدامها في اتخاذ قرار معين يتعلق بأحدي هذه المشكلات أو القضايا وعادة ما يختار الطلاب نشاطاً منها أو أكثر لممارسته في مجموعات تعاونية ، ويكون دور المعلم في هذه المرحلة شبيها بدوره في مرحلة الاستكشاف (Tippett & How ٢٠١١ ,p:١٤٣).

خامساً: مرحلة التقويم : Evaluation

يتم في هذه المرحلة تقويم النتائج المتباينة لطلاب المجموعات وفق أسلوب التقويم الوقعي ، ومن خصائص هذا الأسلوب :

١ـ أنه يصاحب عادة عملية التعلم والتدريس وليس منفصلاً عنهما ، بمعني أنه يتم تقويم آني يستمر طوال تدريس الموضوع .

٢ـ يحتاج الطلبة القيام بأداء مواقف واقعية أو حل إشكاليات لها قيم بمعيشتهم الفعلية ولها مغزى .

٣ـ قد يتم أداء هذه المهام أو هذه المشكلات بشكل تعاوني أي يتم التعلم في صورة مجموعات صغيرة .

٤ـ تدلنا نتائج التقويم علي مدي فهم الطلاب لما تعلموه ومدي قدرتهم علي توظيف المعرفة بشكل نشط في حياتهم العملية .

٥ـ يطبق التقويم في صور مختلفة منها :

(أ) تصميم خرائط معرفية .

(ب) تقييم الأداء تقييم الأداء العملي أثناء تنفيذ الأنشطة والمهام التعليمية.

(ج) التقييم بملفات التعلم : وهي ملفات خاصة بأداء كل طالب علي حده تتضمن كل المهام والأنشطة التعليمية التي قام بها أثناء التعلم .(Gardner, ٢٠١٥ p: ٩٩).

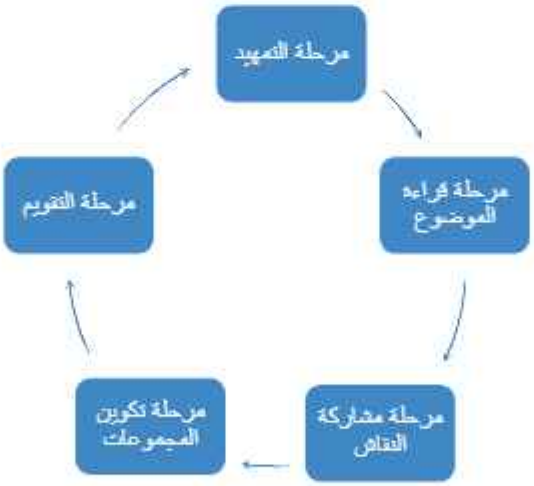

رابعاً:التحصيل الدراسي : Academic achievement

١ – مفهومه :

تأتي أهمية الاختبارات للبحث العلمي في المجالين التربوي والنفسي من كونها أكثر أدواته الأخرى دقة وموضوعية، ومن هذا المنطلق فإن بعض المتخصصين يصف هذه الأدوات بأنها أدوات قياس والأخرى أدوات أو وسائل تقدير، ويسميها بعضهم وسائل اختبارية مقارنة بالوسائل الاختبارية الأخرى (وسائل تقدير) حيث تظهر الحاجة إلى استخدام الاختبار كونه أداة لجمع البيانات عن الظاهرة محل الدراسة عندما يرغب الباحث في تقدير خواص الظاهرة تقديرا كميا، كالرغبة في التقدير الكمي للقدرة على التذكر، أو تقدير مستوى التحصيل الدراسي في مادة دراسية، أو عند الرغبة في تحديد خصائص الشخصية، ونحو ذلك. فالاختبار أداة لتقدير أداء أو خصائص المبحوثين والاختبار مجموعة من المثيرات أسئلة شفهية أو كتابية أو صور أو رسوم أعدت لتقيس بطريقة كميةأو كيفية

سلوكاً أو أداء.(العبادي ،٢٠٢٢، ص ٢٤٢).

يمثل التحصيل الدراسي جزء مهم في حياة الطلاب ، فله دور فاعل في المستقبل الوظيفي لذا فأن الوصول إلى مستوى عالي في التحصيل الدراسي اصبح يقع ضمن أولويات الطلبة وأولياء أمورهم ، ونظراً لأهمية التحصيل اهتمت به المؤسسات التربوية في بلدان العالم لأنه دليل على مدى تقدمها وتحقيقها للاهداف التربوية لأنه يعكس ما تسعى اليه هذه المؤسسات من نتاجات تعليمية كما ويدل على قدرتها وكفايتها في بلوغ الأهداف ، وهو يشمل أكتساب الطلبة المعرفة والمهارات وعمليات الفكر والوجدان وهي عوامل مهمة في تكوين شخصية الطلبة.(اسماعيلي ,٢٠١١,ص١٥)

٢-اهداف التحصيل الدراسي :

١-تقييم الطلاب، ثم توجيههم إلى فصول دراسية مختلفة.

٢-تحديد التخصص الذي يلائم مستوى الطالب لينتقل اليه في المرحلة التالية.

٣-التعرف على قدرات الطالب ومواهبه الفردية.

٤-تحديد النتيجة التي تمكن المتعلم من الانتقال إلى مرحلة اعلى.

٥-اعداد ووضع مقاييس عملية لكل قسم بحيث لا ينتقل الطالب من قسم الى اخر إلى الا بعد وصوله المستوى المطلوب . (West Pennell, ٢٠٠٣:١٢٧).

ولمعرفة مدى تحقق هدف الوصول للتحصيل الدراسي المطلوب والمرغوب فيه كان لابد من استخدام أساليب ووسائل توضح حجم ما حصل عليه او اكتسبه كل طالب من معلومات ومعارف ومهارات، وكان ذلك سبب في ظهور الاختبارات التحصيلية والتي تعد مقياس للكشف عن أثر التعلم، يتم اعدادها من قبل المعلم من واقع المواد التي درسها الطالب بالفعل، وعليه تعرف الاختبارات التحصيلية على انها الأداة التي تستخدم لقياس مدى فهم وتحصيل المواد العلمية مثلاً.(ربيع، ٢٠١٠,ص١٥٣).

٣-العوامل المؤثرة في التحصيل الدراسي :

تقسم العوامل المؤثرة في التحصيل الدراسي للطالب على قسمين:

أولاً: عوامل تربوية : عوامل متعلقة بالعملية التعليمية وهي :

عوامل تتعلق بالمدرس : مثل طرائق التدريس والانشطة التي يستعملها المدرس ، الى جانب مراعاته الفروق الفردية بين الطلبة، وأسلوبه في التعامل معهم.

عوامل تتعلق بالمدرسة : تشمل ، ادارة المدرسة والامكانات المدرسية وتوفير الكتب والوسائل التعليمية وغيرها.

ثانياً: عوامل شخصية : تشمل أسرة الطالب وطبيعة مجتمعه الذي يعيش فيه ، وعوامل صحية تشمل صحة الطالب من الناحية العضوية والنفسية، ومدى قدرته العقلية وميوله واتجاهاته وثقته بنفسه .(نصر الله، ٢٠١٠,ص١٢)

اجراءات البحث ومستلزماته

اتبع الباحث الاجراءات التالية للتحقق فرضية البحث :

أولاً: منهج البحث

من اجل تحقيق هدف البحث اعتمد الباحث التصميم التجريبي الذي يتالف من مجموعتين متكافئتين(المجموعة التجريبية والمجموعةالضابطة) ، والتجريبية هي المجموعة التي طلابها يتعرضون للمتغير المستقل (استراتيجية كيتسو) ، والمجموعة الضابطة هي المجموعة التي يدرس طلابها بالطريقة الاعتيادية، والتحصيل في مادة الفيزياء هو المتغير التابع الذي يقاس بواسطة الاختبار أعده الباحث لأغراض البحث الحالي للتعرف على فاعلية المتغير المستقل فيه.

ثانيا: مجتمع وعينة البحث

تحدد مجتمع البحث الحالي بطلاب الصف الرابع العلمي في المدارس الاعدادية والثانوية النهارية الحكومية في مركز محافظة النجف الاشرف للعام الدراسي (٢٠٢٤-٢٠٢٥) والبالغ عددها (٣١) مدرسة حسب إحصائيات مديرية

التخطيط التابعة للمديرية العامة لتربية النجف الاشرف ، اذ اختار الباحث بشكل عشوائي(بالقرعة) من بين المدارس الثانوية و الاعدادية والتي تحتوي على شعب اربع صف الرابع العلمي ، ووقع الاختيارعلى شعبتين منها عشوائيا (بالقرعة) لتمثل المجموعة التجريبية شعبة (ج) والمجموعة الضابطة شعبة (أ) ، وتم استبعاد الطلاب الراسبين جميعهم لانهم سبق ان درسوا نفس المواضيع وهذا قد يكون له تأثير سلبي أو إيجابي في النتائج ، حيث بلغ عددهم خمسة طلاب ، ثلاثة طلاب في شعبة (أ) و طالبين في شعبة (ج) وبذلك يكون مجموع الطلاب الكلي الذين يخضعون للتجربة (٥٨) طالباً في مجموعتي البحث ، (٢٩) طالباً يمثلون المجموعة التجريبية و(٢٩) طالباً يمثلون المجموعة الضابطة.

ثالثاً: تكافؤ مجموعتي البحث:

تم تكافؤ المجموعتين في متغيرات (العمر بالأشهر ، الذكاء ، والمعلومات السابقة في الفيزياء) و حسبت **t-test** اذ كانت النتائج غير دالة إحصائيا، كما في جدول رقم (١)

جدول (١) نتائج **t-test** لتكافؤ مجموعتي الدراسة

التكافؤ	المجموعة	عدد طلاب العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	T المحسوبة	T الجدولية	الدلالة الإحصائية عند مستوى (٠,٠٥)
العمر (بالأشهر)	التجريبية	٢٩	١٩٢,١٠	٣,٠٤	٥٦	١,١١	٢,٠٢	غير دالة
	الضابطة	٢٩	١٩٢,٩٣	٢,٦٢				
الذكاء	التجريبية	٢٩	٣٥,٩٣	٧,٣٨	٥٦	١,٢٤	٢,٠٢	غير دالة احصائيا
	الضابطة	٢٩	٣٣,٤٨	٧,٦٩				
التحصيل السابق	التجريبية	٢٩	٦٢,٨٣	٥,٩٦	٥٦	٠,٩٨	٢,٠٢	غير دالة احصائيا
	الضابطة	٢٩	٦٤,٥٥	٦,٣٦				
المعلومات السابقة	التجريبية	٢٩	١٣,١٧	٢,٨٠	٥٦	١,٢٦	٢,٠٢	غير دالة احصائيا
	الضابطة	٢٩	١٢,٣٢	٢,٩٨				

رابعا: اداة البحث

يتكون الاختبار التحصيلي بصيغته النهائية الذي اعده الباحث في مادة الفيزياء من (٤٠ فقرة) وتم التحقق من صدقه وثباته وتطبيقه بعد نهاية التجربة .واستخدام البرنامج الإحصائي **SPSS** وبرنامج **Excel** لحساب **t-test** لعينتين مستقلتين ، مربع كاي ، معامل ارتباط بيرسون ، معامل صعوبة الفقرات ، معامل التمييز ، فعالية البدائل الخاطئة ومعامل ألفا كرونباخ ، ٢ .

خامسا :إعداد الخطط التدريسية اليومية

تم إعداد (٣٦) خطة تدريسية لكل مجموعة(التجريبية والضابطة) في ضوء محتوى الفصول الأربعة من كتاب الفيزياء المقرر تدريسه لطلبة الصف الرابع العلمي للعام الدراسي (٢٠٢٤– ٢٠٢٥) والأغراض السلوكية ، اذ تضمنت خطة المجموعة التجريبية عرض المادة وإجراء التجارب وفق استراتيجية كيتسو، فقد احتوت الخطط التدريسية التي تخص المجموعة الضابطة والتي درس طلابها وفق الطريقة الاعتيادية على مفردات الخطة التدريسية اليومية ، تم عرض نموذج من كل منها على مجموعة من المحكمين والمتخصصين في الفيزياء وطرائق التدريس للتأكد من صلاحية الخطط التدريسية ، وقد تم تعديلها في ضوء آرائهم لتأخذ صيغتها النهائية.

خامسا: تطبيق التجربة

درس طلاب المجموعة التجريبية الفصول الاربعة الاولى (الاول والثاني والثالث والرابع) من كتاب الفيزياء للصف الرابع العلمي لمدة اثنا عشر اسبوع بواقع ثلاث حصص أسبوعيا وفق استراتيجية كيتسو ودرس طلاب المجموعة الضابطة

نفس المادة مع نفس المدرس والمكان والمدّة الزمنية ولكن بالطريقة الاعتيادية .

عرض نتائج البحث وتفسيرها

أولاً: للتحقق من الفرضية الصفرية التي نصت على :

١. ليس هناك فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب المجموعتين المجموعة التجريبية الذين درسوا باستخدام استراتيجية كيتسو ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا بالطريقة الاعتيادية في تحصيل مادة الفيزياء .

وللتحقق من صحة الفرضية قام الباحث بحساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لدرجات الطلاب المجموعتين (التجريبي والضابطة) في الاختبار التحصيلي كما في الجدول رقم(٢)

اذ أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات الاختبار التحصيلي للفيزياء بين طلاب المجموعة التجريبية وطلاب المجموعة الضابطة ولصالح طلاب المجموعة التجريبية، اذ بلغ متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية (٢٨,٧٢) درجة بانحراف معياري مقداره (٣,٧٢) ، في حين بلغ متوسط درجات الطلاب للمجموعة الضابطة (٢٥,٤١) وبانحراف معياري يصل الى (٤,٢٣)، وباستعمال t-test لعينتين المستقلتين ، ظهر أن الفرق بينهما دالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥)، حيث كانت القيمة التائية المحسوبة (٣,١٧) وهي بذلك اكبر من القيمة التائية الجدولية (٢,٠٠) وبدرجة حرية (٥٦) وكما مبين في الجدول (٢)

جدول (٢) نتائج t-test لمعرفة دلالة الفرق بين متوسطي درجات المجموعتين التجريبية والضابطة في اختبارالتحصيل لمادة الفيزياء

المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة t المحسوبة	قيمة t الجدولية
التجريبية	٢٩	٧٢،٢٨	٧٢،٣	٥٦	١٧،٣	٢,٠٠
الضابطة	٢٩	٤١،٢٥	٢٣،٤			

ولذلك لاتقبل الفرضية الصفرية الاولى وتقبل الفرضية البديلة، وهذا يعني تفوق طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا باستخدام استراتيجية كيتسو على طلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا بالطريقة الاعتيادية في تحصيل مادة الفيزياء .

الاستنتاج:

يعد البحث هذا هو النتيجة من استخدام استراتيجية كيتسو واستنتج الباحث فعالية استراتيجية كيتسو في تحصيل مادة الفيزياء لدى طلاب الصف الرابع العلمي .

التوصيات:

وبناءاً على ما اسفرت عليه نتائج البحث واستنتاجاته يوصي الباحث:

١. ضرورة ان يستخدم مدرسي ومدرسات المرحلة الثانوية لمادة الفيزياء استراتيجيات تدريسية فعالة وبالذات استراتيجية كيتسو التي ثبتت فاعليتها من خلال البحث.

٢. اجراء دورات تدريبية لمدرسي ومدرسات مادة الفيزياء وتدريبهم على استخدام استراتيجية كيتسو اثناء التدريس وجعلهم قادرين على تطبيقه بالإمكانات المتوافرة.

المقترحات:

يقترح الباحث استكمالاً لهذا البحث:

١. اجراء دراسات تستخدم استراتيجية كيتسو في تدريس باقي المواد الدراسية .

٢. إجراء بحوث أخرى لمعرفة فاعلية استراتيجية كيتسو في متغيرات أخرى , مثل

(التفكير المنطقي ، الكفاءة الذاتية ، الدافعية العقلية).

المصادر:

١ . اسماعيلي, يامنه عبدالقادر . (٢٠١١) . انماط التفكير ومستويات التحصيل الدراسي. عمان : دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.
٢ . البرقعاوي,جلال عزيز فرمان.(٢٠١٤). التفكير الابداعي علم وفن. عمان: دار الرضوان للنشر والتوزيع.(بابل العراق, دار العلامة الحلي للنشر والتوزيع)
٣. السيدعلي, محمد.(٢٠١٦). قضايا ومشكلات معاصرة في المناهج وطرق التدريس(ط٢).عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
٤ . ربيع, هادي مشعان ,واحمد ,ختام اسماعيل(٢٠١٠):القياس والتقويم في التربية والتعليم ,دار زهران للنشر والتوزيع
٥. نصر الله، عمر عبد الرحيم (٢٠١٠): تدني مستوى التحصيل والإنجاز المدرسي، ط٢، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.

المصادر الاجنبية:

1. AlAbbasi, D. & Stelma, J. (2018). Using Ketso in Qualitative Research With Female Saudi Teachers. Forum Qualitative Sozialforschung, Forum: Qualitative Social Research, 19(2), http://dx.doi.org/10.17169/fqs-19.2.2930.
2. Alabbasi, D. (2017). The Experiences of Saudi Female Teachers Using Technology in Primary Schools in Saudi Arabia [PhD Thesis]. University of Manchester, UK.
3. Bates, J. (2016). Ketso: A New Tool for Extension Professionals. Journal of Extension, 54(1), Available at: https://joe.org/joe/2016 february/t6.php
4. Creswell, J. (2003). Research design: Qualitative, quantitative, and mixed method approaches. Thousand Oaks, Calif: Sage Publications.
5. De Bono, E. (2009). Lateral Thinking: A Textbook of Creativity. London: Penguin
6. Furlong, C., & Tippett, J. (2013). Returning knowledge to the community: an innovative approach to sharing knowledge about drinking water practices in a peri-urban community. Journal of Water, Sanitation and Hygiene for Development, 3(4), 629-637.
7. Johnson, D., & Johnson, R. (1999). Learning together and alone: Cooperative, competitive, and individualistic learning. Boston: Allyn & Bacon.
8. Ketso, (2019) Examples and Case Studies, last accessed: 10.12.2021 www.ketso.com.
9. Kitsinger, J. (1995). Qualitative research: Introducing focus groups. British Medical Journal, (311), 299-302.
10. Maguire, P. (2000). Doing participatory research: A feminist approach. Amherst: The Center for International Education.
11. McIntosh, A., & Cockburn-Wootten, C. (2016). Using Ketso for engaged tourism scholarship. Annals of Tourism Research, 56(1), 148-151.
12. Njiraini, N. (2015) Exploring the Importance of Critical Thinking in Creating Capabilities for Self-reliance in International Community Development:
13. Shahrokh, T. (2014). Knowledge from the margins: An anthology from a global network on participatory practice and policy influence, Availableat:
14. Tippett, J., & How, F. (2011). Ketso Guide. Manchester, UK: Ketso Ltd.
15. Tritz, J. (2014). Participatory research: A tool for Extension educators. Journal of Extension, 52(4), Available at: https://www.joc.org/joc/2014 august/tt5.php.

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

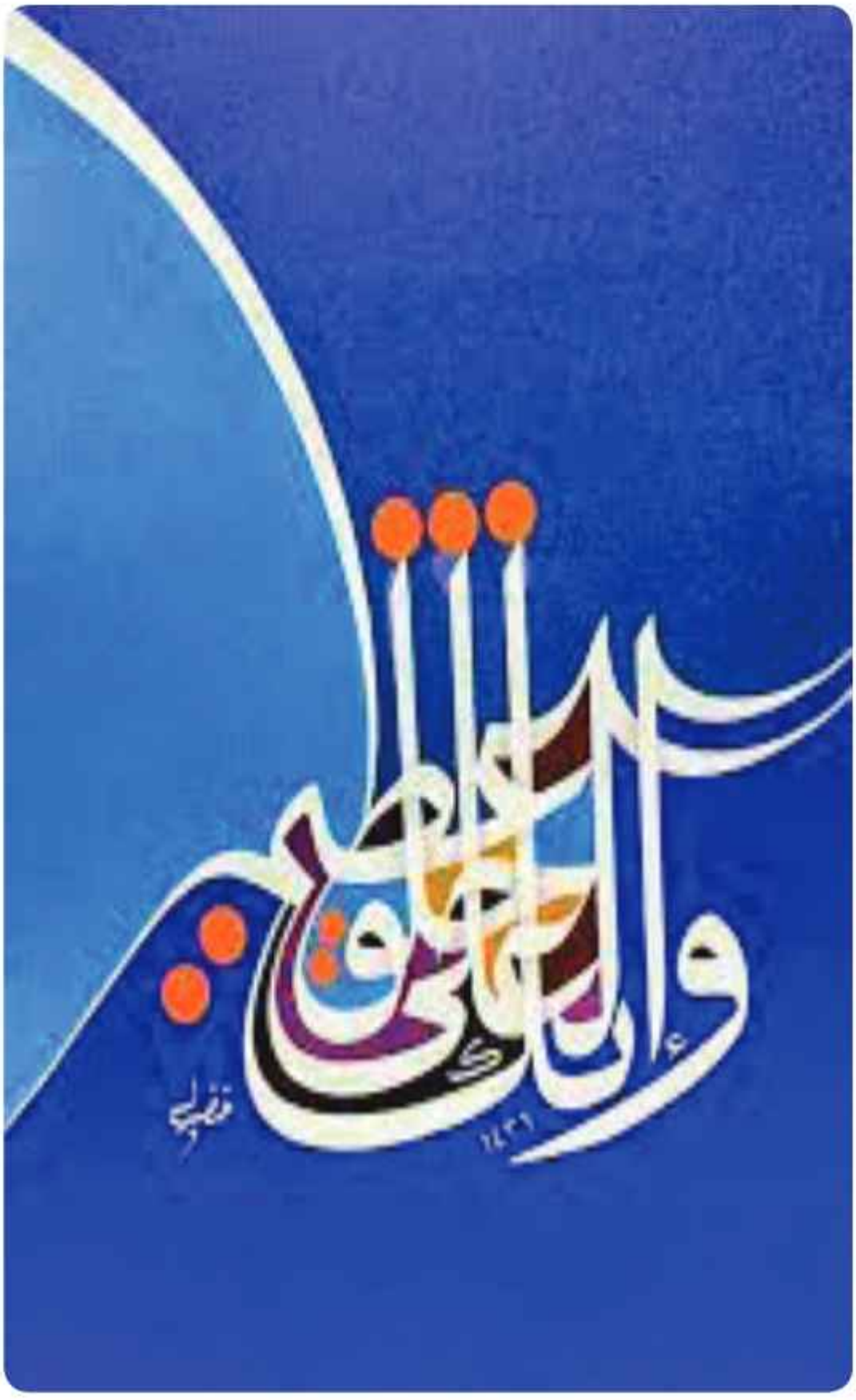

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

أثر النساء الطبيبات في حضارة بلاد المغرب والاندلس

م. م. زمزم محمد صبار
الجامعة المستنصرية/ عمادة كلية الآداب

المستخلص:
يعتبر علم الطب وما يلحق به من العلوم الأخرى من أبرز العلوم التي حازت على اهتمام العلماء آنذاك وان الطب يأتي في مقدمة العلوم التجريبية من حيث النشاط ووفرة الإنتاج العلمي في الأندلس وكان الاندلسيون يعولون في دراستهم على الكتب المترجمة من كتب النصارى ويقال له البريشم اي الجامع ومعناها الجموع وكان النصارى يتطببون ولم تكن لهم بصيرة بصناعة الطب وقد أخذ الطب يزدهر أثناء خلافة بن أمية في عهد عبد الرحمن الداخل وعهد عبد الرحمن الناصر حيث اهتموا بالعلم والعلماء والترجمه
الكلمات المفتاحية: الطبيبات، القابلة، الثقافية

Abstract:
Medicine, along with its related sciences, was among the most prominent fields that captured the interest of scholars at the time. It held a distinguished position among the experimental sciences in Al-Andalus due to its extensive activity and the abundance of scientific production. Andalusians relied on translated books from Christian sources, which were referred to as «Al-Barishm,» meaning «the compendium» or «the collections.» Although Christians practiced medicine, they lacked profound expertise in the field. Medicine began to flourish during the Umayyad Caliphate, particularly under the rule of Abd al-Rahman I and Abd al-Rahman III, as they devoted great attention to knowledge, scholars, and translation, contributing significantly to the advancement and prosperity of medicine.
Keywords: Women Physicians, Midwifery, Culture

• مقدمة للطب:
لعلم الطب تاريخه مثلما لكل الناس تاريخهم فانه لا يفهم او لا يمكن ان يفهم حاضر الناس الا بعد الوقوف على معرفه ماضيهم فيعد الطب من ابرز العلوم التطبيقية والتجريبية فالمغرب والاندلس في عصر الاسلامي شهد ازدهار علميا وثقافيا وللطب نصيب من هذا التطور فكان الطب التقليدي في المغرب المأخوذ من العلوم الإغريقية والعربية مكانه كبيره ومن المؤسسات التعليمية جامعه القرويين في فاس .

اما في الاندلس فاصبح الطب من ابرز العلوم التي ازدهرت بفضل الانفتاح الثقافي والاحتكاك بالحضارات والمصاهرات بين الاجانب والعرب وظهرت اسماء بارزه في الطب مثل ابن زهر واسرته العريقة التي انجبت عددا كبيرا من الاطباء وكني افرادها جميعا بابن زهر ويعدون من نبلاء العرب الذين اشتهروا بالجاه والطب بين القرنين الخامس والسابع للهجرة (العزاوي ٦)

• اسهامات المرآة في المغرب والاندلس:
انحصر عمل المرآه بالقيام بالشؤون المنزلية وفي الاوساط الحضرية لها دور اقتصادي اشتغلت بالغزل والنسيج حتى اعجب احد الجغرافيين بعملها في سوس وكذلك بعض النساء ساهمت في تربية دود الحرير وفي الاسر البدوية ساهمت مع زوجها في الميدان الزراعي واحتطاب الحطب في الغابة وساهمن في بيع المنتجات والسلع كالبن وعرفت النساء بالغزل وعرف هنالك سوق الغزل فالمرة ساهمت في الحياة الاجتماعية السياسية و الثقافية و تلقت الكثير من العلوم والمعرفة واشتغلت في الطب وبرزت في العلوم الطبية فام عمر بنت ابي مروان بن زهر فهي ماهرة في التدبير

و العلاج وتزور قصور الأمراء وتنظر في علاج امراض نسائهم واطفالهم وكذلك اخت ابي بكر بن زهر واشتهرت بخبرتها في معالجة النساء وبعضهن شاركت في الاعمال الخيرية فملخص ذلك ان وضعية المرة داخل الاسرة تباينت حسب الوضع المادي للعائلات منها ضلت سجينة البيت في الاسر الفقيرة اما في العائلات الميسرة فلها الحرية الواسعة وشاركت في الكثير من الحالات كالثقافة وغيرها (بوتشيش ٤٥-٥٥)

شهد المغرب والاندلس ظهور بارز للمرآه في مجال الطب وعملت في مجالات التوليد والجراحة والعناية بالجروح وتقديم العلاجات التقليدية والاعشاب الطبية و الاندلس كانت مركزا للعلم والمعرفة فالمرآه من الطبيعي ان تشارك في هذه المجال ومن النساء التي تفوقن بعلم الطب وصناعته ونالن شهره عظيمه بالطب منهن زينب طبيبة بني هود و رفيده الاسلميه و كعيبة بنت سعد الاسلمية و ام الحسن بنت القاضي الطنجالي (العزاوي ٤٠٣)

وأيضا عائشة بنت الجيار التي برزت في المغرب بحكم المرينيون واضافة لنساء بيت ابن زهر تفوقت في مجال الطب جاريه ابن هذيل برعت في تشريح الاعضاء الباطنية وكذلك نفس الشأن ام الحسن بنت القاضي ابي جعفر الطنجالي التي درسها والدها الطب وكذلك ظهرت احدى الوافدات ساره الحلبية كأديبة وطبيبه ام عمرو متخصصة في القبالة وعلل النساء هي وابنتها(عيسى ٥٣)

اهتم الطب الاسلامي في القرون الوسطى بطب النساء فقاموا الاطباء بتعلم القابلات طرق فحص النساء ومعالجتهم وهذا ما قاله الرازي ((اذا رأيت احتباس الطمث فقل للقابلة ان تجس عنق الرحم)) (حسين ١٥١)

ومن النساء التي اشتهرت هي اخت الحفيد ابن زهر الاندلسي وابنتها اللتان كانتا تطيبان نساء المنصور بن ابي عامر واهله وكانوا بدراية واسعه بالعديد من الامراض النسائية وطرق علاجها

وساهمت المرآه الأندلسية بالاهتمام بالمرضى فنجد السيدة عجب ايام الحكم بن هشام الربضي(١٨٠ – ٢٦٠ هـ) تقوم ببناء مصحه او منيه عرفت بمنيه عجب وجعلتها للمرضى (بعيون ١٧٣)

الطبيب الحفيد ابو بكر بن زهر حيث كان وزير المنصور عبد الرحمن بن يوجان يعادي الحفيد ابا بكر بن زهر ويحسده لعلو منزلته وعلمه فدس له السم في البيض مع احد من كان عند الحفيد وكانت مع اخته وابنتها اللتان كانتا عاملتان بصناعه الطب والمداواة ولهم خبره جيده بمداواة النساء فلما أكل الحفيد من البيض وبنت اخته توفيا ولم ينفع لهما علاج وعبد الرحمن بن يوجان وزير المنصور مات مقتولا (اصيبعة ٥٢٤)

وتكشف الدراسة ان المرآه في بلاد المغرب والاندلس انبثقت جدارتها في مجال الطب ولهن شهره واسعه ومكان عالية وحظين بمكانه مرموقة لدى الخلفاء مثل شقيقه ابن زهر وابنتها كانتا عاملتين بصناعه الطب والمداواة

• مكانة المرآه في حضارتي المغرب والاندلس

كان الفتح الاسلامي ظاهره جديده وحدث حضاري لامتزاج الحضارة الرومانية القوطية مع الحضارة العربية الإسلامية واصبح هذا الامتزاج من خلال المصاهرة لتزوج العرب من نساء اسبانيات وهذه الظاهرة شجعت العديد من القادة بعد تطور الطب (ابن عذاري ٢٢٣)

وسبب تطور الطب في الاندلس لإلمامهم بجميع العلوم وخصوصا اللغة العربية ونشاط الرحلات الفكرية والعلمية بين المشرق والاندلس (اصيبعة ٤٩٠)

فالرحلات العلمية من اهم العوامل التي حفزت النشاط العلمي وكمية الرحلات المبعوثة والوافدة من المشرق والمغرب للأندلس واثراء المكتبة الأندلسية بالكتب المشرقية وهذا ما اقوى الأندلسيين وزاد من توعيتهم فقاموا بشرح كتب المشارق والرد عليها وتلخيصها والدخول بمرحله التأليف حتى تفوقوا على المشارق في بعض العلوم (البير ٢٩).

من العوامل الاجتماعية والثقافية لظهور الطب فالعامل الاجتماعي هو الانتشار الامراض والأوبة في بلاد المغرب كما ذكر ابن خلدون يقول:

انقلبت احوال بلاد المغرب اثناء الطاعون الجارف الذي طوى محاسن العمران ومحاها فخلت الديار والمنازل

فبلاد المغرب شهدت سنوات من المجاعات والقحط العظيم فكل هذه الامراض والأوبئة هي دافع وعامل مهم في انتشار الطب ورواجه في بلاد المغرب وكذلك الهجرات التي توافدت على بلاد المغرب كالأندلسيين الذين لهم هجرات فرديه لغرض طلب العلم او التجارة فهذا ادى الى تمازج الثقافات وانتقال وظهور افكار وعلوم مختلفة اما العامل الثقافي في المغرب والاندلس هو انتشار اللغة العربية بين البربر ليتمكنوا من قراءه القران وتأدية الصلاة وفهم الاسلام وحركه الترجمة والتأليف عرفها المغاربة في العصر الوسيط والرحلات العلمية التي ساهمت بازدهار النهضة العلمية .

اهتم المغاربة بالنساء وخاصه العمل والولادة والعناية بالجنين فخصصوا الذي يقوم بهذه العملية ما يعرف بالقابلة لمهمتها بالتوليد ورعاية الحوامل ومعرفه القابلة ما يخص المرآه الحامل من عسر الولادة واختناق الطفل (محمود ٢٤) وكان السبب في ظهور النساء العربيات من شاعرات وطبيبات ومعلمات يعود لسببين هو ان الوضع السياسي مستقر ونهضة الحواضر الكبيرة كقرطبة و غرناطة والبيئة الأندلسية الرائعة الطيبة بمناخها ونظافتها فهذا حفز الناس للاهتمام والعناية بالعلم والفنون واستقطابهم لعلماء والشعراء من المشرق وعملوا على تجدد وتطور الذي اخذوه من المشرق (زاجي ٦).

• المجالات الطبية التي برعت فيها النساء

امتهنت المرآه العربية الكثير من المهن ومنها مهنه صناعه الطب ومن الامراض التي برعت فيها النساء في القرون الوسطى الامراض المتعلقة بأمراض النساء والتوليد والولادة التي تعد من المناسبات المهمة عند الاندلسيين فلذلك تطلب الامر الى وجود طبيبه وخبيرة في الامور النساء والتوليد (بك ٨)

• المجالات الطبية لعمل المرآه التي مارست فيها وظائف طبيه مختلفة الا وهي:

• أولا: المرآه والتمريض

ساهمت المرآه في خدمة المجتمع فبرزت في التمريض و الاسعاف الصحي في السلم والحرب ومن هذه النساء التي مارسن هذه المهنة بمداواة المرضى وتضميد الجراح وجبر العظام اثناء غزوات الرسول وعرفت بالآسيات (والاوسي على النساء العربيات الذين يعملن في جبر العظام وتضميد الجراح وسمينا بهذا الاسم لأنه يعالجن الجريح ويواسينه (الشطي ٧-٨)

ومن هذه النساء اشهرهن ربيعه بنت معوذ بن عفران فقد كانت تغزو مع الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وتحمل القتلى الى المدينة المنورة ورفيده بنت سعد الاسلميه وهي صاحبة اول خيمه طبيه متنقله في صدر الإسلام (ابن الاثير ٤٥٣)

• ثانيا: المرآه والتطبيب

فالطب لم يكن مقتصرا على الرجال بل للنساء دور كبير فبعض النساء امتهن الطب العلمي وفي مقدمتهن ام عمر بنت ابي مروان بن زهر (ت ٥٨٠ هـ - ١١٨٤م) تعلمت الطب من مدرسه والدها وعرفت بالمهارة في التدبير والعلاج ولها مكانه بعلمها وكذلك ابنتها كانت ماهر في الطب وعارفه بأمراض النساء والاطفال (ت ٥٩٥ - ١١٩٩) (الكانوني ٩٢؛ المراكشي ٤٨٣)

و عائشة بنت محمد الجبار المحتسب بسبته مارست الطب التي اخذته من اهلها التعليم ودرست الطب على يد صهرها محمد الشريسي الطبيب الماهر بسبته وعرفت باهمة والقدر والنزاهة (مجهول ٩٤)

ام الحسن بنت القاضي ابي جعفر الطنجالي نشأت في حجر والدها الذي درسها الطب وعرفت الطب والشعر فالمرآه المغربية اجتازت مرحلة التعلم الى مرحلة التدريس وسبب نقص النساء المتخصصات لهذا المجال هو لرفض

بعض الرجال ان تشتهر اسماء نسائهم بين العامة

• ثالثا : المرآه والتوليد القابلة

تعد من المهن الرئيسية التي برعت فيها المرآه والتي تمارس هذه المهنة تسمى القابلة ويجب ان تتصف بخصائص اولها الضمير الحي وتكون نظيفة ومؤمنه وتكون ذا معرفه وخبره باستخراج الجنين من رحم المرآه وعليه ان تعرف علامات الولادة الطبيعية وغير الطبيعة ومن النساء في المغرب التي اشتهرت بهذا المجال هي ام عمر بنت ابي مروان بن زهر فكانت في دوله الموحدين عند الخليفة المنصوره الموحدي الذي لا يقبل احد غيرها او ابنتها التي كانت عارفه كوالدتها فكانت تدخلان قصور الخلفاء وتفحص نسائهم وكذلك فاطمه الحاجيه الفاسيه تميزت بفن التوليد التي اخذتها من اللواتي سبقنها (ديب ٢٩-٣١)

رابعا : المرآه و الصيدلة (العشابة)

اختصت الكثير من النساء الطب التقليدي خاصة النساء الكبار لما لهن خبرة في الحياة وساعدهن على ذلك الغطاء النباتي وتنوعه لمعرفتهن بالأعشاب وفوائدها الطبية (ديب ٣٨)

ومن الامراض النسائية والتوليد

• يعتبر الطب النسائي من التخصصات المهمة لان يعنى بالتوليد الذي قامت به النساء و القوابل فمن الامراض هي

أ. امراض الجسد الانثوي: من الامراض عسر الطمث التي يواجه النساء من البلوغ حتى سن الياس ويعالج أحيانا بالأعشاب الطبية ومن الامراض الأخرى هو العقم

ب. التوليد وحالة الأجنة : فيجب على القابلة ان تعرف شكل الولادة الطبيعية وأوضاع الجنين وتتجنب الأخطاء (الزهراوي ١٠٢)

• الدور العلمي للمرآه في بلاد الاندلس

التعليم لم يكن حكرا على الرجال بل للمرآه دور كبير في التعلم وتفوقت على الرجال بعده مراحل فعندما فتح العرب شبه الجزيرة الابيريه (الاندلس سنه ٩٢ هـ - ٧١١ م) فلم يصطحب الرجال نسائهم لظروف الحرب وخروجهم للجهاد وعدم معرفه طبيعة البلاد وما يوجهوه اثناء الفتح فالأمير عبد العزيز بن موسى بن نصير شجع المسلمين بالاختلاط باهل البلاد والزواج من نسائهم ليتم التمازج بين المجتمع الاسلامي واهل البلاد فالأمير عبد العزيز اول من تزوج بإمراه أندلسيه وهي ارملت لذريق وكان المجتمع الاندلسي يظم نوعين من النساء هن الحرائر ويقصد بهن المرآه الحرة في بلاد الاندلس ومن الأسرة الفنية ومحاطه بالخدم والجواري ولثقافتها والحرائر نسبه الى العائلة الحاكمة

والنساء الجواري فالأندلس تميزت بكثره العبيد والجواري وراجت تجاره الرقيق في بلاد الاندلس نتيجة الترف والرفاهية و اصبحت القابلة تمثل اول طبيبه نسائية لاهتمامها بالنساء وان طب النساء شانه شان مختلف تخصصات الطبية ومن اجل تحسين مهنة الطب قاموا بأنشاء مؤسسات استشفائية لمعالجة المرضى فمن هذه المؤسسات

- البيمارستانات أي المستشفى لشفاء المرضى
- المعسكرات والربط وهي مؤسسة دفاعية ويتم فيها العلاج
- العيادات وهي زيارة المريض للطبيب ودفع مبلغ مالي (علام ١٩٣)

• النساء في العصور الإسلامية

أولا: المرآه في الجاهلية

عانت المرآه من القساوة والوحشية والظلم لان المجتمع الجاهلي كان ينظر اليها بانها عار فاعتادوا على دفنها وهي

حيه اي واد البنات وجاء الاسلام لينصرها ويكرمها ويعطيها حقوقها (خليل ٢٥٢-٢٥٦)

ثانيا: المرآه في الاسلام

اصبحت المرآه مساويه للرجل في التكاليف وفي الحقوق العامة وشاركت في الجهاد في سبيل الله تقاتل بالسيف وتقدم الخدمات للمجاهدين من اعداد الطعام والشرب فحث الاسلام على تعلم المرآه وتثقيفها (جميل ٢٥)

ثالثا: المرآه في المغرب

مكانة المرآه في المغرب لم تختلف عن المشرق وشاركت المرآه في الجهاد في سبيل الله ففي عام (٧٤ هـ) عندما وصل حسان بن النعمان الى القيروان فلقي مواجهه شرسة مع البربر التي تزعمتهم الكاهنة داهيه من قبيلة جراوه من البتر وخاضت عده معارك واستشهدت في مكان يسمى بئر الكاهنا سنه (٨٢ هـ) فهذه المرآه عدت نموذجه للمرآه البربرية (التلبسي ٣٠٠- ٣٠٢)

رابعا : المرآه في الاندلس

تميزت المرآه في الاندلس بنشاطها وذلك لطبيعة بيئتها التي ساعدت لظهور في الكثير من النواحي العامة في الحياه وشعب الاندلس عرف بالغنى والثراء والتعدد العرقي فالكثير من النساء الاندلسيات تمتعن بالثراء وتملكنا الاموال والضياع ولهن املاكهن الخاصة

وكذلك امتهنت النساء الاندلسيات مهنه الطب وبرزت منهن امه حسن الطنجاري وام عمر بنت ابي زهر وكذلك شاركنا في الاعمال الخيرية فكانت النساء تتميز بحسن الاصول العريقة ونساء الخاصة لهن الخدم والحشم حيث كانت تستأجر النساء او تشترى الجواري ليعملن كمربيات للأطفال ومعلمات للأطفال ووصفت نساء الاندلس بالجمال الخارق (ابن حزم ٧١)

• اسهام المرآه الأندلسية في العلوم الطبية

يعد الطب من اهم العلوم التي لاقى اهتمام وعنايه اندلسيه ولم يقتصر على الرجال فقط بل نبغ النساء في الطب ولهن مشاركه في هذا العلم ومن العوامل التي ساعدة على ازدهار الطب هو الامن وارخاء الاقتصادي خاص في مدينة قرطبة ومتطورة في كل ميادينها وهذا لم تفوق بغداد عاصمة الخلافة العباسية وكذلك المكتبات احد عوامل ازدهار الطب لان وجود الكثير من الكتاب ووجود العلماء و الوراقين وتعد المساجد احد المراكز الثقافة في جميع الامصار الإسلامية فهو يمثل مكان للعبادة والتعليم ولأنه الأداة لصهر المومنيين بالإسلام (حواله ٨٨) ومن هؤلاء النساء الطبيبات الشهيرات

ام الحسن بنت احمد بن عبد الله بن عبد المنعم ابي جعفر الطنجالي فهي تلقت من والدها العلم وخاصه الطب وعاشت خلال القرن الثامن الهجري وتنتمي لعائله عريقه ومعروفه بالجلسات العلمية حيث كان والدها الطنجالي معروف ويعتبر احد شيوخ لسان الدين الخطيب جاء الى الاندلس قادما من المغرب وسكنه لوشه فهي بلده تقع جنوب اسبانيه على حدود الغربية المقاطعة لغرناطة حاليا فترعرعت واجادة قراءة القران بصوت حسن وشاركت اباها في قضايا الطب وكذلك برزت في الشعر فوصفها ابن الخطيب بانها كانت ((نبيله حسيبة)) (ابن الخطيب ٢٧٣)

فهي شاعره تربت في حجر ابيها ودرسها الطب وفهمت وعلمت اغراضه وترعرعت في مدينه الاندلس تدعى لوشه وهي قريبه من مدينه قرطبة(زقاي ٥٨)

وقال لسان الدين الخطيب عنها (ثالثه حمد وولادة وفاضلة الادب والجاده تقلدت المحاسن قبل ولاده)

وحمد التي شبهت ام الحسن بها هي حمده بنت زياد بن عبد الله العوفي فهي شاعره من شاعر وادي اش بالأندلس قد تحلت بالأدب وعلمت النساء في دار منصور وضاع صيتها ولقبوها بخنساء المغرب(ابن الخطيب ٩٣-٩٤)

• طبيبات بني زهره الاندلسيات

أ. زهرة اسره أندلسية عريقة ذات شهره عظيمه في العلوم الطبية وابنائها متبحرون بالعلوم كالفقه والادب والحديث وازدهر بالطب في مدينه اشبيليه بالأندلس (ابن الابار ٢١٨-٢١٩)

ومن طبيباتهم الشهيرات النابغات هي شقيقه الحافظ بن زهر وبناتها فيعرفوا الطب كأمراض النساء والاطفال وهن الذي يعالجنا حرما منصور في الاندلس ولا هم خبره بالتوليد فنالت اخت الحفيد وابنتها سمعه مرموقة بعلاج امراض النساء وعائله ابن زهر هي احدى العائلات المخضرمة منذ القرن الخامس الهجري وتلمذوا افراد هذه الأسرة على يد الطبيب المشهور ابن زهر الذي كان طبيب المعتمد بن عباده في اشبيليه واصبح طبيب خاص ليوسف بن تاشفين عندما جاء مع عائلته الى المغرب قادم من الاندلس وكذلك نساء بني زهر برعن في الطب الذي توارث مهنه التطبيب من جدهم ابن زهر فمن هذه النساء هي اخت الطبيب الحفيد ابي بكر محمد بن ابي مروان بن زهر واصبحت عالمه بالطب ولها خبره بالمداواة النساء فكانت تدخل على نساء المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فقال ابن ابي اصيبعه ان اخت الحفيد وابنتها كانتا تدخلان الى نساء المنصور فكانت اخت الطبيب الحفيد مولده ماهره ومعالجه لكافه امراض النساء وعندما توفت خلفتها ابنتها فامتهنت الطب وذاع صيتها

ب. ام عمر بنت مروان بن زهر

فكان طبيبة دار المنصور وتداوي نساء القصر واطفاله فالمنصور لم يقبل احد لمداوات نسائه واطفاله الا اخت الحفيد وابنتها

ت. زينب طبيبه بني اود

فهي عارفه بالأعمال الطبية ومشهوره ولها خبره بجراحه وامراض العيون وخبيرة بعلاج الام العيون (كحاله ٥٧-٥٩) وفي المجتمع المغربي احتلت المرآه مكان مرموقة ولها مشاركه بالكثير من المجالات فلها دور بارز بدولة المرابطين ويحترمها الكثير من القادة وامراء الدولة ويلقبون بأسماء امهاتهم تقديرا لهن فالمرآه نالت مكانه طبيه واحترام وتقدير من ولاه بالمغرب الاقصى

ويشير ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان باشتهار المنصور الموحدي بإنصافه للمرآه فيقول ((ويقف للمرآه والضعيف ويأخذ لهم بالحق)) (ابن خلكان ١٠)واشتهرت اواخر الدولة الأموية وهي امراه عربيه من بني اود كانت زينب طبيبه بني اود من الماهرات في صناعه الكحالة عالم بصناعه الطب والمداواة ولها خبره بطب العيون (اصيبعة ١٢٣)

• ثقافه المرآه

حصلت المرآه في الدولة المرابطين بقسط وافر من الثقافة فمنهن تميمه بنت يوسف بن تاشفين وتكنى بأم طلحه فكانت مشهوره بالأدب والكرم و حواء بنت تاشفين فهي شاعره جليله ماهره فتحضر المجالس الأدبية وتجمع الشعر والادب وكذلك من المثقفات الأميرة زينب بنت الخليفة يوسف بن عبد المؤمن فكانت عالمه فاضله وايضا ساهمت المرآه زينب النفزاوية بنفوذ مهم لتقديم نصائح لزوجها يوسف بن تاشفين لأنها امراه لبيبه حازم ذات عقل ومعرفه واطلقوا عليها لقب الساحرة ويوسف بن تاشفين يعتز بها (حسن ٣٥٢)

برزت المرآه في مجالات الدراسات الدينية كتعليم القران فهو منبع العلوم واشتهرن بكتابه المصحف الشريف كمثال البهاء بنت عبد الرحمن فهي زاهده وعابده شديدة الخير وعائشه بنت احمد القرطبيه عرفت بحسن الخط ومن اثرياء قرطبه

وكذلك للمرآه اثر في الادب لما لها من جمال وفتنه ففي عصر المرابطين والطوائف برز الشعر النسوي الذي يعد من ارقى الفنون الأدبية ومن هذه الشاعرات حفصه بنت حمدون ومريم بنت ابي يعقوب الانصاري (عبد الله ٥٧)

• تركيبة المجتمع النسوي

فالمرآه المسلمة اتسمت بعدت ادوار ذات اهميه في المشرق والمغرب الاسلاميين بجميع مناحي الحياة

• المجتمع النسوي المغربي

يتكون من عنصرين هما عنصر البربر فهم السكان الاصليين والأغلبية في سكان المغرب فكانت من نساء البربريات هي الكاهنة حاكمه البربر

و العنصر الثاني عنصر العرب فهم وفدوا على المغرب في الفتوحات الاسلاميه وامتزجوا مع البربر (ماموني ٨)

• تركيبه المجتمع النسوي الطبقي

١- الطبقة الخاصة هم نساء الحكام وامهاتهم ولهن مكانه خاصه

٢- الطبقة الوسطى موظفي الدولة وكذلك صاحبات المال والتاجرات

٣- الطبقة العامة فهم عامه نساء الشعب وكذلك الجواري والمستعبدات

المراه احدى افراد الأسرة ومنحها الاسلام حقها واوصى بها الرسول (سيفون ١١٣)

المرحلة الاولى من التعليم في المغرب في الكتاتيب فيتعلم القراءة والكتابة وحفظ القران في المسجد واهم مراكز العلم في المغرب الاسلامي وكذلك الزوايا من المؤسسات العلمية الهامه في بلاد المغرب (شاوش ٤١١)

فالطب في عهد علي بن يوسف المرابطي خطا خطوات واسعه فقاموا بتشخيص الامراض واجراء العمليات الجراحية فمن اشهر اطباء هذا العصر هو ابو العلاء زهره بن مروان فهو اول من وصل لجراحه الطب والصيدلة وله ابنت اخت من اشهر الطبيبات في امراض النساء و الولادة

لم يكن الطب مقتصرا على الرجال بل للنساء نصيب وانبعثت فيه العديد من النساء كام عطيه الأنصارية نسيبه بنت الحارث الانصاري والشفاء بنت عبد الله ورفيده واخت الحفيد بن زهر وابنتيها اللتين نبغا في طب امراض النساء يقول الشطي في كتابه تاريخ الطب وأدانه واعلامه

((لم تكن المرآه العربية ايام نهضه العرب ميالة الى اللهو والترف والراحة بل كانت سباقه في ميدان العمل الاجتماعي والفردي ومن احسن ربات بيوت)) (مسعود ٧٣)

• ملابس الطبيبات في المغرب والاندلس

كانت الملابس تعكس الأعراف الاجتماعية والدينية السائدة وكذلك ترتبط بالمكانة العلمية والاجتماعية للمرة الطبيبة فيرتدون الملابس الفضفاض والحجاب ذي الألوان الهادئة لتجنب الزينة وكل هذا لكي يتناسب مع الأعراف الإسلامية

فالمرة في الاندلس تكون اكبر انفتاحيه ثقافية وعلمية عن المرة في المغرب فتكون اكثر تحفظا وكن النساء في الاندلس والمغرب يحظين باحترام واسع لا ناقتهن دون تبرج (حمدي ٤٠٧)

• اجازة الطبيبات في المغرب والاندلس

فكانت الاجازة تعتمد على السياق الثقافي والعلمي فالإجازة العلمية تمنح للمتفوقات في الطب فهي وثيقة تمنح من شيخ او عالم طبي معترف به فيقر بان الشخص مؤهلا للتدريس او ممارسة المهنة

فالطبيبات يتعلمن بنطاق خاص على يد ابناهن او ازواجهن الأطباء ففي الاندلس أصبحت الحيات الفكرية اكثر ازدهار وخاص في غرناطة وقرطبة (عنان ٤٧٣)

المصادر والمراجع:

-ابراهيم القادري بوتشيش. المغرب والاندلس في عصر المرابطين . بيروت : دار الطليعه . بلا تاريخ.

-ابو العباس شمس الدين ابن خلكان. وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان. المحرر احسان عباس. بيروت: دار صادر، ١٩٩٧.
-ابو عبد الله محمد ابن الخطيب. الاحاطة في اخبار غرناطة . القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٧٣.
-ابو عبد الله محمد ابن عذاري. البيان المغرب في اخبار الاندلس و المغرب. المجلد ٣. بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٣.
-ابو عبد الله محمد المراكشي. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصله. المجلد ١. تونس: دار الغرب الاسلامي، ٢٠١٢.
-ابي القاسم خلف بن عباس الزهراوي. الزهاروي في الطب لعمل الجراحين . دمشق : وزارة الثقافه ، بلا تاريخ.
-احمد بن القاسم اصيبعة. عيون الانباء في طبقات الاطباء . بيروت: دار مكتبة الحياة ، بلا تاريخ.
-احمد شوكت الشطي. تاريخ الطب وادابه. المجلد ١. دمشق، ١٩٦٠.
-احمد عيسى بك. تاريخ الطب الاسلامي. المحرر احمد الهواري. المجلد ١. دمشق، ٢٠٠٥.
-بثينه جبار زاجي. الابداع الادبي والعلمي للنساء في الاندلس . العراق: مجلة اكليل، ٢٠٢٠.
-بشير رمضان التلبسي. الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الاسلامي. المجلد ١. بيروت: دار المدار الاسلامية، بلا تاريخ.
-بيهم : محمد جميل. المراه في حضارة العرب و العرب في تاريخ المره. بيروت : دار النشر للجامعين، ١٩٦٢.
-تركي علي محمود العزاوي. اعلام الطب العربي في بلاد الندلس بنو زهر الاندلسيون. المجلد ١. دار النوادر، ٢٠١٢.
-حبيب مطلك البير. حركه اللغوية في الاندلس. بيروت، ١٩٩٥.
-زناتي ، انور محمود. اوقاف المراة ودورها الحضاري. جامعة المنيا: مجلة الدراسات العربية، بلا تاريخ.
-سليمان بن حسان ابن جلجل القرطبي. طبقة الاطباء والحكماء. القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية، ١٩٥٥.
-سميه سيفون. المره في المغرب الاسلامي من خلال كتاب الونشريسي . ليبيا : جامعة يحي فارس ، ٢٠١٥.
-سهى بعيون. اسهام المرة الاندلسية في النشاط العلمي . بيروت : الدار العربية ، ٢٠١٤.
-صفيه ديب. الطب والطبيبات في المغرب الاسلامي . الجزائر : مجلة الدراسات الافريقية ، ٢٠١٧.
-عبد العزيز عبد الله. معطيات الحضارة المغربيه . الرباط : دار الكتب العربية ، بلا تاريخ.
-عبد الله عبد الرزاق مسعود. الطب ورائدات المسلمات. المجلد ١. الاردن: مكتبة المنار، ١٩٨٥.
-عبد الله علي علام. الدولة الموحدية في المغرب . مصر: دار المعارف، ١٩٧١.
-عبد المنعم حسين حمدي. التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والاندلس . دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧.
-عز الدين ابي الحسن ابن الاثير. اسد الغابة في معرفة الصحابة . بيروت : دار ابن حزم ، ٢٠١٣.
-علي حسن حسن. الحضارة الاسلامية في المغرب و الاندلس. المجلد ١. مصر: مكتبة الخانجي، ١٩٨٠.
-علي زقاي. اسهامات المره الاندلسيه العلمية في الاندلس. تونس : جامعة ابن خلدون ، ٢٠١٧.
-عماد الدين خليل. مدخل الى التاريخ الاسلامي . بيروت : دار الفكر الثقافي، ٢٠٠٢.
-عمر رضاء كحاله. اعلام النساء في العرب والاسلام. بيروت : موسسات الرسالة، بلا تاريخ.
-لميا عيسى. الطب في الاندلس خلال عهد ملوك الطوائف. الجزائر: جامعة بسكره، ٢٠٢١.
-مجهول. بلغة الامنية ومقصد اللبيب في من كان بسبته في الدولة المرينية . المغرب ، ١٩٨٤.
-محمد العبدي الكانوني. تاريخ الطب في عصور دول المغرب الاقصى . مراكش: جامعة ابن يوسف، ٢٠١٠.
-محمد بن احمد بن سعيد ابن حزم. رسائل ابن حزم الاندلسي. المحرر احسان عباس. بيروت: المؤسسة العربية، بلا تاريخ.
-محمد بن عبد الله ابن الابار. التكملة لكتاب الصلح . الجزائر : المطبعة الشرقية ، ١٩١٩.
-محمد بن عبد الله عنان. دولة الاسلام في الاندلس. المجلد ٢. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٠.
-محمد كامل حسين. الموجز في تاريخ الطب والصيدله عند العرب. ليبيا: المنظمة العربية، بلا تاريخ.
-منسمن. بلا تاريخ.
-نور الهدى ماموني. المرة المغربية ودورها في المجتمع . الجزائر : جامعة اكلي محمد اولحاج، ٢٠١٨.
-وهيبه شعبان شاوش. المره في الاندلس مابين القرنين الخامس والسادس الهجري . الجزائر : جامعة اوكلي اولحاج، ٢٠١٥.
-يوسف بن احمد حواله. الحياة العلمية في افريقيه. المجلد ١. السعودية: مكتبة الملك فهد، ٢٠٠٠.

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

التسامح قيمة أخلاقية لبناء مجتمع متماسك

م. د. أياد خلف مرشد
وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية محافظة الأنبار

المستخلص:

كما هو معلوم وراسخ في نفوس المسلمين وغيرهم بان الأسلام يدعو إلى حسن الخلق ولين الجانب، والرحمة بالضعيف والتسامح مع القريب والبعيد، وإيثارهم بالصفح والبر وحسن المعاملة؛ فكان بحث الألتزام بالأخلاق الحميدة وخاصة خلق التسامح ، الذي رسخه سيدنا النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، ورسخه من بعده ال بيته الأطهار وصحابته الكرام ، فكانوا عنواناً لهذه الفضيلة فيما بينهم كمجتمعات مسلمة ، وما بين غيرهم من أهل الكتاب من أهل الذمة ، ولهذا فإن التاريخ الإنساني لا يزال حتى يومنا هذا يقف موقف الإجلال والإكبار لأولئك الذين كانوا أمثلة فذة في التسامح والإحسان. وكان سبب الأختيار مثل هكذا موضوع ؛ لبعُد الناس عن هذا الخلق العظيم ، وبدور كباحث أحببت أن أقدم ورقة بحثية فيها دراسة تبين معنى هذا الخلق وفضله من خلال النصوص النقلية الشريفة ، وأهمية تفعيله في وقتنا الحاضر بصورة حقيقية ، لما يعود بهذا الخلق من قيمة اجتماعية نحافظ فيها على اللحمة الوطنية بلغة التسامح والصفح ؛ كونه من الأدوات الحقيقية لبناء مجتمع متكامل يسوده الأمن والاستقرار . وبهذا المقصد يمكن عمل ورقة بحثية معاصرة تبين فضيلة التسامح وقيمته وأهميته العائدة على الفرد والمجتمع الذين هم من الأسباب المهمة للحفاظ على السلم المجتمعي في هذا الوقت، ومن الله التوفيق.

الكلمات المفتاحية: لتسامح، العفو، قيمة، المجتمع، الفرد.

Abstract:

It is well-known and deeply ingrained in the hearts of Muslims and non-Muslims alike that Islam advocates for good character, gentleness, compassion towards the weak, and tolerance towards people, both kin and strangers. It encourages forgiveness, benevolence, and excellent treatment. Islam has always urged adherence to noble virtues, especially the virtue of tolerance, which was firmly established by Prophet Muhammad (peace be upon him) and subsequently reinforced by his pure household and esteemed companions.

They exemplified this virtue in their interactions within Muslim communities and with People of the Book (Ahl al-Dhimmah). Consequently, human history to this day holds in high esteem those who were exceptional examples of tolerance and benevolence. The choice of this research topic stems from the current distance people have from this magnificent virtue. As all researchers do, this paper explores the meaning of this great virtue, its merits as derived from sacred texts, and the importance of its genuine implementation in our present time. This virtue holds significant social value, contributing to the preservation of national cohesion through a language of tolerance and forgiveness.

It is, in essence, a crucial tool for building an integrated society characterized by security and stability. With this objective, a contemporary research paper can be produced to elucidate the virtue of tolerance, its value, and its importance for both the individual and

society, as these are vital elements for maintaining societal peace in our current era. Success is from Allah.

Keywords: Tolerance, Forgiveness, Value, Society, Individual.

المقدمة:

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فإن فضيلة التسامح من أهم القيم التي كان لها دورها الكبير في الحضارات السابقة ، وهي مقصد جميع الديانات السماوية ، وعندما جاء الأسلام دعا لهذه الفضيلة العظيمة ، بل وجاءت جميع النصوص النقلية الكريمة لترسيخ هذا الخلق العظيم وهو التسامح.

لقد عُرف الإسلام بعدله ، وسماحته ، ورحمته من خلال تعاليمه وانفرد بها المسلمون في تعاملهم مع الآخرين من أصحاب الديانات الاخرى ، والتي بدورها أدت إلى شد أواصر التقارب والتعاون والتسامح بين المجتمعات, وخير دليل على ذلك قول روبرتسون الذي نقله لنا شوقي ابو خليل في كتابه(الإسلام في قفص الاتهام):

«ان المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الجهاد والتسامح نحو اتباع الأديان الأخرى، الذين غلبوهم، وتركوهم أحرارا» في إقامة شعائرهم الدينية»(١).

ولأهمية هذا العنوان في وقتنا الحاضر الذي انخفض فيه معدل التسامح بين المجتمع العربي وخاصة المجتمع العراقي ، أحببت عقد دراسة بحثية علمية أكاديمية بعيدة عن الوعظية القصصية بتناول مفهوم التسامح وقيمته في تماسك المجتمع فعقدت بعمل دراسة مقتضبة ويمكن بيان الآتي:

اولا: أهمية الدراسة.

كون فضيلة التسامح هي النواة الأولى التي تزرع روح التعاون بين المجتمعات على اختلاف اطيافها ، وهي النقطة الرئيسية التي تجمعنا مع الآخرين في ترسيخ التماسك المجتمعي ، فإن أهميته كبيرة في تماسك المجتمعات ، ولما له أهمية كبيرة في بناء شخصية الفرد.

ثانيا: أسباب اختيار العنوان: تكمن أسباب الأختيار بما يأتي:

- حاجة المجتمع الى هكذا دراسات علمية مختصرة رصينة ، مبنية اصولها على البحث العلمي الرصين ؛ لتكون أكثر مقبولية.
- وهي بيان فضيلة التسامح وأهميته وخاصة المجتمع العراقي في هذا الوقت الذي يحتاج الى رص الصفوف وتماسك المجتمعات.
- قيمة التسامح، وتوظيفها للأفراد تنتج الوحدة الوطنية وتماسك اللحمة الوطنية بين أطياف المجتمع الواحد على اختلاف مشاربه.

ثالثا: إشكالية الدراسة

على كثرة المقالات والندوات وغيرها في بيان فضيلة التسامح على إن هذه الدراسة لها أسبابها المهمة في دراسة الموضوع بشكل علمي رصين مستنداً على النص النقلي وأقول العلماء والباحثين المختصين في دراسة شخصية الفرد النفسية . ولهذا كانت اشكالية الدراسة كالآتي:

هل التسامح يُعد سلاحاً يمكن ترسيخه في وقتنا الحاضر ؟

الدراسة تعمل على توظيف دراسة علمية مشتركة بين النصوص الأسلامية ودراسة نفسية الفرد ، لبيان أهم المشتركات المذهبية والدينة التي تجمعهم تحت ظل مبدأ وشعار التسامح الأسلامي لبناء مجتمع متماسك له قيمته ووحدته بين الشعوب.

رابعا: خطة البحث:

قسمت البحث الى ثلاث مباحث مهمة الأول: التعريف بمفردات العنوان. والثاني بيان تفصيلي لأهمية التسامح وقيمتها بين المجتمع من خلال دلالة النص النقلي. والمبحث الثالث: بيان قيمة التسامح وأثرها في شخصية الفرد والمجتمع.

وأخيراً خاتمة فيها أبرز نتائج البحث ، ومن ثم قائمة المصادر .

المبحث الأول:

دراسة الإطار المفاهيمي للعنوان:

في هذا المبحث سنقدم هذه الدراسة العلمية التي سوف تتضمن التعريف بمفردات العنوان ، وبيان الألفاظ ذات الصلة للتسامح ، ولأهمية هذا العنوان سنبين الآتي:

المطلب الأول:تعريف التسامح لغة واصطلاحاً

اولاً: التسامح لغة:

من مصدر سمح وهو ما اتفقت عليه الجماهير اللغوية ، وقد بينوا للتسامح معاني ومنها ما يأتي

١– ويأتي بمعة السهولة والسلاسة وبهذا بينه الخليل في معجمه اللغوي العين فقال: بأن التسامح من مصدر سمح سمح: رجلٌ سَمْحٌ، ورجالٌ سُمَحاءُ، وقد سَمُحَ سَماحةً وجادَ بمالِه ، ورجلٌ مِسْماحٌ مَساميح ، وسَماحةً وهو الموافقة فيما طَلَبَ. وسمح اصل يدل في عمومة على السلاسة والسهولة»(٢).

٢– ويأتي التسامح بمعنى الجود وكان يمدحون الرجال بالتسامح كونه تجمع معاني كثيرة أعلاها الجود والكرم ، وقد عرفه ابن منظور في معجمه بهذا المعنى فقال:» سمح–السماح– السماحة–المسامحة، والتَّسميح، وتعني لغة الجود، وأسمح إذ جاد وأعطى بكرم وسخاء، وأسمح وتسامح وافقني على المطلوب، والمسامحة هي المساهلة. ويقال: فلانٌ سَمِيحٌ لَمِيحٌ وسَمْحٌ لَمْحٌ. وتقول العرب: عليك بالحق فإن فيه لَمَسْمَحاً أي مُتَّسَعاً، كما قالوا: إن فيه لَمَندُوحةً»(٣)

ثانياً: التسامح اصطلاحا:

• اما من حيث التعريف العام: فأنه يعرف بالآتي:

التسامح يعبر عن القدرة على تقبل آراء الآخرين والتحلي بالصبر أمام أمور قد لا يرغب بها الإنسان، وربما يعتبرها في بعض الأحيان مناقضة لمنظومته الفكرية والأخلاقية(٤).

ويمكن القول بإن التسامح يمثل قيمة العدالة في جوهر المجتمعات الإسلامية ، وينعكس في كافة جوانب الحياة، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو دينية(٥).

• اما التسامح في مفهومه الديني يعني:

وقد اعتنى الأسلام بمادة الدينية بصفة التسامح ، وجعلها من أرقى مبادئ الأخلاق ، وبهذا فأن كل فرد يتمتع داخل المجتمع بحق اختيار ما يراه صوابًا في معتقداته، وأن تُمنح له الحرية الكاملة في ممارسة شعائره الدينية بالطريقة التي يريدها، مع ضمان مساواة أتباع الديانات المختلفة أمام القانون دون تمييز(٦).

بل إن خلق التسامح أصل الأسباب المؤدية إلى طمأنينة النفس البشرية .. حتى يصبح التسامح سلوكاً يقوم على التفضل والإحسان حتى تجاه من أساء، بغض النظر عن كونه مسلماً أو غير مسلم(٧).

• اما التسامح في الأديان الأخرى:

جميع الأديان السماوية السابقة، كونها صادرة من إله واحد، تشكل سلسلة مترابطة ومتكاملة، يدعم كل منها الآخر ويكمله. ومن هذا المنطلق، تسعى هذه الأديان لنشر تعاليمها بهدف إصلاح البشرية جمعاء، داعية الجميع للاستجابة لنداء الحق الذي ينتشل الإنسان من ظلمات الظلم والجهل إلى أفق العدالة والمعرفة. وبهذا، تتيح له فرصة السمو إلى أرفع درجات الكمال الممكنة ضمن إطار إنسانيته (٨)، وقد جاءت نصوص من النص المقدس

تحث على خلق التسامح ، وتجعله من أعلى قيم الرجولة ، فقد جاء في انجيل متى ، والسيد المسيح عليه السلام يحثهم على خلق التسامح فيقول:(لا تقاوموا الشر، بل إذا لطمك أحدهم على خدك الأيمن فاعرض له الآخر أيضاً، وإذا أراد أحد أن يخاصمك ليأخذ ثوبك فاترك له رداءك أيضاً، ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه ميلين) (٩)، وبهذا نجد أن خلق التسامح يُعد السمة الأبرز والركيزة الضرورية لتحقيق هذا الهدف النبيل، ولهذا كان مطلبًا أساسيًا لدى جميع الأديان(١٠).

• اما مفهوم التسامح في الحضارات الإنسانية :

يُعتبر مفهوم التسامح على مستوى الحضارات الإنسانية القديم له مكانته السامية في المجتمعات ، فالتسامح يتمثل عندهم بالتعامل مع كافة الطبقات بالعدالة ولكن مرفقة معها التسامح ؛ وهذا خلق التسامح يُعد من الاسباب المهمة التي ترفع راية التعايش والمواطنة، بغض النظر عن المعتقدات الدينية .

وقد بين الباحثين المعاصرين وهم يحققون معنى التسامح عند الحضارات الانسانية الاخرى فهم يعتبرون التسامح :»مهارة تفرض على الإنسان التأقلم مع المتغيرات والتعامل بشكل طبيعي مع الاختلافات والتنوعات، مقرونًا بنشر ثقافة احترام هذه الفروقات، هذا يؤدي إلى خلق بيئة متكاملة في العلاقات البشرية، قائمة على مبادئ المساواة والاحترام المتبادل، ومع ذلك، فإن مفهوم التسامح في المجتمعات الغربية يشمل قبول أو السماح بحدوث بعض الأمور أو ممارستها رغم وجود النفور منها، باعتبار ذلك وسيلة للتعامل العملي مع الاختلافات»(١١).

ومن خلال القراءة نجد أن التسامح من الاخلاق العظيمة التي حث أليها الأسلام ، وأنه وضع له ضوابط ومعايير مهمة لضبط النفسية البشرية فيه ، وأنه يشترك مع الأديان الأخرى في التوافق مع اصول مبدأ التسامح ؛ الذي يكون تحت قانون المساواة والاحترام المتبادل وحفظ كرامة الآخرين(١٢).

المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة .

اقد جاء ألفاظ ذات صلة تتعلق معناها بالتسامح ، وقد تستعمل اما مرادفة له وأما يراد بها معنى مقارب لها ، ومن خلال القراءة في مصطلحات الألفاظ فأن هناك ألفاظ ذات صلة تخص التسامح من خلال ايرادها للمعنى وكان منها ما يأتي:

أولاًالعفو:

العفو في اللغة: اصل الكلمة يشير إلى المحو والإزالة ، يقال عفا يعفو عفوا، فهو عاف، فهو التسامح عن الذنب مع الامتناع عن معاقبة المخطئ، وهو من صيغ المبالغة(١٣)، فالعفو مصدره من عَفَا يَعْفُو عَفْوًا، فهو عافٍ وعَفُوٌّ، والعَفْوُ هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطمس ومعناه:»كلُّ مَن استحقَّ عُقوبةً فتَرَكْتَه فقد عفوتَ عنه. وقد يكون أن يعفُوَ الإنسان عن الشَّيء بمعنى الترك، ولا يكون ذلك عن استحقاق»(١٤).

وأما العفو في الاصطلاح:

فقد عرف العفو بتعاريف عدة ولكن أجمعها ما بينه أصحاب تعريف المصطلحات وهو أن معنى العفو:»هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب»(١٥)، وقيل:«هو القصد لتناول الشيء، والتجاوز عن الذنب»(١٦)، وقد جاء في القرآن الكريم– أيات تدل على هذا الخلق العظيم ومنه قوله تعالى:﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾(١٧). وقال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾(١٨). فإن وجه الايات دالة على إن خلق العفو هو من أهم الأسباب المؤدية الى محبة الله تعالى ، وبهذا تبين أن محبة الله للعبد أعم درجات الثواب(١٩).

ثانيا: الصفح : من الألفاظ ذات الصلة بالتسامح ، ويمكن تعريفه لغة واصطلاحا.

الصفح في اللغة: وقد بين معناه ابن فارس في معجمه فبين دلالة حروفه الأصلية فقال:»الصاد والفاء وحرف الحاء أصل مطرد صحيح يدل على العرض»(٢٠).

واما الصفح في الاصطلاح تم تعريفه بعدة تعريفات، ومن أبرزها:

فالصفح اصطلاحا : يمكن اختصار معناه بإن المراد منه :»هو ترك التأنيب»(٢١)، وقيل: هو يمكن بيانه على إنه إزالة أثر الذنب من النفس البشرية(٢٢).

ويمكن بيان معنى الصفح بعبارة أدق ؛ وهو ترك المعاتبة لمن أساء إليك والتجاوز عن خطأه ونسيان ما بدر منه ، وجاء في القرآن الكريم يمدح ويحث على التحلي بهذا الخلق قال تعالى بخطاب مختصر ودقيق يؤدي إلى معنى عظيم فقال:﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾(٢٣).

والناظر في التعريف لتلك التعاريف يتبين للباحث بإن التسامح هو لفظة عامة تدخل تحتها (العفو والصفح) فكلاهما يعتبران ذات صلة بالتسامح .

ومن خلال تقيم بين الالفاظ ذات الصلة فإن أصحاب الفروق اللغوية يقرون على إن دلالة لفظة الصفح أبلغ من العفو؛ لأن الصفح خاصيته ترك التأنيب. بخلاف العفو فقد يعفو الانسان ولكن لا يلتزم بصفة الصفح من حيث التأنيب والمعاتبة(٢٤).

المبحث الثاني

النصوص النقلية الواردة في التسامح

لقد جاءت نصوص نقلية تحث على خلق التسامح ، وقد تناولها العلماء بالشرح والتدقيق لمعانيها المذكورة من خلال هذه النصوص ، ولبيان هذا المبحث نبين فيه الآتي:

المطلب الأول: النصوص القرآنية التي تحث على التسامح وأهميته.

أهمية التسامح في القرآن الكريم تُعتبر واحدة من القيم العليا التي دعا إليها الإسلام، حيث وردت العديد من الآيات التي تؤكد على قيمة العفو والصفح والرحمة في العلاقات مع الآخرين، حتى مع من أخطأ أو أساء. تتضمن الآيات القرآنية توجيهات تنظم العلاقة بين أفراد المجتمع المسلم وبين الآخرين. فيما يلي سيتم الإشارة إلى بعض الآيات التي توضح هذه العلاقات سواء بين المسلمين أنفسهم أو مع غيرهم، ومن هذه الايات ما يأتي:

١- قال تعالى:﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٥)،ودلالة الاية هو حث المسلمين بالتحلي بالأخلاق الحميدة التي منها العفو الذي له علاقة بالتسامح ، ولهذا بين النص هذا الخلق فقال: «يدخل في العفو عن الناس، العفو عن كل من أساء إليك بقول أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم، لأن العفو ترك المؤاخذة مع السماحة عن المسيء، وهذا إنما يكون ممن تحلى بالأخلاق الجميلة، وتخلى عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله رحمة بهم، وإحسانا إليهم، وكراهة لحصول الشر عليهم، وليعفو الله عنه، ويكون أجره على ربه الكريم»(٢٦).

٢- ومنه قوله تعالى:﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾(٢٧)، وقد بين اصحاب العلم ، فأن الصفح يرتبط بزيادة النعم فكلما زادت النعم ؛ كلما زاد الصفح والعفو ؛ وتعليل ذلك:»إنه تعالى لما صبّره على أذى قومه وأمره بأن يصفح الصفح الجميل، أتبع ذلك بذكر النعم العظيمة التي خصه بها. لأن الإنسان إذا تذكر كثرة نعم الله عليه، سهل عليه الصفح والتجاوز»(٢٨).

٣- ومنه قوله تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(٢٩)، وبين وجه الدلالة بأن الذي يبرز أهمية بناء روابط الأخوة القوية وتحقيق السلام بين المسلمين. وغيرهم من غير المسلمين ؛ لأن دين الأسلام يحث على التسامح ، وجعلها من أهم المرتكزات التي تبنى عليه الشعوب بكل أطيافها ، وهذا ما حث عليه الاسلام ، في جميع آيات الخطاب القرآني الكريم(٣٠).

٤- ومنه قوله تعالى الذي نص على التسامح مع أهل الكتاب فقال تعالى:﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(٣١)، وبين النص بأن مجادلة أهل الكتاب قائمة على استخدام العقل وأساسها الحجج والبراهين، مع اعتماد وسائل الإقناع

والطريقة الحسنة التي تُعد منهجًا فعّالًا لدعوة الناس إلى سبيل الله(٣٢).

ويمكن الاضافة ان من أولويات الدين الإسلامي التسامح ؛ لأنه يغرس روح التعاون، الذي يُعدّ إحدى الركائز الأساسية في بناء المجتمع، مما يجعله مترابطًا ومتماسكًا. وهذه المبادئ توضح دور التسامح والمحبة كأساس لتعزيز الوحدة والتماسك في المجتمع الإسلامي، وهي قيم ضرورية لاستقرار أي مجتمع(٣٣).

وخلاصة هذه النصوص القرآنية الكريمة يبرز أهمية التسامح ، في تقدم المجتمعات وتزدهر عندما تلتزم بالقيم النبيلة وتلتزم بالطريق الذي وضعه الله للبشرية. وإن توظيف التسامح بين الأفراد فأنه ينتج عنه مجتمع متلائم متناسق في جميع أطيافه المختلفة سواء بين المسلمين وغيرهم ، وينتج عنه استقرار تقدم ، وحفظ السلم المجتمعي(٣٤).

المطلب الثاني: أدلة السنة التي تحث على التسامح وأهميته

تميزت السنة النبوية بأقوالها وأفعالها التي تدعو إلى تعزيز قيم التسامح بين أفراد المجتمع، سواء كانوا يشتركون في العقيدة نفسها أو يختلفون فيها. وقد كان لها تأثير بالغ في توجيه المجتمع نحو نهج إسلامي صحيح يسهم في معالجة الأخطاء وتقويم السلوكيات. هذا النهج لا يقتصر فقط على إصلاح العلاقات بين الأفراد، بل يسهم أيضاً في دفع المجتمع نحو التقدم والازدهار في شتى ميادين الحياة.

توجد العديد من الأحاديث التي تشجع المسلم على التحلي بالمحبة والتسامح تجاه إخوانه المسلمين في المجتمع. كما أن هناك نصوصًا تدعو إلى تسامح المسلمين وتعايشهم بشكل إيجابي مع من يختلفون معهم في المعتقدات، ويمكن تقسيم هذه الأدلة إلى قسمين:

اولاً: النصوص الواردة في الحث على التسامح بين أفراد المجتمع المسلم:

١- جاء في الحديث الصحيح فيما يرويه جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما : أن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم). قال:(رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع, وإذا اشترى, وإذا اقتضى)(٣٥). وهذا الحديث يدل على السماحة وحسن المعاملة في الجوانب الأقتصادية ومجالات القضاء المجتمعية التي هي من الركائز الأساسية في التسامح وتقضي بتألف المجتمع وتفعيل أسباب البركة ، وبهذا قال العلماء في وجه الدلالة للحديث بإن :» فيه: الحضُ على السماحة وحسن المعاملة، واستعمال معالى الأخلاق ومكارمها، وترك المشاحة... وذلك سبب إلى وجود البركة فيه لأن النبى عليه السلام لا يحض أمته إلا على ما فيه النفع لهم فى الدنيا والآخرة»(٣٦).

٢- ومن صور المنهج النبوي في التسامح والعفو بما يعرف العفو عند المقدرة, فيما روي في الصحيح عن سلمة بن الأكوع وفيه قصة خلاصتها أن قماً من بطون العرب قد قدموا على سرقة بعض بيت النبي صلى الله عليه واله وسلم- فتتبع سلمة أثرهم فاسترجع الأبل ولمّا أراد أن يلحق بالسراق قال له النبي صلى الله عليه واله وسلم(يا ابن الأكوع: ملكت فأسجح إن القوم يقرّون في قومهم)(٣٧)، قال النووي: «ومعناه فأحسن وارفق والسجاحة : السهولة, أي: لا تأخذ بالشدة بل ارفق فقد حصلت النكاية في العدو ولله الحمد»(٣٨).

ثانيا: النصوص الواردة في الحث على التسامح مع غير المسلمين.

١- ومن أعظم الدلائل النبوية الشريفة والدروس العظيمة في خلق التسامح والعفو والصفح فقد اشتركت في الحضرة النبوية الشريفة التي كانت لها قيمتها الأجتماعية والسياسية عن فتح مكة فقد سامح وعفا وأصفح عن من ظلمه وظلم المسلمين فقال(صلى الله عليه وآله وسلم). في موقف يدلل الى شخصية عظيمة له قدرة استثنائية على تجاوز الماضي ووضع مثال حي للتسامح الحقيقي الذي يدعو الإسلام إليه. كانت هذه اللحظة تعبيرًا عن رحمة النبي صلى الله عليه واله وسلم وشرف أخلاقه، حيث وضع المصلحة العامة فوق مشاعر الغضب والانتقام، وقال قولته المشهورة ، التي تدرس وتوظف في جميع المواقف(اذهبوا فأنتم الطلقاء)(٣٩). فلم يجعل شيئا منها فيئا ولم يسب من أهلها أحدا(٤٠).

٢- ولم تكن السنة النبوية مقتصرة على جعل مفهوم التسامح والعفو سائداً بين المسلمين في تعاملاتهم, بل كل

من يعيش تحت كنف ورعاية المسلمين, مسلماً كان أو معاهداً. فقد جاء في الصحيح عن النبي صلى الله عليه واله وسلم– قال:(من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة, وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً)(٤١)، ووجه الدلالة في الحديث أرشدت إلى أمرين: وهو التغليظ في عدم الأعتداء على الذمّي؛ «لأنه من أهل العهد حيث وقع هو الميثاق»(٤٢). والأمر الثاني: أراد أن يرسخ في نفوس المجتمع لغة التسامح والتعايش السلمي ؛ لأن له قيمته الكبيرة في الحفاظ على الأستقرار المجتمعي ، والحث عليه ؛ لأنها من أهم الأخلاق التي يحث لها الأسلام. ؛ لأنه دين سماحة ورحمة يسع كافة البشر دون تفرقة، حيث يساوي بينهم في عدله ورحمته(٤٣).

المبحث الثالث:

قيمة التسامح في حياة الفرد والمجتمع:

التسامح من الأخلاق الأسلامية المهمة التي حث عليها الأسلام, وقد ذكرنا نصوص نقلية تدل عليه ، ولكن هل كان لهذه النصوص أثرها على الفرد والمجتمع؟

هذا التساؤل يشير إلى نقطة مهمة لا بد بيانها والتدقيق فيها ، وبعد القراءة وتحليل النص النقلي وجدنا أن جميع النصوص الواردة كان لها الأثر الكبير في بناء الفرد والمجتمع على خلق التسامح ، ومن خلال هذا المبحث سنبين أثره من خلال مطلبين وهما:

المطلب الأول: التسامح وقيمته في شخصية الفرد:

يُعد خلق التسامح من الأخلاق المهمة التي تزيد من قيمة الفرد ، بل هي إحدى الأسباب الرئيسية التي من خلالها تزيد من شخصية الأنسان ، ومن أهم القيم التي الفاعلة التي تعمل على ركنين أساسيين هما:

اولا: قيمته المعنوية في صلاح نفسية الفرد النفسية : خلق التسامح الآثار الطيبة التي يتركها التسامح في نفس الفرد أنه يجعل منه قدوة حسنة للآخرين، وهذا يساهم في أن يسود التسامح المجتمع، وأن يصبح جميع أفراد المجتمع متسامحين متحابين ومتوادين فيما بينهم، ولهذا حثَّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المؤمنين أن يكونوا متسامحين فيما بينهم، وألا يقفوا كثيرا عند الأخطاء والزلات، وأن يتغاضوا عن أي شيء من الممكن أن يسبب المزيد من القطيعة، ويرتبط هذا أيضا بالعفو، فالشخص المتسامح يعفو عن غيره وينال الأجر والثواب من الله تعالى(٤٤).

وقد أفاد في هذا الجانب المعنوي الشيخ البوطي في كتابه القرآن منهج حياة ، وهو يبين قيمة التسامح لدى شخصية الفرد المسلم المعنوية ويحلل أثارها على الفرد والمجتمع ، ومن أهم قيم التسامح هو جلب السعادة للفرد والآخرين ويحلل هذه القيمة في نفسية الفرد المسلم فيقول :»فالفرد الصالح يضطلع بأدوار مؤثرة في إصلاح محيطه، مما يؤدي إلى تحقيق السعادة العامة، وهذا لا يمكن بلوغه إلا عبر وعيه بالحقائق، وشعوره العميق بالمسؤولية، وتمتعه بأخلاق قوية وإرادة صلبة وروح سامية وغاية نبيلة، وبالتالي، فإن سعادة الفرد تنعكس على سعادة المجتمع، وصلاح المجتمع يرتبط ارتباطًا وثيقًا بصلاح أفراده، كما أن فساده انعكاس لفسادهم، وبناءً على ذلك، تم التركيز على تربية الفرد تربية سليمة وفق تعاليم الإسلام لتعزيز قيام مجتمع فاضل»(٤٥).

ثانيا: توظيفه في تنشئة الفرد :

فأن علماء الأختصاص بهذا الجانب بينوا أن هناك توجيهات يمكن توظيفها في إعلاء قيمة التسامح وترسيخها في نفوسهم ومن أهمها ما يأتي:

أ– وهو الأهتمام بتوظيف لغة التسامح عند الفرد في صغره ، من خلال تعليمه على ثقافة لغة الحوار ، وهي بداية المعرفة التي يمكن ان يكتسبها من خلال إختيار الألفاظ الدالة على المعاني الحسنة ، وهذا يمكن توظيفه في نفوس الصغار انطلاقاً من الأسرة ؛ وقد أشار المختصين في تنشئة الصغار لهذا الأهتمام وبينوا الأهتمام الأول هو الأسرة في توظيف الأخلاق فقالوا:»الاهتمام بلغة الحوار لأنها حجر الزاوية في تعليم الطفل التسامح؛ فهي بداية المعرفة باستخدام الألفاظ وتوظيف المعاني، وهذا يوفر في البيت مناخا تسوده الحرية في التعبير، والعدالة بين الأبناء مما

يساهم في تعريف الأطفال بحقوقهم وبحقوق الآخرين، وتنمي لدى الأولاد الاعتراف بمهارات الآخرين مما يهيئ لهم مقدمات تعلم التسامح»(٤٦).

ب- العمل على إزالة تجنيب التنافس البغيض والمعايرة الكاذبة، فلا بد من توظيف لغة التسامح والصفح في نفوس الأفراد ؛ وخاصة في المراحل الأولى من تنشئتهم ولهذا بين الدارسين وأشاروا إلىأخطاء محددة من أهمها بقول اصحاب الأختصاص :حيث تخطئ بعض الأسر في إثارة التنافس بين أبنائها، فتلهب حافز الغيرة لحث الطفل على مضاعفة جهده واللحاق بمن تقدموا عليه من خلال المقارنة بين نتاجات الإخوة، وهذا يبذر الحقد والكراهية في أعماق الأفراد وهي من أسباب الأبتعاد عن فضيلة التسامح والعفو في شخصيتهم(٤٧).

ت- تعزيز الأصدقاء الأوفياء للأفراد ؛ لأنهم اصل وفائهم هو السماحة والعفو والصفح ؛ فهم ملتزمين بهذا الخلق ولهذا بين الدارسين:إن»الصداقات الوفية المخلصة تكون شبكة من العلاقات الاجتماعية التي يتكون نسيجها من الأصدقاء الذين يقدمون له العون ويساعدونه في حل مشكلاته، فيجمع حوله أكبر قدر من القلوب الصافية الودودة والصديقة، ولن يتم هذا إلا على أرضية معطاءة من التسامح الذي يؤلف القلوب، ويصنع الأصدقاء الأبرار، ويزيل الفوارق بين أفراد المجتمع، على النقيض مما كان سائداً في المجتمعات الأخرى»(٤٨).

ث- ومن أهم ما يوظف في تنشئة الأفراد من السن المبكرة لهم هو عدم ترسيخ في عقولهم بإن التسامح هو الضعف والوهن أمام المقابل ، وإنما يوظف بإن «التسامح ليس مجرد عاطفة تدفع أصحابها إلى الانسحاب كما يظن البعض؛ إنه يمثل طاقة منتجة تدعم التعاون وتغرس الفضيلة الودودة، وهو دافع للعمل والإنجاز ومشجع للإرادة ومعترف بقدرات الآخرين»(٤٩).

ومن خلال الأستنتاج لهذا المطلب تبين إن خلق التسامح لا بد أن يبنى على أساس عقلي ديني راسخ بالنسبة للفرد ، وإن المنطلق الأول لتعزيزه في نفوس الأفراد هي الأسرة ، ووظيفتها ترسخ قيمة التسامح والتعامل به مع الآخرين ، وأن التسامح له قيمته في تعزيز شخصية الفرد المسلم والاعتزاز بهويته الدينية التي دعت الى التسامح والعفو ، الذي هو أصل رقي المجتمعات الأسلامية .

المطلب الثاني: أثر التسامح في المجتمع

كما هو معلوم أن ترسيخ فضيلة التسامح في الفرد المسلم تنتج عنه معادلة مهمة ؛ هي تعامل المجتمعات بهذا الخلق وهي لبنة من لبنات الأمن المجتمعي ، وللتسامح أثار من أهمها ما يأتي:

أ- يُعد التسامح من أهم آثار زيادة الألفة والمحبة بين الجماعة، وبهذا انتشرت فضيلة التسامح في أوساط المجتمع الإسلامي، مما أدى إلى تقارب القلوب بين المسلمين حتى صاروا كعائلة واحدة. يفرح المسلم لفرح أخيه المسلم ويحزن لأحزانه، ويبادر بتقديم المساعدة له عند الحاجة(٥٠)

وبهذا التألف والمحبة المنبثقة من التسامح كان شعارهم قول النبي الكريم صلى الله عليه واله وسلم:(المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه)(٥١)، ووجه الدلالة يدل على ان من أقوى الروابط الأيمانية التي تنتج عنها فضيلة التسامح فو يعد :»رابطة قوية جديرة أن توحد بين النفوس وأن تؤلف بين القلوب، وكانت هذه الرابطة الجامع الوحيد الذي يجمع أبناء المسلمين في عهد النبوة الخالد، وكان المجتمع آنذاك يشعر بحرارة هذه الرابطة وبقوتها وأثرها على النفس الإنسانية وعلى المجتمع»(٥٢).

والتسامح الداعم للألفة والمحبة :»يعدّ قانونًا من قوانين التعايش الراقي، وعنصرًا أساسيًا للحياة الطيبة. فهي الأساس الذي يعتمد عليه تحقيق السعادة الكاملة، بل تشكل الركيزة في حياة الأمم، لضمان بقائها عزيزة ومكرمة، ومتمتعة بهيبتها وسلطانها الراسخ في نفوس المسلمين»(٥٣).

ب- من أهم أثار التسامح يعزز روح التعاون في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، وبهذا فإن الدين الإسلامي قد رفع شعار التسامح بشكله الشمولي في كل مناحي الحياة، «وجعل التسامح دستورا كاملا لا يقبل التجزئة

والتبعيض. وما هو مطلوب اليوم من الناس هو إحياء قيم التسامح كما جاء بها الدين الحنيف، والانتقال بها من التنظير إلى الحضور القيمي الذي يمارس في الواقع الاجتماعي للناس كافة»(٥٤).

ت- من أثار التسامح الحفاظ على استقرار المجتمع ، ولهذا أعطى الأسلام للتعامل بفضيلة التسامح قيمة دينية كبيرة ؛ لأنه دين المحبة والتسامح بين الناس والبشرية جمعاء، وعليه تعد القيمة الدينية للتسامح عنصر رئيساً في تكوين ثقافة أي مجتمع من أجل حث أفراده على التفاعل والتعاون وترسيخ الاحترام وتكوين علاقات اجتماعية قوية فيما بينهم، وقد أفاد الباحثين بنقطة جوهرية مهمة وهو نشر ثقافة التسامح كونها :«توفر للفرد صيغة سلوكية ثقافية اجتماعية تعمل على تكوين العلاقات الاجتماعية الإيجابية وتنظم المجتمع والحفاظ على استقراره وفقاً لمصالح ومتطلبات أفراده اذ أن التسامح يعد جوهر عملية الضبط الاجتماعي الممارس على الأفراد عند قيامهم بسلوك مخالف لسياقات الفرد, فالتسامح يستقر في ضمير الفرد ويشعره بالارتياح عند التخلي من المخالفات التي تصدر من خلاله»(٥٥).

ث- من أثار التسامح ورفعة قيمته الألفة والمحبة التي أودعها الله في قلوب المؤمنين إذ هذا الأثر الذي أنتجه التسامح المتمثل ب أصبحت رابطة الإيمان أقوى من أي ارتباط آخر، حتى روابط النسب، حيث تمكنت هذه الأخوة من تجاوز عداوات الجاهلية التي كانت تهدم المجتمعات وتدفعها إلى الفوضى، في تلك الحقبة، كان الأقوياء يستبدون بالضعفاء، وسيطرت قوانين الغاب على النفوس، مما أدى إلى إراقة الدماء وتشريد الناس وضياع الاستقرار. لكن مع ظهور الإسلام، واستحضاره لقيمة الأخوة التي ضاعت منذ زمن طويل، عرف الناس في تلك المجتمعات الأمان والطمأنينة، بعيدًا عن القتل والتشريد والانقسامات التي جعلتهم ضعفاء أمام العدو. لقد جعل الإسلام هذه الأخوة بين المسلمين حجر الأساس في بناء دولتهم وجماعتهم الجديدة(٥٦).

ج- من اهم أثار التسامح على المجتمع هو تعزيز الوحدة الأجتماعية بين الأفراد بكافة توجهاتها الدينية والمذهبية وقد أشار إلي ذلك أهل التفسير «بأن من خلال التسامح والعفو عن أخطاء الآخرين، يمكن للمجتمع أن يحقق الوحدة التي أرادها الله لنا... وإن التمسك بالتسامح غايته تكوين نسيج مجتمعي متماسك وموحد ، وبخلاف التسامح تتولد العصبية الخانقة التي تؤدي إلى انقسام المجتمع وتحوله إلى جماعات متنازعة لا يحمد عقباها(٥٧).

وخلاصة القول فإن التسامح من أهم القيم التي لا بد أن ترسخ حقيقته في النفوس المسلمة للتكامل وحدتهم الدينة والوطنية لإن «حصول خلل في طبيعة قيم المسامحة لدى الأفراد سيؤدي إلى تكوين الشخصية المضطربة، وبالتالي فإن الشخصية المضطربة تصبح بنيتها أكثر تفككاً واستعداداً لتشرب القيم الأجنبية الوافدة والسلبية، وذلك بدوره يؤدي إلى حالة من التذبذب على مستوى الانتماء الثقافي وهذا الوضع ربما يقود صاحبه إلى الانعزال عن مجتمعه وبالتالي يصبح مغترباً عن واقعه الاجتماعي والديني والثقافي»(٥٨).

ويمكن إضافة أمراً مهماً من خلال التصور لهذا الموضوع فأنه يمكن القول بإن التسامح يُعَدُّ من أبرز القيم الإنسانية التي تُسهِم بشكل كبير في توجيه المجتمع نحو الطريق القويم، إذ يتيح للأفراد تجاوز الخلافات والنزاعات التي قد تعرقل التقدم والاستقرار. ومن خلال ترسيخ هذه القيمة النبيلة، يصبح الوصول إلى أعلى درجات التماسك والوحدة بين أفراد المجتمع الإسلامي هدفًا ممكن التحقيق، حيث يعزز التسامح الشعور بالانتماء المشترك ويبني جسور التفاهم والاحترام المتبادل، مما يسهم في إدماج الجميع في إطار من التضامن والتعاون لتحقيق الخير العام(٥٩).

والخلاصة المختصرة في المادة العلمية فإن التسامح رمزًا أساسيًا لوحدة المجتمع الإسلامي وتعزيزه نحو التقدم والازدهار، مما يحقق الأمن والاستقرار في مختلف المجالات، يعزز التسامح روح المحبة داخل المجتمع، مما يساهم في بناء مجتمع مثالي بقانون فريد مستمد من التشريع الإلهي الذي يحقق الخير للعالم(٦٠).

الخاتمة:

الحمدلله رب العالمين فقد تم انجاز هذه الدراسة البحثية لهذا الموضوع المبارك ، وقد اخذ طابع الدراسة على توظيف

التسامح وأهمية تفعيله في المجتمع ، لعله يكون أداة فاعلة في ترسيخه في نفوس الأفراد لتكون لها قيمته العصرية بين المجتمعات ، وقد برزت لي بعض النتائج المهمة من خلال الدراسة وهي كالآتي:

١– إن فضيلة التسامح لها ألفاظ ذات الصلة ويمكن أن تكون لع ألفاظ مترادفة أهما العفو والصفح ؛ فأطلاق التسامح يطلق عام ويراد به العفو والصفح وكل لفة تدل على المسامحة وتلتقي معه في الألفاظ.

٢– أفادة النصوص النقلية الكريمة إن فضيلة التسامح جاءت بالألفاظ مرادفة للتسامح وأهمها (العفو والصفح) وبين قيمتها للفرد والمجتمع .

٣– بينت الدراسات النفسية التي تقيم الشخصيات المتزنة ، فبعد التحليل وجدت إن اغلب اتزان الشخصيات التي تمتلك لغة التسامح.

٤– نتج من الدراسة مسألة مهمة جداً إن التسامح من المقومات الرئيسية في الوحدة الوطنية والترابط الأسري والمجمعي.

٥– تفيد الدراسة المشتركة الأسلامية والنفسية ، إن من أسباب إستقرار الأمن المجتمعي هو تثقيف وترسيخ فضيلة التسامح بين أفراد المجتمع الواحد بكافة أطيافه.

هذه أهم النتائج التي استخلصتها من البحث أسأل الله تعالى– أن تكون دراسة عصرية لها قيمتها وأهميتها في مجتمعنا في ترسيخ ثقافة التسامح بين أطيافه الكريمة .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين وصحابته الأخيار

الهوامش:

(١) الإسلام في قفص الاتهام، شوقي أبو خليل، دار فكر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٤، ص ١٢٥، وينظر: سماحة الأقليات وحقوق الاقليات الدينية في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، السيد سعيد كاظم العداري، مركز الرسالة، الطبعة الأولى، مركز الرسالة– سلسلة المعارف الإسلامية، العدد ٤٣، بدون تاريخ، ص٧٨.

(٢)العين: للخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: ١٥٥/٣، مادة سمح، وينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: ٩٩/٣.

(٣) لسان العرب، جمال الدين محمد ابن مكرم ابن منظور، دار صادر ، بيروت، ١٩٥٥م:٢٨٩/٢مادة سمح.وينظر: الابانة في اللغة العربية: ٢١٨/٣

(٤) ينظر: فقه التسامح في الفكر العربي الاسلامي، عبد الحسين شعبان، بيروت، الطبعة الاولى: ٨٧

(٥) ينظر: التسامح وآفاق السلم الاهلي، محمد محفوظ (٢٠٨/٢).والحوار الديني الابراهيمي في ميزان القرآن، د.علي محمد صالح عبد الله، ط١، دار السلام للطباعة، القاهرة، ٢١٤:٢٠٠٧–٢١٥ .

(٦) ينظر: الحوار الديني الابراهيمي في ميزان القرآن (ص٢٢١).

(٧) ينظر: معجم المصطلحات الدينية، د. خليل احمد خليل، الطبعة الاولى، دار الفكر بيروت، ١٩٩٥م:٥٢

(٨) ينظر: التسامح وآفاق السلم الاهلي، محمد محفوظ (٢٠٨/٢).والحوار الديني الابراهيمي في ميزان القرآن، د.علي محمد صالح عبد الله، ط١، دار السلام للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٧، (ص٢١٤–٢١٥).

(٩)إنجيل متى :الإصحاح ٥: ٣٨–٤١.

(١٠) ينظر: التسامح في الإسلام المفهوم والضوابط: علي بن عمر:٢٧.

(١١)المصدر نفسه:٢٨–٢٩

(١٢)ينظر: التسامح في الإسلام المفهوم والضوابط: علي بن عمر:٢٧.

(١٣) ينظر: تهذيب اللغة، للازهري:٣/ ١٤١ ،ولسان العرب، لابن منظور:١٥/ ٧٢ ، تاج العروس، للزبيدي :٣٩/ ٦٧ ،.

(١٤)معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت،١٩٧٩م–١٣٧٩: ٥٦/٤.، وينظر: لسان العرب، لابن منظور: ١٥/ ٧٢.

(١٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ) دار الكتب العلمية، بيروت:١٤٣/٦.

(١٦) التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي القاهري(المتوفى: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب، القاهرة،ط١/١٩٩٠م: ص ٥١٨.

(١٧) سورة آل عمران: ١٣٤.

(١٨) سورة الشورى: ٤٠.
(١٩) مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ:٣٦٧/٩ . وينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير،جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م:٣٧٩/١
(٢٠)مقاييس اللغة ، لابن فارس:٣/ ٢٩٣ ، وينظر: مختار الصحاح، للرازي: ١٧٦
(٢١) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي:٢١٧
(٢٢) ينظر: الجامع لأحكام القران: لأبي عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر القرطبي (المتوفى:٦٧١هـ)ى تحقيق احمد البردوني وابراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية– القاهرة، ط٢/١٩٦٤م: ٧١/٢.
(٢٣) سورة الحجر: ٨٥.
(٢٤) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي: ٢١٧.
(٢٥) سورة آل عمران: ١٣٤.
(٢٦) تيسير الكريم المنان، للسعدي:١٤٨
(٢٧) سورة الحجر: ٨٥.
(٢٨)محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)،المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ:٣٤٣/٦
(٢٩) سورة الحجرات الاية : ١٠.
(٣٠) ينظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٣/ ٥)، الجامع لأحكام القرآن=تفسير القرطبي ط– أخرى (٦/ ٤٦).
(٣١) سورة العنكبوت: ٤٦.
(٣٢) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٤/ ١٤١).
(٣٣) ينظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٣/ ٥)، الجامع لأحكام القرآن=تفسير القرطبي ط– أخرى (٦/ ٤٦).
(٣٤) ينظر: تفسير المنار (٣/ ٢٣٠)، التفسير المنير للزحيلي (٢٨/ ١٣٥).
(٣٥) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة ، ترقيم محمد فؤاد، ط١، ١٤٢٢هـ: كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في البيع والشراء: ٥٧/٣ برقم: ٢٠٧٦ .
(٣٦) شرح صحيح البخاري،ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)
تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض،الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م:٢١٠/٦
(٣٧) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من رأى العدو فنادى بأعلى صوته: ٦٦/٤ برقم: ٣٠٤١ .
(٣٨) ينظر شرح النووي: ١٧٤/١٢ .
(٣٩) السنن الكبرى للبيهقي، باب فتح مكة حرسها الله تعالى، برقم (١٨٢٧٥) (٩/ ٢٠٠).
(٤٠) ينظر: الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)،تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ – ٢٠٠٠م:١٥١/٥
(٤١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الجزية باب أثم من قتل معاهداً بغير جرم: ٩٩/٤ برقم: ٣١٦٦ .
(٤٢) نظر: عمدة القاري، العيني: ٨٨/١٥ .
(٤٣) ينظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب،الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الخامسة عشرة ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م:٢٧٧
(٤٤) التسامح وأثره على الفرد والمجتمع , مقالة للدكتور احمد صالح البسطويسي – باحث في أصول الفقه والشريعة: http:// alwaeialshababy.com/ar/index.php/our-religion
(٤٥) ينظر: القرآن منهاج حياة (٢/ ٢٤٧). تجربة التربية الاسلامية في ميزان البحث، د. محمد سعيد رمضاف البوطي، المكتبة الأموية، دمشق، ٢٠١٨، (٣٦–٣٧)
(٤٦) تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته،، دكتور زكريا الشربيني– دكتورة يسرية صادق،دار الفكر العربي:١٨١، و أهداف التربية الإسلامية، د ماجد عرسان الكيلاني الأردني، دار القلم، الطبعة: الأولى:١٣٢
(٤٧) ينظر:أهداف التربية الإسلامية، د ماجد عرسان الكيلاني الأردني، دار القلم، الطبعة: الأولى:١٣٢
(٤٨) أهداف التربية الإسلامية، د الكيلاني:١٣٢،وينظر:سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين، د. عبد الله اللحيدان، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية:٨
(٤٩) أهداف التربية الإسلامية، د الكيلاني:١٣٢

(٥٠) ينظر: صلاح البيوت في جهد الرسول صلى الله عليه واله وسلم، محمد علي محمد إمام، مطبعة السلام – ميت غمر، مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩ م: ٤١٩ وما بعدها.
(٥١) صحيح مسلم، اب تحريم الظلم، برقم (٢٥٨٠) (٤/ ١٩٩٦)
(٥٢) أضواء على الثقافة الاسلامية، الدكتورة نادية شريف العمري، الناشر: مؤسسة الرسالة،الطبعة: التاسعة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م:٣٤١
(٥٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني (ت: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد القرشي ، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة الولى: ١٤١٩ هـ:١/ ٣٨٨، وينظر: الأثر الاجتماعي لتعلم القرآن الكريم على الفرد والمجتمع: ٣٧ .
(٥٤) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه واله وسلم، عدد من المختصين ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة : الرابعة :٩٤/٢، وينظر: موسوعة البحوث والمقالات العلمية، جمع: علي الشحود، الكتاب مرقم الياً على المكتبة الالكترونية الشاملة :٦.
(٥٥) المصادر أنفسها.
(٥٦) ينظر:منار القاري ،محمد قاسم، مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.٣/ ٢٥٤
(٥٧) ينظر: تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ١٣٠).
(٥٨) ثقافة التسامح ودورها في تقوية العلاقات الاجتماعية, مقالة نشرت على الموقع التالي:
٩٨٧/http://fcdrs.com/social
(٥٩) ينظر: مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي:١٢٩
(٦٠) ينظر:المصدر نفسه

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم..
١– الإبانة في اللغة العربية: سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري، المحقق: د. عبد الكريم خليفة واخرون، الناشر: وزارة التراث القومي والثقافة – مسقط – سلطنة عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
٢– الأثر الاجتماعي لتعلم القرآن الكريم على الفرد والمجتمع، إعداد: د. عبدالله كمبيجو .بدون طبعة وسنة طبع
٣– الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)،تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ – ٢٠٠٠م.
٤– الإسلام في قفص الاتهام، شوقي أبو خليل، دار فكر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ.
٥– أضواء على الثقافة الاسلامية، الدكتورة نادية شريف العمري، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: التاسعة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
٦– أهداف التربية الإسلامية، د ماجد عرسان الكيلاني الأردني، دار القلم، الطبعة: الأولى.
٧– أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير،جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٨– البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني (ت: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد القرشي ، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة الولى: ١٤١٩ هـ.
٩– تاج العروس من جواهر القاموس: المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
١٠– تجربة التربية الاسلامية في ميزان البحث، د. محمد سعيد رمضاف البوطي،المكتبة الأموية، دمشق، ٢٠١٨م.
١١– تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: أبو العلا محمد عبد الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.
١٢– التسامح في الإسلام المفهوم والضوابط: علي بن عمر بن محمد السحيباني، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية –جامعة القصيم– المملكة العربية السعودية، ٢٠٢١م
١٣– التسامح وأثره على الفرد والمجتمع , مقالة للدكتور أحمد صالح البسطويسي /http://alwaeialshababy.com
ar/index.php/our-religion
١٤– تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٥– تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة

المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.
١٦- تفسير النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
١٧- تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته،، دكتور زكريا الشربيني- دكتورة يسرية صادق،دار الفكر العربي.
١٨- تهذيب اللغة: المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي،(ت: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
١٩- التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي القاهري(المتوفى: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب، القاهرة،ط١/١٩٩٠م.
٢٠- ثقافة التسامح ودورها في تقوية العلاقات الاجتماعية, مقالة نشرت على الموقع التالي:http://fcdrs.com/social/
٢١- الجامع لأحكام القران: لأبي عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر القرطبي (المتوفى:٦٧١هـ) تحقيق احمد البردوني وابراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط٢/١٩٦٤م.
٢٢- الحوار الديني الابراهيمي في ميزان القرآن، د.علي محمد صالح عبد الله، ط١، دار السلام للطباعة، القاهرة،٢٠٠٧م.
٢٣- سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين، د. عبد الله اللحيدان، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية.
٢٤- سماحة الأقليات وحقوق الاقليات الدينية في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، السيد سعيد كاظم العذاري، مركز الرسالة، الطبعة الأولى، مركز الرسالة- سلسلة المعارف الإسلامية، العدد ٤٣.
٢٥-السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.
٢٦-شرح صحيح البخاري،ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ)تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض،الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٢٧- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة ، ترقيم محمد فؤاد، ط١، .
٢٨- صلاح البيوت في جهد الرسول صلى الله عليه واله وسلم، محمد علي محمد إمام، مطبعة السلام – ميت غمر، مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩ م.
٢٩-العين: للخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٣٠-فقه التسامح في الفكر العربي الاسلامي، عبد الحسين شعبان، بيروت، الطبعة الاولى.بدون سنة طبع.
٣١- القرآن منهاج حياة: إعداد: غازي صبحي آق بيق، تنسيق: علي بن نايف الشحود.بدون سنة طبع.
٣٢- لسان العرب: المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
٣٣- لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب،الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الخامسة عشرة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٣٤- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)،المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
٣٥- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٣٦- معجم المصطلحات الدينية، د. خليل احمد خليل، الطبعة الاولى، دار الفكر بيروت، ١٩٩٥م.
٣٧- معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت،١٩٧٩م-١٣٧٩.
٣٨- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
٣٩- مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا، مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: ١٣٨٤هـ)، الناشر: دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٤٠- موسوعة البحوث والمقالات العلمية، جمع: علي الشحود، الكتاب مرقم الياً على المكتبة الالكترونية الشاملة .
٤١- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه واله وسلم، عدد من المختصين ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة : الرابعة .

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

الأثر النفسي والاجتماعي لتطورات الذكاء الاصطناعي على الإنسان في العصر الرقمي

م. م. مهدي عبد الحسن عبد علي
جامعة سومر / كلية التربية

المستخلص:
هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن الأثر النفسي والاجتماعي لتطورات الذكاء الاصطناعي على الإنسان في العصر الرقمي، مع التركيز على بيئات العمل التي تشهد تزايدًا في استخدام الأنظمة الذكية. وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، واستخدم استبانة مكوّنة من محورين رئيسين: الأثر النفسي والاجتماعي، والمرونة النفسية في التكيف مع الذكاء الاصطناعي. شملت العينة (٦٠) مشاركًا من العاملين في قطاعات خدمية وتقنية ضمن البيئة العراقية.
أظهرت نتائج التحليل الإحصائي باستخدام معامل «ألفا كرونباخ» و«Spearman's Rho» أن أداة الدراسة تمتاز بدرجة عالية من الثبات والاتساق الداخلي. كما أظهرت النتائج وجود علاقة طردية ودالة إحصائيًا بين استخدام الذكاء الاصطناعي وارتفاع مستويات الضغط النفسي، إلى جانب تراجع في جودة العلاقات الاجتماعية داخل بيئة العمل. في المقابل، كشفت النتائج أن الأفراد الذين يمتلكون مستويات مرتفعة من المرونة النفسية أظهروا قدرة أكبر على التكيف مع التغيرات التقنية دون اضطرابات ملحوظة.
توصي الدراسة بضرورة توفير دعم نفسي ومهني للعاملين في بيئات رقمية متقدمة، وتطوير سياسات مؤسساتية تأخذ في الحسبان البعد الإنساني لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي، بما يعزز من الصحة النفسية وجودة الحياة المهنية في العصر الرقمي.
الكلمات المفتاحية: (الذكاء الاصطناعي، الضغط النفسي، الأثر الاجتماعي، المرونة النفسية، بيئة العمل الرقمية).

Abstract:
This study aimed to explore the psychological and social impacts of artificial intelligence (AI) developments on humans in the digital age, with a focus on work environments experiencing increased integration of smart systems. The research adopted a descriptive-analytical methodology and employed a questionnaire comprising two main axes: the psychological and social impact, and psychological resilience in adapting to AI. The sample consisted of 60 participants working in service and technical sectors within the Iraqi context.
Statistical analyses using Cronbach's Alpha and Spearman's Rho indicated a high degree of reliability and internal consistency in the study instrument. The results revealed a statistically significant positive correlation between the use of AI and elevated levels of psychological stress, along with a decline in the quality of social relationships in the workplace. Conversely, participants with higher psychological resilience demonstrated better adaptability to technological changes without notable psychological disturbances.
The study recommends providing psychological and professional support for employees in advanced digital environments, and developing institutional policies that consider the human dimension

of AI usage to promote mental well-being and professional quality of life in the digital age.

Keywords:Artificial Intelligence, Psychological Stress, Social Impact, Psychological Resilience, Digital Work Environment.

المقدمة:

في خضم التحول الرقمي المتسارع الذي يشهده العالم، بات الذكاء الاصطناعي لا يُمثّل مجرد تقنية تكميلية، بل أصبح عنصرًا جوهريًا يعيد تشكيل مختلف أوجه الحياة الإنسانية، وعلى رأسها البنية النفسية والاجتماعية للفرد. إن دخول الذكاء الاصطناعي إلى بيئات العمل والتفاعل الاجتماعي لم يكن تأثيره سطحيًا أو محايدًا، بل أفرز تغيرات جوهرية في مفاهيم مثل الأمان الوظيفي، الثقة الاجتماعية، والهوية الذاتية، الأمر الذي يحتم فحص الأثر النفسي والاجتماعي لهذه التقنية بعمق وبحث علمي دقيق. فقد أثبتت دراسات حديثة أن تبني أنظمة الذكاء الاصطناعي في المؤسسات يؤدي إلى تصاعد مستويات الضغط الوظيفي لدى العاملين، حيث يعمل الذكاء الاصطناعي كعامل محفز غير مباشر للإرهاق النفسي من خلال رفع متطلبات العمل وسرعة الإنجاز، مما يخلق فجوة معرفية ومعنوية لدى الموظف تجعله عرضة للتوتر المزمن والانهاك العاطفي (Kim & Lee، ٢٠٢٤).

تظهر الأبعاد النفسية لهذه الظاهرة بشكل أوضح عندما يُنظر إليها من خلال نظرية «الكفاءة الذاتية»، التي تبيّن أن قدرة الفرد على التكيف مع أدوات الذكاء الاصطناعي ترتبط ارتباطًا إيجابيًا بشعوره بالسيطرة والقدرة على التعامل مع التغيرات التكنولوجية، مما يخفف من آثار الضغط النفسي الناتج عن الحداثة التقنية (Kim & Lee، ٢٠٢٤) غير أن هذه الكفاءة لا تتوزع بالتساوي بين الأفراد، بل تتفاوت بحسب عوامل تتعلق بالخبرة، المستوى التعليمي، والدعم المؤسسي، ما يجعل بعض الفئات أكثر هشاشة نفسية في مواجهة الذكاء الاصطناعي من غيرها.

من جانب آخر، يشير باحثون إلى أن الخوف من الاستبدال الوظيفي الناتج عن تفوق الذكاء الاصطناعي في أداء المهام بكفاءة وبدون تكلفة بشرية، يُعد من أبرز مصادر القلق في بيئات العمل المعاصرة، حيث ينمو شعور بالتهديد تجاه مستقبل الوظيفة التقليدية، مما ينعكس مباشرة على مؤشرات الصحة النفسية مثل القلق، الاكتئاب، وتدني الرضا الذاتي (Zhao & Wu,٢٠٢٥)، وتزداد هذه الآثار حدّة في غياب برامج التأهيل المهني والتدريب على استخدام التكنولوجيا الجديدة، ما يجعل من الذكاء الاصطناعي عامل تهميش لا أداة تمكين. إضافة إلى ذلك، يتجلى التأثير الاجتماعي للذكاء الاصطناعي في تحوّلات بنيوية في علاقات الأفراد وتفاعلاتهم، فقد برهنت دراسات نفسية على أن الأفراد يُظهرون ميلًا متزايدًا إلى الوثوق بالخوارزميات أكثر من البشر عند اتخاذ القرارات أو تلقي التوصيات، وهي ظاهرة تُعرف بـ «تقدير الخوارزمية»، وتدل على تحوّل في طبيعة الثقة الاجتماعية من كونها موجهة للبشر إلى أن تصبح موجهة للأنظمة الذكية (Logg & Moore، ٢٠١٩.(هذا الميل يولّد تحولات غير مرئية في البنية الاجتماعية، حيث تبدأ الآلة باكتساب سلطة رمزية في تفضيل المحتوى وتوجيه الخيارات الشخصية، مما يفتح المجال لتراجع الثقة بين الأفراد أنفسهم، ويضعف جودة الحوار الإنساني.

الأخطر من ذلك أن اعتماد الأفراد على أدوات الذكاء الاصطناعي لا يقتصر على الأبعاد المهنية أو العقلانية فحسب، بل يمتد ليشمل الأبعاد العاطفية أيضًا. ففي الوقت الذي توفّر فيه المساعدات الافتراضية تجربة تفاعل تتسم بالاستجابة الفورية وخلوها من الأحكام الاجتماعية، بدأ بعض الأفراد بتكوين علاقات وجدانية مع هذه الكيانات الذكية، وهو ما تشير إليه الدراسات على أنه نوع من «الحميمية الاصطناعية»، التي قد تُشبع الاحتياج النفسي مؤقتًا، لكنها تعزز في الوقت ذاته الشعور بالانعزال عن العالم البشري الحقيقي (Skjuve et al,٢٠٢١) كما أن هذا التعلق العاطفي بكيانات غير بشرية يقلل من قدرة الأفراد على بناء علاقات قائمة على التواصل المتبادل والتعاطف الحقيقي، ما يؤدي إلى تراجع المهارات الاجتماعية بمرور الزمن. في جانب آخر

من الصورة، لا يمكن تجاهل الأثر التراكمي للضغوط المرتبطة باستخدام الذكاء الاصطناعي، خصوصًا عند غياب الضوابط الأخلاقية والشفافية المؤسسية. فقد أثبتت دراسات أن الاستخدام غير المنضبط للتقنيات الذكية يؤدي إلى ارتفاع مؤشرات الإرهاق العاطفي والاستنزاف النفسي، لا بسبب طبيعة الذكاء الاصطناعي ذاته، بل بسبب الطريقة التي يُفرض بها على الأفراد دون إشراكهم في تصميم أو ضبط السياسات المرتبطة به (Kim & Lee، ٢٠٢٤) إن تغييب البُعد الإنساني في نشر هذه التقنيات يهدد بتآكل الشعور بالانتماء والجدوى، وهما عنصران حيويان للصحة النفسية والاجتماعية.

بناءً على ما سبق، يتضح أن الأثر النفسي والاجتماعي للذكاء الاصطناعي ليس تأثيرًا جانبيًا أو محتملًا فحسب، بل هو واقع يتشكل على مستويات متعددة تشمل الفرد والمؤسسة والمجتمع. إن دمج الذكاء الاصطناعي دون التهيئة النفسية والاجتماعية اللازمة لا يؤدي إلى التقدم، بل قد يُنتج هشاشة داخلية تستعصي على العلاج في المستقبل. عليه، فإن ضرورة تطوير سياسات شاملة تعزز من الكفاءة الذاتية، وتحد من القلق الوظيفي، وتعيد ضبط العلاقات الاجتماعية في ظل الذكاء الاصطناعي، لم تعد خيارًا، بل أصبحت مطلبًا وجوديًا لضمان بقاء الإنسان في مركز المعادلة التقنية.

مشكلة البحث:

تشكل التطورات المتسارعة في تقنيات الذكاء الاصطناعي تحديًا عميقًا للبنية النفسية والاجتماعية للإنسان في العصر الرقمي، حيث لم يعد تأثير هذه التقنيات محصورًا في الجوانب الإنتاجية أو التكنولوجية، بل امتد ليطال أسس الإدراك الذاتي والتفاعل الاجتماعي. تتجسد المشكلة الرئيسية في كيفية تكيّف الأفراد مع نماذج ذكاء اصطناعي تتخذ قرارات، توصي باختيارات، وتؤدي مهام كانت تقليديًا مرتبطة بالبشر، مما يثير تساؤلات حول مشاعر الأمان النفسي، والجدوى، والانتماء داخل المجتمعات والمؤسسات. يرافق هذا التغيير شعور متزايد بالقلق من فقدان السيطرة أو الاستبدال، إلى جانب تحولات في طبيعة العلاقات الاجتماعية التي باتت مهددة بالتقلص أو التشوه نتيجة الاعتماد المتزايد على التفاعل مع كيانات غير بشرية. تكمن الإشكالية كذلك في غياب الأطر الواضحة التي تنظّم العلاقة بين الإنسان وهذه الأنظمة، مما يزيد من احتمالية ظهور آثار نفسية سلبية كالإجهاد، الانعزال، وتدني الهوية الذاتية. بناءً على ذلك، تُطرح هذه الدراسة لفهم الآثار النفسية والاجتماعية المتولدة عن التوسع في استخدام الذكاء الاصطناعي، مع التركيز على ديناميات التفاعل اليومي، والقلق المهني، وتحولات العلاقات، بهدف استكشاف ملامح التحدي الإنساني الجديد في ظل صعود أنظمة اصطناعية تتقاطع مع الوعي والوجدان البشري.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من الحاجة الملحة لفهم التأثيرات النفسية والاجتماعية العميقة التي تفرزها تقنيات الذكاء الاصطناعي على الأفراد في ظل التوسع الرقمي المتسارع. ومع تزايد اعتماد المؤسسات على الذكاء الاصطناعي في مختلف مجالات الحياة، يبرز تساؤل جوهري حول الثمن الإنساني لهذا التحول. يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على كيفيات تأثر الإنسان نفسيًا واجتماعيًا ضمن بيئة رقمية تعيد تشكيل أنماط التفكير، والعمل، والعلاقات. كما يساهم في تقديم رؤى تحليلية تسهم في بناء سياسات تكنولوجية تراعي البعد الإنساني، وتوفر أدوات للتعامل مع تحديات مستقبلية تمس جوهر الهوية البشرية والتوازن النفسي والاجتماعي.

أهداف البحث:

الهدف الرئيسي: تحليل الأثر النفسي والاجتماعي لتطورات الذكاء الاصطناعي على الإنسان في العصر الرقمي، من خلال دراسة العلاقة بين التوسع في استخدام الذكاء الاصطناعي والتغيرات في الصحة النفسية والروابط الاجتماعية للأفراد.

الأهداف الفرعية:

١. دراسة تأثير الذكاء الاصطناعي على مستويات الضغط النفسي والقلق لدى الأفراد العاملين في بيئات رقمية متقدمة.

٢. تحليل أثر التفاعل المستمر مع الأنظمة الذكية على طبيعة العلاقات الاجتماعية ومهارات التواصل البشري.

فرضيات البحث:

الفرضية الرئيسية: تؤثر تطورات الذكاء الاصطناعي بشكل مباشر وغير مباشر على الصحة النفسية والعلاقات الاجتماعية للإنسان في العصر الرقمي، ويختلف مستوى هذا التأثير تبعًا لعوامل فردية وتنظيمية.

الفرضيات الفرعية:

١. هناك علاقة طردية بين استخدام الذكاء الاصطناعي في بيئة العمل وارتفاع مستويات الضغط النفسي والقلق لدى الأفراد.

٢. توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الأفراد الذين يستخدمون تقنيات الذكاء الاصطناعي بشكل مكثف وأولئك الذين لا يستخدمونها، من حيث إدراكهم لتأثير هذه التقنيات على التفاعل الاجتماعي داخل بيئة العمل.

الدراسات السابقة:

• قام الباحثون **Hohenstein** وآخرون بدراسة عام (٢٠٢٣) بعنوان «**Artificial Intelligence in Communication Impacts Language and Social Relationships**» بهدف فحص تأثير استخدام «الردود الذكية» المدعومة بالذكاء الاصطناعي على جودة التواصل والعلاقات الاجتماعية. شملت الدراسة تجربتين عشوائيتين بمشاركة أكثر من ١,٥٠٠ شخص، حيث أظهرت النتائج أن هذه الردود تُسرّع التواصل وتزيد من استخدام اللغة الإيجابية وتعزز الإحساس بالتعاون بين المتحاورين. ومع ذلك، كشفت الدراسة أن الأشخاص الذين يُعتقد أنهم يعتمدون على هذه الأدوات يُقيَّمون بشكل سلبي من حيث المصداقية والالتزام، ما يشير إلى وجود وصمة اجتماعية تجاه التواصل المدعوم بالذكاء الاصطناعي. تؤكد الدراسة أن الذكاء الاصطناعي قد يحسن التفاعل ظاهريًا، لكنه يخلق تحديات تتعلق بالموثوقية والنية في العلاقات الإنسانية.

• قام الباحثان **Li و Wei** بدراسة عام (٢٠٢٢) بعنوان «**Transformation to Industrial Artificial Intelligence and Workers' Mental Health**» استهدفت فهم العلاقة بين التحول إلى الذكاء الاصطناعي في القطاعات الصناعية والصحة النفسية للعمال، وذلك باستخدام بيانات ميدانية واسعة النطاق من الصين. اعتمدت الدراسة على تحليل إحصائي دقيق لآلاف الحالات من العاملين في خطوط الإنتاج التي خضعت لرقمنة جزئية أو كاملة باستخدام أدوات الذكاء الاصطناعي.

أظهرت النتائج أن توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي ساهم في انخفاض متوسط درجات الاكتئاب لدى العمال بمقدار ١,٦٤٣ نقطة، وهو مؤشر نفسي معتبر يُعكس غالبًا تحسنًا في المزاج العام والشعور بالاستقرار. وبيّنت النتائج أن هذا التأثير الإيجابي كان أكبر لدى الفئات الأقل تعليمًا أو المهارة، بالإضافة إلى العمال الأكبر سنًا، وخصوصًا أولئك المولودين قبل الثمانينيات، وهو ما يشير إلى أن الذكاء الاصطناعي قد يوفر دعمًا نفسيًا غير مباشر لهذه الفئات من خلال تقليل الأعباء الجسدية وتحسين أداء بيئة العمل.

ومن النتائج المهمة أن جودة بيئة العمل لعبت دور الوسيط في العلاقة بين التحول إلى الذكاء الاصطناعي وتحسن الصحة النفسية، حيث فسّرت نحو ١١,٥٪ من التحسن في المزاج العام، مما يدل على أن الذكاء الاصطناعي لا يعمل بمعزل، بل يتفاعل مع العوامل التنظيمية لخلق بيئة عمل أقل ضغطًا وأكثر دعمًا. هذه النتائج تبرز أهمية الاهتمام بالعوامل البيئية بالتوازي مع التقنيات لضمان تحقيق الأثر النفسي الإيجابي الكامل.

• دراسة عام (٢٠٢٤) بعنوان: **The Work Affective Well-being Under the**

Impact of AI

تتناول هذه الدراسة، التي استندت إلى عينة من ٣٤٩ موظفًا، أثر الذكاء الاصطناعي والأنظمة التكنولوجية الحديثة – مثل الروبوتات والخوارزميات (STARA) – على الرفاهية النفسية في بيئة العمل. أظهرت النتائج أن الوعي بتهديد فقدان الوظيفة بسبب الذكاء الاصطناعي يرتبط بشكل مباشر بانخفاض مستويات الرضا العاطفي والراحة النفسية أثناء العمل. وقد أظهرت الدراسة أن الضغط المهني يعمل كوسيط في هذه العلاقة، أي أن مجرد الإدراك بخطر الاستبدال يولّد توترًا نفسيًا يؤثر بدوره على مشاعر الرفاه. كما توصل الباحثون إلى أن الصمود النفسي – أي قدرة الفرد على التكيف مع التحديات – كان له دور في التخفيف من هذا التأثير، مما يشير إلى أهمية بناء مرونة نفسية لمواجهة القلق التكنولوجي.

• دراسة Chu وآخرون (٢٠٢٥) بعنوان: Illusions of Intimacy

استهدفت هذه الدراسة فهم البُعد النفسي للعلاقات التي تنشأ بين الإنسان وأنظمة الذكاء الاصطناعي، تحديدًا روبوتات الدردشة مثل Replika وCharacter.AI. تم تحليل أكثر من ٣٠,٠٠٠ محادثة نصية، وركّزت النتائج على فئة المستخدمين الشباب الذين يظهرون أنماط تأقلم نفسي غير صحية. توصل الباحثون إلى أن بعض هؤلاء الأفراد يُطورون تعلقًا عاطفيًا مفرطًا بأنظمة الذكاء الاصطناعي، بحيث تتشابه هذه العلاقات مع العلاقات السامة في العالم الواقعي، بما يشمل التلاعب العاطفي والإحساس بالإهمال أو الخيانة عند توقف الردود أو تغيير سلوك النظام. تُحذّر الدراسة من غياب الحدود الواضحة في هذا النوع من التفاعل، وتدعو إلى أطر أخلاقية صارمة لحماية الصحة النفسية، خاصة عند التعامل مع فئات معرضة للهشاشة العاطفية.

• دراسة Sadeghi (٢٠٢٤) بعنوان: Employee Well-being in the Age of AI

تبحث هذه الدراسة في تأثير دمج الذكاء الاصطناعي في عمليات الموارد البشرية، بما في ذلك التوظيف، التقييم، وتسيير شؤون الموظفين. بيّنت النتائج أن استخدام الذكاء الاصطناعي يمكن أن يُعزز من الشفافية، الكفاءة وتقليل التحيز في القرارات الإدارية، مما يدعم جوانب العدالة التنظيمية. إلا أن الدراسة حذّرت من تأثيرات عكسية محتملة، تمثلت في ارتفاع مشاعر القلق من فقدان الوظيفة، ضعف الخصوصية، والتخوف من فقدان السيطرة البشرية. وخلصت إلى أن الحفاظ على الرفاهية النفسية والإنتاجية يتطلب ليس فقط توظيف الذكاء الاصطناعي، بل إشراك الموظفين في تصميم هذه الأنظمة، وتوفير التدريب والدعم النفسي والتقني اللازم، إلى جانب تعزيز الشفافية في طريقة اتخاذ القرارات المعتمدة على الخوارزميات.

الفصل الأول: الإطار النظري للبحث

يشهد الاعتماد المتزايد على الذكاء الاصطناعي تحولات عميقة في بيئة العمل، انعكست بشكل مباشر على الحالة النفسية والاجتماعية للعاملين. لم يعد الذكاء الاصطناعي مجرد أداة، بل أصبح عنصرًا فاعلًا يغيّر أنماط الضغط والتفاعل والرفاه المهني. يهدف هذا الإطار النظري إلى تحليل الجوانب النفسية المصاحبة لهذا التحول من خلال ثلاث زوايا رئيسة: الإجهاد التقني الناتج عن التفاعل مع التقنيات الذكية، التوتر والرضا النفسي في سياق الخوف من الاستبدال الوظيفي، وأخيرًا دور المرونة النفسية كعامل وقائي يخفف من حدة هذه الضغوط. يقدم هذا الفصل رؤية تحليلية قائمة على دراسات حديثة لفهم العلاقة بين الإنسان والذكاء الاصطناعي في محيط العمل الرقمي.

١. تأثيرات الإجهاد التقني بفعل الذكاء الاصطناعي

تتجسد إحدى أبرز تحديات التفاعل مع الذكاء الاصطناعي في إطار إجهاد التكنولوجيا (technostress) الذي يحدث نتيجة للتفاعل الضار مع التقنيات الحديثة. ترتكز الدراسات الحديثة على تصنيف هذه الضغوط إلى ضغوط محفّزة (challenge stressors)، مثل الرغبة في تعلّم مهارات جديدة للعمل مع الذكاء الاصطناعي، وضغوط معيقة (hindrance stressors)، التي تتعلق بالخوف من الاستبدال الوظيفي أو تعقيد الأنظمة

التقنية. على سبيل المثال، كشفت دراسة اعتمدت على منهجية تحليلية باستخدام بيانات من موظفين يعملون في بيئات تعتمد على الذكاء الاصطناعي، أن الضغوط المحفّزة قد تولّد لدى الأفراد تأثيرًا إيجابيًا يدفعهم إلى تبنّي الذكاء الاصطناعي بثقة ومهارة، بينما تؤدي الضغوط المعيقة إلى قلق وتقليل الرغبة في التفاعل مع التقنية (Liţan, ٢٠٢٥).

وقد أكدت الدراسة أن الكفاءة الذاتية التقنية تلعب دورًا محوريًا في هذه العلاقة، بحيث يُخفّف تنفيذ الضغوط المحفزة على الأثر النفسي السلبي عندما يتمتع الفرد بثقة عالية في قدرته التقنية. فعند ارتفاع مستوى الكفاءة لدى المستخدم، تتحول التحديات التقنية إلى فرص تعلّم، بينما تقلّ حدة الشعور بالتهديد عند مواجهة التعقيد أو الاستبدال المحتمل. تشير هذه النتائج إلى أن الإجهاد التقني بفعل الذكاء الاصطناعي لا يؤثر على الأفراد بشكل موحد، بل يعتمد تأثيره على التقييم الذاتي للكفاءة ومدى رؤية التكنولوجيا كفرصة أو تهديد. لذلك، يعزز أهمية بناء برامج تدريبية لتعزيز الكفاءة التقنية الذاتية لدى الأفراد، مما يدعم تبنّي واعٍ وإيجابي لتقنيات الذكاء الاصطناعي، ويحد من الآثار النفسية السلبية للضغوط التقنية.

٢.التوتر والرفاه النفسي في سياق بيئة العمل الرقمية

يركّز هذا المحور على العلاقة بين الوعي بتهديد الذكاء الاصطناعي والضغط النفسي والرفاهية العاطفية للموظفين في بيئة العمل الرقمية. أظهرت دراسة شارك فيها ٣٤٩ موظفًا أن زيادة الوعي بإمكانية استبدال الوظيفة من قبل تقنيات STARA أي الروبوتات والخوارزميات ترتبط بانخفاض ملحوظ في مستوى الرفاهية النفسية أثناء العمل، ويحدث ذلك عن طريق الضغط المهني كوسيط بين الوعي بالخطر الصحي واختلال الشعور بالرفاه (Jin et al, ٢٠٢٤). وأظهرت نتائج الدراسة أن متوسط التأثير الوسيط للضغط المهني كان $\beta = -0.140$ ($p < 0.01$)، مما يؤكد أن مجرد إدراك أن تقنيات STARA قد تهدد الوظيفة يؤدي فعليًا إلى زيادة التوتر، مما يقلل بدوره من الرفاهية العمل النفسية .

في المقابل، تبين أن المرونة النفسية تلعب دورًا وقائيًا مهمًا؛ إذ يخفف توازن القدرة النفسية لدى الفرد من حدة الضغط الناتج عن إدراك تهديد STARA، وتظهر المعدلات أنها تقلّل تأثير التهديد على الضغط من ($k = 0.416$) عند المرونة المنخفضة إلى ($k = 0.028$) عند المرونة المرتفعة وهذا يشير إلى أن دعم المرونة النفسية من خلال برامج تدريبية أو دعم تنظيمي يمكنه أن يخمد التأثير السلبي لوعي التهديد.

أبحاث مستقلة تدعم هذا الاتجاه، حيث أظهرت أن الاعتماد المفرط على الذكاء الاصطناعي دون توازن تنظيمي يقلّص فرص التعلم من الأخطاء ويضعف نمط التكيف الذاتي لدى الموظفين، مما يزيد من ضعف الأداء النفسي على المدى الطويل (Zheng & Zhang, ٢٠٢٥) إذ ترتبط زيادة الوعي بالخطر الوظيفي بالاستنزاف العاطفي، خاصة عندما يتداخل الضغط المهني مع الحياة الأسرية.

٣. المرونة النفسية كعامل حماية ضد آثار الذكاء الاصطناعي السلبية

يشير الإطار التنظيمي في بيئة العمل إلى «ثقافة الدعم» كمكوّن أساسي لبناء المرونة النفسية عند الموظف، فقد أظهر بحث واسع النطاق شمل ١١٥ موظفًا من مختلف القطاعات أن المنظمات التي تركز على تعزيز الدعم النفسي والتنظيمي تقلل من ضغوط التكيف مع التغيرات التقنية، مما يعزز بدوره قدرة التكيف والصمود لدى الأفراد (Wut& Lee, ٢٠٢٢)

بالتوازي، كشفت دراسة أخرى عن أن العاملين الذين يميلون إلى الاعتماد الشديد على أدوات الذكاء الاصطناعي دون وجود إطار تنظيمي يحفزهم على التفكير النقدي وتقييم الأداء الشخصي – يعانون من انخفاض واضح في قدراتهم على تحليل الأخطاء، الأمر الذي يُضعف بدوره القدرة على «إعادة النهوض» بعد الفشل، وبالتالي يضعف المرونة العامة لدى الموظف (Lu et al , ٢٠٢٤) .

علاوة على ذلك، من خلال دراسة استقصائية أخرى، بيّن أن المرونة النفسية تُعد عاملَ تعديل قادر على تخفيض أثر الضغط المهني الناتج عن القلق من استبدال الموظف بتقنيات **STARA**. فعند ارتفاع درجة المرونة، تقلل من تأثير هذا الضغط على صحته النفسية، مما يعزز الحفاظ على توازن نفسي أفضل في بيئة العمل الرقمية (**Jin et al, ٢٠٢٤**).

بناءً على ذلك، يمكن فهم المرونة النفسية كأساس لتعزيز بيئة عمل تحوّلية لا تفرض العامل على تقنيات الذكاء الاصطناعي فقط، بل تدعمه نفسيًا وتقنيًا. هذا يشمل توفير فرص التدريب المستمر، الإرشاد النفسي، دعم الاستقلالية في العمل، وضمان الشفافية في عمليات التبني التكنولوجي. من خلال ذلك، يتمكّن الموظف من تحويل الذكاء الاصطناعي من خطر محتمل إلى فرصة تنمية وتعلم مستدامين، يعززان كفاءته النفسية والمهنية على السواء.

الفصل الثاني: الجانب العملي للبحث

إجراءات جمع البيانات وتطبيقها:

مجتمع وعينة الدراسة:

استهدفت هذه الدراسة موظفي المؤسسات العاملة في القطاعات الخدمية والتقنية في مدينة البصرة خلال العام الأكاديمي ٢٠٢٤/٢٠٢٥، حيث تم اختيار هذه الفئة لكونها الأكثر تفاعلاً مع تقنيات الذكاء الاصطناعي ضمن مهامها اليومية، مما يجعلها بيئة مناسبة لرصد الأثر النفسي والاجتماعي لهذه التقنيات.

وقد تم اختيار عينة قصدية مكونة من ٦٠ موظفًا وموظفة، جرى توزيعهم على مجموعتين وفقًا لطبيعة تعرضهم لتقنيات الذكاء الاصطناعي:

- المجموعة التجريبية (٣٠ موظفًا): تضم أفرادًا يتفاعلون مباشرة مع نظم الذكاء الاصطناعي في أداء أعمالهم اليومية (مثل أنظمة التوصية، الأتمتة الذكية، تحليل البيانات).
- المجموعة الضابطة (٣٠ موظفًا): تضم موظفين يعملون في بيئات تقليدية لا تعتمد بشكل جوهري على الذكاء الاصطناعي.

اختيرت العينة من مؤسستين متقاربتين في طبيعة العمل وعدد الموظفين وهيكلهما الإداري، لضمان التقارب في الظروف التنظيمية وتقليل التحيز الناتج عن العوامل الخارجية. كما رُوعي التوازن في النوع الاجتماعي وسنوات الخبرة، بما يعكس التوزيع الفعلي للمجتمع المهني المستهدف ويعزز مصداقية النتائج وإمكانية تعميمها.

أدوات جمع البيانات:

اعتمدت الدراسة على الاستبانة كأداة أساسية لجمع البيانات، نظرًا لملاءمتها في قياس المتغيرات النفسية والاجتماعية بدقة، وقدرتها على توفير بيانات كمية يمكن تحليلها إحصائيًا بطريقة منظمة وموثوقة. وقد صُمّمت الاستبانة بعناية لقياس الأثر النفسي والاجتماعي لتقنيات الذكاء الاصطناعي على الموظفين، من خلال ثلاثة محاور رئيسية:

المحور الأول: يقيس مستويات الضغط النفسي الناتج عن التفاعل اليومي مع أنظمة الذكاء الاصطناعي، مثل القلق من فقدان الوظيفة أو عبء التكيّف مع الأنظمة الذكية.

المحور الثاني: يركّز على الأثر الاجتماعي، ويشمل مؤشرات مثل ضعف العلاقات التعاونية، والعزلة الاجتماعية، والاعتماد على الوسائل الرقمية بدلاً من التفاعل البشري.

المحور الثالث: يتناول الكفاءة الذاتية والمرونة النفسية، ومدى قدرة الفرد على التكيف مع البيئة الرقمية دون تدهور في الحالة النفسية أو الإنتاجية.

تضمنت الاستبانة ١٥ عبارة مغلقة موزعة بالتساوي على المحاور الثلاثة، وتم بناء صياغة العبارات بأسلوب بسيط وواضح، يتناسب مع الخصائص المعرفية والثقافية للمبحوثين. واعتمدت الأداة على مقياس ليكرت الخماسي بدرجات تتراوح بين «أوافق بشدة» و«لا أوافق بشدة»، مما أتاح تصنيف الاستجابات وتحويلها إلى مؤشرات كمية

قابلة للتحليل.

كما روعي عند تصميم الأداة الجوانب النفسية المرتبطة بطريقة عرض الأسئلة، من حيث الحياد، وعدم التوجيه، وضمان الخصوصية في الإجابة. وتُعد هذه الاستبانة أداة فعالة لتقييم تأثير الذكاء الاصطناعي على الصحة النفسية والعلاقات الاجتماعية داخل بيئة العمل، وتشكل الأساس العلمي الذي سيساعد في اختبار فرضيات البحث، وتفسير نتائجه ضمن الإطار النظري والسياق الرقمي الذي يتناوله.

صـدق الاتساق الـداخلي Internal Validity»«

يعكس صدق الاتساق الداخلي مدى انسجام كل عبارة في أداة القياس مع المجال الذي تندرج تحته، ويُعد مؤشرًا على جودة البناء الداخلي للمقياس. وللتحقق من هذا النوع من الصدق، تم حساب معاملات الارتباط بين درجات كل بند على حدة والدرجة الكلية للمجال الذي ينتمي إليه البند. وأسفرت عملية التحليل الإحصائي عن النتائج التالية:

جدول (١) معـامـل الارتباط Spearman›s Rho لكل عبارة من عبارات المحور والدرجة الإجمالية للمحور

رقم العبارة	نص العبارة	المحور	Spearman's Rho	Sig. (2-tailed)	الدلالة
Q1	أشعر بالقلق من فقدان وظيفتي بسبب تقنيات الذكاء الاصطناعي.	الضغط النفسي	0.729	0.000	دال عند ٠,٠١**
Q2	**التكيف مع أنظمة الذكاء الاصطناعي يسبب لي ضغطًا نفسيًا.**	**الضغط النفسي**	**0.852**	**0.000**	**دال عند ٠,٠١****
Q3	أشعر بأن سرعة تطور أدوات الذكاء الاصطناعي تفوق قدرتي على التكيف معها، مما يسبب لي قلقًا مستمرًا.	الضغط النفسي	0.761	0.000	دال عند ٠,٠١**
Q4	**أشعر أن استخدام الذكاء الاصطناعي يقلل من تقديري الذاتي في العمل.**	**الضغط النفسي**	**0.732**	**0.000**	**دال عند ٠,٠١****
Q5	أشعر بالإرهاق الذهني نتيجة التعامل المتكرر مع تقنيات الذكاء الاصطناعي.	الضغط النفسي	0.775	0.000	دال عند ٠,٠١**
Q6	**أشعر بعدم الأمان الوظيفي نتيجة توسع استخدام الذكاء الاصطناعي.**	**الضغط النفسي**	**0.778**	**0.000**	**دال عند ٠,٠١****
Q7	أدى استخدام الذكاء الاصطناعي إلى تقليل التواصل المباشر مع زملاء العمل.	الأثر الاجتماعي	0.771	0.000	دال عند ٠,٠١**
Q8	**أصبحت الاجتماعات أقل تفاعلاً إنسانيًا بسبب استخدام أدوات تقنية.**	**الأثر الاجتماعي**	**0.838**	**0.000**	**دال عند ٠,٠١****
Q9	أشعر أن الذكاء الاصطناعي يُضعف العلاقات المهنية داخل المؤسسة.	الأثر الاجتماعي	0.727	0.000	دال عند ٠,٠١**
Q10	**أقل فرص العمل الفعلي في بيئة العمل بسبب أدوات الذكاء الاصطناعي.**	**الأثر الاجتماعي**	**0.747**	**0.000**	**دال عند ٠,٠١****
Q11	أتمتع بالقدرة على التكيف مع التطورات التقنية الجديدة دون اضطراب نفسي.	المرونة النفسية	0.936	0.000	دال عند ٠,٠١**
Q12	**أبادر لتطوير مهاراتي الرقمية لمواجهة تحديات الذكاء الاصطناعي.**	**المرونة النفسية**	**0.876**	**0.000**	**دال عند ٠,٠١****
Q13	أواجه تحديات العمل التقني بثقة وهدوء، وأتعامل مع أدوات الذكاء الاصطناعي بكفاءة.	المرونة النفسية	0.900	0.000	دال عند ٠,٠١**
Q14	**أحتفظ بتوازني النفسي حتى تحت ضغط التغيرات التقنية المرتبطة بالذكاء الاصطناعي.**	**المرونة النفسية**	**0.888**	**0.000**	**دال عند ٠,٠١****
Q15	أستطيع تنظيم وقتي وأدائي بفعالية رغم تدخل تقنيات الذكاء الاصطناعي في عملي اليومي.	المرونة النفسية	0.887	0.000	دال عند ٠,٠١**

المصـدر: برنامج الحزم الاحصائية SPSS

بالاعتماد على نتائج تحليل معاملات الارتباط Spearman›s Rho الموضّحة في الجدول (١)، يتبيّن بوضوح أن أداة القياس المعتمدة في هذه الدراسة تتمتع بدرجة عالية من الاتساق الداخلي والصدق الظاهري والمضموني. فقد أظهرت جميع البنود المدرجة في استبانة «الأثر النفسي والاجتماعي لتطورات الذكاء الاصطناعي على الإنسان

في العصر الرقمي» ارتباطًا إيجابيًا وذا دلالة إحصائية قوية مع الدرجة الكلية للمجال الذي تنتمي إليه، حيث تراوحت معاملات الارتباط بين ٠,٣٤ و٠,٩٣٦، وهي جميعها دالة عند مستوى معنوية (٠,٠١)، مما يعكس موثوقية عالية للأداة وقدرتها على تمثيل المفاهيم النظرية المرتبطة بها.

يتضح من ذلك أن الاستبانة تقيس بدقة أبعاد التأثير النفسي والاجتماعي للذكاء الاصطناعي، وقد تميز محور الضغط النفسي بعبارات مثل Q١، Q٢، Q٣، Q٥، Q٦ التي سجّلت معاملات ارتباط مرتفعة مع الدرجة الكلية للمحور، تراوحت بين ٠,٧٢٩ و٠,٨٥٢، مما يشير إلى وجود مستوى عالٍ من القلق والإرهاق المرتبط بتطور أدوات الذكاء الاصطناعي، لا سيما لدى الأفراد الذين يشعرون بعدم الأمان الوظيفي أو الضغط في التكيّف مع التطور التقني المستمر.

أما محور الأثر الاجتماعي، فقد سجّلت عباراته (Q٧–Q١٠) ارتباطات تتراوح بين ٠,٧٢٧ و٠,٨٣٨، وهي دلالات قوية تشير إلى تغيّر نمط التفاعل البشري داخل بيئات العمل، من خلال ضعف العلاقات المهنية والتعاون الجماعي، في ظل تزايد الاعتماد على الأدوات المؤتمتة والأنظمة الذكية.

وبالنسبة لمحور المرونة النفسية، فقد كانت نتائج معامل الارتباط من بين الأعلى، حيث تراوحت بين ٠,٨٧٦ و٠,٩٣٦ مثل البنود (Q١١–Q١٥)، ما يعكس قوة هذا البعد في التنبؤ بقدرة الأفراد على التكيّف النفسي، وتنظيم الذات، والاستجابة الهادئة للتغيرات التقنية المتسارعة. وهذا يشير إلى أن الأفراد الذين يمتلكون مستوى مرتفعًا من المرونة النفسية هم أكثر قدرة على مواجهة التحديات النفسية الناتجة عن الذكاء الاصطناعي.

وبناءً على هذه المعطيات، يمكن القول إن الاستبانة المعتمدة في هذا البحث تُعد أداة موثوقة وصادقة في قياس التأثيرات النفسية والاجتماعية للذكاء الاصطناعي، وتتميّز ببنية متماسكة من حيث الترابط الداخلي بين بنودها. مما يجعلها مناسبة للاستخدام في بيئات العمل الرقمية، خاصة في السياق العراقي الذي يشهد تسارعًا في تطبيق تقنيات الذكاء الاصطناعي، ويُوصى باعتمادها في الدراسات المستقبلية ذات الصلة بالتكيف النفسي المهني والتحوّل الرقمي المؤسسي.

الموثوقية والصحة:

لضمان دقة النتائج في هذه الدراسة، تم قياس ثبات الاستبانة باستخدام معامل «ألفا كرونباخ»، الذي يُعد من أبرز المؤشرات الإحصائية المعتمدة لقياس الاتساق الداخلي في أدوات البحث الكمي. ويُشير هذا المعامل إلى مدى تجانس بنود كل محور ضمن الأداة، وتُعد القيم التي تتجاوز ٠,٧٠ مؤشرًا على مستوى مرتفع من الثبات وملاءمة الأداة للاستخدام البحثي.

وفيما يتعلق بـ الصدق النوعي، فقد خضعت فقرات الاستبانة لمراجعة دقيقة من قِبل مجموعة من الخبراء المتخصصين في مجالات علم النفس التربوي وتقنيات التعليم الرقمي، بهدف التأكد من مدى ملاءمتها لمجتمع الدراسة، والمتمثل في العاملين في البيئات المهنية التي تتأثر بتطورات الذكاء الاصطناعي. كما تم التحقق من شمول الأداة لأبعاد الأثر النفسي والاجتماعي والمرونة النفسية، بما ينسجم مع الإطار المفاهيمي للدراسة.

تعكس هذه الإجراءات العلمية التزامًا واضحًا بضمان صدق وثبات الأداة، وهو ما يعزّز من موثوقية النتائج المستخلصة، ويجعل من الدراسة مرجعًا علميًا يمكن الاعتماد عليه في تقييم الانعكاسات النفسية والاجتماعية لتقنيات الذكاء الاصطناعي في بيئات العمل العراقية المعاصرة.

جدول رقم (٢) يبين نتائج اختبار ألفا كرو نباخ لقياس ثبات الاستبانة

المتغير	عدد العبارات	ألفا كرونباخ
المتغير المستقل: الأثر النفسي والاجتماعي للذكاء الاصطناعي	10	0.908
المتغير التابع: المرونة النفسية في التكيف مع الذكاء الاصطناعي	**5**	**0.934**
كافة المحاور	15	0.951

المصدر: برنامج الحزم الاحصائية SPSS

استنادًا إلى بيانات الجدول (٢)، تُظهر نتائج الثبات المحسوبة باستخدام معامل «ألفا كرونباخ» أن أداة الدراسة تتمتع بدرجة عالية من الاتساق الداخلي، مما يعكس موثوقية ممتازة في قياس المتغيرات المستهدفة. فقد بلغ معامل الثبات لمحور «الأثر النفسي والاجتماعي للذكاء الاصطناعي» قيمة ٠,٩٠٨، وهو ما يُعد مؤشرًا قويًا على تجانس البنود التي تقيس هذا المتغير، ويعكس قدرة الأداة على رصد المشكلات النفسية والاجتماعية المرتبطة بالتعامل مع تقنيات الذكاء الاصطناعي.

أما محور «المرونة النفسية في التكيف مع الذكاء الاصطناعي»، فقد سجل معامل ألفا كرونباخ قدره ٠,٩٣٤، وهي قيمة مرتفعة تدل على قوة العلاقة بين البنود ومدى قدرتها على قياس هذا البُعد بدقة، خاصة في سياق التحديات النفسية التي يفرضها التحول الرقمي في بيئات العمل.

وقد بلغ معامل الثبات الكلي لكافة محاور الاستبانة ٠,٩٥١، وهو ما يُعد من أعلى مستويات الثبات في أدوات القياس التربوي والنفسي، ويُشير إلى اتساق قوي وشامل لجميع بنود الأداة. تعكس هذه النتائج جودة البناء النظري للأداة، ومدى صلاحيتها للتطبيق في البيئة العراقية، وتُؤكد إمكانية الاعتماد على نتائجها في استنتاج الأثر النفسي والاجتماعي لتطورات الذكاء الاصطناعي، وكذلك في تقييم درجة المرونة النفسية لدى الأفراد في التكيف مع هذه التحولات التقنية المتسارعة.

الخصائص الديموغرافية لعينة الدراسة

يعرض الجدول التالي توزيع أفراد العينة المشاركين في الدراسة وفقًا لعدد من المتغيرات الديموغرافية الأساسية، مثل الجنس، والعمر، وعدد سنوات الخبرة، وطبيعة العمل. ويهدف هذا العرض إلى تقديم تصور شامل عن الخصائص الديموغرافية للمشاركين، مما يُسهم في تفسير نتائج الدراسة حول الأثر النفسي والاجتماعي لتطورات الذكاء الاصطناعي على الإنسان في العصر الرقمي ضمن سياقهم المهني والاجتماعي الواقعي.

وتمثل هذه البيانات إطارًا مرجعيًا مهمًا لفهم تباين الاستجابات بين المشاركين، خاصة في ضوء الفروقات الفردية المرتبطة بمستوى التعرّض لتقنيات الذكاء الاصطناعي، ومدى التفاعل المهني معها، والقدرة على التكيف النفسي والسلوكي. وستُعرض في الفقرات التالية قراءة تحليلية لهذه المؤشرات الديموغرافية، مع توضيح انعكاساتها المحتملة على تفسير مستويات الضغط النفسي، والتحولات الاجتماعية، ومظاهر المرونة النفسية لدى عينة الدراسة.

الجدول (٣): البيانات الديموغرافية والتعليمية الخاصة بعينة الدراسة

المتغير	الفئة	Count	Column N %
الجنس	ذكر	29	48.3%
	انثى	31	51.7%
	الإجمالي	60	100.0%
الفئة العمرية	أقل من ٣٠	21	35.0%
	30–40	24	40.0%
	أكثر من ٤٠	15	25.0%
	الإجمالي	60	100.0%
المجموعة التجريبية	تجريبية	30	50.0%
	ضابطة	30	50.0%
	الإجمالي	60	100.0%

المصدر: برنامج الحزم الاحصائية SPSS

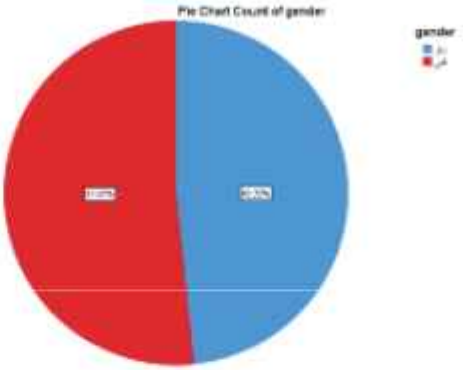

الشكل (١) يوضح الجنس لأفراد العينة

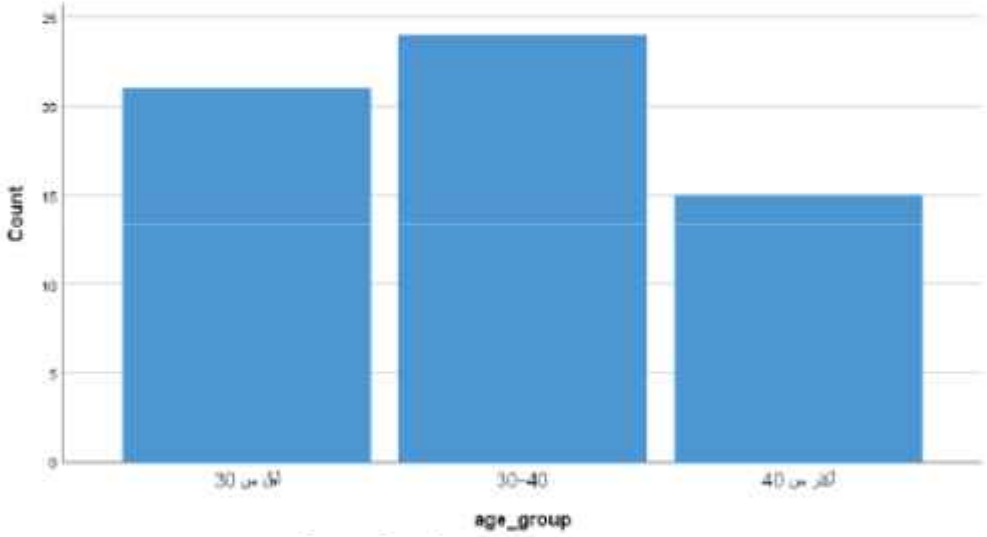

الشكل (٢): يوضح الفئة العمرية لعينة الدراسة

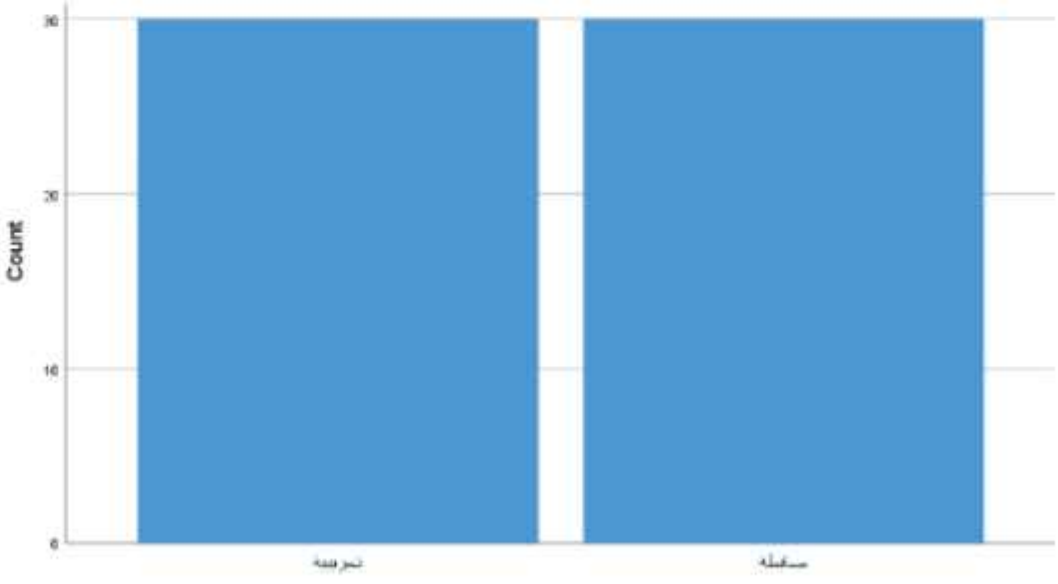

الشكل (٣): توزيع أفراد العينة بحسب المجموعة (تجريبية / ضابطة)

الإحصاءات الوصفية: المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لبنود الاستبانة

الجدول (٤): قيم المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لبيانات الاستبانة

رقم العبارة	نص العبارة	N	Min	Max	Mean	Std. Deviation
Q1	أشعر بالقلق من فقدان وظيفتي بسبب تقنيات الذكاء الاصطناعي.	60	2	5	3.80	1.022
Q2	**التكيف مع أنظمة الذكاء الاصطناعي يسبب لي ضغطًا نفسيًا.**	**60**	**2**	**5**	**3.80**	**1.054**
Q3	أشعر بأن سرعة تطور أدوات الذكاء الاصطناعي تفوق قدرتي على التكيف معها.	60	2	5	3.80	0.898
Q4	**أشعر أن استخدام الذكاء الاصطناعي يقلل من تقديري الذاتي في العمل.**	**60**	**2**	**5**	**3.97**	**0.956**
Q5	أشعر بالإرهاق الذهني نتيجة التعامل المتكرر مع تقنيات الذكاء الاصطناعي.	60	2	5	3.95	1.032
Q6	**أشعر بعدم الأمان الوظيفي نتيجة توسع استخدام الذكاء الاصطناعي.**	**60**	**2**	**5**	**3.95**	**1.048**
Q7	أدى استخدام الذكاء الاصطناعي إلى تقليل التواصل المباشر مع زملاء العمل.	60	2	5	3.95	1.016
Q8	**أصبحت الاجتماعات أقل تفاعلاً إنسانيًا بسبب استخدام أدوات ذكية.**	**60**	**2**	**5**	**3.88**	**1.075**
Q9	أشعر أن الذكاء الاصطناعي يُضعف العلاقات المهنية داخل المؤسسة.	60	2	5	3.88	0.846
Q10	**أقل فرص التعلم الفعلي في بيئة العمل بسبب أدوات الذكاء الاصطناعي.**	**60**	**2**	**5**	**3.85**	**0.954**
Q11	أشعر بالقدرة على التكيف مع التطورات التقنية الجديدة دون اضطراب نفسي.	60	2	5	3.43	1.015
Q12	**أبادر لتطوير مهاراتي الرقمية لمواجهة تحديات الذكاء الاصطناعي.**	**60**	**2**	**5**	**3.58**	**0.996**
Q13	أواجه تحديات العمل التقني بثقة وهدوء، وأتعامل مع أدوات الذكاء الاصطناعي بكفاءة.	60	2	5	3.47	0.873
Q14	**أحتفظ بتوازني النفسي حتى تحت ضغط التغيرات الفنية المرتبطة بالذكاء الاصطناعي.**	**60**	**2**	**5**	**3.52**	**0.854**
Q15	أستطيع تنظيم وقتي وأدائي بفعالية رغم تدخل تقنيات الذكاء الاصطناعي في عملي اليومي.	60	2	5	3.47	1.049

المصدر: برنامج الحزم الاحصائية SPSS

تشير النتائج الواردة في الجدول (٤) إلى أن المتوسطات الحسابية لاستجابات أفراد العينة تراوحت بين ٣,٤٣ و٣,٩٧، وهي جميعها تقع ضمن فئة «موافق» وفقًا لمقياس ليكرت الخماسي، وتتفوق على المتوسط المرجعي (٣,٠٠)، مما يدل على وجود اتجاهات إيجابية واضحة لدى المشاركين نحو بنود الاستبانة المتعلقة بالأثر النفسي والاجتماعي لتقنيات الذكاء الاصطناعي.

وتُظهر هذه النتائج أن المشاركين قد عبّروا عن مشاعر قلق وضغط نفسي نتيجة التفاعل المستمر مع أدوات الذكاء الاصطناعي، كما أقروا بوجود تأثيرات اجتماعية واضحة مثل تراجع التواصل المباشر في بيئة العمل. في المقابل، تعكس استجابات البنود المرتبطة بمحور المرونة النفسية قدرة المشاركين على التكيّف مع التطورات التقنية، وتنظيم سلوكهم وأدائهم ضمن بيئة رقمية متغيرة. وتُعدّ هذه المؤشرات دليلاً على وعي الأفراد بالتحديات النفسية

والاجتماعية الناتجة عن الذكاء الاصطناعي، إلى جانب امتلاكهم مستوى جيدًا من الكفاءة الذاتية والمرونة في التعامل معها، مما يعزز صلاحية الاستبانة بوصفها أداة دقيقة في قياس أبعاد الظاهرة قيد الدراسة في السياق العراقي الحديث.

اختبار فرضيات البحث:

الجدول (٥): نتائج اختبار الفرضيات الرئيسة والفرعية باستخدام اختبار T والانحدار الخطي البسيط

م	الفرضية	نوع التحليل	القيمة الإحصائية (Sig.)	الدلالة الإحصائية	الملاحظات
1	تؤثر تطورات الذكاء الاصطناعي بشكل مباشر وغير مباشر على الصحة النفسية والعلاقات الاجتماعية، ويختلف مستوى التأثير تبعًا لعوامل فردية وتنظيمية.	الانحدار الخطي المتعدد (Multiple Regression)	0.000	دالة عند α = 0.01	يدعم الفرضية بشكل قوي جدًا
2	**هناك علاقة طردية بين استخدام الذكاء الاصطناعي في بيئة العمل وارتفاع مستويات الضغط النفسي والقلق لدى الأفراد.**	**الانحدار الخطي البسيط (Simple Regression)**	**0.000**	**دالة عند α = 0.01**	**علاقة طردية قوية جدًا بين المتغيرين**
3	توجد علاقة إيجابية بين المرونة النفسية وقدرة التكيف مع الذكاء الاصطناعي في بيئة العمل.	انحدار خطي بسيط	0. 0.000	دالة عند α = 0.01	علاقة قوية ودالة تؤكد أهمية المرونة في مواجهة التغيرات التقنية.

المصدر: برنامج الحزم الاحصائية SPSS

بالاعتماد على نتائج التحليل الإحصائي الواردة في الجدول (٥)، يتّضح أن الفرضية الرئيسة للدراسة قد حظيت بدعم قوي، حيث أظهرت النتائج أن تطورات الذكاء الاصطناعي تُحدث تأثيرًا مباشرًا وغير مباشر على الصحة النفسية والعلاقات الاجتماعية لدى الأفراد، ويتفاوت هذا التأثير تبعًا لعوامل فردية وتنظيمية، كما عكست البيانات وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستويات الضغط النفسي والمرونة النفسية.

وفيما يخص الفرضية الفرعية الأولى، أظهرت نتائج اختبار T وجود علاقة طردية دالة إحصائيًا بين استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في بيئة العمل وارتفاع مستويات الضغط النفسي والقلق، مما يشير إلى أن الاستخدام المتزايد للذكاء الاصطناعي قد يُسهم في توليد مستويات إضافية من التوتر النفسي نتيجة التغيرات المستمرة في بيئة العمل الرقمية.

كما أظهرت نتائج التحليل أن الاستخدام المتكرر لتقنيات الذكاء الاصطناعي في العمل يرتبط بانخفاض جودة العلاقات الاجتماعية داخل المؤسسة. وقد تم التأكد من ذلك عبر اختبار T، الذي كشف عن فروق ذات دلالة في المؤشرات الاجتماعية بين الأفراد، مما يعكس الأثر السلبي للتفاعل مع الأدوات الرقمية على مهارات التواصل والتفاعل المهني المباشر.

من جهة أخرى، أظهر تحليل الانحدار الخطي وجود علاقة ارتباط إيجابية قوية بين المرونة النفسية والتكيف مع أدوات الذكاء الاصطناعي، حيث بلغت قيمة معامل الارتباط R=٠,٧٦٧R = ٠,٧٦٧R=٠,٧٦٧، ومعامل التحديد R٢=٠,٥٨٩R²= ٠,٥٨٩R٢=٠,٥٨٩، وبلغ مستوى الدلالة الإحصائية Sig.=٠,٠٠٠Sig = ٠,٠٠٠.=٠,٠٠٠. تعزز هذه النتيجة فرضية أن الأفراد الأكثر مرونة نفسيًا هم الأقدر على التكيّف مع الضغوط التقنية المتزايدة، مما يبرز أهمية الدعم النفسي والمؤسسي في بيئات العمل الرقمية.

الاعتبارات الأخلاقية:

بالنظر إلى طبيعة الدراسة الحالية حول «الأثر النفسي والاجتماعي لتطورات الذكاء الاصطناعي على الإنسان في العصر الرقمي»، تم إبلاغ جميع المشاركين بمضمون الدراسة وأهدافها بشكل واضح ومفهوم، مع التأكيد على طابعها الأكاديمي البحثي. وقد أُعطي المشاركون الحرية الكاملة في اتخاذ قرار المشاركة، دون أي ضغوط أو إلزام، وتم التأكيد على أن جميع البيانات ستُستخدم لأغراض البحث العلمي فقط، مع ضمان السرية التامة للمعلومات الشخصية.

كما تم توفير نموذج موافقة خطية يوضح حقوق المشاركين، بما في ذلك الحق في الانسحاب في أي مرحلة من مراحل الدراسة دون أن تترتب على ذلك أي نتائج سلبية أو التزامات. وقد تم اتباع جميع المعايير الأخلاقية المرتبطة بالبحث العلمي، بما يضمن احترام الخصوصية وكرامة الأفراد المشاركين.

مناقشة النتائج:

أظهرت نتائج هذه الدراسة أن تطورات الذكاء الاصطناعي تُحدث تأثيرًا ملحوظًا على الأفراد نفسيًا واجتماعيًا ضمن بيئات العمل الرقمية، وذلك من خلال مجموعة من الأدلة الإحصائية التي تم التوصل إليها عبر مراحل التحليل المختلفة. فقد كشفت نتائج معامل «ألفا كرونباخ» عن مستوى عالٍ من الثبات الداخلي لأداة الدراسة، حيث تجاوزت القيم (٠,٩٠) في جميع المحاور، وهو ما يعكس مصداقية وموثوقية عالية في قياس الأبعاد النفسية والاجتماعية المستهدفة. كذلك أوضحت النتائج الديموغرافية أن توزيع أفراد العينة كان متوازنًا من حيث الجنس والعمر والمجموعة، مما يدعم موضوعية المقارنات ويقلل من احتمالية تحيز النتائج.

أما على مستوى الإحصاءات الوصفية، فقد تراوحت المتوسطات الحسابية لبنود الاستبانة بين ٣,٤٢ و٣,٧٥، وهي تقع ضمن فئة «موافق» على مقياس ليكرت الخماسي، ما يدل على وجود اتجاه إيجابي لدى المشاركين في إدراكهم لتأثير الذكاء الاصطناعي، سواء من حيث التحديات النفسية أو مدى قدرتهم على التكيف. وفي تحليل معاملات الارتباط باستخدام Spearman›s Rho، تبين وجود ارتباطات دالة إحصائيًا بين جميع البنود والدرجة الكلية للمحور الذي تنتمي إليه، مما يعزز الصدق البنائي ويؤكد أن بنود الاستبانة تعكس بفعالية الظواهر المستهدفة، ولا سيما البنود المرتبطة بالضغط النفسي والتغيرات في العلاقات الاجتماعية والمرونة النفسية.

وعند اختبار فرضيات الدراسة، جاءت النتائج لتدعم الفرضية الرئيسة التي تنص على أن تطورات الذكاء الاصطناعي تؤثر بشكل مباشر وغير مباشر على الصحة النفسية والعلاقات الاجتماعية للأفراد، حيث أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الضغط النفسي والقلق لصالح الأفراد الأقل تعرضًا للتقنيات الذكية، كما بينت نتائج T–Test أن هناك فروقًا معنوية بين المجموعتين (التجريبية والضابطة) في إدراك أثر الذكاء الاصطناعي على جودة العلاقات المهنية، وهو ما يؤكد صحة الفرضية الأولى والثانية. أما الفرضية المتعلقة بوجود علاقة بين التفاعل مع الذكاء الاصطناعي ودرجة التكيف النفسي، فقد تم دعمها من خلال نتائج الانحدار الخطي التي أظهرت علاقة طردية قوية (R = ٠,٧٦٧) ودالة إحصائيًا (Sig. = ٠,٠٠٠)، مما يوضح أن الأفراد ذوي المرونة النفسية الأعلى هم الأكثر قدرة على مواجهة التحديات التقنية.

بناءً على ذلك، تُبرز هذه النتائج الأثر المتعدد الأبعاد لاستخدام الذكاء الاصطناعي، حيث يتجاوز التأثير الجوانب التقنية ليشمل الصحة النفسية والعلاقات الاجتماعية، وهو ما يتطلب من المؤسسات تبني استراتيجيات دعم نفسي ومهني تواكب هذه التحولات. كما تؤكد الدراسة أهمية تعزيز المرونة النفسية لدى العاملين وتمكينهم من المهارات الرقمية اللازمة، بما يضمن تكيفًا صحيًا ومستدامًا مع الذكاء الاصطناعي في بيئة العمل العراقية الحديثة.

الاستنتاجات:

١. وجود تأثير نفسي واجتماعي ملموس لتقنيات الذكاء الاصطناعي على الأفراد العاملين في بيئات العمل الرقمية، تمثّل ذلك في شعور المشاركين بارتفاع مستويات الضغط النفسي والقلق، وضعف التفاعل الاجتماعي المباشر.

٢. أظهرت المعاملات الإحصائية ألفا كرونباخ وSpearman's Rho اتساقًا داخليًا مرتفعًا وارتباطًا دالًا إحصائيًا بين فقرات الاستبانة ومحاورها، مما يعكس صدق وثبات أداة القياس.

٣. تُعد المرونة النفسية لدى الأفراد مؤشرًا وقائيًا مهمًا في مواجهة تحديات الذكاء الاصطناعي، حيث أظهر الأفراد ذوو المرونة النفسية قدرة أفضل على التكيف دون اضطراب.

٤. تباينت مستويات الأثر وفقًا للعوامل الفردية والتنظيمية، مثل مدى التعرض اليومي للتقنيات الذكية ونوع المهام، ما يشير إلى ضرورة مراعاة الفروق الشخصية في تطوير استراتيجيات التدخل والدعم.

٥. ارتبط الاستخدام المتكرر للذكاء الاصطناعي بانخفاض جودة التفاعل الإنساني، مما قد يؤثر على طبيعة العلاقات المهنية والتعاون داخل فرق العمل.

التوصيات:

١. ضرورة إدراج برامج الدعم النفسي والتدريب التكيفي ضمن سياسات المؤسسات التي تستخدم الذكاء الاصطناعي بكثافة، خاصة في القطاعات الخدمية والتعليمية.

٢. تعزيز المرونة النفسية من خلال التدريب على مهارات التأقلم الرقمي، مثل إدارة الوقت، والذكاء العاطفي، وتقنيات الاسترخاء الذهني.

٣. تصميم استراتيجيات تواصل هجين تجمع بين التفاعل البشري والتقني، لضمان الحفاظ على العلاقات الاجتماعية الصحية داخل بيئة العمل.

٤. دعوة الباحثين مستقبلاً لتوسيع نطاق الدراسات لتشمل قطاعات مهنية متعددة وفئات عمرية متنوعة، لتكوين صورة أشمل عن الأثر طويل الأمد لتقنيات الذكاء الاصطناعي.

٥. تشجيع السياسات التنظيمية على تضمين ضوابط لاستخدام الذكاء الاصطناعي، تراعي الأبعاد النفسية والاجتماعيةللعاملين.

الخاتمة:

تُبرز هذه الدراسة، في ضوء النتائج الإحصائية والمعالجات النظرية، أهمية البعد الإنساني في ظل التحولات الرقمية المتسارعة. فقد ثبت أن الذكاء الاصطناعي لا يُغيّر فقط طبيعة المهام، بل يمتد تأثيره إلى الصحة النفسية والعلاقات الاجتماعية. إن التكيف مع هذا الواقع الجديد لا يقتصر على امتلاك المهارات التقنية، بل يتطلب كذلك تعزيز الدعم النفسي والتربوي، وبناء بيئة عمل مرنة تستوعب التحولات بأقل قدر من التوتر وأعلى درجة من التفاعل الإيجابي. إن الفهم العميق لهذه الأبعاد يمكّن صانعي القرار من توظيف الذكاء الاصطناعي بطريقة تُسهم في تنمية الإنسان، لا في إثقال كاهله بالضغوط.

المراجع:

1. Chu, R., Yam, K. C., & Lee, K. (2025). Illusions of intimacy: Emotional attachment and emerging psychological risks in human–AI relationships.

2. Hohenstein, J. M., Leverenz, L., & Danescu-Niculescu-Mizil, C. (2023). Artificial intelligence in communication impacts language and social relationships. Proceedings of the National Academy of Sciences, 120(4), e2212987120.

3. Jin, G., Jiang, J., & Liao, H. (2024). The work affective well-being under the impact of AI: The mediating role of job stress and the moderating role of psychological resilience. Scientific Reports, 14, 75113.

4. Kim, B.-J., & Lee, J. (2024). The mental health implications of artificial intelligence adoption: The crucial role of self-efficacy. Humanities and Social Sciences Communications, 11, Article 117.
5. Liţan, D.-E. (2025). The Impact of Technostress Generated by Artificial Intelligence on the Quality of Life: The Mediating Role of Positive and Negative Affect. Behavioral Sciences, 15(4), 552.
6. Logg, J. M., Minson, J. A., & Moore, D. A. (2019). Algorithm appreciation: People prefer algorithmic to human judgment. Organizational Behavior and Human Decision Processes, 151, 90–103.
7. Lu, R., Li, F., & Lin, Y. (2024). The Influence of AI Dependence on Employee Resilience Based on Self-Regulation Theory. SSRN.
8. Sadeghi, V. (2024). Employee well-being in the age of AI: Perceptions, concerns, behaviors, and outcomes. arXiv preprint.
9. Skjuve, M., Følstad, A., & Brandtzaeg, P. B. (2021). My chatbot companion – a study of human–chatbot relationships. International Journal of Human–Computer Studies, 149, 102601.
10. Wang, H., Wang, J., & Zhang, M. (2024). The work affective well-being under the impact of AI: The mediating role of job stress and the moderating role of psychological resilience. Scientific Reports, 14, Article 3271.
11. Wei, H., & Li, X. (2022). Transformation to industrial artificial intelligence and workers' mental health: Evidence from China. Social Science Research Network.
12. Wut, T.-M., Lee, S.-W., & Xu, J. B. (2022). Role of organizational resilience and psychological resilience in the workplace: Internal stakeholder perspective. International Journal of Environmental Research and Public Health, 19.
13. Zhao, H., & Wu, P. (2025). Artificial intelligence job substitution risks, digital self-efficacy, and mental health among employees. Journal of Occupational and Environmental Medicine, 67(5), e302–e310.
14. Zheng, J., & Zhang, T. (2025). Association Between AI Awareness and Emotional Exhaustion: The serial mediation of job insecurity and work interference with family. Behavioral Sciences, 15(4), 401.

ملحق رقم (١) «استبانة دراسة»

نطلب منكم قراءة كل عبارة بدقة ووضع إشارة (×) في إحدى الخانات المتوافقة مع رأيكم، متوخين الدقة والموضوعية في إجاباتكم، علماً أن رأيكم محاط بالسرية، والمعطيات المقدمة لن تستعمل إلاّ لأهداف البحث العلمي فقط، وتتوقف لدقتها صحة الاستنتاجات المتوصلة إليها الدراسة.

ولكم فائق الاحترام.

أولاً: البيانات الشخصية الديموغرافية

رقم	العبارة	أوافق بشدة	أوافق	محايد	لا أوافق	لا أوافق بشدة
1	أشعر بالقلق من فقدان وظيفتي بسبب تقنيات الذكاء الاصطناعي.	☐	☐	☐	☐	☐
2	التكيف مع أنظمة الذكاء الاصطناعي يسبب لي ضغطًا نفسيًا.	☐	☐	☐	☐	☐
3	أجد صعوبة في مجاراة التحديثات السريعة للأنظمة الذكية في العمل.	☐	☐	☐	☐	☐
4	أشعر أن استخدام الذكاء الاصطناعي يقلل من تقديري الذاتي في العمل.	☐	☐	☐	☐	☐
5	أشعر بالإرهاق الذهني نتيجة التعامل المتكرر مع تقنيات الذكاء الاصطناعي.	☐	☐	☐	☐	☐
6	أشعر بعدم الأمان الوظيفي نتيجة توسع استخدام الذكاء الاصطناعي.	☐	☐	☐	☐	☐
7	أدى استخدام الذكاء الاصطناعي إلى تقليل التواصل المباشر مع زملاء العمل.	☐	☐	☐	☐	☐
8	أصبحت الاجتماعات أقل تفاعلاً إنسانيًا بسبب استخدام أدوات ذكية.	☐	☐	☐	☐	☐
9	أشعر أن الذكاء الاصطناعي يُضعف العلاقات المهنية داخل المؤسسة.	☐	☐	☐	☐	☐
10	تقل فرص التعاون الفعلي في بيئة العمل بسبب أدوات الذكاء الاصطناعي.	☐	☐	☐	☐	☐
11	أتمتع بالقدرة على التكيف مع التطورات التقنية الجديدة دون اضطراب نفسي.	☐	☐	☐	☐	☐
12	أبادر لتطوير مهاراتي الرقمية لمواجهة تحديات الذكاء الاصطناعي.	☐	☐	☐	☐	☐
13	أواجه تحديات العمل التقني بثقة وهدوء، وأتعامل مع أدوات الذكاء الاصطناعي بكفاءة.	☐	☐	☐	☐	☐
14	أحتفظ باتزاني النفسي حتى تحت ضغط التغيرات التقنية المرتبطة بالذكاء الاصطناعي.	☐	☐	☐	☐	☐
15	أستطيع تنظيم وقتي وأدائي بفعالية رغم تدخل تقنيات الذكاء الاصطناعي في عملي اليومي.	☐	☐	☐	☐	☐

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

أثر استراتيجية Q.A.R في تنمية مهارات التفكير التحليلي والتحصيل في مادة الرياضيات لدى طالبات الصف الثاني المتوسط

م. م. ضمياء عباس منشد قاسم
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

المستخلص:

يهدف البحث التعرف على (اثر استراتيجية Q.A.R في تحصيل مادة الرياضيات ومهارات التفكير التحليلي لدى طالبات الصف الثاني المتوسط) اختارت الباحثة التصميم التجريبي لمجموعتين متكافئتين احدهما تجريبية والأخرى ضابطة، اذ تم اختيار عينة البحث عشوائياً من طالبات(متوسطة طيبة) للبنات في مديرية تربية بغداد/الرصافة الثالثة كوفئت مجموعتي البحث في متغيرات:(العمر الزمن محسوباً بالاشهر-تحصيل الطالبات في مادة الرياضيات للصف الثاني المتوسط(العام السابق)-اختبار المعلومات السابقة في مادة الرياضيات-اختبار الذكاء)، كما حددت الأهداف السلوكية في المجال المعرفية وبلغ عددها (٣٥٢) هدفاً سلوكياً، كما تم اعداد الخطط التدريسية اللازمة لمجموعتي البحث(التجريبية والضابطة)،اما بالنسبة الى أدوات البحث فقد اعدت الباحثة اختباراً لمجموعتي البحث تكون من (١٠) فقرات من نوع الاختيار من متعدد ذو أربعة بدائل وقد تم حساب صدق وثبات معامل التمييز والصعوبة وفعالية البدائل لهذا الاختبار، وطبقت التجربة في الفصل الدراسي الثاني من العام (٢٠٢٤-٢٠٢٥) ولمعالجة البيانات احصائياً استخدمت الوسائل الإحصائية الاتية:(الاختبار التائي لعينتين مستقلتين غير متساويتين،معادلات الصعوبة والقوة تمييز الفقرات وفعالية البدائل الخاطئة،معادلة ارتباط بيرسون،معامل ارتباط سبيرمان) وتم التوصل الى النتائج الاتية: وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات طالبات الصف الثاني المتوسط اللواتي يدرسن مادة الرياضيات وفقاً لاستراتيجية PQ٣R ومتوسط درجات طالبات الصف الثاني المتوسط اللواتي يدرسن المادة نفسها وفقاً للطريقة التقليدية في اختبار التحصيل واختبار معارات التفكير التحليلي ولصالح المجموعة التجريبية، وفي ضوء نتائج البحث قدمت الباحثة مجموعة من التوصيات منها: ضرورة استعمال استراتيجية Q.A.R في تدريس الرياضيات لما لها من دور في رفع المستوى العلمي للمتعلم، وقدمت مقترحات عديدة منها: اجراء بحث مماثل على مراحل ومواد دراسية ومتغيرات أخرى.

الكلمات المفتاحية: استراتيجيةQ.A.R ، معارات التفكير التحليلي، التحصيل

Abstract:

The research aims to identify (the effect of the Q.A.R. strategy on mathematics achievement and analytical thinking skills among second-grade intermediate female students). The researcher chose an experimental design for two equivalent groups, one experimental and the other a control group. The research sample was randomly selected from students at Taiba Intermediate School for Girls in the Baghdad Education Directorate / Third Rusafa. The two research groups were rewarded on the following variables: (age calculated in months - students› achievement in mathematics for the second-grade intermediate (previous year) - a test of previous knowledge in mathematics - an intelligence test). Behavioral objectives were behavioral (٣٥٢) also identified in the cognitive field, amounting to objectives. The necessary teaching plans were also prepared for the two research groups (experimental The researcher prepared multiple- (١٠) a test for the two research groups consisting of choice items with four alternatives. The validity and reliability of

the discrimination and difficulty coefficient and the effectiveness of the alternatives for this test were calculated. The experiment To .(٢٠٢٥-٢٠٢٤) was applied in the second semester of the year process the data statistically, the following statistical methods were used: (T-test for two independent unequal samples, difficulty and strength equations, discrimination of items and effectiveness of wrong alternatives, Pearson correlation equation, Spearman correlation coefficient). The following results were reached: There is a statistically significant difference at a significance level of between the average scores of second-grade middle school (٠,٠٥) students who study mathematics according to the PQ٣R strategy and the average scores of second-grade middle school students who study the same subject according to the traditional method in the achievement test and the analytical thinking skills test in favor of the experimental group. In light of the research results, the researcher presented a set of recommendations, including: The necessity of using the Q.A.R strategy in teaching mathematics because of its role in raising the scientific level. For the learner, several suggestions were made, including conducting similar research across different .stages, subjects, and variables

Keywords: QAR strategy, analytical thinking skills, achievement

الفصل الأول: التعريف بالبحث

أولاً: مشكلة البحث

ان الرياضيات بفرعيها المجرد والنظري تنمو وتتطور بشكل كبير جداً، ساعد في ذلك سرعة نقل المعلومة وسرعة الحصول عليها وان هذا التطور النوعي والكمي في الرياضيات قابله تطور في منهاج الرياضيات بصورة جعله أكثر تشويقاً ووضوحاً معتمداً على وسائل واستراتيجيات تدريسية وتقويمية حديثة (أبو سعد، ٢٠١٠: ٢٤)

اذ انها عنصر حاكم فيما يجري حالياً-وفيما هو متوقع مستقبلاً- من مستحدثات علمية تكنلوجية ولذلك فان مناهج الرياضيات وتربوياته لابد وان تتجاوب مع معطيات التطور وتخلع عنها ردائها التقليدي، فاالطالبات في حاجة الى رياضيات اكثر نفعية في مسالكهم المعيشية ويسهم تعلمها في اعدادهم لمواجهة تحديات المستقبل (عبيد واخرون، ١٩٩٤: ٣-٤). ونظراً لأهمية الرياضيات في مواجهة تحديات هذا العصر المتمثلة في التقدم التكنلوجي وثورة المعلومات والاتصال وتطوير العلوم الرياضية ذاتها أدت بالضرورة الى التأكيد على تعديل محتوى الرياضيات المدرسية وطرائق تعليمها بما يتناسب مع طبيعة تحديات هذا العصر فقد أشار التقرير الصادر من منظمة اليونسكو Unesco عام١٩٩٢ (٢٩) حول تعليم الرياضيات للقرن الحادي والعشرين الى بعض الرؤى المستقبلية لتدريس الرياضيات كذلك أشار التقرير الصادر عن مجلس البحث القومي بالولايات المتحدة NRC عام ١٩٨٩ (٢٨) الى القضايا المتعلقة بمستقبل تعليم الرياضيات وكيفية علاجها (Howe, ٢٠١٩: ٤-١)

اذ نجد بعض المدرسين يكتفون بطرائق تدريسية تلقوها في دراستهم أو تدربوا عليها إبان مدة إعدادهم للعمل في

هذا الميدان المهم، خوفا من تجريب كل جديد لا يعرفونه أو نقصاً في دافعيتهم نحو تطوير أدائهم، متجاهلين أن طرائق التدريس تتطور بتطور معرفة الإنسان وبتطور تقنيات التعليم وحاجات المجتمع المعقدة والمتزايدة، والمدرسين الذين لا تستهويهم أساليب التدريس الحديثة سرعان ما يصبحوا أسيري طرائق التدريس التقليدية، وهذا انعكس بشكل سلبي على المواد الدراسية

(الزبيدي، ٢٠١٠، ص ١٨٤)

وتأكيداً لمشكلة البحث وزعت الباحثة استبانة حول مشكلة البحث على عدد من مدرسات مادة الرياضيات والبالغ عددهن (٢٠) مدرسة، لاستطلاع ارائهم وبعد تحليل الاستبانة وجد ان:-

(٨٥٪) من مدرسات الرياضيات ليس لديهن معرفة سابقة حول مفهوم استرتيجية Q.A.R.

(٩٠٪) اكدن على استخدامهن لطرائق التدريس الاعتيادية في شرح المادة.

(٨٠٪) ليس لديهن معرفة سابقة حول مفهوم مهارات التفكير التحليلي.

(٩٠٪) لاحظن وجود ضعف في مهارات التفكير التحليلي لدى طالبات الصف الثاني المتوسط.

(٩٥٪) اكدن على أهمية تحسين مهارات التفكير التحليلي لدى طالبات الصف الثاني المتوسط.

فضلاً عن ذلك لا توجد دراسة سابقة تناولت استراتيجية Q.A.R في الرياضيات (حسب علم الباحثة) وقلة الدراسات التي تناولت مهارات التفكير التحليلي.

وفي ضوء ماسبق ارتات الباحثة البحث عن الر استراتيجية Q.A.R في تنمية مهارات التفكير التحليلي والتحصيل في مادة الرياضيات لدى طالبات الصف الثاني المتوسط

ومن هنا تتحدد مشكلة البحث الحالي في الإجابة عن السؤال الاتي:-

(ما اثر استراتيجية Q.A.R في تنمية مهارات التفكير التحليلي والتحصيل في مادة الرياضيات لدى طالبات الصف الثاني المتوسط؟)

ثانياً: أهمية البحث:

الأهمية النظرية:

١- أهمية استخدام طرائق واستراتيجيات تدريس حديثة فاعلة تراعي تنمية مهارات التفكير لدى المتعلم.

٢- جاءت أهمية هذا البحث من الحاجة إلى تقديم إطار علمي يساعد في الكشف عن مدى تاثير ستراتيجية Q.A.R في تنمية مهارات التفكير التحليلي لدى طالبات الصف الثاني المتوسط ورفع تحصيلهن في مادة الرياضيات.

٣- المساهمة في بناء قاعدة علمية حول تأثير أساليب التدريس الحديثة على التحصيل.

٤- اظهار أهمية تنويع الاستراتيجيات التعليمية لتقليل الفروق الفردية بين الطالبات

٥-تسليط الضوء على العلاقة بين الاستراتيجية Q.A.R ومهارات التفكير التحليلي التي تعد من متطلبات القرن الحادي والعشرين

٦-ابراز دور المعلم في تفعيل التفكير التحليلي من خلال أساليب تساؤلية منهجية.

٧-أثراء المجال النظري لاستراتيجيات التدريس من خلال توظيف استراتيجية Q.A.R في مادة الرياضيات.

الأهمية التطبيقية:

١- تزويد مدرسات الرياضيات باستراتيجية علمية يمكن تطبيقها لتنمية مهارات التفكير التحليلي وتحسين مستوى التحصيل الدراسي.

٢- مساعدة المدرسات على تدريب الطالبات على مهارات تحليل الأسئلة الرياضية حسب علاقتها بالنص او خارج النص.

٣-تحفيز إدارات المدارس على تبني استراتيجيات تدريسية حديثة اكثر فاعلية من الطرائق التقليدية.
٤-تعزيز قدرة الطالبات على تصنيف الأسئلة وفق مستوياتها المختلفة مما يطور التفكير التحليلي لديهن.
٥-إعطاء المدرسات أدوات تقويم حديثة لتحديد استجابات الطالبات ومدى استيعابهن.
٦-مساعدة المدرسات على اعداد أنشطة صفية قابلة للتنفيذ باستخدام استراتيجية Q.A.R تدعم تطوير الفهم والتحليل.

ثالثاً: هدفا البحث:

١-اثر استراتيجية (Q.A.R) في التحصيل لدى طالبات الصف الثاني المتوسط في مادة الرياضيات.
٢- اثر استراتيجية (Q.A.R) في مهارات التفكير التحليلي لدى طالبات الصف الثاني المتوسط في مادة الرياضيات.

رابعاً: فرضيتا البحث:

لغرض التحقق من هدفي البحث تم صياغة الفرضييات الصفرية التالية:-
١-لايوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات طالبات الصف الثاني المتوسط اللواتي يدرسن مادة الرياضيات وفقاً لاستراتيجية (Q.A.R) ومتوسط درجات طالبات الصف الثاني المتوسط اللواتي يدرسن المادة نفسها وفقاً لـ(الطريقة الاعتيادية) في التحصيل.
٢- لايوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات طالبات الصف الثاني المتوسط اللواتي يدرسن مادة الرياضيات وفقاً لاستراتيجية (Q.A.R) ومتوسط درجات طالبات الصف الثاني المتوسط اللواتي يدرسن المادة نفسها وفقاً لـ(الطريقة الاعتيادية) في مهارات التفكير التحليلي.
٣- لايوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية في اختبار مهارات التفكير التحليلي قبليا وبعدياً

خامساً: حدود البحث:

يقتصر البحث الحالي على:
١-طالبات الصف الثاني المتوسط المدارس المتوسطة والثانوية النهارية(الحكومية) الخاصة بالبنات في مديرية تربية بغداد/الرصافة الثالثة.
٢- الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي (٢٠٢٤-٢٠٢٥م).
٣-موضوعات كتاب الرياضيات المقرر تدريسه لطالبات الصف الثاني المتوسط ط٦، ٢٠٢٤ المتمثلة بالفصول (الفصل الخامس:الهندسة والقياس، الفصل السادس:الهندسة الاحداثية، الفصل السابع: الإحصاء والاحتمالات).
٤-مهارات التفكير التحليلي

سادساً: مصطلحات البحث

١) الأثر عرفه كل من :
-(ابراهيم، ٢٠٠٩) بأنه: قدرة العامل موضوع الدراسة على تحقيق نتيجة ايجابية، لكن اذا انتفت هذه النتيجة ولم تتحقق، فان العامل قد يكون من الاسباب المباشرة لحدوث تداعيات سلبية (ابراهيم، ٣٠: ٢٠٠٩).
-(شحاته والنجار، ٢٠٠٣) بأنه: محصلة تغير مرغوب فيه يحدث في المتعلم نتيجة لعملية التعلم (شحاته والنجار، ٣٢: ٢٠٠٣).
تبنت الباحثة تعريف (إبراهيم،٢٠٠٩) كتعريف نظري لبحثها
والتعريف الاجرائي هو:»التغيير الذي يحدثه استعمال استراتيجية Q.A.R في التحصيل وتنمية مهارات التفكير التحليلي الطالبات الصف الثاني المتوسط

استراتيجية (Q.A.R) عرفها كل من :

– (Khasanah&Cahyani:٢٠١٦) بانها:» خطوات توضح للمتعلم الطريقة التي يتعامل بها مع النص مستنداً في ذلك على معلومات النص والمعلومات السابقة، من اجل الوصول الى المعنى وفهم المقروء»

تبنت الباحثة تعريف (Khasanah&Cahyani:٢٠١٦) كتعريف نظري لبحثها

وتعرفها اجرائياً بانها:»خطوات تشتمل على مجموعة من الإجراءات القرائية من خلال أسئلة تستهدف ذلك والتدرج بالطالبة في استيعاب المشكلة الرياضية وتؤدي الى أسئلة ذات إجابات عميقة ترتكز على جهد الطالبة ويتم من خلال هذه الاستراتيجية تمكين االطالبات الصف الثاني المتوسط من الإجابة عن أربعة مستويات من الأسئلة يجيبن عنها بعد قراءة المشكلة تتمثل بـ:الإجابة الحرفية،فكر واستنتج، عبر بكلماتك الخاصة»

التحصيل عرفه كل من:

–(علام، ٢٠٠٩) بأنه: الانجاز او كفاءة الأداء في مهارة معينة أو مجموعة من المعارف أو أنه المعرفة المكتسبة أو المهارة النامية في المجالات الدراسية المختلفة، وتتمثل في درجات الاختبارات أو العلامات التي يضعها المعلم لطلبته أو كليهما (علام، ٢٠١: ٢٠٠٩).

–(الجلالي، ٢٠١١) بأنه: مدى استيعاب االطالبات لما تعلموه من خبرات معينة لمادة دراسية مقررة (الجلالي، ٢٠١١: ٢٣).

تبنت الباحثة تعريف (علام،٢٠٠٩) كتعريف نظري لبحثها

وتعرفه اجرائياً بانه:»مجموعة الدرجات التي تحصل عليها طالبةات عينة البحث في الاختبار التحصيلي الذي أعدته الباحثة بعد دراستهن لمادة الرياضيات في التجربة».

٣) التفكير التحليلي عرفه كل من:

– (بكار،١٩٩٥) بانه:» مهارة يتحلى بها المتعلم من خلال التوضيح والتوسع في الموضوع».
(بكار،١٩٩٥:٩٨)

– (Harris,١٩٩٨) بانه:» القدرة على تفكيك أجزاء المواضيع وتوليد أفكار جديدةوالعمل بشكل متواصل لتحسين الأفكار الموجودة وما يترتب عنها من حلول». (Harris,١٩٩٨:٥٤)

– (عبد الهادي، ٢٠٠٠) بانه:» مجموعة العمليات العقلية التي تتم فيها فك او تحليل ظاهرة معينة الى عناصرها».
(عبد الهادي، ٢٠٠٠: ٤٥)

٤) مهارات التفكير التحليلي عرفها كل من :

– (Topin&Capie,١٩٨١) بانها:»المقدرة العقلية التي تمكن المتعلم من الفحص الدقيق للوقائق، والأفكار، والحلول، والاشياء، والمواقف، وتفتيتها الى اجزائها، او تقسيمها الى مكوناتها الفرعية.
(Topin&Capie,١٩٨١:١٣)

– (Koo and Choi,٢٠٠٧) بانها:» مساعدة المتعلم في التعرف على أجزاء الأشياء وخصائصها والتميز بينها والتعرف على العلاقات والاشكال المتتالية.
(Koo and Choi,٢٠٠٧:٦٥)

– (Richard,٢٠٠٦) بانها:»القدرة على تحليل المعلومات، وتحديد مفتاح القضايا والعلاقات او الأهداف، وتشخيص الفرص، وتقديم استنتاجات من المعلومات المتاحة، واستخلاص النتائج المنطقية وتحليل المشكلات خطوة بخطوة نحو الحل، مما يدل على بصيرة من خلال العلاقات بين المواقف او الاشياء التي ليست ذات صلة واضحة. (Richard,٢٠٠٦:٩٧)

– (Tarman,٢٠٠٥) بانها:» قدرة المتعلم على تحليل تفاصيل الموقف الى أجزاء دقيقة او تفصيلية لايجاد

الحل المناسب للمشكلة، ويتناول القدرة على تحليل المثيرات البيئية الى أجزاء منفصلة ليسهل التعامل والتفكير فيها بشيء مستقل. (Tarman,٢٠٠٥:٣٤)

تبنت الباحثة تعريف (Topin&Capie,١٩٨١) كتعريف نظري لبحثها

– وتعرفها الباحثة اجرائياً بانها:» الأداء الذي تظهره طالبات الصف الثاني المتوسط عند استجابتهن لاختبار مهارات التفكير التحليلي والذي يقيس قدرتهن على تحليل المشكلات الرياضية الى مكوناتها، وتحديد العلاقات بين المعطيات، واكتشاف الأنماط، الأنماط والتوصل الى استنتاجات منطقية بناءً على التفكير المنظم، ويتم التعبير عن هذه المهارات من خلال الدرجة التي تحصل عليها الطالبة في الاختبارالتحليلي بعد تطبيق استراتيجية Q.A.R».

الفصل الثاني/اطار النظري ودراسات السابقة

المحور الأول: اطار نظري

اولاً:استراتيجية Q.A.R

الـ(Q.A.R) هي اختصار لـ (Question Answer Relationship) وتعني «العلاقة بين السؤال والجواب»، وتعد ستراتيجية Q.A.R احدى استراتيجيات التي تهدف الى الحكم على مدى فهم الطالبة للمسألة والربط مع خبراته السابقة وتنمية قراته على نقد المسالة او السؤال الذي يقرؤه فهي توضح للطالبة كيفية قراءة النصوص والاجابة عن الأسئلة التي تنقسم الى اربع فئات: فئتان تكون الإجابة عليهما من داخل النص وهما (الإجابة هناك، فكر وابحث) وفئتان تكون الإجابة عليهما من عقل الطالبة وهما (انت المؤلف، وحدك) وتتاثر هذه العملية بخصائص الطالبة وطبيعة المشكلة. (Fordham,٢٠٠٦:٢٥)

وتهدف استراتيجية (Q.A.R) الى تقديم الأسئلة لالطالبات بطريقة منهجية تحليلية، تساعدهم على تحسين مهارات التفكير الناقد، لذا فان استراتيجية علاقة السؤال بالجواب ترتكز على ثلاثة أسس تتمثل بما يأتي:–

١) تحديد هيكلية المشكلة وكيفية نقل المعلومات:

تساعد استراتيجية (Q.A.R) االطالبات على تحديد هيكلة وبنية المشكلة التي يقرؤنها، اذ ان لكل نوع من المشكلات خصائص تميزه عن غيره، فمن خلال معرفة الطالبة لهذه الخصائص يصبح قادراً على تحديد نوع المشكلة التي يقرؤنها ومن ثم فهمها فهماً عميقاً من جميع جوانبه، مما يساعده على تحديد موقع المعلومات المناسبة للإجابة عن الأسئلة، وقراءة ما بين السطور وما ورائها.

٢) تحديد مكان المعلومات:

تساعد تحديد مكان المعلومات االطالبات على تحديد نوع السؤال، سواء في الكتاب او خارجه مما يحدد دائرة البحث عن مكان الإجابة المطلوبة من السؤال، مما يؤدي الى فهم اعمق، واجابة ايسر للسؤال.

٣) تحديد المطلوب من الاستنتاج:

تاتي هذه الخطوة نتيجة لتحديد بنية النص من خلال تحديد الطالبة اذا كانت المعلومات المطلوبة من السؤال موجودة داخل النص، او خارجه فاذا كانت المعلومة المطلوبة من السؤال (الإجابة) خارج النص فان الطالبة يلجأ الى الاستدلال والاستنتاج من خلال الخطوات التالية: تحديد بنية النص، البحث عن ادلة إضافية مع الكلمات الانتقالية، تقرير ما اذا كانت المعلومات في الكتاب من خلال مستويين (فكر وابحث، هناك) او في رأس الطالبة من خلال مستويين (المؤلف وانت،ملكي) مما يجعل الطالبة قادراً على ادراك مواقع الإجابة، وتصنيف أنواع الأسئلة، ورصد الفهم.

إن ستراتيجية (Q.A.R) بمثابة موجه توجه الطالبات وترشدهم الى كيفية البحث عن الإجابة والتوصل اليها ومن ثم فانها استراتيجية متكاملة لا تترك الطالبة دون ان يصل الى هدفه يتوصل الى الإجابة، سواء كانت الإجابة داخل النص، ام في معلوماته السابقة، كما تمكنه من الاستدلال والاستنتاج، والربط بين الجمل، والفقرات، والتفكير

الناقد، والوصول الى الابداع.(Liang,٨٧:٢٠١٠)

مستويات استراتيجية Q.A.R

تعتمد استراتيجية Q.A.R على مستويين أساسيين لتحديد مصدر المعلومة التي ينشدها الطالبة في الإجابة عن سؤال الفهم، وهذان المستويان هما:

١) في الكتاب او في الصفحة او في السؤال : ويدل هذا المستوى من الاستراتيجية على ان المعلومة المطلوبة من السؤال موجودة في الكتاب او في السؤال نفسه وتندرج تحته فئتان هما:

أ) الإجابة في النص: وتعني الإجابة المطلوبة عن الأسئلة في هذه الفئة موجودة في النص بشكل مباشر في جملة.

ب) فكر وابحث: وتعني ان الإجابة المطلوبة موجودة في النص ولكنها ليست في مكان واحد فهي تحتاج الى ربط بين الجمل والفقرات

٢) في رأسي او خارج السؤال: ويدل هذا المستوى على ان المعلومة المطلوبة من السؤال لا توجد في الكتاب بل في المعلومات السابقة للمتعلم وخبراته وتندرج تحته فئتان هما:

أ) انا والكتاب: وتعني ان الإجابة تتطلب التفاعل مع موضوعات الكتاب السابقة وما لدى المتعلم من معرفة سابقة.

شكل (١) يوضح مستويات استراتيجية Q.A.R

شكل(١) مستويات استراتيجية Q.A.R

(Rothong,٧٨:٢٠١٣)

مراحل التدريس عن طريق استراتيجية (Q.A.R)

١) مرحلة التمهيد

يتم تدريب استراتيجية علاقة السؤال بالجواب بالخطوات التالية:

• يشرح المعلم الاستراتيجية لالطالبات في اللقاء الأول، لتمهيد فكرة الاستراتيجية من حيث السلوكيات والأنشطة التي تتضمنها، ومراحل التعلم فيها، ويعرض لهم عرضًا شفهيًا للاستراتيجية على االطالبات من خلال معلمات ورسوم على السبورة، أو توزيع أوراق عمل تحتوي على فئات من الفئات الأربع، وذلك من خلال تمييز االطالبات بين الأسئلة التي يكون جوابها موجودًا في النص، والأسئلة التي تحتاج إلى التفكير أو الاعتماد على معرفة الطالبة السابقة.

• حيث تُقسم الأسئلة إلى أربعة مستويات، وهي:

• **Right There** (هنا فقط): إجابة مباشرة من نص السؤال.
• **Think and Search** (فكر وابحث): من خلال الربط بين أكثر من معلومة في نص السؤال.
• **Author and You** (الكاتب وأنت): خارج نص السؤال + من خبرات الطالبة.
• **On My Own** (ملكي): من المعرفة السابقة للطالبة.
• يوضح المعلم لالطالبات أن استراتيجية علاقة السؤال بالجواب من خلال عمل ملصقات توضيحية وتبسيط المفاهيم على االطالبات والبيانات.
• يعرض المفردات والمفاهيم الجديدة على االطالبات ويوضحها قبل القراءة.

ب) مرحلة النمذجة:

• في هذه المرحلة يركز المعلم على التحقق من مدى فهم االطالبات للعمليات التي قمنَ بها، حيث يعيد المعلم قراءة نص السؤال مع االطالبات، ويطلب منهن توضيح الفقرات التي استخرجنَ منها الإجابة، مما يساعد على:
• التأكد من فهمهن لنص السؤال.
• تعزيز قدرة االطالبات على توليد استراتيجيات إضافية للفهم العميق.
• تنمية مهارة الاستماع والتحليل والتفسير لديهن.
• تحميل االطالبات مسؤولية تفكيرهن، ومساعدتهن على تطوير الفهم الذاتي.

وتتضمن مرحلة النمذجة الإجراءات التالية:

• قراءة النص قراءة نموذجية: بحيث يكون الهدف منها تعزيز الطلاقة والفهم القرائي للسؤال.
• عرض نموذج للإجابة من قبل المعلم: لبيان شكل الإجابة المثالية بشكل واضح يساعد االطالبات على التمييز بين أنواع الأسئلة المختلفة.
• شرح كيفية تحديد نوع السؤال: من خلال أسئلة الكتاب المدرسي باستخدام بطاقات الفهرسة التي تساعد االطالبات على التمييز بين الأنواع الأربعة لاستراتيجية **QAR**، وهي:

١. **Right There** (إجابة مباشرة)
٢. **Think and Search** (فكر وابحث)
٣. **Author and You** (الكاتب وأنت)
٤. **On My Own** (من ذاتي)

ج) مرحلة الممارسة الموجهة:

يعرض المعلم أسئلة تهدف إلى تطوير مهارات الفهم القرائي لدى االطالبات، وهي أسئلة أعدها بنفسها.
يوزع المعلم بطاقات توضح استراتيجية العلاقة بين السؤال والجواب على االطالبات.
يقدم المعلم نموذجًا لتصنيف الأسئلة بناءً على مستويات الاستراتيجية، ثم يقوم االطالبات بتصنيف بقية الأسئلة.
يناقش االطالبات تصنيفاتهم مع المعلم، ويتلقون تغذية راجعة، مع التأكيد على تبرير سبب تصنيف كل سؤال في فئته ومستواه (Al-Kafarna, ٢٠١٥:٦٧).

د) مرحلة الممارسة المستقلة:

يعرض المعلم مجموعة من الأسئلة دون تقديم الأجوبة، ويوجه االطالبات للبحث عن إجاباتها بأنفسهم.
يقوم االطالبات بصياغة الأسئلة والأجوبة من خلال النص، ثم يحددون نوع العلاقة بين السؤال والجواب.
في هذه المرحلة، يمكن لالطالبات إعداد بطاقات يكتبون فيها السؤال والجواب على الوجه الأمامي، ونوع مصدر الإجابة (QAR) على الوجه الخلفي (Raphael, ٢٠٠٥:٤٥).

هـ) مرحلة التطبيق:

تتبادل المجموعات االطالباتية طرح الأسئلة والأجوبة، ويشرحون ويناقشون أسباب استخدام كل نوع من أسئلة استراتيجية العلاقة بين السؤال والجواب.

تشارك كل مجموعة سؤالًا أو سؤالين من الفئات الرئيسية للاستراتيجية.

يقدم المعلم تغذية راجعة لالطالبات حول استخدامهم لهذه الاستراتيجية.

و) مرحلة التقويم

مناقشة استراتيجية QAR:

تُعنى هذه المناقشة بكيفية مساعدة استراتيجية علاقة السؤال بالجواب (QAR) في تحسين فهم االطالبات للنصوص. تتطلب أنواع الأسئلة المطروحة في هذه الاستراتيجية تفكيرًا عميقًا من االطالبات لتحديد نوع العلاقة بين السؤال والجواب.

إكمال االطالبات للإجابات الفعالة:

يتطلب ذلك من االطالبات صياغة سؤالين أساسيين:

كيف تساهم استراتيجية QAR في فهمك للمعلومات؟

كيف يمكنك تطبيق استراتيجية «ملكي»؟

تطبيق الطالبة:

يقدم الطالبة تطبيقًا عمليًا على سؤال يتعلق بمستواه الشخصي (أنا ونفسي).

توضيح الطالبة:

يشرح الطالبة كيف ساعدته استراتيجية علاقة السؤال بالجواب في فهم ما يقرأ.

تتميز كل مرحلة بخطوات إجرائية محددة توضح طريقة تنفيذها. كما تتضمن الاستراتيجية مرحلتين بالغتي الأهمية وهما: مرحلة التغذية الراجعة ومرحلة التقويم.

(Al-Kafarna, ٢٠١٥:٦١)

ثانياً:مهارات التفكير التحليلي

التفكير التحليلي كغيره من أنماط التفكير يتضمن جوانب معرفية وعدة مهارات ادائية يمارسها الفرد في مواقف حياتيه تعبر عن امتلاكه له.

أهمية مهارات التفكير التحليلي

لمهارات التفكير التحليلي دور في مساعدة المتعلمين على مواجهة المشكلات بطريقة صحيحة وممنهجة، مع الاهتمام بالتفاصيل، وجمع اكبر قدر ممكن من المعلومات حولها لوضع حلول فاعلة لها، وان مهارات التفكير التحليلي تساعد المتعلم على :

١- عزل المشكلة الأساسية عن باقي المشكلات الفرعية.

٢- ادراك العلاقات الدقيقة التي تربط عناصر المشكلة مع بعضها البعض.

٣- استخدام اكبر عدد من الحواس في ادراك وفهم المشكلة بكافة ابعادها.

٤- تحديد المشكلة في اطار السياق المحيط بها.

٥- تقديم الحلول المقترحة والوصول الى نتائج.

(عامر،٢٠٠٧: ٥)

دراسات سابقة:

اولاً: دراسات سابقة تناولت استراتيجية Q.A.R

لا توجد دراسة سابقة تناولت استراتيجية Q.A.R (حسب علم الباحثة)

ثانياً: دراسات سابقة تناولت مهارات التفكير التحليلي

جدول (١)دراسات سابقة تناولت مهارات التفكير التحليلي

الباحثة والسنة	عنوان الدراسة	الهدف	المنهج	حجم أفراد العينة	الوسائل الإحصائية المستخدمة	النتائج
حسن (٢٠٢٤)	مهارات التفكير التحليلي ومدى توافرها في كتاب الرياضيات للصف الثالث المتوسط	التعرف على مدى توافر مهارات التفكير التحليلي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية	شبه تجريبي	٣٠ تلميذاً	الاختبار التائي لعينتين مستقلتين	تلاميذ المرحلة الابتدائية يمتلكون مستوى ضعيف من مهارات التفكير التحليلي
خليفة وحسن (٢٠٢٠)	مهارات التفكير التحليلي المتضمنة في كتاب الرياضيات للصف الثالث المتوسط	التعرف على مدى تضمين مهارات التفكير التحليلي في كتاب الرياضيات للصف الثالث المتوسط بجزئية الأول والثاني	وصفي تحليلي	٢١٠ سفحة	التكرارات والنسب المئوية	يتضمن محتوى كتاب الرياضيات للصف الثالث المتوسط بجزئية الأول والثاني على نسب ضعيفة من مهارات التفكير التحليلي

جوانب الإفادة من الدراسات السابقة

دعم مشكلة البحث واهميته وصياغة أهدافه واسئلته.

اعداد اداتا البحث وكيفية التحقق من صدقها وثباتها.

الاطلاع على الوسائل الإحصائية المستعملة في الدراسات السابقة التي قد تساعد الباحثة على اختيار الوسائل الإحصائية المناسبة لهذا البحث.

معرفة مفهوم مهارات التفكير التحليلي.

تحديد موقع هذا البحث بين الدراسات السابقة وذلك من خلال التعرف على عدم وجود دراسة سابقة (على حد علم الباحثة) تناولت استراتيجية Q.A.R في مادة الرياضيات.

منهجية البحث:

استخدمت الدراسة المنهج التجريبي لقياس أثر «استراتيجية Q.A.R» (المتغير المستقل)في تنمية مهارات التفكير التحليلي (المتغير التابع)، وفقًا للتصميم شبه التجريبي بضبط متوسط للمتغيرات.

تم توزيع العينة على مجموعتين متكافئتين: تجريبية تلقت درّست على وفق استراتيجية Q.A.R، وضابطة درست بالطريقة التقليدية. وقد تم ضبط عدد من المتغيرات المؤثرة مثل العمر، التحصيل السابق في مادة الرياضيات، المعرفة السابقة الرياضيات، الذكاء، والمستوى التعليمي للوالدين لضمان دقة النتائج جدول (٢).

جدول(٢) التصميم شبه التجريبي للبحث

المجموعة	متغيرات التكافؤ	المتغير	المتغير التابع	أداة البحث
التجريبية	- العمر الزمني محسوباً بالأشهر - التحصيل السابق في مادة الرياضيات - المعرفة السابقة في الرياضيات - الذكاء - المستوى التعليمي للوالدين	استراتيجية Q.A.R	-مهارات التفكير التحليلي -التحصيل	-اختبار مهارات التفكير التحليلي -اختبار التحصيل
الضابطة		الطريقة المعتادة في التدريس		

ثانياً: مجتمع البحث وعينته:

شمل مجتمع البحث جميع طالبات الصف الثاني المتوسط في المدارس المتوسطة والثانوية الحكومية للبنين ضمن مديرية تربية الرصافة الثالثة للعام الدراسي ٢٠٢٤-٢٠٢٥م.

وقد تم اختيار عينة البحث بطريقة عشوائية، حيث وقع الاختيار على متوسطة طيبة للبنات لتكون موقعًا لتطبيق تجربة البحث. تضم المدرسة ثلاث شعب للصف الثاني المتوسط (أ، ب، ج)، وتم اختيار الشعبة (أ) عشوائيًا لتمثل المجموعة التجريبية التي دُرّست باستخدام استراتيجية Q.A.R، وبلغ عدد طالباتها (٣٠) طالبة، بينما مثّلت الشعبة (ب)

المجموعة الضابطة التي تلقت التدريس بالطريقة الاعتيادية، وبلغ عدد طالباتها (٣٢) طالبة. وبعد استبعاد (٤) طالبات راسبين من المجموعتين تجنّبًا لتأثير خبراتهم السابقة على نتائج التجربة، أصبح العدد النهائي لعينة البحث (٥٨) طالبة، بواقع (٢٩) طالبة في كل مجموعة.

ثالثًا: إجراءات الضبط

السلامة الداخلية للتصميم التجريبي: حرصت الباحثة، قبل البدء في تنفيذ التجربة، على التأكد من تكافؤ طالبات مجموعتي البحث في عدد من المتغيرات التي قد تؤثر في دقة النتائج وسلامة التجربة، وذلك على النحو الآتي:

إذ تم إجراء تكافؤ المجموعتين في المتغيرات الأساسية كما في الجدول (٣)، حيث أظهرت الاختبارات الإحصائية لتجانس التباين (اختبار ليفين) وعدم وجود فروق دالة إحصائيًا في المتوسطات (اختبار T) لكل من:

العمر الزمني (بالأشهر)،التحصيل السابق في مادة الرياضيات،المعرفة الرياضية السابقة،ومستوى الذكاء.

جدول (٣) اختبار تكافؤ المجموعتين في عدد من المتغيرات

المتغير	المجموعة التجريبية	المجموعة الضابطة	اختبار ليفين (F)	قيمة (p)	اختبار (t)	القيمة المحسوبة (t)	القيمة الجدولية (t)	الدلالة الإحصائية
العمر الزمني (بالأشهر)	202.97 (6.769)	200.55 (6.838)	0.764	0.182	دالة	1.351	2.00	غير دال
التحصيل السابق في الرياضيات	71.45 (11.195)	64.34 (11.037)	0.290	0.018	دالة	2.433	2.00	غير دال
المعرفة الرياضية السابقة	14.34 (3.120)	14.28 (2.534)	0.709	0.927	دالة	0.092	2.00	غير دال
اختبار الذكاء (رافن)	60.59 (27.602)	50.03 (30.366)	1.262	0.172	دالة	1.385	2.00	غير دال

المستوى التعليمي للوالدين: تم الحصول على بيانات المستوى التعليمي للوالدين من البطاقة المدرسية، وتوثيقها من خلال استمارة معدّة لهذا الغرض. صُنّف المستوى التعليمي إلى ثلاث فئات: (متوسطة فما دون، إعدادية، دبلوم فما فوق). أظهر اختبار مربع كاي (Chi-square) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعتين، سواء لآباء االطالبات (χ^2 = ٢,٧٨٩) أو الأمهات (χ^2 = ٣,٤١٥) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٢)، مما يشير إلى تكافؤ المجموعتين في هذا المتغير أيضًا .جدول (٤)

جدول (٤) تكافؤ المجموعتين في متغير المستوى التعليمي للوالدين

المجموعة	شعبة	المتغير	متوسطة فما دون	إعدادية	دبلوم فما فوق	المجموع	درجة الحرية df	قيمة χ^2	الدلالة الإحصائية
التجريبية	ب	التحصيل الدراسي للأب	٧	٩	١٣	٢٩	٢	٢,٧٨٩	غير دالة
الضابطة	ج		٦	١٣	١٠	٢٩			
المجموع			١٣	٢٢	٢٣	٥٨			
التجريبية	ب	التحصيل الدراسي للأم	٩	٦	١٤	٢٩	٢	٣,٤١٥	غير دالة
الضابطة	ج		١٢	٨	٩	٢٩			
المجموع			٢١	١٤	٢٣	٥٨			

السلامة الخارجية للتصميم التجريبي :

حرصت الباحثة على ضبط عدد من المتغيرات التي يُحتمل أن تؤثر في نتائج التجربة، وذلك لتعزيز السلامة الخارجية للتصميم التجريبي. وقد شملت هذه المتغيرات ما يأتي:

المُدرسة: تولت الباحثة بنفسها تدريس كلّ من المجموعتين التجريبية والضابطة، وذلك لضمان توحيد أسلوب

التدريس وتقليل أثر الفروق الفردية بين المعلمين.

مكان التجربة: تم تخصيص قاعة دراسية مناسبة لتنفيذ التجربة لكلتا المجموعتين، بالتنسيق مع إدارة المدرسة، لضمان تماثل البيئة التعليمية.

المادة العلمية: تم تقديم المادة العلمية نفسها لكل من المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة، بما يضمن تكافؤ المحتوى المقدم للطرفين.

توزيع الحصص التدريسية: وُزّعت الحصص التدريسية وفق الجدول الرسمي المُعدّ من إدارة المدرسة، بحيث تلقت كل مجموعة خمس حصص أسبوعيًا، وذلك لتحقيق التوازن في الزمن المخصص للتدريس بين المجموعتين.

رابعاً : مستلزمات البحث :

تحديد المادة العلمية: تم اختيار المادة العلمية استنادًا إلى محتوى كتاب الرياضيات للصف الثاني المتوسط، للفصول المقررة تدريسيًا خلال الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي ٢٠٢٤ – ٢٠٢٥ . وقد شمل ذلك الفصول الآتية:

الفصل الخامس: الهندسة والقياس

الفصل السادس: الهندسة الاحداثية

الفصل السابع: الإحصاء والاحتمال

وقد تم اعتماد هذه الفصول بناءً على صلتها الوثيقة بموضوعات البحث وثرائها بالمفاهيم التي تسهم في تحقيق أهداف الدراسة.

تحديد المفاهيم: بهدف ضمان شمولية المحتوى وتحديد المفاهيم المستهدفة بدقة، أُجري تحليل نوعي لمحتوى المادة العلمية، بهدف استخلاص المفاهيم الرئيسية والفرعية المرتبطة بكل فصل من الفصول المختارة. وقد تم عرض هذه المفاهيم على نخبة من المتخصصين في طرائق تدريس الرياضيات؛ للتحقق من مدى ملاءمتها وصحتها من الناحيتين العلمية والتربوية.واستُخدمت نسبة اتفاق مقدارها (٩٥٪) كمعيار لاعتماد المفاهيم، حيث تم اعتماد المفاهيم التي حققت هذه النسبة فأكثر، وأُجريت التعديلات اللازمة استنادًا إلى ملاحظات المحكمين،جدول(٥)

صياغة الأهداف السلوكية : تمت صياغة الأغراض السلوكية وفقًا لتصنيف بلوم (Bloom) في المجال المعرفي، حيث شملت جميع المستويات الست: التذكر، والفهم، والتطبيق، التحليل،التركيب، التقويم. وقد عُرضت هذه الأغراض على مجموعة من المحكّمين المتخصصين في طرائق تدريس الرياضيات؛ بهدف تقويم صياغتها وملاءمتها لأهداف تدريس الفصول الثلاثة. وتم اعتماد الأغراض التي حصلت على نسبة اتفاق ٩٠٪ فأكثر، في حين أُجريَت تعديلات على بعض الأغراض السلوكية التي لم تحقق هذه النسبة. جدول (٥).

جدول(٥)المفاهيم الرئيسية والفرعية في محتوى منهج التجربة وعدد الأهداف السلوكية حسب تصنيف Bloom

الفصل	الموضوع	المفاهيم		العدد الكلي	مستوى الهدف السلوكي					
		الرئيسية	الفرعية		التذكر	الفهم	التطبيق	التحليل	التركيب	التقويم	المجموع
٥	الهندسة والقياس	٦	١٩	٢٥	٢٦	٣٨	٤١	٣٢	٢٥	٢٨	١٩٣
٦	الهندسة الاحداثية	٦	١٥	٢١	٦	١٥	١٣	١٧	١٦	٢٠	٩٣
٧	الإحصاء والاحتمال	٧	١٦	٢٣	٦	٦	١٢	١١	١٥	١٤	٦٣
المجموع		١٩	٥٠	٦٩	٤٦	٥٩	٦٦	٦٠	٥٦	٦٢	٣٥٢

٤- إعداد الخطط التدريسية: تم أعداد مجموعة من الخطط التدريسية بلغ عددها (٤٤) خطة تدريسية يومية بواقع (٢٢) خطة لكل مجموعة من مجموعتي البحث وقد عرضت إنموذج من هذه الخطط اليومية على مجموعة من المحكمين في طرائق تدريس الرياضيات ملحق لمعرفة آرائهم وملاحظتها وتم التعديل عليها وفقاً لآرائهم لتأخذ صيغتها النهائية .

أداة البحث :

الهدف من الاختبار: حددُ الهدف من الاختبار بقياس تنمية طالبةات المجموعتين التجريبية والضابطة لمهارات التفكير التحليلي .

تحديد عدد فقرات الاختبار: بهدف قياس مدى اكتساب االطالبات لمهارات التفكير التحليلي، واستنادًا إلى الأدبيات التربوية وآراء المحكّمين المختصين، أعدتّ الباحثةُ اختباراً مكوّن من (١٠) فقرات تغطي (١٩) مفهومًا رئيسيًا، بحيث خُصصت لكل مفهوم فقرتين تتناول أيضًا مفاهيمه الفرعية. جاءت الفقرات بصيغة اختيار من متعدد (أربعة بدائل)، وعُرضت على مجموعة من المحكمين للتأكد من صلاحيتها، وأُجري عليها التعديل اللازم للوصول إلى الصيغة النهائية.

٦-صدق وثبات الاختبار

لضمان جودة الاختبار، تم التحقق من الصدق والثبات من خلال الإجراءات الآتية:

الصدق:

الصدق الظاهري: عُرضت فقرات الاختبار وتعليماته ومفتاح التصحيح على مجموعة من المتخصصين في طرائق تدريس الرياضيات للتأكد من مناسبة الفقرات لقياس المهارة المستهدفة. وتم تعديل الفقرات بناءً على ملاحظاتهم.

صدق المحتوى: استُخرجت المفاهيم الرئيسة والفرعية من المادة العلمية، وصيغت بناءً عليها (١٠) فقرات، ثم قُدمت للمحكمين المختصين للتأكد من شمولية الفقرات للمحتوى، مما أسهم في تحقيق صدق المحتوى.

وضوح التعليمات والزمن:

طُبّق الاختبار على عينة استطلاعية مكونة من (٣٠) طالبةة من متوسطة فاطمة الزهراء للبنات للتأكد من وضوح التعليمات والفقرات، وتحديد الزمن المناسب للإجابة. وقد تبين أن متوسط الزمن المستغرق هو (٦٥) دقيقة، محسوباً من أول وآخر خمس إجابات مكتملة

التحليل الإحصائي للفقرات:

أجري التحليل على عينة استطلاعية مكونة من (١٠٠) طالبة من الصف الثاني المتوسط، من طالبةات متوسطة حواء للبنات ، باستخدام النسب العليا والدنيا (٢٧٪) من الدرجات، وأسفر التحليل عن الآتي:

معاملات الصعوبة: تراوحت بين (٠,٢٣ – ٠,٦٩) وهي ضمن المدى المقبول (٠,٢٠ – ٠,٨٠).

معاملات التمييز: تراوحت بين (٠,٢٥ – ٠,٦٣)، ما يدل على قدرة الفقرات على التمييز، دون الحاجة لحذف أي فقرة.

فعالية البدائل الخاطئة: كانت جميع البدائل ذات دلالة سالبة، مما يشير إلى فاعليتها في تشتيت انتباه غير المتقنين.

ثبات الاختبار: بلغ معامل الثبات باستخدام معادلة كودر-ريتشاردسون (KR-٢٠) ما مقداره (٠,٧٩)، وهو معامل مرتفع يدل على اتساق داخلي جيد.

إجراءات تطبيق التجربة:

بدأت إجراءات التطبيق الميداني للتجربة في يوم الاحد الموافق ٢/٢ /٢٠٢٥، وتم الشروع في التنفيذ الفعلي لها اعتبارًا من يوم الاحد الموافق ٢/٩ /٢٠٢٥، بواقع خمس حصص أسبوعيًا لكل من المجموعتين التجريبية والضابطة. وقد تم تطبيق اختبار المعرفة السابقة يوم الأربعاء الموافق ٥ /٢/٢٠٢٥، بينما طُبّق اختبار الذكاء في اليوم التالي، الخميس ٦ شباط ٢٠٢٥. أما اختبار التحصيل في مادة الرياضيات، فقد تم تطبيقه على كلتا المجموعتين (التجريبية والضابطة) يوم الاثنين الموافق ٢١ نيسان ٢٠٢٥.

الوسائل الإحصائية:

اعتمدت الدراسة في معالجاتها الإحصائية على برنامج التحليل الإحصائي SPSS، حيث تم استخدام الأساليب التالية:

معادلة كودر–ريتشاردسون (KR–٢٠) لحساب ثبات الاختبارات،

معاملات الصعوبة والتمييز لفقرات الاختبارات،

اختبار مربع كاي (Chi–Square) لتحليل المستوى التعليمي للوالدين

معادلة فعالية البدائل غير الصحيحة،

الاختبار التائي لعينتين مستقلتين (Independent Samples t–test)،

مقاييس حجم الأثر (Effect Size) لقياس قوة تأثير المتغيرات.

عرض النتائج وتفسيرها :

أولاً: النتائج الخاصة بالفرضية الصفرية الأولى وتفسيرها:

تنص الفرضية الأولى على انه:»لايوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات طالبات الصف الثاني المتوسط اللواتي يدرسن مادة الرياضيات وفقاً لاستراتيجية (Q.A.R) ومتوسط درجات طالبات الصف الثاني المتوسط اللواتي يدرسن المادة نفسها وفقاً لـ(الطريقة الاعتيادية) في اختبار التحصيل».

لتحقق من صحة الفرضية الصفرية الأولى تم تصحيح إجابات طالبات مجموعتي البحث في اختبار التحصيل، أظهرت النتائج الموضحة في جدول (٦) ان متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية(٣٨,٤٨)وبانحراف معياري (٨,٣٩١) في حين متوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة (٣١,١٧) وبانحراف معياري (٦,٣٤٢)وتم تطبيق اختبار ليفين لمعرفة دلالة الفرق بين تباين درجات طالبات مجموعتي البحث اذ بلغت قيمة ليفين (F) المحسوبة (١,٩٧٠) عند مستوى دلالة (٠,١٦٦) وهو اكبر من مستوى الدلالة المعتمد (٠,٠٥) وهذا يعني ليس هناك فرق ذو دلالة إحصائية بين تباين درجات طالبات مجموعتي البحث مما يدل على تجانس المجموعتين في متغير التحصيل ولمعرفة دلالة الفرق بين متوسطي درجات مجموعتي البحث تم استعمال الاختبار التائي (t–test) تبين ان القيمة التائية المحسوبة (٣,٧٤٣) عند مستوى دلالة (٠,٠٠) وهو اصغر من مستوى الدلالة المعتمد (٠,٠٥) ودرجة حرية (٥٦) مما يدل على وجود فرق ذو دلالة إحصائية ولصالح طالبات المجموعة التجريبية وهذا يدل على توفق طالبات المجموعة التجريبية اللواتي درسن على وفق استراتيجية Q.A.R على طالبات المجموعة الضابطة اللواتي درسن على وفق الطريقة الاعتيادية وبذلك نرفض الفرضية الصفرية ونقبل الفرضية البديلة، كما موضح في جدول (٦).

جدول(٦)قيم اختبار ليفين والاختبار التائي في الاختبار التحصيلي

المجموعة	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اختبار ليفين لتساوي التباين F	اختبار ليفين لتساوي التباين الدلالة	قيمة t المحسوبة	قيمة t الدلالة	الدلالة الإحصائية عند مستوى (٠,٠٥)
تجريبية	أ	٢٩	٣٨,٤٨	٨,٣٩١	١,٩٧٠	٠,١٦٦	٣,٧٤٣	٠,٠٠٠	دالة
ضابطة	ب	٢٩	٣١,١٧	٦,٣٤٢					

من خلال النتائج التي عرضت في جدول (٦) يظهر ان مستوى الدلالة (٠,٠٠٠) وهو اقل من مستوى الدلالة (٠,٠٥) وهذا يدل على وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) ولصالح المجموعة التجريبية.

ثانياً:عرض النتائج الخاصة بالفرضية الصفرية الثانية وتفسيرها:

تنص الفرضية الثانية على انه:» لايوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات طالبات الصف الثاني المتوسط اللواتي درسن مادة الرياضيات وفقاً لاستراتيجية (Q.A.R) ومتوسط درجات

طالبات الصف الثاني المتوسط اللواتي يدرسن المادة نفسها وفقاً لـ(الطريقة الاعتيادية) في اختبار مهارات التفكير التحليلي».

للتحقق من صحة الفرضية الصفرية الثانية تم تصحيح إجابات طالبات مجموعتي البحث في اختبار التحصيل، أظهرت النتائج الموضحة في جدول (٧) ان متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية(٢٨,٥٥)وبانحراف معياري (٧,١٩٩) في حين متوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة (١٦,٦٦) وبانحراف معياري (٨,١٨٢)وتم تطبيق اختبار ليفين لمعرفة دلالة الفرق بين تباين درجات طالبات مجموعتي البحث اذ بلغت قيمة ليفين (F) المحسوبة (٠,٦١٠) عند مستوى دلالة (٠,٤٣٨) وهو اكبر من مستوى الدلالة المعتمد (٠,٠٥) وهذا يعني ليس هناك فرق ذو دلالة إحصائية بين تباين درجات طالبات مجموعتي البحث مما يدل على تجانس المجموعتين في متغير التحصيل

ولمعرفة دلالة الفرق بين متوسطي درجات مجموعتي البحث تم استعمال الاختبار التائي (t-test) تبين ان القيمة التائية المحسوبة (٥,٨٧٨) عند مستوى دلالة (٠,٠٠٠) وهو اصغر من مستوى الدلالة المعتمد (٠,٠٥) ودرجة حرية (٥٦) مما يدل على وجود فرق ذو دلالة إحصائية ولصالح طالبات المجموعة التجريبية وهذا يدل على توفق طالبات المجموعة التجريبية اللواتي درسن على وفق استراتيجية Q.A.R على طالبات المجموعة الضابطة اللواتي درسن على وفق الطريقة الاعتيادية وبذلك نرفض الفرضية الصفرية ونقبل الفرضية البديلة، كما موضح في جدول (٧)

جدول (٧)اختبار ليفين لمجموعتي البحث في اختبار مهارات التفكير التحليلي

المجموعة	الشعبة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اختبار ليفين لتساوي التباين		قيمة t		الدلالة الإحصائية عند مستوى (٠,٠٥)
					F	الدلالة	محسوبة	الدلالة	
تجريبية	أ	٢٩	٢٨,٥٥	٧,١٩٩	٠,٦١٠	٠,٤٣٨	٥,٧٨٧	٠,٠٠٠	دالة
ضابطة	ب	٢٩	١٦,٦٦	٨,١٨٢					

من خلال النتائج التي عرضت في جدول (٧) يظهر ان مستوى الدلالة (٠,٠٠٠) وهو اقل من مستوى الدلالة (٠,٠٥) وهذا يدل على وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) ولصالح المجموعة التجريبية.

ولمعرفة دلالة الفرق بين مجموعتي البحث استخدم تحليل التباين المصاحب (ANOVA) حيث بلغت القيمة الفائية المحسوبة (٣٤,٥٥٥) عند مستوى الدلالة (٠,٠٠٠) وهو اصغر من مستوى الدلالة المعتمد(٠,٠٥) ودرجة حرية (٥٧) مما يدل على وجود فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسطي درجات طالبات مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) في اختبار مهارات التفكير التحليلي. جدول (٨) يوضح ذلك

جدول(٨)نتائج تحليل التباين المصاحب(ANOVA) لدرجات مجموعتي البحث في اختبار مهارات التفكير التحليلي

مصدر التباين	درجة الحرية	مجموع المربعات	متوسط مجموع المربعات	القيمة الفائية		الدلالة الإحصائية عند مستوى (٠,٠٥)
				المحسوبة	دلالته	
بين المجموعات	١	٢٠٢٥,١٥٥	٢٠٥٢,١٥٥	٣٤,٥٥٥	٠,٠٠٠	دالة
داخل المجموعات	٥٦	٣٣٢٥,٧٢٤	٥٩,٣٨٨			

ولتحديد معنوية الفروق تم استخدام اختبار (Scheffe) للمقارنة البعدية اذ بلغت القيمة الفائية المحسوبة (١٥,٢٤) عند مستوى دلالة (٠,٠٠٠) وهو اصغر من مستوى الدلالة المعتمد (٠,٠٥) مما يدل وجود فرق ذو دلالة إحصائية ولصالح طالبات المجموعة التجريبية. كما موضح في جدول (٩)

جدول(٩)نتائج اختبار(Scheffe) لدرجات مجموعتي البحث في اختبار مهارات التفكير التحليلي

المجموعة	الشعبة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة الفائية		الدلالة الإحصائية عند مستوى (٠,٠٥)
					المحسوبة	الدلالة	
تجريبية	أ	٢٩	٢٨,٥٥	٧,١٩٩	٦,٣١٨	٠,٠٠٠	دالة
ضابطة	ب	٢٩	١٦,٤٥	٧,٣٩٠			

ولتحديد حجم اثر المتغير المستقل (استراتيجية Q.A.R) في المتغير التابع (مهارات التفكير التحليلي) تم استخدام اختبار مربع ايتا (η^2)وتم حساب قيمة (d) والتي تعبر عن حجم الأثر، جدول (١٠) يوضح ذلك

جدول (١٠)حجم اثر المتغير المستقل (استراتيجيةQ.A.R) على مهارات التفكير التحليلي

المتغير المستقل	المتغير التابع	قيمة t	Df	قيمة η^2	قيمة d	مقدار حجم الاثر
استراتيجية Q.A.R	مهارات التفكير التحليلي	٥,٨٧٨	٥٦	٠,٣٨	١,٥٧١	كبير جداً

يتضح من جدول (١٠) ان حجم اثر المتغير المستقل (استراتيجيةQ.A.R) في متغير (مهارات التفكير التحليلي) كبير جداً لان قيمة (d) هي (١,٥٧١) وهي اكبر من (١,١٠)

ثالثاً:عرض النتائج الخاصة بالفرضة الصفرية الثالثة وتفسيرها:

تنص الفرضية الثالثة على انه:» لايوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية في اختبار مهارات التفكير التحليلي قبليا وبعدياً».

وللتحقق من صحة الفرضية الصفرية الثالثة تم تصحيح إجابات طالبات مجموعتي البحث في اختبار التحصيل، أظهرت النتائج الموضحة في جدول (١١) ان متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية (٢٨,٥٥) وبانحراف معياري (٧,١٩٩) في حين متوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة (١٦,٤٥) وبانحراف معياري (٧,٣٩٠)وتم تطبيق اختبار ليفين لمعرفة دلالة الفرق بين تباين درجات طالبات مجموعتي البحث اذ بلغت قيمة ليفين (F) المحسوبة (٠,٠٠٠) عند مستوى دلالة (٠,٩٩٠) وهو اكبر من مستوى الدلالة المعتمد (٠,٠٥) وهذا يعني ليس هناك فرق ذو دلالة إحصائية بين تباين درجات طالبات مجموعتي البحث مما يدل على تجانس المجموعتين في متغير التحصيل

ولمعرفة دلالة الفرق بين متوسطي درجات مجموعتي البحث تم استعمال الاختبار التائي (t-test) تبين ان القيمة التائية المحسوبة (٦,٣١٨) عند مستوى دلالة (٠,٠٠٠) وهو اصغر من مستوى الدلالة المعتمد (٠,٠٥) ودرجة حرية (٥٦) مما يدل على وجود فرق ذو دلالة إحصائية ولصالح الاختبار البعدي وهذا يدل على توفق طالبات المجموعة التجريبية اللواتي درسن على وفق استراتيجية Q.A.R على طالبات المجموعة الضابطة اللواتي درسن على وفق الطريقة الاعتيادية وبذلك نرفض الفرضية الصفرية ونقبل الفرضية البديلة، كما موضح في جدول (١١)

جدول (١١)النتائج الإحصائية للاختبارين القبلي والبعدي لمهارات التفكير التحليلي لطالبات المجموعة التجريبية

المجموعة	الشعبة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اختبار ليفين لتساوي التباين		قيمة t		الدلالة الإحصائية عند مستوى (٠,٠٥)
					F	الدلالة	محسوبة	الدلالة	
قبلي	أ	٢٩	١٦,٤٥	٧,٣٩٠	٠,٠٠٠	٠,٩٩٠	٦,٣١٨	٠,٠٠٠	دالة
بعدي	ب	٢٩	٢٨,٥٥	٧,١٩٩					

من خلال النتائج التي عرضت في جدول (١١) يظهر ان مستوى الدلالة (٠,٠٠٠) وهو اقل من مستوى الدلالة (٠,٠٥) وهذا يدل على وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) ولصالح الاختبار البعدي.

الاستنتاجات

تفوقت المجموعة التجريبية في تنمية مهارات التفكير التحليلي والتحصيل باستخدام استراتيجية Q.A.R على المجموعة الضابطة.

يعكس هذا التفوق فعالية استراتيجية Q.A.R في تحسين تحصيل الطالبات.

ساهمت ستراتيجية Q.A.R في زيادة مشاركة الطالبات وتحفيز التفاعل مع المحتوى التعليمي والمدرسة والزملاء.

كانت الأساليب التقليدية المستخدمة في المجموعة الضابطة أقل قدرة على تحقيق نفس المستوى في تنمية مهارات التفكير التحليلي وزيادة تحصيل الطالبات في مادة الرياضيات.

التوصيات :

تدريس مادة الرياضيات في المراحل المختلفة باستخدام استراتيجية Q.A.R لبيان فاعليته في التحصيل ومهارات التفكير التحليلي.

على المشرفين التربويين في وزارة التربية إقامة ورش وندوات وتدريب مدرسين الرياضيات على استراتيجية Q.A.R.

تضمين كتب الرياضيات تمارين اثرائية التي يتطلب حلها استعمالاً لمهارات التفكير التحليلي.

المقترحات :

اجراء دراسةً مماثلة للبحث الحالي على متغيرات أخرى.

اجراء دراسة تهدف الى معرفة اثر استراتيجيات أخرى في تدريس مادة الرياضيات في مهارات التفكير التحليلي.

اجراء دراسة مقارنة بين استراتيجية Q.A.R مع استراتيجيات أخرى لبيان ايهما اكثر فاعلية.

المصادر:

١-عبيد، وليم واخرون (١٩٩٤):»تنظيمات معاصرة للمناهج»، رؤي تربوية للقرن الحادي والعشرون»، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر.

٢-أبو سعد، صلاح عبد اللطيف (٢٠١٠):»أساليب تدريس الرياضيات»، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط١، عمان، الأردن.

٣- ابراهيم، مجدي عزيز(٢٠٠٩).معجم مصطلحات ومفاهيم التعليم والتعلم، عالم الكتب، القاهرة، مصر .

٤- شحاته، حسن وزينب النجار(٢٠٠٣). معجم المصطلحات التربوية والنفسية، ط٢، الدار المصرية اللبنانية.

٥-الجلالي، لمعان مصطفى (٢٠١١). التحصيل الدراسي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.

٦-علام، صلاح الدين محمود(٢٠٠٩). القياس والتقويم التربوي في العملية التدريسية، ط٢، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان.

٧-عامر،ايمن(٢٠٠٧):»التفكير التحليلي القدرة والمهارة والأسلوب»، مركز تطوير الدراسات العليا والبحوث في العلوم الهندسية، جامعة القاهرة، مصر.

٨- الربيدي، صباح حسن. مناهج المواد الاجتماعية وطرائق تدريسها. دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠م.

٩-عبد الهادي، جودت (٢٠٠٠):» نظريات التعلم وتطبيقاتها التربوية»،ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

١٠-حسن، أسماء فرحات (٢٠٢٤):»مهارات التفكير التحليلي ومدى توافرها لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية»،المجلة التربوية لتعليم الكبار، المجلد ٦، العدد ١ ،جامعة أسيوط، مصر.

١١-خليفة، رونق كاظم واريج خضر حسن (٢٠٢٠):» مهارات التفكير التحليلي المتضمنه في كتاب الرياضيات للصف الثالث المتوسط»،مجلة الفنون والادب وعلم الانسانيات والاجتماع، العدد ٥٩، الامارات العربية المتحدة.

Howe, C., Hennessy, S., Mercer, N., Vrikki, M., & Wheatley, L- .(٢٠١٩)

Teacher–Student Dialogue During Classroom Teaching: Does It Really Impact on Student Outcomes? Journal of the Learning Sciences, ٠(٠), ١–٥١. https://doi.org/١٠,١٠٨٠/١٠٥٠٨٤٠٦,٢٠١٩,١٥٧٣٧٣٠

Khasanah, A., & Cahyani, I. (٢٠١٦). Peningkatan Kemampuan Membaca Pemahaman Dengan Strategi Question Answer Relationships (QAR) Pada Siswa Kelas V Sekolah Dasar. Pedagogik Pendidikan Dasar, ١(٢).

Al-Kafarna, R. (٢٠١٥) «The Impact of Using Question Answer Relationships Strategy on Enhancing Sixth Graders», Higher Order Thinking Skills in Reading and Their Attitudes Toward it.

Rothong, A. (٢٠١٣). Effects of reading instruction using question- answer relationship (QAR) and reading strategies on reading comprehension ability of eleventh grade, Master Thesis, Chulalongkorn University. Retrieved August ٥,٢٠١٦ from: on http:// portal.edu.chula.ac.th.images.thesis.

Harris, J. R. (١٩٩٨). The nurture assumption: Why children turn out the way they do. Free Press.

Topin,G.T.&Capie,W. (١٩٨١) «Relation Shops Between Formal Reasoning Ability, Locus of Control Academic Engement and Integratell Process Skill Achievement», Journal of Rrsearch in Science Teaching.Vol (١٩)No.(٢).USA.

Koo Ja-Won.Choi Hyunseok (٢٠٢٥) «Transmastoid reshaping of the sigmoid sinus: preliminary study of a novel surgical method to quiet pulsatile tinnitus of an unrecognized vascular origin», Surgery for anterior skull base meningiomas, vol(١٢٥).

Richards,Jack C. (٢٠٠٦) «Communicative Language Teaching Today», Cambridge University Press,New York.USA.

Tarman, C., & Sears, D. O. (٢٠٠٥). The Conceptualization and Measurement of Symbolic Racism. The Journal of Politics, ٦٧(٣), ٧٣١–٧٦١. https://doi.org/١٠,١١١١/j.١٤٦٨-٢٣٣٧,٢٠٠٥,٠٠٢٥٠٨x

Fordham, N. W. (٢٠٠٦). Crafting questions that address comprehension strategies in content reading. Journal of Adolescent & Adult Literacy, ٤٩, ٣٩٠–٣٩٦.

Liang, L. A., Watkins, N. M., Graves, M. F., & Hosp, J. (٢٠١٠). Postreading questioning and middle school students' understanding of literature. Reading Psychology, ٣١, ٣٤٧–٣٦٤.

Al-Kafarna, R. (٢٠١٥) «The Impact of Using Question Answer Relationships Strategy on Enhancing Sixth Graders» Higher Order Thinking Skills in Reading and Their Attitudes Toward it.

Raphael, T.E., & Au, K.H. (٢٠٠٥). QAR: Enhancing comprehension and test taking across grades and content areas. The Reading Teacher, ٥٩, ٢٠٦–٢٢١.

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

الوحدة الموضوعية في سورة الحجر

الباحثة: م. م. افراح علي حسين حافظ
وزارة التربية/المديرية العام لتربية بغداد الرصافة الثالثة

المستخلص:
القرآن الكريم هو الكتاب الذي أنزله الله – سبحانه وتعالى– على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). هداية ورحمة للعالمين، وهو كتاب الله الخالد، وحُجَّته البالغة، وهو باقٍ إلى أن تفنى الحياة على الأرض، وفيه أنزل الله –عزّ وجلّ– شريعته وحكمه التامّ الكامل؛ ليتّخذه النّاس شِرْعةً ومنهاجا، وهو معجزة محمد(صلى الله عليه وآله وسلم). التي عجز الجنّ والإنس جميعاً عن أن يأتوا بمثلها بعد أن تحدّاهم الله بذلك، فقد قال الله –سبحانه وتعالى –: (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) سورة الإسراء ٨٨.
وقد يظن القارئ السطحي للقرآن الكريم أن موضوعات السورة الواحدة متناثرة ولا علاقة تربط بينها، لكن القارئ المتأمل الحصيف يدرك أن لكل سورة من سور القرآن الكريم موضوعا محورياً واحداً تدور حوله السورة الواحدة، حتى تبدو السورة وكأنها بنيان واحد متكامل، أو صورة فنية جميلة تتجمع أجزاؤها لتكتمل فتأخذ بالألباب والأبصار.
وهذا ما سنحاول أن نسلط عليه الضوء في هذا البحث من خلال سورة الحجر والذي نظمته في مقدمة وتمهيد و خمس مباحث وخاتمة وفهرس.

الكلمات المفتاحية : الحجر، الحفظ، الاسلام، الايمان، الانبهار .

Abstract:
The Noble Qur'an is the book that God Almighty revealed to Muhammad, may God bless him and grant him peace, as guidance and mercy to the worlds. Full; Let the people take it as a law and a method, and it is the miracle of Muhammad – may God bless him and grant him peace – that the jinn and mankind were all unable to come up with something like it after God challenged them to do so. Allah subhanahu wa taala said ("surely,if men and jinn were to get together to produce the like of this Koran they will not be able to produce the lack of it even if some of them were helpers to others .) The superficial reader of the Holy Qur'an may think that the topics of a single surah are scattered and have no connection between them, but the prudent, contemplating reader realizes that each surah of the Holy Qur'an has one central theme around which one surah revolves, so that the surah appears as if it is a single integrated structure, or a beautiful artistic picture that all parts To be completed and take on hearts and sights. This is what we will try to shed light on in this research through Surat Al-Forbidden, which we organize to hold in an introduction , preface , Five topics, a conclusion and an index.

Keywords: stone, preservation, Islam, faith, fascination.

المقدمة:
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَاً * قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [١].
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، الذي بعثه الله

رحمة للناس بعد ان زاد الجهل في الدنيا وأزف منها انقياد للانقطاع والزوال [٢]، وطموس الملل، وعبادة الأوثان، وتفشي الظلم الطغيان، فقام لدين الله ناصحا، ولمعالم الشرك فاضحا، ولعبادة الأصنام قامعا، ولملة الإسلام شارعا، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. ثم أما بعد:

فإن أعظم العلوم مقدارا، وأرفعها شرفا ومنارا، وأعلاها على الإطلاق، وأولاها تفضيلا بالاستحقاق، وأساس قواعد الشرائع والعلوم، ومقياس ضوابط المنطوق والمفهوم، وأعز ما يرغب فيه، ويعرّج عليه، وأهم ما تناخ المطايا لديه: هو علم التفسير لكتاب العليّ القدير؛ لكونه أوثق العلوم تبيانا، وأحسنها بيانا، وأصدقها قيلا، وأكرمها نتاجا، وألمعها سراجا، وأفصحها حجة ودليلا، وأوضحها نَحجة وسبيلا؛ وشرف العلوم بشرف المعلوم، والمعلوم هنا هو كتاب الله عالى الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٣] أنزله الله على قلب رسوله الكريم﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾[٤] وضمن الله لمن آمن به وعمل بما جاء فيه السعادة في الدارين. قال تعالى ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[٥] ومن ثُمَّ كان علم كتاب الله تعالى والعمل به هو أولى ما يتنافس فيه المتنافسون، وأحرى ما يتسابق في حلبة سباقه المتسابقون. ومن هنا أردت أن ألحق بركاب هؤلاء الأخيار، وأواصل في مدارسة كتاب الله تعالى الليل بالنهار، وأغوص في بحره الذي لا شاطئ له محاولا أن أجتني بعضًا من كنوزه. مما هو معلوم أن وجوه إعجاز القرآن الكريم متنوعة ومتعددة، وقد عكف العلماء قديما وحديثا على الوقوف على بعض هذه الوجوه، واجتهدوا في الوصول إليها كل الجهد، فهو معجز ببيانه، ومعجز بأسلوبه، ومعجز بكلماته و عباراته، ومعجز بموسيقاه التي ترج القلب رجا، وما تتمالك العيون أمام هذه الروعة إلا أن تذرف دموع الإعجاب. وهو معجز في موضوعاته ومدى ملاءمتها لحاجات البشر ومدى تناغمها مع حياتهم ومستجداتهم، وهو معجز في إنبائه بما حدث في الماضي و بما سيحدث ببعض الأمور المستقبلية. وفي هذا البحث الصغير أحاول أن اقف على سورة من سور القرآن الكريم، وأسلط الضوء على الوحدة الموضوعية لهذه السورة، وكيف أن السورة كلها تدور حول موضوع واحد، وإن بدا للقارئ غير ذلك وهي سورة الحجر. وذلك لأن إدراك الوحدة الموضوعية للسورة يعين القارئ على فهم آياتها وتدبر معانيها.

ان نزول السورة كان في الفترة الحرجة، ما بين «عام الحزن» وعام الهجرة.. تلك الفترة التي تحدثنا عن طبيعتها وملابساتها ومعالمها من قبل في تقديم سورة يونس وفي تقديم سورة هود وفي تقديم سورة يوسف بما فيه الكفاية..

وهذه السورة عليها طابع هذه الفترة، وحاجاتها ومقتضياتها الحركية.. إنها تواجه واقع تلك الفترة مواجهة حركية وتوجه الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، والجماعة المسلمة معه، توجيها واقعيا مباشرا وتجاهد المكذبين جهادا كبيرا. كما هي طبيعة هذا القرآن ووظيفته.

ولما كانت حركة الدعوة في تلك الفترة تكاد تكون قد تجمدت، بسبب موقف قريش العنيد منها ومن النبي – صلى الله عليه وسلم – والعصبة المؤمنة معه؛ حيث اجترأت قريش على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بما لم تكن تجترئ عليه في حياة أبي طالب. واشتد استهزاؤها بدعوته؛ كما اشتد إيذاؤها لصحابته.. فقد جاء القرآن الكريم في هذه الفترة يهدد المشركين المكذبين ويتوعدهم؛ ويعرض عليهم مصارع المكذبين الغابرين ومصائرهم؛ ويكشف للرسول – صلى الله عليه وسلم – عن علة تكذيبهم وعنادهم؛ وهي لا تتعلق به ولا بالحق الذي معه، لكنها ترجع إلى العناد الذي لا تجدي معه الآيات البينات. ومن ثم يسلي الرسول – صلى الله عليه وسلم – ويواسيه؛ ويوجهه إلى الإصرار على الحق الذي معه؛ والصدع به بقوة في مواجهة الشرك وأهله؛ والصبر بعد ذلك على بطء الاستجابة ووحشة العزلة، وطول الطريق.

ومن هنا تلتقي هذه السورة في وجهتها وفي موضوعها وفي ملامحها مع بقية السور التي نزلت في تلك الفترة؛ وتواجه مثلها مقتضيات تلك الفترة وحاجاتها الحركية. أي الحاجات والمقتضيات الناشئة من حركة الجماعة المسلمة بعقيدتها الإسلامية في مواجهة الجاهلية العربية في تلك الفترة من الزمان بكل ملابساتها الواقعية. ومن ثم تواجه حاجات الحركة الإسلامية

ومقتضياتها كلما تكررت هذه الفترة، وذلك كالذي تواجهه الحركة الإسلامية الآن في هذا الزمان.

المبحث الأول : التعريف بالسورة

هي السورة الخامسة عشر ضمن الجزء الرابع عشر من القرآن الكريم، وهي من السور المكية، واسمها مأخوذ من الآية (٨٠). تتحدث عن المبدأ والمعاد، والإيمان بهما من خلال التدبّر في أسرار الإيجاد، كما تتحدث عن أهمية القرآن الكريم وعن قصة خلق آدم عليه السلام وتمرد إبليس، وتتعرض السورة إلى قصص بعض الأقوام كقوم لوط وصالح وشُعيب. ومن آياتها المشهورة قوله تعالى في الآية (٩): ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. ورد في فضل قراءتها روايات كثيرة، منها ما رويَ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من قرأ سورة الحجر، كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار، والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم. سورة الحجر من السور المكية.[٦] ومن حيث الترتيب نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتسلسل (٥٤)، لكن تسلسلها في المصحف الموجود حالياً في الجزء الرابع عشر بالتسلسل (١٥) من سور القرآن.[٧] آياتها (٩٩)، تتألف من (٦٥٨) كلمة في (٢٨٨١) حرف.[٨]

سورة الحجر (مكية)، نزلت بعد يوسف. وهي في المصحف بعد سورة إبراهيم.

نزلت هذه السورة في وقت اشتدت فيه كل أنواع الإيذاء للنبي عليه السلام والمسلمين. أنزلت في ظرف شبيه بظروفنا المعاصرة، حيث كان جميع الناس ينظرون إلى الإسلام نظرة اتهام وتشكيك واستهزاء.

والاستهزاء قد يكون في بعض الأحيان أصعب على النفس من الإيذاء البدني. أن تجد من حولك متفوقاً في القوة والعدد، يستهزئ بك مع يقينك أنك على حق. إنه أمر قاس على النفس البشرية. فأنزلت سورة الحجر لتطمئن النبي وكل أتباعه في كل العصور، وتقول لهم: لا تخافوا، فأنتم محفوظون، والله سبحانه وتعالى سيحفظ دينه فتوكلوا عليه ولا تنبهروا بقوة أعدائكم واستمروا في الدعوة إلى الله. إنها سورة سورة للذين يحبون الإسلام وينتمون إليه... إنها سورة الحفظ والعناية الربانية للدعاة الذين يسخر الناس منهم لتمسكهم بتعاليم دينهم، وسورة الحفظ للفتاة التي يسخر البعض من حجابها. فتقول لهم: توكلوا على الله ولا تنبهروا بقوة أعدائكم، واستمروا في الدعوة إلى الله والأخذ بيد الناس إلى الإسلام.

المبحث الثاني : مقاصد واهداف السورة

هدف السورة هو: إن الله حافظ دينه وناصره، فلا تنبهر أيها المسلم من أي حضارة أخرى، ولا تلتفت إلى استهزاء الآخرين وتشكيكهم بل ركز جهودك على الدعوة إلى الله وعبادته. إنها رسالة طمأنة وتثبيت لكل من يخاف على الإسلام في الوضع الحالي الذي نمر به نحن اليوم. وهذه المعاني واضحة في آيات السورة منذ بدايتها حتى نهايتها: ففي بداية السورة: (ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) [٩]. وفي ختامها: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) [١٠]. فالآيات تؤكد عليك أيها المؤمن ألا تنبهر بقوة الغير، وأن تركّز على دينك وعبادتك من تسبيح وسجود وعبادة وتثبت عليها حتى آخر حياتك (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) [١١]. لم تشذ سورة الحِجر في سياقها ومضمونها عن السور المكية السابقة لها؛ فإن السور المكية تشتمل على جمل من أصول الدين كالتوحيد والمعاد، وانذار المشركين والعاصين والظالمين. إضافة إلى ما يحمله تاريخ الأقوام السالفة من دروس العبرة والموعظة. ويمكننا تلخيص المقاصد التي تضمنتها هذه السورة، ودارت حولها وفق التالي:

* أن طبيعة هذا الكتاب الذي يكذب به المشركون والجاحدون أنه كتاب مبين، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فمن أخذ بما فيه فاز ونجا، ومن أعرض عنه فقد ضل وغوى.

* الحث على انتهاز فرصة الالتحاق بقافلة الإسلام والنجاة قبل أن تضيع، ويأتي اليوم الذي يود فيه المعرضون لو كانوا مسلمين؛ فما ينفعهم يومئذ ذلك ، ولن يغني عنهم من عذاب الله من شيء.

* تصور السورة الأمل الملهي بصورة إنسانية حية؛ فالأمل البراق ما يزال يخايل لهذا الإنسان، وهو يجري وراءه، وينشغل

به، ويغتر فيه، حتى يجاوز المنطقة المأمونة؛ وحتى يغفل عن الله، وعن القدر، وعن الأجل؛ وحتى ينسى أن هنالك واجباً، وأن هنالك محظوراً؛ بل حتى لينسى أن هنالك إلهاً، وأن هنالك موتاً، وأن هناك نشوراً.

* بينت السورة أن سنن الله ماضية لا تتخلف؛ وأن هلاك الأمم مرهون بأجلها الذي قدره الله لها، ومترتب على سلوكها الذي تنفذ به سنة الله ومشيئته: {وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم}؛ وذلك الكتاب المعلوم والأجل المقسوم، يمنحه الله للقرى والأمم لتعمل، وعلى حسب العمل يكون المصير. فإذا هي آمنت وأحسنت وأصلحت وعدلت، مد الله في أجلها، حتى تنحرف عن هذه الأسس كلها، ولا تبقى فيها بقية من خير يرجى، عندئذ تبلغ أجلها، وينتهي وجودها، إما نهائياً بالهلاك والدثور، وإما وقتياً بالضعف والفتور.

* أن القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله له، ونصوصه باقية كما أنزلها الله؛ وهي حجة على كل محرف وكل مؤول؛ وحجة باقية كذلك على ربانية هذا الكتاب المحفوظ.

* بينت السورة نموذج الإنسان حين تفسد فطرته، وتستغلق بصيرته، وتتعطل فيه أجهزة الاستقبال والتلقي، وينقطع عن الوجود الحي من حوله، وعن إيقاعاته وإيحاءاته، قال تعالى: {ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون * لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون} (الحجر: ١٤-١٥).

* أن الجمال غاية مقصودة في خلق هذا الكون، وهو الذي ينتظم مظاهر الكون جميعاً، وينشأ من تناسقها جميعاً. وأن هذا الجمال الباهر فيها محفوظ، لا يناله دنس ولا رجس، ولا يعبث فيه شيطان، إلا طورد وحيل بينه وبين ما يريد.

* أن أرزاق العباد -ككل شيء- مقدرة في علم الله، تابعة لأمره ومشيئته، يصرفها حيث يشاء وكما يريد، في الوقت الذي يريد، حسب سننه التي ارتضاها، وأجراها في الناس والأرزاق، {وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين * وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم} (الحجر: ٢٠-٢١)، فما من مخلوق يقدر على شيء، أو يملك شيئاً، إنما خزائن كل شيء عند الله. ينزله على الخلق {بقدر معلوم}، فليس من شيء ينزل جزافاً، وليس من شيء يتم اعتباطاً.

* أن الحياة والموت بيد الله وحده، وأن الله هو الوارث بعد الحياة. وأنه سبحانه يعلم من كتب عليهم أن يَستقدِموا فيتوفوا، ومن كتب عليهم أن يؤجلوا فيستأخروا في الوفاة. وأنه هو الذي يحشرهم في النهاية، وإليه المصير.

* أن أصل الإنسان وأصل الحياة كلها من طين هذه الأرض؛ ومن عناصره الرئيسة التي تتمثل بذاتها في تركيب الإنسان الجسدي، وتركيب الأحياء أجمعين. وأن هنالك أطواراً بين الطين والإنسان.

* أن المعركة الخالدة والمصيرية بين الشيطان والإنسان في هذه الأرض، تنطلق ابتداء من استدراج الشيطان للإنسان بعيداً عن منهج الله؛ والتزيين له فيما عداه، استدراجه إلى الخروج من الدينونة له في كل ما شرع من عقيدة وتصور، وشعيرة ونسك، وشريعة ونظام.

* أن الذين يدينون لله وحده، ويخلصون له في عبادتهم، ليس للشيطان عليهم من سبيل؛ لأنهم يعلقون أبصارهم بالله، ويدركون ناموسه بفطرتهم الواصلة إلى الله. وإنما سبيل الشيطان على الغاوين والضالين عن منهج الله وطريقه القويم.

* أن المتقين هم الذين يراقبون الله في جميع تصرفاتهم وحركاتهم وسكناتهم، ويقون أنفسهم وأهليهم عذابه وأسبابه، وهؤلاء في جنات النعيم، لا يمسهم فيها نصب، ولا يمسهم فيها لغوب، ولا يخافون منها خروجاً؛ جزاء ما خافوا في الأرض واتقوا، فاستحقوا المقام المطمئن الآمن في جوار الله الكريم.

* قدمت السورة المباركة نماذج من رحمة الله وعذابه، ممثلة في قصص إبراهيم عليه السلام وبشارته على الكبر بغلام عليم، ولوط ونجاته وأهله إلا امرأته من القوم الظالمين، وأصحاب الأيكة، وأصحاب الحجر، وما حل بهم من عذاب أليم.

* أكدت السورة على طبيعة خلق السماوات والأرض وما بينهما. وطبيعة الساعة الآتية لا ريب فيها. وطبيعة الدعوة التي يحملها الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد حملها الرسل قبله، وأن ذلك الحق متلبس بالخلق، صادر عن

أن الله هو الخالق لهذا الوجود: {إن ربك هو الخلاق العليم} (الحجر:٨٦). فسنة الله ماضية في طريقها لا تتخلف. والحق الأكبر من ورائها متلبس بالدعوة، وبالساعة، وبخلق السماوات والأرض، وبكل ما في الوجود الصادر عن الخلاق العليم.

* بينت السورة أن الحق عميق في تصميم هذا الوجود، عميق في تكوينه، عميق في تدبيره، عميق في مصيره، وما فيه ومن فيه. فكل نتيجة تتم وفق تلك النواميس الثابتة العادلة؛ وكل تغيير يقع في السماوات والأرض وما بينهما يتم بالحق وللحق.

* أن القرآن الكريم من عناصر ذلك الحق، وهو يكشف سنن الخالق، ويوجه القلوب إليها، ويكشف آياته في الأنفس والآفاق، ويستجيش القلوب لإدراكها، ويكشف أسباب الهدى والضلال، ومصير الحق والباطل، والخير والشر، والصلاح والفساد، فهو من مادة ذلك الحق، ومن وسائل كشفه وتبيانه، وهو أصيل أصالة ذلك الحق الذي خلقت به السماوات والأرض، ثابت ثبوت نواميس الوجود، مرتبط بتلك النواميس.

* دعت السورة رسول هذه الأمة صلى الله عليه وسلم ألا يحفل بذلك المتاع الذي آتاه الله لبعض الناس رجالاً ونساء؛ امتحاناً وابتلاء، وألا يلقي إليه نظرة اهتمام، أو نظرة استجمال، أو نظرة تمنٍ، فهو شيء زائل، وزخرف باطل، وأن ما معه من المثاني والقرآن العظيم هو الحق الباقي.

* خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم أن يمضي في طريقه، يجهر بما أمره الله أن يبلغه للناس، لا يقعده عن الجهر بدعوته شرك مشرك، فسوف يعلم المشركون عاقبة أمرهم، ولا يصده عن المضي إلى ما هو بسبيله استهزاء مستهزئ، فقد كفاه الله شر المستهزئين. وهذا الذي يجب على أصحاب الدعوة الإسلامية، أن يصدعوا بحقيقة هذه الدعوة، لا يخفوا منها شيئاً؛ وأن يصبروا عليها مهما لاقوا من بطش الطواغيت، وتململ الجماهير، {والله متم نوره ولو كره الكافرون} (الصف:٨).

* خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسبح بحمد ربه ويعبده، ويلوذ بالتسبيح والحمد والعبادة من سوء ما يسمع من قومه، ولا يفتر عن التسبيح بحمد ربه طوال الحياة، حتى يأتيه الأجل، فيمضي إلى جوار ربه الكريم آمناً مطمئناً .

المبحث الثالث : الشيطان وابونا ادم عليه السلام

هذه الآيات الكريمة من سورة «الحجر» تصور موقفًا عظيمًا وحدثًا فاصلًا في قصة البشرية، وهو رفض إبليس السجود لآدم بعدما أمره الله سبحانه وتعالى، وهو ما يُظهر الكِبْر و العصيان من إبليس، في مقابل الطاعة و الخضوع لله عزوجل.

في الآية، يسأل الله إبليس عن سبب رفضه أن يكون من الساجدين، ويأتي رد إبليس مغرورًا بأنه لن يسجد لبشر خُلق من طين، متجاهلًا أمر الله. ثم يأتي العقاب الحتمي؛ حيث يأمر الله إبليس بالخروج من الجنة مذمومًا مطرودًا، ويلعنه إلى يوم الدين. لكن إبليس يتحدّى الله بطلب إمهاله حتى يوم القيامة ليُضل البشر ويزين لهم الشهوات، إلا من أخلصوا لله واتبعوا طريقه، فهؤلاء لا سلطان له عليهم.

هذه الآيات تضع أمامنا حقيقة واضحة: الصراع بين الطاعة و المعصية، وبين الكبر والخضوع لله. إنها دعوة للإنسان أن يكون من عباد الله المخلصين، من أولئك الذين لا يغويهم إبليس ولا يفتنهم بزينة الدنيا. إنها دعوة إلى الثبات على الحق، والاستقامة على الطريق، والتسلح بالإيمان والتقوى حتى نكون في حماية الله من شر الشيطان.

لنكن من الذين يُخلِصون لله العبودية، ويرفعون راية الطاعة فوق كل شهوة أو رغبة، ليحظوا برضا الله ويظلوا في حفظه ورعايته، بعيدًا عن مكر الشيطان وأهوائه. كما ذكرنا في سور سابقة، فإن كل سورة في القرآن تأتي قصصها لتخدم هدف السورة. وقصة ابونا آدم[١٢] وإبليس تنطبق عليها نفس القاعدة. ففي القرآن عموماً تركّز هذه القصة على سيدنا آدم عليه السلام. لكن سورة الحجر لم تأت على ذكر آدم، بل ركّزت على إبليس نفسه فهو يقول كما ذكر تعالى: (قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ . قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ . إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ . قَالَ

فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) (٣٦-٤٠)... لاحظ الطريقة الأساسية التي سيتبعها إبليس في الإغواء: تزيين الباطل في الأرض عن طريق إبهار الناس[١٣]. فالإبهار يغيّر الحق ويقلب المفاهيم ويشوّش على الكثير من ضعاف القلوب. لكن عباد الله المخلصين محفوظون بإذن الله، فيأتي الرد على عدو الله:
(قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ . إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) (الحجر ٤١ – ٤٢).

المبحث الرابع : سورة الحفظ

من عظمة الله جل جلاله في سورة الحجر ، أنها سورة بمجرد قراءتها تشعر بالأمان ؛ سورة الحفظ والعناية الربانية.
عدد آياتها ٩٩ آية بعدد أسماء الله الحسنى ، ومع كل آية من آياتها ، تجد قلبك يطمئن على رزقك على دينك على قرآنك فكيف ذلك ؟!! سميت بالحافظة لأن رسالتها : أن الله هو حافظ هذا الدين وهذا الكتاب وليس البشر...

* أنواع الحفظ التي وردت في سورة الحجر :

* حفظ القرآن••

{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (٩) .

*حفظ السماوات من كل شيطان رجيم وجعلها متعة للناظرين••

{وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ} (١٦-١٧).

* حفظ الأرض••

{ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ } (١٩).

*حفظ الأرزاق••

{ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ } (٢١).

* حفظ الله لعباده المؤمنين••

في قصة آدم وإبليس عندما توعد إبليس بإغواء بني آدم جميعاً ، رد سبحانه وتعالى عن كل مؤمن وقال :

{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} (٤٢)

آية تهز مشاعر المؤمن وتشعره بالفخر والأمان والثقة عندما يندرج اسم المؤمن تحت كلمة عبادي••

حتى الجنة في سورة الحجر جاءت لتؤكد لك معنى الحفظ والأمان من الله••

{ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ} (٤٦).

إذاً بماذا سيشعر قلبك وأنت تقرأ سورة الحجر ؟!!

بالطبع سيشعر قلبك بأن الكون كله بيد ربك الحافظ العليم ؟!!

دينك محفوظ ، قرآنك محفوظ ، رزقك محفوظ السماوات والارض محفوظتان••

ثم تدلنا السورة على كيفية تطبيقها في الحياة بعد استشعار حفظ الله.إن هذه السورة هي سورة الحفظ[١٤]، فأنت محفوظ أيها الإنسان، والقرآن محفوظ كما حفظت السماوات من قبل[١٥]، والأرزاق محفوظة فلم الخوف..؟ إن هذه السورة قد أنزلت في ذروة إيذاء المشركين للمسلمين في مكة، لتطمئن النبي وأصحابه أنهم محفوظون، والآن تطمئن كل الدعاة إلى الله أنهم أيضاً محفوظون... أنتم محفوظون طالما كنتم على صلة بربكم (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ)(اية٤٢ سورة الحجر)... الله تعالى هو الذي يقول هذا... وانظر إلى لطف الآية وهو يدافع عنك أمام عدوك، واستشعر بالفخر كونك تندرج تحت كلمة «عبادي» (.. إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) (اية٤٢ سورة الحجر) أما الغاوون، فهم الذين اختاروا طريق الشيطان، وهم محرومون من هذا الحفظ الرباني. هذه الحقائق كلها يعلمها إبليس، فهو أمام رب العزة يقول: (إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ). (اية٤٠ سورة الحجر) فطالما أننا محفوظون، والحفظ مضمون من الله تعالى، فلمَ الخوف؟؟

المبحث الخامس : تسمية السورة

سورة الحجر اسمها التوقيفي: سورة الحجر. اسمها الاجتهادي: سورة رُبَمَا.

اسمها التوقيفي:

– سورة الحجر: الحِجْرُ: اسم ديار ثمود بوادي القرى، بين المدينة والشام ، وهم قوم صالح النبي عليه الصلاة والسلام. وسورة الحجر هو الاسم الذي اشتهرت به هذه السورة، وبه سميت في المصاحف وكتب التفسير والسنة، كما جاءت في كلام بعض الصحابة: فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نزلت سورة الحجر بمكة» . وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير رضي الله عنهما قال: «نزلت سورة الحجر بمكة» .

– وجه التسمية: سُميت السورة (سورة الحجر)، لأن الله تعالى ذكر فيها ما حدث لقوم صالح، وهم قبيلة ثمود وديارهم في الحجر، فقد كانوا أشداء ينحتون الجبال ليسكنوها، فبينما هم آمنون مطمئنون جاءتهم صيحة العذاب في وقت الصباح. قال تعالى: {وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (٨٠)}، وقوله تعالى: {فَما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ (٨٤)}. قال المهايمي: «سُميت بها لاشتمالها على قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (٨٠)} إلى قوله تعالى: {فَما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ (٨٤)} الدال على مؤاخذتهم لمجرد تكذيب الرسل والإعراض عن آيات الله، بأدنى وجوه المؤاخذة، مع غاية تحصنهم، ففيه غاية تعظيم الرسل والآيات» . وقد ورد لفظ (حجر) في غير هذه السورة مرتين، الأولى في سورة الأنعام في قوله تعالى: {وَقالُوا هذِهِ أَنْعامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لا يَطْعَمُها إِلاَّ مَنْ نَشاءُ} [الأنعام: ١٣٨] بمعنى: حرام ممنوع . والثانية في سورة الفجر في قوله: {هَلْ فِي ذلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (٥)}، بمعنى: عقل .

اسمها الاجتهادي:

– سورة رُبَمَا: ذكرها الطاهر بن عاشور اسماً آخر للسورة فقال: «والمكتبون في كتاتيب تونس يدعونها سورة {رُبَمَا} لأن كلمة {رُبَمَا} لم تقع في القرآن كله إلا في أول هذه السورة» ، ولكن لم يثبت نص صحيح على هذه التسمية إنما هو مأخوذ من لفظة وقعت في السورة.سبب تسمية السورة بـ (الحجر)[١٦]. الحجر هو المكان الذي سكنت فيه قبيلة ثمود قوم صالح (عليه السلام)، فما علاقة ذلك بالحفظ؟ إن أصحاب الحجر كذّبوا بآيات الله ورفضوا طريق الإيمان، فشعروا بأن الله تعالى قد ينزل عليهم عقاباً أو عذاباً، فبحثوا عن مكان يشعرون به بالأمان فلم يجدوا إلا الحجر. ولقد توصّلوا إلى مدنية رائعة وحضارة راقية جعلتهم ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين...[١٧] تقول الآيات (وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ . وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ . وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ) (الحجر ٨٠ – ٨٢) لقد ظنوا أنهم إن سكنوا داخل الجبال سينجون من العذاب، فصاروا ينحتون في الجبال بيوتاً ليضمنوا النجاة بعيداً عن الفيضانات وتقلبات الطبيعة، فما الذي حصل لهم؟(فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ) (٨٣) فالصيحة لا يحمي منها جدار ولا جبل ولا غير ذلك، ولقد جاءتهم مصبحين أي في الصباح (لأنه رمز الأمان فالليل يوحي دائماً بالخوف)، [١٨]وكأن المعنى بأنه لا حفظ لك أيها الإنسان إلا من عند الله تعالى...

فلا تنبهر بهم (ولذلك ذكر الله قدرته في الكون في أول السورة) وكانت طريقة عذابهم متفردة بين الأمم: صيحة (أي صوتاً رهيباً) لا يحول دونها حافظ من حائط أو ريح أو ماء أو حجارة. لذلك سميت السورة بالحجر كرمز لقوة الحضارات الأخرى، لتحذر من الانبهار بالآخرين ولتؤكد أنه لا حافظ إلا الله [١٩].

الخاتمة:

في الختام، تُعدُّ سورة الحجر من السور المكية التي نزلت في فترة اشتدت فيها الضغوط على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. تحمل السورة رسالة تطمينية تهدف إلى تقوية قلوب المؤمنين في وجه التحديات والمحن التي واجهوها في سبيل الدعوة إلى الله. تتناول السورة معاني الحفظ الإلهي والعناية الربانية، مؤكّدة على أن الله سبحانه وتعالى هو الحافظ لكتابه ولعباده المخلصين، وأنه لا خوف على المسلمين طالما تمسكوا بدينهم واتبعوا نهج الله وسنة نبيه.

كما تسلط السورة الضوء على قصص الأمم السابقة مثل أصحاب الحجر، لتبيان عاقبة المكذبين بآيات الله، ولتذكير المؤمنين بأهمية الثبات والإيمان في مواجهة الصعوبات. إن الحفظ الإلهي يتجلى في عدة جوانب منها: حفظ القرآن، حفظ السماوات والأرض، حفظ الأرزاق، وحفظ المؤمنين من كيد الشيطان. هذه الجوانب جميعها تُبرز قدرة الله وعنايته بأموره وخلقه، مما يعزز من ثقة المؤمنين بربهم ويدفعهم لمواصلة الدعوة إلى الحق. ولقد أكدت السورة على أن العناية الربانية والطمأنينة الحقيقية لا تأتي من القوى المادية أو الحضارات المتقدمة، بل تأتي من الالتزام بالدين والتوكل على الله. إن هذه الرسالة تطمئن المؤمنين في كل زمان ومكان، وتحثهم على الثبات على مبادئهم والاعتزاز بإسلامهم، بغض النظر عن التحديات والاستفزازات التي قد يواجهونها من الآخرين. إن في سورة الحجر دعوة لكل مسلم للتركيز على عبادته وثباته على دينه، والابتعاد عن الانهزام أمام الأعداء أو الانبهار بقوتهم. كما تدعو السورة المسلمين للعمل الدؤوب في الدعوة إلى الله، والأخذ بيد الناس نحو طريق الحق والصلاح، مستندين في ذلك على اليقين بأن الله هو الحافظ والمعين. وبذلك، تُختتم سورة الحجر برسالة واضحة للمؤمنين: حافظوا على إيمانكم واعملوا جاهدين لتحقيق رضا الله، فإن الحفظ الحقيقي والعناية الربانية هي ما ستضمن لكم السلامة في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة.

ان سورة الحجر واحدة من السور المكية التي تنبض بروعة البيان وعمق المعاني، وهي صورة مشرقة تعكس القدرة الإلهية والحكمة الربانية. من خلال تأملنا في آياتها، ندرك أهمية التوحيد والإيمان بالله وحده، كما أنها تنبهنا إلى ضرورة الاعتبار بعواقب الأمم السابقة والتعلم من أحداثهم.

هذه السورة تعيد للإنسان توازنه الروحي بتذكيره بعظمة الخالق في خلق السماء والأرض والإنسان، وتحثه على التفكر في جمال هذا الكون الفسيح. كما أنها تتناول موضوعات بالغة الأهمية مثل الوحي، رحمة الله، ومصير الكافرين، الأمر الذي يجعلها رسالة تتجاوز حدود الزمان والمكان لتصلح لكل إنسان في كل عصر.

ولا يمكن إغفال الجانب الأدبي لسورة الحجر؛ إذ إنها تتميز بلغة بلاغية تجمع بين التحدي والترغيب، مما يعزز من تأثيرها في النفس البشرية ويجعلها إحدى أعظم السور التي تجسد الإعجاز القرآني.

ختاماً، تُذكرنا سورة الحجر بقيمة التمسك بالإيمان والصبر أمام العقبات، وتحثنا على التفكر في هذه الآيات الكونية الباهرة التي تجعلنا نقف في خشوع أمام عظمة الله وقدرته. لذلك، تمثل هذه السورة دعوة مفتوحة للإنسان لكي يستمد منها دروساً عظيمة تنعكس إيجاباً على حياته الروحية والمادية، مما يجعلها درة في عقد السور القرآنية الكريم.

الهوامش:

١) سورة الكهف: ١:٣

٢) بحار الانوار – العلامة المجلسي ج١٨ , ص٢٢٥

٣) سورة فصلت: ٤٢

٤) سورة البقرة: ١٨٥

٥) سورة طه: ١٢٦:١٢٣

٦) الطوسي، تفسير التبيان، ج ٨، ص ٢٦٦.

٧) معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ج ١، ص ١٦٩.

٨) الخرمشاهي، موسوعة القرآن والبحوث، ج ٢، ص ١٢٤٠.

٩) سورة الحجر:٣

١٠) سورة الحجر:٩٨

١١) سورة الحجر:٩٩

١٢) تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، ج ١، ص ٨٤.

١٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. ج ٤، ص ١١٠.
١٤) جامع البيان في تفسير القرآن .ج١٤, ص ١٨
١٥) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ج ٨٩ – ص ٧٤.
١٦) التيسير في أحاديث التفسير ج ٣ ، ص ٢٩٥.
١٧) كتاب فتح البيان في مقاصد القرآن. ج ٧ , ص ١٢٠.
١٨) كتاب الموسوعة القرآنية (الطبعة الأولى) جزء ٤، ص ٢٦٥-٢٦٦.
١٩) كتاب الأساس في التفسير (الطبعة السادسة) ج ٦، ص ٢٨٥٨ -٢٨٥٩.

المصادر:

١- الكتاب: تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، الناشر: دار التراث، بيروت، الطبعة: الثانية ١٣٨٧هـ.
٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
٣- بحار الأنوار – العلامة المجلسي .
٤- محمد الناصري (١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م)، كتاب التيسير في أحاديث التفسير (الطبعة الأولى)، بيروت– لبنان: دار الغرب الإسلامي.
٥- صديق خان (١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م)، كتاب فتح البيان في مقاصد القرآن، بيروت: المكتبة العصرية.
٦- جعفر شرف الدين (١٤٢٠ هـ)، كتاب الموسوعة القرآنية (الطبعة الأولى)، بيروت: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.
٧- سعيد حوى (١٤٢٤ هـ)، كتاب الأساس في التفسير (الطبعة السادسة)، القاهرة: دار السلام.
٨- الطوسي، كتاب تفسير التبيان الجامع لعلوم القران.
٩- معرفة، التمهيد في علوم القرآن.
١٠- الخرمشاهي، موسوعة القرآن والبحوث.
١١- تفسير الطبري جامع البيان في تفسير القرآن .

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

Development and validation of a computer Assisted language learning curriculum and llsyabus for Iraqi ELT teachers and students at BA and MA level

M.M. Atta Qasim Tahimesh
M.M. Saja Qasim Tahimesh
University of Wasit / College of Basic Education

Abstract:
This study investigates the perspectives of both students and instructors regarding the integration of computer-assisted language learning (CALL) into English language education. Focusing on ELT programs at the undergraduate and postgraduate levels, the research was conducted across several Iraqi universities, including Baghdad, Karbala, Basra, and Wasit. Data were collected through questionnaires distributed to 150 students and 150 instructors, complemented by semi-structured interviews with 10 instructors selected based on questionnaire results for further insight. The analysis revealed statistically significant differences in students' attitudes based on their academic level. However, both students and instructors expressed generally similar and positive perceptions of the role of computer technology in language teaching and learning. The findings highlight the urgent need for structured training programs and the development of a well-designed CALL-based curriculum tailored to the local educational context to ensure effective technology integration in language instruction.

Keywords: CALL, educational technology, teacher and learner perceptions, autonomous learning, curriculum development.

Background of the Study

Over the past few decades, the integration of computer technology into education has grown significantly, reshaping the dynamics of teaching and learning across disciplines. In the realm of language education, computer-assisted language learning (CALL) has sparked both enthusiasm and debate. Many educators and learners recognize the value of computer-based instruction as a means to enrich and facilitate language acquisition. However, attitudes toward CALL often vary according to experience and familiarity with technology. Novice teachers, typically more exposed to digital tools during their academic training, tend to demonstrate greater ease in adopting such approaches, while veteran instructors may exhibit resistance due to limited technological exposure or confidence (Bebell, O'Conner, O'Dwyer, & Russell, 2003; Smith, 2003). CALL has evolved into a key component within the field of applied linguistics. Beatty (2003) defines it as any language learning activty that utilizes a computer to foster language development. He emphasizes that CALL has the potential to influence both teach-

ing and learning by shifting the pedagogical focus from traditional grammar-based instruction to more communicative and interactive methodologies.

Although the concept of using computers in language education can be traced back to the 1950s, it was during the 1960s that the first practical computer-based language programs began to emerge in academic institutions. Initially limited to research settings within universities, these programs had restricted reach. However, continual technological advancements have made CALL tools increasingly accessible, user-friendly, and pedagogically robust (Chapelle, 2001; Beatty, 2003).

As higher education institutions move toward adopting CALL methodologies, the perceptions of both teachers and students become pivotal. Understanding the factors that shape these attitudes is essential for effective implementation. Exploring how these groups view CALL—and the reasons behind their perceptions—can provide valuable guidance for designing responsive curricula and training programs that harness the full potential of technology in language education.

The Importance of CALL

Traditional, teacher-centered classrooms often position students as passive recipients of knowledge, where their primary role is to listen, absorb information, and follow instructions. In such settings, the teacher typically controls the content delivery, facilitates discussions, initiates classroom interactions, and regulates the overall flow of activities (Sandholtz et al., 1990). Metz (as cited in Muir-Herzig, 2003) refers to these as "real classrooms"; however, this conventional model has been widely criticized for its limitations. As Sandholtz and colleagues note, instruction in such environments frequently relies on rote practice aimed at enhancing exam performance rather than fostering deep learning. Consequently, while students may develop test-taking proficiency, they often lack critical thinking and higher-order cognitive skills.

One major drawback of traditional instruction is its limited connection to real-life contexts. When classroom learning lacks practical relevance, students may struggle to apply the language effectively outside the academic setting. This has prompted a call for a shift in pedagogical focus—from memorization-based instruction

to approaches that emphasize problem-solving, conceptual understanding, and analytical reasoning (Sandholtz et al., as cited in Muir-Herzig, 2003).

Computer-assisted language learning (CALL) offers innovative alternatives to conventional methods by integrating educational technology into the language learning process. CALL employs a variety of instructional approaches through software and multimedia tools. For example, the audio-visual method emphasizes pronunciation and listening through dialogues and repetition. The cognitive approach supports self-directed learning, enabling learners to progress at their own pace and assume responsibility for their outcomes. The communicative approach, in turn, focuses on enhancing learners' ability to use the language in authentic, real-world interactions (Celce-Murcia, 2001). When incorporated into digital tools, these methods often prove more effective than traditional classroom instruction.

Beatty (2003) emphasizes that CALL plays a significant role in developing the four core language skills—reading, writing, listening, and speaking—while also promoting learner autonomy. For teachers, CALL presents valuable opportunities to enhance instruction through the integration of technology in both classroom practice and academic research.

Jones and Fortescue (1987) explain that CALL can enhance reading skills in three main ways: first, by encouraging incidental reading as part of task completion; second, by providing immediate feedback on comprehension tasks that also reinforce grammar and vocabulary knowledge; and third, by offering text manipulation activities that support understanding of both content and structure. CALL programs frequently include interactive reading tasks where students infer word meanings from context or identify grammatical categories—for example, selecting the part of speech of a highlighted word in a sentence (p. 33). Healey (1999) further notes that CALL fosters reading strategies such as skimming, scanning, identifying main ideas and details, and making predictions by integrating audio-visual aids and interactive features.

In addition to reading, CALL supports the development of writing skills through digital writing tools such as word processors. These applications simplify the writing process by allowing students to

easily add and revise content, correct grammatical errors, and format their work. Features such as spellcheck, punctuation assistance, and sentence structure analysis guide students in producing clearer, more organized writing. Furthermore, the ability to revise drafts, incorporate visual data like tables or charts, and save time through digital formatting enhances both writing fluency and quality (Costanzo, 1989; Dunkel, 1991; Howie, 1989; Neu & Scarcella, 1991).

Enhancing Listening and Speaking Skills through CALL

Computer-assisted programs play a crucial role in the development of listening and speaking skills. Listening software often features authentic audio materials presented by native speakers, allowing learners to replay difficult segments multiple times until full comprehension is achieved. This repeated exposure not only strengthens listening comprehension but also supports accurate pronunciation—an essential component in developing spoken fluency (Hanson-Smith, 2000; Pennington, 1989). In addition, many CALL programs include features that enable learners to engage in simulated dialogues and record their own speech. By comparing their recordings with native-speaker models, students are able to self-assess and refine their oral language production.

Benson and Voller (1997) highlight the long-recognized connection between educational technologies and learner autonomy. They argue that CALL tools can empower students by facilitating independent learning and providing access to self-directed practice beyond the classroom environment.

Advantages of CALL for Learners

CALL offers a wide array of benefits that enrich the language learning experience, particularly within learner-centered classrooms where students assume greater responsibility for their progress. Computers provide learners with diverse and flexible opportunities to practice language skills in meaningful contexts. This pedagogical shift challenges teachers to adopt new, facilitative roles while encouraging students to reflect on and adapt their learning strategies (Jaber, 1997). Within this model, the teacher transitions from a knowledge transmitter to a learning facilitator or mentor, and learners become more accountable for their development. CALL supports this learner-centered philosophy by enabling students to control the pace, sequence, and content of their learning (Kenning

& Kenning, 1983).

Among the primary advantages of CALL are its interactivity, adaptability to individual learning speeds, privacy, independent practice opportunities, immediate feedback, tolerance for repetition, and integrated editing tools. These features collectively enhance learner motivation, promote autonomy, and foster a willingness to explore language use in a supportive, low-anxiety environment.

Kenning and Kenning (1983) further assert that unlike traditional tools such as cassette tapes or videos, computers provide a dynamic interactive environment. This interactivity allows learners to engage actively with content and receive real-time corrections—an advantage not offered by passive media. Additionally, the individualized and private nature of CALL reduces learners' anxiety, encouraging experimentation without the fear of criticism or embarrassment.

Roles of Computers in Language Learning

Taylor (as cited in Levy, 1997) identifies three primary roles that computers can play in the educational context: tutors, tools, and tutees. As tutors, computers deliver structured lessons, respond to learner input, and track individual progress—offering an adaptive learning experience. As tools, they assist in the development of core language skills such as reading, writing, speaking, and research, by providing access to various learning resources and applications. In the role of tutees, learners engage with the technological aspects of computers, including programming and software modification, thus fostering a deeper understanding of how digital environments function.

Taylor also highlights the important distinction between computers used as tutors versus those used as tools. While tools offer support in performing tasks, tutor-based systems actively assess learner input and modify instruction accordingly—an ability not found in traditional educational tools. Furthermore, CALL enables personalized, self-paced learning, making it especially beneficial for students who need more time to grasp concepts or who may have missed classes. Because learning materials are stored digitally, students can review lessons at their convenience, ensuring greater continuity and accessibility in the learning process.

Enhancing Learner Autonomy and Motivation through CALL

CALL environments offer flexible and engaging opportunities that enhance both learner autonomy and motivation. Students who

complete tasks early can explore supplementary activities related to the curriculum, reinforcing their understanding. Unlike traditional classrooms, which are often constrained by fixed syllabi and time limitations, CALL offers learners the freedom to revisit and repeat material at their own pace. This flexibility removes pressure and supports individualized learning paths.

One of CALL's most significant advantages is the provision of immediate, automated feedback, a feature unavailable in conventional tools such as cassette players or video recordings. Writing software, for example, enables learners to revise their texts through functions like insertion, deletion, and reordering. Such tools also highlight errors in spelling, grammar, and formatting, thereby supporting the refinement of written work and fostering writing fluency.

This level of control over the learning process nurtures independent learning. As Little (1991) explains, true learner autonomy is achieved when students take active responsibility for their learning choices and establish a personal connection with the content and methodology (p. 4). CALL tools often enhance this engagement through visually appealing interfaces, animations, and interactive features that increase motivation. Unlike static drills, computer-based exercises present language tasks in dynamic and stimulating formats.

Additionally, many CALL programs include gamified features such as multiple-choice questions with real-time responses, offering encouraging messages like "Well done!" or "Try again!" These elements help sustain learner morale and foster a positive, persistent attitude toward language learning.

Moreover, CALL environments encourage linguistic experimentation. In writing tasks, for instance, students must coordinate vocabulary selection, grammatical accuracy, organization, and coherence. Through repeated practice with CALL tools, learners gradually build confidence in producing complex written texts—developing not only their language proficiency but also their critical thinking and problem-solving skills (Costanzo, 1989; Dhaif, 1989; Galavis, 1998; Hardisty & Windeatt, 1989; Kemp, 1993; Kenning & Kenning, 1983; Pennington, 1996).

Computer-Assisted Language Learning (CALL)

Computer-Assisted Language Learning (CALL) refers to the use of computer technologies—including web-based platforms, CD-

ROMs, and interactive digital applications—designed to facilitate language learning through structured, learner-specific activities. Traditionally, CALL has been employed to support second language acquisition; however, the present study investigates its applicability in assisting learners struggling with their native language as well. CALL functions both as a complementary resource to traditional classroom instruction and as a standalone tool that promotes autonomous, self-paced learning.

Brief History of CALL

Understanding the integration of CALL within educational settings requires examining its historical development in parallel with evolving language teaching methodologies. According to Levy (1997), the evolution of CALL is commonly divided into three major stages: Behaviorist CALL, Communicative CALL, and Integrative CALL. Each phase reflects changes in both technological capabilities and dominant pedagogical paradigms.

Behaviorist CALL, which emerged in the 1950s and became prominent during the 1960s and 1970s, was rooted in behaviorist learning theories—particularly those proposed by Skinner (1938). Programs from this era focused on repetitive drills and exercises aimed at reinforcing vocabulary and grammatical patterns. Often referred to as "drill and practice," and at times critically labeled "drill and kill," this approach positioned the computer as a neutral, tireless tutor that allowed learners to work independently and at their own pace.

The earliest CALL systems were developed on large mainframe computers and later transitioned to personal computers. A well-known example from this period is the PLATO system, developed at the University of Illinois during the 1960s. While PLATO did not encompass the full spectrum of language learning needs, it proved effective in delivering mechanical practice tasks. This, in turn, freed up classroom time for more communicative and interactive activities (Hart, 1981).

Statement of the Problem

While numerous studies have examined students' and educators' attitudes toward the use of computer technologies in educational settings (Arkın, 2003; Bebell et al., 2003; Delcloque, 1997; Lam, 2000; Pekel, 2002; Smith, 2003; Tuzcuoğlu, 2000; Warschauer, 2003), there remains a noticeable gap in comprehensive research that simultaneously investigates both students' and teachers' perceptions of Com-

puter–Assisted Language Learning (CALL) and the factors that shape these perceptions.

As CALL becomes increasingly integrated into English as a Second Language (ESL) and English as a Foreign Language (EFL) curricula, there is a growing need to evaluate its pedagogical impact and practical implementation. Although recent literature has explored various aspects of digital technology in language instruction—such as technological tools, learner traits, and instructional effectiveness—certain critical dimensions remain underexplored. Notably, the extent to which teacher preparation programs equip future educators to effectively integrate CALL into their classrooms is still insufficiently addressed.

A key step toward enhancing CALL implementation lies in evaluating the adequacy of TESOL training programs in preparing teachers for technology integration, and understanding how these programs are perceived by graduates in terms of usefulness and applicability. Furthermore, investigating informal or alternative avenues of CALL training may offer valuable insights for designing more accessible and practical professional development models.

In many Iraqi universities, the use of computer technologies remains largely confined to administrative functions such as emailing, online research, lesson planning, and institutional communication (Bebell et al., 2003; Smith, 2003). Despite the existence of language laboratories equipped with thirty computers per lab, CALL's full pedagogical potential is not being fully realized. Typically, lab–based language sessions include four one–hour classes aimed at supporting language skill development. However, based on personal observation and experience, both instructors and students often face challenges with using CALL effectively—ranging from technical difficulties and lack of training to skeptical or resistant attitudes.

Given that perceptions significantly influence the acceptance and success of CALL, this study seeks to examine how both students and instructors perceive the use of computer technology in language learning across selected Iraqi universities. It also aims to identify the key factors that shape these perceptions and to determine whether there are notable similarities or differences between the two groups in terms of CALL acceptance and usage.

Purpose of the Study

The primary aim of this study is to investigate and analyze the perceptions of Iraqi undergraduate and postgraduate English language teachers and students regarding the importance and adequacy of training in Computer-Assisted Language Learning (CALL). Specifically, the study seeks to understand what participants consider sufficient preparation in CALL and to examine the types and sources of training they have received—whether formal or informal.
Additionally, the research explores the participants' levels of satisfaction in two critical areas:
1. Their personal development of technological skills.
2. Their ability to effectively integrate technology into instructional or learning contexts.
The study also evaluates general attitudes toward the use of technology in language education, with the aim of identifying how structured (formal) and unstructured (informal) CALL training influences these attitudes.

Research Questions

The study is guided by the following research questions:
1. How do students perceive the use of computers as supplementary tools in classroom instruction?
2. How do teachers perceive the integration of computer technology in supporting language teaching?
3. What are the key similarities and differences between students' and teachers' attitudes toward the implementation of CALL?
4. Do perceptions of CALL vary based on gender or academic level among students and teachers?

Hypothesis

The study is based on the following null hypothesis:
There is no statistically significant relationship between the implementation of Computer-Assisted Language Learning (CALL) and the perceptions held by Iraqi EFL teachers and students.

Key Terms and Definitions

• CALL (Computer-Assisted Language Learning): Refers to the use of computer technology—whether through standalone software or online platforms—to support and enhance the process of language learning (Hanson-Smith, 2000, p. 9).
• Students' Perceptions: Denotes the views, beliefs, and attitudes held by learners regarding the role of computers in language

learning, both as instructional tools and as technological devices more broadly.

• Teachers' Perceptions: Refers to educators' attitudes and beliefs about the integration of computer technologies into language instruction, including their perceived effectiveness and relevance in the classroom environment.

• Learner Autonomy: Defined as "the ability to distance oneself, reflect critically, make informed decisions, and take independent action in the learning process" (Little, 1991, p. 14). It involves self-directed learning and personal responsibility for language development.

Significance of the Study

This study addresses the preparation and training of English language teachers and students enrolled in undergraduate and graduate (BA and MA) programs across Iraq, with a specific focus on the integration of Computer-Assisted Language Learning (CALL). Despite the increasing relevance of CALL in modern language education, there remains a lack of standardized guidelines or widely accepted best practices for CALL training within English Language Teaching (ELT) programs in the region.

To date, few comprehensive studies have examined how CALL is incorporated into teacher and learner preparation in Iraqi higher education. Preliminary observations suggest that CALL-related training is minimal and frequently perceived by participants as inadequate. This research, therefore, seeks to fill a critical gap by identifying what constitutes effective and sufficient CALL training for ELT students and educators at both academic levels.

The study aims to highlight the core competencies and foundational knowledge associated with CALL, assess how well these are integrated into existing curricula, and evaluate the satisfaction levels of participants who have undergone such training. The outcomes are intended to inform and enhance the design of CALL-oriented training modules in ELT programs. Moreover, the findings may serve as a valuable resource for other academic disciplines or language programs aiming to incorporate educational technology, positioning them as secondary—but potentially significant—beneficiaries of this research.

Limitations and Delimitations

1. The participants in this study were exclusively Iraqi, which limits

the generalizability of the findings to learners and educators from other cultural or national contexts.

2. The research specifically targets Iraqi English language teachers and students, thus the conclusions and recommendations are primarily applicable to this demographic group and may not extend to other populations.

Outline and Organization of the Study

• Chapter One: Introduces the overall theme of the research and establishes its foundational elements. This chapter presents the research problem, clearly states the purpose of the study, formulates the central research questions and hypotheses, explains the significance of the research, and provides precise definitions of key terms to ensure conceptual clarity throughout the thesis.

• Chapter Two: Reviews the theoretical framework supporting the study. It explores diverse perspectives within the existing literature, situates the research topic within ongoing academic debates, examines relevant prior studies, and identifies the specific gap in the literature that this study aims to fill.

• Chapter Three: Details the research methodology, including descriptions of the participant groups, identification of dependent and independent variables, and an overview of the data collection instruments. This chapter also outlines the procedures for data gathering and analysis.

• Chapter Four: Presents the study's findings, supported by appropriate tables, charts, and figures. The results are systematically organized to address the research questions and test the hypotheses introduced in Chapter One.

• Chapter Five: Provides a comprehensive discussion of the findings and their implications for English language teaching. This chapter also addresses the limitations of the study, suggests directions for future research, and offers pedagogical recommendations derived from the research outcomes.

Methodology

Participants

The study sample comprised 150 English language instructors (80 males and 70 females) and 150 English language learners (80 males and 70 females) drawn from four Iraqi universities: Baghdad, Karbala, Wasit, and Basra. All participants were native Arabic speak-

ers, aged between 24 and 45 years. Both teachers and students were actively involved in teaching and learning English as a foreign language within their respective institutions.

Instruments

Data were collected through a structured questionnaire (see Appendix), administered in English to both teachers and students. The questionnaire was divided into several sections, including demographic information (such as age and gender), self-assessments of typing and computer skills, experience with digital tools (e.g., word processors, email, Internet usage), and a set of items designed to measure attitudes toward the use of computers in educational settings.

Procedure

Questionnaires were distributed individually to participants along with a brief explanation of the study's objectives and assurances of anonymity. Participants were informed that their responses would be used exclusively for academic research focused on exploring their perceptions regarding the integration of computer technology in English language teaching and learning. Clarifications were provided as needed to ensure full comprehension of the questionnaire items.

Data Analysis

The gathered data were analyzed using the Statistical Package for the Social Sciences (SPSS). Descriptive statistics—including means and standard deviations—were calculated for each questionnaire item to summarize participants' overall perceptions. Additionally, a one-way Analysis of Variance (ANOVA) was conducted to examine whether significant differences existed among participant groups based on their respective levels of exposure to computer-assisted language learning activities.

Discussion

The studies reviewed in this research predominantly utilized mixed-methods approaches, combining both qualitative and quantitative data. A total of 300 participants—including English language teachers and students from various Iraqi universities—contributed to the dataset. Despite the relatively limited number of existing studies on this topic, the findings offer valuable insights into the current status of Computer-Assisted Language Learning (CALL) implementa-

tion in Iraq.

Consistent with previous research (Kulekci, 2009), a positive attitude toward technology among educators and learners does not necessarily guarantee effective integration of computers to achieve language teaching goals. Interview data revealed several persistent challenges hindering CALL adoption, including:

1. Teachers' perceived lack of competence and confidence in using computer technologies;
2. Insufficient technological infrastructure within educational settings;
3. A disconnect between current curricula and CALL methodologies.

Interestingly, conflicting perceptions emerged regarding the impact of computers on student focus. While some participants viewed technology as a potential distraction, others emphasized its role in enhancing learner engagement. This ambivalence contributes to teachers' hesitancy, as concerns arise that technology might detract from, rather than support, effective learning.

Conclusion»

Computer-Assisted Language Learning (CALL) presents significant opportunities to improve English language teaching and learning. When strategically implemented and aligned with clear pedagogical objectives, CALL can foster increased learner motivation, expand access to authentic materials, provide instructional flexibility, and accommodate diverse learning preferences and cognitive styles. Additionally, well-designed software tools can facilitate interactive and meaningful language practice.

High-quality CALL materials that balance structured exercises with opportunities for free expression, coupled with immediate feedback mechanisms, have the potential to greatly benefit learners. This study sought to evaluate the perceptions of both teachers and students concerning CALL usage in English as a Foreign Language (EFL) contexts, while also examining challenges related to its implementation.

Although the scope of existing research remains limited, the insights obtained underscore a critical reality: mere access to technological resources does not ensure their effective integration into language teaching. Consequently, it is imperative to enhance educators' awareness of CALL's practical benefits through sustained training, hands-on experience, and institutional support. Such

measures are essential to foster teachers' competence and motivation, thereby promoting successful incorporation of technology into their pedagogical practices.

References:

1. Arkin E I (2003) Teachers' attitudes toward computer tech use in vocab instruction, Master's thesis, Bilkent Univ, Ankara.
2. Beatty K (2003) Teaching & researching CALL, Longman, London.
3. Bebell D, O'Conner K, O'Dwyer L, Russell M (2003) Teacher tech use: Implications for training, J of Teacher Educ, 54:297–310.
4. Celce–Murcia M (2001) Language teaching approaches: Overview, in Teaching English as 2nd/foreign lang, Celce–Murcia M (ed), 3–11.
5. Chapelle C A (2001) Computer apps in 2nd lang acquisition, Cambridge Univ Press.
6. Costanzo W V (1989) The electronic text: Writing, reading, reasoning w/ computers, EdTech Pubs, NY.
7. Delcloque P (1997) Tech fear in LSP training, in Howard R & Brown G (eds), Teacher Ed for LSP, 103–113, Multilingual Matters, UK.
8. Dhaif H A (1989) Can computers teach lang? Engl Teach Forum, 27:17–19.
9. Dickinson L (1993) Aspects of autonomous learning, ELT J, 17:330–335.
10. Hardisty D, Windeatt S (1989) Intro, in Maley A (ed), Res books for teachers, Oxford Univ Press.
11. Hart R (1981) Lang study & PLATO system, Stud in Lang Learning, 3(1):1–24.
12. Healey D (1999) Communicative tasks in CALL, in Edbert J & Smith E H (eds), CALL Environments, TESOL, Bloomington IL.
13. Jaber W E (1997) Factors influencing teacher use of ed tech. Thesis, VA Tech. [Online]
14. Jones C, Fortescue S (1987) Using comps in lang class, Longman, Harlow.
15. Kenning MM, Kenning MJ (1990) Computers & lang learning: Theory/practice, Ellis Horwood, NY.
16. Kenning MJ, Kenning MM (1983) Intro to CALL, Oxford Univ Press.
17. Lam Y (2000) Tech–phobia & teachers, Can Mod Lang Rev, 56:389–420.
18. Little D (1991) Learner autonomy: Defs & issues, Authentik, Dublin.
19. Marcinkiewicz H R (1994) Teachers & comp use, J of Res on Computing in Educ, 26:220.
20. Muir–Herzig R G (2003) Tech impact in class, Comp & Educ, 42(2):111–131.
21. O'Connor K S (2005) Does qual eval measure up? Paper presented at FCSM Conf, VA, Nov 14–16.
22. Pekel N (1997) Students' attitudes to web–based learning, MA thesis, Bilkent Univ.
23. Pennington M C (1989) Teaching lang w/ computers: State of art, Athelstan, Houston.
24. Pennington M C (1996) Power of comp in lang ed, in Pennington M C (ed), Power of CALL, 1–13.
25. Sandholtz J D, Ringstaff C, Dwyer D C (1990) High–tech classrooms

revisited, Apple Ed Archive. [Online]
26. Smith B (2003) Negotiated interaction in CMC, Mod Lang J, 87:39–53.
27. Tuzcuoğlu U (2000) CALL attitudes among FL teachers, MA thesis, Osmanpaşa Univ.
28. Warschauer M (2002) Tech in lang ed: Dev perspective, TESOL Q, 36(3):453–475.
29. Warschauer M (1996) CMC learning: Theory & practice, Univ Hawaii, L2 Curriculum Ctr.
30. Warschauer M, Healey D (1998) Overview: Comps & lang learning, Lang Teach, 31:57–71.

APPENDICES

APPENDIX A

Teachers' Questionnaire

SECTION ONE: Background Information

Please *tick* (√) the appropriate choices and provide the necessary information below.

1. Age:[ ] 20-25 [ ] 26-30 [ ] 31-35 [ ] 36-40 [ ] 41-45+
2. Sex: [ ] Female [ ] Male
3. Years of teaching experience:

[ ] Less than 1 year [ ] 1-4 [ ] 5-8 [ ] 9-12 [ ] 13+

4. Currently teaching at level:

[ ] A [ ] B [ ] C [ ] D

5. Are you currently teaching in a computer laboratory? [ ] Yes [ ] No

SECTION TWO: General perceptions

This section is designed to elicit your general perceptions towards computers and towards using computer technology in language instruction.

1. How often do you use computers? Please *tick*(√) the appropriate option.

[ ] less than once a week [ ] 1-2 times a week
[ ] 3-4 times a week [ ] 5 or more times a week

2. What do you use computers for? Please tick (√) the appropriate option(s), and also indicate your frequency of use (e.g., √ games[1 2 3]).1= rarely 2= sometimes 3= often

___ electronic mail [1 2 3]
___ games [1 2 3]
___ online shopping [1 2 3]
___materials design [1 2 3]
___ typing and maintaining lesson plans, office work: student records, administrative reports (e.g., word, excel, power point) [1 2 3]
___ surfing internet [1 2 3]
___ assigning and checking assignments via e-mail [1 2 3]
___ chat rooms [1 2 3]
___ entertainment [1 2 3]
___ web page design [1 2 3]
___ other (please specify).

_____

3. For the following items, please *circle* the answers that best show your opinion.

1= strongly disagree 2= disagree 3= agree 4= strongly agree

a. I like using computers.	1 2 3 4
b. I generally have positive sights towards computers.	1 2 3 4
c. Using computers makes me more efficient in my life.	1 2 3 4
d. Using computers make me more efficient at work.	1 2 3 4
e. Using computers generally makes completing tasks easier.	1 2 3 4
f. I like searching the internet for general interest.	1 2 3 4
g. I perceive computers as pedagogical tools.	1 2 3 4
h. I generally have positive sights towards using computers in language instruction.	1 2 3 4
i. I like using computers for teaching purposes.	1 2 3 4
j. I like searching the internet for teaching resources.	1 2 3 4
k. Computers can be a good supplement to support teaching.	1 2 3 4
l. Computers can be a good supplement to support learning.	1 2 3 4
m. I believe that training is required to teach with computers.	1 2 3 4
n. I think that I need training to teach with computers.	1 2 3 4

SECTION THREE: Opinions about the Content of the CALL Program.

This section is designed to elicit your opinions about the content of the CALL program at Universities. For the following items, please *circle* the answers that best show your opinion.

1= strongly disagree 2= disagree 3= agree 4= strongly agree

1. The CALL program is beneficial in improving reading skills.	1 2 3 4
2. The CALL program is beneficial in improving writing skills.	1 2 3 4
3. The CALL program is beneficial in improving speaking skills.	1 2 3 4
4. The CALL program is beneficial in improving listening skills.	1 2 3 4
5. The CALL program is beneficial in improving grammar.	1 2 3 4
6. The CALL program is beneficial in improving vocabulary knowledge.	1 2 3 4
7. Reading passages on the computer program are easy to understand	1 2 3 4
8. The CALL program offers students choices while studying.	1 2 3 4

SECTION FOUR: Opinions about the Application of the CALL.

This section is designed to elicit your opinions about the application of the CALL program at Universities. For the following items, please *circle* the answers that best show your opinion.

1= strongly disagree 2= disagree 3= agree 4= strongly agree

1. The CALL programs can be used to teach grammar to support students' learning.	1 2 3 4
2. The CALL programs can be used to teach vocabulary to support students' learning.	1 2 3 4
3. The CALL programs can be used by students in practicing grammar to support their learning.	1 2 3 4
4.The CALL programs can be used by students in practicing vocabulary to support their learning.	1 2 3 4
5. Student interest in learning language will increase by using computer programs.	1 2 3 4
6. I like teaching with computers.	1 2 3 4
7. I can monitor my students' progress in a computer laboratory better than in class.	1 2 3 4
8. I believe students can learn more from computers than from books.	1 2 3 4

SECTION FIVE: Factors Affecting Teachers' Use of the CALL Program.

Please *tick*(√) the appropriate options that you think affect your way of teaching with computers (You may tick more than one).

[ ] I believe I need training in guiding students in the use of software for learning language.
[ ] I believe I need training in guiding students in the use of software for practicing language.
[ ] I believe I need training in planning lessons in a computer laboratory.
[ ] I believe the curriculum that we use for CALL instruction is satisfactory. [ ] The time that we spend in a computer laboratory is not enough to cover all the topics on the curriculum.
[ ] The design of the laboratory positively affects my teaching with computers. [ ] Students sights towards CALL instruction affect my teaching in a computer laboratory.
[ ] Other factors (please specify)

_____.

APPENDIX B

Students' Questionnaire

SECTION ONE: Background Information

Please *tick* (√) the appropriate choices and provide the necessary information below.

1.Sex: [ ] Female [ ] Male 2.Currently studying at level

[ ] A [ ] B [ ] C [ ] D

SECTION TWO: General Perceptions

This section is designed to elicit your general perceptions towards computers and towards using computer technology in language instruction.

1. How often do you use computers in your daily tasks
2. Please *tick*(√) the appropriate option.

[ ] once a week [ ] 1-2 times a week
[ ] 3-4 times a week [ ] 5 or more times a week

3. What do you use computers for?

4. Please *tick* (√) the appropriate option(s), and also indicate your frequency of use (e.g., _√_ electronic mail [1 2 3]). 1= rarely 2= sometimes 3= often

___ electronic mail [1 2 3]
___ games [1 2 3]
___ online shopping [1 2 3]
___ doing assignments [1 2 3]
___ surfing internet [1 2 3]
___ chat rooms [1 2 3]
___ entertainment [1 2 3]
___ web page design [1 2 3]
___ other (please specify)

3. For the following items, please *circle* the answers that best show your opinion

1= strongly disagree 2= disagree 3= agree 4= strongly agree

a. I like using computers.	1 2 3 4
b. I generally have positive sights towards computers.	1 2 3 4
c. Using computers makes me more efficient in my life.	1 2 3 4
d. Using computers make me more efficient in the classroom.	1 2 3 4
e. Using computers generally makes completing tasks easier.	1 2 3 4
f. I like searching the internet for general interest.	1 2 3 4
g. I perceive computers as learning tools.	1 2 3 4
h. I generally have positive sights towards using computers in language instruction.	1 2 3 4
i. I like using computers for learning purposes.	1 2 3 4
j. I like searching the internet for study resources.	1 2 3 4
k. Computers are good instruments to support learning.	1 2 3 4
l. I believe that training is required to use computers in learning a language.	1 2 3 4
m. I think that I do not need training to use computers effectively.	1 2 3 4

SECTION THREE: Opinions about the Content of the CALL Program.

This section is designed to elicit your opinions about the content of the CALL program at Universities. For the following items, please *circle* the answers that best show your opinion.

1= strongly disagree 2= disagree 3= agree 4= strongly agree

1. The CALL program is beneficial in improving reading skills.	1 2 3 4
2. The CALL program is beneficial in improving writing skills.	1 2 3 4
3. The CALL program is beneficial in improving speaking skills.	1 2 3 4
4. The CALL program is beneficial in improving listening skills.	1 2 3 4
5. The CALL program is beneficial in improving grammar.	1 2 3 4
6. The CALL program is beneficial in improving vocabulary knowledge.	1 2 3 4
7. Reading passages on the computer program are easy to understand.	1 2 3 4
8. The CALL program offers students choices while studying.	1 2 3 4

SECTION FOUR: Opinions about the Application of the CALL Program.

This section is designed to elicit your opinions about the application of the CALL program in a computer laboratory at Universities. For the following items, please ***circle*** the answers that best show your opinion.

1= strongly disagree 2= disagree 3= agree 4= strongly agree

1. I can use my time effectively in accomplishing the tasks on the computer.	1 2 3 4
2. My teacher gives me effective guidance in the computer laboratory.	1 2 3 4
3. My teacher manages lessons in the computer laboratory effectively.	1 2 3 4
4. My teacher deals effectively with each individual student in laboratory sessions.	1 2 3 4
5. In computer sessions I can understand the reasons for mistakes better than I do in class.	1 2 3 4
6. While studying on my own in laboratory sessions, I feel more comfortable than studying in class.	1 2 3 4

SECTION FIVE: Factors Affecting Students' Use of the CALL Program.

1) Please ***tick***(√) the appropriate options that you think affect the way of your learning with computers (You may tick more than one).

[ ] I believe I need training in using software programs in learning language.

[ ] I believe I need training in using software programs for practicing language.

[ ] I think our teachers' instructions in laboratory sessions are satisfactory.

[ ] The time that we spend in a computer laboratory is not enough to cover all the topics on the curriculum.

[ ] The design of the laboratory positively affects my learning with computers.

[ ] My teachers' sights towards CALL instruction positively affect my learning in a computer laboratory.

[ ] Other factors (please specify

_____.

Website address

White Dome Magazine

Republic of Iraq

Baghdad / Bab Al-Muadham

Opposite the Ministry of Health

Department of Research and Studies

Communications

managing editor

07739183761

P.O. Box: 33001

International standard number

ISSN3005_5830

Deposit number

In the House of Books and Documents (1127)

For the year 2023

e-mail

Email

off reserch@sed.gov.iq

hus65in@gmail.com

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

General supervision the professor
Alaa Abdul Hussein Al-Qassam
Director General of the
Research and Studies Department editor
a . Dr . Sami Hammoud Haj Jassim
managing editor
Hussein Ali Muhammad Hassan Al-Hassani
Editorial staff
Mr. Dr. Ali Attia Sharqi Al-Kaabi
Mr. Dr. Ali Abdul Kanno
Mother. Dr . Muslim Hussein Attia
Mother. Dr . Amer Dahi Salman
a. M . Dr. Arkan Rahim Jabr
a. M . Dr . Ahmed Abdel Khudair
a. M . Dr . Aqeel Abbas Al-Raikan
M . Dr . Aqeel Rahim Al-Saadi
M. Dr.. Nawzad Safarbakhsh
M. Dr . Tariq Odeh Mary
Editorial staff from outside Iraq
a . Dr . Maha, good for you Nasser
Lebanese University / Lebanon
a . Dr . Muhammad Khaqani
Isfahan University / Iran
a . Dr . Khawla Khamri
Mohamed Al Sharif University / Algeria
a . Dr . Nour al-Din Abu Lihia
Batna University / Faculty of Islamic Sciences / Algeria
Proofreading
a . M . Dr. Ali Abdel Wahab Abbas
Translation
Ali Kazem Chehayeb